الاول ان يجري العقد بين الرجل والمرأة فتقول المرأة
زوجتك او متعتك او انكحتك نفسي بقية
هذا اليوم بدينار مثلا فيقول الزوج قبلت او رضيت وزوجت
ولو اقتصر على قبلت اجزء ولو بدا الرجل بالقبول فقال تزوجتك
بقية هذا اليوم بدينار مثلا فقالت زوجتك كذلك صح
ولو جرا العقد بين الرجل ووكيل المرأة قال وكيلها زوجتك
موكلتي المشار اليها او فلانة الفلانية بقيت هذا اليوم بدينار
مثلا فيقول الرجل قبلت ولو جرى بين المرأة ووكيله قالت المرأة
زوجت نفسي من موكلك فلان بقية هذا اليوم بدينار مثلا
فيقول الوكيل قبلت لموكلي ولو جرى العقد بين الوكيلين
قال وكيل المرأة زوجت موكلتي فلانة من موكلك فلان
بقية هذا اليوم بدينار مثلا فيقول وكيل الرجل قبلت لموكلي
ولو كان الزوج وكيلا عنها قال زوجت نفسي من موكلتي
فلانة كذا وكذا ثم يقول قبلت له ولو كان اجنبي وكيلا عنهما
قال زوجت موكلتي فلانة من موكلي فلان مرة كذا

ثم

العوالي

معها تحت حكمه ان لا يصيبه السرق والغرق والحرق الفصل
الثالث فيما يستحب عند الخروج الى السفر في الدعاء عند الخروج قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ما استخلف رجل على اهله بخلافة افضل من ركعتين يركعهما
اذا اراد الخروج الى سفره ويقول عند التوديع اللهم اني استودعك اليوم ديني
ونفسي ومالي واهلي وولدي وجيراني واهل حزانتي الشاهد منا والغائب
وجميع ما انعمت به علي اللهم اجعلنا في كنفك ومنعك وعياذك وعزك
عز جارك وجل ثناؤك وامتنع عائذك ولا اله غيرك توكلت على الحي
الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله
بكرة واصيلا وكان ابو جعفر عم اذا اراد سفرا جمع عياله في بيت ثم قال
اللهم اني استودعك الى آخره عن صباح الحذاء قال سمعت موسى بن
جعفر عم يقول لو كان الرجل منكم اذا اراد سفرا قام على باب داره تلقاء الوجه
الذي يتوجه اليه فقرا فاتحة الكتاب امامه وعن يمينه وعن شماله وآية الكرسي
امامه وعن يمينه وعن شماله ثم قال اللهم احفظني واحفظ ما معي وبلغني
وبلغ ما معي ببلاغك الحسن لحفظه الله وحفظ ما معه وسلمه الله وسلم ما معه

الجزء الاول

شرح نهج البلاغة ... الامام المعصوم

... الامام امير المومنين علي بن ابي طالب

... صلوات الله عليه

الله محمد علي

1

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سبحانك اللهم وبحمدك لا توحدك في كبريائك تحسر عن ادراكك انسان كل عارف وتفردت في صفات ... ما نقصر عن مدحك لسان كل واصف ظهرت في بدايع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاكمة كل قابل وبهرت بعز جلالك فالكل من رجالك مقتحم ابطال احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتقدست الاوهام فتقدمت انواعها عن التحديد والاحصاء خلقت الدنيا مضمارا ليستبق فيه حكمتك للسباق الى حضرة قدسك وايدتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى بساط انسك ويسرت كلا لما خلق له فبعض لنعمائك منكرون ومن عبادتك مستكبرون وبعض بقرب احسانك مترقبون وعلى ... حولك معتكفون سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانه وتعالى عما يقولون الظالمون ... تعاليت عما يصفون اسمك ... والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال اناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت حائزا كل ما سواك عن درجة الاعتبار عظمت جلالك وجملك في طرف الاعلان ... واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة انبيائك الابرار الهاد الذي بعثته بالانوار الساطعة وايدته بالبراهين القاطعة وجعلته العالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك وسراجا منيرا اللهم صل عليه صلوة دائمة باقية كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى آله الطاهرين المنتجبين ... الهداة ... الدين وعلى اصحابه الاكرمين وسلم عليهم اجمعين **اما بعد** فلما كان المقصود من الاولين ... والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق ... من دار ... هذه الدار ... الى حظاير القدس ... وحمايتها ان يردوا موارد الهلاك اذ كانت ... على خطيرة ... الى ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... ما قد ... بتذكير ما اخذ عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ... ان اعبدوني هذا صراط مستقيم ... المقصود من تدبير احوال ... ورياضة ... النوع الانساني وكان امام ... سيد الوصيين وامير المؤمنين ... على بن ابي طالب عليه السلام ... جميع ما ورد عنه من الكلام ... والاحكام ... الحكم ... بسطا لما اشتمل عليه القران الحكيم من ... والفوز ... [illegible] ... بالتفصيل والاجمال كان كلامه ... كلام النبوة ... [illegible]

... الاسلام ... [illegible]

... من كلام ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

في الثلث الاول ... الدين ... العالم ... سر ... حضرة في الرتبة ... بالمقامات السنية ... فكان ...

وكلام ... سواه ... من شوائب ... استغنى بجودة كتابي ... من يعرض عنه جهلا والهيف لواجد ... الاطلاع ... حروف الدين ... الارض والوطن فاوحيت ... الايام دخول دار الاسلام ... الحضرة ... الحكيم ... ابنها اجمل تدبيرها والقت مقاليد امورها الى من حفظه الله تعالى باشرف الخلال ... ملكات الفضايل النفسانية فهو ابو مثلث طبيعته من ... الفضل حين ... فالعلم والجود والشجاعة والعفة والعدل ... نعم ... الله ... امور عباده وبلاده وجعلها ... تسري فيها ... الارواح في الاجسام ... تجري فيها ... الذي جاء على ... المطالب ... فان ... العواقب ... والعلوم ... السعيد ... في غاية الجهالة ... صبح الحق بطلعته ... من افق الضلالة ... روض ... بفيض سحايب فضله ... اركان الاسلام بعد ... والايمان ... الطغيان صاحب دولة ... انه افضل ... بن الصاحب المعظم المولى المكرم ... العالمين ... من الملائكة المقربين ... الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله ... وضاعف ... فضله وافضاله ... بدوام عزه ... الذي فاق ملوك الافاق بعلو القدر ... العز والفخر ... العقل والعقب الذي ملا الاسماع ... والافاق ... الاطماع ... ما قيل من قبله في الكرم واهله

هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

... من جمع ... والسلطان وزادة بسطة في المرتبة وعلو الشان ... القدسية والخلافة ... والاصلاح ... والمقاصد ... ملوك ... صاحب ديوان ... الحق والدين ... الاسلام والمسلمين محمد ... مراتب ... وارقه بلوغ ... المعالي ... وعلوا ... يعرف ... ودانت ... الاقضية ... العدل ... الاحسان ... الكلام ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

٣ سوف خاطر المحصلين الكشف حقايقه والوقوف على ابرازه ودقايقه في حيث ان احمل يكري لبعض
عوايد سابقه وشه المتواليه الملاحظه ان اخدم نادي مجلسه بتهذيب شرح مشتمل على القواعد الحقيقيه يشحون
بالمباحث اليقينيه انبه فيه على ما لاح لي من رموزه وكشف ما ظهر لي من دقايقه وكنوزه وقد سبق الى شرح
هذا الكتاب جماعه من اولي الالباب والناقد المسدد للصواب يميز من القشر اللباب والاعراب من
السراب وشرعت فيه بعد ان عاهدت ان احيانه الى الانصاف ذهبت غير الحق ولا انكب عن
احد من الخلق فان وافق الراي الاعلى ذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر مقبول والعفو موجود
ما يرجوه الراغب ان اهل الفضل في ستر ما يجدونه من خلل وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف
جناحي عن سلوك هذا المطار الذي يتوسع نفوس الاولياء والابدال ... الحل الكبار ... الا
... مطايا الاستعداد وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل وقبل الخوض في المطلوب
لابد من تقديم مقدمة يستعان بها على ما ... ان اذكره من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى
اما المقدمة فاعلم ان كلام ... الاول يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب من علوم جليلة يحتاج المتصدي
للخوض فيه وفهم ما يشرح منه بعد جودة وصفا قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى لب المقاصد
والاطلاع على اللام منها منها في الفاظ خطابيه اما منطوق بها او مكتوبة تعين ان اذكر من مباحث الالفاظ
قدر ما تشتد الحاجة اليه ثم اشير الى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها ليكون ذلك معينا للناظر في كلامه على
ملاحظة دقايقه ومطالعة اسرار وحقايقه ثم اختم ذلك بالاشارة الى ما يتعلق به عليه السلام من الفضايل
فلاجرم رتبت هذه المقدمة على ثلاث قواعد **القاعدة الاولى** في مباحث الالفاظ وهي مرتبة على قسمين
القسم الاول في دلالة الالفاظ واقسامها وفيه فصول **الفصل الاول** في دلالة اللفظ على
المعنى وفيه ابحاث **البحث الاول** دلالة اللفظ الموضوع للمعنى اما على تمام مسماه او على جزء مسماه من حيث هو
جزؤه او على الامر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له والدلالة الاولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ
الانسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده او على الناطق وحده والثالثة
دلالة الالتزام كدلالته على ... الضاحك واحترزنا في الدلالتين الاخيرتين بقولنا من حيث هو جزؤه ومن حيث
هو لازم عن دلالة اللفظ بالمطابقة على جزء المسمى او على لازمه ... الاشتراك اللفظي ... اذ
ان ... اللفظ الواحد للمعنى ولجزؤه كلفظ الممكن مثلا للممكن الخاص والعام والمعنى ولازمه كلفظ الشمس على ...
... والنور اللازم عنه ... في تعريف دلالتي التضمن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين
... دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى او لازمه كما هو موضوع له اذ ... ايضا دالا
على جزء مسماه وعلى لازم مسماه **البحث الثاني** الدلالة الاولى هي التي بحسب الوضع الصرف
... فذهب الامام فخر الدين وجماعة من الفضلاء الى انهما عقليتان وفيه نظر لانهم ان ارادوا انهما ...
... من دون مدخلية الوضع فهو باطل لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ ...
... الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولها من مجرد ...

وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من اللفظ ينتقل منه الى جزءه او الى لازمه فهو حق وحينئذ يكون
... ان الثانيتين تشتركان من الوضع والعقل في انهما تستلزمان الدلالة الوضعية من غير عكس لجواز خلو الماهية
من التركيب ومن اللازم البين ولا يجب ايضا ان يلزم احديهما الاخرى وهو ظاهر **البحث الثالث**
ظاهر ما ذكرنا ان يعتبر في الدلالة التضمنية كون المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركبا وان في الالتزامية ان المعتبر فيه
كونه يلزم ... الذهن اللزوم البين ... اذ لولا اللزوم الذهني لم يفد اطلاق اللفظ فهم المعنى الخارج عن الماهية
لعدم الوضع بازايه وعدم انتقال الذهن عن موضوعه اليه فلم يكن اللفظ دالا عليه اذا المراد بدلالة اللفظ على المعنى
فهمه عند اطلاقه بالنسبة الى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ على ما لا لزوم بينهما
في الخارج اذ اللازم من تصوره لتصوره ... كدلالة لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجب
لانتقال الذهن من الملزوم الى لازمه اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية بل لا بد مع ذلك من اللزوم او
... على وضع اللفظ بازائه والعلم بالوضع وسماع اللفظ ... فهو اذا احد الشروط المعتبرة
لتصور اللازم **البحث الرابع** دلالة الحقيقة هي الدلالة الوضعية ... واما الباقيتان فليستا حقيقيتين
... لان من شرط المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له استعمالا مقصودا بالذات
... الدلالتين قد تحصلان من استعمال اللفظ في مسماه حصولا عرضيا لان الذهن قد ينتقل عند اطلاق اللفظ
لارادة مسماه الى جزئه او الى لازمه انتقالا عرضيا وكذلك الى جزء جزئه والى لازم لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم
ان اللفظ اطلق لارادة مسماه واستعمل فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن اليه من الاجزاء واللوازم وان كانت له
... في ذلك الانتقال فلم يكن ... الدلالة ... في الحقيقية والمجاز نعم استعمال اللفظ الموضوع
والاطلاق بالذات لارادة المعنى لا يخلو من ان يكون حقيقيا او مجازا **الفصل الاول**
في تقسيم الالفاظ وفيه ابحاث **البحث الاول** اللفظ ان اريد بالجزء منه دلالة اصلا ...
... المفرد او يراد بالجزء منه دلالة على الشيء وهو المركب ... هذا منقوض بعبد الله وما يجري مجراه فانه
مفرد مع ان ... ما ... ذاك لانا نقول قد يراد بالجزء من عبد الله ... والاسم ... المركب الا ...
يكون مفردا بل مركبا ... فيكون مفردا او ... الذي ... بالجزء ... دلالة اصلا ...
... الى ... فكل لفظ لا ... بجزئه دلالة كان مفردا وهذا هو الوجه ...
... المفرد والمركب وقد ... انه لا حاجة فيه الى القيد الذي زاده ... وهو ... من حيث هو جزؤه فان
... **البحث الثاني** اللفظ المفرد اما ان يكون نفس تصور معناه مانعا من
وقوع الشركة فيه وهو الجزئي او غير مانع وهو الكلي اما الجزئي فيقال بمعنيين احدهما ما ذكرناه ويسمى
باسم الجزئي الحقيقي والثاني انه كل اخص تحت اعم والفرق بينهما ان الاول غير مضاف والثاني
مضاف الى ما فوقه وقد يكون كليا فاما الكلي ... ان يعني به نفس الحقيقة التي ... لتصور
... او النسبة التي تعقل لها بالقياس الى جزئياته المعقولة ... الثاني
... المعقول ... الحقيقة والنسبة العارضة ...

٣ لانه اما ان يكون ممتنع الوجود او ممكنه والاول كشريك الباري تعالى والثاني اما ان لا يعرف وجوده او يعرف والاول كجبل من ياقوت
وبحر من زيبق والثاني اما ان يمتنع ان يكون في الوجود منه اكثر من واحد او يمكن والاول كالاله تعالى والثاني اما ان يكون
في الوجود منه واحد فقط وان جاز وجود مثله او اكثر من واحد والاول كالشمس عند من يجوز وجود مثلها
والثاني اما ان يكون الموجود منه اشخاصا كثيرة متناهية او غير متناهية والاول كالكواكب والثاني
كاشخاص الانسان **البحث الثالث** الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما يكون داخلا فيها
او على ما يكون خارجا عنها اما الدال على الماهية فاما على ماهية واحدة او على ماهيات كثيرة والاول اما ان يكون
كليا او جزئيا والثاني اما ان يكون تلك الماهيات مختلفة الحقايق او متفقة الحقايق فهذه اقسام اربعة الاول
هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب بالحد والثالث هو المقول في جواب
ما هو بحسب الشركة المطلقة والثاني والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معا
مثال الاول قولنا في جواب من يسال فيقول ما الانسان انه حيوان ناطق فخصوصية هذا الجواب ليست
لغير الانسان اذ لا يشاركه في حده غيره والثالث كقولنا في جواب من يسال عن جماعة هم انسان وفرس وثور
ما هم انهم حيوانات اذ كان هذا الجواب هو كمال الجزء المشترك بينها فهو اذا مقول بالشركة المطلقة والثاني
والرابع كقولنا في جواب من يسال عن زيد وحده ما هو انه انسان او عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد ما هم
انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية والشركة معا اذ كل ما للكل واحد
منهما ان الاخر حاصل للاخر ولان خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسؤول عنه واما الدال على جزء الماهية
فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس القريب او على كمال الجزء المميز لها وهو
الفصل القريب او على ما يتركب منهما وهو النوع اولا على واحد من هذه فيكون ذلك جزء الجزء وهو اما جنس
الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس او فصل الفصل كما هو مذكور في مظانه واما الدال على الخارج عن
الماهية فيختص باسم العرضي واعتباره من وجهين احدهما انه اما ان يكون لازما او لا يكون والثاني فهو العارض
والاول اما ان يكون لازما للماهية او للوجود والاول اما ان يكون بينا للماهية كالفردية للثلاثة او غير بين كالتناهي
للجسم والثاني كالسواد للغراب واما العارض فاما سريع الزوال كالقيام والقعود او بطيئه كالشباب
الوجه الثاني العرضي اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره من تمام افراده او لم يعم وهي خاصة كالضاحك
للانسان بالقوة والفعل او لا يختص به بل به وبغيره وهي عرضا عاما كالماشي للانسان **البحث الرابع**
اللفظ والمعنى اما ان يتحدا او يتكثرا او يتكثر اللفظ ويتحد المعنى او العكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا
او جزئيا فان كان الاول فاما ان يكون نسبته الى افراده المعقولة بالسوية وهي المتواطي كالانسان بالنسبة الى
اشخاصه او لا بالسوية بل في بعضها اولى او اول او اشد او اضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم
كزيد والثاني الاسماء المتباينة سواء تفاصلت مفهوماتها كالانسان والفرس او تواصلت على ان بعضها
اسم للذات والاخر اسم للصفة كالسيف والصارم او على ان بعضها اسم الصفة والاخر اسم لصفة الصفة كالناطق
والفصيح والثالث الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد او من لغتين

وآب واما الرابع فاما ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم نقل منه الى الآخر او وضع لهما معا اما الاول
فذلك النقل ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على المنقول اليه
بعد النقل اقوى من دلالته على المنقول منه اولا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول اليه منقولا فان
كان الناقل هو الشارع فلفظا شرعيا كالصلاة والزكوة واهل العرف فسمي عرفيا سواء كان العرف العام كالدابة للفرس
بعد وضعها لكل ما يدب وكالغائط للفضلة من الانسان عن وضعها للمكان المطمئن او الخاص كالاصطلاحات
المختصة بطائفة من اهل العلم مثلا كالرفع والنصب والجر عند النحاة وكالجمع والقلب والفرق عند الفقهاء
وكالموضوع والمحمول وكالجنس والفصل عند المنطقيين وان لم يكن دلالته على الثاني اقوى فاما ان يتساويا
بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان كان الاول كان لفظا مشتركا وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة
الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا اما اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فاما ان يتساوى دلالته عليهما
عند الفهم او يترجح في احدهما فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة اليهما معا مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما مجملا
لان كون اللفظ موضوعا لكل واحد منهما هو الاشتراك وكونها بحيث لا يدرى عين المراد منهما هو محل الاجمال ○
البحث الخامس ظهر من هذا التقسيم ان الاقسام الثلاثة الاولى مشتركة في انها ليست بمشتركة
ولا نصوصا واما الرابع فله اعتبارات ثلاثة احدها اعتبار كون افادته ارجح في بعض مفهوماته وبذلك
يسمى مأولا والثاني كونها مرجوحة بالنسبة الى المفهومين بحيث لا يدرى المراد منهما وبذلك يسمى مجملا
والثالث ان القدر مشترك بين الظاهر والنص وعدم الرجحان قدر مشترك بين المجمل والماول فيسمى المشترك
الاول محكما والثاني متشابها **البحث السادس** اللفظ المفرد اما ان لا يستقل معناه بالمفهومية
او يستقل الاول هو الحرف والثاني فاما ان يستلزم معناه الوقوع في احد الازمنة الثلاثة المعينة وهو الفعل اولا
يستلزم وهو الاسم وهو اما ان يكون يدل على معنى هو نفس الزمان كالزمان او على جزء الزمان كاليوم والغد او
على معنى جزؤه الزمان كالصبوح والغبوق او لا على واحد منها وهو اما ان يكون اسما لجزئي شخصي فان كان مضمرا
فهو المضمرات او مظهرا فهو العلم كزيد وان كان اسما لكلي فاما ان يكون اسما لنفس الماهية كلفظ السواد وهو
المسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة او لا بل بالصفة كذا وهو الدوام الاسم المشتق كلفظ الضارب فان مفهومه
انه امر ما له صفة الضرب **البحث السابع** اللفظ المركب اما ان يكون قابلا للتصديق والتكذيب لذاته وهو
الخبر والقضية وهو اما ان يكون مفيدا للطلب في افادته اوليا او ليس والاول ان كان على طريق الاستعلاء فهو
الامر وان كان على طريق التساوي فهو الالتماس وان كان على طريق الخشوع والتضرع فهو السؤال والثاني
هو التنبيه ويدخل فيه التمني والترجي والقسم والنداء **البحث الثامن** اللفظ قد يكون مدلوله لفظا
فاما لفظا مفردا او مركبا او على التقديرين فاما ان يدل على معنى او لا يدل فهذه اقسام اربعة الاول لفظ مفرد
دال على لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظة الكلمة والاسم والفعل والحرف الثاني لفظ مفرد دال على لفظ مركب
دال على معنى مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا زيد كاتب الدال على معناه الثالث لفظ
مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كقولنا آ ب ت وساير حروف المعجم الرابع لفظ مفرد دال على لفظ

٤

مركب غير دال كلفظ الحيوان والحجر **البحث التاسع** اللفظ المفرد اذا دلّ بالالتزام على معنى وترتب
المعنى اما ان يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقة او تابعا له والاولى تسمى دلالة الاقتضاء تلك الشرطية اما ان
تكون عقلية كشرطية نصب السلم لصعود السطح عند الامر به او شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الامر بها واما
التابع فكنفي الحكم المذكور لما عدا تخصيصه بالذكر عن غيره عند من يقول به فان معنى التخصيص يستلزم
للنفي المذكور وكذلك اللفظ المركب اذا استلزم تركيبه معنى واما ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة
او من توابعها والاول كدلالة تحريم التأفيف على تحريم الضرب واما الثاني فكاستلزام قوله تعالى فالآن
باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود لعدم فساد صوم من اصبح جنبا والا
لحرم الوطي في آخر جزء من الليل يتسع للغسل والله اعلم بالتوفيق **الفصل الثالث**
في الاشتقاق وفيه ابحاث **البحث الاول** حقيقة الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد
اللفظين من الآخر لمشاركة بينهما في الاشتمال على المعنى والحروف الاصلية واركان الاشتقاق اربعة الاول
اسم موضوع لمعنى الثاني معنى آخر له نسبة الى ذلك المعنى الثالث مشاركة بين الاسمين في الحروف
الاصلية الرابع تغيير يلحق الاسم الثاني اما في حرف فقط او في حركة فقط او فيهما معا وكل واحد من هذه الا
قسام فاما بالزيادة وحدها او بالنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة تسعة اقسام
فقط وهو سهو تحققه عند الاعتبار بل الحاصل منها خمسة عشر قسما آ زيادة الحرف ب زيادة
الحركة ج زيادتهما معا د نقصان الحرف ه نقصان الحركة و نقصانهما معا ز زيادة الحرف مع
نقصانه ح زيادة الحرف مع نقصان الحركة ط زيادة الحرف مع نقصانهما ي زيادة الحركة مع نقصانها
يا زيادة الحركة مع نقصان الحرف يب زيادة الحركة مع نقصانهما يج زيادتهما معا مع نقصان الحرف
يد زيادتهما معا مع نقصان الحركة يه زيادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه الاقسام الممكنة وعلى اللغوي هي م
طلب الامثلة **البحث الثاني** اختلف الناس في انه هل يجوز صدق المشتق منفكا عن صدق المشتق
منه ام لا والحق انه يجوز لان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة بين المشتق والمشتق منه فلا يشترط صدقه
على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك والمميت والضار والمذل مما يصدق على ذات الله تعالى مع ان
الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت والضرر والذل غير صادقة ولا جائز عليه لا يقال المشتق
مركب من المشتق منه ومن شيء آخر ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه لانا نقول لا نسلم ان المشتق
منه من حيث هو مشتق منه جزء من المشتق وحاصل فيه بل الحاصل فيه شيء من اجزائه وهي الحروف الاصلية
وبعض الحركات فان قيل ان المشتق لا بد ان يحصل فيه تغيير باحد الوجوه المذكورة والقدر المتغير منه لا شك
انه كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير لم يبق تلك الحقيقة فلم يلزم صدقها حال صدق المشتق
البحث الثالث اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق المشتق بقاء صدق المعنى المشتق منه
ام لا والحق انه لا يشترط لوجهين احدهما انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق على الذي حال ما لا يكون
وجه الاشتقاق كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من فعل القتل فيما قبل الثاني ان الضارب مثلا مؤلف

صحـ

حصل منه الضرب ولا بد من ملابسة فعلية ومقوم من حصوله له في الحال او في الماضي لامكان تقسيمه اليهما ولا يلزم من نفي
الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق
الثالث المشتقات من المصادر السابقة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فان الانسان
حال ما يتكلم بالحرف الثاني فات الحرف الاول فلا يمكن تحقق ماهية الكلمة في الخارج فضلا ان يقال انها بقي
مع انها صادقة بالاتفاق لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه انه ليس بضارب في
الحال وقولنا ليس بضارب لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه ليس بضارب
جزء من قولنا ليس بضارب في الحال ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه فاذن صدق عليه انه ليس
بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما في العرف لانا نقول ان كانت القضيتان مؤقتتين
منعنا التناقض في العرف والحقيقة لان الاول كقولنا انه ليس بضارب في الحال وقولنا انه ضارب في الحال
ونحن اذا يجب ما ادعينا صدقه قولنا انه ضارب في الحال بل انه في الحال يصدق ولا تناقض
لعدم اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى التناقض اما حقيقة وهو ظاهر الفساد لان المطلقتين
لا تتناقضان او عرفا وهو ايضا ممنوع وبتقدير تسليمه يمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب انه ليس بضارب
لصدق قولنا في ذلك الحال انه ضارب وتناقضهما عرفا والله التوفيق **البحث الرابع** اختلفوا
ايضا في ان المعنى القائم بالمحل هل يجب ان يشتق لمحله اسم ام لا والحق ان المعاني ان لم يكن لها اسم كانواع
الروائح لم يجب ذلك فيها وان كان لها اسم يجب ايضا ان يشتق لمحالها منها اسم وهل يجوز ان يشتق لغير محالها
منها اسم ام لا والحق جوازه في الموضعين خلافا للقوم من الاشعرية فانهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالها ولا
يجوز لغيرها لنا ان الجواز متفق عليه واما الوجوب وتخصيصه بالمحل فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جواز
الثاني فلان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة فان المشتق ملوث بمادة المشتق منه ولفظ ذو لا يقتضي
الحلول ومن الامثلة المشهورة اللابن والتامر فانهما مشتقان من اللبن والتمر وغيرهما قائمين بذات المشتق له
البحث الخامس مفهوم المشتق كالماشي مثلا انه شيء ما ذو مشي فاما ماهية الشيء فغير داخل في
مفهومه وان علم انا نعلم بطريق الالتزام بديهة انك تقول الماشي حيوان فلو كان مفهوم الماشي انه حيوان ذو
مشي لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر بل انما نعلم كونه حيوانا بدليل من خارج والله
التوفيق **الفصل الرابع** في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث **البحث الاول**
في ماهيتهما اما الترادف فهو كون لفظين مفردين او ما زاد عليهما بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد وبالا
فراد احترزنا عن الاسم والحد وباعتبار واحد عن اللفظين اذا دلا على شيء واحد باعتبارين الذات والصفة
مثلا كالصارم والسيف او باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح فانهما متباينة واما التأكيد
فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر والامام فخر الدين رحمه الله تساهل في هذا الموضع اذ حد التوكيد بانه
اللفظ الموضوع لتقوية ما يفهم من امر آخر ولم يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو ظاهر **البحث الثاني**
في اسباب الترادف انه يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها من واضعين ويشبه

ان يكون الاول اكثر وجودا ولسبب ان الاول التسهيل والاقتدار على الفصاحة انه ممتنع وزن البيت وقافيته
مع بعض اسماء الشي دون الاخر وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب والمجنس وسائر اصناف البديع
مع بعض اسماء الشي ولا يحصل مع الاخر الثاني التمكن من تادية المقصود باحدى العبارتين عند الغفلة
عن الاخرى واما الثاني وهو السبب الاكثري فيجوز ان تصطلح احدى قبيلتين على اسم الشي غير الاسم الذي
اصطلحت عليه القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك البحث الثالث انه هل يصح اقامة
كل واحد من المترادفين مقام الاخر كالامام لا الظاهر في بادي الراي لان المترادفين هما اللذان يفيد كل واحد منهما
عين فايدة الاخر فلما صح ان يضم المعنى المدلول عليه باحد اللفظين الى معنى اخر فلا بد وان يصح ضم ما يدل عليه
باللفظ الثاني لان صحة الاقتران من عوارض المعاني وفيه نظر لان صحة الاقتران قد يكون من عوارض المعاني كذلك
يكون من عوارض الالفاظ فانك لو ابدلت لفظ من مرادفه من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبل الالفاظ
البحث قال الامام فخر الدين واذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة الحق انه يصح اقامة
احد المترادفين مقام الاخر بشرطين احدهما ان يكونا من لغة واحدة والثاني ان يتساويا في المعنى سواء حالة صح
التخاطب بها او يقرب من التساوي تنبيه اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان
الجلي بالنسبة الى الخفي شرحا له وربما انعكس الامر بالنسبة الى قوم اخرين البحث الرابع في اقسام
التوكيد المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد او متاخرا عنه والاول كصيغة ان وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني
فاما ان يؤكد الشي بنفسه او بغيره والاول كقوله عليه السلام والله لاغزون قريشا ثلاثا والثاني اما ان يختص بالمفرد
كلفظ النفس والعين او المثنى ككلا وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون ابتعون ابصعون وقيل هي ام
الباب البحث الخامس في حسن استعماله والخلاف فيه مع الملحدة والطاعنين في الوحي والنزاع
اما في الجواز وهو معلوم بالضرورة لان شان اهتمام القايل بالكلام يدعو الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا
معلوم من اللغات بعد تصفحها ومدلول كان حسنا الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد او على فايدة
زايدة وجب صرفه الى الفايدة الزايدة الفصل السادس في المشترك وفيه ابحاث البحث الاول
في حقيقته وامكانه ووجوده اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين او اكثر وضعا
اولا من حيث هو كذلك وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن الاسماء المترادفة وقولنا وضعا
اولا احترازا عما يدل على الشي بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز وقولنا من حيث هو كذلك احتراز عن اللفظ
المتواطي فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث هي مختلفة بل من حيث انها مشتركة
في معنى واحد واما امكانه فمن وجوه احدها ان الوضع تابع لغرض المتكلم وقد يكون للانسان غرض في تعريف غيره
شيا على التفصيل وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال فحيث يكون غرضه بالتفصيل سببا للمشترك
الثاني انه ربما لا يكون المتكلم واثقا بصحة الشي على التعيين الا انه يكون واثقا بصحة احد المعنيين لا محالة فحينئذ
يطلق اللفظ المشترك كيلا يعد بتصريحه باحد المعنيين كاذبا وبسكوته جاهلا الثالث انه يجوز ان
يضع احد قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة اخرى لمعنى اخر ثم يشيع الوضعان ويخفى كونه موضوعا

منهما واما وجوده فهو معلوم بالضرورة او من خواص اللفظ المشترك انه اذا اطلق لم يتبادر الذهن الى احد مفهوميه
دون الاخر بل يبقى الذهن عنده متحيرا مترددا من تعيين المراد منه الى ظهور القرينة المعينة له ونحن نقطع في الوجود
كلفظ القرء للحيض والطهر وان كان ذلك ايضا قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في احد المعنيين وقلته الا انه
يكفينا في ذلك تردد بعض الاذهان فيه البحث الثاني في اقسامه مفهوما اللفظ المشترك اما ان يكونا
متباينين او متواصلين والاول كالحيض والطهر والثاني اما ان يكون احدهما جزءا من الاخر او لا يكون والاول
كالممتنع ولغير الضروري والثاني اما ان يكون احدهما علة للاخر او صفة له والاول كلفظ الواجب بالذات
والواجب بالغير والثاني كلفظ الاسود لذي السواد والمسمى اسود تنبيه ان احدهما اذا نسب
السواد والمسمى اسود الا بما شاركه في كونه كالقادر كان اطلاق لفظ الاسود عليهما من جهة التشكيك وان
اعتبرته من جهة اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك الثاني قال فخر الدين رحمه الله النقيضان
لا يجوز ان يوضع لهما لفظ واحد لان المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات امر حاصل معلوم
لكل واحد وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان تكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك عامة لا تخص
بعض المعاني دون البعض وانه اذا جاز وضع اللفظ الواحد لمعنى وضده الذي هو في قوة نقيضه كالقرء للحيض
والطهر اذا كان المحل لا يخلو عن احدهما والتردد بينهما معلوم لكل احد فلم لا يجوز مثله في النقيضين والله
اعلم البحث الثالث في اسبابه اما اسباب وجوده فيشبه ان يكون السبب الاكثري فيه وهو ان
يضعه كل واحد من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان والاشتهار واما السبب الاقل فان يضعه واحد لمعنيين
لغرض المتكلم بالمجمل وقد شاع ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء واما السبب الذي يتوقف به وجوده
فما صرح اهل اللغة بذلك او تساوي المفهومين بالنسبة الى السامع وتردد ذهنه من ايهما المراد بعد العلم
بالوضع لهما البحث الرابع في انه يجوز استعمال اللفظ المشترك في معانيه على الجمع ام لا يجوز ذلك
الشافعي وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار ومنع منه ابو هاشم وابو الحسين البصري
والكرخي ثم منهم من منع منه لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر يرجع الى الوضع وهو اختيار الامام
فخر الدين حجة المجوزين من وجهين احدهما ان الصلاة من الله رحمة ومن الملايكة استغفار ثم ان
الله تعالى اراد بهذه اللفظة كل معنيها بقوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين والثاني
قوله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال الاية والسجود فيها
مشترك بين الخشوع لانه هو المقصود من الملايكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس وبين شهادة
الحال بالحاجة الى الصانع لانه هو المقصود من الجمادات ثم ان الله تعالى اراد كل معانيه في هذه الاية
حجة المانعين ان المجموع غير كل واحد واحد والواضع اذا وضع لفظا لمعنيين على الانفراد فاما
ان يضعه مع ذلك للمجموع او لا يضعه وان لم يضعه له كان استعماله فيه استعمال اللفظ في غير ما وضع
له وانه غير جايز وان وضعه له كان استعماله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمالا للفظة في
احد مفهوماته لا في كلها وان استعمل لافادته مع افادة الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع

يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد من الافراد واستعماله لافادة الافراد يستلزم الاكتفاء بكل واحد منها والاكتفاء
بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها مما لا يجتمعان واقول ان محل النزاع
في هذا البحث غير ملخص فانه ان اريد انه يجوز استعماله في مدلولاته على الجميع بطابقة فليس بحث
لما يلزم المستعمل له لذلك من التناقض في القصد الى المجموع والى الافراد وان اريد انه يجوز استعماله
فيهما على الجميع لافادته كيف اتفق فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مع دلالته على
الافراد تضمنا وقوله المانع انه اذا لم يكن الواضع وضع اللفظ المجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله
فيه مجازا فهذا انما لا يمتنع تقتضيه عنه واما حجج المجوزين فضعيفة اما الاولى فلان ضمير الجمع في قوله
يصلون بمنزلة الضماير المتعددة المقتضية للافعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها معنى غير ما يراد بالآخر
والتقدير ان الله يصلي والملائكة تصلي واما الثانية فلان العطوف المتعددة تستدعي تعدد الافعال فتقديره
قوله تعالى يسجد له من في السموات ومن في الارض اي ويسجد من في الارض وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي
يقتضيه القرينة ثم لو سلمنا انها استعملت في كل مفهوماتها لكنه يكون مجازا والا لزم التناقض كما سنذكره
في حجة المانعين وبالله التوفيق **البحث الخامس** فيما يتعين به مراد اللافظ باللفظ
المشترك اللفظ ان لم تقترن به قرينة تخصص احد معنييه بالمراد به بقي مجملا وان وجدت قرينة كذلك فاما
ان يقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى التقديرين فاما للكل للمسميات او لبعضها فهذه اقسام اربعة فالاول
ان يفيد اعتبار كل واحد فتلك المسميات اما ان تكون متنافية بحيث لا يمكن ان يجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا
الى ظهور المرجح فان لم يكن متنافية حمل اللفظ على مجموعها مجازا **الثاني** ان يفيد الغاء كل واحد فحينئذ
يجب حمل اللفظ على مجازات تلك الحقايق الملغاة ثم اما ان يكون بعض تلك الحقايق ارجح من بعض لولم
يقم الدليل على عدم ارادتها او لا يكون فان كان الاول فمجازاتها اما ان تتساوى في القرب من الحقايق
فيتعين حمل اللفظ على مجازات تلك الحقايق الراجحة او تتفاوت المجازات فان كان الراجح منها
هو مجاز الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليها او مجاز الحقيقة المرجوحة فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة
الراجحة لاختصاص كل منهما بنوع ترجيح الى ان يظهر مرجح آخر واما ان تساوت الحقايق فان اختلفت
مجازاتها بالقرب والبعد منها حمل اللفظ على المجاز الاقرب وان لم يختلف بقي التعارض بين مجازات
تلك الحقايق لتساويها ونسبتها حقا وتقريبا الى ان يظهر الترجيح **الثالث** ان يفيد الغاء البعض
فان كانت اللفظة مشتركة بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وان كانت لاكثر من معنيين
فبعد الغاء بعضها ان كان الباقي واحدا تعين الحمل عليه او اكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها
الرابع ان يفيد اعتبار البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة لمعنيين او اكثر
القسم الثاني في كيفيات تلحق الالفاظ بالنسبة الى معانيها فيوجب لها الحسن والمزية
وبعدها اتم الاعداد لاداء المعاني وتهيئ الاذهان للقبول وهو مرتب على مقدمة وجملتين
اما المقدمة ففيها بحثان **البحث الاول** في حد البلاغة والفصاحة اما البلاغة فهي مصدر قولك
بلغ

بلغ الرجل بالضم اذا صار بليغا وهو ان يبلغ بعبارته اقصى مراده باللفظ من غير ايجاز مخل ولا تطويل
ممل واما الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد واصلها من الفصيح وهو اللبن اذا اخذت رغوته وذهب
لباؤه وفصح وافصح اذا صار كذلك وافصحت الشاة فصح لبنها ثم قالوا افصح العجمي فصاحة
فهو فصيح اذا خلصت لغته عن اللكنة واللحن ثم ان الفصاحة عند ارباب البيت باستعمال الشوارد والتي
وانما هي باستعمال ما يقرب فهمه ويعذب استماعه ويجب ابتداعه ويدل مطالعه على مقاطعه
ومنهم مباديه على تواليه واكثر البلغاء لا يكادون يميزون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال
اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ والاقرب
ان الفصاحة سبب للبلاغة والبلاغة اعم منها لغة اذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته اقصى مراده ومساويه
لها في عرف العلماء والخص مفهوميهما ان الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على معناه من التعقيد
الموجب لقرب فهمه ولذاذة استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم الى اقصى مراده وبالله
التوفيق **البحث الثاني** في موضوع علم الفصاحة والبلاغة لما كان المقصود من الكلام هو افادة
المعنى وكانت هذه الافادة كما علمت قد تكون وضعية صرفة وقد تكون عقلية مركبة من الوضع والعقل فنقول
موضوع العلم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه باحدى الدلالات الثلاث من حيث هو على حالة موجبة
لقرب فهمه ولذاذة استماعه وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح وقال الامام ان الفصاحة
والبلاغة انما يكون موضوعهما الكلام من جهة دلالته بالالتزام وذلك لان الافادة الوضعية يستحيل تطرق
الزيادة والنقصان اليها فانه السامع للفظ الموضوع ان كان عالما بكونه موضوعا لمعناه علم مفهومه بتمامه
وان لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا مثاله اذا اردت تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة وقصدت
التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الاسد في شجاعته فالزيادة والنقصان في هذه
الافادة مما يعود الى مفردات هذه الالفاظ غير متصورين ولو اختلفت هذه الالفاظ ما يرادفها فالحال
كذلك للدليل المذكور وبين من هذا ان الايجاز والاختصار والحذف والاضمار يستحيل تطرقها الى الدلالات
الوضعية ولهذا كان اكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم احتمالها الزيادة والنقصان
الموجبين للغلط والشبهة واما الافادة الاخرى فلاجل ان حاصلها يعود الى انتقال الذهن من مفهوم
اللفظ الى ما يلازمه ثم ان اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وتارة تكون بعيدة فلا جرم صح في افادة المعنى الواحد
بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق ان يكون بعضها اجلى في افادة ذلك المعنى وبعضها انقص فهذا ما
ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات **واقول** ان التحقيق يقتضي ان الزيادة والنقصان
ما يتطرقان الى الافادة الوضعية ايضا فان الامام سلم ان بعض الحروف افصح حرفا والاسماء كالمعنى
وبعضها اسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل ولا شك ان الكلام المركب اسهل على اللسان
الحروف والاسماء افصح والاسماء عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم ايضا ان الافصح اذل
على المعنى واسرع الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك ولذلك يستحق العلم بالوضع فاما فيهما ذكرناه

٧

بأن الانسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ ثم يذهل عنه فعند سماعه يجد نفسه مسارعة الى قبول المعنى من
اللفظ الافصح دون غيره وملتذة بسماعه بسبب قضاء حاجته ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها الا ما يحصل للنفس
من اللذة بالمعنى والمسارعة الى قبوله بسماعه من اللفظ الاسهل والله اعلم واما البلاغة العائدة الى النظم والتركيب
فتحقيق القول فيها ان الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات والمفردات يمكن تأليفها على وجه لا يفيد
المقصود وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده ثم للتركيب المفيد مراتب لانه له طرفان ووسط فالطرف
الاعلى هو ان يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع ان يوجد ما هو اشد تناسبا واعتدالا منه في افادة ذلك
المعنى والطرف الادنى هو ان يقع على وجه لو صار اقل تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى و
بين هذين الطرفين مراتب واختلاف احسنها يقتضي الفصاحة في النظم وهذا معنى قول عبد القاهر
الجرجاني رحمه الله النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما الطرف
الادنى فليس من البلاغة في شيء واما سائر المراتب فان كل واحد منها اذا اعتبرته بالنسبة الى ما تحته يكون
متصفا بالبلاغة والفصاحة واما الطرف الاعلى وما يليه فهو حد الاعجاز فهذا منتهى التحقيق في البلاغة والفصاحة
في المفردات والمركبات **الجملة الاولى** في المفردات وفيها مقدمة وابواب **اما المقدمة**
فاعلم ان الاشياء في الوجود اربع مراتب الاول وجودها وتحققها في الاعيان الثاني وجودها في الاذهان الثالث
وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجودها في الكتابة الدالة على ما في اللفظ وترتيبه الكلام في الحسن
تارة بسبب الكتابة وتارة بسبب اللفظ من حيث هو لفظ وتارة بحسب اللفظ من حيث له الدلالة الو
ضعية وتارة بحسبه من حيث له الدلالة الالتزامية ولما كانت المحاسن العائدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف
ما وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريا عن التكلف خاليا عن جانب التعسف لاجرم كان ذكرنا له
قليل الجدوى فلذلك تركناه **الباب الاول**
في المحاسن العائدة الى اللفظ من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العائدة الى اللفظ اما ان تعود الى افراد
الحروف فيه او الى حال تركيبها او الى الكلمة الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلاجرم اشتمل هذا الباب على فصلين
الفصل الاول فيما يتعلق بافراد الحروف وتركيبها وحال الكلمة وفيه ابحاث **البحث الاول**
في مخارج الحروف وهي ستة عشر **آ** اقصى الحلق وهو مخرج ثلاث حروف الهمزة والالف والهاء **ب** وسط
الحلق وهو مخرج حرفين العين والحاء **ج** ادناه الى الفم وهو مخرج الغين والخاء **د** اللسان فما فوقه من
الحنك وهو مخرج القاف **ه** اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك وهو مخرج
الكاف **و** من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك وهو مخرج الجيم والشين والياء **ز** اول
حافة اللسان وما يليها من الاضراس وهو مخرج الضاد **ح** حافة اللسان من ادناها الى منتهى طرف اللسان
ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية وهو مخرج اللام
ط من طرف اللسان بينه وبين الثنايا مخرج النون **ي** مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان
قليلا لانحرافه الى اللام وهو مخرج الراء **يا** فيما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الطاء والتاء

والدال

والدال **يب** فيما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد **يج** فيما بين طرف
اللسان والطرف الادنى من الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال **يد** من باطن الشفة السفلى واطراف
الثنايا العليا مخرج الفاء **يه** ما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو **يو** من الخياشيم مخرج النون
الخفيفة قال الخليل الذلاقة في المنطق انما هي بطرف اسلة اللسان وذلق اللسان تحديد طرفه كذلق
السنان قال ولا ينطق طرف شباة اللسان الا بثلاثة احرف وهي اللام والراء والنون فلذلك سمي
هذه حروف الذلاقة ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلاثة الفاء والباء والميم قال ولما ذلقت
هذه الحروف وسهلت على اللسان في المنطق كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي
التام يعرى عنها فان وردت عليك كلمة خماسية او رباعية معراة عن حروف الذلق او عن الحروف
الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب قال ايضا العين والقاف
لا يدخلان في بناء الا حسناه لانهما اطلق الحروف اما العين فانصع الحروف جرسا والذها سماعا
واما القاف فامتن الحروف واصحها جرسا فاذا كانتا او احداهما في بناء حسنتا البناء ولنزاهتهما
والدال في البناء اذا كان اسما لان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء
فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك قال والهاء تحتمل في البناء للينها وهشاشتها
ولابد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان ومتى كان شرطا للفصاحة والبلاغة
البحث الثاني في المحاسن بسبب احاد الحروف وشروط تركيبها اما الاول فمنها
الحذف وهو ان يحترز عن حرف او حرفين في الكلام اظهارا للاقتدار في باب المبالغة مثاله كان واصل الشغ
وكان يحترز عن الراء فحوسب في انه كيف يعبر عن الراء بمعنى قولك اركب فرسك واطرح رمحك فقال
في الحال الق قناتك واعل جوادك والحريري بلغ الغاية حتى حذف ذلك اشعارا حذف عنها الحروف
المنقوطة واشعارا حذف عنها الحروف غير المنقوطة ومنها الاعنات وهو التزام حرف قبل حرف
الروي او الردف من غير ان يجب ذلك في السجع كقوله تعالى واما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر
وقد استعمل عليه السلام في مدح النبي صلى الله عليه وآله بلغ عن ربه معذرا او نصح لامته منذرا واما الثاني فالشرط
ان يكون التركيب معتدلا فان من التركيب ما يكون متنافرا كقوله وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب
قبر حرب قبر وان يكون خفيفا فان منها ما يكون ثقيلا وان كان دون الاول كقول ابي تمام كريم
متى امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي ومنها ما يكون فيه بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ان
يعاب والسبب في هذا الباب قرب ما بين مخارج الحروف فيحتاج فيها الى حبس الصوت في
زمانين متلاصقين فلا يظهر الحرف الاول واما وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم الهعخع وهذه
مراتب ثلاث تترتب في جانب الثقل وهي موجودة في جانب السلاسة حتى ان الكلمة تكون في غاية السلاسة
البحث الثالث فيما يتعلق بالكلمة الواحدة وهي من وجهين **الاول** ان تكون متوسطة
في قلة الحروف وكثرتها فاما الحروف الواحد فلا تقصد واما المركبة عن الحرفين فليس في غاية العذوبة

بل البالغ ذلك الثلاث لاشتمالها على المبدأ والوسط والنهاية وعليه ان الصوت من عوارض الحركة
والحركة لا بد لها من هذه الثلاثة فمتى ظهرت هذه الثلاثة فيها كان الكلام اسهل جريانا على اللسان واما الرباعيات
ولكا والخماسيات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الاوضاع الثلث التي تتعلق بها حال الصوت **الثاني**
الاعتدال في حركات الكلمة ما توالت فيه حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا
يحتملها الشعر واما الاربع حركات فهي في الغاية الثقل ايضا بل المعتدل توالي حركتين بينهما سكون وان كان لا بد
فتوالي ثلث حركات **الفصل الثاني** فيما يتعلق بالكلمات المركبة وفيه نوعان
النوع الاول ما يكفي في تحققه اعتبار حال كلمتين وفيه اربعة ابحاث **البحث الاول**
في التجنيس للمتجانسات ان كانا مفردين فان تساويا في نوع الحروف والحركات واعدادها وهيآتها فهو
التجنيس التام كقولهم حدث حدث وكقول الحريري والاملاء الفاتحة من استوطاء الراحة وان اختلف
ما فيه هيئة الحركة كقولهم جبة البرد جنة البرد ومن جهة الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك او في
التخفيف كقولهم الجاهل اما مفرط او مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص او في اعداد الحروف بان
تساوي الكلمتان في نفس الحروف وهيئتها ثم يزيد في احدهما حرف ليس في الاخرى ويسمى المذيل فاما في
اول الكلمة كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق او في وسطها كقولهم لبد كبيد او في
اخرها كقول بعضهم فلان سالم من اجزائه سالم من زمانه وقول ابي تمام يمدون من ايد عواص
عواصم تصول باسياف قواض قواضب واما ان يختلف في انواع الحروف وقد يكون بحرف واحد
وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمضارف وما به الاختلاف وقد يكون في اول الكلمة كقولهم بيني وبينه
ليل دامس وطريق طامس او في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصصتني ولكن خسستني وفي
اخرها كقول النبي عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين ويسمى ما
في اول الكلمة كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف او في وسطها كقوله وانه على ذلك لشهيد وانه لحب
الخير لشديد او في اولها كقول الحريري لا اعطي زمامي من يخفر ذمامي ثم المتجانسان اما ان يكون
البعض في مقابلة البعض حال الجميع ومتوسطها او يضم بعضها الى بعض او في اخر الاسجاع ويسمى مزدوجا
ومكررا كقولهم السيد ... وبغير ذنبهم وكقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج
ولج ومن التجنيس ما يكون بالاشارة دون التصريح كقولهم حلقت لحية موسى باسمه وبهارون اذا ما قلبا
وقد يكون التجنيس بحيث يتجاذبه اصلان ويسمى المشوش كقولهم فلان مليح البلاغة كامل البراعة فلو اخذت
عين الكلمتين كان مصحفا ولو اتفقت لاماهما كان مضارعا واما ان كان المتجانسان مركبين فاما ان يكونا
متشابهين خطا فقط دون اللفظ ويسمى المصحف كقول علي عليه السلام قصر ثيابك فانه اتقى وابقى وانقى
وكقولهم عزك غرك فصار قصار ذلك ذلك فاحش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدا او لفظا فقط
ويسمى المقرون كقوله كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا او خطا ولفظا
ويسمى المقرون كقوله اذا لم يكن ملك ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة **البحث الثاني** في الاشتقاق

واما

واما الاشتقاق فهو ان يأتي بالفاظ يجمعها اصل واحد في اللغة كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وقوله
الظلم ظلمات يوم القيامة وقول علي عليه السلام جاهل خابط جهالات عاش ركاب عشوات واما ما
يشبه المشتق كقوله تعالى وجنى الجنتين دان وقوله تعالى حكاية اني لعملكم من القالين **البحث الثالث**
في رد العجز على الصدر ورسمه ان كل كلام وجد في نصفه الاخير لفظ يشبه لفظا موجودا في نصفه الاول
وله عدة اقسام **الاول** ان يتفق لفظا الصدر والعجز صورة ومعنى ويكونان طرفين الاول في اول
الكلام والثاني في اخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم القتل انفى للقتل وكقول القائل سكران
سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران **الثاني** ان يتفقا صورة لا معنى ويكونا
طرفان كقوله ... جبتها المنايا ومنى من عطيتها البيد **الثالث** بالعكس ويكونان
طرفين ايضا كقول عمر بن ابي ربيعة واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد **الرابع**
ان يلتقيا في الاشتقاق لا في الصورة ومنها طرفان ايضا كقول السري ضرائب ابدعتها في السماح
فلسنا نرى لك فيها ضريبا **الخامس** ان يتفقا صورة ومعنى ويكون احدهما حشوا في
صدر البيت والاخر طرفا في عجز كقول ابي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الاشياء كالمال
المضاع **السادس** ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول بعضهم لا كان انسان تيمم صائدا صيد
الجفا واصطاده انسانها **السابع** ان يتفقا كذلك ويلتقيا معنى لا صورة كقول امرئ القيس
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان **الثامن** ان يتفقا طرفين في اخر الصدر
والعجز ويتفقا صورة ومعنى كقول ابي تمام من كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض
القواضب مغرما **التاسع** ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري فمشغوف بآيات
المثاني ومفتون برنات المثاني **العاشر** ان يتفقا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة كقول
البحتري فضلك ان سألت لنا مطيع وقولك ان سألت لنا مطاع **الحادي عشر** ان يتفقا في
شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى كقول الحريري ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع
الى تخليص عاني **الثاني عشر** ان يقع احدهما في اول العجز والثاني في اخره كقول ... وانه لم يكن
الا معرج ساعة قليلا فاني نافع لي قليلها **الثالث عشر** ان يتفقا كذلك ويلتقيا في الاشتقاق
دون الصورة كقول ابي تمام ثوى بالثرى من كان يحيا به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر
وورا هذه اقسام آخر لهذا النوع وفيما ذكرناه كفاية **البحث الرابع** في القلب
وهو اما في كلمة او كلمات والاول فاما ان يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخرا عنه ويسمى مقلوب
الكل كالفتح والحتف في قوله حسامك فيه للاحباب فتح ورمحك فيه للاعداء حتف ثم ان وقع
مثل هاتين الكلمتين على طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقوله ساق هذا الشاعر الحين الي من قبله
فقلت سارحي القوم فاقتم علينا جبل لاح او يكون بعض حروفها كذلك فيسمى مقلوب
البعض كقوله عليه السلام اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا واما في الكلمات بحيث يكون

فذاتها من اولها كقوافيها من اخرها فكقول الحريري أنت أزملا اذ اعدا وانع إذا المرء اسا
النوع الثاني ما يحتاج الى ازيد من كلمتين وفيه ابحاث **البحث الاول**
في السجع وهو ثلاثة اقسام احدها يسمى المتوازي وهو ان يتساوى الكلمتان في عدد الحروف ووزن
الحرف الاخير كقول علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق ولقوله
عليه السلام في اهل البصرة عهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق الثاني المطرف
وهو ان يختلفا في العدد ويتفقا في الحرف الاخير كقوله عليه السلام لاحم صدوع انفراجها ولائم بينها
وبين ازواجها الثالث المتوازن وهو ان يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف
الاخير كقول علي عليه السلام الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال ويعرف
المتكلف من السجع بامرين احدهما ان يكون الحرف الاخير انما يحتاج اليه للتقفيه لا للمعنى الثاني
ان يترك معناه الاول لاجل التقفيه **البحث الثاني** في تضمين المزدوج وهو ان
يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في اثناء القراين بين لفظين متشابهي الوزن والروي كقوله
تعالى وجئتك من سبإ بنبإ يقين وقوله صلى الله عليه المؤمنون هينون لينون ولقوله
علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق **البحث الثالث** في الترصيع وهو ان يتساوى اوزان
الالفاظ ويتفق اعجازها كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقول علي عليه السلام علا
بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل وقوله في صفة الدنيا اولها
عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب وقد يجي مع التجنيس كقوله عليه السلام في كتاب
الله بيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه **الباب الثاني** فيما يتعلق بالدلالة
الوضعيه والمعنويه واعلم ان البحث عن حسن الدلالة اللفظيه ترجع الى اشتراط اربعة امور **الاول**
ان تكون الكلمة عربيه غير مولده ولا صادرة عن خطأ العامة **الثاني** ان يكون احوى على مقاييس العرب
وقوانينها **الثالث** المحافظة على قوانين النحو **الرابع** الاحتراز عن الالفاظ الغريبة الوحشيه والتي
كانت في الكتاب العزيز نادرة واما الكلام في الدلالة المعنوية فاعلم انه لما كانت الالفاظ المفردة لا
تستعمل لافادة مدلولاتها الالتزامية الا عند التركيب وكان الاصل في اصناف التركيب هو الخبر وهو
الذي يتصور بالصور الكثيرة وتظهر فيه الاسرار العجيبة من علم المعاني والبيان رايت ان نشير الى
قدر مباحثه قبل الخوض في ساير الاقسام وقد رتبت هذا الباب على فصول **الفصل الاول**
في احكام الخبر وفيه ابحاث **البحث الاول** في رسم الخبر وقد رسم بانه القول
الذي يقال لقائله انه صادق فيما قاله او كاذب واورد الامام فخر الدين عليه شكا فقال
الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما الا بالخبر اذ يقال في الصدق انه الخبر المطابق وفي الكذب
الخبر الغير المطابق فتعريف الخبر بهما دور واجاب افضل المتاخرين نصير الدين
الطوسي قدس الله روحه عنه وقال الحق ان الصدق والكذب من الاعراض الذاتية للخبر فتعريفه

بها ذكر اورد تفسيرا للام وتعيينا لمعناه من بين ساير المركبات ولا يكون ذلك دورا لان الحق الواضح
بجب ما هيته ربما يكون ملتبسا في بعض المواضع بغيره ويكون ما يشتمل عليه من اعراضه الذاتية اعنيه
عن التعريف او غيره لا ما هيته جزاها عاريا عن الالتباس فايراده في الاشارة الى تعيين ذلك الذي
اراد تعينه وتجرده عن الالتباس وانما يكون دورا لو كانت تلك الاعراض ايضا مفتقرة الى البيان بذلك
الشيء وهو هنا انما يحتاج الى تعيين صنف واحد من اصناف المركبات فيه اشتباه ولا اشتباه في تعيين
معنى الصدق والكذب اشتباه فيمكن ان نقول انا نعني به ما يقع في تعريف الانسان
موقع الجنس ولا يكون دورا وقيل في تعريفه ايضا انه القول المقتضي بصريحه اسناد امر الى امر
بالنفي او الاثبات **البحث الثاني** انه ليس الغرض الاول من وضع الالفاظ المفردة
افادتها لمسمياتها المفردة بيان ذلك ان افادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها وهو مستلزم
للعلم بها قبل الوضع فلو توقفت افادتها لها على الوضع لزم الدور وانه محال بل الغرض الاول منها تمكن الا
نسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة لا يقال ما ذكرتموه
قائم بعينه في المركبات لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك المركبات الالفاظ موضوعة
لتلك المعاني فلو استفدنا العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نسلم ان الالفاظ
المركبة لا يفيد مدلولها الا عند العلم بكون تلك الالفاظ المركبة موضوعة لها بيان ذلك انا متى علمنا وضع
كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة
بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها
الى بعض استلزاما عقليا وذلك هو التركيب فظهر ان استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف
على كون الالفاظ المركبة موضوعة لها والله ولي التوفيق **البحث الثالث** في الفرق بين
الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل قد عرفت ان الفعل يشعر بالزمان المعين دون الاسم فلذلك ظهر
الفرق بين الاخبار به وبين الاخبار بالاسم فانك اذا قصدت بالاخبار الاثبات المطلق غير
المشعر بالزمان وجب ان يخبر بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات
البسط لذراعي الكلب فاما تعريف زمان ذلك فغير مقصود واما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك
الثبوت فالصالح له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض فان تمام
المقصود انما يكون بتحصيل كونه معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه معطيا **البحث الرابع**
في حكم المبتدا والخبر متى اجتمعت الذات والصفة فالذات اولى بالمبتدائيه والصفة اولى بالخبريه
ثم اما ان يكون الاسم في اللفظ كذلك او بالعكس والاول اما ان لا يدخل لام التعريف في الخبر كقولك
زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير ان يفيد دوام ذلك الثبوت او
انتفاءه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق او زيد هو المنطلق فاللام في الخبر يفيد انحصار
المخبر به في المخبر عنه ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق معين ولكن لا تعلم ان

المنطلق زيد او عمرو فاذا قلت زيد المنطلق عنيت ان صاحب الانطلاق هو زيد فقد انحصر
ذلك الانطلاق في زيد واما التعريف الطبيعة فيفهم من وضعه الحصر ثم مع الحصر ان امكن ترك الكلام
على حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تظفر باحد حيثا غيره والا حمل الكلام على المبالغة كقولك
زيد هو العالم وهو الشجاع لامتناع حصر الحقيقة فيه واما اذا عكس واخر الذات عن الصفة
كقولك المنطلق زيد فذاك انما يقال اذا اعتقد معتقد ان ثمّ انطلاقا ولكن لا يعلم شخصه
فيقال له المنطلق زيد اي الذي تعتقد انطلاقه زيد فيتم الضابط ان الاخبار يجب ان تكون عما
يعرف بما لا يعرف له

الفصل الثاني في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث

البحث الاول في معنى الحقيقة والمجاز اما الحقيقة ففعيلة بمعنى مفعولة من الحق وهو الثا
بت ... وهي ما خالف المجاز حقيقة لانه ثبت معلوم الدلالة والمجاز مفعل من جاز يجوز اذا تعداه واذا
عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز بمعنى ان الذهن انتقل من لفظه الى معنى غير معناه
فصار موضع الانتقال والمجاوزة فاما حد الحقيقة فاما في المفردات فهي الكلمة التي اريد بها ما
وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية و
الشرعية واما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه
فهي حقيقة كقولنا خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفرد فهو ما افيد به معنى غير ما
اصطلح عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل في ذلك المجاز
اللغوي والعرفي والشرعي واما في الجمل فكل جملة خرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب
من التاويل فهو مجاز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها

البحث الثاني فيما به يتحقق المجاز لابد فيه من امرين احدهما ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا فهي حقيقة
الثاني ان يكون ذلك النقل لمناسبة بين المعنيين والا لكان في الثاني مستعملا وبهذا يظهر الفرق
بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك لان المبطل اذا اخرج الحكم عن موضعه واعطاه غير
المستحق لم يعرف انه انما اعطاه للموضع لا لاصل بل يجزم بان ثبوت الحكم في ذلك الموضع ثبوت
اصلي والكاذب يدعي ان الامر على ما وضعه وليس هو من التاويل في شيء والمجاز لم يكن مجازا
الا لانه اثبات الحكم لما لا يستحقه لمناسبة بينه وبين المستحق

البحث الثالث في اقسام المجاز المجازات ان يقع في الالفاظ المفردة فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال
الاول اطلاق لفظ الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني فهو ان يستعمل كل
واحد من الالفاظ المفردة في موضوعه الاصلي لكن التركيب لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله
قوله واخرجت الارض اثقالها وقول الشاعر اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة
ومر العشي وهذا المجاز عقلي لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة الى كر الغداة والعشي
حكم [illegible] عدل به عن الفاعل الحقيقي وهو الله سبحانه الى غيره من هواء وسوال الارض والغداة والعشي

مثال الثالث قول الشاعر تحيته احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي الاحياء والاكتحال
مفردان استعملا في غير موضوعهما الاصلي ثم ان نسب الاحياء الى الاكتحال مع عدم المطابقة لما في
نفس الامر ايضا وهذا التلخيص لعبد القاهر النحوي رحمه الله

البحث الرابع في اصناف المجاز والذي ذكره الامام فخر الدين منها اثنا عشر صنفا **آ** اطلاق اسم السبب
على المسبب والاسباب اربعة احدها الفاعلي كاطلاق السبب اسم النظر الذي هو تقليب الحدقة
نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رايته الثاني الغائي كتسميتهم العنب بالخمر الثالث
الصوري كتسميتهم القدرة يدا الرابع القابلي كقولهم سال الوادي **ب** اطلاق اسم المسبب على السبب
كتسميتهم المرض الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين المسبب المعين
من غير عكس واولى الاسباب بذلك هو السبب الغائي لحصول علاقتي العلية والمعلولية
اللتين كل واحدة منهما علة لحسن المجاز فيه دون باقي الاسباب **ج** اطلاق اسم الشيء على ما يشابهه
كاطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها **د** تسمية الشيء باسم ضده
كتسمية العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الاحسان مثلا **ه** تسمية الجزء باسم الكل
كاطلاق لفظ العام على الخاص **و** العكس كاطلاق لفظ الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى
لاستلزام الكل الجزء من غير عكس **ز** اطلاق ما بالفعل على ما بالقوة كتسمية الخمر في الدن مسكرا
وهو قريب من اطلاق السبب الغائي على مسببه **ح** اطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه كاطلاق
الضارب على من فرغ من الضرب وقد عرفت ان ذلك هل هو مجاز او حقيقة **ط** اطلاق اسم
المحل على الحال كاطلاق لفظ الراوية وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة **ى** اطلاق اسم الحقيقة
العرفية [illegible] للفرس على الحمار وغيره مجازا عرفيا **يا** المجاز بسبب النقصان والزيادة وال
اول [illegible] تحقيقه ان الكلمة كما انها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم
كان لها الى حكم ليس هي بحقيقة فيه كقوله تعالى واسأل القرية والتقدير واسأل اهل القرية والذي
يتحقق في الاصل الجر والنصب فيها مجاز وفيه نظر لان الاعراب الذي فيه صدق النسبة وكذبها
والمطابقة وعدمها فانك لو قلت لمت الحمار كان الحمار مفعولا به للفعل المتقدم ويستحق النصب
حقيقة فكذلك القرية هاهنا تستحق النصب حقيقة بالمفعولية اما ان النسبة في نفسها صادقة
ام لا فذاك بحث اخر بل الحق انه مجاز في التركيب والنسبة فان نسبة السؤال الى اهل القرية حقيقة
فيكون اليها مجازا وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق ما قاله المجاز واما المجاز
بسبب الزيادة فالحق ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي يتم بدونها ولا يحتاج فيه اليها كقوله تعالى
ليس كمثله شيء فالمجاز حاصل والا فلا اذ كانت نسبة النفي الى من ليس له مثل وان لم يغير كما في قوله
تعالى فبما رحمة من الله لم يتصور المجاز هاهنا **يب** اطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور
قدرة

البحث الخامس المجاز بالذات لا يدخل الا على اسماء الاجناس وبيانه ان الحرف

فلان معنا في غيره فان ضم الي حقيقه نحو حقيقه او الي مجاز كان مجازا في التركيب فلم يدخل بالذات
واما الفعل فلان معناه مركب من المصدر وغيره فما لم يكن المصدر متجوزا به لم يكن الفعل كذلك فكان
داخلا فيه بالعرض واما مخصص الاسم فاما علم ولا يدخل المجاز لانه مشروط بالعلاقه بين الاصل والفعل
وليست موجوده في الاعلام او مشتق ومعلوم انه لولا تطرق المجاز الي المشتق منه لم يتطرق الي المشتق
فلم يبق الا اسما الاجناس **البحث السادس** في الداعي الي التكلم بالمجاز والعدول الي المجاز
اما لاجل اللفظ او المعني او لهما اما الاول فاما لاجل جوهر اللفظ او لاحوال عارضة له اما الاول فان
يكون اللفظ الدال بالحقيقه ثقيلا علي اللسان اما الثقل اجزايه او لتنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون
المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا للشعر او السجع واصناف البديع دون الحقيقه واما الذي
لاجل المعني فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس في الحقيقه كما يقال سلام علي المجلس السامي او التحقير
يكون فيها كما يعبر بالغايط عن قضاء الحاجه او لزياده بيان اما لتقويه حال المذكور كقولك رايت
اسدا لا انسان الشجاع فانه اتم من قولك رايت انسانا يشبه الاسد في شجاعته او لتقويه حال الذكر
ومعنا المجاز الذي يذكر للتاكيد او لتلطف الكلام **قال** الامام وتقريره ان النفس
اذا وقفت علي كلام فان وقفت علي تمام المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل الحاصل محال
وان لم تقف علي شي منه اصلا لم يحصل لها اليه ايضا شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون
البعض فان القدر المعلوم يشوقها الي غير المعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة وبسبب
حرمانها عن الباقي الم فيحصل هنا كتعاقب الالام واللذات واللذه اذا حصلت عقيب الالم كانت
اقوي وشعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن الشي باللفظ الدال
علي سبيل الحقيقه حصل تمام العلم به ولا يحصل اللذه القويه اما اذا عبر عنها بلوازمها الخارجيه عرفت
لا علي سبيل الكمال فتحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانيه مثاله هذا اذا قلت
رايت انسانا يشبه الاسد في شجاعته فقد حصلت المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم
يحصل من اللذه ما يحصل من قولك رايت اسدا في يده سيف فان الذهن هاهنا يتصور من لفظ
الاسد معناه ولوازمه البينه كالشجاعه ثم ينتقل بسبب القرينه الي ملاحظه وجه الشبه في الانسان
الذي هو الشجاعه وذلك الانتقال هو محل اللذه والدغدغه النفسانيه **البحث السابع**
فيما ينفصل به الحقيقه عن المجاز انه اما ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص فمن وجوه
احدها ان يقول الواضع هذا حقيقه وذاك مجاز وثانيها ان يذكر كل واحد منهما وثالثها ان يذكر
خواصها واما الاستدلال فالحقيقه تعرف من وجهين احدهما ان يسبق المعني من ذلك اللفظ الي
فهم بعض السامعين من اهل تلك اللغة فيحكم بانه حقيقه فيها فيه اولا ولا اضطر الي فهم
ذلك المعني من قصد الواضعين لما فهم دون غيره وثانيها ان اهل اللغه اذا ارادوا افهام غيرهم ثم اقتصروا علي عبارات مخصوصه واذا قصدوا التعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات اخر

اقو

وقوموا قوانين فيعلم ان الاول حقيقه اذ لولا انه استقر في قلوبهم استعمال ذلك اللفظ لذلك المعني
لما اقتصروا عليه واما المجاز فيعرف اما اولا فمن عكوس ما ذكر في تعريف الحقيقه واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت
بما يستحيل تعليقها به علم انها في اصل اللغة غير موضوعه له فيعلم انها مجاز فيه كقوله تعالي واسأل القريه واما
ثالثا فان يعلم ان الواضع وضع لفظا لمعني ثم استعمله في بعض موارده ثم استعمله بعد ذلك في غير ذلك الشي
كلفظ الدابه الذي وضع لكل ما يدب ثم خص بالفرس فصار حقيقه عرفيه ثم استعمل بعد ذلك في الحمار
فيعلم انه مجاز فيه الي ان يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقه عرفيه ايضا **الفصل الثالث**
في التشبيه وفيه اركان اربعة **الركن الاول** في المتشابهين انهما محسوسان او معقولان او المشبه
محسوس والمشبه به معقول او بالعكس اما الاول فكقوله علي عليه السلام لاهل البصره كاني بمسجدكم كجوجو
سفينه وقوله عليه السلام في وصف الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقه واما الثاني فكقوله
عليه السلام صبرا داريتكم كما تداري البكار العمده والثياب المتداعيه فان المتشابهين هاهنا هو مدارا
ومداراة ابل البكار لها والمداراة معني اضافي معقول ووجه المشابهه فهو الصعوبه فانها كالصعوبه
هناك واما الثالث فكقوله عليه السلام في حق مروان اما ان له امره كلعقه الكلب انفه فان الامره جا له
معقول اشبهت لعقة الكلب انفه في السرعه وهي امر محسوس وقوله عليه السلام اما بعد فان الامر
ينزل من السماء الي الارض كقطر المطر وكقوله كاني بك يا كوفه تمدين مد الاديم العكاظي واما الرابع فكقول
الشاعر كان انتضاض البدر من تحت غيمه نجاة من الباساء بعد وقوع وكقول الصاحب ابن
عباد وقد اهدي عطرا الي القاضي ابي الحسن اهديت عطرا كانه مثل شبابه فكانما اهدي له اخلاقه
وقد منع الامام فخر الدين من هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه علي ان العلوم العقليه مستفاده من الحواس
فكان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وهو محال وهذا هو
فان الحواس وان كانت طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق له سلمنا لكن الممنوع انما هو جعل الفرع اصلا
من جهة ما هو فرع لذلك الاصل لا مطلقا وما هنا ليس كذلك فان المعقول فرع للمحسوس من جهة ما
هو مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة اما انه لا يمتنع ان يكون فرعا له من تلك الجهة ومع ذلك
يكون اصلا له في التشبيه والملاحظات الذهنيه **الركن الثاني** فيما به التشبيه وفيه ابحاث
البحث الاول في ان ما به اما ان يكون صفة حقيقيه او اضافيه والاول اما كيفية جسمانيه او نفسانية
والاول اما كيفيه محسوسه احساسا اوليا او ثانويا والاول اما بحس البصر كتشبيه الخد بالورد في الحمره
وتشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل او بحس السمع كتشبيه اطيط الرحل باصوات الفراريج وكتشبيه
الصوت المنكر بصوت الحمار او بحس الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر
او بحس الشم كتشبيه بعض الرياحين بالمسك والكافور او بحس اللمس كتشبيه الجسم اللين
الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوسة بالثانويه فهي الاشكال والمقادير والحركات والاشكال اما
مستقيمه او مستديره مثال التشبيه في الاستقامه تشبيه الرجل المعتدل القامه بالرمح ومثال

التشبيه في الاستدارة تشبيه المستدير بالكرة تارة وبالحلقة اخرى ومثال التشبيه في المقادير تشبيه
عظيم الجثة بالجبل والفيل ومثاله في الحركة تشبيه السريع بالسهم واما الاشتراك في كيفية جسمانية غير
محسوسة فكما يقال فلان كالحمار اي في بلادته او شبقه ومثل كالنمر اي في غضبه واما الكيفية النفسانية
فكالاشتراك في الغرايز والاخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء والفطنة والعلم والزهد كقولك هو كحاتم
اي في جوده وكعمرو بن معدي كرب اي في شجاعته واما الاشتراك في الحالة الاضافية فكقولهم هذه الحجة
كالشمس والاشتراك هاهنا في الجلاء بالنسبة الى البصر والفهم وهي حالة اضافية وقد تكون جلية كما
ذكرنا ولقولهم الفاظ فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة وذلك انهم يريدون خرقها بل
خفت على اللسان ولم يكن غريبا وحشيا ارتاح له القلب فلسرعة وصوله الى النفس صار كالماء
الذي يسرع نفوذه الى الحلق والنسيم الذي يسري في البدن وقد تكون خفيه كقول من ذكر بني المهلب
هم كالحلقة المفرغة لايدرى اين طرفاها الاترى انه لايفهم المقصود من ذلك الامن كان له ذهن يرتفع عن
درجة العامة **البحث الثاني** في تقسيمه بوجه اخر انه قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا فالاول كما
اذا خطرت ببالك استدارة الشمس واستنارتها فانه يخطر ببالك المراة المجلوة وتلاحظ الشبه
بينهما وكذلك اذا نظرت الوشي المنشور لاح لك شبهه الروض الممطور المفتر عن ازهاره واما الغريب
البعيد هو الذي يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كتشبيه الشمس بالمراة في كف الاشل وتشبيه البرق
باصبع السارق كقوله لشاجم اراقب اللمت لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق كانه
اصبع كف السارق ثم السبب في القرب والبعد امران احدهما ان الحس لايعطي التمييز بين جهتي
الاشتراك والامتياز وانما يدرك المركب من حيث هو شيء واحد واما التفصيل والتمييز فذاك حظ العقل
وكان ادراك التفصيل محتاجا الى والطلب كان ادراك الجملة اسهل واقرب من ادراك التفصيل
وايضا فشعور المشتري بالاجمال اقدم من شعوره بالتفصيل فان المرئي في اول النظر اليه لايدرك البصر تفاصيله
حتى يتكرر وكذلك المسموع فانك تقف في اعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع الاول وما
دراك التفاصيل يقع التفاصيل بين سامع وسامع وانما كان ادراك الجملة قبل ادراك التفصيل وكان
ادراك التفصيل محتاجا الى والطلب وكان ادراك الجملة اسهل واقرب من ادراك التفصيل
البحث الثالث في بيان ان التشبيه بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي
اما تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن ان يكون
لاجل الاشتراك في وصف محسوسين ويمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وجه معقول ويمكن ان يكون
لاجلها جميعا مثال الاول تشبيه الخد بالورد مثال الثاني قوله صلى الله عليه اياكم
وخضراء الدمن فالتشبيه ماخوذ للمراة من النبات وهما محسوسان ولكن وجه المشابهة هو مقارنة
الحسن الظاهر للقبح الباطن وهو امر عقلي مثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن
الوجه بالشمس لاشتراكهما في النباهة التي هي امر عقلي وفي الضياء الذي هو امر حسي واما تشبيه المعقول

بالمعقول والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع ان يكون وجه المشابهة غير عقلي لان وجه المشابهة
مشترك بين الجانبين فلو كان محسوسا لم يصح وجه المعقول به واما العقلي فيصح لعقله ان يصدر عما لا يكون
محسوسا او محسوس فثبت ان التشبيه بالوجه المعقول اعم **البحث الرابع** التشبيه بالوصف
المحسوس اتم من التشبيه بالوصف المعقول بيانه من وجهين احدهما ان اكثر الغرض في التشبيه التخييل
الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب فالحال اقوى على ضبط الكيفيات المحسوسات من على
الامور الاضافية الثاني ان الاشتراك في نفس الصفة اصدق من الاشتراك في مقتضياتها لما ان الصفة في نفسها
المقصود على معناها فكانت الصفة المحسوسة اتم في التشبيه من الامر المعقول **البحث الخامس**
في سبب ما به المشابهة الى المفرد والمركب المشابهة اما ان تكون في امر واحد او في امور كثيرة والاول اما ان لا يكون
مقيدا بالنسبة الى شيء او يكون فالاول كتشبيه الكلام بالعسل في ان كل واحد منهما يوجب النفس لذة وحصا له
محموده واما الثاني فما اليه الانتساب اربعة اما المفعول به كقولهم اخذ القوس باريها لان المقصود وقوع الاخذ
لموقعه ووجوده من اهله وهذا لا يحصل الا من الاخذ المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل بوقوعه من
باري القوس عليه واما الى ما يجري مجرى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن لا يحصل ما لا يفيد كمن يرقم الماء
على الماء فالتشبيه ليس منتزعا من الرقم المطلق بل منه على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي ليس بعير
اي كالحادي حال ما لا يكون له بعير واما الى المفعول به والجار والمجرور معا كقولهم هو كمن يجمع سيفين في غمد
وهو يشير بالجمع على القبح فالجمع المعدي الى السيفين لا يكفي في التشبيه ما لم يشترط كونهما جميعا
في الغمد ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا انه تضمن التشبيه من الوجود لا لامر يرجع الى حقيقة
الحمل المطلق بل لامرين اخرين احدهما تعديته الى الاسفار والاخر اقتران الجهل بما فيها لان الغرض من توجيه
الذم الى من اتى نقسه بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لم ينتفع به لجهله وهذا المقصود لا يحصل من الحمل
المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الاخرين ثم اذا كان ما به المشابهة وصفا مقيدا فقد يمكن افراد احد
جزويه بالذكر وقد لا يمكن اما الاول فلقوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق
فانك لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا وان تغير المعنى المراد لتقابل
المقصود هاهنا ذكر الامور العجيبة من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة في اديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية
والنجوم تبلالا في اثناء الزرقة ومعلوم ان هذا المقصود لايبقى اذا فرق التشبيه واما الثاني فكقوله
كانما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة منصرف بالليل عن دعوة قد اسرجت قدامه الشمعة
فلو قلت كان المريخ منصرف عن دعوة وكانت تحت المشتري والشمعة كان خلفا من القول اذ التشبيه
للمريخ حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشتري له فاذن لايمكن افراده بالذكر **البحث السادس**
في التشبيهات المتعددة انما يكون الامر كذلك اذا كان التشبيه من امور كثيرة لا تتقيد بعضها بالبعض وحينئذ
ان تشبيهات مضموما بعضها الى بعض لاغراض كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه ولهذا النوع خاصيته
... انه لا يجب فيها الترتيب فانك لو قلت زيد كالاسد باسا والبحر جودا والسيف مضاء والبدر

بها ثم يجب عليك ان تحفظ في هذه التشبيهات نظايرها مخصوصا الثابتة انه اذا سقط البعض فانه
لا يتغير حال الباقي كقولهم هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو ترك ذكر الكدورة والمرارة لكان المعنى في تشبيهه
بالماء الصافي والعسل في الحلاوة باقيا البحث السابع يجب مراعاة جهة التشبيه ولا يجوز بعد
والاوقع الخطا مثاله ما قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام فان جهة التشبيه ههنا هي الاصلاح
والمقصود ان الطعام كما لا يصلح الا بالملح كذلك الكلام لا يصلح الا بالنحو واما ما ظنه بعضهم ان المقصود هو ان القليل
من النحو مغن والكثير مفسد كما ان القليل من الملح مغن والكثير مفسد فهو ظن فاسد لان علم النحو علم
بمجموع قوانين مضبوطة يمتنع تطرق الزيادة والنقصان الى طرفيها في الكلام لتوقف كلامه اذا قلت
فانه لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر فان وجدا وجد النحو من غير زيادة ولا نقصان وان لم يحصلا عدم
النحو فلا زيادة ولا نقصان ايضا البحث الثامن في التشابه وجه المشابهة الطريق اليه يتميز ما
به المشابهة عما به الاشتباه مثلا من اراد تشبيه شيء بشيء من هيئة الجولة وجب ان يطلب الوفاق بين الهيئة
والهيئة مجردة عن الجسم وسائر ما فيه من الاعراض كما فعل ابن المعتز في قوله فكان البرق مصحف قار فانطباقا
ومرة انفتاحا فلم ينظر في جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقب
انقباض ثم لما بحث عن اصناف الحركات لينظر ايها انسب به اصاب ذلك فيما يفعله القارئ في
اوراق المصحف من فتحها مرة وطبقها اخرى ولو لم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين
بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك الوجه ولاجل اجتماع الامرين اعني الاتفاق التام كان حسنا وما
سبب ذلك من كونه جامعا بين المختلفين مما وله الشاعر جعله للشيء سببا لضده كقوله
اعقبني سوءا صنعت من الرق فيا برد ذا على كبدي فصرت عبدا للسوء فيك وما احسن سوء قبلي الى احد
الركن الثالث في غرض التشبيه انه اما ان يكون عائدا الى المشبه به اما الاول فقد
يكون غرضه بيان الحكم المجهول وقد لا يكون اما الاول فاما ان يقصد بيان امكانه عند ما لا يكون بينا فيحتاج
التشبيه الى بيانه كقوله فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فان المقصود
ان يقول ان الممدوح فاق الانام حتى لم يبق بينه وبينهم مشابهة بل صار اصلا بنفسه ولما كان هذا الظاهر
كالممتنع اذ يبعد ان يتناهى انسان في الفضايل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه بان المسك وان كان
بعض دم الغزال فانه في اصله فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى صار لا يعد دما واما ان يقصد بيان
مقداره كقولك للشيء الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار المراد في الحلوكة
لا امكان وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين
احدهما نقل النفس من الغريب الى القريب لان الف النفس من الحسيات اتم من الفها مع العقليات
لتأخر كثير من العلوم العقلية عن الحسية فاذا ذكرت المعنى المعقول الجلي ثم عقبته بالتمثيل الحسي
فقد نقلت النفس من الغريب الى القريب الثاني ان يقصد المبالغة بين المتشابهين لكون
المشابهة حينئذ يكون اغرب فيكون اعجب النفس بذلك التشبيه اكثر لان شعور النفس بالغريب

الذي

الذي لم يعهده اكثر من المالوف المعتاد واما الاغراض العايدة الى المشبه به فقد يقصد المادح على
على سبيل التخييل ان يوهم في الشيء القاصر عن نظيره انه زايد عليه ويشبه الزايد بذلك الناقص و
يقصد به المبالغة كان ذلك الناقص اي هو بالغ الى حيث صار اصلا للشيء في ذلك الامر كقوله وبدا الصباح
كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح الا ترى انه جعل وجه الخليفة اعرف واتم واشهر في النور والضيا
من الصباح حتى شبه الصباح به وقد يقصد الامام عكس ذلك الركن الرابع في التشبيه
نفسه وفيه ابحاث البحث الاول في ان التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله
حروف مخصوصة كالكاف وكان ونحو ومثل تدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة عليه كان حقيقة
فاذا قلت زيد كالاسد لم يكن نقلا لموضوعه الاصلي فلا يكون مجازا البحث الثاني في التشبيه الذي
يصح عكسه والذي لا يصح قد يكون الغرض من التشبيه الحاق الناقص بالزايد مبالغة في اثبات الحكم
فلا يصح كما اذا شبهت شيئا اسود بخافية الغراب او وجها حسن البياض والصورة بالبدر والشمس
ومثل هذا يمتنع عكسه لان تنزيل الزايد منزلة الناقص يفسد المبالغة الاولى وقد يكون المقصود الجمع
بين الشيئين في مطلق الصورة او الشكل او اللون كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل
لاجل ظهور بياض في سواد مع كون البياض قليلا بالاضافة الى السواد والعكس حينئذ جايز كما لو شبهت
غرة الفرس بالصبح البحث الثالث في التشبيه الواقع في الهيات انه قد يكون يقع في الهيات
التي يقع عليها الحركات وقد يكون في نفس الهيات التي تقع عليها السكنات اما الاول فعلى وجهين احدهما
ان يقرن الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز والشمس كالمرآة في كف
الاشل اراد الجامع الاستدارة والاشراق والحركة التي تراها اذا امعنت التامل وذلك ان للشمس حركة
دايمة متصلة ولنورها بسبب ذلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان تكون المرآة في كف الاشل لدوام حركة
تموج بشبه نور المرآة وتلك حال الشمس وثانيهما ان يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من كل وصف
تقترن مثاله قول الاعشى يصف السفينة وتلعب الامواج بها تقص السفين بجانبيه
كما ينزو الرباح خلالة الكرع والرباح القرد في لغة اهل اليمن واصله بتشديد الباء مخففه وقيل
ولد الوبر وهو الفصيل فاشبع فتحة الباء فحدثت الالف والكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينة في انحدارها
وارتفاعها بحركات القرد اذا تراقى الى فانه يكون له حركات مختلفة في جهات مختلفة ويكون هناك
تسفل وتصعد على غير ترتيب وتتواثبه في حركات السفينة حين تتدافعه الموج واما التشبيه
في الهيات التي يقع عليها السكنات فكقول الاخطل في صفة المصلوب كانه عاشق قد مد صفحته
يوم الوداع الى توديع مرتحل او قايم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل فلطف بتشبيه
ما فيه من التفصيل ولو قال كانه متمطي من نعاس واقتصر عليه لكان قريب التناول لان هذا القدر من
التشبيه يحصل في نفس الراي للمصلوب لانه من باب الجملة فاما على التفصيل الذي صوره استدامه
الهيئة فلا يحصل الا مع التامل لحاجته الى ان ينظر الى احوال المتمطي من مد ظهره ويده ويزيد على ذلك

النظر الى استدارته لذلك والعلة وبين قيام اللوثة والكسل في القايم من النعاس وهذا اصل في ان يراد به
التفصيل ومعوان يثبت في الوصف امر زايد على المعلوم المقارن ثم يطلب علته **البحث الرابع**
في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور التشبيه قد يكون بالمتخيل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه
الشقايق باعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد وقد يكون بماله وجود في الاعيان وحينيذ فالجنس
المعنى في ذلك اما ان توجد قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قايست بين قوله وكان اجرام النجوم لوامعا
درر نثرن على بساط ازرق وبين قول ذي الرمة كانما فضة قد مسها ذهب وجدت الاول
اغرب من الثاني لان الهيئة الاولى وهي وجود درر منثورة على بساط ازرق اقل وقوعا من فضة اجرى عليها
الذهب وكلما كان ابعد عن الوقوع كان اغرب وكان التشبيه به الذ واعجب **البحث الخامس**
في التمثيل والمثل قد خص التشبيه المنتزع من اجتماع امور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل وقد يكون
ذلك على وجه الاستعارة كقولك للمتردد في الامر اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى يريد انك في ترددك كمن
يقدم رجلا ويوخر اخرى وقد لا يكون كما اذا اوردت الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم
واما المثل فهو تشبيه سار اي يكثر استعماله على معنى ان الثاني يمثل فيه الاول والاصل فيه كلمات
حكايات لا بعد لان ذلك على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة انما يمثل فيها بما قيل في هذه القولية
لقولك لمن لم يسمع رايك لا يطاع لقصير امر الا ترى انك تقول ذلك بالالفاظ التي قيلت في هذا المثل
ولو غيرت هذه الالفاظ لم يتم مثلا **الفصل الرابع** في الاستعارة وفيه ثلاثة اركان
الركن الاول في حقيقتها واحكامها وفيه ابحاث **البحث الاول** اجود ما قيل في حد
الاستعارة انها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب لاجل المبالغة في
التشبيه وبالقيد الاول احترزنا عن الحقايق الثلاث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا لاجل المبالغة في
التشبيه عن سائر وجوه المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة اللفظ الا انه صفة للمعنى اولا فان المعنى
اولا يعار ثم بواسطته يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى
تقديرا لم يكن ذلك استعارة كالاعلام المنقولة فانك اذا سميت انسانا بيزيد او يشكر فانه لا يقال انه
هذه المعاني استعارة اذ لم يكن نقلها تبعا لنقل معانيها تقديرا الثاني ان العقلاء يجزمون بان الاستعارة
ابلغ من الحقيقة فان لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغة في اطلاق الاسم
المجرد عاريا عن معناه **البحث الثاني** الفرق بين الاستعارة والتشبيه ان التشبيه
حكم اضافي يستدعي متضايفين وليس الاستعارة كذلك فانك اذا قلت رايت اسدا لم تذكر
شيا اخر حتى تشبهه بالاسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطاء المعنى لفظا ليس له لاجل المشابهة بينه
وبين معناه الاصلي وما هو لاجل شي اخر لا يكون نفس ذلك الشي واعلم انه متى قويت المشابهة بين شيئين
كان التصريح بالتشبيه قبيحا وذلك لقرب الشبيه من حقيقة المشبه به مثل اطلاق لفظ النور على
العلم والايمان والظلمة على الكفر والجهل فلا يحسن هنا لقوة المشابهة ان تقول العلم كالنور والجهل كالظلمة

فالا

فالاستعارة انما تحسن حيث يكون التشبيه متقررا بين الناس ظاهرا فاما اذا خفي واحتاج الى كلفة فلا
يحسن التصريح فانك لو قلت في قوله عليه السلام مثل المومن كمثل النخلة رايت نخلة واردت المومن
لتعذر كما قال سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب **البحث الثالث** في ترشيح
الاستعارة وتجريدها اما ترشيح الاستعارة فان تراعي جانب المستعار وتوليه ما يستدعيه وتضم اليه
ما يقتضيه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر فاستعار الرمي للنظر وراعى ما
يستدعيه فاردفه بلفظ السهم وقول امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا
وناء بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يقتضيه من الاعجاز والكلكل واما تجريدها
فان يراعي جانب المستعار له كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف لو نظر الى المستعار ههنا لقيل فكساها الله لباس الجوع ولقال
زهير لدى اسد وافي المخالب او البراثن **البحث الرابع** في الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة
واما الاستعارة بالكناية فهو ان يذكر بعض لوازم المستعار للتنبيه عليه دون التصريح بذكره كقول الهذلي
واذا المنية انشبت اظفارها فكانه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح بها لكن ذكر بعض لوازمها
تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها منزلة الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون الوصف المحسوس للمعقول ويجعلون
ذلك كالثابت لذلك الشي في الحقيقة وكان الحقيقة لم توجد وذلك كاستعارة العلو لزيادة الرجل على
غيره في الفضل ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول ابي تمام ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة في السماء فقصده انه يتناسى التشبيه ويرفعه راسا ويجعل الممدوح صاعدا في السماء
صعودا امكانيا وهكذا اذا استعاروا اسم الشي لغيره من نحو بدر او اسد فانهم يبلغون به الى
حيث يعتقد ان ليس هناك استعارة كقوله قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني
من الشمس فلولا انه انسي نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار اكثر هذا
النوع على التعجب وقد يجي على عكس مذهب التعجب كقوله لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره
على القمر فقد ذكر ابو كثير شيا من خاصية القمر وهو نهاهم عن التعجب من بلى الكتان
بسرعة ويقول انه قد قدر على القمر ومن شان القمر ذلك وهذا انما يتم بالجزم بكونه قمرا لانه لو اعترف
بانه بشر بعينه وانما يشبه القمر لبطل كلامه **البحث الخامس** في شرط حسن الاستعارة
واعلم ان الاستعارة انما تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الايجاز كقوله ايا من رمى قلبي بسهم فانفذ
وقول ابي تمام لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكاي فان قوله ماء الملام
ليس فيه زيادة ولو اتى بالحقيقة فقال لا تلمني لكان اوجز وقد تكون الاستعارة غاية لقوتها
كقوله ليث اسدا ووردت بحرا وقد تكون خاصية كقوله وسالت باعناق المطي الاباطح شبه سير الابل
الحثيث وغاية سرعته في لين وسلاسة بسيل وقع في الاباطح فجرت به **الركن الثاني**
اقسام الاستعارة وفيه ابحاث **البحث الاول** الاستعارة قد تعتمد نفس التشبيه كما

اذا اشترك شيئان في وصف وهو في احدهما اجود اريد فيعطى الناقص اسم الزايد كقولك رايت اسدا وتريد
رجلا شجاعا وعنت لنا ظبية وتريد امراة وقد تعتمد ادوات التشبيه وهو اذا كان ثمة جهة الاشتراك اثبتا
يثبت كالماء في المستعار منه بواسطة ايراد فيثبت ذلك الامر للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك
كقوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها والشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف
الا ان تصرف الحيوان لما كان في اكثر الاحوال باليد كانت اليد كالالة التي يكمل بها التصريف ولما كان
الغرض هنا اثبات التصرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لاجرم اثبت للريح يدا تحقيقا للغرض ولابد
قوله اذا ضحك في عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك لما شبه المنايا عند هجوم السيف بالمسرور
وكمال الفرح انما يظهر بالضحك التي تتهلل فيه النواجذ اثبت الضحك مع تهلل النواجذ تحقيقا للوصف
المقصود البحث الثاني واعلم ان القسم الاول على اربعة اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس
للمحسوس وحينئذ فالاشتراك بينهما اما في الذوات دون الصفات او بالعكس فالاول كحقيقة تتفاوت
افرادها في الفضيلة والنقص والقوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل في ذلك النوع للانقص كاستعارة
الطيران للعدو بسرعة فيقال للعدو السريع طيران اذ الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة
وهي الحركة المكانية ويختلفان في القوة والضعف واما الثاني فكقوله رايت شمسا وتريد انسانا يتهلل
وجهه فهاهنا الانسان مخالف للشمس في الحقيقة مشارك لها في الوصف وكقول علي عليه السلام في
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اختاره من شجرة الانبياء فان الشجر واصل النبوة يختلفان بالحقيقة
لكنهما يشتركان في ان كل واحد منهما اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول
وهو انما يكون في امرين يشتركان في وصف احدهما به اولى وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة
الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متعاندين اما تعاند النقيضين وهو كاستعارة المعدوم للموجود
عندما لا يكون في ذلك الموجود فايدة فيشارك المعدوم في عدم الفايدة فيستعار لفظه له كاستعارة
الموجود للمعدوم عندما يكون للمعدوم اثار باقية يشارك بها الموجود الا ان الموجود حينئذ بها اولى فيستعار
لفظه له واما تعاند الضدين حقيقة كان او ظاهرا وهو كتشبيه الجاهل بالميت لان الموت و
الحياة للجاهل اشتركا في عدم الفايدة المطلوبة منه وهي الادراك والعقل الا ان الموت بها اولى فيستعار
لفظه لها ومنه قول علي عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد لا يكونان متعاندين وهو كما
اشترك موجودان في وصف معقول الا ان احدهما اولى به فينزل الناقص منزلة الزايد كقولهم
فلان لقي الموت اذا لقي شيئا من الشدايد لاشتراك الموت والشدايد في المكروهية لكن الموت
اولى بها فتنزل الشدايد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ المحسوس
للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجة الواضحة واستعارة لفظ القسطاس
المحسوس للعدل ومنه قوله عليه السلام في مدح القران فانه حبل الله المتين وفيه ربيع القلب وينابيع
العلم فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القران ورابعها استعارة لفظ المعقول للمحسوس

وهو

وهو ان يجعل المعقول اصلا في التشبيه ويبالغ في تشبيه المحسوس به كقوله فمنظرها اشنا من
سقام ومخبرها احيا من حمام فان الموضوع المنظور اليه منها لما شارك الشفا في الالتذاذ الحاصل
عنهما وكان الشفا اولى بذلك بالغ في تشبيه المنظر به فاعاره اسمه وكذلك المخبر فانه محل الاختبار وهو
اما اقوالها او افعالها المحسوسة اوتي اخرها لما شارك الحياة في الالتذاذ الحاصل عنهما وكانت الحياة اولى
به من المخبر بالغ في تشبيه المخبر بها فاستعار له لفظها **الركن الثالث** في الكناية وفيه
بحثان **البحث الاول** في حقيقتها اما حقيقتها فاعلم ان اللفظ اذا اطلقت واريد بها غير
معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية كقولك فلان طويل النجاد كثير
رماد القدر فقولنا طويل النجاد ليس الغرض الاصلي به معناه بل ما يلزمه من طول القامة وكذلك المثال
الثاني الاخر ان المقصود منه ما يلزمه من اطعام الخلق والتكرم عليهم فهذه هي الكناية والمفرد واما في
المركب فهي ان تحاول اثبات معنى من المعاني لشي فيترك التصريح باثباته له وتثبته لمتعلقه كقوله
ان المروة والسماحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج لما اراد اثبات هذه المعاني للممدوح
لم يصرح بها بل عدل الى ما يرى من الكناية فجعلها في قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد من ثوبيه واللوم
من ثوبيه ومثاله في جانب النفي قول من وصف امراة بالعفة يبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا
ما بيوت بالملامة حلت فتوصل الى نفي اللوم عنها بان نفاه عن بيتها **البحث الثاني**
في الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة عن ان يذكر لفظه ويفيد بمعناه معنى ثانيا وهو
المقصود واذا افردت للمقصود بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناه معتبرا فلم يكن قد نقلت اللفظ
عن موضوعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانك تريد كثرة الرماد ليدل
على جوده فقد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية وقصدت بكونه كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الاول
وهو الجواد بخلاف المجاز فانك تنقل اللفظ عن معناها الاصلي وبالله التوفيق **الجملة الثالثة**
في النظم وفيها فصول **الفصل الاول** في حقيقته انه وضع الكلام على النحو الذي يقتضيه علم النحو
والعمل فيه بقوانينه واصوله بيانه انك تنظر في وجوه كل باب وفروقه فتنظر في الخبر مثلا الى الفرق بين ما اذا
كان خبر المبتدا اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام عليه او عدمها
وفي الفصل بالضمير وعدمه وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين
او احداهما فعلية والاخرى اسمية وان كانا فعليتين فينظر الفرق بين ما اذا كان الفعلان ماضيين او
مستقبلين او احدهما ماضيا والاخر مستقبلا وفي الحال اذا كان اسما او فعلا وفي الحروف المشتركة
في معنى ان يكون وضعها الذي يجوز ان يجي بما في الحال نفي الحال او الماضي ولا في نفي الحال الاستقبال
وما ان فيما يتردد بينهما وما ذا بينهما علم انه كائن وان يعرف مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف والتنكير
ومواضع التقديم والتاخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فيضع كل شي مكانه واعلم انه ليس اذا حسن
التنكير مثلا او التعريف او احد هذه الامور في موضع حسن في كل موضع بل انما يحسن بحسب الموضع

الذي يقصد وحاصل هذا التقدير ان النظم انما يحصل في كلمات ضم بعضها الى البعض وذلك ان النظم يعتبر
فيه احوال المفردات واحوال انضمام بعضها الى بعض فاما احوال المفردات فاما ان تعتبر حال دلالة الالفاظ
او حال دلالة احوالها وحركاتها وسكناتها فهذه من اقسام الاعتبار والنظم الكامل انما يحصل اذا اعتبر من هذه
الامور الثلاثة في كل موضع بما هو اليق به **الفصل الثاني** في اقسام النظم الجلي الكلمتين اذا نظمت
نظما واحدا فاما ان يتعلق بعضها بالبعض اوليس فان كان الثاني لم يحتج ذلك النظم الى فكر في استخراجه
مثاله قول علي عليه السلام لامال اعود من العقل ولا داء اعيا من الجهل ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى
وان كان الاول فكل ما كانت اجزاء الكلام اشد ارتباطا كان ادخل في الفصاحة وليس له قانون يحفظ
لمجيئه على وجوه شتى فلنذكر بعض ما يعتبر منها وهو احد وعشرون وجها **الوجه الاول**
المطابقة وهو الجمع بين المتضادين في الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يضم الاسم الى الفعل كقوله تعالى
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل
من تشاء **الثاني المقابلة** وهي ان تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط
وجب ان تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسر مشتركا
بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد تلك الامور وهي المنع
والاستغناء والتكذيب **الثالث** المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري
اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر **الرابع الاعتراض** وهو ان يدرج في الكلام
ما يتم الغرض دونه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقوله عليه السلام اما
بعد فان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم **الخامس** الالتفات وهو العدول
عن سياق الكلام الى سياق آخر غير مناسب للاول في المعنى بل يتمم له على وجه المثل او غيره مثل ما
العدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين او بالعكس كقوله
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله عليه السلام وانما انتم عن السراد وقد يرد لهم
نفقة الواعية **السادس** الاقتباس وهو ان تدرج كلمة من القرآن او اية منه في الكلام تزيينا لنظامه
كقول ابن شمعون في وعظه اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا
بالمراقبات واتقوا الله في الخلوات يرفع لكم الدرجات **السابع** التمليح وهو ان يشار في فحوى
الكلام الى مثل سائر او شعر نادر كقوله عليه السلام في خطبته الشقشقية شتان ما يومي على
كورها ويوم حيان اخي جابر **الثامن** ارسال المثلين وهو الجمع بين المثلين كقوله الا كل
شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل **التاسع** اللف والنشر وهو ان يلف شيئين ويورد
تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل منهما كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل

والنار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ويقرب منه ان يذكر لفظا يتوهم انه يحتاج الى البيان فيفصل
مع تفسيره كقوله تعالى يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الاية واما
الذين سعدوا ففي الجنة الاية **العاشر** التعديد وهو ايقاع الاعداد من الاسماء المفردة في النظم والنثر
على سياق واحد فان روعي فيه ازدواج او تجنيس او تطابق او مقابلة حسن جدا مثاله من النثر
قولهم فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والاثبات ومن النظم قول المتنبي
الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم **الحادي عشر** تنسيق الصفات
الصفات كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام الاية وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وقوله ولا تطع كل حلاف مهين الاية والتنسيق في اوائل الخطب كثير **الثاني عشر**
الايهام وهو ان يكون للفظ ظاهر وتاويل فيسبق الى فهم السامع الظاهر مع ان المراد هو التاويل كقوله تعالى والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه **الثالث عشر** مراعاة النظير وهو جمع الامور المتناسبة
المتوازية كقوله عليه السلام الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافا الافضال ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته **الرابع عشر**
المدح الموجه وهو ان يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر كقول المتنبي نهبت من الاعمار ما لو حويته
لهنئت الدنيا بانك خالد فانه مدح بالشجاعة وآخر مدح بعلو الدرجة **الخامس عشر** المحتمل للضدين وهو ان
يكون الكلام محتملا للذم والمدح على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه سواء **السادس عشر**
تجاهل العارف كقوله تعالى انا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول المتنبي ابريقك ام
ما ما الغادات ام جمر **السابع عشر** السؤال والجواب كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين الى قوله قال
ربكم ورب آبائكم الاولين **الثامن عشر** الحذف وهو ان يتكلف حذف حرف من حروف المعجم كما حذف
علي عليه السلام الالف في خطبته المسماة بالمونقة **التاسع عشر** التعجب كقوله فيا عجبا للمقترين من
التوبيخ في محفل القيامة ويا عجبا للطامعين اذا عاينوا اهل الثلاثة **العشرون** الاعتراف في الصفة
كقول امرئ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا وقول
المتنبي لقي بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني **الحادي والعشرون** في حسن التعليل وهو ان
يذكر وصفان احدهما علة للآخر والغرض ذكرهما جميعا كقول علي عليه السلام في ذم الدنيا هانت على ربها فخلط
حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله فان غادر الغدران في صحن وجنتي فلا عجب منه لم يزل
كان غادرا واعلم ان وجوه النظم كثيرة ولما كان كثير منها قليلا في كلام المطبوعين من المتقدمين
وانما هي صناعات تكلفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان منها في القرآن الكريم والكلمات النبوية وكلام
علي عليه السلام والمطبوعين على عليه السلام والمطبوعين على الكلام من سائر الصحابة وما احدثه المتاخرون
ملحقا لا يخرج من سلك الاولين الا انه يدل على ذكاء مبتدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق **الفصل الثالث**
في التقديم والتاخير وفيه ابحاث **البحث الاول** في فائدتهما اذا قدم اللفظ على غيره فاما ان يكون
في النية موخرا كخبر المبتدا اذا قدم عليه او المفعول اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التاخير

ولكن علي به ان يعقل انى من ضم الى حلم اه مثاله ان تذكر اسمين كل واحد منهما صالح ان يكون منقولا
والآخر خبرا فيقدم هذا تارة وذاك اخرى زيد المنطلق وعكسه قال سيبويه عند ما ذكر الفاعل
والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم ببيانه اعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم
الخبر عن قتل شخص خارجي لامن حيث هو شخص معين قالوا قتل الخارجي زيد ولو اخبر
عن بعض الفضلا انه قتله وارادوا الاخبار عن ذلك قدموا اسمه على فعله لان ذكره اولا اهم ليعلم ان القاتل
انه اوقع في النفوس من العكس وكان عند المخبر اهم لذكرهم تقديمه وما ابهم في الاستفهام والخبر في
النفي البحث الثاني في التقديم والتاخير في الاستفهام المذكور عقيب حرف الاستفهام
اما الفعل والاسم فان كان الاول كان هو المشكوك في وجوده والمسئول عن معرفته مثاله قولك ابنيت
الدار فان السؤال واقع عن وجود البناء والشك في وجوده وان كان الثاني فان السؤال واقع عن تعيين الفاعل
لقولك انت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجي للانكار تارة وللتقرير اخرى والحالان فيهما ذكرناه
اما الانكار فكقوله تعالى اصفيكم ربكم بالبنين اصطفى البنات على البنين فالانكار ههنا للفعل
فاذا قدم الاسم كان الانكار للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا انت قلت هذا الشعر واما التقرير فكقوله
تعالى اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية بغير نفس فان المقصود تقرير الخرق والقتل عليه
تمهيد التوجه اللوم اليه فاما تقديم الاسم فكقولك انت قتلت زيدا فانه سؤال على سبيل التقرير له بحيث عنه
القتل واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل فاذا قدمت المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة
ان يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون وقوله
ابشرا منا واحدا نتبعه البحث الثالث في التقديم والتاخير في حرف النفي اذا ادخلته
على الفعل كقولك ما ضربت زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت انه مفعول لان تقبل الضرب زيد عن نفسك
لا تقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه لان نفي الاخص لا يدل على نفي العام ولا على ثبوته واذا ادخلته على
الاسم لقولك ما انا ضربت زيدا فهم منه ان ذلك انه وقع به الضرب وكان القصد نفي كونك انت الضارب
واذا عرفت هذه الفروق فهو الذوق البحث الرابع في التقديم والتاخير في خبر المثبت والدعوى فيه
كالتقديم والتاخير في الاستفهام فانك اذا قدمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضى ان يكون القصد الى
الفاعل اما للتخصيص بالفعل به لقولك انا كتبت في معنى هذا الكلام تريد انك اختصصت بذلك دون
واما لاجل ان تقدم ذكر المحدث عنه آكد لاثبات ذلك الفعل له كقولهم هو فلان يعطي الجزيل فلا تقصد
الحصر بل ان يحقق عند السامع انه اعطاء الجزيل دابه وبيان ذلك انك لما ذكرت المحدث عنه و
الاسم لا يعري عن العوامل الا لحديث قد نوي اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت
بانك تريد الحديث عنه فيحصل شوق الى معرفته فاذا اوردته ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه
فيكون ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة وان قدمت الفعل اقتضى ان يكون القصد الى ذكر الفعل
كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فان القصد ههنا الى ذكر القضاء ونسبته الى الله سبحانه

الضرب بزيد حكم المنفي لقولك انك لا تحسن هذا الفعل او لا تحسن انت هذا الفعل البحث الخامس
في تقديم حرف السلب على العموم وتاخيره عنه اما الاول فاذا قدمت حرف السلب على العموم صيغة العموم
فقلت ما افعل كل كذا كان سلبا للعموم وذلك لا يناقضه الاثبات الخاص حتى لو قلت وافعل
بعضه لم يكن تناقضا اما اذا قدمت صيغة العموم على السلب وحينئذ يناقضه قولك وافعل بعضه
البحث
والعرف وهذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في قول ابي النجم قد جعلت ام الخيار تدعي علي
ذنبا كله لم اصنع فان نصب كل يقتضي سلب العموم ورفعه يقتضي عموم السلب البحث السادس
في اشياء من اقسام التقديم والتاخير واعلم انه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتاخير اختلافا
كثيرا ويدق الفرق بين تقديم الكلمة وتاخيرها كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فبتقديم
الشركاء يفهم انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم والذم انما توجه اليهم ويكون الذم
لاتخاذهم شركا اما لو قدم الجن لم يفهم الا انهم عبدوا الجن واما انكار المعبود الثاني فغير مفهوم منه ويكون
الذم انما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم فينبغي ان يلمح الفرق في تقديم بعض الكلام على بعض وتاخيره
ولنذكر مواضع حسن التقديم والتاخير اما التقديم ففي مواضع عشرة الاول ان تكون الحاجة
اليه اتم والعناية به اهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم الشركاء اولى لاجل ان المقصود
التوبيخ على جعل مطلق الشريك بخلاف ما لو اخر الثاني ان يكون التاخير اليق بانتظام الكلام كقوله له
تعالى ويغشى وجوههم النار فهذا اليق بما بعده وبما قبله من تاخير المفعول الثالث ان يكون الاول
اعرف من الثاني كتقديم المبتدا على الخبر والموصوف على الصفة فينبغي ان يبتدي في قولك زيد قائم
بزيد ليتوصل النفس بذلك الى معرفة الاخبار عنه بالاعرف فتقع الفائدة حينئذ على حدها
وفي مرتبتها قال الامام ولا ينتقض هذا بتقديم الفعل لان الفعل لفظ دال على ثبوت معنى لموضوع
غير معين في زمان معين من الثلاثة والاسناد كالجزء الذاتي المفهوم الفعل والاسناد اضافي والعقل
اذا حصل له الشعور بالاضافة فلو توقف هناك ولم ينتقل الى ما اليه الاسناد كانت الاضافة مستقلة
بالمعلومية وهو محال واذا انتقل الى ما اسند اليه الفعل وذلك الذي هو الفاعل فاذن من ضرورة لا
اسناد فهم المسند اليه واذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب ايضا في الالفاظ لمطابقة ما في
الذهن لما في الخارج واقول قد سبق ان الفعل اذا قدم في الاخبار كان لاجل ان ذلك اهم لان
المقصود من ذكر الجملة الفعلية لاذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعين ونسبته الى
الفاعل واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف يكون واجبا واذا كانت الكلمتان مستويتين
في الاهتمام بذكرهما فاما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمه اولى الرابع تقديم الحروف التي لها
صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي قال الامام حقيقة الاستفهام طلب فهم
الشي وهو حالة اضافية فاذا ادركها العقل انتقل منها الى معروضها واذا وجب ان يكون في اللفظ
كذلك بتقديم ما يدل على الاضافة ويلحق ما يدل على معروضها واقول يمكن ايضا ان يكون تقديم

تقديم هذه المحذوف من باب ما انا انتم وذلك ان الاستفهام والنفي والنهي معان معقولة وهي المطلوبة
من الجمل الداخلة عليها بالذات فكانت اهم فكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على احوال
النسب من اجزاء الكلام كان واخواتها وان واخواتها وعسى وبابها ونعم وبئس فانها تقدم لان معانيها هي المقصود
بالقصد الاول من الجمل الداخلة عليها **الخامس** تقديم الكلي على جزئياته لان الكلي اعرف عند العقل
وتقديم الاعرف اولى **السادس** تقديم الدليل على المدلول **السابع** تقديم الناقص على تامه كتقديم
الموصول على الصلة والمضاف على المضاف اليه لان تمام الشيء لا يتقدم عليه **الثامن** تقديم الاسماء المتبوعة
على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه **التاسع** تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة الى الضمير انما هو الحاجة
الى ذي الضمير وذلك متاخر عن تحقق ذي الضمير في العقل فيجب كذلك في الوضع كقولك
ضرب زيد غلامه وقضى زيد حاجته **العاشر** تقديم الفاعل على المفعولات وما في حكمها لانها امور تلحق
الفاعل بالنسبة الى فعله فكانت متاخرة عنه فاذا علمت ما يجب تقديمه علمت بذلك ما يجب تاخيره

الفصل الرابع في الفصل والوصل حاصل معرفة الفصل والوصل يعود الى معرفة مواضع
العطف والاستيناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف مواقعها وهو باب عظيم عند البلغاء
ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال وقد سئل عن معناها انها معرفة الفصل والوصل وما ذاك الا
لغموضه وكون معرفته مؤدية للمعاني كلها وذلك هو المقصود من علم البلاغة ولنحقق الكلام فيه في
بحثين **الاول** فائدة العطف التشريك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه فمن ادواته
ما لا يفيد الا هذا القدر كالواو ومنها ما يدل على زيادة عليه كالفاء وثم فانهما يدلان على التعقيب وان كانت
ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها يدل على الترديد فلنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول العطف
اما ان يكون في المفردات وهو يقتضي التشريك في الاعراب واما في الجمل وحينئذ فالجملة ان كانت
في موقع المفرد كقولك مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كانت الشركة في الاعراب ايضا حاصلة
لكون الجملتين وصفين للنكرة وان لم يكن فاما ان يكون احدى الجملتين متعلقة لذاتها بالاخرى
اولا يكون فان لم يكن فاما ان يكون بينهما مناسبة اولا يكون فهذه اقسام ثلاثة اما الاول بان يكون احدى
الجملتين تاكيدا للاخرى كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقوله لا ريب فيه تاكيد للاول ولا يجوز
ادخال العطف عليه لان التاكيد يتعلق بالمؤكد فيستغني عن لفظ يدل على التعلق الثاني ان لا
يكون بينهما مناسبة اصلا وهاهنا ايضا يجب ترك العاطف لان العطف يستلزم المناسبة فيلزم من
عدمها عدمه الثالث ان تصدق المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي فهاهنا يجب ذكر
العاطف ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين او شيئا واحدا اما الاول فالمناسبة اما بين
المخبر بهما فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما معا والاول والثاني يختل معهما النظم لانك اذا
قلت زيد طويل والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة اختل وكذلك لو قلت
زيد طويل وعمرو شاعر اختل ايضا لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر فتعين ان الواجب

حصول

حصول المناسبتين فاما ان كان المخبر عنه فيهما شيئا واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويامر وينهى
ونحوه تعين دخول العاطف لانك اذا قلت هو يضر وينفع افاد العاطف انه هو الجامع لهما بخلاف
ما لو حذفته **الفصل الخامس** في عطف الجمل على الجمل انه كما يجوز ان يعطف جملة على
جملة كذلك يجوز ان يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخرى وبيان ذلك ظاهر في صورة الشرط
والمشروط والجزاء فانه قد يجعل مجموع جملتين شرطا ومجموع اخريين جزاء كقوله تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
وما اظهر ذلك في الشرط والجزاء اظهر مثله في العطف كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ
قضينا الى موسى وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا
في اهل مدين الاية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين مع ما يتعلق بها
اذ لو عطفتها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فصار التقدير ولكنك ما كنت ثاويا وهو باطل ولو
عطفتها على وما كنت من الشاهدين دون لكنا انشانا لكان في ذلك ازالة لكن عن موضعها وهو
غير جائز **الفصل السادس** في الحذف والاضمار وفيه بحثان **البحث الاول**
في حذف المفعول الى الفاعل والمبتدا والخبر اما الاول فلان الفعل المتعدي قد يكون المقصود من
ذكره مجرد نسبته الى الفاعل وحينئذ يكون حاله كحال غير المتعدي في عدم الحاجة الى المفعول
والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويامر وينهى ويضر وينفع وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقد يلاحظ مع ذلك في ذكر النسبة الى المفعول الا ان المفعول يحذف لاحد غرضين
احدهما ان يكون المقصود ذكره لكن يحذف لايهام التعظيم والتفخيم كقول البحتري شجو حساده ه
وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واعي فان المعنى المجموع هاهنا لا بد ان يكون شيئا معينا فحذفه
واوهم بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع عظيم وانه فضيلة تشجو حساده وتغيظ عداه ومن هاهنا تحصل
البلاغة ولو ابرز ذلك المفعول المعين لما حصل ذلك التعظيم الوهمي لتخصص الذهن للتعظيم با
لمفعول المذكور دون ما عداه وقد يكون ذكر المفعول اولى وابلغ وذلك اذا كان تعلقا عظيما بديعا كقوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته لما كان مجي الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى الثاني ان يحذف للعلم به كقوله
عليه السلام ان اشنق لها خرم اي انفها وان اسلس لها اي قيادها تقحم اي المهالك وان [illegible]
يضمر على شريطة التفسير كقوله اكرمني واكرمت عبد الله واما المبتدا والخبر فقد ورد حذف
كل واحد منهما اما المبتدا فكقوله تعالى سورة انزلناها واما الخبر فقوله تعالى طاعة وقول
معروف وامثاله كثيرة وقد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر رحمه الله ما من اسم حذف
في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وحذفه احسن من ذكره وحسنها في المواضع التي يفهم عند
البلاغة **البحث الثاني** في الايجاز وحده التعبير عن الغرض باقل ما يمكن من الحروف من غير
اخلال مثاله قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقد كان المثل يضرب بقولهم القتل انفى للقتل الى

ان وردت هذه الآية والترجيح للآية ظاهــــرة من وجهين احدهما انها اوجز فان حروفها عشرة وحروف
المثل اربعة عشر الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل مطلقا من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص
وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ولهذه المحسنات اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك قوله علي عليه السلام قيمة
كل امرئ ما يحسنه وقوله المرء عدو ما جهله وقولـــه الجزوع اتعب من الصبور وقولـــه تحققوا تلحقوا
الفصـــل السابـع في احكام انّ وانّ وما في حكمهما وفيه ابحاث البحـــث الاول
في فوائدان وهي اربع الاولى انها قد تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل النظم كقوله تعالى يا ايها الناس
ان وعد الله حق وقولــــه تعالى اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقول علي عليه السلام ايها
الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته وقوله عليه السلام ان من احب عباد الله اليه
عبدا اعانه الله على نفسه فلو اسقطت ان في هذه المواضع لزالت المناسبة التي كانت بين الجملتين
معها واعلم انك متى اسقطت ان من الجملة الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الجملة الاولى
فلا بد ان يعرض منها الفاء كقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم الفائدة الثانية انك تجد لاضمارها
على ضمير الشان المعقب بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية ما لا تجده عند عدمها كقوله
تعالى انه من يتق ويصبر وقولــــه علي عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني الرجل كما ذكرنا الفائدة الثالثة
انها تهيئ النكرة لان يحدث عنها كقوله عليه السلام ان من احب عباد الله الى الله كما مر ولو اسقطتها لسقط
الحسن والبلاغة وقد تسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها من قولــــه الشاعر الا ان ثوبا ونسوة
وتحت البرود الاموت الفائدة الرابعة انها اذا دخلت على الجملة فقد يغني عن الخبر كقولك ان
مالا وان ولدا كقوله انهم ما لا وقولـــــه الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر ان مضوا
مهلا والحق انها لتاكيد النسبة فاذا كان الخبر ثابتا لسبق ظن او وهم في خلافه فلا حاجة
اليها هناك ولذلك يزداد حسنها اذا كان الخبر استبعادا مثله وقد يجمع مع اللام لتاكيد في خبرها اذا
كانت في جواب المنكر لشدة الحاجة هناك الى التاكيد البحث الثاني في فائدة انما اتفق
جمهور النحاة على انها للحصر وهو المفهوم منها مثاله قوله عليه السلام وانما سميت الشبهة
شبهة لانها تشبه الحق وقولـــه عليه السلام انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو
خط مسطور بين دفتين لا ينطق بلسان وانما ينطق عنه الرجال وتراد الحصر في هذه الصورة ظاهر
وقال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وبقوله انما المؤمنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل من ذكر الله قد يكون مؤمنا وان الاخوة غير
منحصرة في المؤمنين والجواب ان منشأ الشك نقل العقل عن ضابط الحصر وضابطه
ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك
انما قام زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تعالى انما انا بشر مثلكم فان المقصود
حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انها في الصورتين المذكورتين تفيد

الحصر انما في الاولى فلانه يجوز ان يكون المقصود من الآية اما هنالك اقوى مراتبه وهو الاخلاص وحينئذ يتبين
ان المؤمنين منحصرون في الوجلين من ذكر الله تعالى واما الثانية فلان المؤمنين منحصرون في صيغة
الاخوة في الدين كما هو المقصود من الاخوة قطعا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارتان اقربهما
احداهما قولك ما جاءني زيد الا عمرو وهو اضعف منها لانه انما يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة الى من اخرجه
حرف النفي الثانية ما جاءني الا زيد ومفهومها مفهوم انما في الحصر والتخصيص كقوله تعالى ما قلت لهم الا ما
امرتني به والفرق بين الامام بينهما قد تحسن في الفهم فانها ان دلالة انما على نفي المذكور بالالتزام ودلالة ما
والا على نفي الغير بالمطابقة فكانت اقوى في ذلك من دلالة انما ولذلك يصح ان يقال انما زيد قائم لا قاعد ولا
يصح ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد واقول ان صح ما ادعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية
كان المانع الصحيح تعليل ذلك المنع بكونها والا دالة على نفي الغير بالمطابقة ويصرف ذلك الفتح الى قرب
المقتضيه لنفي الغير لا المقتضي للحصر وبعد ما عن انما فكان التاكيد عقيب انما حسن لطول الزمان
بينهما فهل انا لا نسلم عدم الصحة بل قد يورد للتاكيد وان كان عقيب انما احسن وقد يقام غير مقام
لا فيفيد الحصر وقد لا يكون كذلك كقولك ما جاءني غير زيد تريد نفي مجيء الغير فقط دون اثبات مجيء
زيد البحـث الثالــث ان ما والا اذا دخلت على الجملة كان المقصود الحصر فيه هو ما يلي الا ابدا سواء
كان مرفوعا كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو او منصوبا كقولك ما ضرب زيد الا عمرا وهكذا ان كان المنصوب
حالا او ظرفا فان تاخر شيء الا الفاعل والمفعول معا عن الا فالمقصود هو ما يليها ايضا كقولك ما ضرب الا
زيد عمرا ولذا لو قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصود وهكذا حكم المفعولين كقولك لم اكس
الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصود بالتخصيص وهكذا حكم المفعولين المبتدأ والخبر ايضا
او تاخر عن الا هو المقصود بالتخصيص كقولك ما زيد الا قائم فالمراد تخصيص صفة القيام دون سائر
الاحوال او ما القائم الا زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره واما تحقيق ذلك في انما فانما في الفاعل والمفعول
ما تاخر عن صاحبه فهو المقصود ايضا كقولك انما ضرب عمرا زيد فالمقصود تخصيص زيد ومنه
قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولو قدم العلماء لكان المقصود تخصيص خشية الله ولذا الحال
في المبتدأ ان تواخرته على حاله فالاختصاص للخبر كقوله تعالى انما السبيل على الذين يستاذنونك وان
اخرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب فان التخصيص
في الاول للخبر وفي الثاني للمبتدأ وهذا بحسب المتبادر المفهوم من ذوق العربية وبالله التوفيق
الفاتحـة الثامنـة في الخطابة وفيها ابحاث وخاتمة البحث الاول في حقيقة الخطابة
حقيقتها الخطابة صناعة يتكلف فيها الاقناع الممكن للجمهور فيما يراد ان يصدقوا به وقولنا يتكلف
فيها الاقناع اردنا به انه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص ما بلغ قصدهم والاقناع الممكن هو الفعل
الذي يتكلف واردنا به ما يمكن من الاقناع والخطابة في الاقناع اعم من غيرها ونافعة في تقرير
المصالح الجزوية وقد يستفاد منها تقرير القوانين الكلية لذلك الصالح كالعقائد الالهية والقوانين

العلمية وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة فيها نحو عدل وحسن اتم نفعا واعود على الناس من نقايض
واعم جدوى من اضدادها لان نوع الانسان انما يتم بالتشارك والتشارك يحوج الى التعامل
والبين وروده يحوجان الى احكام صادقة في الامور العملية ليحصل كل بما يحتاجه وينتظم شمل المصالح
بينهم وباضداد الاحكام الصادقة حسب فيحتاج ان تكون تلك الاحكام مقررة في النفوس متمكنة من
العقايد والخطابة هي المتكفلة بحمل الجمهور على التصديق بها فان البرهان والجدل وان يقصد بهما النفع
الا ان الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل لانه وان كان صناعة ضعيفة بالنسبة الى البرهان
فهو ايضا يشبه القايلة للعامة صعب بالنسبة الى فطنهم وهم عاجزون عن ضبطه والمحافظة التي يجب
ان يلتفت اليها العامي لحاميته ينبغي ان يكون في الجنس الاول لا يرفع صوته ولا ارتفاعا عنيفا بل يكون
التلفظ عنه عند ذكره عامة ولا مسيئة شرا يبعد عن قبولها كما سنذكره ان شاء الله تعالى
وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعة في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن فسبيل ربك هي الدلالة الحقيقية والحكمة هي البرهان وذلك لمن يحتمله والموعظة
الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر عن درجة البرهان وضاد لم ياتي بها حسنة اي بالمشهورات
المحمودة وافرد الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفتان الى الفايدة والمجادلة مصروفة الى المقاومة
والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني انما هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة فاذن
الخطابة صناعة عظيمة النفع في مصالح المدن وبها تدبير العامة وتنتظم احوالهم

البحث الثاني

في موضوع الخطابة واجزائها وليس للخطابة نظر في موضوع معين وذلك لان العامة لا يهتدون الى
تمييز بعض الموضوعات عن بعض اذ كان تخصيص الكلام في موضوع معين مبني على مبادي بطيئة
عن الموضوع وصفه لا يعرفها العامي بل ينظر الخطابة بالذات في الجزئيات اي مقداره التفتت فيها
بحسب ... الا قليل يقصد بها الاقناع من اي حرف كان على ان لها ان تنظر العرض في الامور الكلية
من الالهيات والطبيعيات والخلقيات والسياسيات والخطابة لها اصل وتمهيدات تحتفها
وتعين عليها اما الاصل فهو القول الذي يظن انه يفيد اقناعا واما المعينات فيما يرجع
الى جزءين ... كان الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع كان كل مقنع مناسب العرض
فيها ضرب من معينات والامور المقنعة اما قولية نرادف بها صيغة قول اخر كالقول الذي يقصد فيه
الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين او القول الذي يروم به اثبات ان الشهادة مقنعة او
كون المعجز حجة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما حالية اما القولية فكالاستشهاد
بقول نبي او امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة مأثورة او الاستشهاد بأقوال قوم يحضرون
قوة فيقول القايل ان الامر كذا او الاستشهاد بشهادة الحاكم والسامعين بان القول مقنع و
شهادة محصلة واما الحالية فاما ان يدرك بالعقل او بالحس والاول مثل فضيلة القايل وانه
... صدق والتمييز واما الحال التي تدرك بالحس فاما بواسطة القول او بدونه اما الاول ...

بالمعجز فيتوسل به التحدي على صدق قول المدعي وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله وكشهادة
حال المتشاهد في قبول اقوالهما بعد وضع العقود التي هي اقوال مدونة مكتوبة واما الحال الملازمة له
بالحس عن غير القول فاما احوال تتبع الفعل ... كشهادة هيئة وجه المخبر بانه
على قبول قوله او شهادة هيئة المدعو لغايب الخبر عن نزول عذاب او حلول افة على قبول قوله او
يكون حاملة ... كشهادة جراح القاتل او غيره على تقدم العدو للحرب واما الحيلة فتفيد الاعتداد
والاعداد اما القايل بحيث يكون مقبول القول او المقول بحيث يصير انجع وانفع او السامع بحيث
يكون السامع اقبل فاما القايل فبان يتكلف الا ... على فضله نفسه او الالة عليها او بهيئة
وبنية بالصوت بحيث يجعل شكله مقبول القول واما المقول فان يحسن فيه ... فتارة يرفع به صوته وتارة
يخفضه وتارة يثقل وتارة يلينه ويجزيه ويلاحظ في ذلك حال من يقصد اسماعهم كما سياتي في
الترتيبات واما السامعون فاما مخاطب بالقصد الاول واما حاكم يحكم بين المتخاطبين واما
نظارة اما المخاطب فيحتاج ان يستعطف ويستمال الى ان يجنح الى تصديق القايل وكذلك الحاكم
واما النظارة فيكفي فيه ان يهيا بالجملة بهيئة مستعد يصدق وانه لم يقع له التصديق والتي ... الحاصل
للسامع اما انفعال كالرقة والرحمة في الاستعطاف والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام
خلق كايهام الشجاعة او السخاوة او غيرها ... الى ان الاقوال الخطابية التي يقصد بها
التصديق ثلاثة اصناف اصل ويسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق نفسه والثاني النصرة
وهي القول الذي ينصر به حال التصديق كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يراد به انفعال
او ايهام خلق وهذان يسميان للاصل فهذه اجزاوها

البحث الثالث

في مبادي الخطابة اعلم ان مبادي الاقوال الخطابية ثلاثة احدها المشهورات المحمودة وهي اما حقيقتها تتفق عليها الجمهور و
تطابقت عليها الشرايع والسنة وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن
الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرها واما محمودة ظاهرة في بادي الراي وهي التي يناقض الذهن فيحكم
بصدقها قبل التفطن لها فاذا تدبرت زال حمدها كظهور كذبها وشنعها كقولهم انصر اخاك ظالما او
مظلوما ... ونحوها او كل محمود حقيقي محمود في الظاهر ولا ينعكس واستعمال الخطابي
للاول لا من جهة كونها حقيقية بل لكونها ظاهرة واما محمودة بحسب قوم او شخص تخص ويتفق
ما في مخاطبتهم ومثل هذه وان نفعت في الخطابة الا انها لا تكون عامة في صناعة الخطابة لكونها غير عامة
او غير مضبوطة فان كل شخص يهوى ما يهوى وتختلف الاراء بحسب الاهواء وثانيها المقبولات وهي ما
عن جماعة او عن نبي او عن امام كالشرايع والسنن او عن حكيم كالطب المقبول عن
جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات تورد شواهد او تكون مقبولة فقط من عنوان ينسب
الى ... فالاشارات المصدقة وثالثها المظنونات وهي الاحكام التي يتبع الانسان فيها غالب

الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد يتردد في العدد جهارا فهو عدو وربما يكون مقابله مظنونا كقولك
زيد يتردد في الظلمة ليلا فهو لص وربما لا يكون مقابله منافيا كقولك هذا الحائط ينتثر منه التراب فهو ينهدم ومع هذا فهو مع ذلك
بعيد كقولك هذا يتكلم خفية وبين المواد والصور معا ويشتمل القياس والتمثيل والاستقراء وما يشبه الخلف فيها اما القياس فهو يشبه
حذف الخلف كبراه وتركيبه لاشتمال على الاوسط بخروج ما يفكر وهو اما على هيئة الشكل
الاول كقوله على عليه السلام مضوا قدما على الطريق واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة
الباردة فمن ان تقدير الكبرى وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمة ويسمى هذا دليلا واما على هيئة الشكل
الثاني كقوله فلان لديانة يتيقن فليس من الفساق فان تقدير الكبرى ولا واحد من الفساق فاسق
تقدير الكبرى ولا واحد من الفساق كذلك او على هيئة الشكل الثالث كقولك العارف شجاع
فالشجاع جواد لان تقدير الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة هذين الشكلين علامة والقياس
الظني قد لا يكون منتجا في نفس الامر اذ ليس من شرط الخطابة ان يكون على هيئة منتجة كموجبتين في
الشكل الثاني كقولك هذه منتفخة البطن فهي اذا حبلى وتقدير الصدق والحبلى منتفخة البطن
ويسمى هذه ادلة اربعها في الذهن ظنا ما واما التمثيل فهو اعتبار العبرة والذهن من المشبه به الى
المشبه ويسمى المثال منه برهانا وامثال التمثيل والقياس يسمى تثبيتا والتمثيل اذا
ان يكون بامثال سبق على القياس عليها سواء كانت امورا موجودة او حوادث ماضية او مثلا
مضروبة يسمى ما اذا لا يكون كذلك بل امور يخبر عنها الخطيب بمثل او حكاية اما ماضية او غيرها حكاية
والاول كما في قوله على عليه السلام في تحذير اصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فللمثل
كما نقول المشهور على مدينته لا تعاشر الجهال فانك ان عاشرتهم فندمت وقد لا يكون عاشرتهم واما
عبد الملكة لها اسمعتها واقوال الحيوانات الموضوعة في كتاب كليلة ودمنة وامثاله واما الاستقراء
فينفع تعميم جزئيات كثيرة كقولك لمن يشير عليه حصل السيادة بتحصيل الفضيلة لان فلانا وفلانا
حصلوا ذلك وا... نعرفه في كلام على عليه السلام كثيرا واما ما يشبه الخلف فكقوله عليه السلام في ذم
عثمان بقوله لو امر به لكنت قاتلا او نهى عنه لكنت ناصرا اراد تقدير عدم الامر بابطال لازم الامر وهو كونه قاتلا
المستلزم لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر وكذلك التوبيخ كقوله عليه السلام
في توبيخ العلماء في اختلاف الفتيا افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه فانه اراد بيان عدم صحة اختلافهم
بابطال امر الله اياهم المستلزم لابطال نقيض المطلوب وهو صحة الاختلاف والمقدمة التي من شانها
ان تصير جزئيات يسمى موضعا وحقها ان لا يكون دقيقة علمية ولا واضحة يستغنى عن ذكرها
كالضروريات والقوانين التي يستنبط منها المواضع يسمى انواعا والبحث في الخطابة عن الفروع
اولى بل انما يبحث فيها عن الاكثريات والراي قضية كلية ينتفع بها في امور عملية فيختار او يجتنب
وتنائج الاراء اراء مثلها الا انها غير مقنعة ما لم يقرن اليها العلة كقولك لصديقك مثلا

الخير في جمع المال فانه لا يقبل ما لم يقل معه انك لم تك تبتغي بجمعه في الآخرة خصوصا اذا كان للخطيب
تشنيعا كقولك لا تحصل الفضيلة فانه ما لم يقرن به العلة كقولك كيلا تحسد لا يقبل ذلك والراي ايضا
قد يحتاج الى كلام يقترن به ليظهروا في نفسه او عند اهل العقل او عند المخاطب او يحتاج الى ما يقرب
... الى المطلوب وحينئذ فالقرينة اما نتيجة الراي او ما يقنعه فان كانت نتيجة الراي كقولك الا
... قضيتك زيد ناصح فالضمير المقنع هنا ليس الراي وحده بل مع نتيجته وهو جزء من
الضمير وان كان يلائم اليه ما هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضيلة لتحسد كان الراي هو الضمير القريب لانه
المنتج لذاته والله ولي التوفيق **البحث الرابع** في اقسام الخطابة بحسب اقسام اغراضها واعلم ان جميع
المعاوضات الخطابية ثلاثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة لكل واحد من هذه الاقسام غرض خاص
اما المشورية فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في ان الامر الفلاني ينبغي ان يفعل لنفعه وان الامر الفلاني ينبغي ان
٥ لا يفعل لضرره واما المنافرة فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في مدح شخص بفضيلة او ذمه بنقيصة واما المشاجرة
فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في شكاية ظلم او اعتذار بانه لا ظلم وربما يقع الاعتذار في وقوع الامر ... وتكلم
في كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم كاعتذار الظالم او من ينصره بان الاذى يحمله ليس ظلما او اعتقد
اد المظلوم بان الذي فعل ليس ... او انه فضيلة اما المشورة فليس المشورة ايهامي ... بحسب
الشاعر في ... هو نافع بالحقيقة لانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة ولا عند المشير لكنه ان يبين انه نافع ...
الاقناع به ... يكون المخاطبة مع ذلك ... وقد لا يكون المشورة بالنافع بل بالجميل الذي ربما كان غير النافع
... ومنفعة من جهة اخرى وكذلك المدح والذم لا يكاد يخطى فيه ذلك بالنافع والضار حتى يكون المدح بالنافع
والذم بالضار بل ربما كان المدح بالضار كاقتحام الاذى والضرر وركوب الاهوال لاجل الجميل والارشاد
... وحب ... ويعظم الذين يتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكثيرا ما يجعلونه ... قبل
باب ... مع الحياة والامور المشورية عظيمة ينبني عليها الشرايع والسنن والسياسات واقسام
الامور المشورية العظيمة ... دون الجزئيات انما نفعه بحسب احوال الاثنين ... هم
العدل والحرب والسلم وحماية المدينة ومراعاة امر الاصل والخرج وتقديم الشرايع ووضع المصالح
فالخطيب المشير في امر العدل ينبغي ان يكون بصيرا بحسن ارتفاع المدينة وكميته وكمية النفقات
اذا جرت على القسط لتوازي الاصل والخرج ويشير بنفي البطالة عن حرفة يعود بنفع المدينة و
بالحجر على المسرف وتوقيفه على القدر العادل ويحفظ تجربات الاخبار والعوايد التجربية لاجل
ما لا سوء ... وعلى المشير في امر الحرب بعد ان يكون له بصيرة بانواع الحروب وبنايع اخبار
المتقدمين من المقاتلة في مدينته وما يليها ورسومهم ومذاهبهم ان يحيط علما ... بعددهم ... ومحاربيهم
وعدوهم ودونهم بالحرب وعاداتهم ... وحيلهم وقوتهم وضعفهم ... ويوقع نظره

علمهم في كل وقت وتفتيشهم فانه يستنبط من هذه الاحوال مقدمات ينتفع بها في المشورة واما المشير في حفظ المدينة فينبغي ان يعلم انواع الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهليها وجبليها بريها وبحريها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا والمدارج المخوفة والتي يرتادها المغتالون فيشير فيها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة وان يعرف عدة الحفظة والرصد وسائر كيفياتهم و تبدلهم وخارجهم بالنائح وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة فاما العرت وما يجري مجراه اذ الجحب ما دام لم يمكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغي ان يكون المشير عارفا بمقدار حاجة كل الى بلد وما حال اهل الفضايل والترف منهم فيشير بما ينبغي ان تبيعا تبيعه فيه من اهل الفضايل وما ينبغي ان يستعان به فيه من اهل الترف فيما ينتظم به امر المصلحة والفن الخامس وهو المشورة في امر السنن وهو من اعظم الابواب خطرا واحوجها الى فضل في الخطابة وعلى الشارع اذ يحقق عدد انواع الاشتراكات المدنية وما يتولد من كل منها وان يعلم ما يناسب كل منه من الاشتراكات بحسب عادتها والاسباب الحافظة لذلك الاشتراك والقاسمة له وسائر المذاهب التي يحكم بها مما يقع من احد امرين اما عنف المدبرين لهم في الحمل على الواجب او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغي ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض لكل واحد منها من العوارض وما يؤول اليه كل واحد منها فيوضع كل واحد منها في موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة في موضع الرفق ومراعاة مصلحة المرؤوسين لاكرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس ولا يعصي هناك قانونا ناظما فقد عرفت بما ذكرنا المواضع التي تستنزع المقدمات المشورية في الامور العظام وما يعين ما على وضع السنن وترتيبها من اهل تقصص الماضين واحوالهم واما الامور المشورية النافعة بحسب احوال تخص قوما وان كانت غير منضبطة الا ان جميعها يشترك في انها يقصد بها صلاح الحال اما بالحقيقة او بالظن ونعني بصلاح الحال نحو الاحوال التي هي فضيلة النفس وامتداد العمر مشفوعا بمحبة القلوب وتوفر الكرامة من الناس وفي رفاهية وطيب عيش ووقاية وسعة ذات اليد في المال والعقد وتمكن من استدامة معونة الاخوان والاستزادة منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الخيرات ومنها ما ينسب الى الشرور اما الخير فاما بدنية ككرم الاصل وكثرة الاخوان والاولاد وصلاحهم واليسار والانعام والقوة والصحة والجمال والفصاحة وحسن الاحدوثة والجاه والبخت واما نفسانية كالعلم والذكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق المرضية وحصول التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يتخير اعداد هذه الانواع وكذلك ما ينسب الى النافع وهو ما يوصل الى هذه من الخيرات كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسائل والتهاون بالقوت ومراعاة الحفظ واما الامور الشرية فهي اضداد هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة والكسل والجهل والبطالة

ودوات الاسباب ضياع الفرص وسوء التوفيق وكذلك قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات في ان هذا الخير افضل والله هذا الا انفع فالحكم بان افضل الخيرات اعمها وادومها واكثرها نفعا واولاها بالقصد لنفسه واشرفها واعظمها واشرفها واكثرها اسبابا في الخيرات واكثرها استلزاما للحاجة اليه والزمها استلزاما للرغبة الرغبة الجمهور والاكابر فيه وكذلك يحتاج الى مقدمات بعدها في ان هذا الشر اشر فالحكم بان اشر الشرور اعمها وادومها واولاها بالهرب منه واكثرها استتباعا للشرور ويجب ان يستكثر من ضرب الامثال وايراد التذاكير واقتصاص احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب تحصيل الانواع النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة والرذيلة واحوال النفس من البر والشجاعة والعفة والمروة وكبر الهمة والسخاء والحلم والثبات والحلم والحكمة وقد يمدح ويذم ببعض هذه خيرات تتعدى الى غير الفضايل كالخير المتعدي من البر والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء الفضيلة الدولة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبر والجبن المقابل للشجاعة والفجور للعفة والزنا للسخاء والسفالة لكبر الهمة والنذالة للمروة والطيش للثبات والبلاهة للحكمة ونعني بالفضايل والرذايل وما علاماتها واسباب لها علامات عليها مثلا كايجاب العتق والخشية من الله تعالى والحلم وطلب الاذى الجميل للعدل وايجاب الاحتياج والوثوق بان لا مقاوم له وعدم المبالاة على فقد واما المجور وكذلك في سائر الاسباب فالانفعالات الاربعة الفاضل عن لزوم العدل حتى يحتمل شيء للذات مثل في الشجاع ما يتمنى الامانة ولا يسلمها الى غير ربها ومن المادح ايضا الاحسان الى الاعداء والانتقام منهم والحنو على الحسنة والسيئة ومن المادح الشجاع الغلبة والكرامة وان يقصد الادعال الذي يذكر ويبقى وبيان الجليلة التعظيم فيرثها الاعقاب ومن المادح ايضا علامات تختص بالاشراف مما كان رسالة سيرة العلوي وطرحة العالم فان ذلك من علامات شرفهم ومن المدوحات ايضا الاستغناء عن الناس في اي باب كان وقد يذكر المدح على سبيل التزويج والحماقة فيعبر عن الرذيلة بعبارة تستر بها في سلك الفضيلة اذا كانت قريبة من الفضيلة او ما اخذ حكم يحسبها وهو اذا يحتاج الخطيب الى مدح الناقصين فيجعل القدر المشترك بين الفضيلة والرذيلة وكانه الفضيلة فيمدح المحرور بانه محتنى المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة والغبي بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور بانه شجاع والماجن بانه ظريف والمبذر في الشهوات بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة رديئة الدلالة فيذم لطيف العشرة بالعشق والحليم بالعاق والنبيل بالغضوب والعفيف بالشجاع بالمتهور والظريف بالماجن وكذلك في سائرها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب ... بالجور والجور هو الاضرار الواقع بالقصد والمشيئة ولم ترخص الشريعة

 فيه بوجه واما الاسباب المحوجة اليه فالفعل من الكسلان فانه عنده بتحصيل اللذة التي يتوهمها يكون سبب
لخذلان صديقه وكالجبن الذي يكون سبب الاضاعة الحقوق وهلاكهم وفوات الراحة من القصد وحب
البطالة واللهو المودي الى اكتساب الفضايل وكالغضب المودي الى الضعف وعدم الظفر بالمطلوب
عند الغلبة والافتخام وكاستباحة التصرف في مال الغير وعرضه ودمه والاستهزاء بالخلق والحرص والا
تلاحم واسباب الفعل متوبانة بل هذه الاسباب فهي امورا اقاعيلها الخطيب اخذها مقدمات
في انه لما كان الجابر كذا اقدم على الجور وللجور اسباب كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة الفصل الخامس
في انواع ستة للامور الخطابية الملة وههنا انواع ستة للاحتياجات الخطابة يجب على الخطيب
اعدادها في الشيع بها ونفعها ما يعد لاستدراجات من مبادي الانفعالات والافعال مثلا ما يقع للغضب
كالاستهانة والعنت والشتيمة وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعمة بالسيئة او بالكفران والقعود
عن جزاء الجميل بمثله او بعد الظن ومنه فتور الغضب كالاعتذار بعدم معرفة من وضع بالاستهانة
او بعدم قصد الاستهانة وكالاعتراف بالذنب وكالاستغفار بالتوبة والتذلل والتلقي بالبشاشة وكذب
هيبة للهيبة والاستحياء المستحيي منه فان الغضب الجامعها او بعد الحزن كالانواع التي توجب
تفويت المرغوب فيه او حصول المحذور منه او عدم الانتفاع بالحياة والتدبير او الضعف ومنه التسلي
كالعلم بوجه الانتفاع في ان هذا الامر يمكن ان يدفع او يرجى التلافي في التدارك او باعث رجال الغير فان
للمصيبة اذا عمت هانت او بالارشاد الى الحيل بتحصيل الامر الذي لاجله الحزن او بعد التهديد والاستحيا
كالفرار من الحرب وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في مواضع الريبة
والجرح بحب الحقرات ومفارقة الدنيا كطلب المسكين ونبش الكفن والتعشق مع الشيب ومعا
رضة الايام بالاستماحة وكاستماع الشماتة من الاعداء او لا بعد لابطال الخجل ومنه واحد او عنف الاب
او للاهتمام بالغير والشفقة عليه والاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب المهلك والاوجاع والجهد
والكبر والسقم والخصاصة وسوء البخت وعدم الابصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم لعلي النفس
والاحتياج اليه بغير [illegible] ومسة غيبته والفرقة في مغيبه والوقار له او بعد ومنه الحسد كوصول خير
الى غير يرى الحاسد انه اولى به منه او الى من لا يحبه او للغير كتحصيل مثله لمن لا حق له في الحق من غير
ان يدخل صاحبه فيه او يشكر للنعمة ومنه ان يقول الخطيب انما اعطي فلان للنفس النفع لا الجزاء يتو
قعه او يقول انه نفع في وقت الحاجة او في وقت تيسر المعونة من الغير او انه انعم بما لم تتيح تتبين عنى
به او انه اولى من انعم فيحمل غيره الانعام او انعم بوذ بالصنيعة ذكرا او انه يستر الصنيعة سترا او للكفران
وتحقير النعمة كان يقول لم ترد بعطائك الا عوضا وانك لم تتم النعمة وانك قصرت عن مقابلة الواجب
عليك بمثله او انك لم تصطنع بقصد بل لضرورة او اتفاق او لرغبة في مجازاة فان على الخطيب ما يبطل

المنه

المنه او الشي عنه كان يقول المكروه عندك بعيد او لا وجود له عندك ولا محل عندك للاقران والمبادرين وكقوله
انت كثير الانصار فوبهم وانك بري عن الظلم قليل الاحتمال او لضده وهو الجبن كقوله ان في المقت وفات
حصول المنافع او ان خصمك في غاية القوة فلا طاقة لك به او ان الانصار قليلون او ضعفاء او امثال ذلك
ونحن نجمع للخطيب ان يحصل انواعا تبين على كل خلق خلق بحسب صنف صنف من الناس
اما باعتبار اسنان الانسان فان يقول للشباب الذي لا يغلب عليه طلب اللذة الا عدا وقت الغضب [illegible]
والزمان المساعد والشباب بعد بنائه غير عايد وهذا الربيع قد اشرف على الزوال ونضبت ازهاره وكدح
المال لك ب واللابس والمراتب ويقول للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع والحرص
[illegible] ينبغي ان تقتصر على تحصيل ما يكفيك في الاوقات الباقية وينبغي ان تقلل البذل لئلا تفتقر
عن اك وينبغي ان لا تتخدع لفلان ولا تنبسط معه لانك جربت الخداع او باعثت اخلاقهم في الخلاف
كان يقول للغريزة الذي طبعت الفصاحة انك لذو فضيلة عظيمة ولو لم يكن من فضل الفصاحة الا انها
وجه اعجاز القرآن لكفى وامثال وكان يقول للذي من جبلتهم غلظ الطباع كنتم الاطباع ان بني
فلان اعداكم ولا تاجر لهم او هم قليلون او نعم كثير او ان الفعل الفلاني كثير اللذة والاحتياج له فيتغ
يهم ذلك وكما تحول طباع الفرس الى جنس الترهيب الذي بنوعا دتهم بابا سبه او الى الملال الى ايجاد طبا
عهم بابا سبه او باعتبار انهم كالجدل بالنسبة طباع الملوك من الكبر وعدم الالتفات الى الرعية باباسبه
وما في طباع الساقطين من الدناءة بما يليق به من جملة الامور المشتركة ما يتعلق بالممكن من الامور الممكن
فانه ان الخطيب اذا اراد ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن فيقول هذا الامر مما يستطاع منه شيء [illegible] او
نقيضه ممكن فهو ممكن او شبيهه ممكن فهو ممكن والاصعب منه ممكن فهو ممكن او اراد ان يقنع بانه يتوقع
كون فيقول هذا الامر الفلاني مقدور عليه ومراد فلا بد ان يكون او النادر يكون فالاكثر يكون [illegible] ان
تعلم انواع ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من ما يكون وانواع ما يمكن فتبين جملة من الاسباب تحدو الخطيب الى
اثباتها والنفي عنها ان يضبط ما لا يتناهى من الامور يجب تخصيص في كل واحد من الامور الجزوية
فانه كذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلية المتعلقة بالاجناس الثلاثة ويجتهد في ان تخصيصها الممكن
فانه كلما كان الحكم بالجزوي المتكلم فيه اخص كان انفع واقنع مثاله اذا اردت ان تمدح [illegible] فقلت انه
شجاع لم يستكمل الفضايل اسير بها فهذا وان كان مقنعا الا انك لو خصصت فقلت انه هو [illegible]
العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني يوم كذا لكان ذلك اقنع واليق بالمدح وقد يقع في الخطابة القضايا
المتقابلة والمناقضة بالاقناع نتيجتها ملتزمان في ايجاب كل واحد من النقيضين لقوتك اسلك
الى [illegible] انك [illegible] الفعل الناس وان لذلك الفضل انه لم تقول [illegible] في الحق [illegible] انك
[illegible] وان لذلك اخذك الناس [illegible]

صناعة الخطابة مثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الانسان لانه عين او من باب الى
المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم انه في التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير فلان جيد او من باب
وضع ما ليس بعلة علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه حصل كذا او من باب المصادرة على المطلوب
كما يقال زيد يشرب الخمر فيقال لان اخاه يشرب الخمر واما الذي لا يوقع اقناعا كما يقال فلان لم يذ[illegible]
باخيه لانه زان وهو سكران لم يكن من صناعة الخطابة وبالله التوفيق

البحث السادس

في تحسينات الخطابة الامور المحسنة للخطابة اما ان تتعلق بالالفاظ واما ان تتعلق بالترتيب واما
ان تتعلق بهيئة الخطيب اما الاول فاعلم ان تحسين الالفاظ في الخطابة عظيم النفع وان جزالة اللفظ
جزالة المعنى وركاكة اللفظ يذهب رونق المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون
اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العامية ولا متين مرتفع عن ان يصلح ان يكون للمخاطبة لان الطباع
العامية تنفر عن العبارات العلمية والملحون لان اللحن يهجن الكلام ويرذله وهذه الاعتبارات موجودة
في كلام علي عليه السلام كثيرا الثاني ان يراعي تمام الارتباطات وهي الحروف التي يقتضي ذكرها
ان يذكر كقوله عليه السلام في صفة الملائكة منهم سجود لا يركعون ومنهم ركوع لا يسجدون وكذلك باقي الاقسام فلو لم
يحصل الذكر ربما كان لنقص الكلام وكذلك قوله عليه السلام المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين
اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال اللهم الا ان يكون تكرار معلوما لقوله
عليه السلام في اول من خطبه اما بعد فان هذا الخبر مسبوق بما قبل الا ان الكل لو صرح الى الث
الثالث ان لا يباعد ما بين الروابط بحشو طويل [illegible] السامع الرابع ان يراعي حقه من التقديم والتا
خير فان تاخير الشرط عن المشروط وتقديم [illegible] على [illegible] صحيح وبعض هذه الاحكام قد يختص
ببعض اللغات الخامس ان لا يبين بالنسبة والاستعارة [illegible] الالفاظ المستعملة
خاصة غير مشتركة [illegible] فقد يراد اللفظ توثيق المعنى [illegible] اذا وجدت سنة
كما يجدد للاسلام امر عظيم كذلك يحتمل الحيرة المتوهم [illegible] لا يستحق [illegible]
الاستعانة بالتخييل الحاصل منه على توثيق المعنى فانه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه والالفاظ [illegible]
والمخيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فتكون في الخطابة كالابازير السادس
ان يبني اللفظ الواحد والتثنية والجمع وما يخصها من التصاريف وكذلك التذكير والتانيث في
العلامة [illegible] السابع قد يزين اللفظ بالايجاز اذا اعتمد على فهم السامع من تعقيب
الاقناع [illegible] الحدود والرسوم [illegible] الى اللفظ المفرد وقد يزين بالبسط فيعكس ذلك وقد يبدل اللفظ
المفرد العام لشناعته بقول كما يقال عورة المرأة [illegible] عوض اسمائها الصريحة [illegible]
مثال هذا في الالفاظ في المزاح [illegible] التصريح بالاسماء الصريحة احتشاما وتنزيها [illegible]

عن

عن ذكرها وكذلك يستعمل في الاعتذار كثيرا وحيث يراد التهويل للتخويف في المشوريات الثامن
ان يزين بالفواصل اي يكون ذا مصاريع وتسجيع ووزن ما لا الوزن الحقيقي وذلك كقول علي عليه السلام اما بعد
فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اشرفت باطلاع وقد عرفت المتوازن فان ذلك
اقرب الى ثبات اللفظ في الخيال ثم تلك الفواصل ينبغي ان لا تطول لئلا تنسى الاول ولا تقصر جدا فلا
يحصل به النفس فيعجل الانقطاع من غير استثبات النفس له ثم الفواصل قد يكون [illegible] يسمى المقسم
كما مر في المثال في صفة الملائكة وقد يكون تلك الاقسام متقابلة كقوله عليه السلام اما [illegible] فيعمل فيها
واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ولكل واحدة من الخطابة [illegible] والمكتوبة اسلوب خاص
وكذلك اصنافها واما الثاني وهو الترتيب فاعلم ان الاقاويل الخطابية صدرا ووسطا وخاتمة فالصدر كا
لرسم الذي ينتقش عليه ويعرف السامع منه الغرض اجمالا واما الوسط فقد يكون اقتصاصا لامر واقع فيحكم
بانه حسن او قبيح كما في المنافرة وعدل او جور كما في المشاجرة وقد يقدم على الصدر اقتصاص لامور تستلزم
الشكر والمدح من القائل ويهيئ السامع لذلك كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفة
رسله عليهم السلام وقد يكون في الوسط غير اقتصاص بل دلالة على مصلحة وحث عليها كما في المشورات اوليس
فيها ما يحلى ويشكل ويحمد ويذم وليس فيها منازعة ولها شبه والصدر فيها حسن ليكون المشار عليه
قد وعى الغرض واستعد للقبول وموضع المشاجرة قبيح واما الخاتمة فهي حسنة في المشورات ايضا والذي
يليق بها ان تكون اجزاؤها منفصلة غير مخلوطة بما قبلها وخصوصا في المشوريات ومثاله ان يقول المشير
قد قلت ما عندي من النصيحة والراي ما ترون وكما يقول الخطيب اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم
لي ولكم انه هو الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهي الامور التي تتعلق بهيئة الخطيب
فتخييل معانيها او تخييل اخلاقه واستعدادات لانفعال وانفعالات وهي ذلك ثلاثة والاخذ بالوجوه
وهي اما ان تتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع الخفض او بتزكية نفسه او بكونه على زي
وهيئة وسمت حسن يجذب به القلوب وهذا القسم انما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعف العقول اذ كانوا
بالاستعدادات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك يكثر في اعينهم من كان بزي النساك والمتكلمين
من العبادة والمتنوع الظاهر وان كان جاهلا مرائيا ولما لم يكن غرضنا من العرض بذكر الخطابة هنا الا
الاشارة الى اقسامها الكلية لتبيين معنى الخطابة وما عسى ان يذكر من ان الخطابة التي نحن شارعون
في بيانها من اي اقسام الخطابة هي وليتفطن المطلع على ما ذكرنا بمهمات نبينه من كتب [illegible] اقتصر
على هذا القدر من الايراد واما البسط ففي الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلام علي عليه السلام
المشهورات واما المنافرات والمشاجرات فيها اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء الله
سامعه وبالله التوفيق

خاتمة

واما الخاتمة ففي بيان غايته عليه السلام من الخطابة واعلم انه لما
كان الغرض من وضع الشرائع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب المقدس عن

دار العود بعزكرسم لمعبودهم وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اوما ما الينه وعلم ذلك ان عليا عليه
السلام كان مصنفا للشريعة ومبينا لها وموضحا لمقاصد سنن الرسول عليه السلام ومفرعا لاحكامها اذ كان متو
الممدوح بجامع العلم والمطلع على الاسرار الالهية لم يكن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض
الاول من وضع الشرايع والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية تنقسم بحسب اغراضها
ثلاثة اقسام مشاورة ومنافرة ومشاجرة فاما المشاجرة المشورة فانها الجزو الاكبر في كلامه عليه السلام وانت
تعلم من تصفح كلامه ان فيما يشير به بالقصد الاول فانا مقصوده الاول الحث على التقوى تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها
والاستكمال في الفضايل بترك الرذايل والمنقصات الجاذبة الى الجهة السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه
والاعراض في كلامه اما يحتوي او نهي عن امر حرام لا يليق للعاقلين منه هذا الشرع لمصالح الحرب والعدل
والمدينة وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى نصر الدين وتقويته ونظام امر العالم
وترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفت ان جميع ما ورد في كلامه عليه السلام من الذم انما هو للدنيا واتباع
الهوى وارتكاب الرذايل الموبقة من ارتكبه واشباه ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من المدح
فانما هو تعالى والملائكة ورسله والصالحين من عباده وما هم عليه من الفضايل وترك الهوى والاعراض عن الدنيا
وما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول جذب للخلق بتحقير ما يميل طباعهم اليه من الامور الفانية
وتصغير وزنه والتنفير عنه وذمهم على ارتكابه ليتقهقروا عنه الى ما وراءهم من النعيم الابدي والخير
السرمدي ... ... سبحانه ولا يلتفتوا من المعرضين الهالكين والثاني ايضا جذب
لهم بتعظيم ... ان يلتفتوا اليه وتكثيره ومدحه والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة اليه من العفة والاعراض
عن الدنيا ... واما الامور المشاجرية فان في كلامه عليه السلام منها فاما يتعلق بالمظلوم والجور واسبابها
وما يؤول اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند الله تعالى الموجب للعقاب وما يكون من المبين حسن العاقبة
وجميل المنقلب الى الله لا يشتمل عليه اليوم من كثير الى حمايته ومحاربته والاعتلال ... في جذب الى الله
تعالى بالتدريج ... واما تظلمه من ظالم خروج عن ربقة الدين واتبع معاوية ومن تابعه من اتباعه الجاحدين حقه
بيان ... الموجودة الى ضد ما قصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده من ذلك التظلم والشكاية اتباع الخلق
بانه ... انه اخذ ما لا يستحقه ليتنبهوا اهل الحق ويفيئوا اليه ويكتفوا وهم من غيره بتوهم ان ظنهم على
الحق وربما كان تنبيه ذلك اليوم سببا للجذب به وذلك بالحقيقة يرجع على الحق وجذب عن اتباع ظلم
... في تشتت الامر مقصود الشارع وغايته واما اعتذاره عما تخيله الجاهلون في حقه ظلما وجورا كاعتذاره
عليه السلام عما تخيله جماعة في حقه ظلما من القعود عن طلب الخلافة وما يفرق حين نسبوه الى انه قاتله وتنصله
من ذلك وكذلك اعتذاره فيما تخيله الخوارج مثل الرضى بحكم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار في هذه المواضع
واشباهها جذب الى الحق وصرف عن الباطل اذ كان الاعتذار منه طلب الاقناع من تخيل فيه ظلما بانه
ما خيل اليهم وان ما صدر ليس بظلم ولا جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء فيما يدعو عليه من اتباع الحق والحفظ

للدين والادب عنه ومعلوم ان كل ذلك كله جذب الى الله تعالى والى اسباب ما يوجب الوصول اليه فقد علمت من
هذا الباب ان غاية عليه السلام من جميع اقواله انما هو توجيه الخلق الى جناب الله والتفاتهم الى حضرة القدس
وهذه هي الغاية التي اتفق عليها الانبياء والرسل وتطابقت عليها الشرايع والسنن فاذا تأملت
ما قلناه وتركت المتابعة هواه وطبقت ما اوردناه من القانون الكلي على كلامه علمت صحة ما ادعيناه والله ولي
التوفيق **القاعدة الثالثة** في بيان ان عليا عليه السلام كان مستجمعا للفضايل الانسانية
وفيها فصول **الفصل الاول** في فضايله اللاحقة له من خارج ولنذكر منها وجوها **الاول**
نسبه من رسول الله صلى الله عليه وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد
مناف بن قصي وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا وكان
علي اصغر اولاد ابيه وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن من عقيل بعشر سنين وهي اول امرأة
امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه من النساء وكان صلى الله عليه يكرمها ويدعوها امه واوصت اليه
حين حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ويروى انه نزل لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه
فقال له اصحابه في تخصيصها بذلك فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي
لتكسى من حلل الجنة وانما اضطجعت معها ليأمن من ضغطة القبر **الثاني** سبقه الى الاسلام وفضيلته
في ذلك ظاهرة **الثالث** مجاهدته اعداء الله تعالى ونصرته للدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهورة
لا تكاد تحصى كثرة **الرابع** تخصيص الرسول صلى الله عليه له بتزويجه فاطمة دون غيره
من اكابر المهاجرين والانصار **الخامس** كون الحسن والحسين عليهما السلام اللذين هما سيدا شباب
اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم **السادس** قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا ... منه يصدون
قيل انها نزلت في علي ... ويؤيد ذلك قوله النبي ... اوحاهم
تقول ... في علي ... اليوم ... لا ... لقلت
... وصفته الاباء ...
عليه السلام التي ... **السابع** قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله الاية اتفق المفسرون انها نزلت في علي واهل بيته ... نزول ... مشهور
في كتب التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفا **الثامن** روي انه لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها اذن علي ولا شك ان الرسول عليه السلام كان مجاب الدعوة ولذلك قال علي
... فما نسيت شيئا بعد ذلك وذلك من اعظم الفضايل **التاسع** من طرق النقل قوله عليه السلام
اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه ومن كان الحق وجها قواله وافعاله فلا امر ...
... **العاشر** من طرق النقل قوله عليه السلام انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي ...

الاستثناء وهاهنا يشهد بثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى وما علم نفيه من الاخوة
فبقي كونه وزيرا وناصرا ووفيا ناموس الشريعة ومرجعا لاحكامها الكلية وخليفة له كما كان هرون كذلك
ومن ههنا تمسكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه الخلافة وكفى بهذه فضيلة **الحادي عشر** يوم
النقل قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه وسواء كان المراد هنا بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر فهو المقصود
فاضل **الثاني عشر** قوله عليه السلام في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضاء يحتاج الى انواع العلوم وكفى
بشهادة الرسول عليه السلام له بذلك فضلا **الثالث عشر** قوله عليه السلام اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع
وكفى بهذه الشهادة فضلا **الرابع عشر** من طرق الشيعة انه خوطب بامرة المؤمنين في حيوة النبي عليه السلام
ونقل المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتاب في فضائل الصحابة وكذلك ابو نعيم الحافظ في كتاب
حلية الاولياء ان رسول الله صلى الله عليه خاطبه بيعسوب المؤمنين واليعسوب امير النحل ودال ذلك اشارة
الى فضل **الخامس عشر** تربية رسول الله صلى الله عليه له من اول عمره الى ان اعتلى لاعلى مراتب الكمالات النفسانية
قال عليه السلام في تربية النبي صلى الله عليه له وانا عند ابي في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم موضعي من
رسول الله صلى الله عليه بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني
في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل
ولقد قرن الله به صلى الله عليه من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق
العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء
به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله
صلى الله عليه وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل
الوحي عليه صلى الله عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك
تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير الى اخر الكلام حتى صار بحيث
انه استاذ العالم بعده صلى الله عليه في جميع العلوم وبيان ذلك اما جملة فلقول النبي صلى الله عليه
انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود انه صلى الله عليه هو المنبع الذي يفيض عنه العلوم والاسرار
الحكمية التي اشتمل عليها القران الحكيم والسنة النبوية وهو مصدرها

فلانا بحثنا الكلام باسره فوجدنا اعظمها واسهلها هو العلم الالهي وقد ورد في خطبه عليه السلام من اسرار التوحيد
والنبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد ما لم يات في كلام احد من اكابر العلماء واساطين
الحكمة ثم وجدنا جميع فرق الاسلام تنتهي في علومهم اليه اما المتكلمون فاما معتزلة وانتسابهم اليه ظاهر فان اكثر

اصولهم

فانها ماخوذة من كلامه وكلامه في التوحيد والعدل وايضا فانهم ينتسبون الى مشايخهم كالحسن البصري وواصل
ابن عطاء وهما ينتسبون الى علي عليه السلام ويتلقفون عنه العلوم واما الاشعرية فمعلوم ان استاذهم ابو الحسن
الاشعري وكان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من مشايخ المعتزلة الا انه عدل لما رآه عن المعتزلة فخالف استاذه
في فروع قليلة من مذهبه واما الشيعة فانتسابهم اليه ظاهر فانهم يتلقفون العلوم عن ائمتهم والائمة ياخذ
بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه وهو امامهم الاول واما الخوارج فانهم وان كانوا في غاية البعد عنه الا انهم
ينتسبون الى مشايخهم وقد كانوا تلامذة علي واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه وكان تلميذا لعلي
واما الفقهاء فمذاهبهم المشهورة اربعة احدها مذهب ابي حنيفة رحمه ومن المشهور ان ابا حنيفة قرأ
على الصادق عليه السلام واخذ عنه الاحكام فانتساب الصادق الى علي ظاهر الثاني مذهب مالك وقد
كان مالك تلميذا لربيعة الراي وربيعة تلميذ عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس وكان تلميذا لعلي
الثالث مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا لمالك الرابع مذهب احمد بن حنبل وقد كان
احمد تلميذ الشافعي فرجع انتساب فقه الجميع الى علي عليه السلام ومما يوكد كماله في الفقه قول الرسول عليه السلام
اقضاكم علي والاقضى لا بد وان يكون افقه واعلم بقواعد الفقه واصوله واما الفصحاء فمعلوم ان جميع من
ينتسب الى الفصاحة بعده يلوذون بعبارته اذ كانوا ينتهبون من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون منها بمنزلة
درر العقود كابن نباتة وغيره والاسوة بذلك ظاهر واما النحويون فاول واضع للنحو هو ابو الاسود الدؤلي
وكان ذلك بارشاده له عليه السلام الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود سمع رجلا يقرا ان الله بري من المشركين
ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من نقصان الايمان بعد زيادته ثم
راجع عليا عليه السلام في ذلك فقال له تحرزت ان اضع للناس شيئا يقومون به السنتهم فقال له عليه السلام
انح نحوه وارشده الى كيفية ذلك الوضع وعلمه اياه واما علماء الصوفية وارباب العرفان فنسبتهم اليه في تصفية
الباطن وكيفية السلوك الى الله تعالى ظاهرة لا تنكر واما علماء الشجاعة والممارسون للاسلحة والحروب فهم ايضا
ينتسبون اليه في علم ذلك فثبت بذلك انه كان استاذ الخلائق وهاديهم الى طريق الحق بعد رسول الله صلى الله عليه
ومناقبه وفضائله اكثر من ان تحصر وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في بيان فضائله التي
هي اما ان تعتبر بالنسبة الى قوته النظرية او الى قوته العملية فلنرسم فيه بحثين **البحث الاول** في انه
عليه السلام كان مستجمعا لكمال قوته النظرية وقد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال النفس الانسانية
تصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية ولا شك ان هذه الدرجة كانت
ثابتة له عليه السلام وبيان ذلك بيان انه عليه السلام كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وانه كان
مستجمعا لدرجة الوصول وتحقيق ذلك انه قد ثبت في علم كيفية السلوك ان الوصول للعارف انما يحق اذا غاب عن
نفسه فلحظ جناب الحق من حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي بزينتها

بوجه الحق ثم الحق وجنبه الا انه وليس انا نعالي فهيشا لم حصر في هذه المنبه لم يجعله كل منها مقام ثلاثة **الاول**
قوله عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا اقول يريد ان علمه بلغ الى ان الكمالات العقلية المتعلقة
بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل ووثقه بحيث لم يحصل الوصول التام الذي ليس في قوة الايمان بعد له
الثاني قوله عليه السلام حكاية عن رسول الله صلى الله عليه في حقه الله اتبع ما اتبع وبقي في امر [illegible]
لست بشيء ولا اشكال ان النبي صلى الله عليه كان له الاتصال التام بالحق تعالى وكان هذا الاتصال والوصول
حاصلا لعلي يقتضي شهادته الوصول وان كان التفاوت بين المرتبتين في كمال الاتصال بالحق بالنبي
درجات لا تتناهى ولذلك قال لا انك لست بنبي ويستعلم من تفاصيل الائمة عند الانتهاء اليه تحقيق [illegible]
المرتبة له **الثالث** قوله عليه السلام الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في ثوابك ولكن وجدتك
اهلا للعبادة فعبدتك وجه الاستدلال انه صرف قيد دنياوي واخروي عن ذكره الاعلى الا بكيف
الحق تعالى وذلك بما يحقق له الوصول ومما يؤكد ذلك انا سنبين ان شاء الله تعالى في كونه عليه السلام من المدا
يات حصول القدرة وذلك من خواص الواصلين **البحث الثاني** في بيان كمال قوته العملية وتحقيقه
ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال القوة العملية انما هو باستكمال الحكمة العملية
وهي استكمال النفس بكمال الملكة التامة على الافعال الفاضلة حتى يكون الانسان ثابتا على الصراط
المستقيم مجتنبا لطرفي الافراط والتفريط في جميع افعاله ثم قد ثبت في علم الاخلاق ان اصول الفضائل
الخلقية ثلاثة احدها الحكمة الخلقية وهي الملكة التي يصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجربزة والغباوة
اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفح افعاله واقواله وبدايعه في امر الحرب وحسن نظام امور
سلطانه بما نصطنع الى الحكم بانه كان مستولي على هذه الفضيلة وعن واقف دونها في حقيقة البحث و[illegible]
بها الى الموضع الجديد [illegible] ان البحث المحمود منه عن الترقي الى درجة الكمال وثانيها [illegible]
العفة وهي الملكة الحاصلة عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون
[illegible] الافعال المتوسطة بين الخير والشر واللذين هما طرفا الافراط والتفريط وقد تبين
ان هذه الملكة كانت ثابتة له عليه السلام من وجهين الاول انه كان ازهد الخلق في الدنيا لقد [illegible] عليه السلام
وهذا هو العمل الحقيقي واقدر على حذف الشواغل الملهية عن لقاء الله وكل من كان كذلك كان مالكا لهواه
[illegible] بعقله اما المقدمة الاولى فمعلومة بالتواتر واما الثانية فضرورية ايضا انه لو توسل النبي
صلى الله عليه السلام ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه عليه السلام ومن كان الحق [illegible]
ولقد كانه استحال ان يلزمهما باطل لان الامر الواحد لا يلزمه الا ان ان محتملان فاستحال ان يكون [illegible]
البته ونفوذهي العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة له ما روي انه عليه ما شبع من طعام قط وانه كان من اخشن
الناس ما كلا وملبسا يقتنع بقرص الشعير ولا يأكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقابر

العجوان وتقصد بذلك التشبه عنه وقل ذهب زهادة في الاشياء الا انها وثالثها الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس
وقلة من اعتدال القوة الغضبية بحسب تصرف العقل فيما يضبطها وبما يقصد من الافعال المحمودة لتسلم من افعال
الجبن والتهور وثبوت هذه الفضيلة له عليه السلام معلوم بالتواتر حتى صارت شجاعته يضرب بها المثل بالفعل
[illegible] الى حمل الشجاع واذا عرفت ان هذه الملكات الثلث ثابتة له كانت ما يلزم ثبوت امهات تلازم لفضيلة
العدالة ونعلم ان فضيلة العدالة ثابتة له واما باقي اقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمنزلية فقد علمت
[illegible] ان يعلم الانسان في صلاح المشاركة التي ينبغي ان يكون بين اشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان
وبقاء مصالح المنزل والمدينة وقد كان عليه السلام في ذلك بسياق غايات وصاحب آيات يكفيك في معرفة
[illegible] على سبيل الجملة ان الشريعة المصطفوية صلوات الله وسلامه على شارعها وارده في مقاصد [illegible]
المحكمين على اتم الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في تعليمها ومعلوم ان عليا عليه السلام كان متمسكا
بها ومقررا لها وحاميا لا حكامها الكلية ومفصلا لاشاراتها الجلية لم يغير منها حرفا ولم يقف فيها دون غاية
[illegible] فتيتعلم شيئا منها الا على اكمل وجه واتمه واما على سبيل التفصيل فعليك في معرفة انه كان اكمل الخلق
بعد رسول الله صلى الله عليه في هذا العلم بمطالعة كتبه وعهوده الى عماله وولاته وسراياه وقضاته حفظوه العهد الذي
كتبه للاشتر النخعي فان فيه من لطايف تدبير امر المدينة ونظام احوال الخلق ما لا يهتدي لحسنه الا [illegible]
ولما برز في هذا الباب هو انه ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة المعترف بحسن تدبيرهم واراتهم الى
[illegible] في امورهم وتعرف كيفية تدبير المعاد والجزوف والمصالح الكلية والجزئية منه في مواضع كثيرة
نقلها في هذا الكتاب وغيره كرجوع عمر رضي الله عنه الى رايه في الخروج مع الجيش الى غزو الروم وغزو ايران
مما يشهد بما ذكرناه وما اشار عليهم به من الاراء الحكمية بحسن التدبير ولا يليق بنظام الجند كان
[illegible] **الفصل الثاني** في صدور الكرامات عنه وفيه مباحث
الملائمة [illegible] شاء الله تعالى **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان ذلك او في سببه او في وقوعه
المقام الاول في امكانه يجب عليك ايها الاخ المتلقي لكلمات ابيه
[illegible] تلك منامات [illegible] سيكون بسببه او [illegible] لا ينفي
اذا ذكر ان خليفة من خلفاء الله او وليا من اوليائه اخبر عن امر سيكون فاياك ان تبادر الى التكذيب فان ذلك وتستكره فانك تجد مراجعة
بدل ذلك وايت فاصاب ان لا تبادر الى التكذيب [illegible]
عقلك وتصفحك لاحوال نفسك تجد كل ذلك ممكنا واليه تنبيه بيان ذلك ان معرفة الامور الغيبية
في النوم ممكنة فوجب ان يكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه [illegible]
ويقع بعينه اما صريح تلك الرؤيا او تعبيرها وذلك يوضح ما قلناه اما في حق الراي وظاهر واما في من لم يرزق
ذلك في حال النوم فانه يعلم بالتواتر من اكثر الخلق واما الثاني فلان ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم
باستناعه حال اليقظة فان الناس لم يجربوا ذلك في حال النوم لكانوا استبعدوه لعدم تلك الحالة

اشد من استيعاذهم لو توعدوا في حال اليقظة فانه عند عدم التجربة لو قيل للانسان ان جماعة الاولياء اجتهدوا
في تلويح سكرانهم الصافية حال نامهم اتياظهم في تخيل حكم غيبي فعجزوا ثم انه وا حدا من الكفاد لما نام وصار
كانه حصل له ذلك الحكم فلابدوان يكون بذلك ويستنكره لعدم حصوله مع كمال الجهد وسلامة الحواس
عن الغلط في حال الـ ... وحصوله مع اضداد ذلك فقد بان بذلك انه لما كان في حال النوم حكماً كان
في حال اليقظة كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور الغيبية فاما الحاصل
انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور التي يصدق عليها انها كانت او ستكون معلومة
لله تعالى وبرهان النفس الانسانية من شانها الاتصال بجناب الله تعالى لولا انها تعوقها عن ذلك
استغراقها في تدبير البدن فاذا حصل لها ادني فراغ من ذلك كما في حال النوم والغفلة عنها ابواب الحواس
الظاهرة رجعت بطباعها الى الاتصال بالجناب المقدس فتنطبع فيها من الصور الحاصلة هنالك ما ملو
التي هي من احوالها واحوال ما تقرب منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طباعها
المعاني الكلية الحاصلة للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحيلها الى لوح الخيال الحافظ
للصورة ... الصورة عن الحس المشترك ثم ان كانت تلك الصور بين المناسبة لتلك
المعاني ... لا افتراق بينهما الا في الكلية والجزئية كانت الرؤيا غنية عن التعبير وان كانت المنا
... من جهة ما كما اذا تصور المعنى بصورة ضده او لازم من لوازمه احتيج حينئذ الى التعبير
... التعبير التحليل ورجوع الفكر بالعكس من الصورة الخيالية الى المعنى النفساني وان لم يكن
هناك مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة فالسبب في ذلك فهو ان
النفس الناطقة متى قويت وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير
البدن عائقا لها عن ملاحظة مباديها والاتصال بالحضرة الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على
استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت
الى الجناب المقدس لاستعلام ما كان او ما سيكون انطبعت فيها الصور الكلية لتلك الامور المحسوسة
ثم تحطها الى خزانة الخيال فتصير مشاهدة للحس وربما سمع الانسان كلاما منظوما وشاهد منظرا
يشافهها بكلام فيما يخبر من احواله فانه كان لا تفاوت بين تلك المعاني والصور الا في الكلية والجزئية
كانت وحيا صريحا والهاما والا احتاج الى التاويل **واما المقام الثالث** وهو مقصود الكتاب
الامور الغيبية عند تستعملها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى لا ينبغي ان
يكون علم الغيب الله اياه واخاصة عليه بل الرسول عليه السلام اخبر بوقايع جزئية من ذلك وحينئذ
يثبت من غيره توقف في هذا المعنى فان الواحد ... الرسول عليه السلام ... لكان ذا ان
ما قال الله تعالى له وان وقع المخبر به على وفق قوله ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال المفض

اصي به في دقيقة المقام لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا
كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وجميل وقبيح وشقي وسعيد
ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى
ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري ويضطم عليه جوانحي وهذا التصريح
بانه تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينافي ما قلناه ... انه عليه السلام كان يعلم الغيب بل المدعي
انه كان لنفسه القدسية استعداد بان تنتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله وفرق بين علم الغيب
الذي لا يعلمه الا الله وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا من سبب
يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تعالى اذ كل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة
او بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي لا يتأهل للاطلاع عليه كل الناس
بل يختص بنفوس خصت بعناية الهية كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول واذا عرفت ذلك ظهر ان كلامه عليه السلام صادق مطابق لما اردناه فانه نفي ان يكون ما
قاله علم غيب انه مستفاد من جود الله تعالى وقوله انما هو تعلم من ذي علم اشارة الى واسطة تعليم الرسول
له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده الى كيفية السلوك واسباب التطويع والرياضة
حتى استعد للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم وان كان امرا
قد يلزمه ايجاد العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلى الله عليه له لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية
بل اعداد نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول عليه السلام صورا جزئية
لم يحتج الى مثل دعائه في فهمه لها فان فهم الصور الجزئية امر سهل في حق من له ادنى فهم وانما
يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان له ما يوقع الاعداد من الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية
انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومما يؤيد ذلك قوله عليه
السلام علمني رسول الله الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب وقول الرسول صلى
الله عليه اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم والمراد بالانفتاح ليس الا التفريع والتشعب
القوانين الكلية عن ما هو علم منها وبجوامع العلم ليس الا ضوابطه وقوانينه وفي قوله واعطي ... المفعول ...
دليل ظاهر على ان المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك هو الذي
اعطى النبي جوامع الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى واما الامور التي عددها سبحانه فهي من الامور الغيبية
التي لا يعلمها احد الا الله كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو يحتمل للتخصيص
كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج الى العقل

في استهدائه الى كلمة وسيجيء في آخر الشرح ما يؤيد ذلك وصدق ان شاء الله تعالى **البحث الثاني**
في بيان صدور الافعال الخارقة عنه والمطالب اما في امكانها ودلالتها او في سببه او في تفسير وقوعه منه
المقام الاول في امكانه واسبابه كما اخبر على من اهله الله سبحانه لاستغراق انواع او اسمع ان وليا
من الاولياء انه تعبل ليس في وسع غيره من ابناء نوعه الانسان بمثله كالامساك عن الطعام المدة التي لا يبقى الحي
ليس في وسع ابناء نوعه وكالتحريك او الحركة الخارجة عن وسع مثله وكما يشاهد من طوايا باسه
تقع باستدعايه وزلازل واستنزال العقوبات وخسف بقوم حق عليهم القول او استشفاء المرضى
واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها كما انه لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار
تجد تلك امورا ممكنة في الطبيعة اما الامساك عن القوت فلان [illegible] وجوه [illegible]
عوارض غريبة لنا اما بدنية كالامراض الحادة واما نفسانية كالخوف [illegible] وسبب الامساك في حالة
المرض اما في الامراض البدنية فان القوى الطبيعية تشتغل بهضم المواد الردية عن تحريك المواد المحمودة [illegible]
فتجد المواد المحمودة حينئذ محفوظة قليلة التحلل غنية عن طلب البدل فربما تحللت [illegible] انقطع الغذاء [illegible]
بعض صاحبها [illegible] لو انقطع مثله عنه في غير حالته تلك عشر تلك المدة هلك ومع ذلك [illegible]
واما النفسانية فانه قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز عن [illegible]
الافعال الطبيعية التي كان يتمكن منها قبل الخوف لتوقف القوى الطبيعية عن [illegible]
اشتغال النفس بما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن واذا عرفت امكان ذلك بسبب [illegible]
الغريبة فاعلم ان سببه [illegible] تحققه في حق العارف هو توجه نفسه بالكلية الى عالم القدس المستتبع [illegible]
[illegible] القوى البدنية لها وذلك ان النفس المطمئنة اذا راضت القوى البدنية انجذبت القوى [illegible]
في مهماتها التي تنزع اليها واشتداد ذلك الانجذاب بشدة الجذب فاذا اشتد الاشتغال [illegible]
[illegible] عنها [illegible] الافعال الطبيعية المتعلقة بالقوى النباتية فلم يكن من التحليل [illegible]
في حال المرض لاختصاص المرض [illegible] بما يقتضي الاحتياج الى الغذاء بتحليل رطوبات [illegible]
عروض الحرارات الغريزية [illegible] سوء المزاج الحار لان الغذاء انما يكون لسد بدل ما يتحلل [illegible]
وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون بحسب كثرة التحليل كقصور القوى الهضمية بسبب المرض [illegible]
واما الحاجة الى حفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى اذ كانت مادة الحرارة الغريزية [illegible]
الاركان التي لا تقوم تلك القوى الا معه وشدة الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما [illegible]
واما العارف فانه مختص بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى
البدنية عن افعالها حال تبعيتها للنفس وانجذابها خلفها حال توجهها الى الجناب المقدس
وتطهيرها بلذة معارفة الحق واليه الاشارة بقوله عليه السلام لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يط[عمني]

ويستغني

[illegible] واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض ان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان [illegible]
الاقتضاء لذلك واما القدرة على الحركة التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انك علمت ان
مبدأ القوى البدنية هو الروح الحيواني فالعوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة تقتضي انقباض الروح
وحركته الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها وتارة تقتضي حركته الى خارج
كالغضب [illegible] انبساطا معتدلا كالفرح المطرب المعتدل وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها واذا عرفت
ذلك فاعلم انه كما كان فرح العارف ببهجة الحق اتم واعظم من فرح من عداه بما عداها وكانت الدواعي التي
تغشاه [illegible] وحمية ربانية اعظم مما يعرض لغيره لاجرم كان اقتداره على حركة غير مقدور
لغيره امكن واما السبب في الامور الباقية فهو انه قد تبين في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن
ليس تعلق انطباع فيه انما هو على وجه التدبير له مع تجردها ثم ان الهيئات النفسانية قد تكون
مبادي لحدوث الحوادث وبيانه اما اولا فلانك تشاهد ان الماشي على جذع ممدود على الارض [illegible]
[illegible] ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشي عليه راجفا متزلزلا فاما
[illegible] الامزجة فتتغير بتغير العوارض النفسانية كثيرا كالغضب والخوف والحزن والفرح وغيره
[illegible] واما ثانيا فلان نوم المرض والصحة قد توجب ذلك [illegible] ضروري اذا عرفت
ذلك [illegible] انه لما كانت الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عن هذه الاحوال النفسانية [illegible]
[illegible] النفوس فاضلة اصلا تمكن من التصرف في عنصر هذا العالم بحيث يكون نسبتها الى كليته
[illegible] الى ابدانها فيكون لها حينئذ تأثير في اعداد المواد العنصرية لان تفاض عليها صور
[illegible] التي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمت الى ذلك الرياضات فانكسرت سورة الشهوة والغضب
[illegible] القوى العاقلة ولا شك انها حينئذ تكون اقوى على تلك الافعال [illegible]
[illegible] المزاج الاصلي او بحسب مزاج طارئ غير مكتسب او بحسب الكسب والاجتهاد في الرياضة [illegible]
[illegible] بحسب المزاج الاصلي فهذه المعجزات من الانبياء والكرامات من الاولياء [illegible]
[illegible] بلغت الغاية في ذلك الكمال وقد غلبت على مزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرق
[illegible] للامور الخبيثة ولا يزكي نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشروط
النبوة ان يكون المختص مأمورا من السماء باصلاح النوع ثم من لواحق [illegible] امور **الاول** ان تكون
[illegible] قوى [illegible] القدسية الشريفة البالغة وشدة الاتصال
[illegible] **الثاني** ان يكون هيولى العالم طوعا له [illegible] الامور العجيبة الخارقة للعادة كالخسف
[illegible] والتسكينات **الثالث** ان يتمكن من الاخبار عن المغيبات والامور الجزئية الواقعة
في الماضي او في المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تمييز درجة الانبياء عن غيرهم ولا شك ان افضلهم

٤٠

[illegible] وكذلك اصحاب القرآن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المقام الثاني [illegible]

[illegible] النقل وقد نقل [illegible]

[illegible] المنقول عنه [illegible]

[illegible] تعجز البلغاء عن [illegible]

[illegible] وكان جمهور [illegible] الى مكانه [illegible]

[illegible] القوم فلما اخترام الله وضعت الناس [illegible]

[illegible] لقد حملت يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال [illegible]

[illegible] يصدر عن قوة بدنية والا لقدر على ذلك [illegible]

[illegible] حينئذ بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة [illegible]

[illegible] القدر ويكفينا في بيان فضايله عليه السلام [illegible]

[illegible] معجزات الانبياء وكرامات الاولياء [illegible]

[illegible] ووضع المعايب [illegible]

[illegible] النبي باسمه احد ملوك [illegible]

[illegible] عليه السلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المطالب [illegible] الشريف الرضي رضي الله عنه [illegible]

[illegible] اما نسبه فهو السيد الشريف رضي الدين [illegible]

[illegible] احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي

بن ابي طالب عليه السلام وصنف [illegible] الحسين [illegible]

[illegible] بالعلم والادب وكان مولده ببغداد سنة [illegible]

[illegible] واربعمائة [illegible] من بغداد ودفن مع [illegible] الحسين عليه السلام

قال

قال السيد [illegible] رضي الله عنه [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم خطبة الكتاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يشتمل على محاسن [illegible]

[illegible] تمام الكلام [illegible]

[illegible] مجامع [illegible]

[illegible] في احكم فضل [illegible] ما نقل

[illegible] دون الخطب الطويلة والكتب

[illegible] الفصل المقدم ذكره مُعجَبين

[illegible] كتاب يحتوي على مختار كلام

[illegible] من خطب وكتب ومواعظ وادب

[illegible] جواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية

[illegible] امير المؤمنين عليه السلام [illegible]

[illegible] عنه اخذت قوانينها

[illegible] سبق وقصروا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] جميع [illegible] القليل النادر والشاذ [illegible]

[illegible] ان يسوغ لي [illegible]

[illegible] عليه السلام [illegible] الفرزدق اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير [illegible]

[illegible] ثلاثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل [illegible]

[illegible] فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن

الكتب ثم محاسن الحكم والادب [illegible] بابا و [illegible] فيه اوراقا لتكون //

سنداك ما عشناه بيننا عاجلا ويقع الي آجلا واذا جاء شي من كلامه عليه السلام الخارج في اثناء حوار او جواب كتاب او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الي اليق الابواب به واشدها ملامحة لغرضه وربما جاء في اختياره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لاني اورد النكت واللمع ولا اقصد التالي والنسق ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وامن المشاركة فيها ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر اذا تامله المتامل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في انه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت او انقطع في سفح جبل لا يسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الابطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الاضداد والف بين الاشتات وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها وربما جاء في اثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعا غير وضعه الاول اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن عبارة فتقتضي الحال ان يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقائل الكلام وربما بعد العهد ايضا بما اختير اولا فاعيد بعضه سهوا او نسيانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعي مع ذلك اني احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عني فوق الواقع الي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله ورايت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة واتنجز التسديد والمعونة واستعيذه من خطا الجنان قبل خطا اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل

اقول اما حرف يبتدا به الكلام المتضمن لمعنى الشرط او التفصيل وتصدر به الجمل فتختص معه كل واحدة بحكم ليس للاخرى وقوله اما بعد حمد الله هو الجزء الثاني من الكلام مع الجزء الاول قبل الشروع في المطلوب فالجزء ... واما بعد حمد الله فاني ... واما حذف الجزء الاول فاقتصار الكلام وايجازا لما استمر ذلك الحذف وحسن استعماله في الخطابات الخطابية وغيرها

حتى صار اظهار المحذوف مستهجنا بعد ما يستحسن الحذف وقال سيبويه انه مع الجملة التي يدخل عليها في قوة شرطي متصل فقال اذا قلت اما زيد فمنطلق فكانك قلت مهما يكن من شي فزيد منطلق وبنبه على ذلك بلزوم الفاء لجوابها وجعل فيها الكلام فيها مشتملا على جملتين شرطا وجزاء والمذكور هنا ليس الا الجملة الجزائية واما الشرط فمحذوف للاقتصار وهذا المحذوف تنوب عنه اما في باب الاقتضاب اودعوا وتم مناب الجواب وانما زحلقت الفاء عن موضعها وقدم المبتدا الي الخبر لئلا يقع في صدر الكلام مع ان حقها التوسط اما بين جزئين او جملتين وقوله بعد ظرف يقتضي متعلقا واما قولي بعد حمد الله فهو كذا وكذا والحمد لفظ مشكل يصدق على معنى الشكر الذي هو الاعتراف بالنعم المتقدمة والثناء والتعظيم لذلك بين الشكر وعلى هذا الثناء المطلق ابتداء وهو اخص من المدح لاختصاص اطلاقه بذي العقلا دون غيرهم اذ يقال مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاد الملجا والوسيل جمع وسيلة وهي كل ما تقرب به الي الله تعالى الي اولي غيره والصلوة لفظ مشترك بين معاني وهو من اسفل الرحمة والنبي ماخوذ اما من النبوة او النباوة وهي الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق ويسمى النبي فيكون اصله غير الهمز واما من النبا وهو الخبر لانه يخبر عن الله تعالى والائمة الجماعة والمنتجب المستخلص والمصطفى والسلالة التي ما استل منه واستخرج والنطفة سلالة الانسان ومنه السليل الولد والمجد في الاصل الكرم والمجيد الكريم وكذلك الماجد واعرق الرجل اذا صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم واصل العصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اي مانع الاذى عنهم وحمايتهم منه والانام علم الطريق وهو لفظ مفرد واصل الفه الواو وقد يستعمل جمعا لمنار ما اراد الرضي ههنا ولذلك استحقه وهو الجمع على غير قانون قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك كان الجمع الاصلي لمنارة منائر ... الجوهري ومن قال مناير وهمز فقد شبه الاصلي بالزائد والمثاقيل جمع مثقال وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون حد المقدار كثر استعماله حتى عدي الي الموزون ايضا فيقال مثقال مسك ونحوه ثم عدي الي الامور المعقولة والمقادير مها فقيل مثقال فضل وهذا الذي اراد لذلك اي بدله ومقابله وكذلك المكافاة والكفء ايضا كافات فلانا بالي اذا قابلته به وجزيته عليه والآء التي بالمد والقصر مثله ونظيره وهو النعم بالتخفيف سقط وما اشبهه بدا اذا قال الغيب وعنفوان الشباب والسن اوله والغض الطري وغضاضة الغض طراوته ولينه وحدا في على الامر اي بعثني وحملني عليه وهو ماخوذ من حدا الابل وهو زجرها والفصاحة الباعث لها على السير والحاصل لها على السرعة فيه والخصايص جمع خصيصة فعيلة بمعنى فاعلة وهو ما يختص بالانسان من حال وغيره والتي شرافات جميع الي جزء وهي المهافه

 من الطرفين كان الايام تمانعه عن العمل وهو يدافعها بمعنى الماطلات جمع مماطلة مفاعلة ايضا من
الطرفين كان الزمان لاشتغاله لدعن اتمام الكتاب يخدعه ويعده بانجاز العمل فيه فيخلف وكانه هو كذلك
امله بعد الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف ومتعجبين مكثرين تعجب غيرهم والبدايع جمع بديعة
فعيلة بمعنى مفعوله وهي الفعل على غير مثال ثم صارت تستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مثاله
في حسنه فكانه لكمال حسنه لم يسبق اليه والتعجب قولك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع
جمع ناصعة والناصع من كل شيء خالصه ونصع الامر وضح وبان ومتعجبين منصوبان على الحال وفنون
الكلام انواعه واساليبه المختلفة وعلما منصوب على المفعول له او على انه مصدر سد مسد الحال اي
عالمين والعامل فيه قوله سالوني والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف منها احكام جزئيات
المطابقة لها ولفظه معرب سرياني وقيل انه عربي ماخوذ لكونه ثابتا باقيا اما من القن وهو العبد
الذي ملك هو وابواه فهو ثابت في الملك من جهتين او من القنقن وهو الدليل الهادي والبصير بالماء
في حفر القني وكذلك القناقن بضم القاف لكون القانون هاديا في تعرف جزئياته ويقال على
فلان مسحة من جمال اي اثر وعلامة وهو خاص بالمدح قال رسول الله صلى الله عليه في جرير بن عبد الله
البجلي عليه مسحة من ملك اي اثر ذلك وقال ذو الرمة على وجه مي مسحة من ملاحة
وتحت الثياب الشين لو كان باديا وعبق به الطيب اي لزق به وانتشرت عنه رائحته والعبق
خاص العبق بالتجويب والاثر الكلبي وكذلك المحجة والاثار ما يبقى من رسم الشي وسنن الرسول
صلى الله عليه وآله ويوثر عنهم بنقل عنهم من الاثار واما الاثار المفرد الذي لا يصحب اشكاله وشرد البعير
نفر عن الابل وخرج عن نظامها والمساجلة المغالبة والمفاخرة في سقي او جري واصله من التساجل
وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ما قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل ماجدا
يملا الدلو الى عقد الكرب وحفل القوم واحتفلوا اي اجتمعوا والمحافل مفاعلة من الطرفين للاعلى
وقوله انا قصل اي ليس في الكلام غير محمع للفضايل تقابله كلامه وقطب الرحى المسمار الذي
عليه يدور استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع فقيل قطب القوم لسيدهم لكونه عليه مدار امورهم
وقطب الفلك لما هي محور وهو الخط الذي يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا في الجهتين الى طرفيه
وعليه يدور واقسام الكلام التي يدخل اجزاؤه تحتها ويدور عليها والخطبة اعم من الوعظ والوعظ التخويف
ويختص في العرف بالتذكير بايام الله وامر الاخرة وعذاب النار ونحوه والرسالة اعم من الكتاب لجواز
ان تكون بالقول دون كونها مكتوبة والصنف في اللغة والنوع واحد وان كان بينهما في عرفهم فرق
والاجماع تصميم العزم على الامر وخلوصه من التردد واشتاتها متفرقه وهو جمع شتى بكسر الشين
حكون النون تقول الا انه كتابي اي في طبه والمراد الخطب والاجوبة والمحاورات
والمحاذبة والترداد في الكلام بقال كلمته فلم يحر جوابا والانحا جمع نحو وهو القصد وقواعد

البيت

البيت الاحجار التي يوسس عليها بناؤه قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقواعد
الهودج اخشابه الاربع المعترضات في اسفله ثم عدي الى كل اصل يبنى عليه من كلام او غيره والملامحة
المشابهة من قولهم فلان ملامح من ابيه اي مشابه واصله من لمح البصر وهو النظر الخفيف السريع الذي
يدرك به الشي فيعلم منه شيء وهو موضع اللمح والمشابهة محال اللمح والالف اشتقت منها الملامحة والمتشق
المتصل بعضه ببعض واصل المنتشق فادغمت النون في التاء بعد قلبها تاء والنكت جمع نكتة
وهي الاشياء التي يتميز بها بعض اجزائه عن بعض ويوجب له الالتفات والتفات الذهن اليه
كالنقطة في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بداها الارطاب ثم عدي الى
الكلام والامور المعقولة التي تختص بعضها بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فيسمى ذلك البعض
نكتة واللمع جمع لمعة وهي البقعة من الكلاء وكذلك الجماعة من الناس واصله من اللمعان وهو الاضاءة
والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلاء كانها تضي بخضرتها ونضارتها دون ساير البقاع وعدي ذلك
الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة الاذهان به ولتميزه عن ساير الكلام فكانه في نفسه ذو ضياء ونور واعتز
الشي قطوع بابه المانع للجزم بما يحصل في الشكوك فيه وقبع القنفذ قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه
في جلده وكذلك الرجل اذا ادخل راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ ولسد البيت اسفل شقه
البيت التي تلي الارض من حيث يليك جانبه عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل
سطوحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد يقال بالصاد ايضا ويوقن بعلم يقينا وانما
صارت ايقن الذي هي الاصل والتغميض فيلها والتغلغل في الامر دخل فيه بكليته واصله من الدخول
الماء ونحوه من الالتقات والمرت سيفه جرده من غمده وقط الشي قطعه عرضا وقده شقه وقطعه
طولا والبطل الشجاع وحدله القاه على الجدالة وهي الارض ونطف ينطف بضم الطاء في المستقبل نطفا
اي سال والمهج جمع مهجة وهي الدم وقيل هي دم القلب خاصة والمهجة الروح ايضا وهنا وضحايا
منصوبان على التمييز والابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم اذا مات واحد بدل الله مكانه باخر
قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل ايضا والعبد الاسم من الاعتبار وهو انتقال الذهن من
امر الى امر والظهير المعين والاستظهار بالشي الاستعانة به في الحفظ وبالشي الاستعانة به وعلى
الشي الاستعانة لدفعه والغيرة بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا
ورجل غيور وامراة غيور ايضا اذا كانا كثيري الغيرة والغيرة الم نفساني يعرض لذي الحق عن
تخيل مشاركة غير المستحق لذلك الحق له فيه والعقايل جمع عقيلة وعقيلة كل شي اكرمه واحسنه
والاقطار جمع قطر وهي الناحية والجانب وند البعير يند ندا وندودا انفرد وشرد والرين بالمد الراء
ويسكونها الحاجل فيه غيري كثيرا ويشبه الختم الواصل من الغي بالقلب وفي الحديث من

فاذن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد والبلاغ الاسم
من التبليغ و البلوغ اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى
من البغي والبلال بكسر الباء الندى والقطرة يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة الغليل العطش الشديد
وحرارة الجوف وغيره صفاته وازالته يا نيوض الندى وجلاء القلب والنفس ازالة ما يعرض لهما من
كدر الشبهة والجهل ونحو ذلك الاعوذ الاعانة وفعله والاستعاذة طلب العوذ ومنه الالتجا
كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان الخطاء في القول وزلة القدم صرف الطريق
والانحراف عنه او عدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المعنى فنقول
قوله اما بعد حمد الله الى قوله ونبادرة احسانه اعلم ان حمد الله تعالى سوا كان عبارة عن الثناء المطلق
او الشكر المسلتزم لتقدم النعمة والاعتراف والتعظيم بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس
الا الله سبحانه وتعالى ومع ذلك فهو من اجل العبادات لمقاصد اما الاول فلان كل محسن من
الخلق انما يحسن طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة وان عد في
العرف احسانا اما الحق سبحانه فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة لم يكن احسانه
لاستفادة احدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق لكل اقسام الحمد ليس الا هو
واما الثاني فبيانه اما في الثناء المطلق لله تعالى وتعظيمه فلاستلزامه ملاحظة جلال الله وكبريائه
وحضور الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها ورئيسا وخالقا
لكل ما سواه ومنزها عن كل ما يقتضي متبرا عن كل عيب وهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب
سبحانه من جميع العبادات ومقصود منها المجزي الروح للجسد وكذلك الشكر لله سبحانه فانه مستلزم
لمعرفته ومحبته والالتفات اليه ثم ملاحظة الجهة التي كان بها مستحقا للشكر وهي افاضته النعم التي
لا تحصى على العبد ولا يقدر على شكرها وهذه الملاحظات هي الاستعداد المطلوبة من العبادة التي
بها تكون نافعة واذا علمت ان الحمد من اجل العبادات والمهابة ثم علمت ان عبادته هي المطلوبة
من خلقه دون غيره كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد
من اجل المطالب لله فالاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله وما يستلزمه الرضوان من الخيرات
الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضي الله عنه اشار بهذه الفصول الاربعة الى
اربعة انواع من تلك الخيرات الاول قبول الحمد ورضاه من الحامد كونه ايسر غير مؤنة واخفه
على اللسان كلفة ثناء مقابلا لكافة النعم الله في حقه وذلك في الحقيقة نعمة اخرى وموهبة كبرى تستدعي
حمدا اخر وهلم جرا فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصي الاؤه وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه
المشابهة ان الثمن لما كان مستلزما لرضا البايع به عوضا من مبيعه وكان الحمد مستلزما لرضا الحق

سبحانه في مقابلة نعمه لاجرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى ايوب عليه
السلام اني رضيت الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني جعله الحمد وصلة الى بلائه وبيانه اما
اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فانه تعالى لما توعد بالعذاب من كفر نعمته مع ارادته
الحمد والشكر وامرهما في غير موضع علمنا ان الشكر والحمد من اسباب الخلاص من العذاب الاليم
والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الاتي بالحمد مستحق
لرضوان الله تعالى من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذابه اذ ومكان الحمد وصلا للعوذ
به من بلائه ومخلصا الثالث جعله الحمد وسيلا الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات
وكون العبادات وسيلة الى الجنة ظاهر واما ثانيا فما روي ان رسول الله صلى الله عليه قال ينادي
يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون
الله على كل حال فحكم بان الحمادين يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لمزيدة
احسانه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فعلق زيادة النعمة بوجود الشكر واما ثانيا
فلان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع وانما النقصان من جهة العبد لعدم الاستحقاق فاذا استعد لقبول
النعم بالحمد افاض الله تعالى عليه نعمه ثم لا يزال يستعد بالحمد والشكر على النعم السابقة للمزيد بالنعم اللاحقة
الى ان يخرج الى كماله بالقوة الى الفعل فيلحق بدرجة الكروبيين ومجاورة الملائكة المقربين
العاكفين في حضرة الجبروت وقد عرفت من هذا البيان ان كل هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل
الله تعالى ملاحظة لعبادة بعين عنايته وشمولا لهم بسعة رحمته قوله والصلاة على رسوله
نبي الرحمة الى قوله وهو نجم طالع الاول ارذف حمد الله تعالى بالصلاة على رسوله محمد صلى الله
عليه وذلك من الاداب الدينية التي استمر عليها العادة في الخطب وذكر له صلى الله عليه اوصافا فبعضها
الاوصاف كونه نبي الرحمة ملاحظة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة
من وجوه احدها انه الهادي الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون
وصول الخلق الى المقاصد العالية ودخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة الثاني ان التكاليف
الواردة على يديه صلى الله عليه اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى سائر التكاليف الواردة
على ايدي سائر الانبياء وانه يقين الامم قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة
وذلك عناية من الله ورحمة اختص بها امته على يديه الثالث انه ثبت ان الله تعالى يعفو
عن عصاة امته ويرحمهم بسبب شفاعته الرابع انه عليه السلام رحم كثيرا من اعدائه كاليهود
والنصارى والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال صلى الله عليه من اذى ذميا
فقد اذاني ولم يقبل احد من الانبياء الجزية قبل الخامس ان الله تعالى ان يرفع عن امته

عذاب الاستيصال ورفع العذاب رحمة السادس ان الله وضع في شريعته عليه السلام الرخص
تخفيفاً ورحمة للامة الثاني كونه امام الائمة اما صدق كونه اماماً فلوجهين احدهما ان
الامام هو الرئيس المقتدي به في اقواله وافعاله والانبياء عليهم السلام احق الخلق بهذه الصفة آدم
الاصل في ذلك الثاني قوله تعالى لابرهيم عليه السلام اني جاعلك للناس اماماً واما كونه امام الائمة فلقوله عليه
السلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة الثالث كونه سراج الامة وبيانه قوله تعالى
انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وهذه استعارة لطيفة
عليه السلام فان السراج لما كان من خاصيته اضاءة ما حوله واهتداء الخلق به في الظلمة وكان النبي عليه السلام
قد اضاء انوار العارفين قلوب العالم بانوار الوحي والرسالة حتى اهتدى الخلق به من ظلمة الجهالة لا جرم حسن
استعارة لفظ السراج له وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكناية عن كونه
هادياً للخلق ومرشداً لهم الى الطريق الحق الشرائع كونه منتجباً ومختاراً من طينة الكرم
وطينة الكرم كناية عن اصله والكرم حقيقة في السخاء ومجاز في مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه
اصطفاه من اصل هو محل الكرم والشرف الخامس كونه من سلالة المجد الاقدم واضافة سلالة
الى المجد اما على تقدير حذف المضاف الاصل حين يكون التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون
قد استعار لفظ المجد لاصله عليه السلام فكانه تخيل ان الاصل كله مجد فاعطاه لفظة المجد واضاف
اليه بعد الاستعارة ثم وصف المجد انه اقدم لانه ادوم في الفضل على المحدث بل على القديم السادس
كونه مغرس الفخار المعرق وقد استعار لفظ المغرس الذي هو حقيقة في الارض الطبيعية وجعلته
استعارة على وجه الكناية عن شرفه وجلاله ووجه المشابهة ان طبيعته عليه السلام محل لظهور
الفخار عنها كما ان الارض الحرة محل لظهور النبات الطيب الحسن عنها ووصفه بكونه معرقاً لانها
دائم على بالسن كذلك وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة فانه لما جعل للفخار مغرساً جعل له عرقاً
السابع كونه فرع العلا المثمر المورق لما استعار لفظ الفرع الذي هو حقيقة في اغصان
الشجر المتفرعة عن اصلها له عليه السلام من جهة ما هو فرع في الوجود عن آبائه اهل العلو والشرف
الى ما هو من ذلك الفرع وهو كونه مثمراً مورقاً وهو ترشيح للاستعارة ايضاً فان الغصن الخالي
عن الثمر والورق او عن احدهما ناقص الكمال والحسن وهي استعارة على سبيل الكناية عن
شرفه بالنظر الى شرف اصله واضافة الفرع هنا الى العلاء كاضافة لفظ السلالة الى المجد
والكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة عليه فمن وجوه الاول
ما روي عنه عليه السلام انه قال لم يزل الله تعالى ينقلني من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات
لم يدنسني بدنس الجاهلية وكفى بذلك مشرفاً وكرماً الثاني انه صلى الله عليه من نسل اسمعيل
ابرهيم

وابرهيم عليهما السلام وكرمهما مشهور الثالث وكان ابرهيم عليه السلام اول من اضاف الضيف و
اول من ثرد الثريد واطعمه المساكين الثالث نسبه عليه السلام من قريش وشرف قريش مشهور
ظاهر فمنهم قصي الذي جمع قبايل قريش وانزلها مكة وبنا دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة
من خزاعة ومنهم هاشم بن عبد مناف الذي هشم الثريد لقومه في عام المحل ومنه سمي هاشماً
واسمه عمرو وقال الشاعر فيه عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
ومنهم عبد المطلب بن هاشم وكان من حلماء العرب وحكمائها وهو سيد الوادي وشيبة الحمد سجد
له الفيل الاعظم وببركة النور الذي كان في صلبه دفع الله عن بيته كيد اصحاب الفيل وارسل طيراً
ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وببركة ذلك النور راى الرؤيا في تعريف موضع زمزم وهو الذي الهمه
النذر لما نذر ان يذبح العاشر من اولاده وكيفية الفداء له حتى افتخر رسول الله صلى الله عليه بذلك
وقال انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم
عن دنيات الامور وكان لشرفه وفضل عقله قد تسلم اليه النظر في حكومات العرب وفصل
الخصومات بينهم وكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم وحكايات فضله
وشواهد عقله ومنهم ابو طالب واتفقت الشيعة على انه كان قد اسلم وان خالفهم غيرهم في ذلك
والاشعار وكتبه تدل على انه كان معترفاً بالصانع الحكيم موحداً له معترفاً بامر المعاد من راجع
طالع كتب التاريخ قوله عليه اهل بيته الى قوله ومثابل الفضل الراجحة اقول
اختلف الناس في المراد باهل البيت في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
فقال الجمهور ان نساء النبي عليه السلام هن المراد دون هذه الاية ومن الناس من خصصها بهن مستدلاً
بسياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين
عليهم السلام وهو قول ابي سعيد الخدري وهو مراد الرضي هاهنا مع من بعدهم من الائمة الاثني عشر
وقد وصفهم بالثمانية اوصاف احدها كونهم مصابيح وهي استعارة لهم ووجه المشابهة كونهم يهتدى بهم
من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح في الظلمة وثانيها كونهم عصماً للامم اي مانعين لهم ان يجنب عنها
بتهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في احد طرفي الافراط والتفريط وثالثها كونهم منار الدين
الواضحة وقد عرفت ان المنار هي محال الانوار وهي ايضاً استعارة حسنة ظاهرة ورابعها كونهم مثاقيل
الفضل الراجحة وهذه الاضافة اما بمعنى اللام اي مثاقيل للفضل او اذا اعتبر فضل غيرهم ولطف
بعضهم الى بعض كانوا مثاقيل راجحة تغير رجحان بعضهم على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من
اي مثاقيل من الفضل مطبوعة توضح على غيرها ولفظ المثاقيل هاهنا مستعار لهم ايضاً ووجه
المشابهة كونهم معياراً للخلق وموازين لهم كما ان المثقال كذلك قوله صلى الله عليهم اجمعين
بها

٢٥ فقوله يجمع طالع **الاول** لما ذكرنا [illegible] الفصل الذي فيه علما يستجمع [illegible] ثم [illegible]
اعتبار رضا يلزم [illegible] الجليلة الفضيلة [illegible] مرة كما
لعبادات الدينية [illegible]
جهات استحقاق الوجه **وليسمع** [illegible] الى ان الكلام **اقول** لما صدر
الخطبة بذكر الله تعالى والثناء عليه بما هو اهله والصلاة على رسوله واهل بيته صلى الله عليهم شرع في اقتباس
حاله في جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على ذلك وفي مدح كلام علي عليه السلام ثم ذكر في ذلك
الاقتصاص امورا تحتاج الى التنبيه عليها **الاول** ان هذا المجموع جزء من كل من كلامه عليه السلام وذلك
في قوله انه بوب ابوابا يحتوي على مختار كلام امير المؤمنين وذلك [illegible] ما قال
قطب الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول اني وجدت بمصر مجموعا من
كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا **الثاني** ان قوله جواهر العربية وثواقب الكلم الدينية
والدنيوية استعار لهذين اللفظين وهما الجواهر والثواقب للالفاظ الفصيحة
الوجيزة المشتملة على الحكم من كلامه عليه السلام ووجه الاستعارة الاولى ما اشتركا فيه من [illegible]
وكلامه عليه السلام من العز والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه ففضل الجواهر بالنسبة الى مطلق الاحجار
وعز الالفاظ الفصيحة بالنسبة الى سائر الالفاظ ووجه الثانية كون كلامه وما يشتمل عليه من الحكم
البالغة [illegible] على ابصار البصائر ويثقب انوار حجب ظلمات الجهل كما يثقب انوار الكواكب
المضيئة حجب الظلمات المحسوسة وينفذ فيها **الثالث** قوله عليه السلام مشرعا للفصاحة وموردا
لها [illegible] استعار لهذين اللفظين [illegible] حقيقة في [illegible] عليه السلام
ووجه المشابهة ان الشريعة من الماء [illegible] والاستقاء كذلك هو عليه السلام
موضع [illegible] لكان ابلغ اذ كان المشرع
والمورد منها [illegible] من [illegible] وكذلك قوله منشأ البلاغة ومولدها استعار [illegible] وتشبيها
[illegible] عليه السلام [illegible] للفصاحة بالوالد في الصدور عنه **الرابع** قوله لان كلامه عليه السلام الكلام
الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي قدر العلم الالهي كله حسنا وجمالا حتى
جعل في كلامه عليه السلام [illegible] وقدر الكلام النبوي طيبا كالمسك الاذفر حتى جعل في كلامه
عبقة منه واستلزم ذلك تخييل حاستي البصر والشم للعقل ليدرك بالاولى المسحة من العلم الالهي
وبالثانية العبقة من الكلام النبوي وهي استعارة على طريق الكناية وكنى بالمسحة عما ادركه
العقل من كلامه عليه السلام من الحكمة والعلم الالهي المشار اليه في القرآن الكريم والسنة وكنى بالعبقة
عما ادركه من الاسلوب والطريقة الموجودة من الفصاحة والحكم في الكلام النبوي فكان العقل ابصر

ويبح

ويبح [illegible] العلم الالهي [illegible] الكلام النبوي [illegible] ابو الحسن الكيدري رحمه
الله [illegible] الكلام النبوي بالعبقة [illegible] بكلام الرسول
صلى الله عليه [illegible] التي [illegible] له
[illegible] من الكلام النبوي ولما كان معنى المسحة
[illegible] وكان كلام الباري
سبحانه بعيد [illegible] وهذا الفرق مع تخصيص الرؤية تكلف
ويمكن ان يقرر بعبارة اخرى [illegible] العبقة ادل على وجود العابق من المسحة على وجود ما هي
منه فان العبقة تدل على وجود العابق [illegible] في الطعام وفي نفس الامر وانما المسحة من الشي وهي الاثر
منه [illegible] فقط الاثر الى قوله **ه** على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت
الثياب الشين لو كان باديا **ه** وايضا فان الجمال او الثروة او الملك قد يدل على بعض الاذهان
ولا يدل عند بعض اخر واذا عرفت ذلك فنقول لما كان كلام علي عليه السلام شديد المناسبة لكلام
النبي في الاسلوب الظاهر وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت استعارة لفظ العبقة له باعتبار
نسبته الى كلام النبي اولى لدلالتها على [illegible] تخييل وجود ما هي منه وهو كلام النبي وكلام علي حتى كانه
جزء منه ولما كان الكلام الالهي بعيد المناسبة لكلام الخلق وكانت نسبة كلام علي عليه السلام اليه من بعض
الجهات الا في اشتماله على بعض الحكم [illegible] الفصاحة دون الاسلوب وكانت المسحة مما لا تدل
على وجود [illegible] من بعض الجهات [illegible] فقط كانت استعارة لفظ المسحة للكلام الالهي اولى [illegible]
ان هذا الفرق [illegible] الى السيد الرضي رحمه الله [illegible] من الكلام الالهي وهو الموجود في نسخ
[illegible] انتهت الى نسخة الرضي بخطه رحمه الله
وجدت [illegible] من الكلام الالهي من العلم الالهي [illegible]
يكون [illegible] تطابق النسخ المشهورة **الخامس** قوله فهو البحر الذي لا يساجل
استعار لفظ البحر ووصف عدم المساجلة لكلامه عليه السلام ووجه الشبه بالبحر كونه مع اشتماله
على الجواهر الحكمية الالهية كما قال البحر على جواهره ونبه على ذلك بقوله لا يساجل فان المساجلة
لما كانت هي المغالبة في السقي والجود وكان كلامه عليه السلام اكثر جريا في كلام البلغاء من غيره
[illegible] قد [illegible] في فصاحته ولا حكمته لا جرم اشبه البحر
الذي لا يغالبه [illegible] في سقي ولا جري وكذلك قوله ولا يحافل [illegible] استعار وصف الحافل [illegible]
من اوصاف الانسان لكلامه [illegible] تشبيها له بالرجل ذي الحفل الجم والجماعة الكثيرة
التي لا يمكن ان يحافل بمثلها **السادس** قوله [illegible] حسن التمثيل منه

بان السوغ حقيقته سهولة الشراب فاطلاقه على حسن التمثيل مجاز لمشابهته اياه في ان الممثل اذا
يريد اذا احسن بين الناس وسلكه في تمثيله [illegible] لطبعه متقبل له [illegible] وهو يستتبع التامة الكاملة
الذاتية له لذاته وسهولة جريانه في الحلق [illegible] اطلاقه على السوغ [illegible] استعارة الخامس قوله [illegible]
في جمع هذا الحث رمي كلامه عليه السلام بهما ولما ان يسوغ له التمثيل [illegible]
واراد بالتمثيل في معرض المفاخرة [illegible] بالاباء والاسلاف [illegible] يقول [illegible] و
شرفهم وفضايلهم والاشرف [illegible] سلف بعد الرسول [illegible]
اشتملت عليه نفسه القدسية من الكمالات الحقيقية التي فاقت على من بعده الى يوم الدين فبالحري
ان يسوغ له التمثيل بهذه الكمالات الحقيقية بالارادة والافتخار بها [illegible] السادس قوله وطلع من
قلبه انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك الضمير في مثله راجع الى علي عليه السلام ومن في قوله من بيان
الجنس ومعنى الكلام ان المتفكر في كلامه اذا فرضنا انه لم يعرف انه من كلامه عليه السلام او من كلام شخص
غيره في كونه عظيم القدر نافذ الامر [illegible] في غمرات الحروب [illegible] تدبير امور الخلق
ونظام احوالهم [illegible] الارض بل نفرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال
فانه والحال هذه لا يعترضه شك في انه كلام شخص معرض عن [illegible] بقلبه غير مشغول بغير [illegible] يصدق
[illegible] الشك الذي [illegible] يعرض لبعض الاذهان الضعيفة في انه ليس بكلامه [illegible] معرفته بانه
كلام شخص خايض في تدبير الدنيا واحوالها [illegible] لعروض الشك في ان هذا الكلام
ليس بكلام رجل بحسب الحال وانما قال قد قبع في كسر بيت وانقطع في سفح جبل لان ذلك من شعار
الزهاد المعرضين عن الدنيا والضمير في قوله [illegible] عايدان الى من اي لا يسمع سوى الاحسن نفسه
[illegible] في الجيب [illegible] استعمال [illegible] اللفظ الانغماس في الدخول في الحرب فان
الانغماس حقيقة [illegible] الحرب لما كانت [illegible] واجتماع المحاربين فيها
[illegible] الانغماس للدخول فيها [illegible] الحرب وخاض
فيها ونحو ذلك [illegible] يقطر [illegible] ان فسرنا [illegible] بالدم كانت نسبة القطر اليها حقيقة وان
فسرناها بالروح كانت مجازا [illegible] الخارجة من الانسان كالدم ونحوه وقوله
[illegible] زاهد الزهاد وبدل الابدال [illegible] هذين الوصفين له عليه السلام مسلم عند
ارباب الصوفية واهل التصوف اليه وقد بينا في مقدمة الكتاب انه عليه السلام كان سيد العارفين
بعد سيد المرسلين صلى الله عليه [illegible] ايضا ان نفسه القدسية كانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة
[illegible] ولذلك لم يكن اشتغاله بتدبير امور الدين ومعاناة الحروب ونظام [illegible]
[illegible] عن الاشتغال بالعبادة [illegible] ونفسه القدسية على الاستغراق في انوار الله

والاخلاص [illegible] الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها [illegible] من فضايل نفوسهم [illegible] وحالات نفوسهم
[illegible] اما الزهد فهو الاعراض [illegible] فقد يكون [illegible] الا ان [illegible] به هو
[illegible] صلى الله عليه [illegible] ولكن [illegible] قلوبهم وان كان لا
[illegible] الحقيقي [illegible] والسبب فيه ان اللذات البدنية
[illegible] الحقيقي [illegible] فهو
ممكن [illegible] عنايته [illegible] صلى الله عليه [illegible]
الاخلاص ولما بينا ان عليا عليه السلام كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه فلا بد ان يكون
زهده حقيقيا وستعرف في [illegible] كلامه بلوغه في درجة الزهد الغاية واما كونه [illegible] بالشجاعة
المشهور عنه فهو انه قد علمت ان نفس العارف يجب ان تكون مستلزمة للملكات الخلقية
وقد عرفت ان الشجاعة اصل منها وان المانع من الاقدام على الاهوال والمخاوف انما هو خوف الموت
[illegible] والعارف بمعزل عن خشية الموت اذ كانت محبة الله شاغلة عن الالتفات الى ذلك
بل ربما يكون الموت [illegible] لكونه وسيلة الى لقاء محبوبه الاعظم وغايته القصوى وقد بينا ذلك
وتفصيل اخلاق العارفين من كتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون
رجلا منهم اربعون بالشام وثلاثون في سائر البلاد وفي الحديث عن علي عليه السلام الابدال بالشام
والنجباء بمصر والعصايب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب العاشر قوله واستخرج
عجبهم اي تعجبهم منها [illegible] الى الفعل [illegible] عجبهم بضم العين فالمراد بعجبهم [illegible] العجب
الاسم من الاعجاب ويحتمل ان يريد بالعجب [illegible] اي [illegible] الفضيلة [illegible] وميلهم اليها
[illegible] الحسن [illegible] واستخرج عجبهم [illegible] انهم عاجزون عن امثالها فلا يبقى
لهم حينئذ عجب بانفسهم منها [illegible] معرفتها [illegible] ان هذه [illegible] الحادي
قوله والعودة [illegible] ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا اقول سبب الاختلاف
يحتمل وجهين احدهما انه عليه السلام ربما تكلم بالمعنى الواحد مرتين او اكثر بالفاظ مختلفة [illegible]
البلغاء واهل الفصاحة فينقل السامعون باللفظ الاول [illegible] الثاني فتختلف الرواية الثاني
ان الناس في الصدر الاول كانوا يتلقفون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونه على الولاء فربما لا يتمكن
السامع من حفظه [illegible] اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف في الترتيب او
نقصان في الرواية او [illegible] بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الالفاظ [illegible] في الالفاظ زيادة ونقص
قوله نهج البلاغة استعارة لطيفة لهذا الكتاب لان النهج حقيقة في الطريق الواضح المحسوسة
[illegible] المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال [illegible] وقطع الاحياز المحسوسة من واحد الى

ثم قوله ان الذين ... يتغل في هذا الكتاب من بعض لطايف البلاغة وتهذيب الفصاحة ...

انتقال ... نقل لفظ النهج ... فهذا ابان ما ...

في صنع الخطبة ... كلامه ظاهر ولنشرع الآن في شرح كلام علي عليه السلام

[illegible]

باب المختار

من خطب امير المؤمنين عليه السلام واوامره ويدخل في ذلك المختار من [illegible]

كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحظورة والمواقف المذكورة والخطوب [illegible]

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم عليه السلام **قوله**

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادّون ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه

بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود

ولا اجل ممدود فطر الخلايق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته

وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له

نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف

الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله ومن

اشار اليه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن قال فيم فقد ضمّنه ومن قال علام فقد اخلى منه

كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات

والآلة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش

لفقده **اعلم** ان هذه الخطبة مشتملة على ابحاث عظيمة ... على ترتيب ...

[illegible] ... **الفصل الاول** ... بذكر الله ... تمجيد والثناء

عليه ... الحمد ... المدح ...

والمدحة ... من المدح ... ان يكون ... العود

... العدد ... الى العادين

والنعماء ... المصدر ... فلان ... احسانه ... والادراك

... والاصابة والوصول والوجدان والهمة هي العزم الجازم ...

الهمة ... تتعلق ... الامور دون محقراتها والغوص ... في عمق الشيء ...

... والفطن جمع فطنة وهي في اللغة ... عبارة عن جودة

استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه ... والحد المنع ...

بالجزاء ... ان يدخل في ... منه او يخرج منه ما ... منه والنعت الصفة

والاجل

لا الا ان الذي المعروف ... والفطر ... الابداع قال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله تعالى فاطر

السموات والارض حتى جاءني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها

والخلايق جمع خليقة وهي ... المخلوق ... خليقة ... اي ... الطبيعة

لان الخليقة هي الطبيعة ايضا والنشر البسط ووتد بالفتح اي ضرب الوتد في حايط او في غيره

والصخور ... العظام ... الجبال ... من ... ميدا ومنه ... بمايل

والدين في اصل اللغة يطلق على معان منها العادة ومنها الاذلال يقال دانه اي اذله ... ومنه

... وكما ... ومنها الجزاء كقوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين

تدان ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاعه كقول عمرو بن كلثوم عصينا الملك فيها

... ويطلق في العرف الشرعي على الشرايع الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام ...

... والمقارنة الاجتماع والمصاحبة مأخوذ من قرني الثور ... ومنه القرن ...

... القرن ... اهل الزمان الواحد قال اذا ذهب القرن الذي انت فيهم ...

... والمزايلة المفارقة ... من الطرفين والمتوحد ...

... والاستيناس بالشيء ميل الطبع اليه ...

... والاستيحاش ضد الاستيناس ...

... في بيان نظام كلامه عليه السلام في هذا الفصل اي تقديم ...

... العقل ... ان يعقل ... ولا يلزم من تصور ...

... المقصود ... بيانه ... ما قيل ...

... يعقل ... وليس له وجود ... معقولية بالقياس الى ...

... حقيقية ...

... الى ... اما ان يعقل ... المنسوب اليه ... فان كان الاول ...

الحقيقي وحقيقته انه المعقول بالقياس الى غيره يكون بازايه يعقل له اليه نسبة ولا يكون له وجود

سوى معقوليته بالقياس اليه لكونه تعالى خالقا ورازقا وربا فان حقيقة هذه الصفات ... كونها

... بالقياس الى مخلوقيه ومرزوقيه ومربوبية ... وان كان الثاني فالمنسوب اليه اما ان يكون ...

... او ليس بموجود والاول ... الصفات الحقيقية ككونه تعالى حيا فانه امر يعقل

بالقياس الى صحة العلم والقدرة له ... والثاني ... الصفات

السلبية ككونه تعالى ليس بجسم ولا عرض وغير ... امور تعقل له بالقياس الى امور غير موجودة

له ... ثم نقول انه لا يلزم من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلاثة من الصفات تركيب ولا

كثيرة في نفسه لها اوصاف [illegible] تحت شيئية قولنا نحن المقاتب الى الوجه ولم يلزم منه ذلك ان يكون له ٢٨
موجود [illegible] الامور ان لم تعقل ولذلك ذاب العقلاء [illegible] سبحانه بل هو اسرف طوفي
النقيضين والتنزيه عقولهم من اعظمه [illegible] الطرفين العقلية [illegible] وصفت من بعد [illegible]
من الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية كلها كذلك اذا عرفت ما قلنا فاعلم ان تعليم [illegible]
[illegible] السليم وقدمها على الثبوتية لدقيقة وهي انه قد ثبت في علم السلوك ان الشان الموافقة
الحقيقي والاخلاص المطلق [illegible] الا بنفض كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل [illegible]
[illegible] الاعتبار وهو المسمى في عرف المجردين واهل العرفان بمقام التخلية والتفريق [illegible]
[illegible] الا به لاي اعتبار سقدما على اعتباره ولهذا الترتيب [illegible] بها في التحية [illegible]
[illegible] المجز الاول منها مشتملا على سلب كل ما عدا الحق سبحانه [illegible]
[illegible] وهو مقام التنزيه والتخلية حتى اذا انزاح كل ما يحجب عن محل [illegible]
[illegible] وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة ولما كان [illegible]
والفاتح لاغلاق الطريق الى الواحد الحق سبحانه تعالى والمعلم المرشد [illegible] لسلوك [illegible]
[illegible] تعالى لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته والواصل اليه [illegible]
[illegible] اذا امكن وجوده [illegible] لم يكن للاوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه [illegible]
في احكام الخلق بل كانت جارية على جهلها قابلة لعقول [illegible] الباطلة [illegible]
[illegible] السلب اذ كان تقديمه [illegible] دون الحكم الوهمي في حقه تعالى [illegible]
[illegible] والذكر حتى اذا ورد عقيب [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] بالحق [illegible] عليه السلام [illegible]
[illegible] المناسبة وتصديقه [illegible]
[illegible] الخالق [illegible] على الله تعالى والاعتراف [illegible]
[illegible] الجلالة والالتفات اليها عامة الاحوال وقد بينا ان الحمد [illegible]
[illegible] التعظيم المطلق وهو بجميع اقسامه [illegible] في معرض التمجيد
المطلق قوله الذي لا يبلغ مدحته القائلون اقول اراد [illegible] اطلاع العقول
[illegible] على كيفية مدحته [illegible] بيان هذا الحكم ان الثناء الحسن [illegible] ما يكون [illegible]
[illegible] عليه بما هو كذلك في نفس الامر [illegible] وحق الواجب الوجود سبحانه [illegible]
وما له من صفات الجلال ونعوت الكمال [illegible] وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام
[illegible] وان صدر من المادحين تصور المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو [illegible]

كابو

[illegible] الطرق التصوف [illegible] لعدم اطلاعهم على [illegible]
[illegible] تصور يصون المدح [illegible] ارباب العقل [illegible] على اطلاق [illegible]
في [illegible] الصفات [illegible] عليه السلام في مواضع اخر [illegible]
[illegible] التوحيد [illegible] التوحيد [illegible] عن سلب الحكم الوهمي [illegible]
[illegible] ان [illegible] عليه حكما وهمت [illegible] التوحيد على الحقيقة [illegible]
[illegible] على علينا السلام [illegible] وهل هي عالما قادرا [illegible] العلم للعالم والقدرة للقادر [illegible]
[illegible] لكم فادق [illegible] مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى [illegible]
[illegible] ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيتين كما لها فانها تتصور ان عدمها [illegible]
[illegible] لذلك [illegible] الخلق [illegible] يصفون به باريهم فان اوهامهم حاكمة [illegible]
[illegible] عقولهم [illegible] الاحكام الوهمية ولولا وازع الشرع لقوله صلى الله عليه [illegible]
[illegible] الخالق لصرحوا بكثير من تلك الاحكام في حقه سبحانه [illegible]
[illegible] ان يكون [illegible] عن بلوغ العقول والاوهام تمام الثناء الحسن [illegible]
[illegible] من الواجب المدح والثناء كان وراءها اطوار من استحقاق الثناء [illegible]
[illegible] المرسلين [illegible] بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
[illegible] القليلين دون [illegible] بالاول نوع لطف فان القايل [illegible]
[illegible] كان ذلك القايل [illegible]
[illegible] قوله ولا يحصي نعماءه العادون اقول [illegible]
[illegible] بيان هذا الحكم [illegible]
[illegible] الحكم [illegible]
[illegible] الحكم [illegible]
[illegible] ظاهرة وباطنة [illegible] هذا الحكم [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] ان من جملة نعمه تعالى على الانسان ان الدمه [illegible]
[illegible] واقربهم اليه واخصهم به وهم الملائكة الذين [illegible]
[illegible] والمتعاطف [illegible]
[illegible] شانه [illegible] الاصلح والانفع [illegible]
[illegible] من شانه [illegible] الاصدقاء [illegible] من عداوة [illegible]
[illegible] [illegible] ينضبط عند [illegible] من الامور [illegible]

[illegible]

م جعل بين يديه ملكين احدهما ملك الغضب وهو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات
والنكبة والبطش والانتقام والثاني ملك اللذة والشهوة ... الانسان بالطلب ... والاستد
بالاستحقاق وبين يديه ملائكة اخرى تسعى في تحصيل ما يأمره ... موكل ... ورد ... وسعة
اخرى من الملائكة وانهم اصلاح عدد الانسان فالاول موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة او الغذاء
لا يدخل بنفسه فان الانسان لو وضع اللقمة في فيه ولم يكن لها جاذب لم تدخل والثاني موكل بحفظه
في المعدة الى تمام النضج وحصول الغرض منه والثالث موكل بطبخه ونضجه والرابع موكل بتفريق
صفوته وخلاصته في البدن سد البدل ما يتحلل منه والخامس موكل بالزيادة في اقطار الجسم
على التناسب الطبيعي بما يوصله اليه الدافع فيها كالنامي والسادس والسابع موكل بفصل
صفوة الدم من الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضلة العينية المستقذرة عن المعدة ثم وكل تعالى
حفظه اخرى في خدمتهم شأنهم ان يوردوا عليه الاخبار من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا
وفعلا خاصا وجعل لهم رئيسا يبعثهم ويرجعون اليه بما علموه وجعل لذلك الرئيس خازنا
كاتبا يضبط عنه ما يصل اليه من تلك الاخبار ثم جعل تعالى بين هذا الخازن وبين الخازن الاول
ملكا اخر قويا على التصرف والحركة سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب
ومن تحت الارض الى السماء العليا قادرا على التصرفات العجيبة وجعله مؤتمرا على الوزير تارة وعليهما
حينا اخرى وهو موكل بتفتيش الخزائن ومناجاة الخازنين باذن الوزير وواسطة الحاجب
اذا اراد استعلام امر من تلك الامور فهذه من الملائكة التي خص الله تعالى بها بدنه وجعلها اقرب
الملائكة المتصرفين في خدمته اليهم ان ورا هولاء اطوار اخرى من الملائكة الارضية كالملائكة الموكلين بانواع الحيوانات
التي يستعملها الانسان وبها تكون ... وانواع النبات والمعادن والعناصر الاربعة والملائكة السماوية
التي لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو فان كل واحد منها موكل بفعل
خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم
وهم باسرهم مسخرون لمصالح الانسان ومنافعه من اول حياته الى حين وفاته باذن المدبر جل وعلا
ما سوى الملائكة من سائر الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه من القوة العقلية
التي هي سبب للخيرات الباقية والنعم الدائمة التي لا ينقطع موادها ولا يتناهى تعدادها فان كل ذلك
في الحقيقة نعم الهية ومواهب ربانية للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة
وبطلت الدائم ... ومن اجمع بالنظر الى ارادة الله تعالى في نوع من هذه النعم لا يتناهى دونها فكيف
وقد ... اضعافه وجميع ذلك كله غافل عن شكر ... حامل بمعرفة الله عز وجل على نعمة
الله تعالى ان يقول سبحانه وتعالى بعد ... تحلى ضروب نعمة والانسان بها غافل وان تعدوا

الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار وظلام لنفسه بمعصية الله معتاد للكفر بالاء الله ...
ان الانسان لكفور اي الانسان لكفور ... سبحان الذي لا يحصي نعماؤه ولا ينقضي الاؤه و...
هذا الحكم ... الفاضلين من مراتب الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام
الطاعة بالبال قوله ولا يؤدي حقه المجتهدون اقول هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين
احدهما انه لما كان اداء حق النعم هو مقابلة الاحسان بجزاء مثله ... في الكائنات ... ان
نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل ما نتعاطاه من افعالنا
الاختيارية مستندا الى جوارحنا وقدرنا وارادتنا وسائر اسباب حركاتنا ومنها ما يستند
الى جوده ومستفاد من نعمته وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وسائر العبادات نعمة
منه فنقابل نعمته بنعمته وروي ان هذا الخاطر خطر لداود وكذلك لموسى عليهما السلام فقال يا رب
اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى وشكري لك نعمة اخرى
توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت
ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فاما تعالى في العرف من ان فلانا موذ لحق الله تعالى فليس
المراد منه جزاء النعم بل لما كانت المطلوبات لله تعالى من التكاليف الشرعية والعقلية تسمى حقوقا له
لا جرم كان المجتهد في الامتثال مؤديا لحق الله وذلك الاداء في الحقيقة من اعظم نعمه تعالى ... اذ
كان الامتثال السلوك الموصل الى الله تعالى كلها تستند الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله
تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
وما كان في الحقيقة نعمة منه لا يكون اداء لنعمة اخرى ولا جزاء وانما اطلق ذلك في العرف اذ كان من شأن
الحق للمفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء والاداء ليسارعوا الى الاتيان به
رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكليف حتى لو لم يعتقدوا انه حق لله بل تبرع محض ...
لم يعتنوا به غاية الاعتناء اذ كانت غايته غير مقصودة لهم ... النقوس ...
عليه ... مصالح المشقة اللازمة في تحمل الاعباء ... قوله الذي
لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن اقول استناد الغوص حقيقة الى الفطن على سبيل
الاستعارة اذ الحقيقة استناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات
بالماء ... ان صفات الجلال ونعوت الجمال لما كانت في عدم تناهيها
والوقوف على حقائقها ... شبه البحر الذي لا يصل الانسان الى الساحل ولا ينتهي الى
قراره ... البحر والغائص في ... الفطن الباقية ...
تشبيها بالغائص في البحر ... الغوص ... معناه البحث والغوص في الفكر والغوص في ...

[illegible] كان الادراك حقيقته [illegible]
[illegible] الى الموصوف به والتقدير [illegible]
[illegible] المقطع فى طلب [illegible]
[illegible] عدم اصابة [illegible] الاول وقد ثبت ان [illegible]
[illegible] على ما استقر [illegible] هذا المطالب [illegible] حقيقته [illegible]
[illegible] عن اختلاف الجهات [illegible]
[illegible] من جهة وجودها المولفة من اجزائها فاذا [illegible] ان واجب الوجود [illegible]
[illegible] فليس يدرك الحقيقة صدق ان واجب [illegible] الحقيقة [illegible]
[illegible] ولانه له فطنة وان اشتدت فكل [illegible]
[illegible] حتى لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قوله الذي ليس
لصفته حد محدود ولا نعت موجود اقول المراد ليس لمطلق ما تقتضي عقولنا له من [illegible]
[illegible] نهاية معقولة تقف عنده فلا تكون حدا له وليس لمطلق ما يوصف به [illegible]
موجود وجمعه فيكون نعتا له ومنحصرا فيه قال ابو الحسن [illegible] الكيدري رحمه الله ويمكن ان يدل
[illegible] على ما يأول به كلام العرب ولا نرى [illegible]
[illegible] لصفة فتحد اذ هو تعالى واحد من كل وجه [illegible]
[illegible] على ذاته كما في سائر الممكنات وصفاته [illegible] بل [illegible]
[illegible] واضافات لا توجب وصفه بها كثرة في ذاته قال [illegible] هذا التأويل [illegible]
وصف له سبحانه فقد قرنه وهذا [illegible] ما ذكرناه في المعنى واما وصفه الحد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] بالنسبة الى [illegible] العلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة [illegible]
[illegible] ما ذكرناه قوله ولا وقت معدود ولا اجل ممدود اقول وصف الوقت [illegible]
معدود [illegible] كقوله تعالى في ايام معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل [illegible]
[illegible] وذلك ان العقل لا يتعلق بالوقت الواحد من حيث هو واحد فانه من [illegible]
[illegible] للعدد وانما يتعلق به من حيث انه داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة في الزمان
[illegible] التفصيل [illegible] معدودة [illegible]
في جملة [illegible] داخل في [illegible] في ذاته وما [illegible]

وان

[illegible] اليه فيستطيع وجودها [illegible]
[illegible] الحكمة [illegible]
[illegible] نفسه [illegible]
[illegible] المطلوب [illegible] العالمين في حقيقته سبحانه
معلوم [illegible] القرآن [illegible] السبع المثاني [illegible] قوله الذي [illegible]
[illegible] الرياح [illegible] اقول [illegible] الصفات [illegible]
في [illegible] وهذه الاعتبارات الثلاثة موجودة في القرآن الكريم اما الاول فقوله [illegible]
[illegible] فقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته واما الثالث فقوله
تعالى والتي في الارض رواسي ان تميد بكم [illegible] وجعل الجبال اوتادا اما المراد بقوله فطر الخلائق [illegible]
[illegible] من حيث [illegible] المخلوقات الى قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق
[illegible] نسبة [illegible] الى الخلق استعارة والامام فخر الدين في بيان [illegible]
[illegible] هذا الموضع بحثا لطيفا قال وذلك ان المخلوق قبل دخوله في الوجود كان [illegible]
[illegible] العقل [illegible] من العدم [illegible] لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجد المبدع من العدم
[illegible] فكانه [illegible] ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود [illegible]
[illegible] للموجود المخرج من العدم الذي خرج هذا [illegible]
[illegible] المضاف [illegible] اليه مقامه حتى يكون التقدير الذي [illegible]
[illegible] بين الناس ظاهر [illegible]
[illegible] لما كان الفطر شق التي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لقوله تعالى اذا السماء انفطرت [illegible]
[illegible] الرياح [illegible] انواع الحيوان [illegible]
[illegible] سبحانه [illegible] رحمته [illegible]
العالم [illegible] الرياح [illegible]
[illegible] الحكمة [illegible] الارض [illegible]
[illegible] وهو الذي يرسل الرياح [illegible] رحمته وقال ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
[illegible] سبحانه وليذيقكم من رحمته وقال وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء [illegible]

[illegible] في الفلك الطبيعية [illegible] في حركة ثم ابو بكر هذه النكت الجليلة [illegible] الا بعد [illegible]

[illegible] جاعل [illegible] قال الله تعالى [illegible] الله عليكم والقول [illegible] فانه [illegible]

عليه [illegible] سبحان الذي سخر [illegible] مقرنين والسبب [illegible] بعض الفضلاء ان الوجه [illegible]

الريح في السحاب والرياح في الارحام [illegible] نزل القرآن الكريم [illegible] تعالى [illegible]

للريح العقيم [illegible] يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح [illegible] **قوله** [illegible]

[illegible] **قال** [illegible] نظام [illegible] قدرته سبحانه [illegible] **الاول** [illegible]

[illegible] جعله [illegible] والموتد [illegible] في الحقيقة انما هو الارض [illegible] الارض

[illegible] من الاعراض لا نتصور حجل الجبل [illegible] الا انا [illegible] كان [illegible] الميدان [illegible] على [illegible]

الجبال [illegible] الارض [illegible] كان الاهتمام [illegible] فلذلك قدمه [illegible]

[illegible] وتد بالصخور ارضه المابدة **الثاني** ان تعليل وجود الجبال [illegible] ميدان الارض ورد [illegible]

[illegible] في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم [illegible] والجبال اوتادا [illegible]

[illegible] هذا التعليل [illegible] اوجه **الوجه الاول** [illegible] المفسرون [illegible]

[illegible] السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب [illegible]

[illegible] استقرت على وجه الماء وسكنت [illegible]

[illegible] فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها [illegible]

الجبال [illegible] الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام [illegible] ان الارض [illegible]

[illegible] يغوص فيه ولا يبقى طافيا عليه [illegible] ان يقال [illegible]

السفينة [illegible] مركبة من الاخشاب [illegible] تبقى طافية على الماء [illegible]

[illegible] **الوجه الثاني** [illegible]

[illegible] الدلائل اليقينية ان الارض [illegible] ثبت ايضا ان هذه الجبال على سطح الارض [illegible]

[illegible] في هذه [illegible]

[illegible] الارض [illegible] طايف عن المخشوبات [illegible]

[illegible] الاستبداد [illegible] لان [illegible]

[illegible] الا انا [illegible] تتحرك على هذا الوجه [illegible] الارض

[illegible] الجبال [illegible] المخشوبات الواقفة على وجه [illegible]

[illegible] الجبل [illegible] العالم [illegible]

[illegible] الذي يمنع [illegible] الارض [illegible]

الارض

[illegible] **الوجه الثالث** ان [illegible]

[illegible] بعض المواضع عن الحركة والاضطراب [illegible]

[illegible] الاستقرار [illegible] وجود [illegible]

[illegible] الموجودة في وجه الارض ان لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار والتصرف [illegible]

[illegible] والجبال [illegible] الارض [illegible]

[illegible] استقرار [illegible] الى الصخور والجبال واما [illegible] الميدان

[illegible] مستقر على الارض بسبب [illegible] الماء [illegible]

[illegible] على الارض [illegible] ومضطربة بالنسبة اليه [illegible]

[illegible] بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها

الوجه الرابع [illegible] يحتمل ان يكون الاشارة بالصخور الى الانبياء والاولياء [illegible]

[illegible] الصخور من الانبياء والعلماء [illegible] الصخور والجبال [illegible]

[illegible] الاستقرار [illegible] من الحولة والاضطراب [illegible]

[illegible] اشبهت الاوتاد [illegible] بعض [illegible]

[illegible] انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها [illegible]

[illegible] الصخور لهم ولذلك يحسن في العرف ان [illegible]

[illegible] والعلماء اوتاد الله في الارض **قوله** [illegible]

[illegible] **قوله** [illegible] في العرف الشرعي [illegible]

[illegible] كان ذلك تخصيصا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ان [illegible]

[illegible] التي [illegible]

[illegible] الانسان [illegible] الاول [illegible]

[illegible] ان [illegible] في [illegible]

[illegible] الخلق الى تحصيل هذا القدر من المعرفة

[illegible] هذا القدر من المعرفة متوقفا على دعوة الانبياء [illegible]

[illegible] للخلق [illegible] الدور [illegible] توحيده

٥٠١

[illegible] اللذين [illegible] يشتمل عليهما اول [illegible] يتعلق بالداعي الى الله وهي قول لا اله الا الله فقال [illegible]
[illegible] الا الله [illegible] ثم [illegible] اي الجلي بما يقتضيه من التوحيد الظاهر [illegible]
[illegible] اعلى التوحيد [illegible] من قال لا اله الا الله [illegible] دخل الجنة [illegible]
[illegible] عن [illegible] الاعتبار مع الوحدة المطلقة اذا عرفت ذلك [illegible] يحتمل [illegible]
[illegible] الاولى [illegible] المعرفة وحينئذ يكون معنى قوله اول الدين معرفته [illegible]
[illegible] في الشيء من الدين ويحتمل ان يكون المراد المعرفة التامة التي هي نهاية المعارف [illegible]
[illegible] يكون المراد من كونها اول الدين هو اول [illegible] العقل [illegible]
[illegible] على ما هي عليه وان تأخرت في الوجود وبيان ذلك ان المعرفة التامة التي [illegible]
[illegible] حاصلة له في ابتداء الامر بل يحتاج في كمال ما حصل له [illegible] المعرفة [illegible]
[illegible] الزهد والعبادة وتلقي الاوامر الالهية بالقبول التي هي [illegible] الدين [illegible]
التصديق [illegible] بقيت ثم التوحيد ثم الاخلاص له ثم [illegible] كل ما [illegible]
[illegible] هي [illegible] ما قبلها الى ان يتم المعرفة المطلوبة له بحسب [illegible] المعرفة [illegible]
[illegible] تعالى قوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفي الصفات عنه [illegible]
[illegible] على هذا الوجه يجري [illegible] مفصولا [illegible] الذي [illegible] عليه [illegible] وعند ذكرها
[illegible] منها ان كمال معرفته نفي الصفات عنه [illegible]
[illegible] بين مقدمتي كل منها [illegible] تمام الاوسط [illegible]
[illegible] التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق به [illegible] كمال التصديق به توحيده [illegible]
[illegible] هذا المطلوب بقياس [illegible]
[illegible] كمال التصديق [illegible] المعرفة [illegible]
[illegible]
[illegible] وكمال توحيده الاخلاص له [illegible] كمال معرفته توحيده [illegible]
[illegible] الرابعة [illegible] قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه [illegible] واعلم ان في [illegible]
[illegible] على ان معرفة الله تعالى [illegible] بحسب [illegible]
[illegible] الله تعالى لما كانت [illegible] التركيب لم يكن معرفته [illegible]
[illegible] من [illegible] المعرفة [illegible] ولا [illegible]
[illegible] لم يكن ان تحقق المعرفة [illegible]
[illegible] كمال التصديق والتوحيد والاخلاص اذا تقرر ذلك فلنشرع في [illegible]

[illegible] اما الكلمة [illegible] الاولى وهي ان كمال معرفته التصديق به [illegible] ذلك ان [illegible] المقصود [illegible] العالم
[illegible] بوجوده [illegible] موجد العالم [illegible]
[illegible] ان يصدر انه موجود [illegible] وكمال معرفته [illegible]
[illegible] التصديق به توحيده [illegible] ان من صدق بوجود الواجب ثم جهل مع ذلك [illegible]
[illegible] توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجود الواجب [illegible]
[illegible] ان يكون مشتركة بين اثنين [illegible]
[illegible] وذاتيهما [illegible] مركب ممكن فيلزم الجهل بكونه واجب الوجود [illegible]
[illegible] بوجوده واما [illegible] وكمال توحيده الاخلاص له [illegible]
[illegible] الاخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن [illegible] كل ما [illegible]
[illegible] وذلك انه ثبت في علم السلوك ان العارف ما دام [illegible]
[illegible] الله [illegible] واقف دون مقام الوصول [illegible] مع الله [illegible]
الاخلاص [illegible] ذلك [illegible] كما قال [illegible] بعضهم من كان في قلبه [illegible]
جلالك فاعلم انه مريض [illegible] في تحقيق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه [illegible]
[illegible] حيث هي لاحظة لا من حيث هي [illegible]
التوحيد [illegible] وذلك هو المراد بقوله وكمال توحيده الاخلاص له [illegible]
[illegible] ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين عليه السلام [illegible]
[illegible] وصف الله سبحانه فقد جهله وذلك [illegible]
[illegible] الموصوف [illegible] انه غير الصفة الى قوله [illegible]
[illegible]
[illegible] الصفة [illegible] الموصوف [illegible]
[illegible] الصفة تشهد بحاجتها الى الموصوف وعدم قيامها بدونه [illegible]
[illegible] الصفة [illegible] واما قوله فمن وصفه [illegible]
[illegible] الصفة [illegible] بالموصوف [illegible] ان يكون [illegible] على الذات [illegible]
[illegible] وصفه [illegible] ان يكون مقارنة لها [illegible] ولا
[illegible] من [illegible] الصفة [illegible] اصلها
[illegible] الواجب الوجود [illegible]
[illegible] هذا التركيب ان من وصف الله [illegible] واما قوله [illegible]

اذا كانت الاشياء عبارة عن مجموع امور يا تستلك الامور اجزاء المنتف الكثرة من حيث انها تلك الكثرة وهي
مبادي لها ومنهم من ضم هذه المقدمة الى نتيجة التركيب الاول ينتج ان من وصفه سبحانه فقد جزاه واما قوله ومن
جزاه فقد جهله فلان كل ذي جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزؤه غيره فكل ذي جزء فهو مفتقر الى غيره
والمفتقر الى الغير ممكن فالمقصود له جزء ومتصور في الحقيقة لامر هو ممكن الوجود لا الواجب الوجود لذاته
فيكون اذن جاهلا به وضم هذه المقدمة الى نتيجة ما قبلها ينتج ان من وصفه سبحانه فقد جهله وحينئذ
ينتج المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به مما لا يجتمعان واذا
كان الاخلاص له منافيا للجهل به الذي هو لازم لاثبات الصفة له كان اذن منافيا لاثبات الصفة لان
منافي اللازم تستلزم منافاة الملزوم واذا بطل ان يكون الاخلاص في اثبات الصفة له ثبت انه في نفي الصفة
عنه وعند هذا يظهر المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وذلك هو التوحيد المطلق
والاخلاص المحقق الذي هو نهاية العرفان وغاية سعي العارف من كل وجه حسيه وعقليه وما يكون
في نفس الامر غير تعقل لبعض كل ما عداه عنه بعته فهو الوحدة المطلقة المبرأة من كل لاحق وهذا
مقام حسرت عنه نواقد الابصار وكلت في تحقيقه صوارم الافكار واكثر الناس فيه الاقوال فانتهت
بهم الحال الى اثبات المعاني وارتكاب الاحوال فلزمهم في ذلك الضلال باللزوم من المحال فان قلت
فهذا مشكل من وجهين احدهما ان الكتب الالهية والسنن النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف
المشهورة كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر وغيرها فعلى ما قلتم يلزم ان لا يوصف سبحانه بشيء منها
الثاني انه عليه السلام صرح باثبات الصفة له في قوله ليس لصفته حد محدود ولو كان مقصوده نفي
الصفات عنه كما ذكرتم لزم التناقض في كلامه فالاولى اذن ان يخص قوله نفي الصفات عنه بنفي المعاني كما ذهب
اليه الاشعرية وبنفي الاحوال كما يذهب اليه المثبتون من المعتزلة وبعض الاشعرية ليبقى للصفات
المشهورة الجارية عليه تعالى والاثبات منه عليه السلام الصفة له في موضع آخر محمل او يحمل نفي صفات المخلوقين
كما يشير رأيه عليه السلام في آخر الخطبة بالنجوم عليه صفات المصنوعين وكما ذكر الشيخ المفيد مما شيع
في كتاب الارشاد عنه جل ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حلته الصفات مصنوع قلت
والجواب عن الاول ببيان ان كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات
تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته سبحانه الى غيرها ولا يلزم من ذلك تركب في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه
تعالى بها امرا معلوما في الدين ليعم التوحيد والتنزيه كل طبقة من الناس ولما كانت عقول الخلق
على مراتب من التفاوت كان الاخلاص الذي ذكره عليه السلام اقصى ما ينتهي اليه القوى البشرية عند
عرفانه ... فقط من غير ملاحظة شيء آخر وكان اثباته عليه السلام للصفة له في
موضع آخر وصفه بالكمالات المعنوية اشارة الى الاعتبارات التي ذكرناها فذلك ...

ما هو دون درجة الاخلاص لا يمكن ان تعرف الله سبحانه بدونها وبالله التوفيق قوله ومن اشار اليه فقد حده
ومن حده فقد عده اقول يشير الى البرهان على احد امرين احدهما انه يحتمل ان يكون مراده بالاشارة الا
شارة العقلية اليه وتعلقها بعقل هذا يكون تقرير المقدمة الاولى من هذا البرهان ان من وجه ذهنه الى
كنه ذاته المقدسة وزعم انه وجدها واحاط بها واشار اليها من جهة ما هي فقد اوجب له حدا يقف ذهنه
عنده اذ الحقيقة انما تعلم من جهة ما هي وليس العقل الى كنهها انما اذا كانت مركبة وقد علمت ان كل مركب
محدود ... المعنى واما تقرير المقدمة الثانية فظاهر اذ كان حد الشيء انما يتالف من كثرة معان فيه
وكل ذي كثرة في نفسه ونتيجة هذا البرهان ان من اشار اليه فقد عده واما استحالة ان يكون معدودا
فلما علمت فيما سبق ان الكثرة مستلزمة للامكان الثاني انه يحتمل ان يكون مراده بالاشارة
نفي الاشارة الحسية الظاهرة والباطنة اليه وبيان تنزيهه عن الوجهة العددية ويكون تقرير المقدمة
الاولى ان من اشار اليه بالجهة الحسية فقد جعل له حدا وحدودا اي نهايات تحيط به وذلك لان من
يشار اليه بالحس الظاهر او الباطن فلا بد ان يشار اليه في جهة مخصوص وعلى وضع مخصوص
وما كان كذلك فلا بد وان يكون له حد واحد وحدود فاذن لو كان يشار اليه باحدهما لكان محدودا واما تقرير
المقدمة الثانية فالمراد بالعد هاهنا اما جعل مبدأ لكثرة يصلح ان يكون عادا وذلك ان كل ما ادرك عقلي
وضع مخصوص في جهة فالعقل حاكم بامكان وجود امثاله من جنسه بالاشارة الحسية ...
لكثرة يصلح ان تعد بها ويكون معدودا بالنسبة اليها واما لانه في نفسه معدود وذلك لكونه مركبا من
امور لان الواحد بهذا المعنى ليس مجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به ... بل لا بد
معها من الوضع كما علمت وعلى الوجهين يكون مجتمعا من اشياء او امور ويكون مركبا وكل مركب
على ما مر ... ان يكون واحدا بهذا المعنى كانت الاشارة اليه مطلقا تستلزم الجهل به
من حيث هو واحد واجب الوجود واعلم انه ليس اذا بطل ان يكون واحدا بهذا المعنى بطل ان يكون
واحدا فان الواحد المطلق هو ... تعالى واحد فانه تعالى واحد ... حقيقة الا
... تعالى ... لا يتركب حقيقته مما يتالف من معان متعددة لا اجزاء اقوام ولا اجزاء
حد ... كلامه ... ينبغي ان يكون له مفهوما ... بالعقل
والنافي ... واحب ... الاعتبارات الثلاثة قوله ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام
فقد اخلى منه اقول اصل فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان دخلا على ما الاستفهامية فحذفت الفها
لاتصالهما بهما تخفيفا في الاستفهام خاصة وهاتان القضيتان في تقدير شرطيتين متصلتين
... منهما ... الخلق ... عنه تعالى على هذين الوجهين وبيان المراد منهما بالتلخيص
... الاستثناء ... الذي هو ... القياس على ما هو المعتاد

[illegible] واعلم انه تقرير الحجة الاولى [illegible]
[illegible] الحمل لكنه يمتنع كونه في محل يمتنع السؤال عنه بعلام بيان الملازمة ان مفهوم في لما كان موجودا في مكان
[illegible] يقيم استفهاما عن مطلق المحل والظرف ولا يصح الاستفهام عن المحل الذي [illegible]
[illegible] الثاني انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون [illegible]
[illegible] الغير ممكن بالذات وان لم يجب حلوله فيه وجاز ان يستغني عنه فالغني في وجوده [illegible]
[illegible] ان يعرض له لو ان يحال ان يكون في محل كان السؤال عنه بقيم حقا واما [illegible]
[illegible] وانحصار السؤال عنه بعلام لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه مثلا بيان الملازمة [illegible]
[illegible] وهو العلو والفوقية لما كانت موجودا في ما كانت هذه النسبة بما هي شيء هو [illegible]
[illegible] امرين احدهما بواسطة الآخر ولازم له فالذي هو بواسطة ولازم [illegible]
[illegible] وهو ما ذكره عليه السلام واما الواسطة الملزومة فهي اثبات الجهة المعينة [illegible]
[illegible] اختصاصه بجهة معينة يستلزم نفي كونه في ساير الجهات واما حمل عليه السلام [illegible]
[illegible] اصلي منه ليستلزم من ابطال اللازم وهو الخلو عنه وبطلان اختصاصه بالجهة المعينة
[illegible] المتقدم وهو صحة السؤال عنه بعلام واما بطلان التالي فبقوله تعالى [illegible]
[illegible] كم وجهركم وقوله وهو معكم اينما كنتم فان قلت انه يثبت الجهة [illegible]
[illegible] انه لا تنافي بين اثبات الجهة المعينة وبين [illegible]
[illegible] اي بعلمه والآية من معية الخالق [illegible]
[illegible] لعرضه قلت انما حمل عليه السلام [illegible]
[illegible] لهذه الآيات ظاهر وذلك ان [illegible]
[illegible]
[illegible] العقلية على نفي الجهة [illegible]
[illegible] يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهة فوق [illegible]
[illegible] الدليل تكون ما يقتضي ابطال اللازم [illegible]
عنه بعلام ولو قال ومن قال علام فقد اثبت له جهة لم يكن ابطال هذا اللازم الا بالدليل العقلي ليكون
الظواهر النقلية تشعر باثبات الجهة له تعالى فلذلك عدل عليه السلام الى هذا اللازم [illegible] فلو وجد ما
يبطله في القرآن الكريم وهي الآيات المذكورة حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الآيات
الى التاويل [illegible] مثلا الآيات [illegible] يجوز له [illegible] الرحمن على العرش استوى فقلنا المراد
من الاستواء الاستيلاء او بالقدرة او العلم [illegible] في الكتب الكلامية واما [illegible] عليه السلام [illegible]

بالنقاد

[illegible] بالحصر والتحديد [illegible] لكون كل مستقر [illegible] ولا في التي
[illegible] القرآن الكريم فكانت الشبهة [illegible] قوله كائن لا عن حدث
[illegible] قوله الكائن اسم الفاعل من كان ويفهم ان مراده بحدث الحادث في الاصطلاح
[illegible] احدهما الحدوث الذاتي وهو كون الشيء من حيث هو لا يستحق لذاته وجودا
يستحق [illegible] خارج عن ذاته وهو ملازم للامكان والثاني الحدوث الزماني وهو كون الوجود
مسبوقا بالعدم سبقا زمانيا وهو اخص من الامكان ويقابله القدم بمعنيين فالقدم الذاتي
[illegible] الذي يستحق الوجود لذاته من حيث هو هو والمقابل للثاني كونه غير مسبوق بالعدم
[illegible] ذلك فاعلم انه عليه السلام اشار في كائن القضيتين
[illegible] عن الحدوث بمعنييه وقال بالكائن في القضية الاولى على وجوده الخارجي
[illegible] عن الزمان عن ارادته عليه السلام التقدس [illegible]
[illegible] بقوله لا عن حدث على تنزيهه عن الحدوث الذاتي واستلزم [illegible]
[illegible] تعالى وذلك يستلزم لوجوب وجوده اذ علمت [illegible]
[illegible] من كونه لذاته غير قابل للعدم ودل بقوله في القضية [illegible]
[illegible] عن الحدوث الزماني واستلزم ذلك [illegible] مقابلة من معنى العدم لوجوده [illegible]
[illegible] عن الحدوث بمعنييه وما يلزمهما من الامكان [illegible]
[illegible] لفظ الكون عليه قوله [illegible] كان الله ولا شيء واعلم ان في اطلاق لفظ الكائن [illegible]
[illegible] لفظ الموجود وهو تعليم [illegible] اطلاق لفظ الكون عليه تعالى [illegible]
[illegible] قوله [illegible]
[illegible]
[illegible] ولكن [illegible]
[illegible] فان المعية [illegible] ووجوده لوجوده [illegible]
[illegible] قال تعالى وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير [illegible]
[illegible] الزمان والمكان [illegible]
لم تكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة لها لبراءة ذاته المقدسة عن الزمان والمكان والمصاحبة لها
[illegible] وخلاصة المعنى ان ذاته تعالى [illegible] لوجود الاشياء [illegible]
[illegible]
[illegible] ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة [illegible] الزمان والمكان [illegible]

منعايتها للاشياء غير معتبر فيها ما اعتبر في المرايا المتقدس ذاته عن الزمان والمكان فكلاهما [illegible]
الثاني اي يقال ان كونه تعالى غير ذلك يحتمل معناه انه متميز بذاته اي لا بشيء من الاشياء [illegible]
والا لو فلا يحتاج ان ينفصل عنها بتفصل ذاتي او عرضي بل هو متميز عنها بذاته لا بزايد ويكون [illegible]
المرايا المفارقة بأحد الامور المذكورة بعد الاشتراك في احد الامور المذكورة واعلم ان هذه القيود [illegible]
الاحكام الوهمية باعتبار الزمان والمكان والاوصاف المخلوقة المقارنة للخلق المعنى [illegible]
والقيود تنبيهات للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتقدس ذاته عن صفات المحدثات و
كذلك قوله كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه رد للوهم الحاكم بشبهه تعالى بالمحدثات **قوله**
فاعل لا بمعنى الحركات والالة **اقول** الحركة عبارة عن حصول المتحيز في حيز بعد ان كان في حيز
آخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى آخر او غيره من التعريفات
والالة هي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطته والمراد بكونه فاعلا الان ما يصدر عنه تعالى
من الاثر لا بمعنى بحسب حركة ولا بتوسط آلة لا يفتقر عنه في نسبة صدور الفعل اليه اما انه لا يفتقر الى الحركة
فلان الحركة انما يعرض للجسم والباري تعالى منزه عن الجسمية فيستحيل وصفه بصفة الحركة في حقه
واما انه يفعل ليس بتوسط آلة فبيانه من وجهين احدهما انه لو كان كذلك لكانت تلك الالة ان [illegible]
بفعله [illegible] آلة اخرى او بدونها فان كان الاول فقد صدق انه فاعل لا بمعنى الالة وان كان فعلها بتوسط
آلة [illegible] فيها كالكلام في الاول ويلزم التسلسل واما ان لم يكن تلك الالة من فعله ولم يمكنه الفعل بدونها
كان [illegible] تعالى مفتقرا في تحقق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير ممكن بالذات فالواجب بالذات
ممكن بالذات هذا خلف الثاني انه تعالى لو فعل بالالة لكان بدونها غير مستقل بايجاد الفعل وكان
ناقصا [illegible] بكمالها بالالة والنقص على الله تعالى محال [illegible]
[illegible] بالابداع ومحض الاختراع المبرا عن نقصان [illegible] المنزه عن الحاجة الى الحركات
والالات **قوله** بصيرا اذ لا منظور اليه من خلقه **اقول** [illegible] البصير [illegible] البصر
[illegible] حقيقة في حاسة العين مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه هو المشاهد بتقليب الحدقة
نحوه [illegible] والمراد بوصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لا يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا بمعنى
ان له آلة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى انه عالم [illegible]
[illegible] قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصر اضافي يلحق ذاته بالنسبة الى مبصر وهو امر [illegible]
ازلا وابدا [illegible] المبصرات بالحس موجود ازلا لقيام البراهين العقلية على حدوث العالم [illegible]
[illegible] النسبة بالقياس اليه وجب ان لا يكون من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان
يكون الاشارة بأن في قوله اذ لا منظور اليه الى اعتبار كونه تعالى متقدما على الابد من جهة ما هو متقدم

[illegible] لا منظور اليه [illegible] ومو عالم لذاته بذاته مطلقا واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور
[illegible] تفسيره بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات [illegible] الالوان والخفيات [illegible]
[illegible] لا يعزب عنها تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الالفاظ [illegible]
[illegible] بالجملة [illegible] وان كان ظاهرا الا انه ضعيف قاصر اولا يتعدى الى ما [illegible]
[illegible] الظواهر ويقصر عن البواطن وقد قيل ان الحظ الديني للعبد من البصر
[illegible] ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات وعجيب ملكوت السموات فلا يكون نظره الا
اعتبارا وحكي ان قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته
[illegible] وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني ان يعلم انه بمراى الله ومسمع فلا يستهين بنظره
اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غير الله ما لا يخفيه من الله تعالى فقد استهان بنظره تعالى اليه والمراقبة
احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجسره وما اخسره ومن
ظن ان الله لا يراه فما اكفره **قوله** متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده
اقول المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية واشار بقوله اذ لا سكن الى اعتبار تفرده بالوحدانية
انه ازلا [illegible] من باب الجنس متفرد بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل له كما هو المفهوم المتعا
رف من انفراد بعض الناس عن بعض من عادته مشاركته في مساورته ومحادثته والفرادة
المتعارف من الحيوانات عن الاخر وهو الانس الذي يستانس بوجوده معه ويستوحش
لفقده وغيبته عنه اذ كان الاستيناس والاستيحاش متعلقين [illegible]
[illegible] توابع المزاج ولما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون منزها عن
[illegible] والتوحش فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة [illegible] الى شيء يعقل ذلك التفرد
بالنسبة اليه [illegible]
[illegible]
[illegible] الى الالة والبصر [illegible] وجود [illegible]
[illegible] سبحانه منزه عن جميع ذلك [illegible] الاوهام [illegible]
العقول عليها [illegible] وبالله التوفيق

الفصل الثاني

وفيه [illegible] قدرة الله تعالى [illegible] وفي كيفية ذلك وهو اقتصاص في معرفة المدح **قوله**
انشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة
نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها
عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء

[illegible]

فسوى [illegible] على متن الريح
العاصفة والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده الهواء من تحتها
فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف مجراها
[illegible] فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت
به عصفها بالفضاء ترد اوله على آخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه
فرفعه [illegible] وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا
وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها ثم زينها
بزينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر
وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا
يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا
سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون
بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم
والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة
دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة
لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه
بالنظائر **اقول** [illegible] اصد لاهل اللغة فرق بين الانشاء والابتداء وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا
انه يمكن ان يصدق [illegible] بينهما صونا لكلامه عليه السلام عن التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء [illegible]
الايجاد [illegible] على الموجد [illegible] وهو الايجاد الذي لم [illegible] من الموجد [illegible]
[illegible]
[illegible] الصوت [illegible]
[illegible]
[illegible] والملائمة الجمع [illegible]
[illegible]
[illegible] والاجواء جمع جو [illegible]
[illegible] والسكائك جمع سكاكة [illegible]
[illegible]
[illegible] في الآخر [illegible]

[illegible]

كل [illegible] والشدة وعصفت الريح [illegible]
العاصفة الشديدة [illegible]
والفتيق المنفتق والدفيق المندفق والاعتقام الشد والعقد واعتقم مهبها اي [illegible]
[illegible] اي جعلها عقيمة [illegible]
[illegible] لجري بقوة وشدة والصفق والتصفيق الضرب [illegible]
[illegible] واصل البحر الماء المتسع الذي [illegible] وربما خصص في العرف [illegible]
[illegible] والمخض التحريك والسقاء [illegible]
[illegible] والمائر المتحرك [illegible] اي علا وتدفق والركام [illegible]
[illegible] والمنفهق الواسع [illegible] والمكفوف الممنوع من السقوط والدسار [illegible]
[illegible] والمستطير المنتشر والفلك من [illegible] وقيل ماخوذ من [illegible]
[illegible] والرقيم اسم للفلك ايضا واشتقاقه من الرقم [illegible]
[illegible] والاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة قال [illegible]
[illegible] ثم قلبت وقدمت اللام [illegible]
[illegible] ثم ردوها اليه فقالوا ملائكة وملائك والسدنة
الحفظة جمع سادن وهو الخازن ومرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الآخر والقطر الجانب
[illegible] والنظائر الامثال ولنرجع الى المعنى [illegible]
[illegible] عن قدرة الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **قوله** [illegible]
[illegible] **اعرابي** [illegible]
[illegible] سبحانه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العقل [illegible]
[illegible]

[illegible] الى [illegible] ما كان [illegible] من [illegible] الاستفادة [illegible]
[illegible] من [illegible] حقيقى الحس والعقل وذلك ان العقل بعد [illegible]
[illegible] مثلا عجيب [illegible] الدواب [illegible] حتى كلب بان ذلك [illegible]
[illegible] اجتماع الحس والعقل من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة انما [illegible] لم يكن
[illegible] التجربة لاستفادة العلم بها انما قصد بذاته مستقلا بها والمتكفل بالله [illegible]
[illegible] وذلك على الله تعالى محال واما الحركة فقد عرفت انها من خواص الاجسام [illegible]
[illegible] عن الجسمية فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه متحرك [illegible] المتحرك [illegible]
[illegible] المتحرك اعم من ذلك واما الهمامة والهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام [illegible]
[illegible] لازم الى فعل الشيء مع الالم والغم بسبب فقده كان ذلك [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] النفساني من خواص الانسان طلب لجلب المنفعة [illegible]
[illegible] جلب المنافع الثاني مستلزم للتالم بفقد المطلوب والتالم على الله تعالى محال [illegible]
[illegible] احد الانحاء المذكورة فهو اذن محض الاختراع والابداع البرئ من الحاجة الى امر خارج
[illegible] بديع السموات والارض اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واعلم انه [illegible]
[illegible] هذه الامور مما هو كيفية في وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة بالاستفادة [illegible]
[illegible] الهمامة بالاضطراب ينتفي الكيفية بما تقدم [illegible]

قوله احال الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها القول

[illegible] احداث العالم الى انه تعالى جعله [illegible]
[illegible] الحصول عليه وعلى وفق حكمته البالغة [illegible] الى ذاته والمراد بقوله احال الاشياء [illegible]
[illegible] كل [illegible] بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي [illegible]
[illegible] لا يستقدم [illegible] من العدم والاسباب [illegible]
[illegible] المصرونة [illegible] واللام في لاوقاتها لام التعليل [illegible]
[illegible] قدرة الله [illegible] الا [illegible]
لا يستقدم [illegible] اجلهم [illegible]
[illegible] على كمال قدرة الله تعالى [illegible]
[illegible] ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى وعلى وفق حكمته [illegible]
[illegible] الامزجة [illegible] المتضادة [illegible]
اللطيف بالكثيف [illegible] وغاية البعد بقدرته [illegible]

[illegible] ان الملائكة [illegible] الارواح اللطيفة [illegible]
الى مادة [illegible] وبين هذه الابدان [illegible] اللطيفة [illegible]
[illegible] من المصالح على النظام الافضل والطريق الارشد مما يشهد بكمال قدرته ولطف [illegible]
[illegible] اشارة الى ركن القوى [illegible] والنفسانية [illegible] كل ذي طبيعة
[illegible] ما التي [illegible] من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان
[illegible] للاسد [illegible] والمكر للثعلب وغير ذلك عن ايجادها فيها بالعمود وهو [illegible]
[illegible] الذي يركز في الارض من جهة المبدا او من جهة الغاية وذلك
[illegible] هذه الغرائز [illegible] الغاية من ذلك ما يحصل منها من الاثار الموافقة
[illegible] الارض لغاية ان يثمر ثمرة ينتفع بها وقوله والزمها
[illegible] انها لا تفارقه [illegible] عنها لان اللازم [illegible]
[illegible] من اللوازم والغرائز لا تفارقها سواء كانت تلك الغرائز
[illegible] بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة [illegible] من لوازمها
[illegible] الموجود [illegible] ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عايد الى
[illegible] الى الاشياء كان المراد انه سبحانه لما اختلف الاشياء لاوقاتها ولائم بين
[illegible] وقضاياه [illegible] كلية اشخاصها الجزئية التي وجدت فيها [illegible]
لوازم الماهيات مقتضى الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله [illegible]
[illegible] لماهيته [illegible] وجوده لا بقدرة الله تعالى يكون [illegible]
[illegible] الايجاد [illegible] وجودها قوله عالما
[illegible] القول [illegible]
[illegible]
[illegible] الاقوال [illegible]
[illegible] القضية الاولى [illegible] على [illegible]
[illegible] القضية الثانية [illegible] الاقوال [illegible]
[illegible]
[illegible] القضية الثالثة [illegible]
[illegible] الاقوال [illegible] بالاشياء [illegible]
[illegible] على وجه التركيب او المجاورة [illegible] العناصر بعضها [illegible]

[illegible] على [illegible] تعالى [illegible] وبيان [illegible] الاحكام [illegible] بيان
[illegible] وذلك [illegible] العلم الالهي فان قلت [illegible]
[illegible] على الله تعالى لا يجوز لقوله النبي صلى الله عليه ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها [illegible]
[illegible] اجماع علماء النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت [illegible] ان ابا [illegible]
[illegible] التسعين لوجهين احدهما قول النبي صلى الله عليه اسئلك بكل اسم [illegible]
[illegible] او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك فان هذا صريح [illegible]
[illegible] بعض الاسماء الثاني انه صلى الله عليه قال في رمضان ان اسم من اسماء الله تعالى [illegible]
[illegible] اي الاسم الاعظم وكان ينتسب ذلك الى بعض الانبياء والاولياء [illegible]
خارج من التسعة والتسعين واذا كان كذلك كان الكلام في قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما
[illegible] دخل الجنة قضية واحدة معناها الاخبار بان من احصى تسعة وتسعين [illegible]
[illegible] الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها لمزيد شرف لا يكون [illegible]
[illegible] انواع المعاني المبنية عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها [illegible] ان يكون لله تعالى اسم غيره
[illegible] جاز ان يكون العارف من تلك الاسماء لا يقال ان الاسم الاعظم [illegible]
[illegible] اختصاص معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان كذلك فكيف [illegible]
[illegible] يحتمل ان يكون خارجا منها ويكون [illegible]
[illegible] ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرفه بعينه ويكون [illegible]
[illegible] ثم انه سبحانه من فتق الاحوال [illegible]
[illegible] في الفصل المتقدم الى [illegible] العالم [illegible] على سبيل الاجمال [illegible]
[illegible] حسن ابن ادم ههنا وفيه ابحاث **البحث الاول**
[illegible] من هذا الفصل ان الله سبحانه خلق قبل خلق الماء [illegible] ثم خلق [illegible]
[illegible] وقدر سبحانه [illegible] الماء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] والتي [illegible]
[illegible] منه العلى **البحث الثاني** [illegible]
[illegible] السموات تكونت من الدخان لقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان [illegible]
[illegible] **الاول** ما روي عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام [illegible]
[illegible] ان يخلق السماء امر الرياح فضربت البحر حتى ازبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان [illegible]
[illegible] من غير نار فخلق الله منه السماء **الثاني** ما نقل انه جاء في السفر الاول من التوراة [illegible]
[illegible] الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء [illegible]
[illegible] السموات [illegible] مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال [illegible]
[illegible] فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك سمي مكة ام القرى **الثالث**
[illegible] ان الله تعالى خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة [illegible]
[illegible] ثم خلق الريح [illegible] ثم وضع العرش على الماء كما قال تعالى وكان عرشه على الماء
الرابع ما نقل عن [illegible] من الحكماء القدماء فانه نقل عنه بعد ان وجد [illegible]
[illegible] لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها [illegible]
[illegible] العنصر [illegible] ومنه انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما [illegible]
[illegible] كل تركيب من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض [illegible]
الخامس [illegible] تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك [illegible]
[illegible] الحكيم الذي [illegible] الاشياء [illegible] من هذه [illegible]
[illegible] قال [illegible] فكان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الماء والامتزاج بالهواء [illegible]

٤٩

في الهواء لخفته ولطافته ثم بلغ الغاية في صعوده على قدر رقته ونضجه من الحرارة فكان منه الفلك الاعلى وهو
... ثم حكت الغاية التالية فخرج منه دخان متوافق لطافة صعدا اولا واضعف مما صعد اولا
عن العلوي بجوهره ولطافته ولم يبلغ ذلك لثقله لطافته عما قبل فكان منه الفلك الثاني وهو فلك
المشتري وهكذا الى طلوع الدخان ... وتكون الافلاك الخمسة الباقية عنه بعد الاستارات كما
مطابقة على ان الماء هو الاصل الذي تكونت عنه السموات والارض وذلك مطابق لكلامه عليه السلام

البحث الثالث قوله وادام مرسيها قال قطب الدين الراوندي رحمه الله اي ادام جميع الريح
لمكانه ومرسيها له قلت تقرير ذلك ان الماء لما كان مقر الريح الذي انتهت اليه وعملت في تحريكه كان ذلك
هو مرسيها اي الموضع الذي لزمته واقامت به فقوله وادام مرسيها اي ادام حركة الماء واضطرابه ...
وهو محل ارسائها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر والتقدير دام ارسائها اي ملازمتها
لحركة الماء وايضا فيحتمل ان يكون قد شبهها في كونها سببا للاثار الخيرية وفي كثرتها وقوتها بالديمة فكان
محلها ومقرها الذي تتصل اليه وتقيم به قد اقامه اي سقاه ديمة وقوله وابعد منشاها قال ... ارتفا
عنها ثقلت المنشا محل النشو وهو الموضع الذي انشاها منه فلا يفهم منه الارتفاع الاعلى ...
استعمله لموضع الانشا استعمال المصدر اي بلغ بانشائها غاية بعيدة والاقرب انه يشير الى ...
من مبدا بعيد لا يمكن الوقوف على اوله وهو قدرة الحق سبحانه وجوده وقوله وامر بها قال ... اي امر
الموكلين بها من الملائكة بضرب الماء بعضه بعضا وتحريكه لتحضر اللبن ... فاطلق الامر عليها مجازا
لانه الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على امر الريح اولى لان في التقدير الذي ذكره يكون التجوز في لفظ
الامر لعدم القول المخصوص ... فيحمل على قصد ملائكتها وفي نسبته الى الريح ايضا ...
... كان التجوز في لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله ... اي ...
... وشد عصفها ... المصدر واقام المضاف اليه مقامه ...
... المصادر واعلم ان اللام في قوله بتصفيق الماء ... في قوله ... ان الماء ...
وهو ... التكرار ... في الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
وان قلت ... الا لاحوا ... والارجا ... الموامور ... فكيف يصح ... الى ...
قلت ان هذه الالفاظ عبارة عن الخلا والاخبار ... في الخلا والخروج ... الوجود ...
وجوده ... فان كانت وجودية كانت نسبتها الى القدرة ظاهرة ويكون معنى ...
... العدم ... في ... خلق ... وان كانت عدمية كان معنى ... وتسويتها
الى التقدير ... المطلق ...
... الماء ... التقدير ... فوقه ... نسبتها الى ... سبحانه ...

... الجسم فيها ... روي ... الى ... وهذا ما ... في الهواء ... تعقيب سؤال العارف
جعفر بن محمد عليهما السلام اليه ذلك وقال ... سمعت ... مختلفين فيه ... عليه السلام ...
هذا الخلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه انما اعرض عن بيان ذلك لان اولياء الله الموكلين بايضاح سبيله
... على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات الا الى احد امرين احدهما يؤدي الى ...
... والثاني ما يصرف عن الضلال ويؤدي الى سواء السبيل وبيان ان الهوا مخلوق او غير مخلوق
... كثير فائدة في ... فلا يكون الجهل به مما يضر في ذلك فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه ... ١
اولى **البحث الرابع** ان القران الكريم نطق بان السماء تكونت من الدخان وكلامه عليه السلام ناطق بانها تكونت
من الزبد وما ورد في الخبر ان ذلك الزبد هو الذي تكونت منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الاقوال
فنقول وجه الجمع بين كلامه عليه السلام وبين لفظ القران الكريم ما ذكره الباقر عليه السلام وهو قوله ...
... المج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السما ولا شك ان القران الكريم لا يريد بلفظ
الدخان حقيقته لان ذلك انما يكون عن النار واتفق المفسرون على ان هذا ... الدخان لم يكن عن نار بل
... ومجاري ... لمواجه ... استعارة للبخار الصاعد من الماء واذا كان كذلك فنقول
كلامه عليه السلام مطابق للفظ القران الكريم وذلك ان الزبد ايضا بخار تصاعد على وجه الماء عن حرارة
... لا ... الكلام ... عليه باق على وجه الماء لم ينفصل فانه يختص باسم الزبد
... فانفصل خص باسم البخار واذا كان الزبد بخارا والبخار هو المراد
بالدخان في القران الكريم كان معنى ... القران واحدا فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت عنه
السموات والذي لم ينفصل هو الذي تكونت عنه الارض وهو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان والبخار
الذي ... استعارة لفظه له ... احدهما حسي وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار
... الحسي ... والثاني معنوي وهو كون البخار اجزاء مائية ...
... الدخان ... ولكن عن حرارة النار فان الدخان ايضا
... بخار ... المخرج ... لطافتها عن جزء النار فكان الاختلاف بينهما
... فلذلك صح استعارة اسم احدهما للاخر والله ولي التوفيق **البحث الخامس**
قال المتكلمون ان هذه الظواهر من القران وكلام علي عليه السلام لما دلت عليه من كون الماء اصلا تكونت عنه
السموات والارض وغيرهما ... ان الترتيب المذكور في المخلوقات امر ممكن في نفسه
... على ... قادر على جميع الممكنات ثم لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من اجراء هذه الظواهر
على ما دلت عليه ... وجب علينا القول بمقتضى ... والاجابة ...
... ان جمهور المتكلمين متفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام متركبة عنه ...

[illegible] ان الجواهر [illegible] الى الهيولى الجسمية [illegible] التاليف والوجود [illegible]
[illegible] تفريب [illegible] يقال [illegible] الجواهر ثم يؤلف بينها فيوجد منها الاجسام
[illegible] السموات الارض تكون من الماء ولانا نقول هذا ظاهر الا ان يجوز ان يخلق الله تعالى
[illegible] الاجسام من تلك الجواهر ثم يكون باقي الاجسام من الاجسام الاولى والله الحق فلم يكن الترتيب
[illegible] هذه الظواهر في تكوين الاجسام موافق لمقتضى ادلتهم لتاخر وجود العناصر عندهم
[illegible] السموات لا جرم عدل بعضهم الى التاويلها توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا امن التاويل
[illegible] **الوجه الاول** قالوا العالم عالمان عالم يسمى عالم الامر ومنه عالم الملائكة الروحانية [illegible]
[illegible] عالم الخلق وهو عالم الجسمانيات الاول نسبة الى عالم الجسمانيات ومتوسطة له [illegible]
[illegible] لانه طريق الترقي الى العالم الروحاني وتعذر السير الى الحضرة الالهية ثم [illegible]
[illegible] ان قدرة الله سبحانه ترجع الى كون ذاته عالمة بالكل على [illegible] بالذات [illegible]
[illegible] توقفه على وجودي ثم لما دل دليلهم على ان رتبة صدور عالم الامر اعلى في الوجود [illegible]
[illegible] المبدع الاول من عالم الخلق اذ كان صدور عالم الخلق انما هو بواسطة عالم الامر [illegible]
[illegible] عن القدرة ابتداء اولا واعتبار ايجاد عالم الخلق عنها [illegible]
[illegible] اليه عليه السلام صفة موافق لما اصلنا [illegible] مناسب له [illegible]
[illegible] الحوادث الى سلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على [illegible]
[illegible] ايجادها وبعثها وشوقها الى وجودها [illegible] المتراكم الى الكمالات التي [illegible]
[illegible] فيها الى افاضته على كل واحد منها [illegible] بواسطة [illegible]
[illegible] الذي اشرنا اليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فلما [illegible] الفاعل تام القابل [illegible]
[illegible] الفيض [illegible] صدوره عن واجب الاعلى تام القابل يكون الفاعل تام [illegible]
[illegible] قوام كل شيء [illegible] في عالم الكون كذلك الفيض الالهي [illegible] قوام كل موجود [illegible]
[illegible] في القرآن الكريم [illegible] جمهور المفسرين [illegible] ابن عباس رضي الله عنه [illegible]
[illegible] من الحق [illegible] العلم [illegible]
[illegible] على القلوب [illegible]
[illegible] الاحسان [illegible]

عل

[illegible] العقل [illegible]
[illegible] فانما تحصل فيه من [illegible] الامطار [illegible]
[illegible] علم القرآن ما يليق بحث العلم من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصوره [illegible]
[illegible] مذكور في التفاسير وما في تشبيه الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعها كان دفعة [illegible]
[illegible] عليه كان اشبه ما يشبه من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح [illegible]
[illegible] الاجسام [illegible] بوصف تشبيه للسرعة الثانية وما اسميها [illegible]
[illegible] والضعف تحقيقا للقوة الغالبة والشدة الشديدة واما [illegible]
[illegible] ان ذلك انه امرها وهو عبارة عن نسبة ذلك الامر [illegible]
[illegible] عقولنا الضعيفة وقابلة الروح والشدة هو وسط امر سبحانه [illegible]
[illegible] عنه على كل موجود بحسب نوعه المستلزم لذوه عمن ليس له ذلك [illegible]
[illegible] فاشارة الى احاطة امره سبحانه بما تلك القوابل من الكمالات الفائضة [illegible]
[illegible] ان قبول القوابل المذكورة وتلقيه على القوابل وكل ذلك بترتيبه [illegible]
[illegible] فيه [illegible] اما الريح الثانية فاشارة بها عليه السلام الى الامر الثاني [illegible]
[illegible] ذلك الامر والقاعة على وفق الحكمة الالهية او الى عدم المانع [illegible]
[illegible] ذلك الامر فانه شبه الفيض الصادر بهذا الامر على [illegible]
[illegible] الكائنة على الاماكن التي تجتمع بها وبقيم واردا ان الحال القابلة [illegible]
[illegible] بعضه [illegible] الى سرعة ذلك الامر وصفه به [illegible]
[illegible] الى عدم [illegible] ذاته [illegible]
[illegible] امواج البحار الى نسبة [illegible] صور الافلاك [illegible]
[illegible] الملائكة [illegible]
[illegible] الملائكة [illegible] الشفاء [illegible]
[illegible] على نظام الكل [illegible]
[illegible] كل منها من تلك [illegible] حتى [illegible] الى [illegible]
[illegible] عن [illegible] ان يعطي بواسطتها الفيض لغيرها [illegible]
[illegible] اعطاء صور الافلاك [illegible] بواسطتها [illegible] صور الافلاك [illegible]
[illegible] الملائكة [illegible]
[illegible] الصور حاصلة عن تلك [illegible] العقلية [illegible]

من الماء ومنكون عنه قبلها وامادقه في موا سفل [illegible] فاشار الى الحاق صور الاولي
[illegible] وصورها من الافلاك باجبا زها ورفعها اليها وقوله [illegible]
[illegible] الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل والترتيب واما تخصيصه بالسبع فلان المذكور
في الشريعة معروفان باسمين اخرين وهما العرش والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكما السابقون
[illegible] بالبيس الملطي بالعنصر الاول هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع الاول
واسطة في ايجاد الموجودات وفيه صورها وعنه تفاض كما ان بالماء قوام كل حي عنصري وبواسطته
[illegible] سيما في التوراة فان المراد بالجوهر المخلوق لله اولا هو المبدع الاول وكونه تعالى [illegible]
[illegible] وبان اجزائه اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله تعالى وقدرته والزبد الذي [illegible]
منه الارض والدخان الذي تكونت منه السموات اشارة الى كمالات السموات والارض وصور [illegible]
عن كمالات علمها صدور البخار والزبد عن الماء ودل هذه تجوزات واستعارات بلاحظ في تفاوت
حسنها [illegible] المناسبة وبعد ما الثاني قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى هو العقل
الاول [illegible] الحاصل للفيض الالهي الى ما بعده وهو المحيط لصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله [illegible]
[illegible] والماء من فوقها دقيق فان المراد اشارة الى القوابل بعد وبواسطته والماء اشارة الى
[illegible] عن الاول سبحانه فان الدقيق لما كان [illegible] عند حركة الماء [illegible]
[illegible] الذي يوقف فيه وبالريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة الاول
سبحانه [illegible] من العقول التي بواسطتها تصعد [illegible] ووصف الريحين بالعصف
[illegible] الى ما يحصى [illegible] المبدأ من القدرة وامر الريح الثانية بتصفيق الماء والرخال
[illegible] البخار اشارة الى تحريك العقل الثاني الذي بعده الى افاضة الكمالات للافلاك [illegible]
[illegible] ولما جاء في [illegible] الاول **قوله** جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسقف
[illegible] **اقول** هيهنا ابحاث **البحث الاول** هذا الكلام يجري [illegible]
التشبيه [illegible] لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها السموات بما فيها
[illegible] التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن صنعة الصانع سبحانه في ملكوت السموات وبدايع صنعه
[illegible] لتذكروا نعمة ربهم فيقبلوا على عبادته ويحمدوه على تمام ذلك الاحسان كما قال تعالى
ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فان دل [illegible]
[illegible] على العباد [illegible] وان كان فيها ما يستبعده الاذهان الضعيفة كونه نعمة على العباد كحركات السموات
[illegible] اي احسب [illegible] الفلاسفة يقولون وما فائدة حركة السماوية [illegible]
[illegible] علمت انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات في هذا العالم اصلا فلم يكن العبد [illegible]

[illegible]

فلما كان يجري محله من السماء [illegible] قرب الى القدس [illegible]
[illegible] وجود الكواكب والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر [illegible]
[illegible] تعالى ان يتصل بالعبد كما عداه الارض مثلا لحصول المنافع التي منها قوام [illegible]
[illegible] ان الله سبحانه [illegible] السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك انها اكثر من ذكر [illegible]
[illegible] منها اشارة الى فضل السماء على الارض اذا عرفت ذلك فاعلم ان قول [illegible]
[illegible] سقفا مرفوعا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا وقوله وحفظناها من كل [illegible]
[illegible] وسمكا مرفوعا [illegible] بلا عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى خلق السموات [illegible]
[illegible] وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم زينها بزينة الكواكب [illegible]
كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله فاجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله
تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا **البحث الثاني** في هذا الفصل استعارات
الاول قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة [illegible] والارتفاع
[illegible] من العلو وقال بعض الشارحين اراد انها كانت في الاول موجا ثم عقد [illegible]
[illegible] المكفوف الثانية قوله سقفا محفوظا استعار لفظ السقف من [illegible]
[illegible] لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار [illegible]
[illegible] ان يكون منقولا واراد بقوله محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس [illegible]
[illegible] الشياطين لا تحجب من السموات وكانوا يدخلونها ويخبرون اخبارها فلما ولد [illegible]
[illegible] ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه منعوا من السموات كلها فما منهم احد [illegible]
[illegible] تلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم [illegible]
[illegible] وذلك ان الله تعالى **قوله** [illegible]
[illegible] لما كان [illegible] قدرة العبد وغايتها اذا تمكن من بناء بيت وان يسقفه [illegible]
[illegible] يقوم عليها ذلك السقف [illegible] الى [illegible] قدرة الحق [illegible]
واعلى [illegible] ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وتعالى [illegible] صفات المخلوقين [illegible]
[illegible] من قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل ان يكون وقوفها
هنالك [illegible] لان الاجسام متساوية في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب [illegible]
[illegible] في ذلك الحيز [illegible] والخلاء [illegible] فيه لموضع دون اخر [illegible]
[illegible] معلقة بحكم [illegible] في وقوف ذلك الجسم في الحركة [illegible]
[illegible] فلم يبق الا ان يقال انه وقوفها بقدرة الصانع الحكيم المختار فان قلت قوله

[illegible]

[illegible] تعالى [illegible] علما [illegible] عليه [illegible]
[illegible] الكواكب [illegible] وجهين احدهما انه يحتمل ان يكون نورها كلا [illegible]
[illegible] الثاني يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كما نقل عن الحسن البصري [illegible]
[illegible] بغير عمد الثالث وهو الالطف ما ذكره الامام فخر الدين رحمه الله [illegible]
[illegible] عليه والسموات معتمدة وقائمة على قدرته تعالى فكانت هي العمد التي لا ترى [illegible]
[illegible] السابع وهو الاحق وهو ما ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص [illegible]
[illegible] على ان الحكم عمن خلاف ذلك فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب [illegible]
[illegible] الثالثة الثواقب استعارة في الاصل للثقب عن الاجسام التي تثقب جسما [illegible]
[illegible] التي لاجلها سمي الشهاب ثاقبا انه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما [illegible]
[illegible] صار اطلاقه عليه حقيقة او قريبا منها الرابعة قوله سراجا استعير [illegible]
[illegible] وجه المشابهة ان السراج القوي المشتعل لما كان من شانه ان يضيء ما حوله [illegible]
جميع نواحي البيت ويهتدى به في الظلمة كذلك الشمس مضيئة لهذا العالم ويهتدى بها [illegible]
الخامسة [illegible] استعار له اصلية للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثم [illegible] استعمال هذا [illegible]
في الفلك حيث صار اسما من اسمائه **البحث الثالث** اعلم ان هذه الاستعارات [illegible]
[illegible] هذا العالم بالبيت واحد [illegible] نصبت على الارض وجعلت [illegible]
[illegible] عن ان تصل اليه مردة الشياطين كما يحمي عن البيت بالسهام والحراب [illegible]
[illegible] موضع غاية علوه وارتفاعه [illegible]
[illegible] الكواكب [illegible] والذي [illegible]
[illegible] خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في [illegible]
[illegible] النور والضوء كما قال ابن عباس في قوله بزينة الكواكب اي [illegible]
للكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند النظر اليها [illegible] في سطح [illegible] على [illegible]
[illegible] وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط [illegible]
ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرما واشدها [illegible] واكثرها ضياء [illegible]
[illegible] فجعل احدهما ضياء للنهار والاخر ضياء لليل ثم لم يجعل [illegible]
[illegible] احكامه فيه اظهر وصنع حكمته فيه ابدع ثم لم يجعل [illegible] طبقا واحدا
[illegible] في كل طبق [illegible]
[illegible] فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان يتشبه بالكم [illegible]

[illegible] الطلال [illegible] علوا كبيرا [illegible]
[illegible] اصناف الخلق بحيث اذا لاحظوا مع جزئي من جزئيات هذه [illegible]
[illegible] من اي ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة الا [illegible]
[illegible] اذا هم بوضع بنيانه وبالغ في تحسينه وتزويق سقوفه وترصيعها بانواع الجواهر [illegible]
[illegible] العجيبة لا [illegible] وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن غايته الا ان يلحظ [illegible]
[illegible] الى ظاهر هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من [illegible]
[illegible] والاسرار اللطيفة التي تعجز القوى البشرية عن ادراكها ويحتاج فيها [illegible]
[illegible] فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المتنبه [illegible]
[illegible] الذي بنيته وهذا البيت العظيم وقس سراجك الى سراجه [illegible]
[illegible] انما خلقه لك والآن نوعك ليكون فيه [illegible] قوام حياتكم [illegible]
[illegible] على كمال قدرته وحكمته لترجعوا بذلك الى حضرته [illegible]
[illegible] وعرفه الا انه لا حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء والعجب [illegible]
[illegible] وتوقيتها على [illegible] فلا يزال يتعجب من حسنه وصدق صانعه [illegible]
[illegible] اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه وقدرته ولا يحيره [illegible] **البحث الرابع**
[illegible] قد نطق [illegible] على ان [illegible] الافلاك بعضها فوق بعض فمنها سبع [illegible]
[illegible] لا يتحرك [illegible] على الكواكب وهي اجرام نورانية [illegible]
[illegible] اجرام الافلاك [illegible] الكواكب الا القمر [illegible]
[illegible] الا الزهرة [illegible] الا الشمس [illegible]
[illegible]
[illegible] الكواكب والا [illegible]
[illegible] على ان الافلاك [illegible] الكواكب [illegible] الحركة [illegible]
[illegible] حيث قال [illegible] اذا عرفت ذلك فاعلم ان [illegible]
[illegible] الوجود [illegible] جميع الموجودات من الافلاك ومقاديرها واعدادها في
[illegible] وهيئة الارض وما عليها من حيوان ونبات [illegible] على [illegible]
[illegible] النظام الكلي للعالم [illegible] شيئا [illegible]
[illegible] من الحركات والاوضاع [illegible] الحوادث في عالم الكون
[illegible] من حرارة وبرودة [illegible] الله [illegible]

بعضها ببعض اماراتها المختلفة تشتمل لتعدد الحوادث المختلفة من حيوان ونبات ومعادن و[illegible]
للتدبير ما يتعلق بحكمة الصانع فان تحرك الشمس اليومية تحصيل النهار والليل والنهار ومنه زمان [illegible]
فيها يكون لاهل الكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحياة ويكون سببا الى السعادة الاخروية
ثم انها اذا بدت حركتها اليومية لا تزال تدور فتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب وقد اضاءت كل جهة من
الجهات فيحصل من الاشراق والاستعداد به واما الليل ومنه زمان غروبها فان فيه هدو الخلق وقرار
الحيوانات ليحصل الراحة وانبعاث القوى الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال تعالى هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت
الشمس في كل جهة ضوؤها كالسراج يدفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم فصار النور والظلمة
على تعاقبهما منتظمين على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركتها الجنوبية والشمالية فقد جعلها
سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة والنبات فيتولد منهما مواد الثمار
ويكثر السحاب والامطار وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن
وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان
للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتتحلل فضول الابدان وتجف الارض وتتهيأ [illegible]
والعمل وفي الخريف تظهر اليبس والبرد فتنتقل فيه الابدان على التدريج الى الشتاء ما لو وقع
دفعة لهلكت وفسدت واما القمر فان بحركته يحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه ولتعلموا
عدد السنين والحساب فيمكن العبد بالحساب من ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات
الشتاء والصيف وباختلاف حاله في زيادته ونقصانه تختلف حالة احوال الرطوبات في هذا العالم
[illegible] متعلق بالافلاك دون الكواكب لكان [illegible] لم يحصل ما ذكرنا ومن الاختلافات الفصول
والحر والبرد فلم يتم نظام العالم لما كانت اسبابا فيه من الاستعدادات ولم يتهيأ لنا [illegible] على
كما قال الله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات
البر والبحر وان [illegible] تشابه اثرها في الامكنة والازمنة [illegible] الكواكب ولم [illegible]
[illegible] في موضع بعينه فيفسد استعداده ويخلو الموضع الاخر عن التاثير ولما [illegible] وفصول الحكمة
ولا حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة في نظام الكل
[illegible] الوجه فهو اجل اجزاء الوجود وكل ذلك يدل على كمال رحمة الله وجلالته وشمول عنايته
ثم اذا كان جميع ما ذكرنا من المنافع الحاصلة في هذا العالم مستندا الى علو تدبيره [illegible]
كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ولايقاف السؤال على ما ذكر من وجهين احدهما ان

الترتيب

الترتيب الذي ذكره نوع في تخصيص كل ذلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني [illegible] الشهب والثواقب التي جعلت رجوما
للشياطين على ما نطق به القرآن الكريم اما ان تكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا يكون والاول باطل
لان هذه الشهب تبطل بالانقضاض وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء الكواكب ونقصان
اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك النقصان البتة والثاني يشكل بقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فانه نص على كون الشهب التي جعلت رجوما للشياطين
هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء وانا نجيب عن الاول بانه لا تنافي بين ما [illegible]
ما ذكرناه وبين ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام الخلق حاكمة عند النظر
الى السماء وما هذه الكواكب بكونها مرتبة بها لا جرم صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لان الزينة
بها انما هي بالنسبة الى اوهام الخلق للسماء الدنيا وعن الثاني انا نقول ان هذه الشهب غير تلك الثوابت
الثاقبة واما قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل مضيء
حصل في الجو العالي او في السماء فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول
الزمان وهي الثوابت ومنها متغيرة وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين
ويصدق عليها انها زينة السماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا وبالله التوفيق **قوله** ثم [illegible]
الى مراتب العلى الى قوله ولا يشعرون اليه بالنظر فيه ابحاث **البحث الاول** هذا الفصل
[illegible] تمام التفسير لقوله فسواهن سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ها هنا من ترقي المراتب
الى طبقاتها واسكان كل طبقة منها ملأ معينا من ملائكته يكون تمام التسوية والتعديل لعالم الروحانيين
[illegible] ثم اخر ذكر [illegible] السموات واسكان الملائكة فيها عن ذكر اجرام الشمس والقمر وغيرهما [illegible]
[illegible] بالكواكب [illegible] على اختصاص بعضها ببعض الكواكب [illegible]
[illegible] الى تسوية السموات [illegible] جملة فكانه قدر اولا ان [illegible] السموات
[illegible] كما عليه بعض المفسرين لقوله تعالى ان السماوات والارض كانتا رتقا ثم ذكر [illegible] من
[illegible] مجموع السطحين الداخل والخارج لتركب الكل ثم اشار الى بعض [illegible]
[illegible] والشمس والقمر جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاشار الى تفصيلها وتمييز بعضها عن بعض
[illegible] واسكان كل واحد منها ملأ معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة [illegible]
[illegible] التقديم للاجمال في الذكر وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة في الخطابة [illegible]
[illegible] فنقول [illegible] قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى كقوله تعالى
اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وقوله فملأهن اطوارا من ملائكته

منهم يجوز ان يكونوا كقوله تعالى وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقوله يسبحون الليل والنهار وهم لا يسأمون وقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله ومنهم انبياء كقوله تعالى نزل به الروح الامين وقوله والبينة الى رسله كقوله تعالى جاعل الملايكة رسلا وقوله ومنهم يبلغون بقضايه وامره كقوله تتنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله منهم الحفظة لعباده كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله والتوبة لاصحاب جنانه جنة كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله والمناسبة لقوام العرش كقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله باحجتهم كقوله تعالى اولي اجنحة

البحث الثاني اعلم ان للناس في تفسير قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا احدها ما قال ابن عباس والضحاك وعطاء وقتادة ان السماء والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء الثاني قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتحها بها الثالث قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض الرابع قال عكرمة وعطية وابن عباس في رواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اي لا تنبت شيئا ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والصدع وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الاية الخامس قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اي كانت امورا كلية في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اي اخرجناهما الى الوجود الخارجي وميزنا بعضها عن بعض وهذا القول مناسب للاقوال الثلاثة الاول والصحيح تحقيقا ان يقال قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الاية هو انطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة عن ظهور الميل فالواو مما يناسب مذهب قول ابن عباس وعكرمة فانهم لما قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت فان الرتق والفتق الذي ذكرناه اشارة الى اسباب ما ذكروه وابطنا في الايتين وهو الوتق ويوجب خراب العالم السفلي وعدم المطر والنبات وظهور الميل الذي هو الفتق يوجب وجود الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت هذا علم ان قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى موافق للاقوال الثلاثة الاول مع القول

الخامس

من الاجسام منفتق ما اليها واما الفتق فهو تميز الاشياء بعضها عن بعض ... في تحقيق الفتق ... بان الكيفية تحليق العالم ... ان الملايكة والرتق والفتق في هذا القول ... عن كون الاجرام العلوية ... وما يعقل ... طهور الميل بوجه ما على وجود الملايكة السماوية واسكانها اطباق السموات وما ... التوفيق

البحث الثالث الملايكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملايكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون الثانية الملايكة الحاملون للعرش لقوله تعالى الذين يحملون العرش وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الثالثة الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله الرابعة ملايكة السموات والكرسي الخامسة ملايكة العناصر السادسة الملايكة الموكلون بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان السابعة الملايكة الحفظة الكرام الكاتبون كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله الثامنة ملايكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم التاسعة ملايكة النار كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر وقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملايكة ليست عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهايم بل القول المحصل فيها قولان الاول وهو قول المتكلمين انها اجسام نورانية الهية قادرة على التشكلات المختلفة والافعال الشاقة ذوات عقول وافهام وبعضها اعلى من بعض في الكمال درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم والقول الثاني قول عبدة الاوثان انها ليست باجسام لكنها امور مجردة عن الجسمية وعن تدبير الاجسام ومنها من له الامر الاول دون الثاني ومنها من ليست بمجرد بل جسماني حال في الاجسام وقايم بها وتحقيق تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل وقيل منهم الثمانية المذكورة في القران ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم روساء الملايكة المدبرين للكرسي والسموات السبع وذلك ان هذه الاجرام لها كالابدان وهي بابدانها اشخاص حاملون العرش فوقهم واما الحافون حول العرش فقيل هم صنف اقرب الى العرش هي الارواح الحاملة للكرسي الموكلة به والمتصرفة فيه واما ملايكة السموات فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والادارة باذن الله عز وجل وكذلك ملايكة العناصر والجبال والبحار والبراري والقفار وساير المركبات من المعدن والنبات والحيوان المتصرفة كل منها المنحصرة على اختلاف مراتبها واما الملايكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال احدها

والسنة بعضهم ان الله سبحانه حفظ الطبائع المتضادة وسوح بين العناصر المتنافرة حتى استعد لتركيب
ممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى الحسية والحركية فالمراد بذلك الجنود
التي ارسل الله تعالى في تلك النفوس والقوى التي تحفظ تلك الطبائع المقهورة على امتزاجها الى
ان نهايتها على انفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صورة ما يفعله لتشهد بعمل انفسها يوم القيامة كما قال
والاشهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهي المعقبات
من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقيل الحفظة العباد غير الحفظة على اعماله
والكاتبين لاعماله وسنشير الى ذلك الثاني قال بعض القدماء ان هذه النفوس البشرية
والارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء وفي
الجود والعفة والحرية والدالة والشرف والدناءة وغيرها من الهيات ولكل طائفة من هذه الارواح
السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها ويقظتها ومنامها
تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهو مبدا لما يحدث فيها من خير وشر
ويعرف ذلك الهادي في مصطلحهم بالطباع التامة يعني ان تلك الارواح الفلكية في تلك الطبائع والاخلاق
تامة كاملة بالنسبة الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها وعليها قال تعالى في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة الثالث قول بعضهم ان للنفوس المتعلقة بالاجساد
الاجساد وما كله ومشابهة مع النفوس المفارقة عن الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس
التي لم تفارق فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة
والموافقة فيصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد واما ملائكة الجنة فمنهم خزنة
الجنان المذكورة في القرآن ثمان وهي جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن
ودار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات ومن وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام
وغير ذلك فاعلم ان اهل الجنان سكانها وخزانها من الملائكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يتلقون عبادا اذ به القيامة
لحين ما لشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان للانسان الطائع اذا كملت طاعته وبلغ النهاية في الصعود بها
بشاشة واستحق باعماله وما اكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية وزينة سماوية تلقته الملائكة الطيبون
بالرأفة والرحمة والشفقة وتقبلوه بالروح والريحان وقبلوه كما يقبل القوابل والدايات اولاد الملوك
فيأخذوا امور الدنيا ويلبسونه ثيابا من سندس السندس والاستبرق وبالفرح والسرور فيحملونه
الى الجنة فيعاين البهجة والسرور وما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

معهم

حتى عليه ما داموا فيها ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ويتصل باخوانه المؤمنين في الدنيا احبابه واخوانه ونحو ذلك
هم في ما هم فيه بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب فاذا كلمه يوم القيامة الكبرى بعث بملائكة الرحمة
الى مكان النعيم والسرور المقيم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى في غرف من فوقها غرف مبنية تجري
من تحتها الانهار واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملائكة المتعلقة
بها الروح والريحان هي روحانيات الزهرة والمشتري وكان هذا القائل يقول ان النفوس الانسانية المتعلقة
بالعادة تشبه ابدانها وحصلت القوى المتوهمة معها والهيات المتخيلة التي حصلت لها من الوعد الكريم في
الدنيا من الجنات والحدائق والانهار والثمار والحور العين والكاس المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان
والغلمان فانه يفاض عليها بحسب استعدادها وطهارتها ورجاء ثواب الآخرة صورة عقلية في غاية البهاء واللذة
تناسبها كانت تتخيله من الامور المذكورة مناسبة لها ولما كان لهذين الكوكبين الاثر التام في اعداد النفوس
للتخيل الى المراتب البهجة الحسنة للفرح والسرور كما ينسب في المشهور اليهما ما ينتج من الافعال الحسنة
نسبت تلقي الانسان بعد المفارقة بالرأفة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واما الخزنة للجنان
فنسبتهم ان يكونوا كالسكان اليها ايضا باعتبار آخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتولي لحفظ الابواب
الخزانة بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقها باذن رب الخزانة ومالكها وغلقها ومنعها عن غير مستحقها
فكذا خزنة الملائكة هم المتولون لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم على مستحقها وحفظها
ومنعها عن غير مستحقها والمستعد بالطاعة لها باذن الله وحكمه لا جرم صدق انهم خزان الجنان
جزاء الاعمال وهم الذين يدخلون على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال
بعض الفضلاء ان العبد اذا راض نفسه حتى استكمل من ابواب القوة النظرية ومراتب القوة العملية
فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض عليه من الله تعالى وبما يتبعه به الملائكة يدخلون
عليهم من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام ثم ان الرضا بقضاء الله من خير وشر باب
عظيم من تلك الابواب والملك الذي يدخل على الانسان منه برضا الله كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
يسمى رضوان خازن الجنان والله اعلم واما ملائكة النار فقال بعض الفضلاء هي تسعة عشر
من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الجنة الذين ذكرنا انهم يوردون عليه الاخبار من خارج
ورئيسهم والخازن والحاجب والملك المتصرف بين يديه باذن ربه وملك الغضب والشهوة والبدن
الموكلون باسم الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان ممن طغى وآثر الحياة الدنيا حتى
كانت الجحيم هي المأوى كانت اولئك التسعة عشر الزبانية الناقلين له الى الهاوية بسبب ما اكتسب
من الشهوات واقترف من السيئات واعرض عن قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
فان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى واعلم وفقك الله ان هؤلاء الذين

وقد عدّ القائل انهم ملائكة النار وربما كانوا ايضا المشتغلين مع انسان آخرين ملائكة الجنة وذلك اذا استحق
شأن ذوات اداء البر على وفق اوامره واوقفهم على طاعة الله دون ان يطلب منهم فوق ما خلقوا له
من طاعته ويعيدهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه وبالله التوفيق **البحث الرابع**
انه عليه السلام ذكر من الملائكة انواعا واشار بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم
في العبادة والخضوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة من الكمال في العلم والقدرة لا يتجاوز
اليها من دونه وكل منا كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته اجل وطاعته اوفى ثم ان السجود والركوع
والصف والتسبيح عبادات متعارفة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع
ولا يمكن حملها على ظواهرها المعهودة منا لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في صف واحد
وحركة اللسان بالتسبيح امور مبنية على وجود هذه الالات التي هي خاصة ببعض الحيوانات من
والجن ان تحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء
الله وعظمته اطلاقا للفظ الملزوم على لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع اذا عرفت
ذلك فنقول يحتمل ان يكون قوله عليه السلام منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان
درجتهم اكمل درجات الملائكة فكانت نسبة عبادتهم في الخضوع الى خضوع من دونهم كنسبة خضوع
السجود الى خضوع الركوع فان قلت قد تقدم ان الملائكة المقربين مبرؤون عن تدبير الاج
سام والتعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن الاطوار الذين ملئت بهم
قلت ان العلاقة التي بها واضافة اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة بينه وبين الاج
رام السماوية وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول او الشرط للمشروط وعلى هذا
جاز ان ينسب الباري جل جلاله الى اختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القرآن الكريم مع
تنزهه تعالى وتقدسه عن هذا الظاهر ولم يجز في الحكمة ان يكشف للخلق من عظمته لعجز تحملهم اكثر
من هذا القدر فكذلك جاز ان ينسب المقربون الى الكون في السموات بطريق الاولى وان تنزهوا عن
الاجسام وتدبيرها لان عليا عليه السلام قاصد قصد الرسول صلى الله عليه وقصد القرآن الكريم فيما جاء
به فليس له ان يفصح بما ينبوا عنه الافهام وبالله التوفيق وقوله وركوع يحتمل ان يكون اشارة
الى حملة العرش اذ كانوا اكمل من دونهم فكانت نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع
الركوع الى خضوع الصف وقوله وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة الحافين من
حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون وتحقيق
ذلك ان لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة من الكمال يخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة
وذلك يشبه الصفوف ومما يؤيد القول بانهم الحافون حول العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش

سبعين

سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح وقوله ومسبحون
يحتمل ان يكون المراد بهم الصافين وغيرهم من الملائكة والواو العاطفة وان اقتضت المغايرة الا ان المغا
يرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات تنوع
تجويز الاقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين وبين كونهم
مسبحين في قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد نوعا وانواعا من
نوع السموات فاما سلب الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب الز
يال عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى
من تحت درجته لعدم النقصانات اللاحقة فان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان بالنسبة
الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل انفصال عن مرتبة
الصف والخروج عنها وكذلك السأم في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة به وايضا
فان السأم والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن
العمل وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية فاما سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم
العيون فظاهر الصدق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم
فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة
عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني اليها ورجوعها بعد الكلال والضعف والملائكة السماوية
منزهون عن هذه الاسباب والالات فوجب ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم
واما سلب سهو العقول عليه وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وهو
عدم علمه بالفعل وهي اعم من السهو والنسيان ولنخصص لها بيانا ذلك ان السهو هو الغفلة عن
الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهما
تها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع امحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك
يحتاج الناسي للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة
والسهو والنسيان واذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامور الثلاثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان
تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لسلب معروضاتها عنهم ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه
بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا في سلب
النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه لئلا يسلبه بسلبها واما قوله ولا فترة الابدان فلان الفترة هي فتور
الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها للاستراحة

وذلك ذنب من نوازع المزاج الحيواني فلا جرم صيف سلبها عنهم ولسـ ـه ومنهم امنا على وحيه والسنة
المقال لمه يختلفون بعضاً ولم يشتبه ان يكون هذا القسم داخلاً في الاقسام السابقة من الملائكة والمراد بهم
ما ثبت باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالاسرار الى الانبياء عليهم السلام وغيرهم الا يكون
من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلام ومن الملائكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحي في
غاية الاصابات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة الملائكة فاعلمت كيفية ذلك لا جرم صدق
انهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على ما هو عليه ليوديه
الى مستحقه واضافة الوحي النازل بواسطة الملائكة نازلة فهي مبرأة عن الخلل الصادر عن سهو او عمد
معروضات السهو هنالك او عن عجل لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون
واما كونهم السنة الى رسله فهي استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اي المفصح عن احوالهم والمخبر
عنهم فيطلق عليها اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس ولما كانت الملائكة وسايط بين الحق
سبحانه وبين رسله في تادية خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة
والمراد هنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضي به من بعد ما فيها وبالقضا الامور المقضية اذ يقال
هذا قضى الله اي مقضي الله ولا يراد به المصدر فان معنى ذلك هو تسطير ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ
بالقلم الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلى الله عليه جف القلم بما هو كائن فان قلت كيف
صح ان يكون هذا القسم داخلا في السجود لان من كان ابداً ساجداً كيف يتصور ان يكون مع ذلك مترددا
في الرسالة والنزول والصعود ومختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل عليهم السلام قلت انا
بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الارض بالكيفية التي نحن عليها وانما هو عبارة
عن كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قهر قدرته وذلتهم في الامكان والحاجة تحت ملك وجوب
وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه
على وفق مشيته وامره منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته
قولـه ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان هذا القسم مطلقين احدهما بالحفظة والثاني
المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة والمراد بهم
الاولين حفظ العباد بامر الله تعالى من الآفات التي تعرض لهم ومن الآخرين حفظ الاعمال والاقوال
من الطاعات والمعاصي كما قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا
تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه واذا تكلم قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله

يتوب

منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون فائدة ذلك ان المكلف اذا علم ان الملائكة
موكلون به يحصرون عليه اعماله ويكتبونها في صحايف تعرض على رؤوس الاشهاد في موقف القيامة كان
اوزع له عن القبائح واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور في الحفظة تعدداً بحسب الذوات ويحتمل
ان يكون بحسب الاعتبار قال بعض من زعم ان الحفظة للعباد هي القوى التي ارسلها الله تعالى من
جوده على ابدان البشر ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد هي مبادي تلك القوى ويكون معنى كتبهم
السيئات والحسنات وضبطها على العباد هي مبادي تلك القوى ويكون معنى كتبهم اما اعتبار
ما يصدر عن العبد من السيئات والحسنات في علم تلك المبادي او يكون معناها كتبه صور الافعال الخيرية
والشريرة المنسوبة الى العبد بقلم الافاضة في لوح نفسه بحسب استعداده لذلك قال وينبغي ان
يكون اشار ابن عباس رضي الله عنه بانتظار ملك اليمين لكاتب السيئات توبة العبد الى انه ما دامت
الهيئة غير متمكنة من جوهر نفس العبد فان رحمة الله تعالى تسعه فاذا تاب من تلك السيئة
لم يكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة في نفسه كتبت وعذب بها يوم تقوم
الساعة ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد هم باعيانهم الحفظة لهم فان النفس تحفظ بجوهرها
ما تفعله من خير وشر وتحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها الغواشي البدنية وتجده مصورا
مفصلا لا يعزب عنها شي كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور
قال ولا يبعد ان يكون هم من ملائكة السماء فان اصلها من ملائكة السماء ارسلوا الى الارض والله اعلم واما السدنة لابواب
جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم قوله ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا
اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت
في حق الملائكة الحاملين العرش في كثير من الاخبار فيشبه ان يكونوا هم المقصودون بها
ان ميسرة قال اقدامهم في الارضين السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وفي خبر قد خرقت اقدامهم السماء السابعة واهل السماء السادسة اشد خوفا من اهل السماء السادسة و
كذلك الى سماء الدنيا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن
تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على
كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله
حتى يصير كأنه الوضع والوضع طائر صغير وعن ابن عباس ايضا قال لما خلق الله تعالى حملة
العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك

استقل عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل واحد
منهم خطا من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا الخبر ان وجود الملائكة وبقاءهم ووصولهم وقوتهم التي بها هم
حاملون للعرش انما هو بحول الله وقوته وهيبته فلولا ان الله سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم تكن استقامته وامداده
بحول الله وقوته ومعونته لم ينهضوا بحمل ذرة من ذرات مبدعاته ومخلوقاته فضلا عن ان يحملوا العرش
الذي هو اعظم الاجرام الموجودة في العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام
كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار وفي كلامه عليه السلام على ظاهرها اسوغ لهم والله تعالى قادر على
جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة التي هي محركات لاجرام
السموات مدبرين لعالمنا عالم الكون والفساد واسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين باذن الله تعالى
باقطار السموات والارض فلاجرم كان منهم من ثبتت في تخوم الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت
واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاعز الاكرم ونفذت في بواطن الموجودات خبرا ومعرفة من
السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها الى اركان قوائم العرش وقوله المناسبة
لقوائم العرش اكنافهم يريد انهم مشبهون ومناسبون لقوائم العرش وبقائهم وثباتهم من التزلزل
من تحته ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش الذي اشار
اليهم وتكون هذه الطايفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم ام لا قلت قد جاء في الخبر ان
العرش له قوائم وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عليهم السلام انه قال بين القائمة من قوائم العرش
والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك
قوائم ثماني قد وكل الله تعالى الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين العرش تدبير قائمة منها
وكلما اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار عليه السلام بقوله مناسبة لقوائم العرش
اكنافهم اشارة الى ان ثمة قوائم للعرش واثبت مناسبة الاكتاف من الملائكة مع تلك القوائم ووجه
المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعار عليه السلام هذه اللفظة للقوة التي يختص
كل ملك من تلك الملائكة وبها يدبر تلك القائمة من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوائم
وبين كل قوة من تلك القوى مناسبة ما لاجلها خص الله سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة
معنى قوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ الاقدام استعار لهم
لفظ الاكتاف لانهم شبهوا بما هم بايديهم في حملهم للعرش بقيام الاساطين التي يبنى عليها الواحد
منا بيته فهم مناسبون ومشابهون لقوائم العرش التي يبنى عليها من غير ان يكون هناك تعرض لاثبات
قوائم بل انما هي شبه القوائم وقوله ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم اي انهم
في دونه وتحته الحجاب الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة

العرش

العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما الجناحان
فيهفو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكنى عليه السلام بنكس الابصار عن غاية خشيتهم
من الله تعالى واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراءهم لانهم المقدرون وضعفها عن تحمل
ما لا يحتملون من انوار ذاته وعظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقهم من سبحاته وان شعاع العقل
منهم منته واقف دون عزة الله وعن يزيد الرقاشي ان الله تعالى ملائكة حول العرش [illegible]
تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيامة يميدون كانما تنفضهم الرياح من خشية الله تعالى فيقول
لهم الرب جل جلاله يا ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك
على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما
يخور الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطاير والانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح
ان يستعار ذلك للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرهم وقوتهم التي بها يطيرون في تنفيذ اوامر جلال
الله وعظمته وتصدر بواسطتهم كمالات ما دونهم من مخلوقات الله وصح ان يوصف تلك الاجنحة بالقلة
والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال بعضهم على بعض ولما ثبت ذلك
استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطاير ذي الجناح ثم لما كان الطاير عند قبض جناحه يشبه
المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت اجنحة الملائكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقبوضة قاصرة
عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته واقفة دون جلاله وعظمته في صنعه لاجرم استعار لكيفية قبض
الاجنحة المشبهة للتلفع بالثوب فاستعار عليه السلام لفظ التلفع ايضا وكنى به عن ذلك القصور
تقديرهم تحت سلطان الله وقوته المشاهد في صورة عرشه فان قلت اليس ان المراد بالملائكة ها هنا
هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك قوله تحته لان هذا القسم منه حملة العرش ايضا فان من كان
اقدامهم في تخوم الارضين واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع
ذلك تحته قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امناء على وحيه فان المذكور ايضا المقصود
بذلك الخشوع لعزة الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف المذكورة ها هنا وبالله التوفيق وقوله مضروبة
محجوبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن
ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله
وبعد القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة ومراتبهم المتفاوتة واذا كان الحال في الملك
العظيم من ملوك الدنيا انه اذا بلغ في التعزز والتعظم الى حيث لا يراه الا احاد خواصه وكان الحال ايضا
في خواصه كذلك كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من
كان له اليهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان مبدأ ذلك انما هو عظمة الملك وهيبته وقوته في

منه فان الحايل بينهم وبين عيرهم انما هو حجب عزه الملك واستار قدرته وقهره وكيف الحال في حجاب حجاب
حجب الدنيا والاخرة وحال ملايكة المقربين ومن بينهم من حملة العرش الروحانيين عن الجوي الى ضيق
قوانا الضعيفة اليوم وادراكها لمراتبهم التي حجب عزه اثر عظمته هم وكمال سلكه وتمام قدرته وما الهم الا من قوة
وسطالعة انوار كبريايه عز سلطانه ولا الله هو قوله ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى
تنزيههم عن الادراكات الوهمية والخيالية في حق مبدعهم عز سلطانه اذ كان الوهم انما يتعلق بالامور
المحسوسة ذات الصور والاحياز والمحال الجسمانية فالوهم وان ارسل طرفه الى قبل وجوب الوجود وبالغ
في تعقيب جودته فلن يرجع الا بمعنى حوزي يتعلق بمحسوس حتى انه لا يعقد نفسه ولا يدركها الا ذات مقدار
وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لا جرم سلب التوهم عن هذا الطور من الملايكة لعدم قوة
الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت موجوده للانسان لا جرم كان يدري ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا
مقدار وصورة ولذلك وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونه بصفات كاثبات العين
واليد والاصبع والاستوا على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم وتوطيا لهم وايناسا
حتى ان الشارع لو اخذ في مبدا الامر بيبين ان الصانع الحكيم ليس داخل العالم ولا خارجه ولا في
جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفار اكثرهم عن قبول ذلك وعظم انكارهم له فان الوهم في طبيعته
يتوهم ان شيئا موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان ينكر ما لا يتصوره فكان ينكر هذا القسم
من الموجودات والخطابات الشرعية وان وردت بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك
لما كانت قابلة للتاويل محتملة له كانت وافية بالمقاصد اذ العامي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على
ظاهره ويحصل بذلك تثبيت عن نشية اعتقاده وذو البصيرة الترقي عن ضيق الدرجة يحمله على
ما يحتمله عقله من التاويل وكذلك حال من هو اعلى منه والناس في ذلك على مراتب وكلما ايده ربه
حسنا وحكمة **قوله** ولا يجرون عليه صفات المصنوعين **اقول** اي صفات
المصنوعين عليه انما يكون بمناسبة ومماثلة مع مصنوعاته ومكوناته وكل ذلك بقيا حكم الوهم وقضا
كان من المتخيل له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكون الباري عن سلطانه مثلا المصنوعات في التي
يتعلق ادراكه بها من المتحيزات وما يقوم بها ويتخيله بصورة منها ثم يساعده العقل في مقدمة
اخرى وهي ان حكم الشي حكم مثله فيجري حينيذ عليه صفات مصنوعاته التي حكم بمثليته لها ولما
كانت الملايكة السماوية منزهين عن الوهم والخيال لا جرم وجب تنزيههم عن ان يجروا عليه صفات
مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولذلك قوله ولا يحدونه بالاماكن
ولا يشيرون اليه بالنظاير فان الحاكم بحلوله في مكان وبحده فيه والمشير اليه بالمثل المقصود له
الى نظير يشاكله ويشابهه انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما خصا ان الحيوان العنصري

لاجرم

لاجرم كانت هذه الاحكام مسلوبة من الملايكة السماوية مطلقا وبالله التوفيق **الفصل الثالث**
في كيفية خلق ادم عليه السلام **قوله** منها في خلق ادم ثم جمع سبحانه من حزن الارض الى قوله ومن سبل
الارضه **اقول** الحزن من الارض ما غلظ منها واستد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها في
ستعد للنبات والزرع والسبخ ما لح منها والمسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابن
السكيت عن ابي عمرو وانه المتغير وقول ابن عباس انسب الى كلام علي عليه السلام لان قوله وسنها بالما
حتى لزبت اي انه خلطها بالما حتى صارت طينا رطبا يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال
هو المنتن من قولهم صل اللحم واصله اذا انتن وقيل هو الطين اليابس الذي تصلصل وهو غير مطبوخ
فاذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو
صلصلة ولاطها بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها بها والبلة بالكسر الذاوة وبالفتح واحدة البلل واللازب
واصل الباء والميم وجبل اي خلق والاحنا جمع حنو وهي الجوانب والوصول جمع كثير الوصل
وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضا جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل للحيوان واصلها
الجمع باصل واحد وهي الصلبة الملسا والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي عبارة عن
القوى المدركة من العقل والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة للنفس بها تحصل الادراكات
العقلية ونسبه انه يكون اصل الانسان انسن وهو الانس والالف والنون في اصل الجواهر للتثنية
وذلك لان الانس اسم لي لا يحقق الا بين شيين فصاعدا ولما كان كل واحد من الناس يانس
بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله مثنى فاجريت على النون وجوه الاعراب والجوارح الاعضاء
الجوارح والاعضا والاحتدام والاستخدام بمعنى والادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك
ردت في الجمع والاستخدا طلب الاداء والخنوع الخضوع والشنان البغض من الابلايت ويقال
الباس والبعد البعيد من رحمة الله والحمية الانفة واعتنتهم اي غشيتهم والوهن الضعف والشقوة
بفتح الشين هو كثير الشقا والاهمال والسخط والغضب وارغد فيها عيشه اي طيبة عيش رغد
رغيد طيب واسع واغتر اي استغفله ونفست عليه بالامر نفاسة اذا لم تره مستحقا له واليقين
الاعتمام بالشي والجذل التي الذي يمكن الانتقال اذا عرفت ذلك فنقول للناس في هذه القصة طريقان
الطريق الاول ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا
فيها ابحاثا **البحث الاول** ان هذه القصة قد ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي
سورة الاعراف والحجر وسورة بني اسراييل والكهف وطه وسورة ص وسورة المومنون وذلك لما يشتمل عليه
لكنه بتلك الحكم وتنبيههم من مرافقة الطبيعة التي جذبتهم اليها البليسة والتحذير من فتنته وفتنة
جنوده وللجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريايه كما قال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان

[illegible] من الجنة [illegible] عليه السلام [illegible] كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله [illegible]
[illegible] من حما مسنون [illegible] حتى لزب كقوله تعالى من طين لازب وقوله [illegible]
[illegible] صلصال كقوله تعالى من صلصال [illegible] وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله
ونفخ فيه من روحه وقوله ذا اذهان يحيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها كقوله [illegible]
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد [illegible]
[illegible] كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى [illegible]
[illegible] وقوله اعترتهم الحمية الى قوله وتعززوا بخلقه النار واستوهنوا خلق الصلصال كقوله
تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله اسجد لبشر خلقته
[illegible] اعطاه النظرة قبل حدوث تقديم فسال النظرة وذلك قوله انظرني واعطاه [illegible]
الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه آدم
دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث
شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله تعالى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله [illegible]
اليه الشيطان الاية وقوله فدلاهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله [illegible]
ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين [illegible] ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله
تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الاية وقوله ووعده المرد الى جنته وذلك الوعد في قوله تعالى [illegible]
[illegible] هدى فمن تبع هداي [illegible] فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [illegible]
[illegible] الى دار البلية كقوله تعالى قال اهبطوا منها جميعا **البحث الثاني** [illegible]
[illegible] موضع من كتابه الكريم انه خلق آدم من تراب [illegible] عند الله كمثل ادم خلقه
من تراب وقال في موضع اخر اني خالق بشرا من طين وقال في موضع اخر [illegible]
من صلصال من حما مسنون قال بعض العلماء ووجه الجمع بين [illegible]
[illegible] انه تعالى خلقه اولا من تراب ثم من طين ثم من حما مسنون ثم من صلصال [illegible]
[illegible] وانما خلقه تعالى على هذا الوجه [illegible] والملائكة [illegible] القدرة
[illegible] لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جنس [illegible]
[illegible] اعلم انه كلام عليه السلام ههنا يجري مجرى التوتيب والتفسير لهذه الايات فانه اشار
اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة [illegible]

[illegible] عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم
على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب
[illegible] جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
هو ابونا ادم عليه السلام ونقل عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام انه قال قد انقضى قبل ادم الذي
هو ابونا الف الف ادم او اكثر قال بعض العلماء وهذا لا ينافي حدوث العالم فانه [illegible]
[illegible] الى ان اول الناس فانا ان ذلك للانسان هو ابونا ادم فلا طريق الى اثباته
الا من جهة السمع **البحث الثالث** اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لادم لم يكن سجود
[illegible] لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلاثة اقوال احدها ان ذلك السجود كان لله وادم
كالقبلة [illegible] لادم لانه يحسن ان يقال اسجد والقبلة بدليل قوله
[illegible] ما كنت احب هذا الا مر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
[illegible] النبي اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالايات والسنن
[illegible] على المقصود الثاني ان السجود كان لادم تعظيما له وتحية كالسلام منهم عليه وقد
[illegible] تفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب ان معاذا رضي الله عنه
[illegible] النبي عليه السلام فقال له يا معاذ ما هذا فقال رايت اليهود تسجد لعظمائها
[illegible] النصارى تسجد لقسيسيها وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية الانبياء [illegible]
[illegible] الثالث ان السجود في اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع [illegible]
[illegible] فيها تسجد الحوافر اي ان الجبل لما كان [illegible]
[illegible] وفيه [illegible] السجود
[illegible] **البحث الرابع** اختلفوا في الملائكة الذين
[illegible] فاستعظم بعضهم سجود الملائكة له وقالوا المامورون بذلك هم الملائكة الذين اهبطوا
مع ابليس [illegible] ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم
[illegible] الى الارض [illegible] ابليس واسكنهم اياها وكانوا اخف الملائكة عبادة فاعجب ابليس
[illegible] فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولجنده اني خالق بشرا من طين
[illegible] فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود
[illegible] هم كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واكد جمعهم بكل وجمع [illegible]
البحث الخامس اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة
[illegible] جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من ملائكة الارض الذين اهبطوا قبل ادم [illegible]

الا ابليس قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ولم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون وقول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واحتج من قال انه
منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل
وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله
تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك الجعل هو قول قريش الملائكة بنات الله بدليل قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الآية تدل على ان الملائكة من الجن الثاني ان كون
ابليس من الجن لا ينافي كونه من الملائكة لان الملائكة يصدق عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من
الاجتنان وهو الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن امه ومنه المجنون لاستتار العقل فيه
والملائكة مستترون عن الاعين فوجب جواز اطلاق لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي لانه
لما ثبت ان الملائكة الذين اهبطوا الى الارض قبل آدم هم المسمون بالجن وابليس من الجن يجب ان
ابليس من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم خلاف في المعنى البحث السادس
اختلفوا في سبب عداوة ابليس لآدم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما رأى ما اكرم الله به آدم
من اسجاد الملائكة له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال آخرون ان السبب تباين
اصليهما ولمنافرة الاصلين اثر قوي في منافرة الفرعين فالواو بيان اصليهما هو قولنا [illegible]
من ابليس حين ابى بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وكان خطأ لانه
ظن ان آدم جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون كيف
ينبغي ان يكون مخدوما للاعلى وايضا فان اصل آدم من صلصال من حما مسنون في غاية الدناءة واصلي من
اشرف العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف [illegible] بالسجود
[illegible] فالوا فكان ذلك [illegible] ان الله تعالى [illegible] التنبيه
[illegible] احرح [illegible] فقال [illegible] الذي [illegible]
[illegible] الحكمة الالهية والعقول الربانية والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس
كان مرجوما ملعونا البحث السابع احتجت الاشعرية على ان الله تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر
[illegible] بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع انه يعلم انه انما [illegible] اغواء آدم واولاده
[illegible] وعدم [illegible] الثاني قوله اغويتني نسب الاغواء الى الله تعالى
[illegible] تعالى لم ينكر عليه هذا الكلام وهذا صريح في ان الله تعالى يفعل الاغواء [illegible]
بان الله تعالى خلق آدم وذريته [illegible] على دفع ابليس عن [illegible]
[illegible] ان الاحتراز عن القبح حال عدم ابليس [illegible] وجود

الا

الا انه لي هذا المقدور تقصير وسوء تدبير [illegible] زيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف [illegible]
ثوابا كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المتشابه
[illegible] واقوال المتشابهات سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى وهذا [illegible]
[illegible] من قوله عليه السلام استعمالا للبلية وعن الثاني ان المراد من قوله اغويتني اي خيبتني من رحمتك
وقيل معنى [illegible] غوايته الى الله تعالى ان الله تعالى امره بالسجود لآدم عصى وغوى فكانه الباري [illegible] لا
[illegible] الاغواء [illegible] نسبه اليه واحتج ايضا من جوز الخطأ على الانبياء عليهم السلام من
هذه القصة بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى واجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما
دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب حمل هذا اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية
وان كان في حق غيرهم حسنة كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ومن اوجب عصمتهم
من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة والمسألة مستقصاة في الكلام
البحث الثامن قال القفال اصل التلقي في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات [illegible] عليه السلام
[illegible] وهو التعرض للقادم ووضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني ثم وضع القبول والاخذ
[illegible] تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ويقال تلقينا الحاج اي استقبلناهم
[illegible] هذه الكلمة من فلان اي اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من يلقى اخر [illegible] يلقى
كل واحد منهما صاحبه واضيف بالاجتماع اليهما معا فصلح ان يشتركا في الوصفية بذلك وكان من
تلقيته فقد تلقاك [illegible] ان يقال تلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول
[illegible] اي ارسلها اليه وواجهه بها ثم ذكر المفسرون في تلك الكلمات وجوها الاول [illegible] روي
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آدم عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك بلا واسطة
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان تبت [illegible]
[illegible] الى الجنة قال نعم وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات الثاني قال [illegible]
[illegible] ابن عباس [illegible] التي تلقاها آدم من ربه قال علم الله تعالى آدم [illegible]
[illegible] والكلمات [illegible] فيه [illegible] الله تعالى اليهما قد قبلت توبتكما الثالث
قال مجاهد وقتادة في احدى الروايتين عنهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين الرابع قال سعيد بن جبير انما قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت
سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي
فارحمني انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي
انك انت التواب الرحيم الخامس قول عائشة لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف

[illegible] وابيت بوسيد ابوه حسن فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري
وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني
اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت
لي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل ما
دعوتني به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهي راغمة
وان لم يردها **البحث التاسع** في حقيقة التوبة قال الامام الغزالي رحمه الله التوبة عبارة
عن معنى يتركب من ثلاثة امور مترتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها
حجابا بينه وبين الله تعالى و[illegible] يمنعه من دخول الجنة فاذا علم ذلك [illegible] على قلبه فانه
يوجب له تالما نفسانيا بسبب فوات المحبة العظيم المطلوب لكل عاقل فيسمى تالمه بسبب فعله
المفوت لمحبوبه ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب اوجب له القصد الى امرين احدهما ترك
الذنوب التي كان ملابسا لها اولا والثاني العزم على ترك الذنوب المفوتة لمطلوبه في المستقبل الى اخر
العمر [illegible] حقيقتها [illegible] تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر والعلم الاول هو ٢
الاصل في اظهار هذه الخيرات فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة [illegible]
وبين محبوبه [illegible] ان لم يكن ذلك اليقين [illegible] لان الندم [illegible] به القلب [illegible] ١
من ذلك النار و[illegible] الانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال
والتلافي في الماضي ثلثة معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اطلق اسم التوبة على الندم وحده
وجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة والتابع وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ الندم
يستلزم العلم [illegible] والعزم [illegible] وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مخمدة
للشيطان مفتحة لابواب الجنان [illegible] على الواح القلوب
ينشر له المواهب الربانية من الملك القدوس الثاني الايات في القران الكريم يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا والوعد صادق على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار والوعيد الحتم على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون [illegible]
واما قبولها ففيه وجهان احدهما قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرح بتوبة العبد
المذنب والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا الى السماء
ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم **البحث العاشر** فيما عساه يبقى من المقاصد المشكلة في هذه
القصة الاولى الوديعة والوصية التي [illegible] من الملائكة في قوله عليه السلام [illegible]

سبحانه

[illegible] الملائكة وديعة لابيهم اشارة الى قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين فكان تعالى قد عهد اليهم بهذا العهد واوصاهم بمقتضاه ثم [illegible] ما ذكره عليه السلام من
قوله [illegible] الثاني قوله فاعتى ابليس [illegible] وطلب [illegible] والتماسه [illegible]
[illegible] كما سنبين معنى الوسوسة ان شاء الله الثالث قوله دار المنام ثم
[illegible] الى مصاحبة الملائكة في مقعد صدق عند مليك مقتدر
الرابع قوله فباع اليقين بشك [illegible] ان معيشة ادم كانت في الجنة
حال تعلمها يقينا وما كان يعلم كيف معاشه في الدنيا اذا انتقل اليها ولا حاجة تبعده عن الجنة
[illegible] ابليس [illegible] في صدق مقاله اني لكما لمن الناصحين فتنى ما كان عنده يقينا [illegible]
فيه من الخير [illegible] في نصح ابليس فكانه باع اليقين بالشك [illegible]
[illegible] عن [illegible] الثاني قالوا [illegible] الله تعالى
من عداوة ابليس [illegible] فكانه باع يقين عداوته
بالشك [illegible] الثالث [illegible] عليه السلام [illegible]
[illegible] عليه السلام [illegible] ولم يرد ان ادم عليه السلام شك في
امر الله تعالى [illegible] ابن عباس في قوله تعالى ولم نجد له عزما اي لم نجد
له حفظا لما امرناه به وقال قتادة [illegible] وقال الضحاك [illegible] وحاصل هذه الاقوال يعود
الى انه لم يكن له قوة على حفظ ما امره [illegible] فكانه باع العزم الذي كان ينبغي له [illegible] ينبغي ان
يحفظها [illegible] الخامس قوله دار البلية
[illegible] دار الجنة [illegible] الصالحين [illegible]
[illegible] الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واعلم ان في ذكر هذه القصة تحذيرا عظيما عن المعاصي
[illegible] على ادم بسبب اقدامه على هذه الزلة [illegible] شديد
[illegible] المعاصي وكذا قال الشاعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل
الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد انسيت ان الله اخرج ادما منها الى
الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي انه قال كنا قوما من اهل الجنة فسبانا ابليس الى
الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها وثانيها التحذير عن الاستكبار
والحسد والحرص عن قتادة في قوله تعالى ابى واستكبر قال حسد عدو الله ابليس ادم على ما
اعطاه الله من الكرامة فقال انا ناري وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد في قلب ادم حتى حمله
على [illegible] المنهي عنه وثالثها ان الله تعالى بين العداوة [illegible] بين ذرية ادم وابليس وهذا

خلقه

ـيه عظيم على وجوب الحمد وبالله التوفيق **الطرف الثاني** واعلم ان الباحث

لتاويل على هذه القضية قبل بيان تاويلها ذكروا مقدمات **المقدمة الاولى** في الاستقصات الموضوعة

للتركيب الخارجي للانسان قالوا ان العناصر الاربعة اجسام بسيطة وهي اجزاء اولية للبدن وغيره

منها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما الارض والماء والارض هي الموضع

الطبيعي للارض وهو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكائنات مفيد للاستمساك

والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون سائلا للارض ومنقلا لها

وطبعه بارد رطب ووجوده في الكائنات لتسهل الهيئات التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط

والتعديل فان الرطب كما انه سهل الترك للهيئات الشكلية فانه سهل القبول لها كما ان اليابس عسير

القبول للهيئات الشكلية عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول

التمديد والتشكيك بسهولة واستفاد الرطب من اليابس حفظا لما حدث فيه من التعديل والتقويم

فاجتمع اليابس بالرطب عن تشتته واستمسك الرطب باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي

للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه حار رطب ووجوده في الكائنات ليتخلخل

ويلطف ويستقل والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي تحت مقعر فلك

القمر وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكائنات لتطبخ المركبات وتجري فيها

للجوهر الهوائي ولتكسر من برد العنصرين الثقيلين بردهما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع

في تكون الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع في تكون الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا ان المزاج

كيفية تحدث عن تفاعل الكيفيات المتضادة الموجودة في العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض

فانكسرت سورة كل واحد منها بالاخر حتى حدثت عنها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية

في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي التي يكون عنها المزاجات في الاجسام الكائنة

الفاسدة ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو الليق به واصلح لافعاله واحواله

بحسب احتمال الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل

وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب

وبعضها ايبس وانداها بالاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة تستحيل اليها الغذا اولا وهي منحصرة

في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السودا ثم قسم

الاعضاء الى عظام وغضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم

وخلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفائدته ان في

الحس به اتصال العظام بالاعضاء اللينة ليلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغطة والاصغر

يحتوي لتجاليهما ما يليه من كلا منهما ولحسن به بحا وللمفاصل المتحاكة فلا يترضض لصلابتها ثم العصب

وهي اجسام تنبت من الدماغ والنخاع بيض لينة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفائدتها ان تتم به

لبعض الاعضاء الاحساس والحركة ثم الاوتار وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي

الاعضاء المتحركة فتجذبها تارة وتبسطها اخرى بحسب انبساط العضلة وانقباضها ثم الرباطات

وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب والحكمة فيها ظاهرة وهو ارتباط بعض الاعضاء الى بعض

لتحصل الكلاة التي الى منها حس ليلا يتاذى بكثرة ما يلاقيه من الحركة والحك ثم الشريانات

وهي اجسام نابتة في القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية وتلطيفه للجوهر لها حركات منقبضة

منبسطة خلقت بسبب لترويح القلب ولنفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم

الاوردة وهي شبيهة الشريانات نابتة من الكبد وفائدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية

وهي اجسام منتسجة من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستعرضة تغشي سطوح اجسام اخرى ولها

فوائد منها ان تحفظ جملتها على شكلها وهيئتها ومنها ان تعلقها على اعضاء اخرى وتربطها بها بواسطة

العصب ومنها ان يكون للاعضاء العديمة الحس في جواهرها سطح حساس بالذات لما يلاقيه وبالعرض

لما يحدث في الجسم الملفوف فيه كالرئة والطحال والكبد والكليتين فانها لا تحس بجواهرها وانما تحس بالا

مراض المحسوسة بها الاغشية التي عليها بالذات وتحس ايضا بالعرض ما يحدث فيها مثلا الريح بسبب

بالتمدد الذي يحدث فيها ثم اللحم وهو حشو خلل وضع في الاعضاء في البدن فصار البدن مشتملا على

ثلاثة ضروب من الاعضاء احدها آلات الغذا وهي المعدة والكبد وما والاهما كالعروق والطريق

الى الفم والمري وغيرها كالمعا والثاني آلات الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب والرئتين

والرئة والصدر وسائر آلات التنفس والثالث آلات الحس والحركة والافعال العقلية

وهي الدماغ والنخاع والعصب والعضل والاوتار ونحوها مما يحتاج اليه في المعونة على تمام فعل العقل ثم

لما كان من ضرورة البدن ان يقع فيه افعال مختلفة وجب في الجملة ان يكون هناك استعداد لقوى

متعددة وهي مبادي تلك الافعال احدها النفس الطبيعية وتخصها قوى منها مخدومة ومنها

خادمة اما المخدومة فجنسان احدهما يتصرف في الغذاء وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالغاذية

وغايتها ان تغذو الشخص مدة بقائه باحالة الغذا الى مشابهة المغتذي ليخلف بدل ما يتحلل و

الثاني القوة المسماة بالنامية وغايتها ان تزيد في اقطار البدن على التناسب الطبيعي الى تمام نشو

والجنس الثاني يتصرف فيه الغذا لبقا النوع وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتولية

لامر التناسل لينفصل من امشاج البدن جوهر المني والثاني القوة المسماة بالمصورة وهي التي تفيد

المني بحسب استحالته في الرحم الصور والقوى والاعراض الحاصلة للنوع الذي انفصل عنه المني وما

العادية الموفية في القوى الطبيعية فهي خوادم القوة الغاذية وهي الاربع اولها الجاذبة وهي التي تجذب
الغذاء الى محلها وهي موجودة في المعدة والمري والكبد والرحم وسائر الاعضاء والثاني الماسكة وهي التي
تمسك النافع ريثما يتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة الثالثة الهاضمة وهي تحيل ما امسكته
الماسكة الى قوام مهيأ لفعل القوة المغيرة فيه والى مزاج صالح للاستحالة الى المغذية بالفعل الرابع
الدافعة وهي التي تدفع الفضل من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء او يفضل على الكافي او يستغنى عنه بعد
الفراغ من استعماله كالبول وهذه الاربع ايضا خوادم اربع اعني الكيفيات الاربع وهي الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة على ما يعلم في مظانه الثاني النفس الحيوانية وتختص بها قوتان محركة
ومدركة والمحركة اما باعثة او فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية المذعنة لمدركات كالوهم والخيال
والنفسانية فتحمل الادراك فاعلها على البعث الى طلب او هرب بحسب الدواعي ولها شعبتان شهوانية
وهي الباعثة على التحريك الى جانب اشياء ضرورية او نافعة بنفعها طلبا للذة وغضبية وهي
الحاملة على دفع وهرب عما لا يلائم طلبا للغلبة وتخدمها القوة المسماة بالقدرة وهي قوة تنبعث في
الاعصاب والعضل من شانها ان تشنج العضلات تحدث الاوتار والرباطات وارخائها والقوة
المدركة قسمان ظاهرة وباطنة اما الظاهرة فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد
البدن كله تدرك بالمماسة وتؤثر فيه بالمضادة بالكيفيات الاربع وغيرها وثانيها الذوق وهي قوة
مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان بها يدرك الطعوم من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة
العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي بها
يدرك الروائح بتوسط الهواء المنفصل عن ذي الرائحة ورابعها السمع وهي قوة في باطن العصب المفروش
في باطن الصماخ وبها تدرك الاصوات والحروف بواسطة الهواء وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في
العصبتين المجوفتين تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف [illegible] واما
الباطنة من القوى فهي ايضا خمس لانها مدركة فقط اما للصور الجزئية وهي الحس المشترك
المرتبة في التجويف الاول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم القوة المسماة بالخيال وهي خزانة
الحس المشترك مودعة في اخر التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات وتبقى
فيها بعد الغيبة عن الحواس واما مدركة للمعاني الجزئية وهي اما الوهم وهي قوة مرتبة في التجويف الا
وسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئية الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة في معنى
الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة فهي قوة مرتبة في التجويف الاخير من الدماغ تحفظ الاحكام
الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة ومتصرفة وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم
لها ومفكرة باعتبار استعمال العقل اياها ومحلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شانها التركيب

والتفصيل

والتفصيل [illegible] الصور بعضها ببعض ومن بعضها وكذا المعاني والمعاني بالصور وهي المحاكية [illegible]
[illegible] المزاجية ولما الحكمة الالهية اقتضت ان تكون متوسطة بين مقتضى الصور [illegible]
[illegible] الى الروحانية متصرفة في خزانتها ما امكن [illegible] للاشياء المحيية من الجانبين [illegible]
[illegible] هذه الالات روح تختص به وهو جرم جاد لطيف يتكون عن لطافة الاخلاط على نسبة مخصوصة
وهو حامل للقوى المدركة وغيرها كما ان [illegible] النفس الناطقة ونسبتها الى هذا البدن نسبة الملك
الى المدينة والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة الات لها ورسمها انها جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق
التدبير والتصرف [illegible] اليها بقوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله عليه السلام الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان تختص بها
نظرية وعملية وقد سبقت الاشارة اليهما في مقدمة الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان
على وجوده وتجرده وكذا [illegible] العلوم والاخلاق ستقصى في مظانه وبالله التوفيق المقدمة الثالثة
قد علمت ان للالفاظ عندهم اسم مشترك يقع على حقايق مختلفة فان لفظ الجن فهو وان صدق في
اصل اللغة على الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون الملائكة مستترين
عن الاعين فانهم يخصون في عرفهم هذا اللفظ بالارواح التي تحت عالم العناصر فتارة يطلقون عليها
[illegible] باعتبار كونهم متوسلين [illegible] فاعلين لما امر الله به على نظام العقل وتارة يطلقون
عليها [illegible] باعتبار الاجتنان وهم حينئذ [illegible] باعتبار موافقة العقل والتصرف على وفق مصلحة
[illegible] ولكن روحيات [illegible] باعتبار [illegible] لذاتها فما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة
الانسانية [illegible] من جهة اخرى وهي كونها [illegible] بنور العلم من حيث لا يرى فهي [illegible] محجوبة عن
ابصار [illegible] ان تكون عالمة [illegible]
[illegible] الشريعة [illegible]
لمقتضى الشريعة [illegible] الطايفة من الجن المكلفين والمؤمنين قالوا وهم الذين امر الله تعالى لهم
بالخطاب [illegible] قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى
الرشد فآمنا به الى اخر الآيات قالوا [illegible] ان [illegible] التي اخبر الجن عنها انهم [illegible]
[illegible] وهي الشريعة التي [illegible] قالوا [illegible] عن اعتبارهم [illegible] الشريعة
في [illegible] بل اهل [illegible] لهم معها اجتهاد الحكمة ويمكنهم اخذها واعتقادها بالتعلم والتعليم كما كان
[illegible] الا [illegible] الى [illegible] الشريعة
[illegible] الشريعة [illegible] الناموس الشريعة [illegible] والحكمة
[illegible] قبل ظهور الشرايع [illegible]

[illegible]

الحق ويتبعونه ولم يكن عليهم انقياد وقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اشارة الى ان المتطفلين
الحكم وجوه الشريعة الناقلين لظواهر ما جاءت به الانبياء يجدون حرسة الدين وحفظته منها بالحجة
ويؤذونهم وثانيها النفوس العاملة المخالفة للشريعة والنواميس الالهية المبالغة لقواها في مقتضى طباعها
وهولاء هم شياطين الجن ومردتها وثالثها النفوس الجاهلة الا انها متمسكة بظاهر الشريعة
منقادة لها وهولاء المسلمون من الانس ورابعها النفوس الجاهلة التاركة للشريعة والعمل بها
التابعة لمقتضى الطبيعة وهولاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا البيان لا يبقى بين قوله الا ابليس كان
الا ابليس كان من الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فرق بل يكون من
الملائكة باعتبار ودون الجن باعتبار ودون الشياطين باعتبار والشيطان قد يكون ملكا في اصله
ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار فسوقه عن امر ربه وكذلك الجني والله اعلم **المقدمة الثالثة**
قالوا كل ما يتولد فلا يستحيل في اصله ان يكون متولدا ثم ضربوا لذلك امثلة فقالوا ان العقرب
يتولد من الباذروج ولباب الخبز والنحل من العجل المحرق المكسب عظامه والفار من المدر والطين
ونحو ذلك ثم يتوالد عن هذا المتولد اشخاص اخر ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذن ان يكون الانسان
في اول خلقه كذلك فيحدث شخص من نوعه ويتكون من التراب ثم حصل باقيه من نوعه عنه بالتوالد
اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ ادم اذا اطلق في عباراتهم فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر
كلي اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ويحملون قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من نطفة وما في
معناه على ما تولد بعده وقد يراد به اول شخص استخلف في الارض وهو الخليفة في [illegible]
الشريعة واما الكلي فتارة يراد بادم مطلق نوع الانسان وعلى ذلك قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي وقد يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله كما نقل عن سيد المرسلين صلى الله عليه
كل نبي ادم وقته وقوله صلى الله عليه انا وانت يا علي ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قوله
انا [illegible] على ايها اللام قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم واكثر على هذا
المعنى اذا ثبت هذا فنقول ان لكل ادم بالمعاني المذكورة ملائكة تخضع وهي مامورة بالسجود
له وابليس في مقابلته ومعارضته اما ادم بالمعنى الاول والثاني فملائكته المامورون بالسجود له
هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المامورين باتباعه المنتفعين بقوله وسائر القوى التي في
اقطار هذا العالم فانها باسرها ملائكة مامورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه بين يديه
والمعونة له على مراده واما ابليس المعارض له فهو القوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله
العملي الساعية في الارض فسادا والنفوس المتمردة عن قبول الحق ولا استماع لقول الحق

عن

عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا واما
ملائكة ادم وابليس الذي هو صنف الانبياء والدعاة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة
والحجج واما ادم الذي هو نوع الانسان فكل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم هم المامورون
بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض لعقله وجنوده ما تحته من القوى
الشهوية والغضبية وغيرهما اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول
الاولى ان يحمل ادم فيما ذكره عليه السلام ههنا من هذه القصة على مطلق النوع الانساني
فقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى
خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين العنصرين
وهما الارض والماء دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي يدور عليها صورة
الانسان الحيوانية وقوله حتى خلصت وحتى لزبت اشارة الى بلوغها في الاستعداد
للغاية التي معها تفاض صورة ما تكون منها وقوله فجبل منها صورة ذات احناء ووصول
واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها ومفاصلها وما
تقوم به صورته وقوله منها الضمير راجع الى التربة ويفهم من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية
من المفاضة على كمال استعداد التربة من غير واسطة انتقالات اخر في اطوار الخلقة واما ثم اذا
حملنا ادم على اول شخص تكون من هذا النوع فاما اذا حملناه على مطلق النوع كان المراد انه
جبل منها الصورة الانسانية بوسائط صور توردت في اطوار الخلقة كما قال تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من النطفة
المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي
الى النباتية والنباتية تتولد من صفو الارض والماء وهي التربة المستعدة للنبات والمشار اليها
بخلاصة الطين فان [illegible] التربة بعد ان توارد عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة [illegible]
فصدق عليها ان الصورة الانسانية جبلت منها وقوله اجمدها حتى استمسكت واصلدها
حتى صلصلت الضمير في جبلت راجع الى الصورة وما تعلق بها من الاعضاء فالاجماد غاية
الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد غاية راجع الى
بعض اخر كالعظام والاسنان واسناد ذلك الى المدبر الحكيم سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هناك
هذه الامداد اسباب قريبة طبيعية كالحار الغريزي فانه المستعد لتركيب المواد وتبعه البرد
لسكونه عند [illegible] من الخلق وكالرطوبة فانها هي التي تلحق وتتشكل ويتبعها اليبوسة
لحفظ الاشكال وافادة التماسك وقوله لوقت معدود واجل معلوم يحتمل ان يراد به

او لتمام تربيته من مراتب تركيب بدن الانسان واستعداده لادوار الخلقة ووقت معدود اي الى انقضاء
مدة لا معلوما يتم به ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت الذي تعم ام الحياة
الى الانسان بهذا التركيب فيه كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود **وقوله** ثم نفخ فيها من روحه
اقول الضمير المؤنث راجع الى الصورة وقد علمت ان هذه الاشارة جارية الى القران الكريم لما
قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن وتهيئته لقبول
النفس والمراد بالنفخ ههنا استعمال حسنة فان النفخ لصوت ونحو احراج الهواء من النافخ
الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار ولما كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله تعالى وجب
العدول الى حمل لفظه على ما يشبهه ولما كان اشتعال نور النفس في فتيلة البدن عن
الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه يشبهه بحسب محاكاة خيال الضعيف بما يحصل
من اشتعال النار في المحل القابل لها عن صورة النفخ لا جرم حسن التعبير بلفظ النفخ عن افاضة
الجود الالهي للنفس على البدن لمكان المشابهة المتخيلة وان كان الامر اجل مما عندنا واعلى كما ان نسبة
الروح الى الله تعالى فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلاثة معان الاول جبرئيل عليه السلام
وهو روح الله الامين ونسبته اليه ظاهرة واما نسبة النفخ الى الله حينئذ فلكونه العلة الاولى
وجبرئيل واسطة جعله الله تعالى مبدأ هذا اللطف لنفخ النفس في صورة ادم الثاني من
الله ونعمته وفيضه الصادر على ادم وغيره وانما كان ذلك روحا لانه مبدأ لكل حي فهو الروح الكلية
التي بها قوام كل وجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون من هنا للتبعيض الثالث ان يراد
بالروح النفس الانسانية ويكون من زائدة وانما نسبت اليه دون سائر مصنوعاته لطيفة هي
ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفي قوته العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهي فيه
بناسبه بوجه تنزه الخلق ليس حاصلا لما عدا هذا الجوهر مما هو جسم او جسماني فلذلك
شرفها باضافتها اليه وقوله فتمثلت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة
وهي انها انما كانت بنفخ الروح فيها ولذلك رتب صيرورتها انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها وقوله
ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها تحريكها
وبعثها في استخراج الصور الجزئية كالحس المشترك او المعاني الجزئية والمتصرفة كالوهم
وقوله وفكر يتصرف بها اشارة الى القوى المفكرة في ابناء النوع الانساني وتصرفها
في تفتيش الخزائن وتركيب بعض مودعاتها ببعض وتحليلها ويحتمل ان يريد بالفكر
القوة المفكرة بل هو كانها المتعددة في الاشياء فلذلك جمعها وقوله وجوارح يختدمها
اشارة الى عامة الاعضاء التي بيننا انها كلها خدم للنفس والادوات التي يقلبها من كل

بشبه ان تختص بالايدي كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويكون الى بكون اعم من
حاورت البصر والقلب كقوله عليه السلام يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليه اسم التقليب
وقوله ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل اي استعداد النفس لدرك العقول الاولية
الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب ما لها من المعارف الاولى اعني البديهيات فان الحق والباطل
امور كلية وليس للقوى البدنية في ادراك الامور الكلية حظ ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى القوة
المستعدة لها الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا وقوله والاذواق والمشام والالوان
والاجناس ينبه ههنا على ثلاثة امور احدها ان للانسان الة بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك
المشمومات واخرى بها يدرك الالوان وتقديره وذوق الثاني نبه على ان النفس مدركة للجزئيات
بواسطة هذه القوى اذ عدها في نسق ما يعرف فيه النفس وتفرق بينه وبين غيره الثالث
لما اخر قوله والاجناس تنبيها على ان النفس تنتزع الامور الكلية من تصفح الجزئيات فان
الاجناس امور كلية والنفس بعد ادراك الجزئيات وتصفحها تنبيه لما ركبت بينها
من مشاركات ومباينات فتنتزع منها تصورات كلية وتصديقات كلية وكانه عنى بالاجناس هاهنا
الاعم بالكلية مطلقا لا بحسبها خاصة في الاصطلاح المنطقي العلمي وقوله معجونا بطينة الالوان
المختلفة نصب على الحال من قوله انسانا والصفة له والمراد الاشارة الى ان اختلاف ابدان النوع
بعضها مع بعض في الالوان بسبب قوة استعداد ابدانهم لذلك كما قال صلى الله عليه فجاء منهم
الاحمر والابيض والاسود كما سبق وطينة الالوان اصلها وعجنها بها مزجه بها وتهيئته واعداده
لقبولها مع اختلافها وكذلك الحال في البدن الواحد فانه ليس بالجملة اجزاءه لونا واحدا فان امتزاج
بعض الاعضاء يقتضي ان يكون ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود
كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات الخلقية عن الاخلاق الواردة في تمام الخبر
من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب يرجع الى الارض لما كانت اكبر العناصر
جزءا في هذه الابدان كان اختلافها انما تام في تفاوت الامتزاج لقبول الالصاق
وقوله والاشياء المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر
والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور اما الاشياء المؤتلفة فكالعظام والاعصاب
وذوات اشباهها فانها اجسام متشابهة ائتلف بعضها مع بعض وبها قامت الصورة البدنية وا
حفظت بطبيعتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع التي ذكرها عليه السلام وهي الحرارة
والبرودة والرطوبة التي هي البلة واليبس الذي هو الجمود وعبر عنه بلازمه وهو الجمود على
ان الجمود في اللغة هو اليبس ايضا واما الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط الاربعة كما عرفت

من الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المسآءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية وسائر ما يقع
في سببها الفاعلة اما اسبابها فاعلم ان للسرور سببا جسمانيا معدًا وهو كون حال الذي هو الروح
النفساني على حال احواله في الكيفية لان زيادة الجوهر في الكم يوجب زيادة القوة وفي الكيفية وهو ان
يكون معتدلا في اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفا واما السبب الفاعلي له فالاصل فيه تخيل
الكمال كالعلم والقدرة والحساس بالمحبوبات والملاية والتمكن من تحصيل المرادات والتفرد
والاستيلاء على الغير والخروج عن الموم وتذكر الملذات واما اسباب الغم فمقابلات
تلك اما السبب المعد الجسماني فهو اما قلة الروح كما للناقهين والمنهوكين بالامراض والمشايخ
واما غلظه كما للسوداويين واما رقته كما للنسآء واما الفاعلي فمقابل اسباب السرور وقد يتشبه
كل منها بعد الاسباب المذكورة فيكون فيصير السرور والغم ملكة ويسمى صاحبه سعيدا او
محزونا ومقصوده عليه السلام التنبيه على ان طبيعة الانسان فيها قوة وصول واستعداد لهذه
الكيفيات وامثالها وتلك القوة هي المراد بطينة المسآءة والسرور والفرق بينها وبين
الاستعداد ان القوة تكون على الضدين والاستعداد لا يكون الا لاحدهما قوله واستادى
الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم الى قوله الا ابليس اقول لما كان الذي
يشير اليه على اسـ ين يقوله انا هو النفس الناطقة كان ادم عندهم عبارة عن النفس
الناطقة ثم قالوا المراد بالملائكة الذين امروا بالسجود لادم هي القوى البدنية التي امرت بالخضوع
والخشوع لتكرمه النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهو الامر الذي لاجل خلقها انشأ
عهد الله اليهم لديهم ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والخطاب ههنا
خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الازلي قبل الوجود والاستعداد لذلك العهد وتلك الوصية
هو طلب المأمور به اولا من الانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود وعلى السنة الرسل
عليهم السلام بالوحي المنزل وهو قوله اسجدوا لادم وقوله فسجدوا اشارة الى القوى المطيعة لنفو
سها العاقلة في اشخاص عباد الله الصالحين وقوله الا ابليس وقبيله اشارة الى
الوهم وسائر القوى التابعة له في معارضة العقل في اشخاص الاشقياء والفاسقين عن اوامر
الله تعالى وقد عرفت ان الوهم رئيس القوى البدنية فهي اذن عند معارضته للعقل في متابعتها
له جنود ابليس وقبيله واما قوله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلق
النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس وقبيله خلقوا من
نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت اجسام لطيفة تتكون من لطافة الاخلاط

وهي حارة جدا مائلة الى الاخلاط والنارية والهوائية عليها اغلب وتولدها عنها اسهل وهي
في اجزاء البدن وكذلك القلب الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك
نسب ابليس الى النار فقال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال والجان
خلقناه من قبل من نار السموم اي قدرنا قبل وجوده ان تكون النارية والهوائية على وجوده اغلب
وقال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر وكانت هذه القوى وارواحها الطف الامور
الجسمانية وتكونها عن الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من سائر العناصر لمكان المناسبة
في اللطافة فجاز ان يطلق على اصله انه نار لا يقال اذا كان ادم هو النفس الناطقة فما معنى قول
ابليس وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار بمعنى ان الغالب على
الروح الحامل له هو عنصر النار كذلك يصدق ان ادم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه الارضية
وايضا فان الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق حكمه فيما عداها
الا فيما كان محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يكن اعتقاد ابليس ان الانسان شي
غير هذا البدن المتكون عن الطين اذا ثبت ذلك فنقول اعتراء الحمية والتعزز بالانتساب
الى عنصر النار نسبة مجازية باعتبار العادة جازمة بان يانف الانسان من الاصل الناقص وان يفتخر
ويتعزز بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى المتابعة له يقول على
وجه الاستنكاف والاستكبار اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وانا المخلوق من
النار التي هي اشرف العناصر قالوا ولما علم الله تعالى ذلك من حال ابليس لعنه وطرده واخرجه من
الجنة وذلك قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قالوا وذلك انما عنت
ان الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هي المراقي
التي ينتقل العقل فيها في مقامات السلوك الى حضائر القدس ومحل الملأ الاعلى وحال ان
حال الوهم قاصر عن الانتقال في تلك المراتب فطرده ولعنه وتحريم الجنة عليه يعود الى تكونه
على الطبيعة التي هو بها قاصر عن ادراك العلوم الكلية التي هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه
بذلك قالوا وما يبتنه على ذلك قوله قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين اي بما خلقتني على هذه الجبلة لا اهتدي لدخول الجنة ولا اتمكن منها لاجذبنهم
الى المشتهيات وتزيين الملذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يهتدوا الى الجهة التي
لاجلها خلقتهم ولا يلتفتوا اليها الا من عصمته مني وجعلت له سلطانا على فهو بري وغلبني وهم عبادك
المخلصون اي النفوس الكاملة المطيعة عن متابعة قواها المتسلطة على قهر شياطينها وكذلك
قوله قال انظرني الى يوم يبعثون فانه لما كان البعث الاول هو مفارقة النفوس لابدانها وانما نعانها

الى عالم بعد ان انشئة الطبيعة الوهم ناقضة محبة النفس في دار الدنيا اذ لا حظ له غيرها حسن من البيان
بهذا انه يقول رب انظرني الى يوم يبعثون وقوله فانك من المنظرين لما كان الوهم باقيا
في النشأة البدنية ووجوده الى يوم البعث حسن من لسان الحكمة الالهية ان يقول انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم وذلك معنى اعطائه النظر وقوله استحقاقا للسخط واستجابا لدعائه
واحتجاجا بالبعث فقد عرفت ان البليه نصبت على المعقول لم يشاد الوهم وابتلا الخلق به والشر
الصادر عنه امور داخلة في القضاء الالهي بالعرض فيصدق عليه انه مراد وان الانظار والامهال لاجل
استحقاق السخطة والجاز العرق واطلاق لفظ السخطة استعارة فان السخط لما كان عبارة عن حالة في
الانسان يستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضي بافعاله وكان حال ابليس في انظاره وامهاله وتبرئه
عن ابويه مستلزما لاعراض الله سبحانه عنه وعن عصاة بمتابعته فثم نوع مشابهة فحسن لاجلها
اطلاق لفظ السخط واما العدة فيعود الى قضاء الحكمة الالهية ببقاء الوهم الى يوم البعث واجازها
يعود الى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان هنا صورة مطرود وشقي وملعون
حسن اطلاق السخط واستحقاقها وانه انما انظر لاجلها ولو ترشيح للاستعارة قوله
ثم اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته اقول
الدار التي اسكن فيها آدم هي الجنة والاشارة هنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة القوة العاقلة
عليه الى حين استرجاعها ما دام مراعيا لاوامر الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية في سبيل
سلوكه من عبادته ولا ملتفت الى غيره فانه في الجنة وان كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى لهم
غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وكما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه اذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجية عن القبلة
الحقيقية الغير مشوبة بشي من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الردية وان كانت المرتبة الثانية
من الغرفة العالية انما تنال بعد المفارقة واستصحاب النفس لكمالها وافاداتها وانما ارغد العيش
يعود الى ابتهاجه بالمعقولات والمعارف الكلية وامان المحلة امان مكانه فالجنة ان يعرض
له خوف الخروج منها ما دام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته فظاهر من الاوامر الشرعية ولسان
الوحي ناطق به كما قال تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة ظاهر مما قلنا وان النفس
لما كانت من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما يدركه
النفس من الامور الكلية التي لا حظ له في ادراكها وذلك من مقتضيات العداوة وايضا فلم
امر النفس ومصلحتها لا يتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية من مقتضيات طباعها وتمام مطالب
القوى لا يحصل الا بقهرها النفس فكانت بينهما مجاذبة طبيعية وعداوة اصلية اذ لا معنى للعداوة

الا الى ما يضاد مقصوده كونه موذيا قوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار
اقول يقال ان الله تعالى لما حذره ابليس وعداوته كان قد نهاه عن اكل شجرة فقال ولا تقربا هذه
الشجرة واعلمه ان اكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
هي ما يدعو الى الشهوات الدنيوية واللذات البدنية الخارجة عن الحدود في اوامر الله وتنبيها
ولها هو المقصود منها في طرف الافراط عن وسط القانون العقلي واما كونها شجرة البر فقالوا ان البر
لما كان من قوام الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات والملاذ البدنية حسن ان تعبر به عنها فيقال
هي شجرة البر كناية عن الفروع بالاصل فاما اغترار ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون
النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من ابليس فاغتراره يعود الى استغفال
النفس بالوسوسة التي حكى الله تعالى عنها بقوله فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة فنقول ان الفعل انما يصدر عن الانسان
بواسطة امور مترتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور كون الفعل ملائما ونفعه المسمى بالداعي ثم ان ذلك
الشعور يترتب عليه ميل النفس الى الفعل المسمى ذلك الميل ارادة فيترتب على ذلك الميل حركة
القوة المنبثة في العضلة المحركة للعضو الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول
صدور الفعل عن مجموع القدرة والارادة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل ووجود الداعي
ليس عن تصوره كونه نافعا وخيرا امر لازم فلا مدخل للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا في
القاء ما يتوهم كونه نافعا او لذيذا الى النفس على خلاف امر الله سبحانه فذلك الالقاء في الحقيقة هو
الوسوسة وهو عين ما حكى الله سبحانه عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي اذا عرفت ذلك فاعلم ان نسبة ابليس تعود الى القياد النفس لجذب الوهم والقوى
البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهي عبادة الحق سبحانه
فعصيانها بتوسط الوهم ادم الله عليها خطا يانا لما ان ابليس لم يمكن له تمكن من دخول الجنة والتمكن
التوسل بالجنة ودخل في فيها الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لادم عليه السلام واغتراره فقالوا ان المراد
بالحية هي القوة المتخيلة وذلك ان الوهم انما يتمكن من التصرف وبعث القوى المحركة كالشهوة والقوة
الغضبية التي هي جنوده وشياطينه على طلب اللذات البدنية والشهوات الجسمية الدنية وجذب
النفس اليها بتصويره كونها لذيذة ونافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية ان الحية لما
كانت لطيفة سريعة الحركة تتمكن من الدخول في المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف الكلي وهي
سبب من اسباب الهلاك بما يحمله من السم وكانت المتخيلة في سرعة حركاتها وقدرتها

على التعرف السريع والادراك الطف من سائر القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم فلما كان
لما هو عليه من تخيل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا للهلاك
الابدي والعذاب المؤبد لاجرم كان اشبه ما يشبه به الحية لما بينهما من المناسبة فحسن اطلاق الحية
عليها وقوله نفاسة عليه ترشيح للاستعارة انه لما كان جذب الوهم للنفس الى الخبيثة ال
علية ما نفت لها من الكرامة بدار المقامة وتنزلها عن درجة موافقة الملاء الاعلى وكان ذلك اعظم ما
يتنافس به كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عن صورة
معاداة كما سبق فكان من لوازم المعاداة النفاسة على العدو بكل ما يعد كمالا لاجرم حسن اطلاق
النفاسة ههنا ترشيحا لاستعارة العداوة والنصب على المفعول له وقوله فباع اليقين
بشكه والعزيمة بوهنه اي لما حصلت الوسوسة والاعتقاد لادم في تصادلها كان قد تدل ما يتضمن من
ان شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى موجود للحق والبقاء في جنته ودوام مطالعة كبريائه بالشك فيه
بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة من متاع الاخرة وما اعد الله تعالى لعباده الصا
لحين امور خفيت حقايقها على اكثر البصائر البشرية وانما الغاية في تشويقهم اليها ان تمثل لهم
بما يؤمنا هدهم من اللذات البدنية الحاضرة فترى كثيرا منهم لا يخطر بباله ان يكون في الجنة امر زائد
على هذه اللذات فهو يجتهد في تحصيلها اولا يقصد ورائها اكثر منها ثم ان صدق بها على سبيل
الجملة تصديقا للوعد الكريم فانه لا يتصور كثير تفاوت بين الموعود به والحاضر بحيث يترجح ذلك
التفاوت عنده ترك الحاضر لاوعده بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به
اغلب عليه وان تنقف باصل عقله ان الاولى به هو الانفع له والابقى من متاع الاخرة فكان يطلعنا
على حيث اليقين عقله عنه ونسيانه له بسبب الاشتغال باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك
معنى قوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما تحصيل العقله بالكلية بل كون الوهم المذكور قويا فصار ذلك اليقين
يوجب في مقابلة شبهة وشكا وذلك معنى قوله عليه السلام فباع اليقين بشكه ولا منافاة
بين قوله تعالى فنسي وبين الشك ههنا وقوله والعزيمة بوهنه اي تعوض من العزم و
التصميم الذي كان ينبغي له في طاعة المولى كما بالضعف والعاجز عن نجاته كما قال تعالى ولم نجد
له عزما واطلاق لفظ البيع ههنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على استبدال متاع بمتاع
سواء كان الاستعاضة باجل او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وقوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما الى
اي قوله وتناسل الذرية فيه تقديم وتاخير وتقدير والعزيمة بوهنه فاهبطه الله الى دار البلية وتناسل
الذرية فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته

ودعنى

ووعدني المراد الى جنته وذلك لان الاهباط عقيب الذلة واستبدال الجذل بالوجل بعد ارتكاب النهي
الحية والاخراج منها فقد ورد القران الكريم بهذا النظم في سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان عنها
فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وورد ايضا
على النظم الذي ذكره عليه السلام في سورة طه وذلك قوله وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى قال اهبطوا فقدم الاجتباء والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن قالوا ومعنى الاصباح
له هو انزاله عن دار كرامته واستحقاق افاضة نعيم الجنة وذلك ان النفس الناطقة اذا اعرضت
عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشياطين واتباع الجن وموافقة ابليس لعدت من
رحمانه وتسود لوحها عن قبول الانوار الالهية فانها دار البلية وتناسل الذرية فانشاء الى الدنيا فان
الانسانية اذا التفتت بوجهها اليها واقبلت بكليتها عليها هبط من اعلى عليين الى اسفل سافلين ومع
ذلك مسوا بلاء انسلا اذ لا يعدم في كل لحظة ووقت فوت مطلوب او فقد محبوب بطلب ما لا
ينال ويحرم ما لا يطلب وكفى بانقطاعه عن الله تعالى بالتفاته اليها بلاء واعظم به شقا اذ كان سبب البعد
عن رحمته والطرد عن ابواب جنته فان قلت لم ذكر تناسل الذرية في معرض الاهانة لادم كه
مع انه في الحقيقة من الامور الخيرية المندرجة في سلك العناية الالهية فان به بقاء النوع ودوام الافاضة
قلت انه وان كان كذلك الا انه لا يشبه له في الحقيقة الى الخير الذي كان ادم فيه في الجنة فان تنا
سل الذرية خير اضافي عرضي بالنسبة الى النظام الذي يحصل لابناء النوع وذريته ثم التشبه انه حصلت
فيه اخس الى الاشرف فان انزاله واهباطه عن استحقاق تلك المراتب الشاهقة والافاضات
العالية الى هذه المرتبة التي شارك فيها البهيمة وسائر انواع الحيوانات نقصان عظيم وخطر له بشقى
وقوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على عبادة الحق
سبحانه المستغرق في انوار كبريائه المعرض عما سواه له اللذة والسرور والابتهاج فاذا اعرض عما يوجب
السرور والفرح والتفت الى خسائس الامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينه فانكشف
عنه ستر الربح وشمه سوء المناظرين بحين الى ما فيه من غاية الله الصالحين ثم اخذته بضبعه
العناية الالهية وتداركته الرحمة الربانية فانتبه من رقدة الغافلين في مراقد الطبيعة فراى السلا
سل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم سعرة عن جنبي الصراط المستقيم وتذكر قوله تعالى
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيامة اعمى الايات فلا بد ان يصبح وجلا فلقا يتقلب كفه حسرة وندما وجلا
على الحقه من سخط الله ندما على ما فرط في جنب الله وقوله ثم بسط الله في توبته ولقاه كلمة رحمته
بالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما النقص انما من خسة القابل وعدم

سعادته انما انعقدت النقمة لذلك رحمه الله وجذبتها العناية الالهية من ورطات الى الى
لا نوبة قد ايدتها بالمعونة على ابليس وجنوده ونصرتها لمفاتح افعاله وما يدعو اليه فاخذت بمقاديه
والتوحيد لاربع مكايد وذلك سر تعني انابتها وتوبتها واما كلمة رحمة الله التي لقاها ادم فيعود الى السر
الالهية التي تسنح للعبد فيكون سبب لجذبه عن مهاوي الهلاك وتوجيهه عن الجنبة السافلة الى
الفسل الحقيقية وامداده بالملائكة خالا فيها لا وترقيه في مدارج الجلال التي هي درجات الجنة وقوله
وتعد المرد الى جنته فات به الى وعد القضا الالهي الناطق عنه لسان الوحي الكريم فمن ابع هداي
فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار وكذلك سائر انواع وعدات التايبين فهذا ما يتعلق بهذه القصة
من التاويل وبالله التوفيق **الفصل الرابع قوله** واصطفى سبحانه من ولده انبيا اخذ
على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه
واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله
وواتر اليهم انبياءه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا
لهم دفاين العقول ويروهم ايات القدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش
تحييهم واجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل
او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من
سابق سمي له من بعده او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء
وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه [وآله] لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين
ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرايق
متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه
من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه لقاءه ورضي له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا
ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما صلى الله عليه وعلى آله وخلف فيكم ما خلفت
الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه
وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله ومرسله
ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله ومبينا غوامضه بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على
العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله ومباين
[illegible]
وزايل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه

وبين

وبين مقبول في ادناه موسع في اقصاه **قوله** الاصطفا الاستخلاص والانداد الامثال وفي
اجتالتهم اي اجالوهم واجتذبوهم والتواتر ارسال بعد الفترة والى واصله اواتر والفطرة الخلقة والميثاق
العهد في الاصلاب الاولى والاحداث المصائب وتخصيصها بانها عز في والحجة ما يحتج به الاثبات
غيره اي يدل به والمحجة جادة الطريق والغابر الباقي والماضي ايضا وهو من الاضداد والقرون الامة من الناس
اي ذريته ونسلت مأخوذ من نسل ريش الطائر ونسل الوبر اذا وقع والعدة الوعد وانجازها اقضاؤها
والميلاد اسم لوقت الولادة وقبل محل ولادته من الزمان او المكان والملحد العادل عن الاستقامة على الحق
والنسخ في اللغة الازالة والرخصة التسهيل والعزيمة الجد وهذه الالفاظ الثلاثة مخصوصة في العرف
بامور اخر كما بين في كتب الاصول اذا عرفت ذلك فاعلم اني ضمنت هذا الفصل ابحاثا **البحث الاول**
الضمير في ولده راجع الى ادم عليه السلام ثم ان كانت الاضافة بادم الى النوع الانساني من جهة الولادة البدنية
فالمراد بالولد ... فان كل واحد من ... النوع في اصطلاح اهل التاويل وكذلك ان كان المراد
بها تخصيص وجود واعلم ان اصطفى الله سبحانه للانبياء يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما
وهب لهم العناية الالهية من القبول والاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم
هو عهد الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط الوحي في الواح قواهم وهديت سائر النفوس
اذا قد اتى جناب عزته بحسب ما اتاهم من القوة على ذلك والاستعداد وما منحهم من الكمال
الذي يقتدرون به على تكميل الناقصين من ابناء نوعهم ولما كانت صورة العهد واخذ الامانة في
العرف هو ما يوصل الانسان الى غيره ويوكد عليه القيام به بالايجاب وارشاد الحق سبحانه وكان الحكم
الالهي جاريا بارسال النفوس الانسانية الى هذا العالم وكان مراد العناية الالهية من ذلك البعث ان
يظهر ما في قوة كل نفس من كمال او تحويل الى الفعل وكان ذلك لا يتم الا بواسطة بعضها للبعض
كان الوجه الذي بعث عليه شبيها للعهد والميثاق الماخوذ والامانة المودعة كل ما في قوته ولا اعد له
فحسن اطلاق هذه الالفاظ واستعارتها هنا **قوله** لما بدل اكثر خلق الله خلق عهده
اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه فاجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته اي
الوارث له الى ذلك في الحكمة الالهية في وجود الانبياء عليهم السلام ولوازمه وهي شرطية متصلة قدم فيها التالي
لتعلق ذكر الانبياء عليهم السلام بذكر ادم والتقدير لما بدل اكثر خلق الله عهده اليهم اصطفى الله
من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق وذلك العهد هو المشار اليه بقوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية قال ابن عباس لما خلق الله ادم مسح على ظهره فاخرج
منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو
كائن الى يوم القيامة واعلم ان الية الذرية تعود الى احاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الانساني

انما وجود اتصاله [illegible] عن قوم الفيض الالهي ولما كان بالانسان تمام العالمين في الوجود الخارجي وذلك [illegible]
والتمدد تما القضايا المطابقة له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم واما اتخاذهم على انفسهم بنعوت
الى [illegible] امكانهم بلسان الحاجة اليه وانه الاله المطلق الذي لا اله غيره واما [illegible] ملازمته الشهادة [illegible]
الثالث فعلى الخلق حب الدنيا والاعراض عن مقتضى الفطرة الاصلية التي فطرهم عليها والانقلاب
عن القبلة الحقيقية التي امروا بالتوجه اليها وذلك بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية المنافية الى
ـم لا بنا ادم كان من شان كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يبدل اكثرهم عهد الله سبحانه من
الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان لانه وان يجهلوا حقه المعقلة بجاهز الدنيا لذاتهم عما
يتحتمه من دوام الشكر وان يتخذوا الانداد معه لفنيا نم العهد القديم وان يحتذيهم الشياطين
عن معرفته التي هي الدنيا والجنة وان يقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة الى اقتطاف تلك الثمر ولما كان
من شانهم ذلك وجب في الحكمة الالهية ان يختص صنفا منهم بكمال اشرف يقتدر معه ابناء ذلك
الصنف على ضبط الجواذب المتجاذبة وعلى تكميل الناقصين من دونهم وهم صنف الانبياء
عليهم السلام والغرض منهم ما اشار اليه عليه السلام بقوله ليستادوهم ميثاق فطرته اي ليحثوهم على اداء ما
خلقوا لاجله وفطروا عليه من الاقرار بالعبودية لله ويجذبوهم عما التفتوا اليه من اتباع الشهوات الباطلة
واقتناء اللذات الواهية الزائلة وذلك البعث والحث تارة يكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة [illegible]
بل شكرها ولا ح من منته العظيمة وتارة يكون بالترغيب فيما عنده سبحانه مما اعد لاوليائه الاخيار
وتارة بالترهيب مما اعد لاعدائه الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسايس
هذه الدار وبيان وجوه الاستهانة بها والاستحقار والى ذلك اشار بقوله ويذكروهم منسي نعمته ولا
بد من اولة والمخاطبة من احتجاج حتى احتجاج منبع ومنهج فيحتجوا عليهم بتبليغ رسالات الله [illegible]
ليتا بيوهم الذي يوعدون وسيروا لهم وجوه الادلة على وحدانيته المبدع الاول وتفرده باستحقاق
العبادة وهو المراد بدفائن العقول وكنوزها واستعمال الدفائن فيها استعارة لطيفة فانه لما كانت
جواهر العقول ونتائج الافكار موجودة في النفوس بالقوة اشبهت الدفائن فحسن استعارة
لفظ الدفينة لها ولما كانت الانبياء الاصل في استخراج تلك الجواهر باعداد النفوس لاظهارها حسن
اضافة اثارتها اليهم وكذلك ارشدهم الى تحصيل مقدمات تلك الادلة والبراهين وهو اذ هي
وهي ايات القدرة الالهية واثارهم من سقف فوقهم محفوظ ومرفوع تشتمل على بدايع الصنع وغرايب
الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون ومعايش بها يكون قوام حياتهم الدنيا
وبلاغا ملك بقايهم لما خلقوا الدواجال مقدرة بها يكون فناؤهم ورجوعهم الى باريهم واعظم بالاجل

لم

بيت [illegible] وتعددها حادثا الى الله تعالى وتقدس صلى الله عليه وآله [illegible] الذات الى [illegible]
بين الاعراض التي ينضعف قوام ونهضتهم والمصايب التي تتتابع عليهم فان كل هذه الاثار مواد [illegible]
[illegible] الخلق لينبهوهم لصدورها عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق الذي
له الخلق والامر وليقروه روافي اذهانهم صورة ما نسوه من العهد الماخوذ عليهم في الفطرة الاصلية
من انه سبحانه هو الواحد الحق المنفرد باستحقاق العبادة والى ذلك اشار القران الكريم وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به
الارض بعد موتها الاية وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم
الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون الى غير ذلك من الايات الدالة
على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بالسنة رسله وتراجمة وحيه وجذبهم بهذه الالطاف الى
القرب من ساحل عزته والوصول الى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار **قوله** ولم يخل الله سبحانه خلقه الى قوله وخلفت الا
اقول المقصود الاشارة الى بيان عنايته سبحانه بالخلق حيث لم يخل امة منهم من نبي مرسل
يجذبهم الى جناب عزته كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل يدعوهم
فيه الى عبادته ويذكرهم فيه منسي عهده ويتلى عليهم فيه اخبار الماضين والعبر اللاحقة للاولين
ليحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة ويوضح لهم فيه امور نظامهم ويبعثهم على سبيل
ومعادهم والانفصال كما هو مقتضى الحكمة كما هو مصرح **قوله** من سلي بقصر
بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم اي هذه رسل كذلك والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي
العدد بالنسبة الى كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم [illegible]
انه فلا بد فيهم فوقه [illegible] قصورا عن اداء ما كلفوا القيام به
من حمل الخلق على ما [illegible] منافع مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده بدعوة
اهل الارض الى طاعة باريه ويحتمل اعباء المشقة التامة في مجاهدة اعداء الدين ويبث دعوته في اطراف الارض
عن العناية الازلية والحكمة الالهية ويبقى اثارها محفوظة وسننها باقية الى ان يقتضي الحكمة
وجود نبي آخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل **قوله** من سابق سمي له من بعده تفصيل للانبياء ومن ميزت للتمييز والتبيين
والمراد ان السابق منهم قد اطلعه الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدمة لتصديق
[illegible] كبعض عيسى عليه السلام حيث قال ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وبين [illegible]

حادث من قبل كثيحضن عليه السلام وعلى ذلك اى على هذه الوتيرة والاسلوب والنظام الالهي لحصلت
الايام وتلقت بهما ودخلقتهم الابآ قوله الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه الى قوله
من الجهالة واعلم انه عليه السلام ساق هذه الخطبة من لدن ادم عليه السلام الى ان انتهى الى محمد صلى الله عليه
كما هو الترتيب اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما نطق به القران الكريم ما كان محمد ابا احد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفية احتياج الخلق في
انتظام امورهم في معاشهم ومعادهم بوجوده كل ذلك استدراج لما اذ كان السامعين وتمهيد لما يريد
ان يورده عليهم من مصالح دينهم او دنياهم فاشار الى انه الغاية من طينة النبوة وتمام لها بقوله الى ان
بعث الله محمدا صلى الله عليه لانجاز عدته لخلقه على السنة رسله السابقين بوجوده واتمام نبوته صلى
الله عليه قوله ماخوذا على النبيين ميثاقه المنصب هاهنا على الحال من بعث ذو الحال محمدا وكذلك
الحال في المنصوبين الباقيين والمراد باخذ عليهم ما ذكره وقرع فطرهم من الاعتراف بحقيقة نبوته
عليه السلام والتصديق فيما يجيء به اذ كان ذلك من تمام عبادة الحق سبحانه نبعث عليه حال كان
ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء واليه الاشارة بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية وكذلك
من علامه وحال ما كانت امارات ظهوره والبشارة بمقدمه مشهورة بينهم مع زكا اصله وكرم ميلاده
حسبه وشرف وقت مجيئه ثم اراد عليه السلام بعد ذلك ان يؤيد بعثة محمد صلى الله عليه تعظيما وتبيين
وتبيل شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة
وطرائق متشتتة والواو في قوله واهل الارض للحال ايضا وموضع الجملة نصب وقوله واهوا خبر مبتدا
محذوف تقديره اهواهم اهواء متفرقة وكذلك قوله وطرائق اى وطرائقهم طرائق متشتتة اى بعثه وحال
اهل الارض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان وانتشار الاراء واختلافها وتشتت الطرق
والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد صلى الله عليه اما من اهل الشرايع او غيرهم اما
الاولون فاليهود والنصارى والصابئة والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت من ايديهم وانما بقوا
متشبثين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى القران
الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس
اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني الشر ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان
الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي للشرير على سبعة الاف سنة الى
غير ذلك من هذياناتهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرق المتشتتة فهم

على

على انحاء شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما
المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم
الذين حكى القران عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقصروا
الحياة والموت على تحلل الطبائع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما
لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث
والاعادة وهم الذين حكى عنهم في القران الكريم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الاية وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها
شفعاؤهم عند الله كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطائف وقريش وبنو كنانة وغيرهم هم
اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان
يعبد الملائكة ومنهم من كان يعبد الجن كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما المحصلة فقد كانوا
في الجاهلية على ثلاثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني علم تعبير الرؤيا
والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه من قال مطرنا بنوء كذا
فقد كفر بالذي انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين و
التقبيح العقليين والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرايع واتصالهم الى رجل منهم يقال
له براهام ومنهم اصحاب البددة والبد عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم
ولا يموت ومنهم اهل الحكمة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات
الذين اثبتوا وسائط روحانية تاتيهم بالوحي بالامر عن الله في صورة البشر من غير كتاب فمنهم
عبدة الهياكل ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يتوجهون بالاجرام الى عبادة
الاصنام اذ لا يستحضر الجسم طريقه لا شخص حاضر ينظرون الله ويوجهون اليه في مهماتهم والحاصل ان
اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها وكان الاصل في وضع الاصنام ذلك
ادراكه بعض ذوي فطنة انه يعمل خشبا بين ثم يتخذ الله الا ان الخلق لما عكفوا عليها ونطقوا
حوايجهم بها من غير اذن شرعي ولا حجة وبرهان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا
لالهيتها ووراء ذلك من اصناف الاراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان يحصر ومن اراد
ذكرها في الكتب المصنفة في هذا الفن واذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله عليه السلام من مشبه لله
بخلقه كالفرقة من اصحاب الملل السابقة فانهم وان اثبتوا صانعا الا انهم اذ شبهوه بخلقه بكيفية تحضر
وبحكم علمه في نفسه الا من الجسمية ولوازمها ومن ملحد في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسمائه

ان يعبدوا ما هي عليها الى اسماء استحقوها لا وثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا ان قيل مذهب ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين في اسمائه بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله باسم لم يسمه به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وقوله من مشيرا الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الاصنام وربما يفهم الى هذا فالمنع الخلق ايضا لما اقتضت العناية الالهية بعثته صلى الله عليه ليهتدوا به سبيل الحق ويخلصوا من ضلالهم القديم الى سلوك الصراط المستقيم وليستنقذهم ببركته نوره من ظلمات الجهل الى انوار اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن فجلا الله بنوره صدا قلوب الخلق وازهق باطل الشيطان بما جاء به من الحق والصدق فانطلقت الالسن بذكر الله واستنارت البصائر بمعرفة الله وكمل به دينه في اقصى بلاد العالم واتم به نعمته على كافة عباده كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب الله سبحانه لقاءه كما احب هو لقاء ربه كما قال صلى الله عليه من احب لقاء الله احب الله لقاءه وروي له ما عنده من الكرامة التامة والنعمة العامة في جوار الامين في مقعد صدق عند مليك مقتدر وبايعه عن دار الدنيا ورغب به عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه الله عنها انها اجله كريما من اوساخ الذنوب طاهرا في ولادته الجسمانية والروحانية صلى الله عليه ما برق بارق وذر شارق **فوائد** وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح والعلم قايم **الاول** لما كان هذا الشخص الذي هو النبي ليس مما يكون وجود مثله في كل وقت لان المادة التي تقبل كمال مثله انما يقع في قليل من الامزجة وجب اذن ان يشرع للناس تعليما في امورهم سننا باقية باذن الله وتوجيه وانزاله الوحي المقتدى عليه وواجب ان يكون قد دبر لبقا ما يشرعه في امور المصالح الانسانية تدبيرا والفايدة في ذلك التدبير هو بقا الخلق واستمرارهم على معرفة الصانع المعبود وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان فيه بعد انقراض القرن الذي يلي النبي ومن بعده فواجب اذن ان يأتيهم بكتاب من عند الله ويكون وافيا بالمطالب الالهية والاذكار الجاذبة الى الله سبحانه والاخطار بالبال في كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير اليه والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه والايذان لعظم اسمه ويثني على الخلق تكراره وحفظه او بعضه ودراسته وتعلمه وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده ليدوم به الذكر له سبحانه والملاء الاعلى من ملايكته ثم يشتمل عليهم افعالا واعمالا تتكرر في اوقات مخصوصة تتفاوت ويتلو بعضها بعضا مشفوعة بالفاظ تقال وينايت تنوى في الخيال ليحصل بها دوام ذكر المعبود الاول وينتفع بها في امر المعاد والاولى فايدة فيها وهذه الاعمال هي العبادات

المختص

المخصوص المفروضة على الناس وما الحق بها من الوظايف ولما بدا عليه السلام فعقب بذكر الكتاب بعده لكونه مشتملا على ذكر ما جاء به الرسول صلى الله عليه اما مطابقة او التزاما وفي سط قواعده الملة بحسب السنة النبوية وفاء لجميع المطالب الالهية فنحن نبدا بذكر شيء من وظايفه وسنن تلاوته ونؤخر الكلام في باقي العبادات الى مواضعها **البحث الثاني** في فضيلة الكتاب ما القيت فيه من وجوه **الاول** ذكره تبارك اذ انزلناه افانتم له منكرون وقوله وهذا كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة لقوم يوقنون **الثاني** قال رسول الله صلى الله عليه من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله تعالى **الثالث** قوله صلى الله عليه ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره ويلوح لك من شرف هذا الاثار ان من كان اماما في حق من تدبره وسلك المنهج المطلوب منه المشتمل عليه ووصل به الى جناب الله في جوار الملايكة المقربين ولا غاية من الشفاعة الا الوصول الى نيل الرضوان من المشفوع اليه وعلمت ان تمام رضوان الله بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه شفاعة شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين **الرابع** قال صلى الله عليه لو كان القران في اهاب لما مسته النار والمراد الى الذي وعاه وتدبره وسلك طريقه لم تمسه النار اما نار الاخرة فظاهر واما نار الدنيا فلان اولياء الله الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتيهم النظرية والعملية يبلغون حدا ينفعل العناصر عن نفوسهم فيتصرفون فيها بابدانها فلا يكون لها في ابدانهم تاثير وقد عرفت اسباب ذلك في المقدمات **الخامس** قال صلى الله عليه افضل عبادة امتي القران واهل القران هم اهل الله وخاصته والمقصود جميع ايقاعه التي سنذكرها **البحث الثالث** في وظايف اما قراءته الكتاب بالتلاوة والدراسة فيجب مع الله وظايف ولا لم ينتفع بها كما قال اصح رب تال للقران والقران يلعنه والذي ينبغي ان يوقف في ذلك ما لخصه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء فانه لا مزيد عليه وهي امور عشرة **اولها** ان يشهد الانسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وان منته وكرمه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال معاني كلامه الى اذهانهم وكيف تجلت لهم الحقايق الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى مدارج الجلال في حضرته المتعال الا بوسيلة ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره فالصوت والحرف الحاملة للحكمة وهي منسوبة اليه نفس وروح فلما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف ارواحها وكذلك شرف

بالحروف والاصوات ... الحكمة التي فيها **الثاني** التعظيم للمتكلم وينبغي ان يحضر في ذهن القاري عظمة
المتكلم ويعلم ان ما يقروه ليس من كلام البشر وان تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه
الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر
فكذلك باطن معناه بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا ان يستضيء بنوره الا اذا كان
متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير عن ظلمة الشرك وكما لا يصلح للمس جلد
المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لحمل انواره كل قلب ولاجل هذا الاجلال
كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربي فيعظم الكلام بتعظيم
المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا تخطر في القلب بدون التفكر في صفات جلاله ونعوت [illegible]
وافعاله فاذا احضر بباله الكرسي والعرش والسموات والارضين وما بينهما وعلمت ان الخالق لجميعها
والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وان الكل في قبضته والسموات مطويات بيمينه والكل
صائر اليه وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فانك تستحضر من ذلك عظمة
المتكلم ثم عظمة الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله
تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يتجرد عند قراءته بحذف
جميع الشغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر
ويستبشر به ويستانس اليه ولا يغفل عنه فان في القران ما يستانس به القلب ان كان التالي
له اهلا وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وفيه بساتين العارفين ورياض الاولياء ومنا
زل اولي الالباب **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فان الانسان قد لا يتفكر في غير
القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال تعالى
افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل القران ترتيلا لان الترتيل يمكن الانسان من تدبر الباطن
وقال صلى الله عليه وسلم لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يمكن التدبر
الا بالترديد فليردد وقال ابو ذر قام رسول الله صلى الله عليه يردد قوله تعالى ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما
يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال الانبياء والمكذبين لهم
واحوال ملائكته وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فليتامل معاني هذه
الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها دفائن الاسرار وكنوز الحقائق والى ذلك
اشار علي عليه السلام بقوله ما اسر الى رسول الله صلى الله عليه شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي

عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين و
الاخرين فليثور القران واعلم ان اعظم علوم القران تحت اسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا
بقدر افهامهم واليه الاشارة بقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا
رابيا فالماء هو العلم انزله من سماء جوده ففاضت اودية القلوب كل على حسب استعداده وامكانه
وان كان قد ادركوا اطوارا اخرى لم يقفوا عليها ولكنهم لم يعثروا على غوارها اما افعال الله تعالى
وما يشير اليه من خلق السموات والارض وغيرها فالذي ينبغي ان يفهم التالي منها هو صفات
الله تعالى وجلاله لاستلزام الفعل الفاعل ويستدل بعظمة فعله على عظمته لئلا يحظى بالاحتجاج
الى عرفان الفعل فيبقى في المقام الاول هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ويتدرج الى
المقام الثاني كل شيء هالك الا وجهه فمن عرف الحق رآه في كل شيء ومن بلغ الى حد عرفان
عن درجة الاعتبار لم يمنعه عنه فاذا تلا قوله افرايتم ما تمنون افرايتم الماء الذي تشربون افرايتم
النار التي تورون فلا ينبغي ان يقصر نظره عن النطفة والماء والنار بل ينظر المني وهو نطفة ثم في كيفية
انقسامها الى اللحم والعظم والعصب والعروق وغيرها ثم كيفية اشكال اعضائها المختلفة من
المستدير والطويل والعريض والمستقيم والمنحني والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما اودع
في كل منها القوة وهي الصنعة المتقنة التي لو اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فيتا
مل في هذه العجائب وامثالها ليترقى فيها الى عجيب قدرة الله تعالى والمبداء الذي صدرت عنه الاشياء ويلا
حظ منها الكمال الصانع في كمال صنعه واما احوال الانبياء عليهم فليفهم من سماع كيفية تكذيبهم و
ضرب بعضهم وقتله استغناء الله تعالى عنهم ولو هلكوا باجمعهم لم ينقص من ملكه ولم يؤثر في ملكوته واذا سمع
نصرتهم فليفهم ان ذلك بتاييد الله كما قال تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود وكيفية اهلاكهم فليستشعر من
سماعه استشعار الخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل
واساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا ينفع حالا وكذلك اذا سمع احوال الجنة
والنار فليحصل منهما على خوف ورجاء وليتصور انه بقدر ما يبعد عن احدهما يقرب من الاخرى وليفهم
منها ومن سائر القران استقصاء ما فيها من الاسرار الالهية غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
وقال علي عليه السلام لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم يتفهم معاني
القران في تلاوته وسماعه ولو في ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقوله
افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هي الموانع التي سنذكرها

السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب اسدلها
الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجايب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن واسراره من جملة الملكوت والحجب المانعة
اولها الاشتغال بتحقيق الحروف واخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى وقيل
ان المتولي لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراء ليصرف عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف
ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فمتى ينكشف له المعاني
واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس وثانيها ان يقلد مذهبا سمعه
او تفسيرا ظاهرا نقل اليه عن ابن عباس او مجاهد او غيرهما فيجمد على التعصب له من غير علم وبصيرة
تطمح بمرموقا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار حمل عليه شيطان التقليد جهله ولم تبرح به
مخالفة ابائه ومعلميه في تركه ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا اشارت الصوفية بقولهم العلم حجاب
وعنوا بالعلم العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعليم والتقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها
المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم الحقيقي الذي هو المشاهدة بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد
قد يكون ذا باطلا لمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره فان خطر له في القدوس المقدس عن كل ما يجوز على
خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتى ينساق الى كشف ثاني وثالث ولكن
يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره ويجعله وسوسة وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من
ان الحق الذي كلف الخلق طلبه له مراتب ودرجات وظاهر وباطن وجمود الطبع على ظاهره
يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع وقد قال صلى الله
عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وفي النهي عن ذلك آيات كثيرة قلت
الجواب عنه من وجوه الاول انه معارض بقوله صلى الله عليه ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا
وبقول علي عليه السلام الا ان يوتي الله عبدا فهما في القرآن ولم يكن سوى الترجمة المنقولة فما بال ذلك
الفهم الثاني انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وذلك
لا يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من انفسهم فينبغي ان
لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي الثالث ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير
بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
محال فكيف يكون الكل مسموعا الرابع انه عليه السلام دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك
الخامس قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه وراء

فالموضع ان الواجب ان يحمل النهي عن التفسير بالراي على احد معنيين احدهما ان يكون للانسان
في الشيء راي وله ميل بطبعه فيتاول القرآن على وفق رايه حتى لو لم يكن ذلك الميل لما خطر ذلك التاويل
له وسواء كان ذلك الراي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيستدل
عليه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله
بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع الثاني ان يتسرع الى تفسير القرآن
بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة
وما يتعلق به من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير
وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالراي مثاله قوله تعالى
وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر الى ظاهر العربية ربما يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة
ولم تكن عمياء والمعنى آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها ولا يدري انهم اذا ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله
تعالى وطور سينين اي وطور سينا وكذلك ما في اجزاء البلاغة فكل من يكتفي في التفسير بظاهر العربية
من غير استظهار بالنقل فهو مفسر برايه فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني فظاهر ان
النقل لا يكفي فيه وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم
للطلب والبحث والتفهم وملاحظة الاسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي الى درجة
منه مثل الاشارة في الظاهر ومثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلى الله عليه في سجوده اعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
انه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض
فان الرضا والسخط وصفان متضادان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال
اعوذ بك منك ثم زاد قربه مما استحيا به على بساط القرب ففزع الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي
ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح للعارفين
فمن لا يفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما هو استكمال لما تحته من الاسرار والثالث
من الموانع ان يكون متبليا من الدنيا بهوى مطاع فان ذلك سبب لظلمة القلب وكالصدا على المراة فيمنع
جلية الحق ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اكثر
تراكما على القلب كان البعد عن اسرار الله اكثر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا والآخرة
ضرتان بقدر ما تقرب من احدهما تبعد من الاخرى السابع ان يخصص نفسه بكل خطاب في القرآن
من امر او نهي او وعد او وعيد ويقدر انه هو المقصود به وكذلك ان سمع قصص الاولين والانبياء عليهم
السلام علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار ولا يعتقد ان كل خطاب خاص في القرآن

فالمراد بهذه الشخوص في القرآن وسائر الخطابات الشرعية واردة بابلغ ابين واسمعي باجاديث وهي كلها نور
وهدى ورحمة للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واذا قصد انه المقصود لم يتخذ دراسة القران عملا بل
يقراه كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القران رسائل
اتتنا من قبل ربنا معهودة نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات
بالسنن المتبعات **الثامن** التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات
فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عندما يوجه نفسه في كل حال الى الجهة التي فهمها
من خوف او حزن او رجا او غيره فيستعد بذلك وينفعل ويحصل له التاثر والخشية ومهما
قويت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على العارفين فلا
يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار لمن
تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط الاربعة وكذلك قوله والعصر ان الا
نسان لفي خسر السورة ذكر فيها اربعة شروط وحيث اوجز واقتصر ذكر شرطا واحدا
جامعا للشرائط فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ كان الاحسان جامعا
لكل الشرائط وتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد يتضاءل من خشيته كانه
وعند الوعد تستبشر فرحا بايته وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله
وعند ذكر الكفار في حق الله ما يمتنع عليه كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه حياء
من قبح مقالهم ويكبر الله ويقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها
وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه لابن مسعود اقرا علي
قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي حسبك الان وذلك لاستغراق تلك
الحالة لقلبه بالكلية وبالجملة فالقران انما يراد لتلك الاحوال واستجلابها الى القلب والعمل بها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القران ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت عليه جلودكم فاذا اختلفتم
فلستم تقرؤونه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا والا
فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم قرات على شيخ لي ثم رجعت اقرا عليه ثانيا
فانتهرني وقال جعلت القران علي عملا اذهب فاقرا على الله تعالى وانظر ماذا يامرك وماذا ينهاك
ومات رسول الله صلى الله عليه عن عشرين الفا من الصحابة لم يكن يحفظ القران منهم غير ستة
اختلف منهم اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام

من علمائهم في ذلك لاشتغالهم بتفهم معاني القران عن حفظه كما روي جاء اليه قاصدا ليعلمه القران
فانتهى الى قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا
وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه انصرف الرجل وهو فقيه فالعزيز مثل تلك الحالة التي
يمن الله تعالى بها على القلب عقيب تفهم الاية فاما التالي باللسان المعرض عن العمل فجدير بان
يكون المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى الاية وانما حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب
الاتعاظ والتاثر بالانزجار والائتمار **التاسع** الترقي واعني به ان يرقى قلبه وعقله الى ان يسمع
الكلام من الله تعالى لا من نفسه ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرا على الله
تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع
والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كانه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه
في مقام الحيا والتعظيم لمنة الله والاصغاء اليه والفهم عنه الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات
الصفات فلا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى التعلق بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يكون
الهم على المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته وهذه درجة المقربين وعنها اخبر الصا
دق جعفر بن محمد عليهما السلام فقال لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال
ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك
فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته
ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وبهذا الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله
وبمشاهدة المتكلم دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر فان من لم يره
[illegible] **العاشر** التبري والمراد به ان يتبرا من حوله وقوته
فلا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد ومدح الصالحين حذف
نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين وتشوق الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا
تلا ايات المقت وذم المقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا قيل
ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري
سبعين مرة ومن راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد
في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد مكر
به الى درجة ادنى في البعد عما هو فيه ومن شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد
الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت والمكاشفات تابعة
لاحوال

لحال الناس بحيث يتلوا آيات الرجا يغلب عليه الاستبشار وينكشف له جبروت الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلامه تعالى وارد باللطف والسهولة والشدة والعنف والرجاء والخوف وذلك بحسب اوصافه لان منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد لنوع من المكاشفة يناسب تلك الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام رضى وكلام غضب وكلام انعام وكلام انتقام وكلام جبروت وتكبر وكلام حنة وتعطف فهذه وظايف التلاوة ولنرجع الى المتن فنقول **قوله** عليه السلام وخلفت فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم بغير طريق واضح ولا علم قايم اشارة الى وضع ما يجب وضعه في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلام من العبادات والقوانين الكلية التي بها يبقى ذكر الله سبحانه محفوظا في اسم ما له لفظ العلم القايم ههنا استعارة حسنة للاثار الباقية عن الانبياء التي يهتدي بها في الاوصياء الاولياء والذين يرجع اليهم الخلق **قوله** كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله ما خلفت الانبياء ولا ينبغي ان يفهم من ما تخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد صلى الله عليه من الكتاب هو عين ما اتت به الانبياء السابقون عليهم السلام وتخصه فان ذلك محال بل المراد بنوع ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وما جاء به محمد عليه السلام تخص من الخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت في الاتيان بها جميع الانبياء عليهم السلام من التوحيد والتنزيه لله تعالى واجب الحمد والثناء وسائر القواعد الكلية التي بها يكون النظام الكلي العام كتحريم الكذب والظلم وقتل النفس وسائر القواعد الكلية وغير ذلك مما يجري مجراها فيه منزلة ماهية واحدة كلية وجدت في [illegible] من بعض الخاص [illegible] الاختلاف بينها [illegible] المواد التي تكثرت بها الصور الشخصية كذلك الكتب المنزلة على السنة الانبياء عليهم السلام منزلة الخاص اشتملت ماهية واحدة وتختلف بحسب الزيادات والعوارض على تلك الماهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها **قوله** مبينا على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل ومتوصيها النبي عليه السلام قوله حلاله وحرامه وفضايله وفرايضه اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة والاباحة وعبر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضايل عن المندوب وبالفرايض عن الواجب وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع والمنسوخ هو الحكم المرفوع وبالرخصة عن الاذن في

الفعل مع قيام السبب المحرم له لضرورة او عذر واما العزايم عما كان في الاحكام الشرعية جاريا على وفق سننه الشرعية وبالعام ههنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد كقولنا الرجال [illegible] والمشركون والخاص عام يتناول للجميع بالنسبة الى ما تحته والخاص المطلق هو ما يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه كما عرفت والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو انتقال الجسم من موضع الى اخر ولما كان الذهن ينتقل من الشيء الى غيره حسن اطلاق العبرة عليه [illegible] ما يختص اطلاق العبرة بانتقال ذهن الانسان من المصايب الواقعة بالغير او بما هو المكروه فيه الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا والتفات ذهنه الى ما وراها من امر المعاد والرجوع الى باريه فهي ذلك عبرة وكذلك من المصايب اللاحقة في تلك المذكرة له بجناب العزة والملفية له بنكرانها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه بسببها الى ان الدنيا دار الثواب وان الاخرة هي دار القرار والى ذلك اشار القران الكريم فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وان كان قد تستعمل العبرة في كل ما يفيد اعتبارا من طرف الاحسان ايضا كقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الاية وكقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلتهم ونصرة المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك انتقال الذهن من غيره الى انه الاله المطلق المستحق للعبادة المنفرد بالقدرة على ما يشاء اهل الرحمة والجود واو ضد تمام الوجود واما الامثال فظاهرة لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة المهملة وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس مفهومها من وقوع الشركة فيه [illegible] ولم يقيد بقيد يفيد العموم ولا الخصوص وهي مجملة الجمع كاسم الجموع في النكرات كقوله تعالى وعلى الاعراف رجال والمفرد المعرف بالالف واللام والمنكر كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر وقوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او البعض الا بدليل منفصل والفرق بينها وبين العام ان لكل شيء ماهية هو بها ما هو وهي مغايرة لكل ما عداها فان مفهوم الانسان مثلا ليس الا انه انسان فاما انه واحد او كثير او ليس احدهما فمفهوم اخر مغاير لماهيته اذا عرفت ذلك فنقول فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي من غير ان يكون فيه دلالة على شيء من قيودها فهو اللفظ المطلق والمهمل والدال منها على قيد العموم بحيث يفهم منه تعلقها بكل ما يتعين ان يذكرها في جميع مواردها هو اللفظ العام او في بعض مواردها وهو الخاص وان

كان العموم والخصوص بالذات للمعاني واراد بالمحدود والمقيد كقوله تعالى في الكفارة في موضع او تحرير
رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة والتفسير
[illegible] والغوامض دقائق المسائل واما اضاف هذه المعاني كلها الى الكتاب لاشتماله عليها
وكونه مبينا لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان الرسول صلى الله عليه هو المبين لها بسنته [illegible]
قوله بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله الى آخره الضماير تعود الى الاقسام
المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز وذكر منها انواعا احدها ما يجب تعلمه وغير موسع للخلق
في جهله كوحدانية الصانع وامور المعاد والعبادات الخمس وشرايطها وثانيها ما لا يتعين على
كافة الخلق العلم به بل يعذر بعضهم في الجهل به ويوسع لهم في تركه كالايات المتشابهة [illegible] واوايل
السور كهيعص وحم عسق ونحوها وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة
نسخه كقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان ياتيانها منكم
فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وكانت الثيب اذا زنت في بدو الاسلام تمسك في البيوت
الى الممات والبكر تؤذى بالكلام ونحوه مقتضى هاتين الايتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم
وفي حق البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها ما هو بعكس ذلك اى مثبت في السنة [illegible]
ما دون في الكتاب تركه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان ثابتا في السنة
ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وكثبوت صلاة الخوف في القرآن حال القتال الرافع لحكم [illegible]
تاخيرها في السنة الى انجلاء القتال وخامسها ما يجب [illegible] مستقبله [illegible]
[illegible]
[illegible] **قوله** ومباين بين محارمه [illegible]
في معنى الكلام وتقديره لطف فان المحارم لما كانت من محال الحكم [illegible] صار المعنى
وبين احكام [illegible] وقوله من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد
له غفرانه بيان لتلك الحال واشارة الى تفاوتها بالشدة والضعف وكونها مبعدة عن رحمة الله
على سبيل الجملة فالاول كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية
وكذلك ساير الكباير من الظلم والزنا وغيرها والثاني قال الفقهاء كالتطفيف بالحبة وسرقة
باقة من بقل ونحو ذلك وارصاد الغفران بان هذه [illegible] في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وساير ايات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت [illegible]

الذنوب

[illegible] الصغاير واهله بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغاير [illegible] انما
[illegible] التنصيص [illegible] الافراط والجود [illegible] بعيد [illegible] طويل بخلاف الكباير فان الاقدام
عليها في غالب الاحوال لا يقع الا عن نفس مستعدة للشر بعيدة عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق

الفصل الخامس منها **قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة
للانام يردونه ورود الانعام ويالهون اليه وله الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته
واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته
المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عند موعد مغفرته جعله سبحانه
للاسلام علما وللعايذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين **اقول**
يالهون اليه اي يشتد وجدهم وشوقهم اليه واصل [illegible] الواو [illegible]
الوجد والسماع جمع سامع كصاحب وصحاب والتبادر [illegible] والوفادة القدوم والاسترفاد
والاستماع واعلم انا لما بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه الحكمة فيها فبالحري ان نشير الى
وجه الحكمة في خصوص الحج من جملتها ونوجز تفصيل [illegible] الى مواضعه ان شاء الله فنقول
لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق بالتذكير له ودوام
اخطاره بالبال ليتجلى لهم الاسرار على طول التذكار وينتهي في ذلك من اخذت العناية بيده الى
[illegible] فمن جملة اسرار الله سبحانه المنزلة على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد [illegible]
انه الموضع لعبادة الله وانه خاص له [illegible] من هذه الاوضاع على اشارات [illegible]
[illegible] حقيقية [illegible] بزمام عقله اليها ولابد من تعيين [illegible]
في ذلك [illegible]
الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره ودعوته مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم
الاخر ولما لم يمكن في الدين الواحد ان يكون [illegible] لكل احد من الامة فالواجب اذن ان يفرض اليه
مهاجرة وسفر وان كان فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق الاموال ومفارقة الاهل
والولد والوطن والبلد ونحن نذكر فضيلته من جهة النقل ثم نشير الى ما ينبغي ان يلاحظ فيه
من الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة وركن من اركان الحج مما يجري من تلك الافعال
مجرى الارواح للابدان فاذن ههنا ابحاث **البحث الاول** في الفضيلة وهي من وجوه **الاول**
قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق قال قتادة
لما امر الله عز وجل خليله ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله [illegible]

محرو ما به تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف
هذا قال غفر لهم ورب الكعبة **الثاني** قال عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية نفع العبادات في الخلاص من الذنوب **الثالث** قال
صلى الله عليه ما رؤي الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من
نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا يكفرها الا الوقوف بعرفة اسنده
الصادق عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض منه على [illegible]
العبد التي قد صفت لسرع الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذي يجتمع فيه العالم
اشد اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم من الانفعال والخشية لله وقبول انوار [illegible]
الرابع قال صلى الله عليه حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة
الخامس قال صلى الله عليه الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر
لهم وان دعوا استجاب لهم وان شفعوا اليه شفعهم **السادس** روي عنه صلى الله عليه من طرق اهل
بيته عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل الحج روايات
اخر كثيرة تطلب من مظانها **البحث الثاني** في الآداب الدقيقة وهي عشر **الاول**
ان يكون النفقة حلالا وتخلو اليد عن تجارة تشغله سوى الله تعالى وفي الخبر من طرق اهل البيت
اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة
وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارات الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج
فكل ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه **الثاني** ان لا يساعد اعداء الله سبحانه [illegible]
[illegible] الحرام بتسليم المكوس اليهم فان في ذلك اعانة على الظلم وتسهيلا لاسبابه وجرأة على سبيل
السابلين الى الله [illegible] فان لم يقدر [illegible] من اعانة الظالمين على البدعة وجعل
سنة **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل والانفاق بالعدل دون البخل والتبذير فلان
بذل الزاد في طريق مكة انفاق في سبيل الله قال صلى الله عليه الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل
يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال قال
تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من الكلام ويدخل في ذلك [illegible]
[illegible] ان الجماع محرم فانها تهيج داعيته ومن مقدمة له فيحرم ومن لطف الشارع اقامة
مظنته التي تقام حينا مقامه والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة الموجبة
للضغاين والاحقاد وافتراق كلمة الخلق وكل ذلك ضد مقصود الشارع من الحج وشغل عن ذكر
الخامس ان يحج ماشيا مع نشاط القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل وادخل للنفس في الادب

لعبوديته

[illegible] الى الله وقربانه [illegible] بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤونة الانفاق ولانه ابعد من الملال [illegible] الاذى
[illegible] واقرب الى السلامة واداء الحج وهذا في التحقيق غير مخالف لما ذكرناه والحق التفصيل [illegible]
[illegible] سهل عليه المشي فهو افضل وان ضعف او ادى الى سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب افضل لان
المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم الشغلات عنه **السادس** ان يكون رث الهيئة دون المحمل
[illegible] على ذوي المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير اللهم الا لعذر حج رسول الله صلى الله عليه
[illegible] راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس
الى هيئته وشمائله وقال خذوا عني مناسككم **السابع** ان يخرج رث الهيئة اقرب الى الشعث
غير مستكثر من الزينة واسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب المساكين [illegible] الصالحين
[illegible] عنه صلى الله عليه وآله انه قال انما الحاج الشعث التفث يقول الله تعالى للملائكة انظروا
الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ليقضوا تفثهم والتفث [illegible]
[illegible] ووسخه [illegible] **الثامن** ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا تطيق [illegible]
كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة من قعود قال صلى الله عليه لا تتخذوا ظهورها كراسي
[illegible] ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة [illegible]
[illegible] الرحمة والتخلي عن الفسق والظلم ولانه يخرج بالعسف عن قانون العدل ومراعاة [illegible]
[illegible] كما الحق الانسان لحقت سائر الحيوان **التاسع** ان يتقرب باراقة دم ويجتهد ان
يكون [illegible] روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه
[illegible] ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان المقصود [illegible]
تكثير اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى
[illegible]
[illegible] الى الله عز وجل من اهراقة دما وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع
من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفوسا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما
انفقه من هدي وغيره وبما اصابه من خسران ونقيصة مال ان اصابه ذلك فان ذلك يكون
[illegible] الى الله سبحانه عن كل ما انفقه معوضا عنه ما عند الله وذلك علامة لقبول حجه
البحث الثالث في الوظايف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج
فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة عنه ثم تهيئة اسباب
الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام
الافعال المشهورة وفي كل حالة من هذه الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق

وما [illegible] الا وقد الى اسجاد انتهت عليه [illegible]
[illegible] ووصول الى [illegible] سبحانه وتعالى الا [illegible]
[illegible] البيت [illegible] والتجرد [illegible] جميع الحياة [illegible]
[illegible] الذي [illegible] الحلق [illegible] الجبال [illegible]
[illegible] واعرضوا عن جميعها سواه [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] فما [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] نبيه محمد صلى الله عليه [illegible]
[illegible] عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا به الجهاد [illegible]
[illegible] عن السايحين فقال هم الصايمون [illegible]
[illegible] العتيق باضافته الى نفسه ونصبه [illegible]
[illegible] شانه وجعل عرفات [illegible] على بابه [illegible]
[illegible] على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار [illegible]
[illegible] مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة [illegible]
[illegible] ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم [illegible]
[illegible] يهتدي الى معانيها العقول [illegible]
[illegible] ومثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق [illegible]
[illegible] في وجه معلوم والعقل [illegible]
[illegible] من الشواغل والولوع والتخبر [illegible]
[illegible]
[illegible] الى اسرارها فلا يكون [illegible]
[illegible] هو واجب الاتباع فقط [illegible]
[illegible] ما ادرك العقل [illegible] الطبع [illegible]
[illegible] سبب للاجر [illegible] الرق [illegible]
[illegible] قال صلى الله عليه في الحج [illegible]
الصلاة [illegible] ربط نجاة الخلق بكون [illegible]
[illegible] بدان [illegible] دون [illegible] الائمة [illegible]
[illegible] انواع التعبد [illegible] تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى [illegible]

مقتضى الاستنزاف ولهذا كان المقصود تعجب النفوس من الافعال العجيبة فهو الذهول عن اسرار
العبادات واما الشوق فمنشاؤه الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقد
من قاصد الله تعالى ومن قصد حضرة الله تعالى بالمثال المحسوس فجدير ان يشتاق منه بحسب شوقه
الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التي هي السماء وقد بني هذا البيت على قصدها فيشاهد وجه ربه
الاعلى بحكم وعد الكريم واما العزم فليستحضر في ذهنه انه بعزمه مفارق للاهل والولد هاجر للشهوات
واللذات متوجها الى زيارة بيته وليعظم قدر البيت بقدر رب البيت وليخلص عزمه
ويبعده عن شوائب الرياء والسمعة فان ذلك شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده
الا الخالص وان من اقبح القبائح ان يقصد بيت الملك وحرمه والمطلع دون الملك على خائنة
الاعين وما تخفي الصدور فيكون قصده غيره فانه ذلك استبدال للذي هو ادنى بالذي هو خير اما
قطع العلائق فحذف جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله والتوبة الخالصة له عن الظلم
وانواع المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة خصم حاضر متعلق به ينادي عليه ويقول اتقصد
بيت ملك الملوك وهو مطلع على تضييعك امره في منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت الى
نواهيه وزواجره ولا تستحيي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فتغلق دونك ابواب رحمته فان
كنت في مبادي تقبله فان كنت راغبا في قبول زيارتك فابرد اليه من جميع معاصيك واقطع
علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك ليتوجه اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته
بوجه ظاهرك وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان كل هذه
امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فليطلبه من موضع حلال فاذا احس من نفسه
بالحرص على استكثاره وطلبه وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد
فليذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زادا ولا يبقى
معه الا ربما تنوع في هذا المنزل وليحذر ان يفسد اعماله التي هي زاده الى الآخرة بشوائب الرياء وكدورات
التقصير فيدخل في قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابته تسخير الحيوان له وحمله
عنه الاذى وليتذكر منة الله تعالى ولطفه وعنايته ورأفته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم فيشكر الله سبحانه على جزيل هذه النعمة في
عظيم هذه المنة وليستحضر بقلبه من ركوبه الى منازل الآخرة الذي لا شك فيه ولعله اقرب من
ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى مراتب النجاة من
الشقاوة الاخروية وهي عذاب الله سبحانه واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر

معه الكفن ودرجه فيه ولعله اقرب اليه وليتذكر [illegible]

الايها فيجتهد في تحصيلها بقدر امكانه واما الخروج من البلد فليتحضر عنده انه يفارق الاهل

والولد متوجها الى الله سبحانه في سفر غير اسفار الدنيا فليتحضر ايضا عند ذلك وانه متوجه الى

ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا وقطعوا

العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضاه وطمعا في النظر الى وجهه الكريم

وليحضر في قلبه ايضا رجاء الوصول الى الملك والقبول له بمنه وفضله وليحقق انه ان مات دون

الوصول الى البيت لقي الله وافدا عليه لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه

الموت فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق عقبات

طريق الاخرة ومن السباع والحيات حشرات القبر ومن وحشة البوادي وحشة القبر و

انفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة الى الله سبحانه ومذكرة له امر معاده واما الاحرام و

التلبية من الميقات فليتحضر انه اجابة نداء الله تعالى وليكن في قبول اجابته بين خوف ورجاء

مفوضا امره الى الله متوكلا على فضله قال سفين بن عيينة حج زين العابدين علي بن

الحسين عليهما السلام فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع

ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه و

سقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك الله الى هذه النفس

الطاهرة حيث بلغ الاستعداد لافاضة انوار [illegible] الفوائد الالهيه والنفحات الربانية [illegible]

فيغيب عن كل شي يرى جلال الله وعظمته وليتذكر عند اجابته نداء الله سبحانه اجابة نداءه بالنفخ

في الصور وحشر الخلق من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لندائه منقسمين

الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد

الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا اما دخول مكة فليتحضر عنده

انه قد انتهى الى حرم الله وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل

القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي

وذمام اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين وليتحضر ان هذا الحرم مثال

للحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول هذا الحرم والامن بدخوله من العقاب الى الشوق

الى دخول ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره على البيت فليتحضر عظمته في

وليترق في تفكره الى مشاهدة حضرة رب العالمين البيت في جوار الملائكة المقربين

ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى بيته العظيم وليكثر من الذكر والشكر

على

الذي بلغه الله اليه وحصل له بالحقيقة الاعتقاد عنه تذكر احوال الاخرة في كل ما يراه فان كل احوال

الحج ومنازله دليل يترقى منه الى مثل هذه احوال الاخرة واما الطواف بالبيت فليتحضر

في قلبه التعظيم والخوف والخشيه والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين

حول العرش الطائفين حوله ولا يظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك

بذكر رب البيت حتى لا يبتدي بالذكر الا منه ولا يختم الا به كما ابتدا بالبيت ويختم به

واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر

في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان للانسان الظاهر مثال ظاهر في عالم الشهادة

للباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة

ومدرج الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له باب الرحمة واخذت العناية الالهية بيده لسلوك

الصراط المستقيم والى هذه الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء

الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن

مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو

منهم ثم كثيرا ما يردا ذلك التشبيه الى ان يصير في قوة المشبه والذي يبلغ تلك المرتبة

فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اوليا

الله واما الاستلام فليتحضر عنده انه مبايع لله على طاعته فصمم عزيمته على الوفا ببيعته

فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك

قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح

الرجل اخاه ولما قبله عمر قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله

صلى الله عليه وآله يقبلك لما قبلتك فقال له علي عليه السلام مه يا عمر بل يضر وينفع فان الله

سبحانه لما اخذ الميثاق على بني آدم حيث يقول واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم

واشهدهم على انفسهم الايه القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء امانتهم وذلك معنى قول

الانسان عند الاستلام امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة واما

التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليتحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا

الى لقائه وتبركا بالمماسة ورجا للتحصن من النار في كل جزء من البدن وليكن النية في التعلق

مبالغة في الستر والالحاح في طلب الرحمة وتوجيه الذهن الى الواحد الحق وسوال الامان من عذابه كالمذنب

المتعلق باذيال من عصاه المتضرع اليه في عفوه عنه المعترف له بانه لا ملجا له منه الا اليه

ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الطاعة في المستقبل واما

٨٢

السعي بين الصفا والمروة في تنا البيت مثاله لتردد المحتاج [illegible] ما مرة بعد
اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجا الملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج ولم يدر
ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء ان يرحمه في الثانية ان لم يكن رحمه
في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيامة
فيمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ملاحظا
للرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى
من ازدحام الناس وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات
على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة كل امة
تتبع نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم
قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشره في زمرة الفائزين المرحومين وليكن رجاؤه اغلب فان الموقف
شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض
ولا يخلو الموقف عن طايفة من الابدال والاوتاد وطوايف من الصالحين وارباب القلوب فاذا
اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم واشتدت اليه اعناقهم يرمقون
بابصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان
اجتماع الامم بعرفات والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو السر
الاعظم من الحج ومقاصده فلا طريق الى استنزال رحمة الله واستدرارها اعظم من اجتماع الهمم
وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد
واظهارا للرق والعبودية ثم ليقصد به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في
ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا
لامله فان خطر له ان الشيطان عرض لابرهيم ولم يعرض له فليعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي
القاه على قلبه ليخيل اليه انه لا فائدة في الرمي وانه يشبه اللعب وليطرده عن نفسه بالجد والتشمير
في الرمي فيرغم انف الشيطان فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى فهو في الحقيقة رمي
لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما له بمجرد الامر وفي ذبح
الهدي فليعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال فليكمل الهدي واجزاءه وليرج ان يعتق بكل جزء
جزءا منه من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واوفر كان الفداء به من النار
اتم واعم وينوي به التقرب الى الملك بالذبح لوا تمام الضيافة والقرى والمعاونة منه ذلك للمعبود الاول
سبحانه عند اليه في الذبح واعتقاده انه متقرب به وبما جرى به الا انه يقصد في الاشارة الى اشتراط الحج

له الى طلبه اذ لم يقبل صحته لقوله تعالى فرجع الى البيت **فقوله** عليه السلام وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة
الى وجوب الحج على الخلق وهو معلوم بالضرورة من الدين فوصفه بالحرام اما بمعنى المحرم كما قال
عند بيتك المحرم لان الاشياء كانت تحرم فيه ما تستحل في غيره كالدماء والقتال وغيرها فعيل بمعنى المفعول
بمعنى المحرم ومعنى المحرم عظيم الحرمة واما بمعنى الحرام كزمان وزمن وقد قاله **قوله** الذي
جعله قبلة للانام يستدعي قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضيها وفي قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره **وقوله** يردونه ورود الانعام مبالغة في تشبيههم ورودهم الى
البيت بورود الانعام ووجه المشابهة يحتمل امرين احدهما ان ورودهم له تشبيه ورود الانعام الماء عند
العطش [illegible] الا حجام عليه والمحبة له والشوق اليه والثاني ما يشتبه من عدم اطلاع الخلق على
اسرار الحج وما هم يستحل عليه المناسك من الحكمة الالهية ولما كان العقل الذي به يمتاز الانسان عن
الانعام وهو يسلبه [illegible] معزولا عن ادراك هذه الاسرار كان لا يكون بين الانسان وبين مولوهم
فرق في الورود الا بالبيت وسائر المناسك **وقوله** ويالهون اليه ولوه الحمام اشارة الى شوق الخلق
[illegible] الى الوصول الى البيت كما يشتاق اليه الحمام الذي يسكنه وقد راعى عليه السلام في صفة القرين الاسجاع
الحج **وقوله** جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته اشارة الى ما ذكرناه من ان العقل لما لم يكن
لهم يهتدي الى اسرار هذه الاعمال لم يكن الباعث عليها الا الا بمجرد وقصد امتثاله حيث هو واجب
الانقياد المطيعين كان ادل في الرق وخلوص الانقياد لمن فعل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو
الخاص الذي ظهرت عليه علامة المخلصين والمذعنين المتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق
سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يكن ان يقال ان تلك العلامة مما يستفيد بها علما باحوال عباده
في حال طاعتهم ومعصيتهم فاذن يتعين ان يكون معناها راجعا الى ما يتميز النفوس الكاملة التي لها انقياد
للا رجاء وخالفت القيادة ما عدا ان هذه العبادة من اشرف ما ات تعبدت ما نقص
العقل به وانه بما كلا يتيسر به عن ابنا نوعها في اذن علامه بما يتميز من التمرد عليه
وقوله اختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة الى الحاج في قوله تعالى واذن في الناس بالحج
ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وفي الاثار ان ابرهيم عليه السلام لما فرغ من بناء
البيت جاءه جبرئيل عليه السلام فامره ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابرهيم يا رب وما يبلغ صوتي
قال اذن وعلي البلاغ فعلا ابرهيم المقام واشرف به حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه
يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم
فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك وفي الاثر اشارات لطيفة فانه
[illegible] ان يراد بقول ابرهيم وما يبلغ صوتي الاشارة الى حكم الوهم الانساني باستبعاد عموم

عموم هذه الدعوة وانقياد الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبنوت الحق سبحانه وتعالى البلاغ الاشع
الى ابتعا الله سبحانه له بما اوحى اليه من العلم ببسط دعوته وابلاغها الى من علم ببلوغها اليه وبلوا ابرهيم المقام
حتى صار كاطول الجبال وابانه بوجه بيتا وتماثلا وسرنا وعزنا ودعوته اشارته الى اجابها دوو
في التبليغ للدعوة وجذب الخلق لكن الى العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باوليا الله البيا
تبين له واما اجابته من كانوا من اصلاب الرجال وارحام النساء فاشارة الى ما كتبه الله سبحانه بقلم قضائه
في اللوح المحفوظ من طاعة الخلق واجابتهم لهذه الدعوة على لسان ابرهيم عليه السلام ومن بعده من الانبيا والم
المراد بالاتباع الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته الى بيته محجهم اليه دونه ما اشغلهم
لذلك قدما بعد فقدونه وانته بعدا في **وقوله** وصدقوا كلمة اشارة الى مطابقته او مخالفته لما جاءت به
الانبيا من كلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم **وقوله** ووقفوا مواقف انبيائه اشارة
الى متابعتهم لهم اليها في مواقف الحج وفي ذكر الانبيا ههنا استدراج حسن لطباع المطيع
المشوقة الى اقتفاء اثر والتشبه بالانبياء عليهم السلام وملائكته **وقوله** وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه
اشارة الى ما ذكرناه من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السما وان طواف الخلق بهذا البيت يشبه
طواف الملائكة واحدا فهم بالبيت المعمور والعرش فهم متشبهون بالملائكة في الطواف والغاية ان
يترقى من اخذت العناية بيده من هذا الطواف الى ان يصير من الطائفين بالعرش والبيت المعمور
وقوله يحرزون الارباح في متجر عبادته ويبادرون عنده موعد مغفرته استعار عليه السلام لفظ التجر
ورأس المال ملاحظة لمشابهة العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس ورأس المال هو
العبادة ووجوه تصرفاته حركاته الحسية والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعية والعقلية والارباح
هي ثواب الله وما اعده للمحسنين في جنات النعيم واقبح بمملوك بعد تصرفه في خدمة سيده متجرا
متجرا يطلب به التكسب والربح واحسن به اذا انظر الى انه اهل للعبادة فحذف جميع الاعراض
والخواطر في خدمته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة له لانه هو فاما كلامه عليه السلام بذكر الربح
ههنا استدراج حسن لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون اليه من حب الارباح في الحركات
لتشتاقوا فيعبدوا **وقوله** وجعله للاسلام علما اي علما للطريق الى الله وسلوك طرائق المستقيم
وهي الاسلام الحقيقي يهتدي به عليها كما يهتدي بالعلم المرفوع للعسكر والمارة على بقائه صلاح **وقوله**
فرض عليكم حجه واوجب عليكم وفادته تاكيد لما سبق ولان الخطاب الموجب للحج وهو قوله ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
بعد انصرافه من صفين احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته
واستعينه فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر الى من كفاه فانه ارجح ما وزن

وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها
ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة
الشيطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور
والنور الساطع والضياء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا
بالآيات وتخويفا للمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين و
اختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه
وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا
مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها فهم فيها
تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بارض
عالمها ملجم وجاهلها مكرم **اقول** الاستسلام الانقياد ومال فلان يميل واهاويل جمع
تهويل اذا اتى منه ما يهول فتجانبه المرتبة العليا والفاتحة العقود لافعل لها وتناسب كل شيء خالصه والذخيرة
الخبيئة والاهاويل الامور المخوفة التي تعظم اعتبار النفس لها وعزيمة الايمان عقد القلب عليه و
المدحرة محل الدحر وهو الطرد والاثارة والمأثور المقدم على غيره والماثور ايضا المنقول والمثلات
جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة والفتن جمع فتنة وهي كل امر صرف عن قصد الله
والشغل عنه من بلاء ومحنة وسوى متبع والجذم القطع والزعزعة الاهتزاز والاضطراب والسواري
والنجر الطبع والاصل والمعالم الاثار لانها يعلم الشيء ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح
الشين والراء وهي معظم الطريق ووسطها والخف للبعير والظلف للمواشي واستعار الاخفاف
والسنابك اطراف مقدم الحوافر الواحد سنبك والسهود مصدر كالجحود يرادف للسهر والارق
واعلم ان المراد بالحمد ههنا الشكر واستتماما وما بعده من المنصوبات منصوبات على المفعول له وقد
جعل عليه السلام للحمد ههنا غايتين الاولى منهما الاستتمام لنعمة الله وذلك لان العبد يستعد بمزيد الشكر
لمزيد النعمة وهو في ذلك ناظر الى قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم لما يشتمل عليه الآية من البعث على زيادة
المزيد والثانية الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور وهو الله سبحانه
وهي مستلزمة للانقياد لعزته والخضوع لعظمته وهو في ذلك ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد لما يشتمل عليه الآية من التخويف المانع من مقابلة نعم الله تعالى بالكفر ثم لما كان الاستتمام
لتمام النعم والاستسلام لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله تعالى سبحانه انما يتم بعد ان تكون العناية الالهية
لخدمة العبد وجاذبة له عن ورطات المعاصي مبعدة له عن اسباب التورط فيها بكفايته
وملحقة الاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط والتفريط جعل عليه السلام للحمد غاية اخرى

انه امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني
عذاب الآخرة فالسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله عليه السلام من اخرج
لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسان
قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الآخرة في
غمد الرحمة واحدة بواحدة جزاء ولا ظلم اليوم **قوله** شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا امتصاصها
مصدر وصف بوصفين جريا على غير من هما له والممتحن المختبر اراد انه مختبر بنفسه في اخلاص
هذه الشهادة واجدها عرية عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها
حلية التوحيد وخالصة مبرأة عن شوائب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص
الحقيقي **قوله** نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان ومدحرة الشيطان اشار
الى انه يجب التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعظائم الامور والاستعداد بها لاهوال الآخرة وشدائدها
وعقبها بذكر علة التمسك بها والادخار لها وذكر اربعة اوصاف توجب ذلك **اولها** انها
عقيدة الايمان وعزيمته المطلوبة لله من خلقه وكل ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين
وفروعه فهي حقوق لها وتوابع وتتمات ومبنيات على الوقوف على سرها والوصول الى اخلاصها
وثانيها انها فاتحة الاحسان فانها اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك في طريق
اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه شيئا فشيئا وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرهم الاصلية
وعلى السنة رسله عليهم السلام فهي ايضا غايتهم التي ينتهون بالاخلاص فيها واستصحاب مقاصدها
الى السعادة الباقية **وثالثها** انها مرضاة الرحمن وذلك ظاهر اذ هي محل رضوان الله والسبب المستنزل
لتمام رحمته وتزيد نعمته على محل تنورها ورفع السخط عنه كما امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله **ورابعها** انها مدحرة الشيطان وذلك ايضا ظاهر فان غاية دعوة الشيطان هو الشرك الظاهر
او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت في مقابلة دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لما
ظهر ما يدعو اليه ولما كان الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة فبقدر كل مرتبة
من السلوك في اخلاصها يسقط في مقابله مرتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان في تلك المرتبة الى
ان يتم الاخلاص بقدر الامكان وقد انهدمت قواعد الشيطان بكليتها وصار العبد مطرودا عن قبول
ما يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب **قوله**
واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار واطمأن بها قلبه حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة

هي الوسيلة الى الغايتين المذكورتين وهي الاعتصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك بذكر
بطلب المعونة منه على طلب الاستعداد لما سأل وشكر لاجله وجعل تلك الاستعانة علة جامعة وهي
الفاقة نحو غاية هي كفاية دواعي التفريط والافراط بالجنبة الالهية ولا شك ان الغايتين المذ
كورتين لا تتم بدون عصمته والمعونة بكفايته وذلك قوله واستعصمه من معصيته واستعينه فاقة
الى كفايته **وقوله** انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه تعليل لطلبه المعونة على
تحصيل الكفاية فانه لما كان حصول الكفاية مانعا من دواعي طرفي التفريط والافراط كان العبد مستقيم
الخطوات على سواء الصراط وذلك هدى الله يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان
يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك الابدي فانه لا يضل من هداه ولا ينجو
من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة به وقد اطلق عليه السلام ههنا لفظ المعاداة لله كما اطلقها
القرآن الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن يلبس بها من عباده مجازا
قوله فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن
والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فبالحري ان يكون المقصود رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ
لا يوازنه عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق هناك سواه فيقال
فيها ارجح ويكون المراد بالخزن خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس القدسية وقيل الضمير يرجع الى ما
دل عليه قوله احمده من الحمد على طريقة قولهم من كذب كان شرا له **قوله** واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة
اشرف كلمة وجدها الخالق عز اسمه وقد اشار في الخطبة الاولى الى ما تضمنته تركيبها من حسن الوضع
المودي للمقصود التام منها وبالجملة فهي منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون ان ثم
شيئا مقدرا يكون خبرا للا قالوا وتقديره لا اله لنا الا الله او لا اله موجود الا الله واعلم ان اهل التحقيق
بقدر ههنا فهو مخرج لهذه الكلمة عما يفيده اطلاقها ويفيد تخصيصا لم يكن وهو مما يجده الانسان
من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون خبرها هو قولنا الا الله وحينئذ لا حاجة الى تقدير امر زائد وقد ورد
لهذه الكلمة فضائل **الاول** قوله صلى الله عليه افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله **الثانية**
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند
النشر وكاني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن **الثالثة** روي ان المامون لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز بنيسابور
وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا عليه السلام فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا انشدك بحق قرابتك
من رسول الله ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه عن جبرئيل
عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن عذابي **الرابعة** قال صلى الله عليه ...

التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك
مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار ارسال الرسل ووضع الشرايع لتعريف
كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطرق
الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص لاهليته له انسب لها فلاجل ذلك قرنت بها **قوله** ارسله بالدين
المشهور الى قوله ولامر الصادع اشارة الى تعظيم الرسول صلى الله عليه بما جاء به واشار بالدين المشهور
الى دينه المشتمل على تعريف كيفية سلوك الصراط المستقيم وبالعلم المأثور الى اعتبار كون ذلك الدين
هاديا قايدا للخلق يهتدون به الى حضرة القدس التي هي مقصد جميع الشرايع اذ ذلك مطلوب من العلم
وكونه مأثورا اشارة اما الى كونه مقدما على ساير الاديان كما تقدم العلم ويهتدي به قوم بعد قوم او الى نقله
من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى القران المسطورة حقايقه في الواح النفوس وبالنور الساطع
والضياء اللامع الى السر الذي جاء به الرسول عليه السلام تحت هذه الطريقة وامر بقصده منها ثم هو
نور تشرق منه اي النفوس الصافية من صدأ الشبهات وكدورات الشكوك وبخصوصية الامر
ووصفه بكونه صادعا الى اعتبار فصله ما وامر الله وردعه لمن لم يسلك الطريق المامور بسلوكها
عن رغبته واحاد وحتى شق بالامر الالهي وجهه باطله وصدع ما كان ملتبسا من ستر رب حجابه كما قال
تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين **قوله** ازاحة للشبهات الى قوله وتحويفا بالمثلات
اشار الى الوجوه القريبة لمقاصد البعثة وذكر عليه السلام منها اربعة مقاصد **اولها** ازاحة الشبهات
ومواهمها فان خذف شرا على الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد الشارع
الثاني سبب تلك الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات الواصل الى افهم
اذ هم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن **الثالث** التحذير بالآيات المنذرة المحذوفة من الله
الرابع التحويف بالعقوبات الواقعة باهل الجنايات كما قال اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي الالباب النهى وهذا الانذار مويد للحجج والخطابات
الشرعية في حق من لم يرزق صفاء ذهن يوثر فيه مجرد الحجة فيحتاج الى التحذير والانذار **قوله**
والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله بشر دار **اقول** يحتمل ان يكون الواو في قوله
والناس للابتداء ويكون ذلك شروعا منه عليه السلام في ذم احوال اهل زمانه وما هم فيه من البلاء والمحنة
والمخاوف والحروب بسبب تشتت اهوائهم واختلاف ارائهم وغرضه عليه السلام تنبيه للناس
معيب على ما عساهم غافلين عنه مما هم فيه من الفتن المشتملة على المذام التي عددها ليتنبهوا من
رقدة الغفلة ويشمروا في سلوك سبيل الحق عن ساق الجد والاجتهاد وذكر من المذام التي حمل
الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن امورا يرجع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم الشريعة

وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى انحراف الخلق عن
سواء السبيل وعدم تمسكهم باوامره استعار لفظ الحبل لوضع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل منهن وهي
التنزيل الالهي واعتصموا بحبل الله جميعا استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها لزومه والتمسك
به وكذلك استعمال لفظ السواري اما لقواعد الدين واركانه المامور بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى
مطالبه عليه السلام في ذلك الوقت من الناس ويكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها واستقرار الناس
عليها كما اراد اما باهل الدين الذي به يقوم ورجاله العاملون به الدين لم تأخذهم في الله لومة لائم وتزعزعها
موتهم او قتلهم او خوفهم من الاعداء المارقين وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة فيها ظاهرة
واشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر الناس عليها
وورود الشريعة بلزومها فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه واختلفت بعده بسلوك
كل فرقة مذهبا غير الاخر على ان النجر هو الحسب ايضا والحسب هو الدين فيحتمل ان يريد واختلف
الدين واشار بتشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين وبقوله ضاق المخرج وعمي المصدر الى ان الخلق
بعد تورطهم في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدورهم
منها والعمى صفة هو المشار اليه بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وهو استعارة حسنة اذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا
يهتدي للمقاصد المحسوسة بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلال
بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده واشار بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصدرهم
من ضلالهم اذ كان هو ساقطا بينهم غير موجود والواو لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار
بشمول العمى الى اشتراكهم في عدم رؤيتهم لسبيل الحق الذي به يخرجون من شبهات الباطل وظلمته
ثم اشار وتعصيانهم للرحمن ونصرتهم للشيطان الى ان ما هم فيه جور عن الحق ونصرة للباطل الذي
هو مامور الشيطان فبما يجري ان يكون نصرة للشيطان وعصيانا للرحمن ومن نصر الشيطان بالا
عن الباطل فقد خذل الايمان بتركه تشييد قواعده والذب عنه بترك الايمان وخذلانه لا يبقى له
دعامة تقوم بها ويحمله ولا اشار بالدعايم والمعالم الى دعاة الحق وحملة الايمان وبانهيارها الى
عدمهم او عدم قبول قولهم وبتنكر المعالم الى عدم معرفتهم في الخلق لقلتهم ويحتمل ان يراد بالدعايم القواعد
التي للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم القيام بها وبتنكر المعالم الى المحايه من القلوب
التي هي معالم الدين ومحاله وبدروس سبله وعفت شركه الى انه لم يبق له اثر يعرف به وكل ذلك
مبالغة في وصف الدين ومسالك الشيطان وتساهلهم ما يجرهم اليه من مناهج امكانه فيتبعونه
بجهلهم اعلام الشيطان ولوائه وانما القادة اليه والدعاة الى باطله وصارت غاياتهم او صور الباطل

التي تصورت في اذهان الخلق المقتدى بهم فانقادوا لها واتبعوها فهي كالاعلام والالوية في الحروب وغيرها **قوله** في متن واستهم باخفافها ووطيتهم باظلافها وقامت على سنابكها يحتمل ان يكون في متن متعلق بقوله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمقدر يكون خبرا ثانيا لقوله والناس وهذه الفتن هي التي اشار اليها اولا وانما اوردها ثانيا بزيادة اوصاف فبالغ عليه السلام في تشبيهها بانواع الحيوان فاستعار لها اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطيا وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هناك اضمار اي داستهم باخفاف ابلها ووطيتهم باظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وحينئذ يكون التجوز في نسبة الوطي والدوس والقيام اليها فقط ومثواها ان في الاسناد **قوله** فهم فيها تائهون الفا للتعقيب واشار بتيههم الى ضلالهم عن القصد في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم ثباتهم اعلى مع علمهم بجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد بعضهم الباطل عن شبهة بحكم الجاهلين في اعتقاد آخرين لعن شبهة دم عثمان وامثال ذلك مما هو جهل مركب وبكونهم مفتونين الى فتنة غيرهم لهم واضلالهم عن الحق وهو الشيطان واتباعه **قوله** في خير دار وشر جيران هذا الظرف يجوز ان يكون كالذي قبله في كونه حالا او خبرا ان يكون يتعلق بقوله تائهون او ما بعده من الافعال وقد اختلف الشارحون لكلامه عليه السلام في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة واهلها القاسطون وقال معنى قوله نومهم سهود وكحلهم دموع اي انهم لا ينامون اهتماما بامورهم واعدادا انفسهم للقتال ويكون قتلام وقوله بارض عالمها ملجم يريد نفسه واهله لخشيتهم القتال والناصرون للحق وجاهلها مكرم يريد معاوية وقال آخرون اراد بخير دار العراق وشر جيران يعني اصحابه المستصرخ بهم للجهاد واما انوا شر جيران اي شر متجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير الناس من الناصرين في الله وقوله نومهم سهود اي خوفا من الحرب وحين الزيد وكحلهم دموع اي يبكون قتلاهم ايضا وقيل انما قال لان من نم نفاقه ملك عينيه وقال آخرون الدنيا دار الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها اشرار جهال وليس المقصود بكونها خير دار تفضيلها على غيرها ليلزم انها افضل من الآخرة بل اثبات فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما يرد لاثبات الافضلية كذلك يرد لاثبات الفضيلة والدنيا دار فاضلة لمن قام فيها باوامر الله وراعى ما خلق لاجله وهي مزرعة الآخرة كما ورد به الحديث وكون اهلها شر جيران فان اشرارها ومن كان سبب ان شر جيران لمن التجا اليهم وجاورهم للانتصار بهم على اعداء الدين وذلك لعدم نصرتهم له والقيام معه وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس في اصحابه واهل بيته ومن تابعه وبنوا امر الحرب ودخل فيها وقد بالغ عليه السلام في وصفهم بقلة النوم لخوف الحرب وهجوم

بعضهم

بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال وحيرتهم في تيه الباطل حتى الحق فقلة نومهم بالسهد لا يتنزل اسم عدم النوم فاستعار له لفظه وهو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل وصيره هو هو ووجه المشابهة ان الدموع لكثرتهم وملازمتها اجفانهم اشبه في ذلك الامر الكلي المعتاد لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له **وقوله** بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم الجار والمجرور حكمه حكم الظرف الذي قبله لانه يتعلق به ثم انه ان جعلنا خير دار هي الدنيا كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكانه قال والناس في خير دار هي الدنيا وهم منها بارض من صفاتها ان عالمها ملجم بلجام الذل من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم منهم وغلبة الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل ويكون المراد بتلك الارض اما الشام او العراق بلد حملنا خير دار على الشام او العراق كان قوله بارض من جانبها كذا يجري مجرى البيان لها ويكون الذم اللاحق من هذا اللاحق الكلام راجعا الى اهل تلك الارض لتعلق الجام العالم واكرام الجاهل بهم وانما نسب ذلك اليها لكونهم بها ادلو ورد دنيا الذم الى الارض لنا في ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل ان يكون الواو في قوله والناس واو الحال والعامل ارسل والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة وخير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا وهم من كان حينئذ عالما بصدق الرسول وحق بعثته فهو ملجم بلجام والجاهل المكرم مؤمن كونه وهذا الاحتمال حسن واعلم ان الذي يتبادر الى الذهن ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملفقة ليست على نظامها التي خرجت عليه فان كان كذلك فربما تلوح لها لو استطعت بتمامها حينئذ توضح ما اورده الناس واختلفوا فيه منها والله اعلم **منها** ويعني الى النبي صلى الله عليه وآله انه محل سره وملجا امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرايصه **اقول** اللجا والملجا والموئل المرجع من ال يؤل الى كذا اذا رجع الانحناء الميل الاعوجاج والفرايص جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد ورد في هذه الاربع بالجمع المتوالي والضماير المفردة هاهنا ذاهبة الى الله تعالى والضمير في ظهره وفرايصه فانها للرسول صلى الله عليه كما سبق ذكر الله ورسوله وقيل الكل للرسول صلى الله عليه واشار بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم عليهم السلام لاسرار الله وحكمته اذ الموضع الحقيقي للشيء ما قبله واستعد له وبكونهم ملجا امره الى انهم الناصرون له والقايمون باوامره والذابون عن الدين فاليهم يلتجي وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ يقال العرب فلان عيبة العلم اذا كان موضع اسراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة ظاهر اذ العيبة لما كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس وكانت

او بها نهم الظاهرة حافظة للعلم عن عدمه وصيانته عن تدنسه باذهان غير اهله لاجرم حسنت استعارة
لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم مؤيل حكمه الي كونهم مرجعا لحكمة اذا ضلت عن اذهان غيرهم فمنهم
تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم كنوف كتبه الله انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها وعندهم علمها
وتاويلها والكتب اشارة الى القران وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عليه السلام في موضع آخر لو كسرت
لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل
الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من اية انزلت في بر او بحر او سهل او جبل او سما
او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف قريبة
من استعارة العيبة وبكونهم جبال دينه اي ان دين الله سبحانه به يعتصم عن وصمات الشياطين
وتبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخايف بالجبل ممن يوديه وهي استعارة لطيفه وقوله بهم اقام انحنا
ظهره اشارة الى ان الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشدون ازره ويقومون ظهره ويويدون امره وانحنا
الظهر كناية عن ضعفه في بدو الاسلام فبالجري ان تكون اقامتهم له بحفاظهم تقويتهم لذلك الضعف
بالنصر للدين والذب عنه وقوله واذهب ارتعاد فرايصه اي ان الله ازال عنه بمعونتهم خوفه الذي
كان يتوقعه من المشركين على حوزة الدين ومعونتهم عن النبي ببعض لوازمه اذ كان ارتعاد الفرايص
من لوازم شدة الخوف ودل هذه الامور ظاهر لاهله الادنين من بني هاشم كالعباس وحمزة وجعفر
وعلي وابي طالب في الذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم والهداية اليه والتلافي والله اعلم **منها**
زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بال محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الامة احد
ولا يستوي بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفي الغالي وبهم يلحق
التالي ولهم خصايص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله
اقول الغرور الغفلة والثبور الهلاك والتالي نسبة الى التلو والحاقه بهم في الحكم وفا يفي
رجع والغلو التجاوز للحد الذي ينبغي الى ما لا ينبغي والتالي التابع والولاية الاسم من قولك وليت
الامر اليه ولايه واصله القرب من التلي والدنو منه والخصايص جمع خصيصة وهي فعيلة بمعنى فاعل
اي خاصة او مختصة واعلم ان قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان الفجور لما كان
هو الخروج عن ملكة العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان معنى الزرع القا الحب
في الارض استعار عليه السلام لفظ الزرع لبذر الفجور في اراضي قلوبهم ولان انشاه عنهم ولمن فيهم
يشبه نمو الزرع وانتشاره في الارض ولما كان غرورهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم هو سبب
عدولهم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوي الهلاك وهو مادة تماديهم في غيهم وزيادة فجورهم وهم
عن سوا السبيل اشبه الما الذي هو سبب حياة الزرع ونموه ومادة زيادته ولاصلها حسنت استعارة

لفظ السقي الذي هو خاصة الما له ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في الدنيا بالسيف
وفي الاخرة بحذابها لاجرم استعيرت تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسب
اليهم وقد اشتملت هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة على الترصيع قال الوبري رحمه الله
الاشارة بهذا الكلام الى الخوارج وقيل في المنافقين كما ورد مصرحا به في بعض النسخ واقول
يحتمل ان يكون متناولا لكل من نابذه عليه السلام وخرج عن طاعته زاعما انه بذلك متعصب للدين
وناصر له لان الفجور كما عرفت عبور وتجاوز للعفة الى طرف الافراط وكل من نابذه عليه السلام ومن
يدعي انه طالب للحق فقد خرج في طلبه للحق على حاق العدل وتعداه الى طرف الفجور والعلو في
يدخل في ذلك القاسطون وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم اذ زعم الكل انهم
في طلبهم طالبون للحق ناصرون له **قوله** لا يقاس بال محمد عليهم السلام من هذه الامة احد مدح لهم
مستلزم لاستغنا غيرهم عن بلوغ درجتهم واستحقاق منزلتهم والكلام وان كان عاما في تفضيل
ال محمد على كل من عداهم من الامة الا انه خرج على سبب وتوقيتا له عليه السلام مع معوية فاذن هو يشير
الى تفضيل نفسه على معوية وعدم توجه الخلافة فقوله لا يقاس بال محمد من هذه الامة احد ولا
يستوي بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا اشارة الى عدم مناسبة غيرهم لهم في الفضل والنعمة ههنا
نعمة الدين والارشاد اليه والحكم ظاهر الصدق فان المنعم عليه بمثل هذه النعمة لا يمكن احدا ان يقابلها
بمثلها بحيث لا يبقى عليه هل الا ان يصير في رتبة المنعم وخواصه الدين اختصهم بمزيدها على حسب استحقاقهم
واستعدادهم التام الزايد على ناصر غيرهم لها ولا يبلغ درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في اما
منة هذه واعداد سايرالامة لها وتعليمهم وارشادهم الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه **وقوله**
هم اساس الدين اشارة الى ان بهم استقامته وثباته وتفرعه عنهم كما يقوم البنا على اساسه
وكذلك قوله عماد اليقين **وقوله** اليهم يفي الغالي اشارة الى ان المتجاوز للفضايل الا
نسانيه التي مدارها على الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة الى طرف الافراط منها يرجع اليهم ويهتدي
بهم في تحصيل هذه الفضايل لكونهم عليها اذا ادركه التوفيق بيد رشاده وقوله وبهم يلحق التالي
الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضايل المرتكب لطرف التفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه
ومعونة الله له بالهداية الى ذلك **وقوله** ولهم خصايص حق الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين
وخلافة رسول الله صلى الله عليه لها خصايص هي موجودة فيهم وشروط بها يتاهل الشخص
المخصص لها ويستحقها وتلك الخصايص ما نبهت عليه من الفضايل الاربع النفسانيه ولا
شك في صدقه عليه السلام في ذلك فان هذه الفضايل وان وجد بعضها او كلها في غيرهم فعنهم اخذوا
والا فيهم فهنا انتسب وهل يقاس بين البحر والوشل **قوله** وفيهم الوصية والوراثة اشارة

لأن اختصاصه عليه السلام بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاص أهله بقرابته وسبيل أداء بالوراثة
ما يقتضي أنه أولى به من أمر الخلافة **وقوله** الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل في منتقله في بعض النسخ
وكان قد رجع وذلك لأن الاستحقاق منه عليه السلام إلى أن الإمامة كانت في غير أهلها وأنه منتقل عنها ولأن وقت
رجوعها إليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وإن كان يحتمل لفظا آخر غير الإمامة إلا أنها المتبادرة
إلى الذهن من اللفظ ههنا وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام**
المعروفة بالشقشقية وتعرف بالمقمصة أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن
محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير فسدلت دونها ثوبا
وطويت عنها كشحا وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم
فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى
فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان
بعده ثم تمثل بقول الأعشى شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر فيا
عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها
في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار والاعتذار منها فصاحبها كراكب
الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض
فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى
متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا
وطرت إذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم
نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع
إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني إلا والناس إلي كعرف
الضبع ينثالون علي من كل وجه حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي
كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون كأنهم لم يسمعوا الله
سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها أما والذي فلق الحبة
وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة
ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم
هذه أزهد عندي من عفطة عنز قال وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه
عليه السلام إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال

خ الاعتذار

عبد الله

شرح الشقشقية المقمصة

فقال ابن عباس رحمه الله يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت فقال
هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام
قط كأسفي على ذلك الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد **أقول**
اعلم أن هذه الخطبة وما في معناها مما يشتمل على شكايته عليه السلام وتظلمه في أمر الإمامة
وهو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فإن جماعة من الشيعة ادعوا أن هذه
الخطبة وما في حكمها مما يشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من أهل السنة
بالغوا في إنكار ذلك حتى قالوا إنه لم يصدر عن علي عليه السلام شكاية في هذا الأمر ولا أنه تظلم أصلا ومنهم
من أنكر هذه الخطبة بخصوصها في التصدر ونسبها إلى السيد الرضي رضي الله عنه والتصدي للحكم في هذا الموضع
مظنة التهمة للشارحين وأنا مجدد لعهد الله علي أني لا أحكم في هذا الكلام إلا بما أجزم به أو يغلب
على ظني أنه من كلامه أو هو مقصوده فأقول إن كل واحد من الفريقين المذكورين خارج
عن الاعتدال أما المدعون لتواتر هذه الألفاظ من الشيعة فهم في طرف الإفراط وأما المنكرون
لوقوعها أصلا فهم في طرف التفريط أما ضعف كلام الأولين فلأن المعتبرين من الشيعة
لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الألفاظ ثابتا بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون
بعض وأما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلام فيحتمل إنكارهم وجهين أحدهما أن يقصدوا بذلك
توطئة العقول وتسكين الخواطر عن إثارة الفتن والعصبيات القاتلة ليستقيم أمر
الدين ويكون الكل على نهج واحد فيظهروا لهم أنه لم يكن بين الصحابة الذين هم أشهد المسلمين في
شهادتهم خلاف ولا نزاع ليقتدي أنهم لم يكن بجانبهم من صح بذلك وهذا مقصد حسن ونظر
لطيف لو قصد والثاني أن ينكروا ذلك عن اعتقاد أنه لم يكن هناك خلاف بين الصحابة
والأئمة في أمر الخلافة والإنكار على هذا الوجه ظاهر البطلان لا يعتقده إلا جاهل بمجامع الأخبار
لم يعاشر أحاديث العلماء فإن أمر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف
علي عن البيعة أمر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يمنع حتى قال أكثر الشيعة إنه لم يبايع أصلا
ومنهم من قال إنه بايع بعد ستة أشهر كرها وقال بعض القوم إنه ما بايع بعد أن تخلف في
بيته مدة وأقام طويلا وكل ذلك مما يقتضي الضرورة معه بوقوع الاختلاف والمنافسة بينهم فـ
الحق أن المنافسة كانت ثابتة بين علي عليه السلام وبين من تولى أمر الخلافة في زمانه والشكاية
والتظلم الصادر عنه في ذلك أمر معلوم بالتواتر المعنوي فإنا نعلم بالضرورة أن الألفاظ المنقولة
عنه المتضمنة للتظلم والشكاية في أمر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة بحيث لا يكون بأسرها
كذبا بل لا بد أن يصدق واحد منها وأيضا صدق ما فيه الشكاية أما خصوصيات الشكايات

بالفاظها المعينة فغير متواتر وان كان بعضها اشهر من بعض فهذا ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد
وعلى هذا التقدير لا يبقى لانكار كون هذه الخطبة صادرة عنه عليه السلام ونسبتها الى الرضي معنى فان مستند
ذلك الانكار هو ما يشتمل عليه من التصريح بالتظلم والشكاية وقد ثبت اتحاد ذلك عنه عليه السلام متواترا عند
انه لم يكن له منافسة في هذا الامر وانت تعلم ان ذلك اعتقاد فاسد على ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت
من العلماء قبل وجود الرضي روي عن مصدق بن شبيب النحوي قال لما قرأت هذه الخطبة على شيخي ابي محمد
ابن الخشاب ووصلت الى قول ابن عباس ما اسفت على شيء قط كاسفي على هذا الكلام قال لي لو كنت
حاضرا لقلت لابن عباس وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فانه ما ترك لا للاولين
ولا للاخرين قال مصدق وكانت فيه دعابة فقلت له يا سيدي فلعلها منحولة اليه فقال لا والله واني
لاعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق قال فقلت ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضي فقال
انى للرضي ولغير الرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد رأينا في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا
ينتظم في سلكه على اني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضي
فضلا عنه واقول وقد وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة احدهما مضمنة
كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبة تلميذ ابي القاسم الكعبي احد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل
مولد الرضي الثاني اني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات وزير
المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة والذي يغلب على ظني ان تلك النسخة
كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول
قوله تقمصها اي لبسها كالقميص وقطب الرحى الذي عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته
الكشح بفتح الكاف الخاصرة وطفقت اخذت وجعلت وارتأى في الامر افكر فيه وطلب الرأي الصحيح
وصال حمل نفسه على الامر بقوة ويد جذاء بالدال المهملة والمعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية
الظلمة كقولهم ليلة طخياء اي مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على الامور وانغلاقها ومنه كلمة طخياء اي
عجمية لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعي والعمل وهاتا لغة في هاتي وهي لغة في هذي وهذه
واحجى اولى بالحجى واخلق وهو العقل والقذى ما يسقط في العين من غبار ونحوه والشجى ما ينشب
في الحلق من غصة عظم او غيره والتراث كالميراث وهو اسم ما يورث وادلى فلان بكذا اي تقرب به
والقلة وشتان ما هما اي بعد وشتان ما عمرو وزيد اي بعد ما بينهما وكور الناقة رحلها والاقالة فسخ
عقد البيع ونحوه والاستقالة طلب ذلك وشد الامر عظم وتشطرا اي اخذ كل شطرا وهو البعض
والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية والكلم بفتح الكاف الجرح وعثر يعثر عثورا وعثارا اذا اصابت
رجله في المشي حجرا ونحوه والصعبة الناقة لم تذلل بالحمل ولا بالركوب وشنق الناقة بالزمام اذا شنق

البعير اذا اجتذب به الى نفسه وهو كناية لبعثها عن الحركة العنيفة والخرم الشق واسلس لها اي ارخى وتقحم
في الامر القى نفسه فيه بقوة ومني الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة والشماس بكسر
الشين كثرة النفار والاضطراب والتلون اختلاف الاحوال والاعتراض ضرب من التلون واصله
المشي في عرض الطريق يقال مشى فلان العرضنة اذا مشى في عرض الطريق خابطا عن فرح ونشاط والشورى
مصدر بمعنى التشاور مرادف للتشاور واسف الطائر اذا دنا من الارض في طيرانه والصغو الميل بكسر الصاد
والضغن بكسر الضاد وسكون الغين وفتحها ايضا الحقد والاصهار عن ابن الاعرابي المتحرمون بجوار
او نسب او تزوج وبعض العرب لا تطلقه الا على اهل بيت الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا
على من كان من اهل المرأة وهن على وزن اخ كلمة كناية عن شيء واصله هنو يقول هذا هنك
اي شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنفج قريب من النفخ والنثيل الروث
والمعتلف ما يؤكل ويحتمل ان يريد موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم وقيل المضغ باقصى
الاضراس يقولون خضم بكسر الضاد يخضم والنبتة بكسر النون النبات وانتكث انتقض والاجهاز
على المجروح قتله والمبهوع وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من الطعام والعرف
والضبع ذكر الضبع وانثال الشيء اذا وقع يتلو بعضه بعضا والعطاف الرداء ورد عطفاي
وعطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركيه والربيض والربيضة الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها
ومرق السهم خرج من الرمية وراقه الامر اعجبه والزبرج بكسر الزاي والراء الزينة والشقشقة للابل
قد تستعمل في ما عداه من الحيوان والمقاربة اقرار كل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة
والغارب اعلى كتف الناقة والعفطة من الشاة كالعطاس من الانسان وقيل هي الحبقة
والشقشقة لهاة البعير ويقال للخطيب ذو شقشقة اذا كان صاحب دربة وبضاعة
من الكلام ولذلك سميت الخطبة الشقشقية واعلم ان المشار اليه بقوله فلان هو ابو بكر رضي الله عنه
كما هو مصرح به في بعض النسخ ولما بالغ عليه السلام في تلبس ابي بكر بالخلافة استعار له وصف
التقمص ووجه الشبه تلبسه بها كالقميص ولذلك سميت هذه الخطبة بالمقمصة والمراد
في قوله وانه ليعلم ان محلي منها او الحال ولما كان قطب الرحى هو الذي به نظام حركاتها وبه يحصل
الغرض منها وكان هو عليه السلام الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية والعلم بكيفية السياسة الشرعية
لا جرم مثل محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى وقد جمع هذا التمثيل انواع التشبيه الموجودة في
كلام العرب وهي ثلاثة احدها تشبيه محله بمحل القطب من الرحى وهو تشبيه المعقول بالمعقول
لان محل القطب هو كونه به نظام احوال الرحى وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه بالقطب
وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ولما كانت حاجة الرحى الى القطب ضرورية ولا يظهر نفعها الا

الا به فهم من تشبيه محله بمحل القطب انه قصد ان غيره لا يقوم مقامه في امر الامامة ولا يتاهل لها مع وجوده كما لا
يقوم غير القطب مقامه في موضعه ثم اكد ذلك بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه
وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه وشرفه
مع فيضان العلوم والتدبيرات الصائبة عنه واستعار لتلك الحالات لفظ السيل والثاني
انه لا يرقى اليه الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اذ ليس كل مكان عال عليه ينحدر عنه
السيل وجب ان لا يرقى اليه الطير فكان ذلك علوا اريد كما قال ابو تمام   مكارم لجت
في علو كانما تحاول ثارا عند بعض الكواكب **قوله** فسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه
عن طلبها والمبالغة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة
لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيلا لها منزلة المأكول الذي منع نفسه من
اكله فلم يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاته عنها كما يفعل المعرض عمن الى جانبه قال
طوى كشحه عني واعرض جانبا **قوله** ارتاي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يريد
اني جعلت اجيل الفكرة في تدبير امر الخلافة واردده بين طرفي نقيض اما ان اصول على من حازها
دوني او ان اتركها وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو غير جائز لما
فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين من غير فائدة واستعار لفظ الجذاء لما
عساه يعدم الناصر ووجه المشابهة ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة على التصرف بها
والصولة وكان عدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لاجرم حسنت الاستعارة واما الترك
ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك
في غاية الشدة والمشقة واستعار لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس
للمعقول ووجه المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدي فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور هنا لا
يهتدي معها لتمييز الحق وكيفية السلوك الى الله ووصف الطخية بالعمى ايضا على وجه الاستعارة
فان الاعمى لما لم يكن ليهتدي لمطالبه كذلك هذه الظلمة لا يهتدي فيها للحق ولوازمه ثم كنى عن شدة
ذلك الاختلاط ومشقة الخلق بسبب عدم انتظام احوالهم وطول مدة ذلك باوصاف احدها
انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث ان المؤمن المجتهد في الذب عن
الحق والذب عنه يقاسي من ذلك الاختلاط شدائد ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقيل يكدح
ويجتهد في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى ترجح رايه في اختيار القسم
الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى والتي بمثلها
الاسلام ووجه الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلام من هذه المنافسة انما هو اقامة

الدين واحياء قواعده على القانون المستقيم ونظام امور الخلق كما هو المقصود من مقالات الشارعين
صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته ومحاربته لمنافسه في الامامة بغير ناصر يتم القيام به ومع
ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام غض لم
ترسخ محبته في قلوب كثير من الخلق وهم يطمحون اصلاحه وفيهم المنافقون والاعداء والمشركون في غاية
القوة من كل الاقطار لا جرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه الاحوال الا ترك الحرب والمنازعة لاداء ذلك الى نقض
ما هو مقصود له بحركته ومحاربته وانما الصبر وترك المقاومة وان كان فيه بحسب رايه ما ذكر من اختلال
الدين وانه لو كان هو القائم بهذا الامر لكان انتظامه به اتم وقوامه به اكمل الا انه اقل بالنسبة الى الاختلال
الذي كان يحصل لو نازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشر اهون من بعض **قوله**
فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى الواوان للحال والجملتان كنايتان عن شدة ما اضمره
من التاذي والغبن بسبب مشاهدته ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده من الخبط في الدين بيد
غيره **قوله** ارى تراثي نهبا قيل اراد بتراثه ما خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته كفدك فانه
تصدق عليها انها ميراثه لان مال الزوجة في حكم مال الرجل والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلاثة لها
بالخبر الذي رواه ابو بكر رضي الله عنه نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وقيل
اراد منصب الخلافة ويصدق عليها اسم الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام يرثني
ويرث من آل يعقوب فانه اراد ويرث علمي ومنصبي في النبوة فكان اسم الميراث صادقا على ذلك
قوله حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول ابا بكر وبفلان عمر والاشارة
بالادلاء الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى الدار
الآخرة وسلوكه السبيل الذي لا بد منه لكل انسان واما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون
بن جندل من بني قيس بن ثعلبة له يمدح فيها عامرا ويهجو علقمة اولها   شاقتك من قتلة
اطلالها بالشط فالوتر الى حاجر   وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة وكان
حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يفد على كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية
مصونا من وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه واراد بما بعد يومي يومه على كور
المطية دائبا والضب في الهواجر وبين يومي منادمة حيان اخي جابر وادعا فارغ البال وخفض
ويروى ان حيان عاتب الاعشى في تعريفه بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية
قادته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول في موضع رفع باسم الفعل والثاني بالعطف عليه واما
غرض التمثل بالبيت فافاد السيد المرتضى رضي الله عنه انه عليه السلام اراد بذلك ان القوم لما
ادركوا مقاصدهم ورجعوا لمطالبهم وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كله محقق في حقه مكبد

في نصيبه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذي وفي الحلق شجي كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وافتراق

شديد فاستشهد عليه السلام بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى بهما عن حاله وحالهم

ووجه المشابهة في هذا المثل ان حالهم استلزم حصول المطالب والذي فيه كيوم حيان وحاله

عليه السلام استلزمت المتاعب كيومه على كور الناقة مسافرا قلت ويحتمل ان يكون

قد استعار يوم حيان لعهده مع رسول الله صلى الله عليه وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوائد

الجمة والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلى الله عليه

وما لحقه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما يشتمل عليه

يوم حيان وعهد الرسول من المسرة وما يشترك فيه يوم كونه على كور الناقة واوقاته بعد الرسول

من المضار **قوله** فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته الاشارة

الى ابي بكر رضي الله عنه وطلبه للاقالة هو قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب هو انه

ان طلب ابي بكر للاقالة من هذا الامر اما هو لثقله وكثرة شرايطه وشدة مراعاة اجراء احوال

الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على قانون واحد وخوفه ان يعثر به مطايا الهوى فتردي به

في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان لهذا الامر اقصر كان خوفه

اقل وكان متاعبه ابعد واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر وامثاله ويقتضي ذلك

ذلك ان يتحرى قلة متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص منه مهما امكنه ذلك واذا راينا

متمسكا بهذا الامر مدة حياته وعند وفاته يعقده لآخر بعده فيتحمل مضار هذا الامر في حال الحياة

وبعد الوفاة لابد ان يغلب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن قادحا

لما اشتهر عنه من العدالة وذلك محل التعجب وهذا بخلاف من اشتهر بالعفة والتقوى فانه لا يتعجب

من فعله لو خالف قوله **قوله** لشد ما تشطرا ضرعيها اللام للتاكيد وما مع الفعل بعدها في تاويل

المصدر وهو فاعل شد والجملة من تمام التعجب وقد استعار عليه السلام لفظ الضرعين للخلافة

وهي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة المشاركة في الانتفاع الحاصل منهما

[illegible] المقصود وصف اقتسامهما لهذا الامر [illegible] الحالين [illegible] على

ليعتقد انه احق بها تعقيبا [illegible] الاولاد لها **قوله** [illegible]

[illegible]

في الكلام والشيء الخ [illegible] **وقوله** [illegible]

[illegible]

الضب بالبيان اعظم من [illegible] والناس [illegible] المس [illegible]

اليه من سبيل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما يستلزم مس الاجسام الخشنة **قوله** ويكثر العثار

والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يرد النظر فيها فيجدها غير صائبة

فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي انه امر

برجم امراة زنت وهي حامل فعلم عليه السلام بذلك فجاء اليه وقال ان كان لك سلطان عليها فما

سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها ثم ترضع ولدها فعند ذلك قال عمر لولا علي لهلك

عمر وتركها وكذلك ما روي انه امر ان يؤتى بامراة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملا فاتوا بها

من هيبته فاجهضت جنينا فجمع جمعا من الصحابة وسالهم ما ذا يجب عليه فقالوا انت

مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء فراجع عليا في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال

ان كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطاوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة

فعندها قال لا عشت لمعضلة لا يكون لها ابا الحسن ومثل ذلك وامثاله غلبة القوة الغضبية

وغلظ الطبيعة **قوله** فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل

الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر واخلاقه والمراد على هذا الوجه ان

المصاحب لتلك الاخلاق في حاجته الى المداراة وفي صعوبة حاله كراكب الصعبة ووجه الشبه ان

راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشاقة في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذبا

في وجهها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد تقحمت به المهالك فصاحب اخلاق الرجل

والمبتلى بها اذا اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقته وفساد الحال بينهما وان

سكت عنه وتركه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل

الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كل من تولى امرها اذا كان عادلا مراعيا لحق الله ووجه

شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة يضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الخلق ونظام

امورهم على الحق وان يسلك بهم طريق العدل المحفوظ بطرفي التفريط والتقصير المشبه لاسلاس

[illegible] والصعبة [illegible] للافراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي

لامر الخلافة ان افرط في المحافظة على شرايطها واهمل ارخاء التفريط في موارد الهلكة كما

[illegible] المعضلة رضي الله عنه حتى فعل به ما فعل فكان في ذلك كراكب الصعبة اشنق لها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الصعبة

لانه ايضاً بين خطرين اما ان يبقى ساكتاً عن طلب هذا الامر والقيام فيه فيتقحم بذلك في موارد
الذل والصغار كما يتقحم راكب الصعبة المشلس لها قياداً واما ان يقوم فيه ويتشدد في طلبه
فيتشعب اهل المسلمين بذلك وتنشق عصاهم فيكون في ذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول
اليق بسياق الكلام والثاني اظهر والثالث محتمل **قوله** فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس
وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل وحركاته التي كان ينقمها عليه فكنى
بالخبط عنها وبالشماس عن جفاوة طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن انتقاله من حال
الى اخرى في اخلاقه وهي استعارات وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضها
في الطريق حركات غير منظومة فاشبهها ما لم يكن منظوماً من حركات الرجل التي ابتلي الناس
بها ولا شك انه كان صعباً عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس
قال هيبته وكان ٥ قوله في مسألة العول بعد موت عمر هلا قلت ذلك
رجلاً مهيباً وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس من اضطراب الامر وتفرق الكلمة وجري
امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف ذلك بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع
الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين احدهما طول مدة تخلف الامر عنه والثاني شدة المحنة
بسبب فوات حقه وما يعتقد من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجرائه
على قوانينه الصحيحة ولكل واحد من هذين حصة في استلزام الاذى الذي يحسن في مثله الصبر
قوله حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم **اقول** حتى هنا لابتداء
الغاية والغاية لزوم تالي الشرطية لمقدمها اعني جعله لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة الى
اهل الشورى وخلاصة حديث الشورى ان عمر رضي الله عنه لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا
ان تعهد عهداً ايها الرجل وتستخلف رجلاً ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حياً وميتاً
فقالوا افلا تشير علينا فقال اما ان اشير فان احببتم قلت نعم فقالوا نعم فقال الصالحون
لهذا الامر سبعة نفر سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد
فانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير
وعثمان وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه وفظاظته واما عبد الرحمن بن عوف فلا
[illegible] واما طلحة فكبره ونخوته واما الزبير فشحه ولقد رايته بالبقيع [illegible]
[illegible] الامر الا رجل واسع الصدر واما عثمان [illegible] عصبيته [illegible]
على هذا الامر [illegible]
ليتفقوا على رجل منهم فان استنكف [illegible] الى رجل فاقتلوه [illegible]

ثلاثة فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وروي فاقتلوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن
عوف وروي فتحاكموا الى عبد الله بن عمر واي الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الآخر فلما خرجوا
عنه واجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لي ولابن سعد من هذا الامر الثلث فنحن نخرج
انفسنا على ان نختار رجلاً هو خيركم للامة فقال القوم رضينا غير علي فانه
اتهمه في ذلك وقال اربي وانظر فاتاه ابن رضا علي رجع الى المسجد فقال له هلم نعين رجلاً
ونبايعه فانا اصيب ابعون من بايعته فقال سعد ان بايعك عثمان فانا لكم ثالث وان اردت
ان تولي عثمان فعلي احب الي فلما ايس من [illegible] سعد نفر عنهم وجاءهم ابو طلحة في جمع
رجلاً من الانصار فحثهم على التعيين فاقبل عبد الرحمن على علي عليه السلام واخذ بيده وقال
ابايعك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين ابي بكر وعمر فقال علي
تبايعني على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رايي ونزل يده ثم اقبل على عثمان واخذ بيده
وقال له مثل مقالته لعلي فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلثاً فاجاب كل بما اجاب به
اولاً فبعدها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمان ثم بايعه الناس وفي بعض النسخ زعم اني سادسهم
ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى والاستفهام عن وقت عروض الشك
في كان الخلق في انه الاول هل يتبادر به في الفضل اولا ان نه استفهاماً على سبيل الانكار
التعجب [illegible] وضعه لاذهانهم الى غاية ان قاسوا بالخمسة المذكورين وجعلوهم نظايره وامثاله
في المنزلة واستحقاق هذا الامر والواو في الشورى عطفت على اسم الله لانها مدعوة ايضاً
[illegible] انه دعا الشورى من اهل الانصاف المدعوة منه وما وقع من اعتراض الزبير فيه مع الاول
[illegible] العامة كانه قال فيالله وللشورى لهذا الامر العجيب **قوله** لكني اسففت
اذا اسفوا وطرت اذ طاروا استعاره لاحوال الطاير من الاسفاف والطيران لا حواله من
مقاربته لمرادهم وتصرفه على قدر اختيارهم اولاً واخراً **قوله** فصغا رجل منهم لضغنه اشاره
الى سعد بن ابي وقاص فانه كان منحرفاً عنه عليه السلام وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل
عثمان [illegible] ومال الآخر لصهره اشاره الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمان لمصاهرة كانت
بينهما وهي ان عبد الرحمن كان زوجاً لام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمان لامه
[illegible] **قوله** مع هن وهن [illegible] انه لم يكن بمجرد المصاهرة بل لاشياء اخرى
يحتمل ان تكون [illegible] **وقوله** [illegible]
[illegible] الخلافة [illegible]
الخلافة [illegible] تشبيه بالبعير واستعاره وصفه [illegible] الحضين [illegible]

بذلك عن استعداده للتوسع ببيت مال المسلمين وحركته في ذلك كما يجب اليه بيتها له بالبعير
ينتفخ جنباه لكثرة الاكل كذلك المتوسع في الاكل والشرب وربما قيل ذلك للمتكبر المتنفخ
كبرا وكذلك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقام اي قام بين معلفه وروثه وهو
من اوصاف البهائم ووجه الاستعارة ان البعير او الفرس كما لا اهتمام له اكثر من ان يكون بين
اكل وروث كذلك شبهه الى انه لم يكن اكبر همته الا الترفه والتوفر في المطعم والمشرب وساير
مصالح نفسه واقاربه دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما يجب عليه **قوله** وقام معه
بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع يخضمون في موضع الحال وعنى بمال الله بيت
المال واراد ببني ابيه بني امية بن عبد شمس ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بني ابيه تغليبا
للذكورة وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين من يد عثمن رضي الله عنه وقد نقلت عنه
من ذلك صور احدها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار و
ثانيها انه لما فتح افريقية اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار ويروي خمس افريقية وثالثها روي
من عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه بمال عظيم من البصرة فجعل يفرقه في ولده واهله كل
ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما رأى فقال له لا تبك فان
عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطي اهلي وقرابتي ابتغاء وجه الله ورابعها انه ولى الحكم بن
ابي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلثمائة الف فوهبها له حين اتاه بها وخامسها روى
ابو مخنف ان عبد الله بن خالد بن اسيد قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثمائة
الف ولكل واحد منهم بمائة الف وصك بذلك على عبد الله بن الارقم وكان حينئذ خازن بيت
المال فاستكثر ذلك ورد الصك فقال له عثمان ما حملك على رده وانما انت خازن قال لست
اراني خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك واني لا الي لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح
فعلقها على المنبر فدفعها عثمان الى مولاه نايل وروى الواقدي ان عثمان امر زيد بن ثابت ان يحمل
من بيت المال الى عبد الله بن الارقم عقيب هذا الفعل ثلثمائة الف درهم فلما دخل عليه بها قال له يا ابا
محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم اهل حاجة ففرق
هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لي اليه حاجة وما عملت لان يثيبني
عثمان فان كان هذا من بيت المال فما بلغ قدر عملي ان اعطى ثلثمائة الف وان كان من ماله
فلا حاجة لي به وبالجملة فمواهبه لاهله وذوي [illegible] عليه [illegible]
الابل نبتة الربيع [illegible]
ونماؤه [illegible] الارض [illegible]

ونضالته

ونضالته كان ما اخذه اقارب عثمن من بيت المال مشبها الذي من حصة لذته وطيبه لهم عقيب ضرهم
وفقرهم وكل ذلك في معرض الذم والتوبيخ المستلزم لارتكاب مناهي الله المستلزم لعدم التأهل
لامر الخلافة **قوله** الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته اسناد
الى ان غاياته من قيامه في الحال المذكورة واستعار لفظ الفتل لما كان يبرمه من
الراي والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض تلك الآرا بيده
ويستبد به دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض تلك التدابير ورجوعها
عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد
فلان استعمال الاجهاز انما يكون حقيقة في قتل نفس خرج المقتول او اثخان الضرب ونحوه
ولما كان قتل عثمن رضي الله عنه مسبوقا بطعن اسنة الالسنة والجروح بحدادها لا جرم اشبه
قتله الاجهاز فاطلق عليه لفظه واما في التركيب فلان اسناد الاجهاز الى العمل ليس حقيقة
لصدور القتل عن القاتلين لكن لما كان عمله هو السبب الحامل لهم على قتله صح اسناد الا
جهاز اليه اسناد الفعل الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز ولذلك قوله
وكبت به بطنته مجاز ايضا في الاسناد والتركيب وذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد
الى الحيوان ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت عليه وتوسعه ببيت المال المكني عن ذلك بالبطنة
واستمراره على ذلك مدة خلافته سببا لشبه ركوب الفرس واستمراره سببا بين العثار
والكبو كانت البطنة شبيهة بالمركوب من هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا **قوله**
فما راعني الا والناس كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب الى متعلق بمحذوف تقديره
ينثالون اي فاعل راعني اما الجملة الاسمية وهو مقتضى قول الكوفيين اذ جوزوا كون الجملة فاعلا
او ما دلت عليه الجملة وكانت مفسرة له من المصدر اي فما راعني الا اقبال الناس
وهو قريب مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الايات ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان لمبتدا او حال عن راعني او العامل في الى
والاشارة الى وصف ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمان وقد شبههم في اقبالهم اليه وازدحامهم
عليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع ذات عرف كثير قائم الشعر والعرب تسمي الضبع
[illegible] بعضهم بعضا [illegible]
[illegible] **قوله** [illegible]
[illegible]
[illegible] المتكبين [illegible]

فيصير الجلوس على جانبيه واطلاق لفظ العطفين على جانبي القميص مجازاً اطلاقاً لاسم المجاور
على مجاوره او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان تكون اسراوهم لبس الرداء في قلة التوقير والتعظيم
والمخاطبات وتعلم ذلك اما لفرح به عليه السلام او للخلافة طباع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضي
الله عنه ان ابا عمر ومحمد بن ابي عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام وطئ الحسنان انهما
الابهامان وانشد للشنفرى مهضومة الكشحين خرما الحسنين وروى ان امير المؤمنين
انما كان يومئذ جالساً محتبياً وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه المسماة بالقرفصاء وهي جمع
الركبتين وجمع الذيل فلما اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه وشقوا ذيله بالوطي
ولم يعن الحسن والحسين وهما رجلان كسائر الحاضرين وهذا القول يؤيد الرواية واعلم
ان ارادته للحسن والحسين اظهر **قوله** مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب
على الحال كالذي قبله والعامل واحد وبقوله وطئ وشق وقد شبه اجتماعهم حوله بربيضة الغنم
ووجه التشبيه ظاهر ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي انه شبههم بالغنم
لغفلتهم عن وضع الاشياء في مواضعها وقلة فطانتهم وعدم استعمالهم للادب معه او مطلقاً
والعرب تصف الغنم بالبلادة وقلة الفطانة **قوله** فلما نهضت بالامر نكثت طائفة
ومرقت اخرى وقسط اخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما
عليه وكذلك من تبعهما ممن بايعه وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او القاسطين اصحاب معوية
وهذه الاسماء سبقت من الرسول صلى الله عليه اذ حكى في موضع اخباره بانه سيقاتل الناكثين
والمارقين والقاسطين بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق هو مجاوزة السهم للرمية
وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا منتظمين في سلك الحق الا انهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان
تعدوه وتجاوزوه لاجرم حسن ان يستعار لهم لفظ المروق لمكان المشابهة وقد لقبهم الرسول صلى
الله عليه عنهم بهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية واما تخصيصه اهل
الشام بالقاسطين فلان مفهوم القسط هو الخروج عن سنن الحق و[illegible] في مخالفتهم الذين
[illegible] عليه السلام والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين عليهم كالآخر **قوله**
كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً
والعاقبة للمتقين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

إنّا

إنّا كنّا عن هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا هذه الآية ووعيناها لما ارتكبنا هذه
الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها ينتج نقيض مقدمها وفي
تقديره عليه السلام لهذا العذر لهم على سبيل التهكم لهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة عما فعلوه ثم اراد
عليه السلام تكذيبهم في ذلك العذر على تقدير اعتذارهم فاشار الى تكذيب النتيجة بوضع نقيضها
مؤكداً بالقسم البار والى منع لزوم هذه المتصلة بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت
الدنيا في اعينهم ونبه على ان وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مطلقاً بل استلزامه
له موقوف على زوال مانع هو حاصل لهم الآن وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم
بها وعلى تقدير حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو
ارتكاب ما ارتكبوه من الافعال **قوله** اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر
وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الى آخره **اقول** لما ذكر من حال القوم
وحاله معهم ما ذكر من الشكاية والتظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال التي او
جبت نزوله عن مرتبته الى ان قرن بالجماعة المذكورين اردف ذلك ببيان الاعذار الحاملة له
على قبول هذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك شاهد هذا القسم
العظيم بهاتين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان الوصف الاول قد ورد
في القرآن الكريم وهو قوله فالق الحب والنوى وانما خص الحبة والنسمة بالتعظيم بالنسبة الى
الله تعالى لما اشتملا عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدائع الصنع الدالة على
وجود الصانع الحكيم اما فلق الحبة ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب اي
خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلام فلق الحبة كقوله فطر الخلائق بقدرته الثاني وهو الذي
عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي في وسطها وتقرير هذا القول ان الحبة
من الحنطة مثلاً لما كانت من غايتها ان تكون شجرة ينتفع بها الحيوان جعل الله في وسطها
ذلك الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت بها مدة من الزمان جعل الله سبحانه الطرف
الاعلى من ذلك الشق مبدأ لخروج الشجرة الصاعدة الى الهواء وجعل الطرف الاسفل مبدأ للعروق
الغائصة الى الارض التي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدائع من الحكمة شاهدة بوجود
المدبر الحكيم احدها ان طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت
منها الشجرة الصاعدة في الهواء [illegible] فلما تولد منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس
بمجرد الطبيعة التي تقتضي [illegible] الحكمة الالهية وثانيها ان [illegible] تلك العروق في غاية الدقة
واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لصارت كالماء ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى

على خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار لحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام اللطيفة
الضعيفة لا بد وان تكون بتقدير العزيز الحكيم وثالثها انك قد تجد الطبايع الاربع الحاصلة في الفاكهة
الواحدة كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحمضه بارد يابس وبزره حار
رطب فقوله هذه الطبايع الاربع المتضادة عن الحبة الواحدة لا بد وان تكون بتقدير الفاعل الحكيم
ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من اوراق الشجر المبدعة من الحبة وجدت في وسطها خطا
مستقيما كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن الشعب شعب
اخرى الى ان تندق وتخرج تلك الخطوط عن ادراك البصر والحكمة الالهية اقتضت قسمة القوى
الغذائية المذكورة في جرم تلك الورقة على الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة ثم
اذا وقفت على عناية الله سبحانه بتكوين تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في جملة الشجر اكمل
وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان علمت
ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من خلق الحيوان انما هو الانسان علمت
ان الانسان هو اعز مخلوقات هذا العالم عند الله واكرمه عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام
كما قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما السنة فعليك في عجايب
صنعة الله تعالى في بدن الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا الى طرف من ذلك في الخطبة الاولى اذا عرفت
ذلك فاعلم انه عليه السلام ذكر من تلك الاعذار ثلاثة احدها حضور الحاضرين لمبايعته والثاني
قيام الحجة عليه بوجود الناصرين في طلب الحق لو تولى القيام الثالث ما اخذ الله على العلماء
من العهد على انكار المنكرات وقمع الظالمين ودفع الظلامات عند التمكن والعذران الاولان
هما شرطان في الثالث اذ لا يتعين ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة
ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة ظلامته وقوله لالقيت حبلها على غاربها استعارة ووصف
من اوصاف الناقة للخلافة او للامة كنى به عن تركه لها واهماله لامرها ثانيا كما اهملها اولا ولما استعار
لها لفظ الغارب جعله لها حيث يلقى عليه ومن ترشيح الاستعارة واصله ان الناقة يلقى زمامها
على غاربها وتترك لترعى وقوله ولسقيت آخرها بكاس اولها استعارة لفظ السقي للترك
المذكور ايضا ترشيحه تلك الاستعارات بذكر الكاس ووجه تلك الاستعارة [illegible]
[illegible] لو فرغ الناس فيما [illegible] الطخية
العمياء المستلزمة لحيرة [illegible]
حتى ان يعبر عن ذلك الترك ما يسقى بالكاس قوله الفيتم دنياكم هذه ازهد عندي
من عفطة عنز [illegible] ويفهم منه انه عليه السلام [illegible]

والحرص على الامرة فيها ليس لاجلها بل لما ذكرنا من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل الثاني
على العلماء كما اشار اليه ويظهر هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولا حضور الحاضر ولم يقم الناصر
ولم يوخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر اذا تمكنوا لتركت اخراها كما تركت اولاها ولوجدتم
دنياكم هذه اهون عندي مما لا قيمة له ومن عفطة العنز فاما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة
فاراد باهل السواد سواد العراق قال ابو الحسن الكيدري رحمه الله وجدت في الكتب
القديمة ان الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدة مسايل احدها ما
الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب فاجاب عليه السلام بانه يونس بن
متى عليه السلام خرج من بطن الحوت الثانية ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال عليه السلام
هو نهر طالوت في قوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده الثالثة ما العبادة التي ان فعلها واحد استحق العفو
وان لم يفعلها استحق العقوبة فاجاب بانها صلاة السكارى الرابعة ما الطاير الذي لا فرخ له ولا فرع ولا
اصل فقال هو طاير عيسى عليه السلام في قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني
فتنفخ فيها فيكون طيرا باذني الخامسة رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه ضامن
بالف درهم فحال عليها الحول فالزكوة على اي المالين تجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين
فلا يكون عليه وان ضمنه من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادسة حج جماعة ونزلوا في دار من دور
مكة واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار
فالجزاء على ايهم يجب فقال عليه السلام على الذي اغلق الباب ولم يخرجهن ولم يضع لهن
ماء السابعة شهد شهود اربعة على محصن بالزنا فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة
الباقين ووافقه قوم اجانب في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع
الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته فقال يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه
الثامنة شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه اسلم فهل تقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل
شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة الزور التاسعة شهد شاهدان من النصارى على
نصراني او مجوسي او يهودي انه اسلم فقال يقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الاية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد الزور العاشرة قطع
انف [illegible] شهود عند الامام وشهدوا على قطع يد واحد وزنا ومنها محصن فاراد الامام ان
[illegible] قبل الرجم [illegible] ولو شهدوا انه سرق نصابا
[illegible] والله اعلم

ومن خطبة له عليه السلام

[illegible] الوعية

كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم عواقب
الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية
اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون
اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب راي امرئ تخلف عني ما شككت في الحق مذ اريته
لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق
والباطل من وثق بماء لم يظمأ. **اقول** هذه الالفاظ ملتقطة من خطبة طويلة روي انه خطب
بها امير المؤمنين عليه السلام بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شيء اعلاه و
السرار الليلة والليلتان يكون في اخر الشهر يستتر فيهما القمر ويختفي والوقر الثقل في السمع وفقهت
الامر فهمته والواعية الصارخة والنبأة الصوت الخفي والنية العلامة وسنن الحق وجهه
وطريقه وماهت البير خرج ماؤها وعزب اي غاب واوجس احس واحس والظماء
واعلم ان هذه الالفاظ من افصح كلامه عليه السلام وهي مع اشتمالها على كثير المقاصد الواعظة الجزلة
مشتملة في غاية الوجازة ثم من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها يصلح لان يفيد على
سبيل الاستقلال وعلى ما يذكر من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض **قوله** بنا
اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى الرسول صلى الله عليه والخطاب لحاضري الوقت من
قريش والمخالفين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار
الدين وما انزل الله من الكتاب والحكمة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم
في ظلمات الجهل وتلك الهداية هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك الى حضرة قدسه قوله
تسنمتم العلياء اي بتلك الهداية وشرف الاسلام علا قدركم وشرف ذكركم ولما استعار لفظ
التسنم للعلياء ملاحظة لشبهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهو ركوب السنام
وكنى به عن علوهم **قوله** وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه
من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر ولفظ الانفجار لخروجهم من ذلك الى نور الاسلام
واشتهارهم في الناس وذلك لتشبيههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاستنارة
قوله وقر سمع لم يفقه الواعية [illegible] الى الدعاء بالوقر على سمع لم يفقه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الحيثية

الحيثية السافلة فحقيق به ان يكون موقورا ومن روى وقر على البناء لما لم يسم فاعله فالمراد اوقر الله على سبيل
المثل اورده في معرض التوبيخ لهم والتبكيت بالاعراض عن اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه
او صياحه فيهم بالموعظة الحسنة والحث على الالفة وان لا يشقوا عصا الاسلام فلم يقبلوا ووجه نظام
هذه الكلمة مع ما قبلها انه لما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم وانه من اكتسبت عنه الشرف والفضيلة
وكان ذلك في [illegible] نفارهم واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المشتملة على الدعاء
عليهم كيف لم يفقهوا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه ويقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء
لبعض تلاميذه المعاند له المدعي لمثل فضيلته انك بي اهتديت من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا
سبب لشرفك افتتكبر علي وقر سمعك لم لا تفقه قولي وتقبله **قوله** كيف يراعي النبأة من
اصمته الصيحة استعار لفظ النبأة لدعائه لهم وندائه الى سبيل الحق والصيحة لخطاب الله ورسوله لهم
[illegible] على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى دعاء الله ورسوله لهم وتقرير ذلك ان
الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت القوي اذ من شان الحواس ان لا تدرك الاضعف مع وجود
القوي المماثل في الكيفية لاشتغالها به وكان كلامه عليه السلام اضعف في جنب الخالق وفي قبولهم له من كلام
الله وكلام رسوله جرى كلام الله وكلام رسوله مجرى الصوت القوي في حقهم وكلامه مجرى الصوت الخفي
المنسوب اليه واسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة اذ كان من شان الصيحة العظيمة
اذا قرعت السمع ان تصمه ويحتمل ان يكون كناية عن بلوغ تكرار كلام الله على اسماعهم الى حد انها
مجته وملت سماعه بحيث لا تسمع بعد ما هو في معناه خصوصا ما هو اضعف كما لا يسمع الصوت
الخفي من اصمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد الاعتذار لنفسه في عدم فائدة وعظه لهم والاعتذار
لهم في ذلك ايضا على سبيل التهكم والذم ووجه نظامها مع ما قبلها انه لما كان تقدير الكلمة الاولى
وقر اسماعكم كيف لا تقبلون قولي التفت عنه وقال كيف يسمع قول من لم يسمع كلام الله ورسوله
على [illegible] تكراره على اسماعهم وقوة اعتقادهم وجوب قبوله كيف يأخذون بسماعه
وقد اصمها [illegible] عليه **قوله** ربط جنان لم يفارقه الخفقان دعا للقلوب الخائفة الوجلة التي
لم تخفق لخشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة والاطمئنان و [illegible]
[illegible] فاعله فالتقدير ربط الله جنانا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

خفقانها

بن وعيل ماصنّركم لو تشبهتم بهم فرجعتم الى الحق وقمتم به وقام رجل واحد **قوله**
ماذلت انتظر بكم العذر وانوعكم بحيلة المغترين اشارة الى انه عليه السلام كان يعلم عاقبة امرهم
اما باطلاع الرسول صلى الله عليه له على انهم بعد بيعتهم لا يعذرون به اولانه كان يلوح له من حركاتهم
واحوالهم بحسب فراسته الصايبه فيهم كما اشار اليه بقوله واتوسمكم بحليه المغترين وذلك
لانهم لانه فهم انهم من اهل الغرة وقبول الباطل عن ادنى شبهة بالاخ له من صفاتهم الدالة على
ذلك فكان علمه بذلك منهم تستلزما العلم بعذرهم بجهلهم ونقضهم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم
قوله سترني عنكم جلباب الدين واراد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له واحما لفتهم لامره والمعنى
ان الدين حال بيني وبينكم وسترني عن اعين بصايركم ان تعرفوني بما اقوى عليه من العنف بكم
والغلظة عليكم وساير وجوه تقويلكم وردعكم عن الباطل ورآما وقفني عليه الدين من الرفق
والشفقه وبجب ذيل العفو عن الجرايم فكان غطا حال بينهم وبين معرفته فاستعار له لفظ
الجلباب وبحتمل   هو عليه هو الدين كانه في ستر من
الدين عنهم فهم لا يعرفونه حتى لو عرفوا ان ما هو عليه هو الدين الحق لاتبعوه وروي ستركم عني اي
عصم الاسلام منى دماكم واتباع مدبركم وان اجيز على جريحكم وعيد ذلك مما يفعل من الاحكام في
حق الكفار **قوله** وبصرنيكم صدق النية اراد بصدق نيته اخلاصه لله تعالى وصفا سرائرته
وانه بحسب ذلك ادهى على بصر بصيرته نور معرفة احوالهم وما يؤول اليه عاقبة امرهم كما قال النبي
عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله **قوله** اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة تنبيه
لهم على وجوب اقتفا اثره والرجوع الى لزوم اشعة انواره في سلوك سبيل الله واعلام لهم انه واقف
لهم على سوا سبيل الحق وفي الطرق التي هي مزال الاقدام ليردهم عنها وليبين ذلك في المثل المشهور
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط
سور فيه ابواب مفتحه وعلى تلك الابواب ستور مرخاه وعلى راس الصراط داعي يقول ادخلوا
الصراط ولا تعرجوا قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك
الداعي هو القران فنقول لما كان علي عليه السلام هو الواقف على اسرار الكتاب والملي بجوامع علمه
وحكمه والمطلع على اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي اليه به الى الواقف على
راس سبيل الله والمقيم عليها ولما كان سبيل الله وصراطه المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان
مستبينا ما لها من الجدد والمعوجات مستجليا لمزال الاقدام فيها وما ينشا عليها من الشكوك
والشبهات كان بحيث قوته الدين لهذا العالم بعد رسول الله صلى الله عليه هو الواقف على تلك
الابواب المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان

نواهيه والتذكير بعظيم وعيده والقايد لاذهان السالكين للصراط بها وذلك حيث تلتقف اذهانهم   نعم
في ظلمات الجهل فلا يبصرونها لاهتدى الى سواه يطلبون ماالحياه بالبحث والفحص من اودية القلوب فلا
يجدون بها ماء اي الامعه والضالين كان ضرورة السالك لطريق ان يكون له دليل بين يديه وما يعطشه
بنهم عليه السلام على انه هو الدليل في طريق الاخرة ومعنا الماء الصالح لها واستعار لفظ الاحتفار للبحث
عن مظان العلم ولفظ الماء للعلم لما سبق بيان وجه المشابهة **قوله** اليوم انطق لكم العجما ذات البيان
كني بالعجما ذات البيان عن الحال التي اشاهرونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم
فسقوا عن امرربهم وعن ما هو واضح من كمال فضله عليه السلام بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروه
من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي يحثهم على اتباعها فان كل هذه الاحوال امور لا نطق لها انما   لي
شبهها لذلك بالعجما من الحيوان واستعار لها لفظها ووصفها بكونها ذات البيان لان لسانها
الحالي مخبر بمثل ما قاله عليه السلام ناطق بوجوب اتباعه وشاهد له ودليل على ما ينبغي ان يفعل
في كل باب وذلك هو البيان فكانه عليه انطق العجما اذ عبر هو بلسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه
وتشاهد من نظر اليها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج ثمارك
فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم قال الحايط للوتد لم تشقني فقال سل من
يدقني وروي بعضهم انطق بفتح الهمزة وقال العجما صفة لمحذوف تقديره الكلمات العجما
واراد بها ما ذكر في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك يستفيد
الناظر فيها اعظم الفوايد فهي ذات بيان عند اعتبارها **قوله** عزب راي امري تخلف عني
اشارة الى ذم من تخلف عنه وحكم عليه بالسفه وعدم اصابة الراي حال تخلفه عنه وذلك ان المتخلف
لا فكر في اي الامور انفع له ايكون من متابعيه او المتخلفين عنه ثم راى التخلف عنه اوفق له كان
ذلك سواء الاراء واقبحها فهو في الحقيقة كمن اقدم على ذلك بغير راي محض اولان الراي الحق كان
عازبا عنه وهو دم في معرض التوبيخ للقوم على طريقه قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره **قوله** ما شككت
في الحق مذ اريته بيان لعطف اسباب وجوب اتباعه وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعدم
الشك عما اراه الله عز وجل من الحق وافاضه على نفسه القدسيه من الكمال مستلزم للاخبار بكمال
قوته على استثبات الحق الذي راه وشده جلايه له بحيث لا يعرض له شبهة فيه ولا ما فيه تستدل
بذلك على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي منشاها ضعف النفس **قوله** لم يوجس
موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال فاشفق في تقدير الاستثناء اي لعبد
النفي اي لكن اشفق وقيل اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفه لان الاشفاق
نوع من الخوف والتقدير لم يوجس موسى اشفاقا على نفسه اشد من غلبة الجهال والمقصود التنبيه

على ان الخوف الذي يخافه عليه السلام منهم ليس على الجهال بحرد نفسه بل اشد خوفه من غلبة اهل الجهل
على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال تنمحي طرق الهدى وتنسد مسالك الحق كما خاف موسى
عليه السلام من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
ودول الضلال كدولة فرعون واتباعه الضالين عن سبيل الله **وقوله** اليوم تواقفنا على سبيل الحق
والباطل الموافقة معا من الطرفين والخطاب لمقابليه في القتال والمراد اني واقف على
سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه ومعتسفون لم عاهم عليه اي ما هو عليه
قوله من وثق بماء لم يظمأ تنبيه على وجوب الثقة بما عنده اي انكم ان سكنتم الى قولي ووثقتم
به كنتم اقرب الى اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كان الواثق بالماء في اداوته امن
من العطش وخوف الهلاك وبعيدا عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عن ما اشتمل عليه
من العلم بكيفية الهداية الى اسبابه الماء الذي لا ظماء معه **ومن كلام له عليه السلام**
ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة
افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت
ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت
هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه بل اندمجت
على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة **اقول** سبب هذا
الكلام ما روي انه لما تم في سقيفة بني ساعدة لابي بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع
الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون في ذلك دمار الدين فمضى الى العباس فقال له يا ابا
الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم وانه ليحكم فينا غدا
هذا الفظ الغليظ من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على علي عليه السلام ونبايعه بالخلافة وانت عم رسول الله
وانا رجل مقبول القول في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين
عليه السلام فقال له ابو سفيان يا ابا الحسن لا تغافل عن هذا الامر متى كنا تبعا لتيم الاراذل وكان
عليه السلام يعلم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد الذي رواه في نفسه فاجابه عليه السلام
بهذا الكلام ... الفلاح والفوز والنجاة ... [illegible]
للتجنب بعض ... [illegible]
كذا اي شقوا امواج الفتن ... [illegible] **قوله**
شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه عليه السلام الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار لها لفظ الا
مواج وكنى بها عن حركة الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هيجانها في

كونها سبب الهلاك الخائضين فيهما واستعار سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة
من مهادنة او حيلة مخلصة او صبر ووجه المشابهة كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذ كانت الطرق المذكورة
طرق السلامة من ثوران الفتنة والهلاك فيها كما ان السفينة سبب للخلاص من امواج البحر
قوله وعرجوا عن طريق المنافرة امرهم بالعدول عن طريق المنافرة الى السكون والسلامة وما يوجب
سكون الفتنة وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امر بطريق اخرى من طرق النجاة وهي ترك
المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير الاحقاد ويوجب قيام الفتنة ولما كان اكبر ما
يتيه ارباب الدنيا من المفاخرة لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والانساب
الكريمة والهيئات الحسنة من اسباب الافتخار الدنيوي ومنشائه كانت المشابهة بينها
وبين التيجان حاصلة فاستعار عليه السلام لفظها لها وامرهم بوضعها **قوله** افلح من نهض
بجناح او استسلم فاراح لما نهى عليه السلام عن الفتنة وبين ان المنافرة والمفاخرة ليسا طريقي
محمودين اردف ذلك بالاشارة الى انه كيف ينبغي ان يكون حال المتصدي لهذا الامر وكيف يكون
حال المتصدي بكون طريق فوزه بمطالبه او النجاة له فحكم بالفوز لمن نهض بجناح واستعار لفظ
الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهة ظاهر فان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران
والتصرف وكانت الاعوان والانصار بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران في ميدانها لاجرم
حصلت المشابهة فاستعير لهم لفظ الجناح وحكم بالنجاة لمن استسلم عند عدم الجناح وكلا منهما
شملها الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره في هذا الامر وتقدير الكلام انه ليس الطريق
ما ذكرتم بل الصواب فيما يفعل ذو الراي في هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به فيفوز
بمطلوبه او لا يكون فيستسلم ويقف فينجو او يريح نفسه من تعب المطالب **قوله** ماء
آجن ولقمة يغص بها آكلها تنبيه على ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر والتغير
والتنغص واشار الى امر الخلافة في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة ظاهر اذ عليهما مدار الحياة
الدنيا وامر الخلافة اعظم اسباب الدنيا فيشابهها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بهما
عنه ولما كان آجن الماء والغصص باللقمة مما ينغصهما ويوجب نفار النفس عن قبولهما وكانت
... في امر الخلافة ... والتجاذب والتنازع بين المسلمين فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنغيص
... [illegible]
... [illegible]
... **قوله** ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه
على ان ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بمجتني الثمرة

عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضاً لاشتراكهما في كونهما محلاً للالتذاذ ويجتني ثم شبه مجتني
الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه
في محل ان يمنع من ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بزرعه وكذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لا ينتفع
بها فكذلك طالب الخلافة في ذلك الوقت **قوله** فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت
يقولوا جزع من الموت شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة في حقه وردت في معرض الكلام
واشارة الى انه سواء طلب هذا الامر او سكت عنه فلا بد من ان يقال في حقه وينسب الى امر
ففي القيام والطلب ينسب الى الحرص على الامر والاهتمام بامر الدنيا وفي السكوت ينسب الى
الذلة والعجز وخوف الموت واوهام الخلق والسنتهم لا تزال مولعة بامثال ذلك لبعضهم في حق بعض
في المنافسات **قوله** هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل
بثدي امه ورد مورد التكذيب للاوهام الحاكمة في سكوته بجزعه اي بعد ما يقولون واللتيا والتي كنايتان
عن الشدايد والمصايب العظيمة والحقيرة واصل المثل ان رجلاً تزوج امراة قصيرة صعبة الخلق
فقاسى منها شدايد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال
بعد اللتيا والتي لا اتزوج ابداً فصار ذلك مثلاً للداهية الكبيرة والصغيرة وتقدير مراده ابعد ملاقاة
كبار الشدايد وصغارها انسب الى الجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم في دعوى جزعه
من الموت بالقسم البار انه آنس بالموت من الطفل بثدي امه وذلك امر بين من حاله عليه
السلام اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورئيس الاولياء وقد عرفت ان
محبة الموت والانس به امر متمكن من نفوس اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم
محبوب والوصول الى اكمل مطلوب وانما كان انسه به من الطفل بثدي امه لان محبة الطفل للثدي
وانسه به وميله اليه ميل طبيعي حيواني في معرض الزوال وميله عليه السلام الى لقاء ربه والوسيلة اليه
ميل عقلي باق فاين احدهما من الاخر **قوله** بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب
الارشية في الطوي البعيدة اشارة الى سبب حمل توقفه عن الطلب والقيام غير ما يتوهم اليه
من الجزع والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها
وتطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المراة
العالية ما رتب فيها كما هي ... [illegible] ... الى ... [illegible]
بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الامور لقصور نظره الذي اعمى بصيرته ... [illegible]
تدل الذي العلم الذي اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية والجملة الشرطية
في موضع الجر صفة لعلم واشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت ارائهم عند ان يكشف

لهم ما يكون من امر الخلافة والى من تنتهي والى ما يؤول اليه حال الناس اذ كان ذلك مما وقفه عليه الرسول
صلى الله عليه واعلمه من نفسه فان كثيراً منهم في ذلك الوقت كان يأنف عن عمر واخرون عن عثمان
فضلاً عن معاوية ومنهم من كان يؤهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها لابي
بكر كان يرجو ان تؤول اليه بعده واذا كان الامر كذلك فظاهر انه عليه السلام لو باح لهم بما علمه من
عاقبة هذا الامر لم يكن لهم ذلك النظام الذي حصل في ذلك الوقت ليأس بعضهم من وصول ذلك الامر
اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفرتهم منه ونفرة اخرين من بني امية ومما يكون منهم وشبه اضطرا
ارائهم على ذلك التقدير باضطراب الارشية في الطوي البعيدة مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس
وذلك ان الطوي كلما كانت اعمق كان اضطراب الحبل فيها اشد لطوله فكذلك حالهم حينئذ
انما يكون لكثرة اضطراب قوي واختلاف شديد وقيل اراد ان الذي منعني من المنافسة في هذا
الامر والقتال عليه هو شغلي بما انطويت عليه من العلم باحوال الاخرة ومشاهدته من نعيمها
وبؤسها مما لو كشفته لكم لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة خوفاً من الله ووجلاً من عقابه
وشوقاً الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وهذا الوجه محتمل الارادة من هذا
الكلام ولعل تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه **ومن كلام له عليه السلام**
والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل
الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب حتى يأتي علي يومي فوالله ما زلت مدفوعاً عن
حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه حتى يوم الناس هذا **اقول** روى ابو عبيد
قال اشار ... امير المؤمنين عليه السلام يريد الطائف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار
عليه ... الحسن عليه السلام ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه هذا الكلام
وروي في سبب نقضهما بيعته انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان
لنا وميله الى بني ابيه مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما حتى
انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فمنعه من ذلك فعاودا فمنعهما فسخطا وفعلا ما فعلا
للاصمعي اللدم ... الا ان ضرب الحجر او غيره على الارض ليس بالقوي ويحكى ان الضبع تستغفل
في جحرها ... فتسكن حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها انهم يضربون في جحرها حجراً ويطربون
بايديهم ... [illegible] ... الحيوان ... [illegible]
ما حجرها ان يدخل عليها فيقال ... ام عامر او يقال خامري ام عامر فتسكن
حتى لو يوثق اصلها بحبل معقد لصيدها ... واستشرت بالى القدرة به واشار
الى رد ما اشير عليه به من تأخر القتال ومفهوم التشبيه انه لو تأخر لكان ذلك سبباً لتمكن

الخصم مما فصح فيكون منه في ذلك تشبيها بالضبع التي تنام وتمكن على طول حيلة راصدها فاقسم
عليه السلام انه لا يكون كذلك اي لا يمكن على كثرة الظلم والبغي وطول دفاعه عن حقه ثم اردف
ذلك بانه الصواب عنده وهو المقاومة والقتال بمن اطاعه لمن عصاه فقال لكني اضرب
بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع وجه العاصي المريب ابدا وراعى المقابلة ههنا
فالعاصي في مقابلة المطيع والمريب في مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له
ثم فسر الابد بغاية عمره لانه الابد الممكن له وذلك قوله حتى ياتي علي يومي واشار بيومه الى وقت
ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم والشكاية في دفاعه عن هذا الامر والاستيثار عليه
به المحوج له الى هذه المقاومات والشكايات واشار الى مبدأ ذلك الدفاع ومنتهاه وكل
ذلك بالقسم البار والاشارة بالحق المدفوع عنه الى امر الخلافة وهي شكاية مؤكدة للشكايات
السابقة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا
واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق
بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق
بالباطل على لسانه **اقول** ملاك الامر ما يقوم به ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز
ان تكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك وهو حبايل الصيد كحبل
واجبال والدبيب المشي الضعيف والدرج اقوى منه والخطل الفاسد من القول وشركه
بفتح الشين وكسر الراء شاركه وهذا الفصل من باب المنافرة ومقدوم للمنابذين له والمخالفين
عليه فاشار اولا الى انقياد نفوسهم لشياطينها الى حد جعلوها مدبرة لامورهم فيها قوام احوالهم
وعزلوا عقولهم عن تلك المرتبة فهم اولياؤهم في الحياة الدنيا كما قال انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض لوازم تمليك الشيطان لامورهم بقوله واتخذهم
له اشراكا وذلك انه اذا ملك امورهم وكان قيامها بتدبيره فصرفهم كيف شاء واستعمال لفظ
الاشراك ههنا على تقدير كونها جمع شرك استعارة حسنة فانه لما كانت فايدة الشرك
اصطياد ما يراد صيده وكان هولاء القوم بحسب ملك الشيطان لآرائهم وتصرفه فيهم على حسب
[illegible] بالدعوة المخالفة [illegible] الحق [illegible] امام الوقت [illegible] الاشراك
[illegible]
[illegible]
فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم فشبهه بالطاير الذي [illegible] صدورهم
ما [illegible] له لفظ البيض والافراخ ووجه المشابهة ان الطاير لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ

فيه

فيه اشبه الشيطان في اقامته في صدورهم وملازمته لهم وكذلك قوله ودب ودرج في حجورهم استعا
[illegible] عن تربيتهم للباطل وملازمته لهم وعدم مفارقته لهم ونشوه معهم كما يتربى الولد
في حجر والدته وراعى في هذه القراين الاربع السجع ففي الاولتين السجع المتوازي وفي الاخريين
المتوازن **قوله** فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه في اجزاء ابدانهم
بعد القاء مقاليد امورهم اليه وعزل عقولهم عن التصرف فيها بدون مشاركته ومتابعته
قوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل اشارة الى لوازم متابعته وهي اصابة مقاصد منهم الخروج
عن اوامر الله في الافعال وهي المراد بارتكابه بهم الزلل وفي الاقوال وهو المشار اليه بتزيينه لهم الخطل
قوله فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق الباطل على لسانه اشارة الى ان الافعال
والاقوال الصادرة عنهم على خلاف اوامر الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير
في سلطانه يعود الى من اي من قد شاركه الشيطان في سلطانه الذي جعله الله له على الاعمال
والاقوال وانتصاب فعل على المصدر اما عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك او عن قوله اتخذوا
لانه في معنى فعلوا فهو مصدر لا من غير لفظه وراعى في هاتين القرينتين ايضا السجع المطرف
والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير** في حال اقتضت ذلك
يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليات عليها بامر يعرف والا فليدخل
فيما خرج منه **اقول** الوليجة الدخيلة في الامر وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير
وهو مشتمل على تقدير حجة سابقة له وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب له عليه السلام
عن ذلك اما الحجة فهو انه عليه السلام لما نكث الزبير بيعته وخرج لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له اولا وكان
جواب الزبير ما حكاه عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية والتعريض في العقود
والايمان ونحوهما وعلمها من الزبير ان ذلك امر تعطله الشريعة فاجابه عليه السلام بقياس حذف
كبراه كما علمت من قياس الضمير وتقريره ما اشار بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اي اقر بما هو
مقبول ومحكوم بلزومه شرعا وادعى انه اضمر في باطنه ما يفسد من الوليجة فهذه صغرى القياس
وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك احتاج في بيان دعواه الى بينة تعرف صحتها فينتج انه محتاج
الى بينة كذلك واشار الى هذه النتيجة بقوله فليات عليها بامر يعرف اي على دعواه الوليجة
[illegible]
[illegible]
[illegible] **ومن كلام له عليه السلام** وقد ارعدوا وابرقوا ومع
[illegible] حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر [illegible] الفشل الجبن والضعف

والاشارة الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهد
يدهم له بالحرب يقال ارعد الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال الكميت ارعد وابرق
يا يزيد فما وعيدك لي بضائر ووجه الاستعارة كون الوعيد من الامور المزعجة كما ان الرعد والبرق
كذلك **قوله** ومع هذين الامرين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة وذلك ان التهديد والتوعد
قبل ايقاع الحرب والصوصا والجلبة امارة للجبن والعجز والصمت والسكون امارة الشجاعة
والثبات كما اشار اليه عليه السلام في تعليم كيفية الحرب مخاطبا لاصحابه واميتوا اصواتكم فانه
اطرد للفشل وروي ان ابا طاهر الجنابي سمع جلبة عسكر المقتدر وهو في الف وخمس مائة فارس
والمقتدر في عشرين الفا فقال لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال اجل وكانت الغلبة
فاستدل عليه السلام بتلك الامارة على الفشل **قوله** ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر
اشارة الى نفي تلك الرذيلة على نفسه واصحابه واثبات الفضيلة وكان فضيلة السحاب ان يقترن وقوع
المطر منه برعده وبرقه وانما له بامطار كذلك اقواله مقرونة بافعاله لا خلف فيها واستعار الرعد لما مقرونه
بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه يهدده بالحرب من غير وقوع نفس ولا ايقاع فاشبه ذلك الرعد
من غير ايقاع للمطر والسيل عن غير مطر وكانه قال فانما يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما يدعونه ويهددون
به من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا وقع عليها في ذلك بهم الجدي **ومن خطبة له عليه السلام**
الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس
علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعيدون اليه **قوله** هذا الفصل
ملتقط ملفق من خطبة له عليه السلام لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اورد
السيد منها فصلا اخر وسنذكرها بتمامها اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى والاستجلاب في معنى
الجمع والبصيرة العقل وافرطت الحوض اذا ملأته والماتح بالتاء المستقي وربما يلتبس بالمائح
وهو الذي ينزل البئر فيملأ الدلو والفرق بينهما ان نقطتي فوق للفوقاني والصدور الرجوع عن الماء وغيره
ويقابله الورود ومنه العود اليه ومدار هذا الفصل على ثلاثة امور احدها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم
والثاني التنبيه على فضيلة نفسه الثالث الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان الشيطان
قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله واراد ان الباعث لهم والجامع على مخالفة الحق انما هو الشيطان
بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية وسوسته وضلاله فكان من خالف الحق
بايعه فهو حزب الشيطان وجنده وخيلا ورجلا واما الثاني فاشار اليه ان كمال عقله وتمام استعداده
لدرك الحق واستيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه
لنفسه القدسية للشيطان فيما يلبس به على الحق من الشبهة الباطلة بتحسينها وهو قوله ما لبست

على البصاير الضعيفة فتعمها عن ذلك وتبين ان الباطل سوى كانت مخادعة الشيطان وتلبيسه بغيره واسطه
ومنه المشار اليه دراكه بقوله ما لبست على نفسي الا لبس على نفي المطيعة ما يلقيه اليها نفي الامارة
او بواسطة وهو المشار اليه بقوله ولا لبس علي اي ان احدا من نوع البشر ويلفق عنه الشبه فضلا
في قوته ان يلبس الحق بصورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي واما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن
لهم حوضا انا ماتحه الى اخره استعار لفظ الحوض لجمعه الجند وتهيئته اسباب الحرب وكنى بقوله
انا ماتحه عن انه متولي ذلك وارثه ولما كانت الحرب وقد تشبه بالبحر وبالماء الجم فيستعار لها اوصافه
فيقال فلان خواض غمرات وفلان مغتمس في الحرب جاز ان يستعار ههنا لفظ الحوض
ورشح تلك الاستعارة بالمتح والافراط والاصدار والاعادة ثم اردف ذلك بوصف استعداده لهم
بالسبق والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن ان الوارد عليهم اليه لا ينجو منه فهو بمنزلة من يغرق
فيه فلا يصدر عنه وبقوله لا يعودون اليه اي ان من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى فلا يريدون لما اعد
لهم مرة ثانية واكد ذلك الوعيد بالقسم البارد واصل ايم ايمن جمع يمين حذفت النون تخفيفا كما حذفت
في لم يك وقيل هو اسم برأسه وضع للقسم وتحقيقه في مسائل النحو **ومن كلام له عليه السلام**
لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد في
الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه **قوله** الناجذ اقصى
من الناب والضرس وقال الجوهري هو اقصى الاضراس وكلها نواجذ واعلم انه عليه السلام اشار في هذا
الفصل الى انواع اداب الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه السلام ذلك بقوله تزول
الجبال ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة بحذف حرف تقديرها لو زالت الجبال لا تزل وهي نهي عن الزوال
مطلق لان النهي عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم النهي عنه على تقدير اخر بطريق الاولى اذ القصد به المبا
لغة في النهي ثم اردف ذلك بجملة اوامر **احدها** ان يعض على ناجذه وذلك لاستلزام امرين احدهما ربط
الجاش عن الفشل والخوف والانسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فانه اذا
عض على اضراسه سكنت رعدته وتماسك بدنه الثاني ان الضرب مع ذلك في الرأس لا يؤثر فيه كما قال
عليه السلام في موضع اخر عضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام وكان ذلك بما فيه من جمع القوة في
التصلب **الثاني** ان يعير الله جمجمته وهي استعارة لطيفة وتشبيه جمجمته بالالة التي تستعار للانتفاع
بها ثم ترد فالانتفاع [illegible] عليه السلام على هذا الوجه [illegible] بالعارية قال بعض
الشارحين وفي ذلك تنبيه لمحمد عليه السلام على انه لا يقتل في ذلك الحرب اذ ما اعير الله لا بد من رده بكمال
سلامته ففيه تشجيع وتحريض وربط قلبه **الثالث** ان يلزم قدمه الارض ويجعله كالوتد ودونه ما سلف
من امرين احدهما ربط الجاش واستقصاء العزم على الثبات الثاني ان ذلك مظنة الشجاعة وامارة الصبر

على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره **الرابع** ان يرى ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم على ما ذا
يقدم ولينظر حال الحائل او مقاتل المقاتل **الخامس** ان يغض بعد ذلك بصره وذلك لكونه علامة السكينة
والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى برق السيوف مظنة الدهشة وربما خيف على البصر ايضا
والنظر المحمود في الحرب ان يلحظ شزرا فعل الحنق المترصد للفرصة كما قال عليه السلام في غير هذا الموضع
والحظوا الشزر ثم لما نبههم بهذه الامور الجزئية امر ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال تعالى وما النصر الا
من عند الله العزيز الحكيم تنبيها له بانه عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ٥
ويثبت اقدامكم ونحوه **ومن كلام له عليه السلم** لما اظفره الله سبحانه باصحاب الجمل وقد قال له بعض
اصحابه وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك فقال عليه السلم اهوى اخيك
معنا قال نعم فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم
الزمان ويقوى بهم الايمان **اقول** قوله اهوى اخيك معنا محبته وميله وقوله فقد شهدنا حكم بالحضور
بالقوة اي بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته للحضور وكم انسان يحصل لحضور همته وان لم يحضر ببدنه
كثير نفع اما باستجلاب الرجال او بتاثير الهمة في تفريق اعداء الله كما يفعله اولياء الله بحيث يحصل
مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة وان قويت وعظمت قوله ولقد شهدنا في عسكرنا هذا
قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء تاكيد لحضور اخ القائل والاشارة الى من سيوجد من انصار الحق الذا
بين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلام ايضا والشهادة شهادة بالقوة اي انهم موجودون
في ارحام المواد بالقوة ومن كان في قوة ان يحضر من انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود بالفعل في نصرته
لذا اذا وجد قوله سيرعف بهم الزمان استعارة لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان
لوجودهم وفيه شبه للزمان بالانسان وانه سبب وجودهم الى الزمان الذي للاسباب المعدة لقوابل وجو
دهم وبنحوه قول الشاعر وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا وقوله
يقوى بهم الايمان ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم في ذم البصرة واهلها** كنتم جند
المراة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فهربتم اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق
وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كاني
بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي
رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم حتى كاني انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة
وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر **اقول** هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة
خطبها بالبصرة بعد ما فتحها روي انه لما فرغ من امر الحرب لاهل الجمل امر مناديا ينادي في اهل البصرة
ان الصلاة جامعة لثلاثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا تجعلوا على

انفسكم

انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلاته
قام واسند ظهره الى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى
على النبي صلى الله عليه واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة
يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المراة واعوان البهيمة رغا فاجبتم
وعقر فهربتم اخلاقكم دقاق وماؤكم زعاق بلادكم انتن بلاد الله تربة وابعدها من السماء بها
تسعة اعشار الشر المقيم فيها مرتهن بذنبه والخارج منها بعفو الله كاني انظر الى قريتكم هذه وقد طبقها
الماء حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كانه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام الاحنف بن قيس
فقال يا امير المؤمنين متى ذاك قال اذا صارت اجامكم قصورا واعلم ان بعد هذا الفصل
من الخطبة فصولا لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت بفصول اوردها السيد بعد هذا الفصل
وسنذكرها ان شاء الله اصل البصرة الحجارة البيض الرخوة وسميت على المبالغة لوجدان تلك
الحجارة بها وقيل انه بالمربد كثيرا وائتفكت البلدة باهلها انقلبت والمؤتفكة من القرى المنقلبة كما
سنذكره في تمام هذه الخطبة والرغاء صوت الابل خاصة والعقر الجذح والدقاق من كل شيء حقيره و
صغيره والشقاق الخلاف والافتراق والنفاق الخروج من الايمان بالقلب واصله ان اليربوع يتخذ موضعا
من داخل جحره فاذا اتي من قبل بابه وهو القاصعاء ضرب ذلك الموضع براسه فانتفق اي خرج ويسمى
ذلك النافقاء فاشتق لفظ النفاق منه والزعاق المالح وطبقها بالماء اي عمها واتى على جميعها و
جؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطاير واعلم انه عليه السلام ذكر في معرض ذمهم امورا اتى بها على وجوه
ارتكابهم الرذائل **اولها** كونهم اهل المؤتفكة اي ائتفكت باهلها ثلاثا ونعلم ان ائتفاك البلدة باهلها
وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم بذلك عذاب الله وقوله وعلى الله تمام الرابعة دعا عليهم
بايقاع الخسف بهم **الثاني** كونهم جند المراة واراد عايشة فانهم جعلوها عقد نظامهم ولما كانت اقوال
النساء وآراؤهن امورا مذمومة بين العرب وسائر العقلاء لضعف آرائهن ونقصان عقولهن
كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله انهن ناقصات عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان
عقولهن فلان شهادة اثنتين منهن تعدل شهادة رجل واحد لتذكر احداهما الاخرى واما نقصان دينهن
فلان احداهن تقعد في بيتها شطر عمرها اي ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان
ميراثهن على النصف من ميراث الرجال وكان مع ذلك مستشيرهن وتابعهن اضعف رايا
منهن كما تقول ان التابع المستند الى متبوعه والاخر جنس توبيخ لهم بكونهم جندا لها واعوانا **الثالث**
كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل الذي كان يحمل عايشة فان جماعة منهم كانوا يحتفون
به ويحامون لعقره ومنوا اشنع من الاول واوضح في الذم **الرابعة** دقة اخلاقهم واشار بها

الاكونهم على رذايل الخلاق دون حاق الوسط ولما كانت اصول الفضايل الخلقية كما علمت ثلاثة الحكمة
والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوده الاراء المصلحية وهو طرف الافراط من الشجاعة وعلى
طرف وهو الجود وهو طرف الافراط في ملكة العفة والعدالة لاجرم صدق انه على رذايل الاخلاق ودقايقها
الرابع الشقاق في العهود والنكث لها ومصداق ذلك نكثهم لعهده وخلافهم لبيعته وذلك من الغدر
الذي هو رذيلة بازاء ملكة الوفاء الخامس النفاق في الدين ولما كانوا خارجين عن الدين وربما كان
ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق العرفي هو الخارج عن الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك
خطابا لمن كان فيهم بهذه الصفة السادس ما يتعلق بذم بلادهم وهو كون مايهم مالحا وسبب ملوحته
قربه من البحر وامتزاجه به ودخول ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة
به مع كون مايهم سبب الحال المستلزم منه الامراض كثيرة في استعمال تسوء المزاج والبلادة وفساد
الطحال والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء ولان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير
سوادهم السابع كونها انتن بلاد الله تربة وذلك لكثرة ركوب الماء لها وتخضها به الثامن كونها ابعد
بلاد من السماء وسيجيء بيانه التاسع كونها منه اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في ذمها دون
الحصر وذلك انه لما عددها عشرا لا يكاد يجتمع في غيرها حكم بان فيها تسعة اعشار الشر مبالغة في ذمها
عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذايل الخلقية المقابلة لاصول الفضايل النفسانية
التي هي العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدالة اذ كل منها مقابل برذيلتين كما علمت فتلك عشر
رذايل واشبه ما يخرج عنهم منها ما لا يناسب عرضه ههنا ذمهم به وهو التبذير ونحوه هذا الاحتمال
ان كان منطبق الآن بعد العاشر كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم بينهم لا بد وان
يخرط في سلكهم ويستعد لقبول مثل طباعهم وينفعل عن رذايل اخلاقهم وحينئذ يكون مرتهنا بذنوبه
الحادي عشر كون الخارج عنهم متداركا برحمة من الله ربه وذلك لاعانة الله له بالخروج ليسلم من
الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة وكل ذلك في معرض التنفير عنهم والمذكور
من الرواية الثانية وهو قوله المحبوس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه اذ يفهم من قوله
المحبوس فيها بذنبه ان احتباسه بينهم يجري مجرى العقوبة له بذنب سبق منه والخارج منها قد عفا
الله عنه لخروجه وقد راعى في هذا بين القرينتين السجع المتوازي وكذلك في القراين الاربع قبلها ثم اشار
بعد ذلك الى ان بلدهم سيغرقها الماء ونبه نفسه في نفسه بذلك وشاهدته بنور بصيرته القدسية
المحمدية معذرا بالماء وقد طبق ارضهم بالبث فهم كالبث بحيث في الجلاء والظهور وقد حكي انه يخفى الدخول
صلى الله عليه والدعل احوالهم في فصل آخر من هذه الخطبة وذلك انه عقيب ذم اهل البصرة وحوايه للاحنف
في الفصل الذي ذكرناه قال ما دينا لكم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل لاحد من امصار المسلمين

حظ شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله عنه ما ليس لهم انتم اقدم الناس
قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكة وقاريكم اقرأ الناس وزاهدكم ازهد الناس وعابدكم
اعبد الناس وتاجركم اتجر الناس واصدقهم في تجارته ومتصدقكم اكرم الناس صدقة وغنيكم اشد
بذلا وتواضعا وشريفكم احسن الناس خلقا وانتم اكرم الناس جوارا واقلهم تكلفا لما لا يعنيه
واحرصهم على الصلاة في جماعة ثمرتكم اكثر الثمار واموالكم اكثر الاموال وصغاركم اكيس
الاولاد ونساؤكم اقنع النساء واحسنهن تبعلا سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعايشكم
والبحر سببا لكثرة اموالكم فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا وظلا ظليلا غير
ان حكم الله ماض وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله وان من قرية
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا واقسم
لكم يا اهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ الا تذكيرا وموعظة لما بعد لكي لا تسرعوا الى الو
ثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله لنبيه صلوات الله عليه وذكر فان الذكرى تنفع المؤ
منين ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة مني ولا رغبة في
شيء مما قبلكم واني لا اريد المقام بين اظهركم ان شاء الله لامور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني
وبين الله لا عذر لي في تركها ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد ان اخوضها مقبلا ومدبرا فمن اراد
ان ياخذ نصيبه منها فليفعل فلعمري انه للجهاد الصافي صفاه لنا كتاب الله ولا الذي اردت به من
ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لشيء تقدمتموني عليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يوما
وليس معه غيري ان جبرئيل الروح الامين حملني على منكبه الايمن حتى اراني الارض ومن عليها
واعطاني اقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون الى يوم القيامة ولم يكبر ذلك على ابي ادم علمه
الاسماء كلها ولم يعلمها الملائكة المقربين واني رايت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فاذا هي ابعد
الارض من السماء واقربها من الماء وانها لاسرع الارض خرابا واخبثها ترابا واشدها عذابا ولقد خسف
بها في القرون الخالية مرارا وليأتين عليها زمان وان لكم يا اهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء
ليوما عظيما بلاؤه واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثم امور قبل ذلك تدهمكم عظيمة اخفيت عنكم
وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه
وما الله بظلام للعبيد واما تشبيه ما يخرج من شرفات المسجد بجؤجؤ السفينة وفي الرواية الاخرى
كالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة كالطاير في لجة البحر فتشبيهات ظاهرة وقد وقع ذلك الغرق
المخبر عنه فالمنقول انها غرقت مرة في ايام القادر بالله ومرة في ايام القايم بامر الله غرقت باجمعها
وغرق في ضمنها وخربت دورها ولم يبق منها الا اعلى مسجدها الجامع حسب ما اخبر عنه عليه السلام

وان غرقها من قبل بحر فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل الشام فكان ذلك مصداق كلامه عليه السلام
وفي ذلك نظر لانه اشار الى ان ذلك الماء يتفجر من ارضهم فقوله واني لاعرف منفجره من قريتكم هذه ظاهر
ذلك يقتضي انه لا يكون من ناحية اخرى والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في مثل ذلك ارضكم
قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل
وفريسة لصائد **اقول** السفه رذيلة تقابل الحلم وتعود الى الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم
للماكول وفائدة قوله ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء ما حكاه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه
وآله في الفصل المتقدم اما قرب ارضهم من الماء فاشار الى انها موضع هابط مستفل من الارض وقريب
من البحر فهو بصدد ما كان يعلوها بلا فاقة دجلة وذلك مشاهد في دخول الماء حدائقهم وسقيه بساتينهم
في كل يوم مرة او مرتين واما كونها بعيدة من السماء فبحسب انتقالها عن غيرها من الارض وقيل ان من
ابعد موضع في الارض عن السماء الابلة وان ذلك مما دلت عليه الارصاد وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال ٥
بعضهم ان كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وانما الاشارة الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة التي عددها
فيهم كانوا ابعد عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي مستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف
ان يقال فلان بعيد من السماء اذا كان كما ذكرناه ويحتمل ان يراد بالسماء المطر مجازا لان المطر بالبصرة
قليل قوله خفت عقولكم اشارة الى قلة استعدادهم لادراك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن
تدبير احوالهم وتسرعهم الى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم برذيلة الغباوة وقوله وسفهت
حلومكم اشارة الى وصفهم برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم وقوله فانتم غرض لنابل واكلة لآكل
وفريسة لصائد هذه الاوصاف الثلاثة لازمة عن خفة عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها لان
طمع القاصد لهم بانواع الاذى انما نشا من علمه بقلة عقلهم لوجوه المصالح وسفههم فيقصدهم
بحسن تدبيره والاول من هذه الاوصاف كناية عن كونهم مقصدا لمن يريد اذاهم والثاني كناية
عن كونهم في معرض ان يفترسهم من يقصد قتلهم واهلاكهم واستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم
لوجه المشابهة فيها ظاهرة وقد راعى في هذه القرائن السجع فالاولى السجع المطرف وفي الاخيرتين احدهما ٥
والثالث السجع المتوازي **ومن كلام له عليه السلام** فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان
والله لو وجدته قد تزوج به النساء او ملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل
فالجور عليه اضيق **اقول** هذا الفصل من فصول بعده من خطبة له عليه السلام في المدينة لما قتل
عثمان وبويع له وقد ورد فيها تهديد وتهوين واول هذا الفصل من الخطبة الاولى كل قطيعة اقطعها
عثمان او اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق
في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه وسنورد الخطبة بتمامها في احد الفصول التي نحكي فيها الى

ساير

تت ابه واعلم انه اشار اولا الى العزم الجازم المؤكد بالقسم على رد القطائع التي كان عثمان اقطعها
اقاربه ثم نبه المقتطعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم في رد ما اقتطعوه وكفى بسعته
ان اقتضت امره العدل ورود ذلك وعري من المظالم فعليهم ان يدخلوا في مقتضى امر الله وعدله فان فيه سعة
وهو محل لرضا المظلوم بايصال حقه اليه ولرضا الظالم لعلمه بانه عند الانتزاع منه اخذ ما ليس له ولا كد
ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو وان قام شيطانه حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في
محل الرضا فان لم يرض لضيق العدل عليه فالجور عليه اضيق في الدنيا والاخرة لا لانها انتزعت منه
قهرا وكان جورها سببا للتضييق عليه في ذلك ولان الاوامر والنواهي الالهية بحفظه رشاده عليه
وجوه التصرف بالباطل ولانه اذا نزل عليه عدل اعتقد انه اخذ منه ما ينبغي اخذه منه فاذا نزل عليه
جورا اعتقد انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق
من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني والمعنى في الالفاظ التي اوردها من الخطر قريب مما ذكرناه هاهنا
غير ان الضمير في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال واعلم انه قد كان عثمان اقطع جماعة من بني امية
وغيرهم من اصحابه كثيرا من اراضي المال وكذلك فعل عمر مع قوم لهم وقايع مشهورة في الجهاد
وفي سبيل الله ترغيبا في الجهاد لكن لما اختلف عرض الامامين لم يرد علي عليه السلام الا ما اقطعه
عثمان وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول رهينة
وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات
الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة
ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم
وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت
وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شمس حمل
عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها
واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن
قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل قال الرضي رضي الله عنه
وان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وان
حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة
لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقول الا من ضرب في هذه الصناعة بحق
وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون **اقول** هذا الفصل فصول من الخطبة التي
استقصينا اليها في الكلام الذي قبله وكذلك في الذي بعده ونحن نوردها بتمامها ليتضح ذلك **ومن** الخطبة انه

ومن خطبة له عليه ح

حتى محمود بالجد واولاه بالمجد الحمد واحمد صمدا اقام اركان العرش فاشرق لضوء شعاع الشمس
خلق فاتقن واقام فذلت له وطاء المتمكن واشهد الا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالنور الساطع والضياء المنير اكرم خلق الله حسبا واشرفهم
نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بظلمه بل كان يظلم اما بعد فان اول من بغى على الارض عناق ابنة
آدم كان مجلسها من الارض جريبا وكان لها عشرون اصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين فسلط
الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار فكان ذلك في الخلق الاول فقتلها وقد قتل
الجبابرة على اسوأ احوالهم وان الله اهلك فرعون وهامان وقتل قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد
عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه عليه السلام اما والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن
غربلة حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن
سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان
الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار فهم فيها كالحون
الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها فسارت بهم تأودا حتى اذا جاءوا ظلا ظليلا فتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الا وقد سبقني الى هذا الامر من
لم اشركه فيه ومن ليست له منه توبة الا نبي مبعوث ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله اشفى منه على
جرف هار فانهار به في نار جهنم ايها الناس كتاب الله وسنة نبيه لا يرعى مرعى الا خاب نفسه شغل من في الجنة
والنار امامه ساع نجا وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل لقديما
فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل ولئن ردت عليكم اموركم انكم لسعداء وما علي الا
الجهد قد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة لم تكن عندي فيها بمحمودي الراي ولو اشاء ان اقول
لقلت عفا الله عما سلف وسبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همه بطنه ويله لو قص جناحاه
وقطع رأسه كان خيرا له شغل من في الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار
ثلاثة واثنان خمسة وليس فيهم سادس ملك طار بجناحيه ونبي اخذ الله بضبعيه هلك من ادعى
وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة ووسط الطريق المنهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة الا وان
الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة واستتروا ببيوتكم واصلحوا
ذات بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته للحق هلك الا وان كل قطيعة اقطعها عثمان او مال
اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في
البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وقد
دونا هذا الفصل بما قبله لمزج الى التفسير فنقول الذمة الحرمة واللغة ايضا العهد والرهينة

الرهينة

المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والحجز المنع وتقحم في الامر وتقحمه
رمى نفسه فيه والحمية الصفة والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق وغيره والغربلة القتل ايضا وساط
القدر اذا قلب ما فيها من طعام بالمجدح وادارة والوشمة بالشين المعجمة الكلمة ويروى بالمهملة العلامة
والاثر والشمس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والسار والسير الفعل بالثبات والذلول الساكنة
والطموح نكته في العبوس وابن الباطل بكسر الميم كثر وفلان يومي على نفسه اذا كان سعد واقعد لها
واعلم انه اشار اولا في هذا الفصل الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى ونبه على انه وسيلة اليه حسنا
له في ضربه شرطية متصلة وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات في حجزة التقوى عن
تقحم الشبهات وبيان الملازمة ان من اخذت العناية بزمام عقله فاعدته بنور بصيرته لمشاهدة ما
صرحت به آفات الدنيا وكشفته عبرها من تبدل حالاتها وتغيراتها والعقوبات النازلة فيها على من
اوقف عليها همته واتخذها دار اقامته فشاهد ان كل ذلك امور باطلة واظلال زائلة ولا بد ان يفيض
الله على قلبه صورة خشيته وتقواه فيستلزم تلك الخشية لعقوبات النار لاشراق نور الحق الواضح
م على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم عنه هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات الى ما يتوهم
كونه حقا ثابتا باقيا من الامور الفانية الزائلة واللذات الدنيوية الباطلة والوهم يصورها ويشبهها بالحق
ولذلك سميت شبهات والعقل الخارج من اسر الهوى قوي على نقد الحق وتمييزه من الشبهة وانما
عليه اللازم هذه الملازمة رهن ذمته على صحتها وكفالته لصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا
به زعيم واستعمال الرهن هاهنا استعارة كقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة واعلم انه لما نبه
على حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي تعود الى خشية الحق سبحانه المستلزم
للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحية ما دونه وجهه عن جهة المقصد
القصد ولما كان الترك والاعراض هو الزهد الحقيقي كما علمت وكان التقوى وسيلة اليه علمت انه
من اقوى الجواذب الالهية الرادعة عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى بمعنى الخشية من
الله تعالى في اول سورة النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح
الا تتقون وكذلك قوم هود وصالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابراهيم اذ قال لقومه
اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله تزودوا فان خير الزاد التقوى وكذلك في سائر
آيات القرآن وان كان قد حمله بعض المفسرين بانه على الايمان كما في قوله والزمهم كلمة التقوى وتارة على
التوبة كما في قوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله تعالى واتوا البيوت
من ابوابها واتقوا الله اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى وانه يخلص من تقحم الشبهات
نبههم بعد على انهم في الشبهات مغمورون بقوله الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله

نبيه واشار بليتهم الي ما هم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت الآراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الله
عن شبهات يلقيها الشيطان علي الاذهان المقابلة لوسوسته المفتونة في دينه وذلك في اعظم الفتن التي
بها يبتلي الله عباده بقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ومن امور تشبه ما كان الناس
علي حال بعثة الرسول صلى الله عليه وفي ذلك تنبيه لهم علي انهم ليسوا من تقوى الله علي شيء اذا عرفت
ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى وكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم
في البلية كما كانت اقسم بالقسم البار لينزلن بهم مرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء
الباطلة وذكر امورا ثلاثة احسن بها البلية وكنى بها عما يوقع بهم بنو امية وغيرهم من امراء الجور من
الهموم المزعجة وخلط بعضهم ببعض ورفع ارذالهم وحط اكابرهم عن ما يستحق كل من المراتب الثاني
الغربلة وكانها كناية عن التقاط احادهم وقتلهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي
ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بغربلة الدقيق ونحوه ليتميز شيء منه عن شيء ولذلك استعير له لفظها
وفي هاتين القرينتين السجع المتوازي الثالث ان يساطوا كما يساط القدر الى ان يعود اسفلهم
اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ السوط هاهنا مع غايته المذكورة لتعريف ايمة الجور لهم من باب
نعم بانواع الاهانة ويقلب القواعد التي هم عليها في ذلك الوقت ومقرونة من الاول
قوله ولتسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا اشار الي بعض
ما يتفق من تقلب الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون
الي قوم قصروا عن نصرته في مبدأ الامر حين وفاة الرسول صلى الله عليه ثم نصروه في ولايته وقاتلوا
معه في سائر حروبه وبالسابقين الذين يقصرون الي من كانت له في الاسلام سابقة ثم يخذله
وينحرف عنه ويقاتله ويحتمل ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين يسبقون كل من اخذت
العناية الالهية بيده وقادته زمام التوفيق الي الجد في طاعة الله واتباع سائر اوامره والوقوف
عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك وعكسه مولاً من كان في مبدأ الامر مستمرا في سلوك سبيله
ثم جذبته مهواة الهوى عن ما كان عليه وسلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيرا
وانحرافا عنه والاشبه انه اراد سبق
قوله والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلى الله عليه
في هذا المعنى له كلما تعين عليه ان يبوح به وانه لم يكذب قط وهذا القسم تمهيد لما قبله من الاخبار
بما سيكون انه قال ونطيه للابعد اني ما هو ونبئت قوله ولقد نبئت بهذا المقام اي مقام بيعة
الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ما يجب عليهم عن الباطل الى الحق ونبينه انهم
عن اتباعه فيما امرهم بالتقوى نداء اهم ما سيكون عاقبة امرهم في لدوم بليتهم وتورطهم في الشبهات

اردف

اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يقود اليه كل منها قوله
الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار استعار لفظ
الخيل للخطايا ووصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والهيئة المانعة لذي العقل من ركوبها وهي
كونها مع شموسها مخلوعة اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الفرس الشموس التي خلع لجامها لما كانت
ان تتقحم براكبها المهالك وتجري به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة لما جرى به ركوبها على غير نظام
الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر الشرعية وحدود الدين لا جرم كانت غايته من ركوبها لها ان تتقحم
به اعظم موارد الهلاك ومهاوي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة قوله الا وان التقوى مطايا
ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن
الموجب لميل اليها وهو كونها ذللا وبالهيئة التي ينبغي للراكب وهو اخذ الزمام واشار بالازمة الى
حدود الشريعة التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية الذلول من شانها
ان تتحرك براكبها على وفق النظام التي ينبغي ان لا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها
ويسير به نحوه فيصل بها الى مقاصده كذلك التقوى فهو لة طريق السالك الى الله بالتقوى
وراحته عن جموح الهوى به في موارد الهلكة يشبه ذلة المطية وحدود الله التي بها يلزم التقوى
ويستقر عليه يشبه ازمة المطايا التي بها تمانه وكون التقوى موصلا لصاحبه بسلامته الى السعادة
الابدية التي هي اسنى المطالب يشبه غاية تيسير المطي الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة
المحسوس للمعقول ثم لما بين ان هاهنا طريقين مركوبين سلوكين طريق الخطايا وطريق التقوى
نبه على انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل
اهل اي ولكل من طريقي الباطل والحق قوم اعدهم القدر لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح
المحفوظ بقلم القضاء الالهي كما قال الرسول صلى الله عليه وآله كل ميسر لما خلق له قوله
فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل اردف ذلك بما يشبه الاعتذار للفئة
ولاهل الحق في قلته وذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرته اي ان كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك
الوقت ليس بديعا حتى اجهدوا نفسي في الانكار عيا اهله ثم لا يسمعون ولا ينتهون وفي قوله لربما
ولعل تنبيه على ان الحق وان قل فربما يعود كثيرا ثم اردف حرف التقليل ومورثها
بحرف التمني وكان في هذه الاحرف الوحيزة اخبار بقلة الحق ووعد بقوته نوع وعد فتكملة
في جهة المتقين لكثرته قوله ولقل ما ادبر شيء فاقبل استبعاد لرجوع الحق اي الكثرة والقوة
بعد قلته وضعفه على وجه كلي وان زوال الاشياء الا من استلزام لزوال صورة الصورة الحق
عما اقتضت على قلوب وختمت فاستحقوا لقبوله فلذلك الاستعداد في النقصان

موت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح نفوسهم بسببه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق
وتكثر ظلمة الباطل بسبب نقص الاستعداد له وظاهر ان عود الحق واضاءته نوعه بعد ادباره و
اقبال ظلمة الباطل امر بعيد وقل ما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصورة للحق ولعله
يعود بتوفيق مصحح الواح النفوس واصفيا سرته بانوار الحق ويكثر على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق وبعث على القيام به كيلا يضمحل
بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه وبالله التوفيق **متن** شغل من الجنة والنار امامه
ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى
هي الجادة عليها باقي الكتاب واثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من
ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا الا يعرف
قدره ولا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات
بينكم والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه **اقول** قد عرفت كون
هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفحة الجانب والسنخ الاصل
وذات البين حقيقته والخيبة عدم حصول المطلوب واعلم ان تقدير القضية الاولى ان من كانت
النار والجنة امامه فقد حصل له بهما شغل يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل
الا به واشار بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة
وحثت على لزومه الرسل واشار بكون الجنة والنار امامه الى احد امرين احدهما ان يكون
المراد كون الجنة والنار ملاحظين له متذكرا لهما مادة وقته فهما امامه ونصب عينيه
ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان الانسان
من مبدأ عمره الى منتهاه مسافرا الى الله تعالى فهو في انقطاع سفره ولا بد ان ينتهي اما الى
الجنة او الى النار فكانتا امامه في ذلك السفر وغايتين يؤمهما الانسان وينتهي اليهما ولما
كان ابدا في السفر الى غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة
وانما قال شغل بالبناء للمفعول لان المقصود هاهنا ليس الا ذكر الشغل او لانه لما كان
الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة والنار والترغيب في احداهما والترهيب من الاخرى كان
ترك فاعله للتعظيم والاجلال او للجهل به ثم انه لما نبه على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما
قسم الناس بحسب الاشتغال الى ثلاثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب
بطيء رجا ومقصر في النار هوى وحصر الخلق في هذه الاقسام ان الناس بعد الانبياء عليهم السلام اما
طالبون الله تعالى ... او تاركون والطالب اما ان يكون ... لطلبها ... فهم في الوصول

رضوانه او ما يبطئ به والثاني في هذه ثلاثة اقسام لا مزيد عليها وان كان قسم الطالبين على مراتب ودر
جات متفاوتة والقسم الاول هم السابقون بقصب السبق والناجون من عذاب
النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم وهذا
القسم يشمل الانبياء عليهم السلام لولا افرادهم في قسم رابع اذ قسم الخلق في الخطبة الى خمسة اقسام
والثالث المقصر الذي وقف به الشيطان حيث اراد جذبه وحجزه عن سلوك سبيل الله
فاوقعه في موارد الهلاك ومنازل الشقاء وظاهر انه في النار واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير
وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد
واما القسم الثاني فذو وصفين بتجاذبانه من جهتي السفالة والعلو فطلبه للجنة وحركته
وسلوكه الى الجنة انه وان ضعف جاذب له الى جهة العلو ويد الشيطان جاذبة له الى جهة
السفالة الا ان رجاءه لعفو الله ونظره اليه بعين رحمته اذا انضاف الى حركته البطيئة كانت
النغالب عليه اغلب وجهة العلو منه اقرب وينبغي ان نشير الى حقيقة الرجاء ليتضح ما قلناه
فنقول الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها يصدر
عن علم ويقتضي عملا بيان ذلك ان ما تتصوره النفس من محبوب او مكروه فاما ان
يكون موجودا في الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال والاول يسمى ذكرا وتذكرا والثاني
يسمى وجدا لوجدان النفس له في الحال والثالث وهو ان يغلب على ظنك وجود
شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا وتوقعا فان كان مكروها حدث منه
في القلب تالم يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس
وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لا بد وان
يكون لسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان
كان انتظاره مع العلم بانتفاء اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه
غير معلومة الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره اذا عرفت ذلك فاعلم ان
ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الاخرة فالنفس هي الارض وبذرها حب المعارف
الالهية وسقيها بانواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض في تقليبها واعدادها للزراعة
وسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل
الزرع والانبات ... الاجزاء ... ويوم القيامة يوم الحصاد فلا حصاد الا من زرع
ولا زرع الا من بذر ... ينفع الزرع في ارض ... لا ينفع ... مع خبث النفس وسوء
الاخلاق فينبغي ان يقاس رجاء العبد ... صاحب الزرع ... من طلب

أرضا طيبة وبذرها في وقت الزراعة بذرا غير متعفن ولا متآكل ثم أمده بالماء العذب وسائر ما
يحتاج إليه في أوقاته ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته من شوك وتجنح ثم انتظر من فضل الله دفع
الصواعق والآفات المفسدة إلى تمام زرعه وبلوغ غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم
الرجاء إذ كان في مظنته أن يفوز بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر في أرض لم يعلم إلا أنه يبذر في أخرابا
الناس ولم يبادر إليه في أول وقته أو قصر في بعض أسبابه ثم أخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله
في سلامته فهو من جملة الراجين أيضا ومن لم يحصل على بذر في أرض سبخة أو ذات شاغل
عن الإنبات ثم أخذ ينتظر الحصاد كذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء إنما يصدق
على انتظار ما حصلت جميع أسبابه أو أكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا
ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات كذلك حال العبد
إن بذر المعارف الإلهية في أرض نفسه في وقته وهو مقتبل العمر ومبدأ التكليف ودام على سقيه
بالطاعات واجتهد في طهارة نفسه عن شوك الأخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الإيمان وانتظر
من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى زمان وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود
وهو درجة السابقين وإن ألقى بذر الإيمان في نفسه لكنه قصر في بعض أسبابه إما بتطويل في
البذر أو في السقي إلى غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم أخذ ينتظر وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله أن
يبارك له فيه ويعتمد على أنه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه أيضا أنه راج إذ أكثر أسباب
المطلوب التي من جهته حاصلة وهذه درجة القسم الثاني وهو الطالب الراجي المقتصد وإن لم يزرع من
قواعد الإيمان في نفسه شيئا أصلا أو زرع ولم يسقه بماء الطاعة أو ترك نفسه مشغولة بشوك الأخلاق
الردية وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من ربه فذلك الانتظار غرور وليس برجاء
في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في أسباب الزراعة وتحصيل زاد الآخرة الهالك
أسفا يوم الحسرة والندامة يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق
وثاقه أحد وفي المعنى ما قيل إذا أنت لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الله تعالى فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإنما خصص عليه السلام
القسم الثاني بالرجاء إذ كان [illegible] عدته لضعف عمله وقلة الأسباب من جهته وإلى هذه الأقسام الثلاثة
أشار القرآن الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك
هو الفضل الكبير وإن اختلف هذا التقسيم **قوله** اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى
هي الجادة لما قسم الناس إلى سابقين ولاحقين ومقصرين أشار لهم إلى الطريق التي أخذ الله عليهم

سلوكها

سلوكها ونصب لهم عليها أعلام الهدى ليصلوا بها إلى جناب عزته سالمين من تخطفات الشياطين
وتيهها عن طرق الضلال ولما علمت أن طرق السالكين إلى الله إما العلم أو العمل فالعلم طريق القوة
النظرية والعمل طريق القوة العملية وكل منهما محفوف برذيلتين هما طرفا التفريط والإفراط فما علمته
والواسطة بينهما هو العدل والطريق الوسطى هي الجادة الواضحة لمن اهتدى ومن التي عليها باقي الكتاب
الإلهي من المقاصد الجلية وعليها آثار النبوة ومسند السنة أي طريقها ومبدأ وما الذي منه يخرج وإليها
يصير عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة فإن من العدل بذات السنة وانتشرت في الخلق وإليه مرجع
أمورهم أما في الدنيا فلأن نظام أمورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني عليه من القرآن الشريف وإلى تلك القوا
نين والقواعد يرجع في معالجة عواقب أمورهم وعليها يحملون وأما في الآخرة فبالنسبة إليه يتبين خسران
الخاسرين وفوز الفائزين فيحكم لمن سلكه وتمسك به أوقات سفره إلى الله بجنات
النعيم ولمن انحرف عنه وتجاوزه بالعذاب الأليم في نار الجحيم وكل واحد من طرفي التفريط والإفراط
بالنسبة إليه هو المراد باليمين والشمال من ذلك الوسط وهما طريقا المضلة لمن عدل إليهما ومورد
الهلاك لمن سلكهما **قوله** هلك من ادعى وخاب من افترى يحتمل أن يكون المعنى أن دعا
ويحتمل أن يكون إخبارا أي هلك من ادعى ما ليس له أهلا وعنى الهلاك الأخروي وخاب من كذب
أي لم يحصل مطلوبه إذا جعل الكذب وسيلة إليه واعلم أن الدعوى إما أن تكون مطابقة لما في نفس الأمر
أو ليس كذلك والثانية محرمة مطلقا وأما الأولى فإما أن يدعو إليها حاجة أو ليس والقسم الأول
هو المباح فقط دون الثاني وإن حرم هذان القسمان أما الأولى وهي الدعوى غير المطابقة فلأنها تصدر
عن ملكة الكذب تارة وعن الجهل المركب تارة كالجاهل بالأمر المدعي لحصوله عن شبهة تحت
في ذهنه وكلاهما من أكبر الرذائل وأعظم المهلكات في الآخرة وأما الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة
فلأنها لا تكاد تصدر من الإنسان إلا عن رذيلة العجب وستعلم أنه من المهلكات قال رسول الله صلى الله
عليه ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وأما خيبة المفتري فلأن الغرض [illegible]
ما ليس بحق فظاهر أن الكذب لا ثمرة له أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فقد يكون ولا يكون وإن كانت
فهي معرض الزوال ومستلزمة لسخط الله فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها أشد خيبة من عادمها وطالب
الأمور القريبة على كل تقدير خاسر خائب قال بعض الشارحين أراد هلك من ادعى الإمامة
من غير استحقاق وخاب من افترى في دعواه لها لأن كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض فيه بأمر
الخلافة **قوله** من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره
تنبيه على أن المتجرد لإظهار الحق في مقابلة كل باطل ورد آراء الجهال وحملهم على مر الحق
في كل وقت يكون بعض الجهال بآرائهم والشبه إذ لا يقدم منهم من يواليه المطرق ويبغي

دمه ثم اشار الى التنبيه على الجهل فذكر ادنى مراتبه ونبه بها على ان اقل الجهل كاف في الرذيلة فكيف
وذلك قوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره واراد مرتبته في الناس وعدم تصونه لدرجة نفسه
ومنزلتها بالنسبة الى اجادهم وكفى بهذا القدر جهلا فانه منشا كثير من الرذائل المهلكة كالكبر
والعجب وقول الباطل وادعاء الكمال الناقصين وتعدي الطور في اكثر الاحوال كما قال عليه السلام في
موضع اخر رحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين عن الجهل
بقدر ما يتصورونه من وجوب التجرد للحق ونصرته وربما يفهم من الكلمة الاولى تعليم كيفية استجلاب
طباع الجهال ومؤانستهم وهو انه لا ينبغي ان يقابلوا بالحق دفعة ويتجرد في مقابلتهم به على كل وجه
فان ذلك مما يوجب نفارهم وعدم نظام احوالهم بل ينبغي ان يوتوا به على التدريج قليلا
قليلا وربما لم يمكن مؤانستهم بالحق في بعض الامور اما لغموض الحق بالنسبة الى افهامهم او لقوة اعتقا
دهم الباطل في مقابلته فيتخذ عوضا عن ذلك بالحق في صورة الباطل وظاهره وذلك كما ورد في القران
الكريم والسنن النبوية من صفات التجسيم وما لا يجوز ان يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم فان
حمله على ظاهره كما يتصوره جهال الناس امر باطل لكنه لما كانت سبب ايناسهم وجمع قلوبهم
على اعتقاد الصانع وبه نظام امورهم ورد الشرع به قوله لا يهلك على التقوى سنخ
اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين احدهما ان كل اصل بني على التقوى
فمحال ان يهلك او يلحق بانيه خسران كما قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الثاني ان من زرع زرعا اخرويا كالمعارف الالهية في
ارض نفسه مثلا او دنيويا كالاعمال التي بها يقوم مصالح الانسان في الدنيا وسقاها بماء التقوى وجعله
مادتها فانه لا يلحق ذلك الزرع ظماء بل ينبت باقوى ساق وازكى ثمرة واستعار الزرع والاصل كناية
عما ذكرناه قوله فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم قد عرفت
ان هذا الفصل مقدم في الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك وهو مسبوق بالتهديد ووارد في
معرضه ومعنى قوله الا وان الله قد جعل اداب هذه الامة السوط والسيف وليس عند امام فيهما هوادة
اي مصالحة وسكون فاستتروا ببيوتكم ومعناه لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع
للمنافرات والمنافخات والمشاجرات ولذلك اردفه بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة
الفتنة سبب لاصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه للعصاة على الرجوع الى التوبة
عن الجري في ميدان المعصية واتباع الشيطان وكونها وراءه لان الجواذب الالهية اذا اخذت
بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا عنه
من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه يصدق عليه اذن ان التوبة وراءه اي وراء العصاة

وتقوله يلي من قول من قال من المفسرين ان وراءكم يعني امامكم قوله ولا يحمد حامد
الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه تاديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره وانه مبدا كل
نعمة يستحق بها الحمد كما سبقت اليه الاشارة وعلى قصر اللائمة على النفس عند انحرافها عن جهة القبلة
الحقيقية الى متابعة ابليس وقبولها دعوته من غير سلطان والى اصل هاتين الكلمتين اشار القران
الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل حسنة اصابت العبد من
ربه فهي مبدا الحمد والشكر وكل سيئة اصابته من نفسه فهي مبدا اللائمة نفسه فاما قول السيد
رحمه الله ان في هذا الكلام من مواقع الاحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان الى اخره فالاحسان مصدر
قولك احسن الرجل اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام التي اجاد
فيها واحسن ومواقع الاستحسان اما اشارة محاسن كلام العرب اي شيئا من محاسن كلام العرب
وما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازي هذا الكلام ولا يبلغه او يشير بمواقع الاستحسان الى الفكر
من الناس فانها محال الاستحسان اي اذا الاستحسان من صفات المستحسن اي ان الفكر لا يصل
الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به يريد ان تعجب
الفصحاء من حسنه وبدائعه اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وراء
ما يمكنهم التعبير عنه امورا كثيرة فهم يجدونها من انفسهم ان لم يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه
اكثر من اعجابهم من انفسهم بما يقدرون على استخراجه منها او يريد باكثر من عجبهم به اي
اكثر من عجبهم له وميلهم اليه وباقي كلامه ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
في صفة من يتصدى من الامة للحكم وليس لذلك باهل ان ابغض الخلائق الى الله رجلان رجل
وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة
لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا
غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة غاد في اغباش الفتنة عم بما في عقد
الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر
حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما
التبس على غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به فهو من لبس
الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ ان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ
وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض
على العلم بضرس قاطع يذرو الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملي والله باصدار ما ورد عليه لا يحسب
العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم

من جهالته تفرح من جود قضاياه الا ما وقع منه المواريث الى الاقوام من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا سلعة انفق بيعا ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر **اقول** وكله الى نفسه جعله متوكلا عليها والجائر العادل عن الطريق وفلان مشغوف بكذا بالعين المعجمة اذا بلغ حبه له الى شغاف قلبه وهو غلافه وبغير المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهي عند معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والمجموع قماش والموضع بفتح الضاد المطروح وبكسرها المتدرع والغار الغافل واغباش الليل ظلمته وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل وروي اغطاش الفتنة والغطش ايضا الظلمة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وارتبهم الام تعرف والرث الضعيف البالي وعشوة الطريق بضوء النار اذا بينته على ضعيف والهشيم اليابس من نبت الارض المتكسر والعج رفع الصوت والبائر الفاسد واعلم انه اخذ اولا في التنفير عن الرجلين المشار اليهما بذكر انهما من ابغض الخلق الى الله تعالى ولما كانت ارادة الله للشيء ومحبته له عبارة الى علمه بكونه على وفق النظام الكلي التام للعالم كانت كراهيته وبغضه له عبارة الى علمه بكونه على ضد مصلحة العالم وخارجا عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة **فقوله** رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان لاحد الرجلين وتمييز له وذكر له اوصافا **الاول** انه وكله الله الى نفسه اي جعله متوكلا عليها دونه واعلم ان التوكل مأخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده واذا عرفت ذلك فنقول من اعتقد جزما او ظنا بان نفسه او احدا غير الله تعالى ممن ينسب اليه التاثير والقدرة هو المتمكن من الفعل وانه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض على قلبه صورة الاعتماد على المعتقد فيه والتوكل عليه فيما يريد وذلك معنى قوله وكله الله الى نفسه وكذلك معنى الوكول الى الدنيا وذلك بحسب اعتقاد الانسان ان المال والاسباب الدنيوية وافية بمطالبه وتحصيلها مغنية له عما وراءها وبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله تعالى للعبد ومحبته له وبعده وقربه منه فلن يخلص اذن العبد من بغضه [illegible] [illegible] المتكلمين كونها اعظم مقام [illegible] [illegible] العظيم [illegible] [illegible]

تعالى

تعالى اليها وصورة التوكل عليه ان يثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم ان استناد جميع الاسباب والمسببات اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق تام العلم والقدرة على كفاية العباد وانه تام العطف والرحمة والعناية بخلقه بحيث لا يكون وراء قدرته وعلمه ورحمته وعنايته ولم يبق في نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فانك في الحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه والرضا من التوكل على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة الوهم على النفس في معارضته لذلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وزيادتها ونقصانها يكون تفاوت درجات التوكل على الله **الثاني** كونه جائرا عن قصد السبيل اي عن قصد سبيل الله العدل وصراطه المستقيم وقد علمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدل **الثالث** كونه مشغوفا بكلام بدعة اي معجبا بما يخطر له ويبتدعه من الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعو به الناس الى الضلالة والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان من حاد عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد انه على سواء فكان ما يتخيله من ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزما لمحبته قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **الرابع** كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبته القول الباطل والدعوة الى الضلالة سبب لكونه فتنة لمن اتبعه **الخامس** كونه ضالا عن هدي من كان قبله وهذا الوصف كالثاني فان الضال عن الهدي حائر عن قصد السبيل الا ان ههنا زيادة اذ الجائر عن القصد قد يجور ويضل حيث لا هدي يتبعه والموصوف ههنا جائر وضال مع وجود هدي قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام هداه الحاملون لدينه الناطقون النبوة وذلك ابلغ في الاثم والذم ووجوب عقوبته **السادس** كونه مضلا لمن اهتدى به في حياته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لاضلاله غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اهتدى به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال في حياته وبعد موته لبقاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه فهي سبب ضلال الضالين بعده **السابع** كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله لاوزار من يضله انما هو بسبب اضلاله له **الثامن** كونه رهنا بخطيئته اي موثوقا بها عن الصعود الى حضرة جلال الله [illegible] القرآن الكريم [illegible] [illegible] الذين يضلونهم بغير علم [illegible] [illegible] [illegible]

الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولما دخل احد من الناس النار ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وجنده بل المعنى ان الرئيس
المضل اذا وضع سيئة تكون فتنة للناس وضلالا لهم لم تصدر تلك السيئة الا عن نفس قد استولى
عليها الجهل المركب المضاد لليقين وصار ملكته من ملكاتها فيسود لوحها به عن قبول الانوار
الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين الرحمة بحيث يكون الحجاب في القوة والشدة اضعاف
حجب التابعين له والمقتدين به الناشية عن فتنته فان تلك الحجب الطارية على قلوب التابعين
مستندة الى ذلك الحجاب ومتواصلة بها فلا جرم يكون وزره وسيئته فوق اوزار اتباعه وسيئاتهم
التي حصلت بسبب اضلاله لاكل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم
اي بعض اوزارهم وهي الحاصلة بسبب المضلين وقال الواحدي ان من في هذه الآية
ليست للتبعيض بل لبيان الجنس والا لخف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك يناقض قوله
صلى الله عليه من غير ان ينقص من اوزارهم شيء دلت هذا وان كان حسنا الا ان الالزام الذي
ذكره غير لازم على كونها للتبعيض لان القايل بكونها كذلك يقول ان المراد ويحملوا اوزارهم بعض امثال
اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم واذا فهمت ذلك في جانب فافهم مثله في جانب
الحسنات ومثاله الواضع لحسنة وهدى يهتدي به انما يصدر عن نفس ذات صفاء واشراق
جعل نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت به وتلك السنة انما هو ذرة من
جملة انوارها الفايضة عنها اقتبسها فكان في النفس المتبوعة من الاستكمال بنور
الله الذي هو رأس كل هداية ما هو فوق جميع الانوار المقتبسة عن تلك السنة ومثل لها
فكان لها من الاجر والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان في اجر التابعين وهداهم
الحاصل لهم والى مثل هذا المعنى الاشارة الواردة في الخبر ان حسنات الظالم تنقل الى ديوان
المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فانك علمت ان السيئة والحسنة اعراض
لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما يقال
انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من سيئات المظلوم الى هذا الظالم حصول
امثالها في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم حصول امثالها في قلبه وذلك لان
الطاعة انما تؤثر في النفس بالتنوير والمعاصي تؤثر بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة يتحقق مناسبة
النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة و
الظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مولدة بين الميث هذه بتوسط
الصفا والنور الذي يحدث في النفس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة

التي تحدث فيها وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات وقال ولا تبطلوا اعمالكم وقال صلى الله عليه اتبع السيئة الحسنة تمحها
والآلام ممحصات للذنوب ولذلك قال صلى الله عليه ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي
تصيبه رجله وقال الحسنات كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب
ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه احبط طاعته والمظلوم يتألم ويكسر
شهوته ويستكين قلبه ويرجع الى الله تعالى فتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع
الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى
قلب الظالم وذلك انتقال على سبيل الاستعارة كما علمت ويقال انتقل ضوء الشمس من
مكان الى مكان وقد يلخص من هذا التقدير ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان الظالم
هي استعداد ذاته لقبول الرحمة والتنوير الحاصل له بسبب ظلم الظالم والسيئات المنقولة
من ديوان المظلوم الى الظالم هي استعداد ذاته بالحجب والقسوة عن قبول انوار الله والثواب
والعقاب الحاصلان لهما هو ما استعدا له من تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل
وحمل الظالم اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصاير الا في
يوم القيامة لاجرم خصص بيوم القيامة وانما قال خطأ لا وزن فقال لبيان لغة والتكثير اي انه
كثيرا ما يجمل خطاء غيره واما الرجل الثاني فميزه بعشرين وصفا ا كونه قمش جهلا
وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس للجمع المعقول ب كونه موضعا في جهال الامة سطرها
ليس من اشراف الناس ويفهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين وان عممه وغيره
ج كونه غاديا في اغباش الفتنة اي ساعيا في اوائل ظلماتها وروي غار اي غافل في ظلمات
الخصومات لا يهتدي الى وجه تخليصها د كونه اعمى البصيرة بما في عقد الصلح والمسالمة بين
الناس من نظام امورهم ومصالح العالم فهو جاهل بوجوه المصالح مثير للفتن بينهم ه كونه
قد سماه اشباه الناس عالما وليس بعالم والواو للحال واشباه الناس الجهال واهل الضلال
وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة الجسمية دون الصورة النفسانية التي هي كمال العلم
والاخلاق و كونه بكر فاستكثر من جمع المال ما قل منه خير مما كثر وروي من جمع
منونا وغير منون اما مع التنوين فالجملة بعده صفة له وليست المصدر ومن جمع غير منون بينهم
الجمع مضاف الى من مجرور ويحتمل ان يكون المقصر نحو المصدر نفسه واما مع الاضافة فقيل ان
جملة فكانه تحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثل ما بعدها حتى تكون ما الاولى من المضاف اليها والثانية
مع المبتدأ والمتقدم من جمع ما الذي قل منه خير مما كثر الكن انما كان اظهار الثانية

يشبه التكرار ويوجب هجنة في الكلام وكانت ما الواحد تغطي المعنى عن المقدمة كان حذفها اولى
وقيل ان المقدر المحذوف ان على طريقة قولهم ان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اى من جمع ما ان
قل منه خير مما كثر وعنى بالتكثير الى الاستكثار من جمع الشبهات والاراء التي قليلها خير
من كثيرها و باطلها اكثر من حقها ك كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير
طائل جلس بين الناس قاضيا ولما كان الآجن صفة للماء والضلالات النفسانية التي هي العلوم
كثيرا ما يعبر عنها بالماء الصافي والزلال وكان الجهل والآراء التي حصل عليها لجمعها مع العلم جامع
الاعتقاد لهي والعلم واضلال تحت جنس الاعتقاد وتميز الجهل بوصف الفاسد كان الماء
الآجن اشبه ما يستعار لتلك الآراء التي ليست بنقية ولا سديدة فهي تشبه الماء الآجن الذي
لا غناء فيه للشارب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غاية المشاد اليها من ذلك
الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا كح كونه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره اي
واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا المشكلة وضامنا حالا ثانيا او صفة
للاول كط كونه اذا نزل به احدى القضايا المبهمة الملتبسة وجه فصلها هيأ لها
حشوا ضعيفا من رأيه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذي لا طائل تحته وليس حلا لتلك
المبهمة ل كونه من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت مثل للامور الواهية ووجه التمثيل
ان الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة بكثرة فيلتبس
على ذهنه وجه الحق فيها فلا يهتدي له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوهي تشبه نسج العنكبوت
وذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه وكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت
لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع في الشبهات لا يخلص وجه الحق منها لغلبة غفلته
وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص لا انه لا يدري اصاب فيما حكم به ام اخطأ فان اصاب خوف
الخطأ ورجاء الاصابة من لوازم الحكم مع عدم الدراية لب كونه جاهلا خباط جهلات و
الجهلات جمع جهلة فعلة من الجهل وقد تقدم بيان ان وزن فعال يبني للفاعل من الامور المعتادة
التي يكثر فعلها وذكر الجهل ههنا زيادة ومعنى كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط
الاغلاط التي تقع منه في القضايا والاحكام فيمشي فيها على غير طريق حق من القوانين الشرعية
[illegible] لج كونه عاشيا ركاب عشوات [illegible] نور الحق في
ظلمات الشبهات [illegible] لنقصان ضوء بصيرته [illegible] فيها على ما يحصل [illegible]
[illegible]
[illegible]

طرق

طرق الدين من غير ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقها فانه تارة يكون
نور الحق في المسألة ظاهرا فيدركه وتارة يغلب عليه ظلمات الشبهات فيعمى عليه الموارد والمصادر
فيمشي في الظلمة خابطا ومن القصد جائرا لد كونه لم يعض على العلم بضرس قاطع كناية
عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض على العلم بضرس
اذا لم يحكمه واصله ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه فمثل به من لم يحكم ما يدخل فيه من
الامور له كونه يذري الروايات اذراء الريح الهشيم ووجه التشبيه ان الريح لما كانت تذري
الهشيم وهو ما تكسر من نبت الارض ويبس فتخرجه عن حد الانتفاع به كذلك المتصفح
للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يقف على رواية
بعد اخرى ويمر عليها من غير فائدة لو انه غير ملي باصدار ما يرد عليه اشارة الى انه ليس
بقوي على اصدار الاجوبة عما يرد عليه من المسائل فهو فقير منها لز كونه لا يحسب العلم في شيء مما
انكره يقال فلان لا يحسب فلانا في شيء اي لا يعده شيئا ويعتبره خاليا
من الكمال والفضيلة والمراد انه ينكر العلم كما يرى ما انكره فهو لا يعده شيئا ولا يفرده بالحساب
والاعتبار من جملة ما انكره وعنى العلم الحقيقي الذي ينبغي ان يطلب ويجتهد في تحصيله الا ما يعتقد
الموصوف علما فيسهله وجمعه فان كثيرا من الجهال ممن يدعي العلم بفن من الفنون قد ينكر
غيره من سائر الفنون ويشنع على متعلميه ومتعلمه كاكثر الناقلين للاحكام الفقهية والمتصدين
للفتوى والقضاء بين الخلق في زماننا وما قبله فانهم ينكرون في انكار العلوم العقلية ويفتون
بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن ان احدهم لا يستحق ان يسمى فقيها الا ان
يكون ما اخذه من العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول عليه السلام واثبات النبوة التي لا يقوم شيء
من الاحكام الفقهية التي يدعون انها كل العلم الا بعد ثبوتها وروى بعض حسب بكر اليس من الجنان
وهو الظن اي لا يظن العلم فضيلة تجب اعتقادها واعتبارها فهو مما انكره لح كونه لا يرى
ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اي انه اذا غلب على ظنه حكما في القضية جزم به وربما كان الغير
المكلف فوق اظهر من قوله لبعض دليل فلا يعتبره ويمضي على ما بلغ فهمه اليه لط كونه ان اظلم
عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما يراعي قضاة السوء وعلماء السوء ما يشكل
عليهم امره من المسائل التغافل عن سماعها اذا وردت عليهم لئلا يظهر جهلهم بين اهل الفضل
مراعاة لحفظ المنصب م كونه [illegible] من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث
[illegible]
[illegible]

ع د

نطق الدماء والمواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة ان الصراخ والعجيج
لما كانا انما يصدران عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة بالاحكام
الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالشكاية والتظلم لا جرم حسنت استعارة اللفظين ههنا
ثم بعد ان خص الرجلين المذكورين بما ذكر فيهما من الاوصاف المفردة على سبيل التفصيل اردف ذلك
التشكي عنهما على سبيل الجملة بما لهما وغيرهما من الجهال من التشكي والتأوّه وذلك قوله الى ٣
الله من معشر اي الى الله اشكوا كما مرّ في بعض النسخ او الى الله ابرأ وذكر اوصافا
سيئة والبقاء على الجهل والغبش فيه واراد بالغبش الحياة وقابله بذكر الموت **وقوله** يموتون
ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا **وقوله** ليس فيهم سلعة ابور من
الكتاب اذا تلي حق تلاوته الى اخره اي اذا فسر الكتاب وحمل على الوجه الذي انزل اعتقدوه فاسدا
واطّرحوه بجهلهم عن درجة الاعتبار على ذلك الوجه واذا حرّف عن مواضعه ومقاصده ونزل على
حسب مقاصدهم شروه على ذلك الوجه باغلى ثمن وكان انفق السلع بينهم واستعار له لفظ السلعة
ووجه المشابهة ظاهر ومثل ذلك مثل الجهل ولذلك ليس عندهم انكر من المعروف وذلك انه لما
خالف اغراضهم ومقاصدهم اطّرحوه حتى صار منكرا يستقبحون فعله ولا اعرف من المنكر
لموافقته اغراضهم ومحبتهم له لذلك واعلم انه عليه السلام قسم الناس في موضع آخر الى ثلثة اقسام عالم ومتعلم
وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان المشار اليهما بالاوصاف المذكورة ههنا ليسا من القسم الاول
لكونهما على طرف الجهل المضاد للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما وكون
الهمج تابعين كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم الاوسط وهم المتعلمون اذا عرفت ذلك فنقول
المراد بالمتعلم هو من ترفّع عن درجة الهمج من طلب العلم واكتسب ذهنه شيئا من الاعتقادات عن
مخالطة من اشتهر بسمة العلم ومطالعة الكتب ونحو ذلك ولم ينته الى درجة العلماء الذين يقتدرون
على التصرف والقيام بالحجة فاعتقاداته حينئذ اما ان تكون مطابقة كلها او بعضها او غير
مطابقة اصلا وعلى التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه لشيء من المناصب الدينية كالفتوى والقضا
ونحوهما او يتصدى لذلك فهذه اقسام ستة احدها من اعتقد اعتقادا مطابقا ولم يعرّض نفسه لشيء
من المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه للافادة الثالث من اعتقد
جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا وعرّض نفسه لها الخامس من اعتقد جهلا
وغير جهل ولم ينصب نفسه للافادة السادس من كان اعتقاده كذلك ونصب نفسه لها والقسم
الاول وحده هو الخارج عن هذين الرجلين باوصافهما والثاني والرابع والسادس [illegible]
المذكوران فالاول منهما في ترتيبه عليه السلام هو من نصب نفسه لشيء من مناصب الافادة دون معرفة

القضا والثاني هو من نصب نفسه لها وانما بالغ في ذمهما ونسبتهما الى الجهل والضلال وان كان بعض
اعتقاداتهما حقا لكون القدر الذي حصلا عليه مغمورا في ظلمة الجهل فضلالهما واضلالهما اغلب
وانت راب ظل عنهما اكثر واما القسم الثالث والخامس فضالان فيمن تبرأ الى الله منهم وذ
مهم اخبر بالغبش في الجهل والموت على الضلال ونحوه والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام**
في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية
بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا
والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه
ام انزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى
ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب
من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه
ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به **اقول** الانيق الحسن المعجب وفي هذا الكلام تصريح
بانه عليه السلام كان يرى الحق في جهة وانه ليس كل مجتهد مصيبا وهذه المسئلة مما انتشر الخلاف فيها بين علماء
اصول الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب اذا راعى شرايط الاجتهاد وان الحق بالنسبة الى كل واحد
من المجتهدين ما ادى اليه اجتهاده وغلب على ظنه فجاز ان يكون في جهتين او جهات وعليه الامام الغزالي رحمه الله
وجماعة من الاصوليين ومنهم من ينكر ذلك ويرى ان الحق في جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة
وجماعة من غيرهم وربما فصّل بعضهم والمسئلة مستقصاة في اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم
القضية الى قوله فيصوب اراءهم جميعا بيان لصورة حالهم التي ينكرها **وقوله** والههم واحد وكتابهم واحد
ونبيهم واحد شروع في دليل بطلان ما يرونه وهذه هي المقدمة الصغرى من قياس الضمير وتقدير الكبرى
وكل قوم كانوا كذلك فلا يجوز لهم ان يختلفوا في حكم شرعي **وقوله** افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى
اخره حجة في تقرير المقدمة الكبرى اذ الصغرى مسلمة وتقريرها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطا
عوه فيه او بنهي منه عصي فيه او بسكوت منه عن الامرين وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينه
والحاجة الى ذلك اما ان تكون مع نقصانه او مع تمامه وتقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول فذلك
الاختلاف انما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكون اتماما لذلك النقصان او على وجه اتم من ذلك
وصح لهم شركاء في الدين فعليه ان يرضى بما يقولون ولهم ان يقولوا والشقان [illegible] ذلك فرض وجوه
[illegible] الاحتمالات الثلثة الاخيرة باطلة [illegible] استقر وجوه الحاجة الى الاختلاف والاقسام
كلها باطلة [illegible] اما بطلان الاول فلان مستند الدين هو كتاب الله تعالى

ومعلوم انه يصدق بعضه بعضاً وانه لا اختلاف فيه فلا يتعجب عنه من الاقوال والاحكام الا ما يكون كذلك
ولا شي من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج انه لا شي مما استند الى كتاب الله تعالى بقوله لم فلا يكون اقوالهم من الدين
واما بطلان القسم الثاني فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف ولنهي
عنه عن الدليل واما بطلان الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله
وانزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء واما الرابع والخامس فظاهر البطلان فلا يمكنهم دعواهما فلذلك لم يورد
في بطلانهما حجة ثم اردف ذلك بتنبيههم على ان الكتاب وافٍ بجميع المطالب اذا تدبروا معناه ولاحظوا
اسراره وتطلعوا على غوامضه فيحرم عليهم ان يشرعوا الى قول ما لم يستند اليه وذلك في قوله ظاهره انيق
حسن معجب بانواع البيان واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر اسراره الا اولوا الالباب
ومن ايده الله بحكمة وفصل خطاب ولا تفنى الامور المعجبة منه ولا تنقضي النكت الغريبة فيه على توارد
صوارم الاذهان وخواطف البصائر ولا تنكشف ظلمات الشبه الناشية من ظلمة الجهل الا بسواطع انواره
ولوامع اسراره وقد اتى في هذه القراين الاربع السجع المتوازي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
خاطب به الاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في كلامه عليه السلام شيء اعترضه الاشعث فقال
يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله
ولعنة اللاعنين حائك بن حائك منافق بن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى
فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وان امرءاً دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري
ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد قال السيد اراد بقوله دل على قومه السيف ما جرى
له مع خالد بن الوليد باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف
النار وهو اسم للغادر عندهم **اقول** الكلام الذي اعترضه الاشعث انه عليه السلام كان في خطبة يذكر
امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد
فصفق فوجد الاشعث بذلك شبهة في تركه عليه السلام وجه المصلحة واتباع الآراء الباطلة واراد اخجاله
فقال هذه عليك لا لك وجهل او تجاهل ان وجه المصلحة قد يترك مع فطنه على امره عليه السلام هذا
جزاء من ترك الحزم فظن الاشعث انه اراد هذا جزاي فقال الكلمة الحتف بالتاء الهلاك
وروي بالياء وهو الميل والمقت البغض **قوله** وما يدريك ما علي مما لي اشارة الى انه جاهل وليس
للجاهل ان يعترض عليه وهو استاذ العلماء بعد رسول الله صلى الله عليه واما استحقاقه اللعن فليس
لمجرد اعتراضه ولا لكونه ابن كافر بل لكونه مع ذلك من المنافقين بشهادته عليه السلام والمنافق يستحق
اللعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعالى اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
قوله حائك ابن حائك استعارة اشار بها الى نقصان عقله وقلة استعداده لوضع الاشياء

في مواضعها وتاكيد لعدم اهليته للاعتراض اذ الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك لان ذهن الحايك
عامة وقته متوجه الى صنعته مصبوب الفكر الى اوضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها
يحتاج الى حركة رجليه ويديه وبالجملة فالمشاهد له يعلم من حاله انه مشغول الفكر عما وراء ما هو فيه
فهو ابله فيما عداه وقيل ان مخالطة الحايك ومخالطته لضعفاء العقل من النساء والصبيان
ومن كانت معاملته هؤلاء فلا شك في ضعف رايه وقلة عقليته للامور روى الصادق جعفر بن
محمد عليهما السلام انه قال عقل اربعين معلماً عقل حايك وعقل حايك عقل امراة والمراة لا عقل لها
وعن موسى بن جعفر عليه السلام انه قال لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم
وذلك محمول على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل انما عيّره بهذه الصنعة لانها صنعة دنية تستلزم
صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذايل الاخلاق فانها مظنة الكذب والخيانة وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دفع الى حايك من بني النجار غزلاً لينسج له ثوباً فكان يمطله ويأتيه عليه السلام متقاضياً
ويقف على بابه فيقول ردوا علينا ثوباً نتجمل به في الناس ولم يزل يمطله حتى توفي رسول الله
صلى الله عليه وقد علمت ان الكذب راس النفاق ومن كانت لوازم هذه الصنعة اخلاقه فليس
له ان يعترض في مثل هذا المقام وقد اختلف في الاشعث هل كان حايكاً او ليس فروى قوم انه كان
هو وابوه ينسجان برود اليمن وقال آخرون ان الاشعث لم يكن حايكاً فانه كان من ابناء ملوك
كندة واكابرها وانما عيّره بذلك لانه كان اذا مشى يحرك منكبيه ويفحج بين رجليه وهذه المشية تعرف
بالحياكة يقال حاك يحيك حيكاً وحيكاناً وحياكة فهو حايك اذا مشى تلك المشية
وامراة حايكة اذا تبخترت في مشيتها والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة كنى بها عن
نقصان عقله كما سبق اولاً واما قوله والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة
منهما مالك ولا حسبك تاكيد لنقصان عقله واشارة الى انه لو كان له عقل لما حصل فيما حصل
فيه من الاسر مرتين فما فداه اي ما نجاه من الوقوع في واحدة منهما ماله ولا حسبه ولم يرد الفداء بعد
الاسر فان الاشعث فدي في الجاهلية وذلك ان مراداً لما قتلت اباه خرج ثائراً طالباً بدمه فاسر
ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير ووفد على النبي صلى الله عليه في سبعين رجلاً من كندة فاسلم على
يديه وذلك الاسر هو مراده عليه السلام باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتد بحضرموت ومنع اهلها تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث اليه
زياد بن لبيد بعد رجوعه منهم وقد كان عاملاً قبل ذلك على حضرموت ثم اردفه بعكرمة بن
ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبايل كندة قتالاً شديداً فوقايع
كثيرة وكانت الدايرة عليه فالتجأ بقومه الى حصنهم فحصرهم زياد حصراً شديداً وبلغ بهم الجهد

العطش فبعث الاشعث الي زياد يطلب منه الامان لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته انه لم يطلب
لنفسه بالتعيين فلما نزل اشرع وبعث به مقيدا الي المدينة فسال ابا بكران يستبقيه لحربه ويزوجه
اخته ام فروة ففعل ذلك ابوبكر وهذا يدل على عدم مراعاته لقواعد الدين مما روي انه بعد خروجه
من مجلس عقده بام فروة اصلت سيفه في ازقة المدينة وعقر كل بعير راه وذبح كل شاة
استقبلها للناس والتجا الي دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل جانب وقالوا قد ارتد
الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح وقال يا اهل المدينة اني غريب ببلدكم وقد اولمت
بما نحرت وذبحت فليأكل كل انسان منكم ما وجده وليغدو الي من كان له علي حق حتى ارضيه
وفعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا واوقد فيها بسبب تلك الجهالة فضرب اهل المدينة
به المثل وقالوا اولم الاشعث وفيه قال الشاعر لقد اولم الكندي يوم ملاكه وليمة حمال
لثقل العظايم **قوله** وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب
ولا يامنه الابعد اشارة الي غدره بقومه وذلك انه لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير
من وجوه قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فسكنوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن
فلما خرج الاشعث ومن طلب الامان له من قومه دخل زياد الي الحصن فقتل المقاتلة صبرا
فذكروه الامان فقال لهم ان الاشعث لم يطلب الامان الا لعشر من قومه فقتل من قتل منهم ثم
وافاه كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى قوله عليه السلام دل على قومه السيف
وساق اليهم الحتف اي قادهم الي الحرب واسلمهم للقتل ولا شك ان من كان كذلك فحقيق
ان يمقته قومه ولا يامنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رحمه الله انه اراد به حديثا كان للاشعث مع
خالد بن الوليد باليمامة وانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف على شي من ذلك في وقايع
خالد باليمامة وحسن الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في وقعة لم اقف على
اصلها واعلم انه عليه السلام في هذا الموضع الفصل بجميع الرذايل النفسانية فنبه على الجهل والنفاق
الذي هو طرف التفريط من الحكمة بالحياكة التي هي مظنة لقلة العقل واشار الي الفجور الذي
هو طرف الافراط من رذيلة العفة بكونه منافقا وكونه ابن كافر تاكيد لنسبة النفاق اليه واشار
الي القتل وقلة التثبت التي هي طرف التفريط والافراط من فضيلة الشجاعة بكونه قد اسر مرتين
وكما انه فيما اشار اليه في ذلك ففيه ايضا اشارة الي نقصان عقله كما قلناه واشار الي الظلم والغدر
الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة العدل بقوله وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف
وما يستجمع هذه الرذايل كان مستحقا للعن واما استعارتهم له عرف النار فلان العرف
عبارة عن كل عال مرتفع والاعراف في القران الكريم سور بين الجنة والنار ولما كان العذر

المستلزم النار طبا عا له صار كالعلم على النار القايد لمن اتبعه اليها كالعرف من الجبال التي هي اعلام
الطرق فاستعير له لفظه ويحتمل لما كان من شان كل مرتفع عال ان يستر ما وراءه
وكان الغادر يتربكره وحيلته امورا كثيرة وكان هو قد غر قومه بالباطل وغدر بهم صدق عليه توجه
الاستعارة لفظ عرف النار لستره عنهم ما وراءه من نار الحرب اونار الاخرة اذ حملهم على الباطل والله
اعلم **ومن خطبة له عليه السلام** فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم
واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم
ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد
رسل السماء الا البشر **اقول** الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا فزع
وروي هلعتم والهلع افحش الجزع واعلم ان الانسان ما دام متلبسا بجلباب البدن فانه محجوب
بالحجب البدنية والمعارضات الوهمية والخيالية عن مشاهدة انوار عالم الغيب والشهوة والملكوت
وتلك الحجاب امور قابلة للزيادة والنقصان والقوة والضعف والناس فيه على مراتب فاعظمهم حجبا
اشدهم واكثفهم حجبا بالالف ولكن استعار ايه القران الكريم مثلا في حجبهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الاية مثل الكفار الذي كدخل وقع في بحر
لجي صفته كذلك واشار بالبحر اللجي الي الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والموج الاول موج الشهوات
الداعيه الي الصفات البهيمية والحري ان يكون هذا الموج ادخل لكنه الذي يغشى وغيتهم والموج
الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة فبالحري
ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر
مستولي على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات الفاسدة
التي صارت حجابا للبصيرة الكافرة عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب
واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض واخفهم حجابا وارقهم حجابا فهم الذين
بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقالة الواح نفوسهم والقاء حجب الغفلة
والشهوات والهيئات البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف الالهية وسالت الي اودية قلوبهم مياه الجود
الرباني المفيض لكل قابل ما يقبله فهولاء وان كانوا قد بلغوا الغاية من الجهد في رفع الحجب وغسل درن الباطل
عن الواح نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان وفي اعطية من هياتها وحجب من استارها كالضعف
سيحتجب ارقبت دون تلك الاغشية وما بين هاتين الرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متفاوتة
في الاحتجاب متفاوتة بحسب تفاوت النفوس في الاستعداد بادراك العلوم وقبول الانتقاش بالمعارف الالهية
والتوقف على استعداد الذهن وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى وان

مثل الاوزار ونحوها وان يخلص الانسان من شوائب هذه الحجب وظلمها الا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه وحينئذ تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فيكون مشاهدا بعين اليقين
ما اعدّ لها من خير وما هيّئ لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب
البدن مانع لها من مشاهدة تلك الامور حقيقة وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة المكلية
كما في حق كثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع يكون كالمشاهدة الا انها ليست هذه حقيقية خالصة
اذ لا تنفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال صلى الله عليه حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بلْه ما اطلعتم عليه اي دع ما اطلعتم عليه وهو اشارة الى طور
المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم
في حياتهم الدنيا عين اليقين واما ما ادرك من دون ذلك من تلك الامور فما كان منها موكدا بالبرهان بعد امكان
النقيض فهو علم اليقين وقد يختص علم اليقين في عرف الصوفية بما تميل النفس الى التصديق به ويغلب
عليها وتستولي حتى تصير نحو المحكم المتصرف فيها بالتحريض والمنع فيقال لفلان ضعيف اليقين بالموت
اذا لم يعتن بالاستعداد له فكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه فيه شك وقوي اليقين به اذا غلب ذلك
على قلبه حتى استغرق همته بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين
من مات قبلكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبّه فيها على ان وراءهم من اهوال الآخرة وعذابها مما
شاهده من سبق منهم الى الآخرة ما لا يشاهدونه الآن بعين اليقين وان علموه يقينا وبيّن فيها ان لزوم
جزعهم وفزعهم وسمعهم وطاعتهم لداعي الله على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وهذه الملازمة
مما شهد البرهان بصحتها وآيات التنزيل الالهي الى حقيقتها وذلك قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون وذلك مقتضى مشاهدتهم لاهوال الآخرة وفزعهم وجزعهم من تلك المشاهدة فيجيبهم
لسان العزة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير
قوله لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا استثناء للمقدم نقيض تالي هذه المتصلة اذ حجب تلك الاهوال
عن ابصارهم مستلزم لعدم فزعهم وجزعهم ومنعه في صورة اعتذارهم نطق به لسان حالهم قوله وقريب ما
يطرح الحجاب ما مصدرية في موضع رفع بالابتداء وقريب خبر ومعناه الى نحو مرتضى [illegible] في
صورة التهديد لهم ان جعلوا ذلك الحجاب عمدة في التقصير عن العمل فانه قليل يرفع حجب الابدان عن
[illegible] ما اعطيتها عن ابصار النفوس فتشاهد هذه الجحيم وقد برزت
[illegible]
[illegible]
[illegible] الحجاب

المانع

المانع من مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب وان كان قائما الآن وستر تلك الامور عنكم فقد بُصّرتم
بها واوضحت لكم بالعبر والآيات على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم انباءها في الكتب الالهية والسنن
النبوية وهديتم عليها بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت لكم كالمعلومة عيانا لا تشكون فيها فلا عذر
اذن بالحجاب وتخصيص السمع والبصر بالذكر لانهما الآلتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الآخرة وارشاد
بالهداية الى حفظ العقل من غير نظر الى الآلة ونبه بايراد اذا شرطية في المواضع الثلاثة على انه يحذر الشك في ابصا
رهم بما بصروا به وسماعهم لما اسمعوا واهتدائهم بما هدوا وكل ذلك تنفير لهم عن القرار على الغفلة وتنبيه على
الفرار الى الله في طرق الاعتبار قوله بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر لما قدم
انهم بصروا واسمعوا اردف ذلك بتبيين ما بصروا به واسمعوا اي ما بصروا به مجاهرة العبر بالمصائب النوا
زلة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا به بالزجر بما فيه مزدجر وهي النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات
الهائلة والعقوبات الحاضرة التي في اقلها ازدجار لذوي الالباب كما قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر
حكمة بالغة فما تغني النذر قوله وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس في الامكان
وراء ما جذبتم به الى الله تعالى على السنة رسله طريق اخرى تدعون بها اذ ما يمكن دعوتكم به من الوعد والوعيد
والامثال والتذكير بالعبر الاجمع لقوم حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضاحه لكم مشا
فهة الا على السنة الرسل البشر عليهم السلام فلا يمكن ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي
الملائكة الا هم فينبغي ان يكون ذلك امرا كافيا لكم في الالتفات الى الله ومن خطبة له عليه السلام

فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم قال
السيد رضي الله عنه واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله بكل كلام لمال به راجحا وبرّز عليه سابقا
فاما قوله عليه السلام تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة
وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظيم قدرها وشرف جوهرها اقول
لا شك ان هذه الكلمات الست قد جمعت مع وجازة الالفاظ جزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة
والحكمة البالغة وهي اربع كلمات الاول ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من وجود الخلق ان يكونوا
عبادا لله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى
جناب عزته والطيران الى حظائر القدس باجنحة الكمال مع الملائكة المقربين كان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة
منه المقصودة له والمامور بالتوجه اليها بوجه الحقيقي فان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الباقية الصغرى وهي ضرورة الموت فاما كونها وراءهم فان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكانت
العادة في الهارب من الشي الذي يكون وراءه مهروب منه وكان الموت متاخرا عن وجود الانسان ولاحقا له آخرا ولحوقا
طبيعيا عقليا اشبه المهروب منه من المتاخر اللاحق هربا وتاخرا ولحوقا حسيّا فلا جرم استعير له لفظ الجهة
المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي لما كان من شانه سوق الابل بالحداء وكان الموت غاية سابقة
للواصل اليها اشبهت الحادي فاستعير وصفه لها   تذكر الموت وسماع نواديه مقلق مزعج
للنفوس الى الاستعداد لامور الاخرة والاهبة للقاء الله سبحانه فهو حاملها على قطع عقبات طريق الاخرة كما يحمل
الحادي الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة لا جرم اشبه الحادي فاسند الحداء اليه **الثالثة** قوله تخففوا تلحقوا
ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر واجب وكان السابق الى الغاية من ذلك السفر هو
الفائز برضوان الله وقد علمت ان التخفف وقطع العلائق في الاسفار سبب للسبق والفوز بلحوق
السابقين لا جرم امرهم بالتخفف لغاية اللحوق في كلمتين فالاولى منها قوله تخففوا وكنى بهذا الامر عن
الزهد الحقيقي الذي هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه وهو عبارة عن صرف كل شاغل عن التوجه
الى القبلة الحقيقية والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها ومحبة كل ما سوى الحق الاول عن مستن الايثار
فان ذلك تخفيف لاثقال الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار الموجبة لحلول دار البوار وهي
كناية باللفظ المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله تلحقوا وهو جزاء الشرط اي ان تخففوا
تلحقوا والمراد تلحقوا بدرجات السابقين الذين هم اولياء الله والواصلون الى ساحل عزته وملازمة هذه
الشرطية قد علمت بيانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا قصور من جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب
الوصول الى الله كما سبق فاذا استعدت النفس بالاعراض عما سوى الحق سبحانه وتوجهت الى استشراق
انوار كبريائه فلا بد ان تفاض عليها ما تقبل من الصور النافعة فيلحق بدرجة السابقين ويتصل باجل
العزة في مقام امين **الرابعة** قوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيامة الكبرى للذين
ماتوا اولا وصول الباقين وموتهم وتحقيق ذلك الانتظار انه لما كان نظر العناية الالهية الى الخلق نظرا
واحدا والمطلوب منهم واحدا وهو الوصول الى جانب عزة الله الذي هو غايتهم اشبه طلب العناية
الالهية وصول الخلق الى غايتهم انتظار الانسان لقوم يريد حضور جميعهم وترقبه اوايلهم وصول اواخرهم
فاطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعارة والمشهور هنا صورة انتظار لوصولهم جعل ذلك
حثا لهم على التخفف وقطع العلائق ولا شك ان المعقول الاول للالباب من ذلك الانتظار دعاء
لهم الى اتباع التوجه بوجوههم الى الله والاعراض عما سواه فهذا ما حضرني من اسرار هذه الكلم
الحسن وكفى بكلام السيد رحمه الله بيانا لفضلها وتنبيها على عظم قدرها وقد استعار لفظ النطفة وهي
الماء الصافي للحكمة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الا وان الشيطان قد ذمر حزبه و

استجلب

ورجع

واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويعود الباطل الى نصابه والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم
نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كان ولوه
دوني فما التبعة الا قبلهم وان اعظم حجتهم لعلى انفسهم يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت
يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى
به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثتهم الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول
لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني **اقول**
اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه
زيادة ونقصان وقد اورد السيد بعضه فيما قبل والا ان قدمته في خطبته على سبب التكرار والاختلاف بالزيادة دة
ونحن نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه
ايها الناس ان الله افترض الجهاد وعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين الا به وقد جمع
الشيطان حزبه واستجلب جلبه ومن اطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رايت امورا قد تمخضت
والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه وان
كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم لعلى انفسهم ولا
اعتذر مما فعلت ولا تبرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها
الحمأ والحمة طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعودن الباطل في نصابه يا خيبة الداعي من دعا لو
قيل ما انكر من ذلك وما امامه وفيمن سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما
اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج والله ما تاب من قتلوه قبل موته ولا تنصل من خطيئته وما اعتذر
اليهم فعذروه ولا دعا فنصروه وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون حسوة
ابدا وانها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم فان تابوا وقبلوا واجابوا وانابوا
فالتوبة مبذولة والحق مقبول وليس على كفيل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من
باطل وناصرا للمؤمنين ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها والله ان الزبير وطلحة وعايشة ليعلمون اني على
الحق وهم مبطلون ذمر حثّ وحرّض وسدّد اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم تجمع وتؤلف
وتمخضت تحركت والنصف بكسر النون وسكون الصاد النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة
ما يتبع الانسان من درك والحمأ بفتح الحاء وسكون الميم بقية الارتضاع التي لا يستطيعها وضرعها والحمة
السواد وقيل ما تركته وابتلاه الناس وغوايتهم والجلبة الاصوات وجونتها بالضم سوادها وانكفت
تكففت واستكففت اي استدارت وزاح وازاح تنحى والنصاب الاصل والمنصل من الذنب
تبرأ منه والعب الشرب من غير مص والحسوة بضم الحاء قدر ما يحسى مرة والجلاد المضاربة

بالسيف والهبول الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلام نبه اولا على فضل الجهاد لان غرضه استنفارهم لقتال اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله والكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم ونحوه ثم اردفه بذكر تفضيل الله تعالى له وذلك كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ثم بذكر ان الله جعله نفسه له ناصرا وذلك كقوله ان تنصروا الله ينصركم والمراد لنصرة دين الله وعباده الصالحين اذ هو الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين وظهير ثم بالقسم الصادق انه ما صلحت دنيا ولا دين الا به اما صلاح الدنيا به فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ومقاومته اهل الغلبة لخربت الارض والبلاد كما قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين فظاهر انه انما يكون لحماية اعداء دين الله الساعين في هدم قواعده فاما قوله وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه فقد سبق بيانه وقوله ليعود دينه وسننه وخدعه فظاهر ان غاية سعي الشيطان من وسوسته تمكينه من الخداع وعود المذاهب الباطلة كما كانت قبل الرسول صلى الله عليه ودينه طريقته وكل ذلك تنفير للسامعين عما عليه من خالفه وجذب لهم الى الحرب قوله وقد رايت امورا قد تمخضت اشارة الى تعيين ما يستنفرهم اليه وتلك الامور هي ما يحتج به من مخالفة القوم واهبتهم لقتاله والفتن المستقبلة قوله ووالله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا اشارة الى انكاره ما ادعوه منكرا وتبرئه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه فانكروا اولا انكارهم عليه تخليته عن عثمان الذي زعموا انه منكر ولما لم يكن منكرا لم يستلزم ذلك كان الانكار عليه هو المنكر واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا الى انهم لو وضعوا العدل بينهم وبينه لظهر ان دعواهم باطلة وقوله وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه اشارة الى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركاء فيه روى ابو جعفر الطبري في تاريخه ان عليا عليه السلام كان في ماله بخيبر لما حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة في داره فبعث عثمان اليه يشكو امر طلحة فقال عليه السلام انا اكفيكه فانطلق الى دار طلحة وهي مملوة بالناس فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذي صنعت بعثمان فقال طلحة يا ابا الحسن ابعد ان مس الحزام الطبيين فانصرف علي الى بيت المال فتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب [illegible] على الناس [illegible] طلحة حتى بقي وحده [illegible] عثمان [illegible] [illegible] [illegible]

حمون الف فقال له طلحة يوما قد نهبنا مالك فاقبضه فقال هو لك معونة على مروتك فلما حصر عثمان قال علي عليه السلام لطلحة انشدك الله الا كففت عن عثمان فقال لا والله حتى يعطي بنو امية الحق من انفسها فكان علي يقول بعد ذلك لحى الله ابن الصعبة اعطاه عثمان ما اعطى وفعل به ما فعل وروي ان الزبير لما برز لعلي يوم الجمل قال له ما حملك يا عبد الله على ما صنعت قال اطلب بدم عثمان فقال له انت وطلحة وليتماه وانما توبتك من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته وبالجملة فدخولهم في دم عثمان ظاهر وهذه مقدمة من الحجة عليهم وقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم تمام الحجة وتقريرها انهم دخلوا في دم عثمان وكل من دخل فيه فاما بالشركة او بالاستقلال وعلى التقديرين فليس لهم ان يطلبوا بدمه واشار الى القسم الاول بقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه اي على تقدير كونهم شركائي في ذلك فعليهم ان يبدأوا بتسليم انفسهم الى اوليائه واشار الى الثاني بقوله وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وقوله وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة استعار لفظتي اللفظتين لاسقاط الناس واراذلهم الذين جمعوا لقتاله ووجه الاستعارة مشابهتهم حمأ الدابة وما اسود منها في قلة المنفعة والخير وقوله طالت جلبتها اي ارتفعت اصواتها وهي كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم وتوعدهم بالقتال وقوله وانكفت جونتها اي استدار سوادها واجتمع وهو كناية ايضا عن تجمع جماعتهم لما يقصدون وقوله يرتضعون اما قد فطمت استعار لفظ الام لنفسه عليه السلام او للخلافة من المال لبيها والمسلمين اولادها المرتضعون وكنى بارتضاعهم لها وقد فطمت عن الثامهم منه عليه السلام من الصلات والتفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم به ويفضل بعضهم على بعض ومنعه لهم من ذلك وقوله ويحيون بدعة قد اميتت اشارة الى ذلك التفضيل فانه كان بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسنة الشيخ الاول والبدعة مقابلة للسنة واماتتها تركه عليه السلام لذلك في ولايته وقوله يعودون الباطل الى نصابه توعدهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية واستنفاد للسامعين للقتال وقوله يا خيبة الداعي من دعا خرج التعجب من عظيم خيبة الدعاة الى قتاله ومن دعا والى ما اجيب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوين لقتاله والناصرين اذ كانوا اعراما الناس ورعاعهم وللمدعو اليه وهو الباطل الذي دعوا لنصرته وقوله لو قيل له [illegible] من ذلك وما [illegible] [illegible] الارواح الباطل من [illegible] [illegible] [illegible]

به ويكون الاستعارة في لفظ الانقطاع للسلوك او مجازا في العبارة عن الباطل والتكلم به اي انقطع
الجواب **وقوله** وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نح الجملة عطف على قوله وانقطع لسانه
وواضح مبتدا وفيه خبره والجملة في موضع النصب مفعول ثاني لاظن اي وما اظن لو سال السايل
عن ذلك ان الطريق الذي يرتكبه المجيب له فيه مجال بين وسلك واضح حيث سلك بل كيف
تلوجه في الجواب انقطع **وقوله** والله ما بال من قتلوه الى قوله فتصرفه اشارة الى عثمان
وذم لهم من جهة طلبهم بدم من اعتذر اليهم قبل موته فلم يعذروه ودعاهم الى نصرته في حصاره فلم ينصروه
مع تمكنهم من ذلك **وقوله** وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه ثم لا يصدرون عنه بري
وقد تقدم تفسيره **وقوله** لا يعبون حسوا ابدا كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا الامر او شي
منه كما يقول لحمك في في والله لا تذوق منه لقمة ولا تشرب منه جرعة **وقوله** وانها الطيبة
نفس نحجة الله عليهم وعلمه فيهم نفس منصوب بدلا من الضمير المتصل بان او باضمار فعل تفسيرا
له وحجة اشارة الى اوامر الصادرة بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وكذلك كل امر الله او نهي عصي فيه فهو حجة له وكل
حجة للحق ونحجة لله اي اني ناهض بقيام حجة الله عليهم وعلمه بما يصنعون واني رضي الله فان
اثم وطيبة نفسي اعظم من كونه لازما للحق وكون قضيته على الباطل خارجا عن طاعة الله ومقوا العام
على كل نفس بما كسبت **وقوله** واني داعيهم فمعذر الى قوله وناصرا للمؤمنين واضح بين
وقوله وليس على كفيل اي لا احتاج فيما ابذله لهم من الصلح والامان على تقدير انابتهم الى صاحب
وشاف وناصرا منصوبان على التمييز **وقوله** ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها الواو للحال
اي انهم ان لم يرجعوا اعطيتهم حد السيف والملايكة الكرام الكاتبون الذين يعلمون ما تفعلون يكتب
كل منهم اعمال من وكل به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيامة **وقوله** ومن العجب بعثهم
الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد تعجب من تهددهم له بذلك مع علمهم بحاله في الشجاعة والحرب
والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء والتعجب منهم **وقوله** هبلتهم الهبول اي ثكلتهم الثواكل
وهي من الكلمات التي تدعوا بها العرب **وقوله** ولقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب
بالضرب اي من حيث كنت انا كذلك **وقوله** واني على يقين من ربي وفي غير شبهة من امري
تاكيد لقوته على الحرب واقدامه على الجلاد وجذب لقلوب السامعين الى الثقة بانهم على بينة
من الله وبصيرة في متابعته على القتال والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصر له ثابت عن دينه
عادل عن غيره الى الشبه الباطلة في وجه يقينه يكون اشد صبرا واقوى جلادا واثبت في المكاره
ممن لا يكون كذلك فيتقدم على القتال بشبهة عقلت على عين بصيرته او ميل له الى الدنيا

وما طلبها قادة الى ذنب وبالله التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة

تم الجزء الاول من هذا الكتاب
ويتلوه في الثاني ان شاء الله تعالى ومن خطبة له عليه السلام فان الامر ينزل من السماء الى الارض
كقطر المطر وكان الفراغ من كتابته عند الزوال يوم الاحد الرابع والعشرين
من شهر شعبان المبارك لسنة تسع وثمانين وسبعمائة على يد العبد الضعيف
المحتاج الى الله الغني ... محمد بن الحسن الحوثاني
العاملي عفى الله عنه وعن والديه وعن الداعي له بالعفو والغفران
وذلك بالحلة السيفية بالمدرسة الزينية المجاورة لحرم مولانا
وسيدنا وامامنا الامام المفترض الطاعة على كافة الانام
محمد بن الحسن صاحب الزمان صلوات الله عليه
وعلى ابائه الطاهرين المعصومين
وسلم كثيرا والحمد لله
اولا واخرا وظاهرا
وباطنا ...

وكانت النسخة التي كتبت منها قد لحقها بلل كثيرة الطمس وهي بخطوط شتى وبعضها بخط
المصنف مقلبة الاوراق والكراريس فما قدرت على قراءته كتبته وما لم اقدر عليه اخليته
بياضا في عدة مواضع وانا من ورايه طالبه وتصحيحه ان شاء الله وبالله التوفيق

المجلد الثاني

من كتاب مصباح السالكين شرح

نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلم

تصنيف الشيخ العلامة قدوة

المحققين وقطب السالكين ميثم بن علي بن ميثم البحراني قدس الله

نفسه وطهر رمسه وحشره مع ائمة الطاهرين بمنه وفضله

من كتب عبد عبد امير المؤمنين وابنه الرسول صلوات الله عليه

محمد عبد الحسين الحاي او ... عنهما

ومن ذلك باصفهان ... من رمضان من سنة ...

سدالكا قال السلطان ... ماكاره امير الموصلي جل الله بصره وعدله

قد انتقل بالبيع الشرعي الى الامير ... محمد علي بن ...

قد انتقل بالبيع الصحيح الشرعي الى العبد ... نظام ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ومن خطبة له عليه السلام أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر
إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنة فإن المسلم ما لم
يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزة من قداحه توجب
له المغنم ويرفع عنه بها المغرم وكذلك المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين إما داعي الله فما عند الله خير له
وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما
الله لأقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنه من
يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء أيها الناس
إنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم وهم أعظم الناس حيطة من ورائه
وألمهم لشعثه وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه
غيره **أقول** الغفيرة الكثرة والزيادة وروي عفوة بكسر العين وعفوة كل شيء صفوته ويغرى يغرى بالإغراء إذا ولع به
وأغريته به إذا حثثته له والفوز فيه والفالج الفائز والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح سهام الميسر
التي يلعب بها والتعذير إظهار العذر ممن لا عذر له في الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته والمعاشرون له والحيطة بالكسر
الحفظ والرعاية واللم الجمع والشعث تفرق الأمور وانتشارها واعلم أن مدار هذا الفصل على تأديب الفقراء بترك الحسد ونحوه
وعلى تأديب الأغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل من المال وتمهيد جمعه ثانيا **وقوله** أما بعد فإن الأمر ينزل
إلى قوله أو نقصان صدر الخطبة أورده ليبني عليه غرضه وحاصل الإشارة إلى أن كل ما يحدث من زيادة أو نقصان ويتجدد مما يكون
به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة أو مال أو علم أو جاه أو أهل فإنه صادر عن القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء
الإلهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كل شيء والمراد بالأمر حكم القدرة الإلهية على الممكنات بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى كن
في قوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ونسبته حصوله إلى كل نفس بما قسم لها وهي النسبة المسماة بالقدر في قوله تعالى وإن من
شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الإلهي وبالأرض عالم الكون والفساد على سبيل استعارة
هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين ووجه الاستعارة في الموضعين مشاركة المعنيين المذكورين السماء
والأرض في معنى العلو والاستفال كل بالنسبة إلى الآخر وإنما لم تكن الحقيقة مرادة لأن الأمر النازل ليس له جهة هي مبدأ نزوله
ولإمكان الأمر في جهة تعالى الله عن ذلك ويحتمل أن يراد حقيقة السماء والأرض على معنى أن الحركات الفلكية لما كانت شرائط
معدة تصدر بواسطتها ما يحدث في الأرض كانت السماء مبادئ على بعض الوجوه لنزول الأمر فأما تشبيهه بقطر المطر فوجه
الشبه أن حصول الرزق والأشياء وخصوصها لكل نفس وقسمها منها مختلف بالزيادة والنقصان كما أن قطر المطر بالقياس إلى كل
واحدة من البقاع كذلك وهو تشبيه المعقول بالمحسوس **وقوله** فإذا رأى أحدكم لأخيه المسلم غفيرة في أهل أو مال
أو نفس فلا تكونن له فتنة شرع في تأديب من حصل في حقه النقصان في أحد الأمور المذكورة بالنهي عن الافتتان بحال
من حصلت له الزيادة أو المنافسة في أحدها من المال والأهل أو النفس وقال بعض الشارحين أنه أراد بالنهي عن الفتنة
هنا النهي عن الحسد والتحقيق أنه نهى عن الفتنة التي هي الضلال عن الحق بمحبة أمور من الأمور الباطلة والاشتغال

الواجب

الواجب من سلوك سبيل الله ولما كان حال الفقراء من أحد الأمور المذكورة بالنسبة إلى من عرضت له الزيادة في أحدها أنهم من يوقع
نفسه لطلب الزيادة فيرى أنه أحق بها ممن عرضت له فيعرض له أن يحسده أو يرى أنه يستحق مثلها فيعرض له أن يغبطه ومنهم من
يقصر نفسه عن ذلك لكنه يميل بطبعه إلى خدمة من حصلت له الزيادة وينجذب بكليته إليه وهو الأكثر ككثير من الفقراء الذين تميل
طباعهم إلى خدمة الأغنياء ويخلصون السعي لهم ليس لأمر سوى ما حصلوا عليه من مال أو جاه أو نحو ذلك ولعل أكثر الغاية فيه
توهم الانتفاع ببعض ما حصلوا عليه وكانت هذه الأمور ونحوها أعني الحسد والغبطة والميل إليهم لأجل ما حصلوا عليه من الزيادة في أحد
الأمور المذكورة من رذائل الأخلاق شاغلة عن التوجه إلى الله تعالى ومضلة عن سواء السبيل كان النهي عنه في الحقيقة نهيا عن الضلال
عن الحق إلى ما ذكرناه وهو المراد بلفظ الفتنة هنا **وقوله** فإن المرء المسلم إلى قوله ومعه دينه وحسبه **أقول** اعلم أن هذا الفصل
إن كان من معنى اللذة وكالفالج خبر إن وتظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع إن حملنا الخشوع على المعنى اللغوي وهو غض الطرف
مثلا والتطامن كان عطفا على تظهر وإن حملناه على المعنى العرفي وهو الخضوع لله والخشية منه فالفاء للابتداء والياسر صفة للفالج
وإذا عرفت هذا فاعلم أنه عليه السلام نهى عن الفتنة بأحد الأمور المذكورة والشغل بها لما كان ينبه على فضيلة الاستعفاف
عنها قصد على كونها دنيا بقوله ما لم يغش دناءة عقب بالتنفير عن الدناءة والترغيب في التنزه عنها بما ذكر ومعناه أن المسلم
مهما لم يرتكب أمرا خسيسا يظهر عنه فيكتسب نفسه خلقا رديا ويلازمه بارتكابه الخجل بين الخلق إذا ذكر والحياء من
التعيير به وتغري به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله وقيل في هتك ستره به فإنه يشبه الفالج الياسر هذا إن حملنا الخشوع
على معناه اللغوي وإن حملناه على المعنى العرفي الشرعي كان المراد أنه ما لم يغش دناءة فيخشع لها أي بل يخشع لله ويخضع
عند ذكرها ويفزع إليه خشية من الوقوع في مثلها وخوفا من وعيده على المعاصي يكون كالياسر الفالج ويكون قوله ويغري به
لئام الناس عطفا على تظهر مؤخرا فأما التشبيه من هذه صفته بالياسر الفالج فلنشير أولا إلى كيفية اللعب المسمى ميسرا
لتتضح به وجه التشبيه فنقول المنقول أن الخشبات المسماة قداحا هي التي كانت لأيسار الجزور سبعة أولها
الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض واحد وثانيها التوأم وفيه فرضان وثالثها الرقيب بالضاد المعجمة وفيه ثلاثة فروض
ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل عن ابن فارس في المجمل الحلس بفتح الحاء وكسر اللام وفيه أربعة فروض وخامسها
النافس وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وفيه ستة فروض وسابعها المعلى وله سبعة فروض وليس بعده قدح
في هذه الفروض إلا أنهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة أخرى تسمى أوغادا لا فروض فيها وإنما تثقل بها القداح وأسماؤها
الفتة ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فإذا اجتمع أيسار الحي أخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه أو علمه بعلامة ثم
الجزور فنحر ثم أخذ صاحبها فقسمها عشرة أجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاء والكتفين
ثم يعمدون إلى الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الأجزاء بالسوية فإذا استوت وبقي منها عظم أو بضعة لحم انتظر به
الجازر من أراد وممن يفوز قدحه فإن أخذه عير به والأفهو للجازر ثم يؤتى برجل معروف أنه لم يأكل لحما قط فيجيب أنه
لا يحتسبه عند غيره ويسمى الحرضة فيجعل على يديه ثوب ويعصب ... بعد ... كيلا يحس الفروض ثم
يرفع إليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع إليه قدحا قدحا من غير أن ينظر إليها فمن خرج قدحه أخذ
أجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه
ما ثمن الجزور من حر ماله وكان أوفى لصاحب الجزور الذي نحرها فإن اتفق أن خرج المعلى أولا فأخذ صاحبه سبعة

اجزاء الجزور ثم خرج النبيل فلم يجد صاحبه الاثلاثة اجزاء اخذها وعزم بها من لم يفز فيخرجه ثلاثة اجزاء من جزور اخرى وانما القداح الاربعة
الاوغاد فليس في خروج احدها غنم ولا في عدم خروجه غرم والمنقول عن الاجداد انهم كانوا يجعلون ثمن الجزور على
الفسم فيعدونه للضايفة اذا عرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه هو ما ذكره عليه السلام وذلك ان الفايز الياسر الذي
ينتظر قبل فوزه بمن قداحه اوجب له من فوز المغنم ونفى عنه المغرم كذلك المسلم البري من الخيانة الضابط لنفسه عن
ارتكاب مناهي الله لما كان لا بد له في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته ان يفوز باحدى الحسنيين وهي اما
يدعو الله اليه بالقبض عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله مما اعده لاوليائه الابرار خير له فيفوز اذن بالنعيم المقيم
ولما كان فوزه مستلزما لعدم غرمه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه ويحتمل
ان يريد باحدى الحسنيين الموت بالجواذب الالهية والخواطر الربانية التي تسنح له فتجذبه الى طرف الزهد الحقيقي والالتفات
عن خسائس هذه الدار الى ما وعد به المتقون واما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فيصبح وقد جمع الله له بين المال والبنين مع
حفظ الحسب والدين فيفوز الفوز العظيم ويأمن العقاب الاليم فالتشبيه ايضا هاهنا واقع موقعه وكلا الوجهين
افضل عند العاقل من الفتنة بالغير والالتفات عن الله تعالى وتدنيس لوح النفس برذايل الاخلاق من الحسد ونحوه وكما
ان هذا الفصل مستلزم للنهي عن الحسد ونحوه من الفتن المضلة كذلك هو مستلزم للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار
رحمته **وقوله** ان المال والبنين حرث الدنيا الى قوله لاقوام **اقول** لما نهى عما سبق من التشبيه وعين ان
تارك الرذايل المذكورة ونحوها المنتظر للحسنى من الله فايز اردف ذلك بالتنبيه على تحقير المقتنيات التي ينشأ من التنافس
فيها الرذايل المذكورة فذكر اعظمها واهمها عند الناس وهو المال والبنون فانهما اعظم الاسباب الموجبة لصلاح الحال
في الحياة الدنيا واشرف المطالب الحاضرة كما قال تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا ونبه على تحقيرهما بالنسبة الى
العمل الصالح بكونهما حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة والمقدمة الاولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير تقديره كلما
حرث الدنيا حقير عند حرث الآخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى العمل الصالح حرث الآخرة وقد بينا ههنا
المقدمة الثانية ان حرث الآخرة هو العمل الصالح فاذن المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح اما المقدمة الاولى
فظاهرة اذ لا حصول للمال والبنين في غير الدنيا واما بيان الثانية فمن وجهين احدهما قوله تعالى وما متاع الحياة الدنيا
في الآخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلة الكمية بل المراد حقارته بالنسبة الى متاع الآخرة ولذتها الثاني ان حرث الدنيا
من الامور الفانية وحرث الآخرة من الامور الباقية الموجبة للسعادة الابدية والفانيات الطالحات ظاهرة الحقارة بالنسبة
الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين
بقوله وقد يجمعهما الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل عليه وذلك ان الجمع بين حرث الدنيا والآخرة
لما كان في طباع كل عاقل طلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من عباده ذكر عليه السلام
ليفزع الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها وهو التقرب الى الله تعالى بوجوه الوسايل والاعراض عما الهى
عنه من الحسد ونحوه ثم لتأكيد ذلك الجذب بالتحذير مما حذر الله من نفسه والامر بالخشية الصادقة البريئة من
التعذير المستلزمة لترك محارمه ولزوم حدوده الجاذبة الى الزهد الحقيقي ثم اردف ذلك بالامر بالعمل الصالح مع البراءة من
الرياء والسمعة وهو اشارة الى العبادة الخالصة المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وق

في علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة كيف يوصلان الى السعادة التامة الابدية **وقوله** فانه من يعمل لغير الله يكله الله
الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء والسمعة في العمل فان العامل للرياء والسمعة قاصد ان يراه الناس ويسمعوا بحاله ليعود اليه
منهم ما يتوقعه من مال او جاه ونحوه من الاعراض الباطلة والاعراض الزايلة وقد علمت ان التفات النفس الى شيء من ذلك شاغل
لها من تلقي رحمة الله والاستعداد لها محجوبة عن قبول فضله ولما كان هو سبب الاسباب ومنتهى سلسلة الممكنات لا جرم
انكشف المطالب من غيره فجرى به التهديد بالوكول الى من سواه ممن عمل له العاملون لاستلزامه الخيبة والحرمان
وحسر المعاملون الا له وخاب المتوكلون الا عليه وقد سبق منا بيان كون العامل لغير الله موكولا الى نفسه والى من
عمل له في الفصل الذي ذم فيه عليه السلام من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله **وقوله** نسأل الله منازل الشهداء
ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء لما كانت همته عليه السلام مقصورة على طلب السعادة الاخروية طلب هذه المراتب الثلث
وذلك جذب للسامعين للاقتداء به في طلبها والعمل لها وبدأ عليه السلام بطلب اسهل المراتب الثلث للانسان وختم باعظمها
فان من حكم له بالشهادة فغايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته ان يكون في زمرة الانبياء وفيه الحمد وهذا هو الترتيب اللايق
من المؤدب الحاذق فان المرتبة العالية لا تنال دفعة دون نيل ما هو ادون منها **قوله** ايها الناس الى قوله يورثه
غيره **اقول** لما اشار الى تاديب الفقراء عن التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه اردف
ذلك بتاديب الاغنياء واستدراجهم في حق الفقراء ذوي الارحام واهل القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالايثار بالمواساة
بالمال والمعونة لم يستقم شمل المصلحة من الطرفين فاستدرجهم بامرين احدهما بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا
اصحاب ثروة فان الرجل لا يستغني بماله عن اعوان له يذبون عنه بايديهم صولة صايل ويدفعون عنه بالسنتهم مسبة
قايل من المعلوم ان اشد الناس حاجة الى الاعوان والاصحاب والمساعدين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى الملوك
والمشبهين بهم من ارباب الاموال واحق الناس بعد الاستغناء عنهم عشيرة الرجل واصحابه فانهم اعظم الناس شفقة
عليه واشدهم دفاعا عنه وحفظا لجانبه والمتهم للشعث اي اشدهم جمعا لمتفرق حاله واعطفهم عليه ان نزلت به
نازلة من فقر ونحوه وذلك ان قربهم منه باعث لدواعي الشفقة عليه الثاني التنبيه بذكر غايتي انفاق المال
وجمعه وتفضيل احدهما على الآخر وذلك قوله ولسان الصدق للمرء الى آخره فلسان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس
وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هو توريثه للغير واما افضلية البذل على الجمع فظاهرة من تصورها
من الغايتين واما رغب عليه السلام في البذل بما يستلزمه من غاية الذكر الجميل بين الناس وان لم يكن مقصودا من
ذلك في البذل الا مصلحة الفقراء وسد خلتهم وتاديب الاغنياء وتعويدهم بالبذل والنزول عن محبة المال لان
نوع الذكر الجميل من الناس ادعى الى البذل واكثر فعلا في النفوس من الغايات التي يقصدها عليه السلام
وذلك من الاستدراجات الحسنة حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه وجدت ان اولى المقاصد التي
يصرف فيها المال هي المقاصد التي يقصدها الشارع وحث عليها من سد خلة الفقراء التي ينتظم بها شمل المصلحة في
تعاضد الناس بعضهم ببعض خصوصا العشيرة فانه من الواجب في السيرة العادلة التي بها صلاح حال الانسان
والتحاب انه لما كان لا غنا له عن عشيرته واصحابه وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذي يؤكد الانتفاع بهم
ويستخدمونه في مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم له فبالحري ان تجب مواساتهم واكرامهم بما ينتظم احوالهم

من فضل المال وكفى بذلك غاية جمع المال وهي توريث الغير المستلزمة لذلك جامع الاداب باعثا على ذم المال والنزول عن بعض
وجمعه لمن لح بعين بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق **منه** الا لا يعدلن احدكم عن القرابة
يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما
يقبض عنهم يد واحدة ويقبض منهم عنه ايدي كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال
السيد ما احسن هذا المعنى فان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر
الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة **اقول**
العدول الانحراف والخصاصة الفقر والحاجة وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا اخلاؤه واتباعه الذين هم
حشوتيه وقوله يرى في موضع النصب على الحال وان يسدها في موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصود بهذا
الفصل هو ما ذكرناه قبل ولو وصلناه بما قبله لصح تتمة له وحاصل الى قوله ايه كنت النهي عن العدول عن سد خلة الاقربا
واولى الارحام وذوي الحاجة بالفضل من المال وصرفه في غير وجهه من المصارف الغير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد
الذي هو حقيقة في منع جسم لجسم عن المنع المعقول ومنع الاختلال الواقع في حال الانسان كناية بالمستعار **وقوله**
لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه على ظاهره اشكال فانه يحتمل ان يقال ان كل جزء من المال فان
بقاءه زيادة فيه وعدمه نقصان منه وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه عليه السلام لم يرد هاهنا مطلق الز
يادة والنقصان في المال بالنسبة الى المال فان الضميرين المنصوبين في يزيده وينقصه عائدان الى الشخص المعبر عنه
باحدكم المامور بالانفاق وانما اراد الزيادة والنقصان فيه اللذين لا يعتبر تاثيرهما في صلاح حال الانسان وعدم
صلاحه فان الفضل الزايد في مال الانسان على القدر الذي يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس زيادة معتبرة في صلاح حاله
والنقصان منه معتبرا في فساد حاله فلا يزيده اذن ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما يقول الانسان لمن يريد ان
يسهل عليه امرا حقيرا يتردد في طلبه ان هذا الامر لا يزيدك ان تركته ولا ينفعك ان اخذته اي بالنسبة الى صلاح جانبك
الثاني انه يحتمل ان يريد الزيادة والنقصان في الثواب والاجر في الاجل والثناء والذكر في العاجل اي لا يزيده صلاح
حال عند الله وعند الناس بل يكون سبب لفساد حاله اما عند الله فلان امساك الفضل من المال عمن له اليه ضرورة
من عباد الله سبب للشقاء العظيم والعذاب الاليم في الآخرة لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الآية واما عند الناس فظاهر لمطابقة مقالاتهم في ذم البخل والبخلاء
وكذلك لا ينقصه اي لا ينقص من صلاح حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق في سبيله من الاجر الجليل في
الثواب الجزيل كقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الآية ونحوها
واما عند الناس فلما اتفقوا عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملأوا به الصحف من النظم والنثر فيهم واما قوله ومن
يقبض يده عن عشيرته الى آخره فمعناه ما ذكره السيد رضي الله عنه وحوال المحتاجين خيره عن عشيرته انما
يمسك عنهم نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع ترافد الايدي الكثيرة الا ان
هذا الباب يحتاج الى تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من
النفع الحاصل له بقبض يده عن النفع بها وجب عليه ان يستجلب بذل يده بالنفع مدد الايدي الكثيرة الجمة

والا لكان بسبب طلب النفع ثانيا امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه منافع عظيمة
فيكون بجنب فضل النفع تاما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا للغرض وذلك جهل وسفه ومن يلن حاشيته
يستدم من قومه المودة من تمام تاديب الاغنياء بما يعود عليهم نفعه وينتظم به شمل المصلحة في العالم من التواضع ولين
الجانب للخلق فاسند دوام المودة الى التواضع لكونه لازما عنه التي هي مطلوبة لكل عاقل وهي استدامة مودة النا
س المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرتهم المستلزمين لصلاح حال المتواضع فيما يقصده ويؤمله وقد ادب الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وآله حيث قال واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وقد عرفت ان سر ذلك استجلاب الالفة لهم
والميل منهم عنده سكونهم اليه ليجتمعوا على قبول اقواله وظاهر ان شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما
قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وان حمل لفظ
الحاشية على الاتباع والخدام كان ذلك تاديبا لهم بالتواضع من جهة اخرى وذلك ان حاشية الرجل وخاصته هم جزؤه
عرفه ومیزان عقله وعلمهم يدور تدبيره صلاح حاله فبحسب شدتهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب الناس
منه وبعدهم عنه وبغضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه وقال بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام من الانسان
سبيل الجوارح من الجسد فصاحب الرجل وجهه وكاتبه قلبه ورسوله لسانه وخادمه يده ورجله وعينه لان من كفاه تعا
طي كل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها وكما يلحقه الذم من العقلاء بترك اصلاح افعاله الصادرة عن الحبه
جوارحه كذلك يلحقه الذم منهم على ترك اصلاح من يقوم مقامه في تلك الافعال بتوليته ولين جانبه لهم كذلك بسببهما
تاديب حاشيته وخدمه بالاداب المتفق على حسنها بين الناس واهمها والنفعها في ذلك لين الجانب وترك الكبر المنفر
للناس والخلق حالكة بنسبة كل خير وشر يجري من حاشية الرجل اليه وان كان صدق هذا الكلام اكثريا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام ولعمري ما علي في قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان
فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم اجلا ان
لم تمنحوه عاجلا **اقول** الادهان والمداهنة المصانعة والايهان مصدر اوهنه اي اضعفه وخابط الغي يطلب المعا...
يخبط كل سبيل في الآخرة وقد مر ان الخبط سير الشيء على غير استقامة والغي الجهل والضلال اي اوضحه وعصبه بكم اي
علقه بكم وربطه والفلج الفوز والنجاة المطلبة وفي هذا الفصل تذليل لمن قال انه مصانعته عليه السلام لمحاربيه ومخالفيه ومداهنتهم
الى ان محاربتهم وقد دفع ذلك بقوله لعمري ما علي الى قوله ولا ايهان اي ليس مصانعتهم بواجبة علي من طريق المصلحة الدينية والتو
بضعفين الى قولا علي في قتالهم بحجة وفي ذكره عليه السلام لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة الغي او البغي تنبيه للسامعين
المستوحشين لقيام عذره في قتالهم اذ كانت مقاتلة من هذه صفته واجبة فلا يمكن انكاره وقوعها منه ثم اردف ذلك
بالامر اقلعوا عن الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى الله من خشيته المستلزمة للاعراض عن كل ما يشغل المتقي عنه وهو
الزهد الحقيقي كما ضيقت الاشارة اليه وانه لاشارة الى الاحتياط بالله وخواصه بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس
الى كعبة وجوب وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولها الفرار من بعض آثاره الى بعض كالفرار من اثر
غضبه الى اثر رحمته كما قال تعالى حكاية عن المومنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا الآية وكانهم لم يروا الا الله وافعاله ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يفنى العبد عن

مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مبادي الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض
كما ورد عن زين العابدين عليه السلم اللهم اجعلني اسوغ من قد انهضته بتجاوزك من مصارع المجرمين فاصبح
طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط صفتان فاستعاذ باحديهما من الاخرى الثالث ان
يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجأ من الله الا اليه وكما ورد في الدعاء في
القيام الى الصلاة منك وبك ولك واليك اي منك بداء الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك
بقوله لا ملجأ ولا منجا ولا مفر منك الا اليك وقد جمع الرسول صلى الله عليه هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى
واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك وهو كلام عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض
افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي فكذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو في المعفو عنه كالخلق
والصنع ثم لما قرب فني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادرها وهي الصفات قال واعوذ برضاك من سخطك
وهما صفتان ثم لما راى ذلك نقصانا في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى ملاحظة الذات
فقال واعوذ بك منك وهذا فرار اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة
ثم للسباحة في لجة الوصول درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلى الله عليه قربا قال لا احصي ثناء عليك
فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في ذلك المقام واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من صفات الجلال
ونعوت الكمال وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا للاخلاص وتجريدا للكمال المطلق الذي هو له
عن ان يلحقه حكم لغيره من وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك ظهر ان مقصوده عليه السلام بقوله ففروا الى الله من الله امر
بالترقي الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة الثالث الامر بالمضي فيما يتجه لهم من السبيل الواضح العدل الذي هو
واسطة بين طرفي الافراط والتفريط والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت ان الغرض من
سلوك هذا السبيل وامتثال التكاليف التي الزم الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس
المطمئنة بحيث تصير موتمرة لها ومنصرفة تحت حكمها العقلي منقادة لها عن الانهماك في ميولها الطبيعية ولذاتها الفا
نية وحينئذ تعلم ان هذه الاوامر الثلاثة هي التي عليها مدار الرياضة والسلوك الى الله تعالى فالامر الاول والثالث امر بما هو
معين على حذف الموانع من الالتفات الى الله تعالى وعلى تطويع النفس الامارة والامر الثاني هو الامر بتوجيه السر الى
الله وقد تبين فيما سلف ان هذه الامور الثلاثة هي الاغراض التي يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة لكمال الاستعداد المستلزم
للوصول التام ولذلك قال عليه السلام فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم بواجب ما امرتم
به من هذه الاوامر كان ذلك مستلزما لفوزكم في دار القرار بجنات تجري من تحتها الانهار التي هي الغايات الحقيقية
ولمثلها يعمل العاملون وفيها يتنافس المتنافسون ان لم يتم ما املتكم للفوز في الثواب العاجل فتمنحوه فيها وقدم الفوز بالسعا
دات العاجلية والاجلية وذلك قوله بالقيام بها وكمال استحقاقه لذلك وعلم انه ولما كان حصول السعادة والفوز
عن لزوم الاوامر المذكورة امرا واجبا واتم الوجوب في علمه عليه السلام اجم كان ضامنا له فان قلت ما وجه ضمان هذه
الاوامر بعد الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الى قوله وايمان هو الاعداد الى السامعين في قتال اهل البغي
الحق وكان مفهوم ذلك هو الحث على جهادهم والتنفر عن عقائدهم على سلوك الطريق الجائر كان تعقيب ذلك بالطريق

ومن خطبة له عليه السلام

الواضح المامور بسلوكه ولهذا حمده دلالة فيه هو اللائق الاوجب وبالله التوفيق
وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران
لما غلب عليهما بسر بن ارطاة فقام الى المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الراي فقال عليه السلام ما هي الا الكوفة
اقبضها وابسطها ان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك فقبحك الله ثم تمثل لعمر ابيك الخير يا عمرو انني على وضر
من ذا الاناء قليل ثم قال انبئت بسرا قد اطلع اليمن واني والله لاظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم
عن حقكم وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وبادائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم
فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فابدلني بهم
خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس من بني
فراس بن غنم هنالك لو دعوت اتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم ثم نزل قال السيد رضي
الله عنه الارمية جمع رمي وهو السحاب والحميم ههنا وقت الصيف وانما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه اشد جفولا واسرع
خفوقا لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الاكثر الا في الشتاء وانما اراد الشاعر وصفهم
بالسرعة اذا دعوا والاغاثة اذا استغيثوا اقول السبب ان قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله
فبايعوا عليا عليه السلام على دغل فلما اختلف الناس عليه بالعراق وكان العامل لهم يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس
وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن ابي بكر بمصر وكثرت غارات اهل الشام تكلموا ودعوا الى الطلب
بدم عثمان فانكر عليهم عبيد الله بن عباس فتظاهروا بمنابذته فحبسهم فكتبوا الى اصحابهم بالجند فثاروا بسعيد
ابن نمران واظهروا الخلاف فانضم اليهم خلق كثير ممن اراد منع الصدقة فكتب عبيد الله وسعيد الى امير المؤمنين
عليه السلام بالخبر فكتب الى اهل الجند كتابا يتهددهم فيه ويذكرهم الله تعالى فاجابوه انا نطيعك ان عزلت عنا
هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ثم كتبوا الى معوية فاخبروه فوجه اليهم بسر بن ارطاة وكان قاسيا سفاكا للدماء فقتل
في طريقه داود وسليمن ابني عبيد الله بن العباس وبالطائف عبد الله بن المدان وكان صهرا لابن عباس ثم انتهى الى
صنعاء وقد خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلفا عليها عبد الله بن عمرو بن اراكة الثقفي فقتل بسر واخذ
صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد على علي عليه السلام بالكوفة عاتبهما على ترك قتال بسر فاعتذرا اليه بضعفهما عنه فقام
عليه السلام الى المنبر ضجرا من مخالفة اصحابه له في الراي فقال ما هي الا الكوفة الفصل اذا عرفت ذلك فقوله
الاعصار ريح تهب فتثير التراب والوضر بفتح الضاد الدرن الباقي في الاناء بعد الاكل وسيدالون لكل بقية من شيء
يقال الانتفاع بها والاناء بالفتح حسن المنظر واطلع اليمن اي غشيها سيدالونه اي يصير الامر اليهم و
الدولة بضم الدال القعب القدح الضخم وماث الشيء اذابه واعلم ان الضمير في قوله ما هي الا الكوفة انما يعود الى ما ذكره في اللفظ
الا انه يتحقق من اصلها قبل ذلك وخوضه في تدبيرها سوالا وحضورها في ذهنه يجري مجرى المذكور السابق لها واقبضها
خبر ثان او لمبتدأ محذوف تقديره انا ويحتمل ان يكون ضمير المتكلم واقبضها خبر عن الكوفة ونظيره في الاحتمالين قوله
تعالى انها لظى نزاعة للشوى ومقصوده من هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها في الحروب ومقاتلة العدو في
الكوفة وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من امر الدنيا وما بقي له من التصرف الحق بالنسبة الى ما للغير من

التصرف الباطل واتبعها واسعطها كنايتان عن وجوه التصرف فيها اي الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقيقة بالنسبة
الى ساير البلاد التي غلب عليها الخصم فمعنى امنع بتصرفي فيها ما الذي ابلغ به من دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول
الرجل في تحقير ما في يده من المال القليل اذا ام به اشاكيا انما هو عن الدنيا وفيما عسى ان ابلغ به من الغرض وقوله
فان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك عدول من الغيبة الى الخطاب والضمير بعد الا تاكيد للذي قبلها والجملة الفعلية
بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الاعاصير يحتمل ان يحمل على حقيقته فان الكوفة معروفة بهبوب الاعاصير
فيها ويحتمل ان يكون مستعارا لما يحدث من اراء اهلها المختلفة التي هي منبع العذر به والتثاقل عن ندايه ووجه
الشبه فيه ما يستلزمه المستعار منه ولهن الاذي والازعاج وتقدير الكلام فان لم تكوني الا انت عني لي وجه
التي بها العدد وحطا من الله والخلافة معما غلب عليه مما تب من الدام فقبحك الله وهو دعا لها بعد ذكر وجه
الذم والاجل استعداده لامرها تمثل بالبيت لعمر ابيك الخير ومعنى تمثله به اني على بقية من هذا الامر كالوضر القليل
في الاناء وهو تمثيل وجه الاستعارة فاستعار لفظ الاناء للدنيا ولفظ الوضر القليل فيه للكوفة ووجه المشابهة ما يتركه
فيه الكوفة والوضر من القلة بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الاناء من الطعام ومن روى الاناء
والله اراد علي بقية من هذا الامر كالقدر للمنصل لنا ظهرا الاناء حسن المنظر مع عدم انتفاعهم منه الذي اتاه ويكون قد استعار
لفظ الاناء لسائر بلاد الاسلام ولفظ الوضر لما يرى هو من حسن المنظر استعارة في الدرجة الثانية وانما خص الكوفة
دون البصرة وغيرها لان جمهور من كان يعتمد عليه في الحروب اذن هم اهل الكوفة وقوله انبئت بسرا الى قوله لسكم
شروع في استنفارهم الى الجهاد فاعلمهم اولا بحال بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم ما حكم به من الظن
الصادق ان سيدال القوم منهم ثم اعقب ذلك بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به وهي الامارات التي عنها حكم
وذلك اربعة امور من قبلهم هي اسباب الادهاد واربعة امور من قبل الخصم مضادة لها هي اسباب القهر ورتب
كل امر عقيب ضده لتظهر لهم المناسبة بين افعالهم وافعال خصومهم فيدعوهم داعي الدين والمروة الى الفرار من شر افعالهم
والاول من افعال الخصم الاجتماع والتوارد وان كانوا على باطل وهو التصرف الذي لحق في البلاد والاول من افعالهم ما
يضاد ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اي تفرقهم عن المستحق لهم باذن ولي الامر الثاني من افعال الخصم الطاعة للامام
الجاير فيما يامر به من الباطل ومن افعالهم معصية الامام الحق في امره بالحق الثالث للخصم تاديتهم الامانة الى صاحبهم
وهي لزوم عهده والوفا بيعته ومن افعالهم ضده ذلك الغدر والخيانة في العهد بكم كم الموازرته في القتال وعصيانهم لامره
حتى صار الغدر مثلا لاهل الكوفة الرابع صلاح القوم في بلادهم اي انتظام امورهم فيها الناشي عن طاعة امامهم ومن افعالهم
ما يضاد ذلك من فسادهم في بلادهم لخروجهم عن طاعة امامهم وظاهر ان الامور الاربعة المذكورة من افعال الخصم من اسباب
صلاح الحال وانتظام الدول والغلبة والقهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم من اقوى الاسباب الموجبة للانغلاب
والانقهار وقوله فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته مبالغة في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية
عن خيانتهم اماناتهم وعهده على قبوله امره واوامره وقوله اللهم اني قد مللتهم وملوني الى قوله الى اشكاية الى الله سبحانه
منهم وعرض لما في ضميره ومعايرهم بسبب ما شجر به قرائن الجوامح والملال والسامة مترادفان وحقيقته اعراض
النفس عن الشي اما لفتور القوى البدنية وكلاهما عن كثرة الاعمال واما للاعتقاد والنفس عن الشي عن دليل

او

او ما رتبين لها ان ما تطلبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لشابه عليه السلام من اعمالهم فانه لم يترك
منهم ولم يدع عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه اصلاحهم وانصرفت نفسه من معالجة احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم
غير ممكن له واما ساميتهم منهم من اعمالهم لاعتقادهم ان مطلوباتهم التي كانوا ارادوا دونها غير ممكنة منه او لكثرة اوامره بالجهاد وقف
الذي عن دين الله والمواظبة على اوامر الله على قوام الضعيفة التي هي مع ضعفها مشغولة بغير الله فلا جرم تنصرف نفوسهم
من قبول قوله وامتثال الاوامر ثم اردف ذلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى في الخلاص منهم ثم بالدعا عليهم فدعا الله
لنفسه اولا ان يبدله خيرا منهم اما في الدنيا فقوما صالحين ينظرون بنور الله نعمة عليهم فيخلصوا الدين واما في الاخرة قوما
في دار مطالعة انوار كبريا الله فاصحابها اعلى منازل جنته واسنى مراتب كرامته قوما انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وطلبه الخير منهم في الدنيا هو الارجح في الذهن لما يتبينا بعده
من ... ثم دعا الله عليهم ان يبدلهم شرا منه فان قلت ان صدور مثل هذا الدعا منه عليه السلام مشكل
من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون معه ذا شر وقد ثبت انه كان منزها عن الشرور الثاني انه كيف يجوز
منه ان يدعو بوجود الشرور ووجود الاشرار فان قلت الجواب عن الاول من وجهين احدهما ان صيغة
افعل التفضيل كما ترد لاثبات الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة وحينئذ يحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني
الا ابلهم من فيه شر غيري الثاني انه يكون شرا مني بحسب عقايدهم انه في شر عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب
كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاه بابدالهم من هو شر منه مصلحة ما لهم حسن منه ذلك
وبيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور ذلك الدعا منه عليهم لتهديدهم ويصح من اعظم الاسباب المخوفة الجاذبة لهم
الى الرجوع الى الله تعالى وذلك مصلحة ظاهرة الثاني انه نزول الاشرار المدعو به عليهم حين تساهيهم على فضل ويذكرهم انه
لعلهم ذنب الالتذكير اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فيتقهر وامن مساوي البغي والعنا دالي واضح سبيل الرشاد
ويكون ذلك بلا شين الله لهم الثاني لعلمه لما دعا عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله مما يدعوهم اليه ومن
لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده ولزومه لما ينافي مطلوب الله منه فعدمه اولى من وجوده فكان دعاه
عليهم اذن مندوبا اليه وعلى ذلك يحمل ايضا دعاه عليهم اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ونحو ذلك في
الانبيا عليهم السلام بالسابقين من الانبيا صلى الله عليهم في التضجر من قومهم والشكاية الى الله تعالى والدعاء عليهم كنوح
اذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا الايات رب انهم عصوني ثم ختم بالدعاء عليهم من لم
يرج صلاحه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الآية وكلوط اذ قال لقومه اني لعملكم من
القالين ونحو ذلك من الانبياء والمراد بالميث المدعو به بتشبيه ان يكون ما يحصل في القلب من الانفعال عن الغم والخوف
ونحوهما وذلك ان الغم اذا وقع لزمه حركة الروح القلبي الى داخل عند انطفا الحرارة الغريزية لشدة انقباض
الروح واختفايه فيحصل في القلب انفعال شبيه بالعصر والمرس وذلك هو الحقيقة الم اوستلزم له فيحسن
ان يكون مرادا له ويحتمل ان يكون كناية عن اسبابه من الغم والخوف وكانه طلب من الله ان يقتص له منهم اجمع
مع قلبه بفساد افعالهم ويروى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج ابن يوسف وروي انه ولد بعد ذلك اليوم باوقات
يسيرة وفعل الحجاج باهل الكوفة ظاهر ودمار لها مشهور وقوله اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس من

في فراس بن غنم يصلح تعيينه لمن ذكر بيانا للخير منهم الذي طلبه اولا من الله مجملا عوضا بهم وبنو فراس حي من تغلب ابوهم
غنم بفتح الغين وسكون النون وهو غنم بن تغلب بن وائل وانما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة
اجابة الداعي فاما البيت هنالك لو دعوت فمعناه ما ذكره السيد الرضي رضي الله عنه ووجه تمثله عليه السلام
بهذا البيت ان هولاء القوم الذين ود انهم كانوا له عوضا من قومه هم بصفة الفوارس الذين اشار اليهم الشاعر في المبادرة الى
اجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده في جميع ذلك ذمهم وتوبيخهم
وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عما هي عليه من التثاقل عن دعوته الى الذب عن دين الله وبالله التوفيق
والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نذيرا للعالمين وامينا
على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر
وتاكلون الجشب وتسفكون دماكم وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم منصوبة والاثام بكم معصوبة
اقول الاناخة المقام بالمكان والحية الصماء التي لا تنزجر بالصوت كانها لا تسمع وربما اريد بها الصلبة الشديدة
والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال هو الذي لا ادام معه ومعصوبة مشدودة واعلم انه عليه السلام اقتص
امورا وقعت لمحسن مدحها وذمها فبدا بذكر النبي صلى الله عليه وذكر بعض اسباب غاية البعثة فانه ذكر
الغاية منها وهو جذب الخلق عن دار الغرور الى الواحد الحق وكان ذلك الجذب تارة بالانذار وتارة بالبشارة وذكر
ههنا النذارة وخصها بالذكر لانها السبب الاقوى في الردع فان عامة الخلق وجمهورهم قلما يلتفتون الى ما وعدوا
به في الآخرة اذا قابلوا ذلك بما هم الحاضر فان تلك امور غير محسوسة لهم لا تعلم الوصف الذي انما يكشف لهم عن
امور محسوسة يشبه ما هم فيه او اضعف عندهم ثم ان نيلها مشروط بشرائط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه
من حاضر لذاتهم مع تراخيها عن الشروط والتكاليف الشاقة فلذلك قل ما يلتفتون الى الوعد عما هم فيه وكان السبب
الاقوى في الردع والالتفات الى الله انما هو الانذار والتخويف فاذا انضم اليه الوعد افاد الجموح الغاية ولما كان مقصوده
عليه السلام في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وتوقيف قلوبهم المشتملة على الفظاظة والقسوة كان الاليق ههنا ذكر
الانذار والنبي للعالمين ليتذكروا بذلك تفاصيل الانذارات الواردة في القران والسنة ثم اردف ذلك بذكر كونه امينا
على التنزيل لم يبدل او زيادة او نقصان ليتاكد في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون ادعى لهم الى الانفعال تقبل عن اقوالهم ثم شرع
بعد ذلك في اقتصاص احوالهم التي كانوا عليها والواو في قوله وانتم للحال اي حال ما انتم بهذه الصفات بعث محمدا وذكر احوالهم
في معرض الذم لها وذلك انهم كانوا على شر دين وهو عبادة الاصنام من دون الله واعظم بذلك افتضاحا لمن عقل منهم ليرى
الشريعة وعرف الله سبحانه فلا احسبه عند سماع هذا التوبيخ الا خجلا مما فرط في جنب الله ويقول يا ليتني لم اشرك
بربي احدا ثم اردف استبعادهم ما كانوا فيه من شر دار وهي نجد وتهامة وارض الحجاز وبين كونها شر الديار ان فساد
احوالهم في مساكنهم وباناختهم بين الحجارة السود الخشن التي لا اداوة بها ولا نبات والحيات الصم التي لا علاج
لسمومها ووصفها بالصم لان حيات تلك الارض على غاية من القوة وحدة السموم لاستيلاء الحرارة واليبس عليها واما
في مشربهم فلان الغالب على المياه التي يشربونها ان تكون كدرة لا يكاد غير المعتاد بها ان يقبل عليها مع العطش
الا عند الضرورة والسبب الغالب في ذلك عدم اقامتهم بالمكان الواحد بل هم ابدا في الحل والارتحال ولا يحتفرون المياه

ويعلونها الا ريث ما هم عليها فربما كان بعضهم يحتفر وبعضهم يشرب ومشاهدتهم توضح ذلك واما في ماكلهم فجشوبتها
ظاهرة فانك تجد عامتهم ياكل ما دب من حيوان وسيل بعض العرب اي الحيوانات تاكلون في البادية فقال ناكل
كل ما دب ودرج الا ام حبين فقال السايل لتهن ام حبين العافية قال صاحب الجمل وام حبين دويبة
قدر كف الانسان وبعضهم يخلط الشعير بنوى التمر ويطحنهما ويتخذ منهما خبزا وروي انهم كانوا في ايام المجاعة يلوثون
اوبار الابل بدم الفصاد ويجففونها فاذا يبست دقوها وسفوها لطعامها واما في سفكهم الدماء بعضهم لبعض وقطع ارحامهم
فظاهر ايضا فان الولد كان يقتل اباه وبالعكس واما نصبهم للاصنام وعصب الاثام بهم في جاهليتهم فغني عن البيان
ولفظ العصب مستعار للزوم الاثام لهم في ذلك الحال عن معناه الاصلي وهي استعارة لفظ لنسبة بين محسوسين
لنسبة بين معقولين او بين معقول ومحسوس وانما ذكرهم عليه السلام بهذه الاحوال لينبههم على نسبة ما كانوا عليه
قبل الاسلام الى ما هم عليه في ذلك الحال من اضداد ذلك كله اذ بدلوا بما كانوا فيه من فساد احوالهم في الدنيا صلاح حالهم فيها ففتحوا
البلاد وكسروا الجيوش وقتلوا الملوك وغنموا اموالهم كما قال تعالى في المنة عليهم وتذكيرهم انواع ما انعم به واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وحصل لهم الذكر الباقي والشرف الثابت كل ذلك زيادة على هدايته
لهم الى الاسلام الذي هو طريق دار السلام وسبب السعادة الباقية وانما كان ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه
اليهم واعلم ان سياق هذا الكلام يقتضي مدح النبي صلى الله عليه فيما صدف من الفضل بعده ليبني عليه مقصودا له
وفيه تنبيه على دوام ملاحظة السامعين لنعم الله عليهم فيلاحظوا استحقاقه لتمام العبادة عامة احوالهم ويكونون
في حال من خوفه وشوق اليه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم **ومنها** فنظرت فاذا ليس
معين الا اهل بيتي فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على اخذ الكظم
وعلى امر من طعم العلقم **اقول** ضننت بكسر النون اي بخلت ونقل الفتح ايضا واغضيت على كذا اي
طبقت عليه جفني والقذى ما يسقط في العين فيوذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغضب ونحوه لا يكاد
يسيغ الانسان معه الشراب وقد مر تفسيرهما واخذ بكظمه اي بمجرى نفسه والعلقم شجر بالغ المرارة ويعبر
بالعرف على كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه في امر الخلا
وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية ممن يرى انه احق منه بالامر واشار الى انه فكر في امر المقاومة والد
فاع عن هذا الحق الذي يراه اولى به فراى انه لا ناصر له الا اهل بيته وهم قليلون بالنسبة الى من بايعه ومن يعين عليه
فانه لم يكن له معين يغلب على الظن الا بني هاشم كالعباس وبنيه والى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن
يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر فضن بهم عن الموت لعلمه انه لو قاوم بهم لقتلوا
ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن بهم عن الموت لزمه ما ذكر من الامور وهي الاغضاء على القذى وكنى بالاغضاء
على القذى عن صبره عن المقاومة كناية بالمستعار ووجه المشابهة بينهما استلزامهما الالم البالغ وبالقذى
عما يعتقده ظلما في حقه وذلك قوله وشربت على الشجى ملاحظة لوجه الشبه بين ما يجري له من الامور التي
توجب له الغضب والغبن وبين الماء الذي يشرب على الشجى وهو استلزامهما الاذى وعدم التلذذ ولا ساغة
والمر استعار له لفظة الشرب وذلك قوله وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من العلقم فيه استعارات

حسنة لفظ اخذ الكظم كناية عن اخذ الوجوه على التضييق الاموبنا يطلبه ولفظ المرارة التي هي حقيقة في الكيفية المخصوصة
للاجسام لما تجده من الالم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة في هاتين الاستعارتين لزوم الاذى ايضا واما انه الذي
وجدته امرّ من العلقم فظاهر اذ لا نسبة لالم البدن في الشدة الى الالم النفساني واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية حاله
بعد رسول الله صلى الله عليه واله فروى المحدثون من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب
اختلاف الاهواء منها وهو الذي عليه جمهور الشيعة ان عليا عليه السلام امتنع من البيعة لابي بكر بعد وفاة الرسول
وامتنع معه جماعة من بني هاشم كالزبير وابي سفيان بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقالوا لا نبايع الا عليا
وان الزبير شهر سيفه في عمر في جماعة من الانصار فاخذ سيفه فضرب به الحجر فكسره وحملت جماعتهم الى ابي بكر
فبايعوه وبايع معهم علي كرها وقيل ان عليا اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام وعلم انه مفرد فتركوه وروى نصر بن
مزاحم في كتاب صفين انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوي عزم لقاتلت ومنها وهو الذي عليه جمهور المحدثين
من غير الشيعة انه امتنع من البيعة ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفي صحيحي مسلم والبخاري
كانت وجوه الناس تختلف اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر
وعلى الجملة فحال الصحابة في اختلافهم بعد وفاة رسول الله وما جرى في سقيفة بني ساعدة وحال علي في طلب هذا الامر
ظاهر والعاقل اذا اطرح العصبية والهوى عن نفسه ونظر فيما نقله الناس في هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابة من
الاختلاف والاتفاق وهل بايع علي طوعا او كرها وهل ترك المقاومة عجزا او اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا تفسير
كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك فعليه بكتب التواريخ ٥

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا
فلا ظفرت يد البايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها
واستشعروا الصبر فانه ادعى الى النصر اقول حزيت اي ذلت وهانت والاهبة الاستعداد واعدوا اي هيئوا والعدة
للحرب ما يعد لها من الالة والسلاح وشب لظاها اي اوقدت نارها وانهبت وروي شب ما بين الالف على اي ارتفع
لهبها والسنا مقصورا الضوء والشعار ما يلي الجسد من الثياب ويلازمه واعلم ان هذا فصل من اقتصاص كلام ذكر
عليه السلام فيه حال عمرو بن العاص مع معوية فذكر انه لم يبايعه حتى شرط عليه ان يؤتيه على بيعته ثمنا وذلك انه
لما نزل علي عليه السلام بالكوفة بعد فراغه من اهل البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه فيه الى البيعة فاهمه ذلك فدعا قوما
من اهل الشام الى الطلب بدم عثمان فاجابوه واراد الاستظهار في امره فاشار عليه اخوه عتبة بن ابي سفيان بالاستعانة
بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه وعرفه حاجته اليه تباعد عنه وجعل يمدح عليا في وجهه ويخذله
ليخدعه عما يريد منه فمن ذلك ان معوية قال له يوما يا ابا عبد الله اني ادعوك الى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا
المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم فقال له عمرو من هو قال علي فقال والله يا
معوية ما انت وعلي بحملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه وعلمه ووالله ان له مع ذلك حظا
في الحرب ليس لاحد غيره ولكني قد تعودت من الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي ان شايعتك على حربه
وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال حكمك قال مصر طعمة فلم يزل معوية يتلكأ عليه ويماطله و

يمتنع

يمتنع من مساعدته حتى رضي معوية ان يعطيه مصر فتعاهدا على ذلك وبايع عمرو معوية وكتب له بمصر كتابا فذلك معنى
قوله عليه السلام ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف ذلك بالدعاء على البايع لدينه وهو عمرو بعدم
الظفر في الحرب او بالغنى بقوله فلا ظفرت يد البايع والخزي بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هوان امانته عليه وهي بلاد المسلمين
واموالهم التي انما كانت امانة عليهم ويحتمل ان يكون اسناد الخزي الى الامانة اسنادا مجازيا او على سبيل اضمار الفاعل بتقدير المتاع
اي وخزي المبتاع في امانته بخيانته لها وذهب بعض الشارحين الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمرا وهو
ضعيف لان الثمن اذا كان مصر فالمبتاع هو معوية ثم لما ظهرت دعوة معوية لاهل الشام ومبايعة عمرو له كان ذلك من
دلايل الحرب فلذلك امر عليه السلام اصحابه بالتاهب لها والاعداد عدتها ونبه على ما ذكرناه من امارات وقوعها بقوله فقد شب
لظاها وعلا سناها فاستعار لفظي اللظى والسنا ملاحظة كالمستعار ووجه المشابهة بين لهب النار وسناها وامارات الحرب كونهما علامات
على امرين هما مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق لفظ الشب ترشيحا للاستعارة ثم اردف ذلك بالامر
بالصبر في الحرب واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه شعارا على وجه استعارته من الثوب لملازمته الجسد او يراد
اتخاذه علامة لان شعار القوم علامتهم ايضا ويحتمل ان يكون اشتقاقه من الشعور اي ليكن في شعوركم الصبر وان كان
الاشتقاقيون يوردون الشعار بالمعنى الثاني الى الشعور وقوله فانه ادعى الى النصر بيان لفائدة اتخاذ الصبر
شعارا او علامة اما ان كان المقصود لزوم انفسكم الصبر فظاهر ان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصود
اتخاذه علامة فلان من كان الصبر في الحرب علامة له يعرفه الخصم بها كان الخصم بتصوره منه ادعى الى الانقهار وكان
المستشعر لتلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان كان المراد اخطاره بالبال فلانه سبب لزومه وبالله التوفيق

بلغ

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه
وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث
بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالاسهاب واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف الا واني
قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط
في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان هذا اخو
غامد قد وردت خيله الانبار وقتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان
الرجل منهم كان يدخل على المراة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالا
سترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق له دم فلو ان امرا مسلما مات من بعد هذا
اسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء
على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون و
تغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا
يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا
فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال
حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت

سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي
رايي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد
اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا قد ذرفت على الستين و
لكن لا رأي لمن لا يطاع **اقول** هذه الخطبة مشهورة ذكرها ابو العباس المبرد وغيره والسبب المشهور انه ورد عليه
عليه السلام من اهل الانبار فاخبره ان سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل لمعاوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن
حسان البكري فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال ان اخاكم البكري قد اصيب بالانبار وهو معتز لا
يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا
ثم سكت عنهم رجاء ان يجيبوه بشيء فلم ينبس احد منهم بكلمة فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلا حتى اتى النخيلة
والناس يمشون خلفه حتى احاط به قوم من اشرافهم وقالوا ارجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفونني ولا
تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب سفيان بن عوف
فخرج اليه حتى انتهى الى ادنى ارض قنسرين وقد فاتوه فرجع وكان عليه السلام في ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام
في الناس بما يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله
ابن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقرأها على الناس بحيث يسمع عليه السلام
ويسمعون وفي رواية المبرد انه لما انتهى اليه ورود خيل معاوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر رداءه حتى
اتى النخيلة ومعه الناس فرقى رباوة من الارض فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه ثم قال الخطبة ورواية
المبرد اليق بصورة الحال واظهر وروي انه قام اليه رجل في اخر الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين اني واخي
هذا كما قال تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا
وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال واين انتما مما اريد ولنرجع الى التفسير فنقول الجنة ما استترت به من
سلاح او غيره وديث اي ذلل ومنه الديوث الذي لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماءة مصدر قمؤ قماءة
[illegible] وهو الحقارة والذلة وروى الراوندي القما بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب
عقله من اذى يلحقه وادیل الحق من فلان اي غلب عليه عدوه وسامه خسفا بضم الخاء وفتحها اي اولاه ذلا وكلفه
المشقة والنصف بكسر النون وسكون الصاد الاسم من الانصاف وضم النون لغة فيه وعقر الشيء اصله وما تواكل ان
يكل كل واحد منهم الامر الى صاحبه ويعتمد عليه فيه وشنت الغارات واشنها فرقها عليهم من كل وجه وغامد قبيلة
من اليمن وهي من الازد ازد شنوءة والمسالح جمع مسلحة وهي الحدود التي يرتب فيها ذوو الاسلحة مخافة عادية العدو
كالثغر والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب السوار المصمت والرعاث جمع رعثة بفتح
الراء وسكون العين وفتحها وهي القرط والرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع قول انا لله وانا اليه
راجعون والاسترحام مناشدة الرحم والوافر التام والكلم الجرح والترح الحزن والغرض الهدف وحمارة القيظ
بتشديد الراء اشتداد حره وسبخ الحر فتر وخف وصبارة القر بتشديد الراء ايضا شدة البرد وينسلخ ينقضي
وربات الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزين بالستور والثياب والسدم الحزن مع الغ

والقيح ما يكون في القرحة من المدة والصديد وشحنتم ملأتم والنغب جمع نغبة بضم النون وهي الجرعة والتهمام بالفتح
الهم والمراس العلاج وذرفت بتشديد الراء على الستين اي زدت واعلم ان قوله اما بعد الى قوله ومنع النصف صدر
الخطبة رتب فيه غرضه اجمالا وهو الحث على الجهاد فانه لما ذكر فيه امر الجهاد وتعظيمه وخطر من تركه علم من ذلك انه
يريد ان يحث السامعين على جهاد من قدم فذكر من مدائح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد
تارة يراد به جهاد العدو الظاهر كما هو الظاهر هنا وتارة يعنى به جهاد العدو الخفي وهو النفس الامارة بالسوء
وكلاهما باب من ابواب الجنة والثاني منهما مراد بواسطة الاول اذ هو لازم له وذلك انك علمت ان الغاية [illegible] سبحانه و[illegible]
حضرة الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية سعي عباد الله الابرار ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد عليه السلام ان الجنة داخلة
العبادات الخمس وتبين ايضا في علم السلوك الى الله ان العبادات الشرعية هي المتممة والمعينة على تطويع النفس
الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة الى الجنة التي وعد المتقون فيعلم من هذه المقدمات
ان الجهاد الشرعي باب من ابواب الجنة اذ منه يعبر المجاهد السالك الى الله الى الباب الاعظم للجنة وهو الرياضة وقهر
الشيطان ومن وقوفك على هذا السر تعلم ان الصلاة والصوم وسائر العبادات كلها ابواب للجنة اذ كان امتثالها على
الوجه المامور بها مستلزما للوصول الى الجنة فان باب كل شيء هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه ونحوه قول
الرسول صلى الله عليه في الصلاة انها مفتاح الجنة وفي الصوم ان للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون الثاني
من اوصاف الجهاد انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الاولياء المخلصون له في المحبة والعبادة وظاهر ان
المجاهد في الغرض اخص خواص الاولياء وذلك ان المرء المسلم اذا فارق اهله وولده وماله واقدم على من يغلب على
ظنه انه اقوى منه كما امر المسلمون بالثبات احدهم لعشرة من الكفار ثم يعلم انه لو قهر لقتل واستبيح ذريته
وماله كان تارك الاحوال صابرا شاكرا معترفا بالعبودية لله مسلما امره الى الله فذلك هو الولي الحق الذي قد اعرض عن غير
الله وقهر شيطانه وهواه وابى ان يطيع له امرا فان قلت اذا كان الغرض من العبادات هو جهاد
الشيطان والاخلاص لله وكان تخصيص الجهاد بالوصفين المذكورين لاستلزامه ذلك المعنى لم يبق حينئذ لسائر
العبادات مزية عليه فما معنى قول الصحابة رضي الله عنهم وقد رجعوا من جهاد المشركين رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر قلت يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس
وانما كان من اعظم اغراضه الذاتية هو قهر العدو الظاهر ليستقيم الناس على الدين الحق وينتظم امرهم في سلوكه والنفس
[illegible] من اراد منه الاذى كالمؤلفة قلوبهم وان كانوا كفارا وذلك بخلاف سائر العبادات اذ غرضها ليس الا
جهاد النفس ولا شك انه مثل الجهاد الاكبر الثاني ان الاولوية باعتبار نفس العدوين فان مضرة العدو الظاهر مضرة دنياوية
فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واتم والشيطان ايضا فلان [illegible]
الشيطان يجاهد [illegible] لازم ومع ذلك فلا يزال [illegible] الا بالخروج [illegible] الاصدقاء [illegible]
لان الاحتراز من هذا العدو اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو [illegible] الانسان في عمره [illegible]
فليس لاحد تخصيص الجهاد بالاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني انا وان قلنا ان الغرض من الجهاد
الظاهر هو جهاد النفس الا ان جهادها في حال جهاد العدو الظاهر قد يكون اسهل وذلك ان القوى البدنية كالغضب والشهوة

يشوران عند مناجزة العدو طلبا لدفعه ويصيران مطيعتين للنفس الانسانية فيما تراه وتامر به فلا يكون عليها كلفة
في تطويع تلك القوي بخلاف ساير العبادات فان طباع تلك القوي مناكسة فيها لراي النفس فلا جرم كان جهادكما في ساير العبا
دات اصعب واكبر من جهادكما في حال الحرب والله اعلم الثالث ــــ كونه لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته
الوثيقة واستعار لفظ اللباس والدرع والجنة ثم رشح الاستعارتين الاخيرتين بوصفي الحصانة والوثاقة ووجه المشابهة ان
الانسان يتقي بها شر العدو او سوء العذاب يوم القيامة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وبدرعه وجنته ما يخشاه
من عدوه ثم اردف عليه السلام مدايح الجهاد بتوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر يوجب تخلفه بامور منفور عنها طبعا
منها انه يستعد بالترك لان يلبسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له ووجه المشا
بهة احاطة الذل به احاطة الصفة بالموصوف كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلاء العدو فيذلله بالصغار والقماءة
وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب وجه عقله العملي في تدبير مصالحه اما لحوق الذل به فلان كثير غارات
العدو وتكررها منه موجب لتوهم قهره وقوته وذلك مما ينفعل عنه النفس بالانقياد والذل وحينئذ يذعن المخذول بلابه
ويذهب وجه عقله في استخراج وجوه المصالح في دفعه ومقاومته اما لقلة اهتمامها بذلك عن عدم طمعها في مقاومة
او لتشويشها لخوفه عن ملاحظة وجه المصلحة واطلاق لفظ الضرب على قلبه استعارة كقوله تعالى ضربت عليهم الذلة
والمسكنة ووجه المشابهة الشبه فيها احاطة قلة العقل به كاحاطة القبة المضروبة بمن فيها او لزوم قلة العقل له كلزوم
الطين المضروب على الحايط له ويحتمل ان يراد بالاسهاب كثرة الكلام من غير فايدة فان الانسان حال الخوف والذل كثيرا
ما يخبط في القول ويكثر من غير اصابة فيه وكذلك لحوق باقي الامور به كاذالة الحق منه وغلبة العدو له وعدم انتصافه
منه اذ هو ظاهر لمن ترك جهاد عدوه مع التمكن من ذلك وهي امور منفور عنها طبعا ومضرة بحال من تلحقه في الدارين
وقد ورد في التنزيل الالهي من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المومنين غير
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
وقوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده
وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو ذلك **وقوله** الاولي قد دعوتكم الى اخره لما ذكر صدر الخطبة اردفه بتفصيل
غرضه ما اجمله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم اولا على ما كان دعاهم اليه قبل من قتال معوية واصحابه
مرارا كثيرة وذكرهم كيفيته السابقة لهم في امرهم لغزو عدوهم قبل ان يغزوهم ونبههم على ما كان اعلمهم اياه من القاعدة
الكلية المعلومة بالتجربة والبرهان وهو انه ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا الى علة ذلك وهو ان الاوهام
انما الاعجبية في الامان تابعة لزيادة القوة وتارة بنقصها حتى ان الوهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه المرض و
بالعكس فكان السبب في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة عند الاولياء اما وهامهم فلانا نعلم بانه لم يقدم
على غزوهم الا لقوة عازمهم واعتقاده فيهم الضعف بالنسبة اليه فتنفعل اذن نفوسهم عن تلك الاوهام وتتقهقر عن
المقاومة وتتضعف عن الانبعاث وتزول عنه عزتها وحميتها فتحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام غيرهم فلان الغزو
الذي يلحقهم يكون تابعا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم وقهرهم كذا الطمع ذلك تابع فيهم فيثير ذلك لهم احقادا وعمى
تعجزهم عن المقاومة ثم انه اردف ذلك بما قابلوه نصيحته من تواكلهم وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور الشر

علي

عليهم وتفرق الغارات من كل جانب على اوطانهم وحدودهم ثم عقب ذلك العذر المطلق بذكره في تخصيص معين شاهده وبينهم
ليلجيهم الى التصديق بظهور العدو عليهم اذ وقف عليهم ما احدث من ورود خيله ديارهم وقتله لعاملهم وازالة خيلهم عن
ثغورهم ومسالحهم وهتك المسلمات والمعاهدات وسلب اموال المسلمين وساير ما عدده على الوجه المذكور وهو مستغن
عن الايضاح ثم ختم ذلك القصص بالاولى ان يموت المسلم الحق ذا الغيرة والحمية فيه من الاسف والحزن المميت له بسبب
ذلك ونحوه من الاحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم كل ذلك التقرير ليمهد قانونا يحسن
معه توبيخهم وذمهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال امره وقبول مشورته فيما هو الاولى والانفع لهم ثم اردف ذلك بالتعجب
من حالهم تاكيدا لذلك التمهيد فنادى العجب منصوبا منكرا للتحقير لفظا لانه غير متعين في حال ندائه ثم تعين
نداؤه للحضور فكرره ليصفه بالشدة ونصبه على المصدر كانه لما حضر وتعين قال عجبت عجبا من ساير كذا ونحو
الالف قوله تعالى يا بشرى في قراءة من قرا بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب الاول نصب على المصدر ايضا والثاني للتا
كيد اولما ذكرنا ويكون المنادى محذوفا تقديره يا قوم او نحوه واما وصفه لذلك بانه مميت القلب ومجلب الهم واعلم
ان السبب في التعجب من الامر هو عدم اطلاع النفس على ما نسب به الحكم فيه مع كونه في نفسه امرا غريبا ولذلك وضع اهل
اللغة قولهم ما افعل صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعللوه بان التقدير فيها السؤال عن اسباب حسنه وكلما
كان الامر اغرب واسبابه اخفى كان اعجب فاذا كان امرا خطرا مهما وانبعثت النفس في طلب سببه فقد تعجز من
تحصيله وتكل القوة المتخيلة عن تعيينه فيحدث بسبب عدم الاطلاع على سببه هم وغم لانه كالمرض الذي لا يمكن علاجه
للوقوف على سببه فيفضي ذلك الى موت القلب تجوزا بلفظ الموت في الهم والغم تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه او اطلاقا
لاسم السبب على المسبب اذا عرفت ذلك فنقول ــــ ان حال قومه عليه السلام في تفرقهم عن حقهم مع علمهم به
وتحقيقه وحال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعة وكون قومه والمتقين برضا الله لو امتثلوا امره من العجب
المميت للقلب الذي لا يهتدى لسببه واما انه مجلب الهم فظاهر اذ كان حاله عليه السلام معهم كحال طبيب لمرضى
لم يعالجهم مع خطر امراضهم وعدم لزومهم لما يامرهم به من حمية او شرب دواء وظاهر ان تلك الحال مما يجلب همه
الطبيب ثم لما اظهر التعجب ووصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم اوقع ثم اردف ذلك
التعجب بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير والحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يانف منه اهل
المروة والحمية ويوجب لهم الخجل والاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للاعداء يغار عليهم وقد كان الاولى
بهم ان يغيروا ويغزون وقد كانوا هم اولى بالغزو ويعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صور اعذارهم في التخلف عن امره
وهي تارة شدة الحر وتارة شدة القر وهو من الاعذار التي يذوق العاقل منها طعم الكسل والقعود واسم يكن لهم
مقصود الا المدافعة ثم تبكيتهم بتلك الاعذار منهم واستبعدها وجعلها منها دالا لاحتجاج عليهم بقوله فانتم والله من السيف
افر وذلك ان الفار من الاضعف فار من الاشد بطريق الاولى اذ لا مناسبة لشدة الحر والبرد مع القتل والمجالدة بالسيف
ثم اردف ذلك التبكيت بالذم لهم بثلاثة اوصاف احدها انه نفى عنهم صفة الرجولية لاستجماعها ما ينبغي من
صفات الكمال الانساني كالشجاعة والانفة والحمية والغيرة وعدم هذه الكمالات فيهم وان كانوا بالصورة المحسوسة
رجالا الوجه لتشبيههم بهم وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا رجال وثانيها انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك ان

ملكة العلم ليس بحاصل للاطفال الطفل وان كانت قوة العلم حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة العلم كعقده
الشرع الى الغضب عن خيال يرضيه واغلب احواله ان يكون ذلك في غير موضعه وليس يحصل له ملكة تسلب نفسه
طمانينة كما في حق الكاملين فهو اذن نقصان ولما كان تداركوا امره عليه السلام بالجهاد وقد تركوا القتال ومنه حالا من ادنى خياله
كتركهم الحرب بصفين عند خدعة اهل الشام لهم بالمسالمة وطلب الحق تعالى بكتاب الله ورفع المصاحف
فقالوا اخواننا في الدين فلا يجوز لنا قتالهم كان ذلك حالا في غير موضعه حتى كان من امرهم ما كان واشبه رضي الصبيان
واطلق اسمه عليه وثانيهن الحاق عقولهم بعقول النساء وذلك للمشاركة في النقصان وعدم عقليتهم لوجوه
المصالح المختصة بتدبير المدن والحرب ثم عود فهم بجهتين لعدم رويتهم وعدم معرفتهم الاستدلال بما نذكره على الاصول
في امرهم والحزن في من تقصيرهم في الذب عن الدين الا ان المتولي لا بد يغلب على ظنه استقامة حتى اذا دخل في قطب
انتظامه وحقه غير ممكن له لا بد وان يندم على تضييع الوقت به ويحزن على عدم امتثاله له وهذه حاله عليه السلام
مع اصحابه ولذلك جرت الانبياء عليهم السلام على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تعالى على ذلك كقوله لمحمد صلى الله عليه وآله ولا
تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ثم عاد الى الدعاء عليهم
والشكاية منهم وذلك قوله قاتلكم الله اي احزن واعظم بما دعا عليهم به فان المقاتلة لما كانت مستلزمة
للعداوة والعداوة مستلزمة لاحكام كاللعن والطرد والبعد عن الشفقة والخير من جهة العدو وكان اطلاق
المقاتلة والعداوة على الله تعالى بحسب حقيقتهما غير ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمهما
كالابعاد عن الرحمة مجازا في المعنى ومن معنى قول العرب قاتلكم الله اي لعنكم وقال
ابن الانباري المقاتلة من القتل فاذا اخبر بها فان معناها اللعنة منه لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك
وقوله لقد ملأتم قلبي قيحا اشارة الى بلوغ الغاية في التألم الحاصل له من شدة الاهتمام بامرهم مع تقصيرهم
وعدم طاعتهم لاوامره فعبر بالقيح عن المتألم مجازا من باب اطلاق اسم ذي الغاية على ذي الغاية اذ كان غاية الم
العضو ان يتقيح وكذلك اطلاق لفظ الشحن على فعلهم الموهم الصدر مجازا لان الشحن حقيقة في نسبته بين جسمين
وكذلك قوله وجرعتموني نغب التهمام انفاسا اي جلبتم لي الهم وقتا فوقتا مجازا لان التجرع عبارة عن
ادخال الماء ونحوه في الحلق وطريان الهم على نفسه وما يلزم الهم من الالام البدنية على بدنه وتكرار ذلك منهم شبيه
طريان المشروب وتجريعه وقوله انفاسا مجاز في الدرجة الثانية فان النفس حقيقة لغوية في الهواء الداخل في
الخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا للمقدار ما يشرب من الشراب في مثل ادخال الهواء
بقدر الحاجة اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم استعمله هاهنا في كل مقدار من الهم يرد عليه من قبلهم
وقتا فوقتا وهي درجة ثانية من المجاز وقوله وافسدتم رأيي بالعصيان من تمام شكايته منهم ومعنى افسادهم
رأيه خروجهم بسبب عدم التفاتهم اليه عن ان يكون منتفعا به لغيرهم حتى قالت قريش انه وان
كان رجلا شجاعا الا انه غير عالم بالحرب فان الحاذق اذا راى قوم يستبد برأيه او مقتضى رايه فانه
كان الغالب ان ينسبوه الى رأيهم ومقدمهم ولا يعلمون ان علة اللام الالمعي الذي يدبر الراي كان قد رأى وقد
سمع وان التقصير من قومه ثم اردف ذلك بالرد على قريش في نسبتها له الى قلة العلم بالحرب بقوله

لله ابوهم الى آخره وهي كلمة من مدائح العرب ثم سألهم من وجود من هو اشد الحروب مراسا او اقدم منه فيها مقاما سؤالا على
سبيل الانكار عليهم ونبه على صدقه بنهوضه في الحرب ومعاناة احوالها عامة عمره وهو من قبل بلوغ العشرين الى ان جاوز
يومه ذلك الستين فساد حال امره به ليس ما تخيل قريش فيه من ضعف الراي وقلة عمله بل عدم طاعتهم له فيما يراه
ويشير عليهم به وذلك قوله ولكن لا راي لمن لا يطاع فان الراي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلام

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت و
اشرفت باطلاع الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل منيته
الا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله
ولم يضره اجله ومن قصر في ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في
الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقم
به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم
اثنان اتباع الهوى وطول الامل فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا قال
السيد رحمه الله واقول انه لو كان كلام ياخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام وكفى به
قاطعا لعلائق الآمال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله عليه السلام الا وان اليوم المضمار وغدا السباق
والسبقة الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا
عجيبا ومعنى لطيفا وهو قوله عليه السلام والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين
ولم يقل والسبقة النار كما قال والسبقة الجنة لان الاستباق انما يكون الى امر محبوب وغرض مطلوب و
هذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها فلم يجز ان يقول والسبقة النار بل قال والغاية النار
لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا فهي في هذا الموضع
كالمصير والمآل قال الله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز في هذا الموضع ان يقال سبقتكم الى النار
فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد لطيف وكذلك اكثر كلامه عليه السلام وقد جاء في رواية اخرى والسبقة
بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض والمعنيان متقاربان لان ذلك لا
يكون جزاء على فعل الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود **اقول** هذا الفصل من الخطبة التي اولها
الحمد لله غير مقنوط من رحمته وسيجيء بعد وانما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب انه لا يراعي
التتالي والنسق في كلامه عليه السلام وقوله ادبر وادبر اي ولى دبره واذنت اي اعلمت واشرفت اي اطلعت
والمضمار الموضع الذي يضمر فيها الخيل للمسابقة اي تعلف حتى تسمن ثم ترد الى القوت والمدة اربعون يوما وقد يطلق
على الموضع الذي يضمر فيه ايضا والسباق مصدر مرادف للمسابقة ويحتمل ان يكون جمع سبقة كنطفة ونطاف او سبقة
كنعمة ونعام والسبقة بضم السين اسم لما يجعل للسابق من مال او عرض والمنية الموت والبؤس
شدة الحاجة وتحرزون تحفظون واعلم ان هذا الفصل يشتمل على تنبيهات عشر **الاول** على وجوب
الزهد في الدنيا وعدم الركون اليها وذلك بقوله الا وان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع واشار بادبار الدنيا الى

اعلامها بالوداع الى تقضي الاحوال الحاضرة المستحسنة التي لكل شخص شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان فان كل ذلك اجزاء للدنيا المصاحبة للانسان ولما كانت هذه الامور ابدا في التغير والتقضي المستلزم لمفارقته الانسان لها وبعدها عنه لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار على تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان في ادباره فقيل لكل امر يكون الانسان فيه من خير او شر اذا كان في اوله اقبل واذا كان في آخره وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع فان التقضي لما استلزم المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لاسف الانسان عليها ووجده بها اشبه ذلك ما يفعله الانسان في حق صديقه المرتحل عنه من وداعه لمن الاسف على فراقه والحزن والبكاء ونحو فاستعير اسم الوداع له وكنى بها باعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضيها شيئا فشيئا وهو اعلام بلسان الحال **الثاني** التنبيه على الاقبال على الآخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله الا وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع ولما كانت الدار الآخرة عبارة عن الدار الجامعة للاحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة وشقاوة والم ولذة وكان تقضي العمر مقربا للوصول الى تلك الدار والحصول فيها باشتمالها على من خير او شر حسن اطلاق لفظ الاقبال عليها مجازا ثم لما تصورها الشعور على الانسان في حال اقبالها مقبلة له تعالى عند سالك فاسند اليها لفظ الاشراف ولاجل احصاء الاعمال الدنيوية فيها مثل اطلاع مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل ان يكون اسناد الاشراف بكيفية الاطلاع الى رب الآخرة وانا عبد بالآخرة عند تعقيبها لجلالها كما يكنى عن الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته ويكون كيفية الاطلاع هي قربه ذلك **الثالث** التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما يستبق اليه وما هو غاية للمقصر المتخلف عن درك الله وذلك قوله الا وان اليوم المضمار الى قوله والغاية النار وكنى باليوم عن مدة عمر الانسان الباقية له واحتج بالمضمار عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق مرفوعين ومنصوبين اما رفع المضمار فلانه خبر ان واليوم اسمها وانما اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما من المشابهة فان الانسان في مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل قوته فيكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين في حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير لسبق مثله واما نصبه ففيه شك اذ يحتمل ان يقال ان المضمار زمان اليوم فلو اخبر عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان في الزمان فيكون الزمان محتاجا الى زمان اخر فان بعض اجزاء الزمان وذلك محال وجوابه انا لا نسلم ان الاخبار بوقوع الزمان في الزمان يحوج للزمان الى زمان آخر فان بعض اجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه والجزء في الكل لا بمعنى انها حاصلة في زمان اخر وان كان انما يحسن الاخبار عنها بها اذا قيدت بوصف او اشتملت على احداث تختص بها كما تقول ان مصطبح القوم اليوم فكذلك المضمار لما كان وقتا مشتملا على التضمير وهو حدث صح الاخبار عنه باليوم واما نصب السباق فلانه اسم ان اي وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلا وجه له الا ان يكون مبتدأ خبره غدا ويكون اسم ان ضمير الشان وقال بعض الشارحين يجوز ان يكون خبر ان وهو ظاهر الفساد لان الحكم بشيء على شيء اما بمعنى انه هو هو كما يقال الانسان هو الضاحك وهو ما يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمونه حمل الاشتقاق ولا واحد من المعنيين ها هنا في الحكم بالسباق على غدا فيمتنع ان يكون خبرا لان المصدر الاصلي تقديره حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وان غدا وقت السباق لكن لا يكون السباق هو الخبر في الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير ففيه ما انتم اليوم فيه انكم غدا تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان كلما كان اكمل في قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى حضرته

النفس

الانس قبل وصول من هو انقص منه ولما كان مبدأ النقصان في هاتين القوتين انما هو محبة ما عدا الواحد الحق واتباع الشهوات والميل الى انواع اللذات الفانية والاعراض بسبب ذلك من تولي القبلة الحقيقية ومبدأ الكمال فيهما هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور المعدودة والاقبال عليه بالكلية وكان الناس في محبة الدنيا وفي الاعراض عنها والاستكمال بطاعة الله تعالى على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة كان اليوم هو المضمار وغدا السباق متصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا واقطع لعلائق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له في الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا من ثقل الوزر كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه بقوله نجا المخففون وكما سبق من اشارة علي عليه السلام الى ذلك بقوله تخففوا تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا لمن كان اضعف استعدادا منه ممن لبسته عقارب الهيئات البدنية والملكات الرديئة قلبه واثقلت الاوزار ظهره واوجبت له التخلف عن درجة السابقين الاولين فـ كذلك يكون سبق هذا بالنسبة الى من هو اقل استعدادا واشد علاقة بالدنيا بقلبه فكان معنى المسابقة ظاهرا وان كان استفاده من السباق المتعارف بين العرب واما ان قلنا ان السباق جمع سبقة اسم لما يستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى ايضا ظاهر فان ما يستبق اليه انما يحصل الوصول اليه بعد المفارقة ويكون الاستباق اما قبل المفارقة وهو السعي في درجات الرياضات كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا الآية وقوله فاستبقوا الخيرات او بعد المفارقة كما اشرنا اليه ويكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة تعيين للمستبق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا واما قوله والغاية النار فالذي ذكره الرضي رضي الله عنه في تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن وكاف في بيان مراده عليه السلام الا انه يبقى هاهنا بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية او لازمة للغاية فنقول ان ما ينتهى اليه قد يكون بشوق طبيعي وقد يكون بشوق ارادي وكل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا فالشوق الذاتي منهما يقال له غاية اما طبيعية كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بشوق طبيعته له اليه واما ارادية كغايات الانسان من حركاته المنتهي اليها بشوق ارادي واما المنتهي اليه بالشوق العرضي فهو من لوازم احد الغايتين وقد يسمى غاية عرضية فاللازم عن الطبيعية كمنع الحجر غيره ان يحل حيث هو فان ذلك من لوازم استقراره في حيزه وعن الارادية كاستضاءة الجار بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضاءته وكهلاك الطائر في حبائل الصياد عن الميل الى التقاط حبته اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار غاية من هذا المعنى الرابع وبيانه ان محبة الدنيا والميل اليها والانهماك في مشتهياتها سواء كان معها مسكة للانسان بالله تعالى او لم يكن فان من لوازمها الانتهاء الى النار الا ان يتداركه الله كما قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب فكان المقصود الاول للانسان هو تناول اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم الوصول الى تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت غاية عرضية **الرابع** التنبيه على التوبة قبل الموت وهو قوله افلا تائب من خطيئته قبل منيته ولا شك انه يجب ان تكون متقدمة على الاعمال لانك علمت ان التوبة هي رجوع النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء الى ذنب الى الطاعة معرضة عما كانت عليه من اتباع شياطينها وهو من مقام الزهد والتخلي وقد علمت في بيان كيفية السلوك الى الله تعالى ان مقام التخلية مقدم على مقام التحلية فكان الامر فاعليها سابقا على سائر الطاعات **الخامس** التنبيه على العمل للنفس قبل يوم البؤس والاشارة منه الى ما بعد الموت

والعذاب اللازم للنقصان اللازم على التقصير في العمل اذ الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل اسير في يد شياطينه وقد علمت ان غاية الاسترسال في يد الشيطان دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر الشيطان والمخلص من اسره نبه عليه ثم اردفه بالتنبيه على وجود الزمان الذي يمكنهم فيه العمل وهو ايام الامل للعمل وعلى ان ذلك الزمان منقطع بلحوق الاجل ثم اردفه ببيان فايدة العمل في ذلك الزمان وهي المنفعة بالثواب في الآخرة وما يلزم من عدم الاجل وبيان ثمرة التقصير في العمل فيه وهي خسران العمل المستلزم لمضرة الاجل واحسن باستعارته عليه السلام لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران في البيع لما كان هو النقصان في راس المال او ذهابه جملة وكان العمل هو راس مال العامل الذي به يكتسب الكمال والسعادة الاخروية لاجرم حسنت استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة الموت واستلزام الخسران لمضرته فهو امر ظاهر اذ كان الكامل في قوتيه المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة فلم يحصل له بسببها تعذيب فكان الموت منفية عنه وكان المقصر في الاستكمال فيهما من ضرورة طباعه الميل الى اللذات الحسية فاذا قصر عن العمل والتعلق بطاعة الله الجاذبة اليه فلابد ان يستضر بحضور الاجل اذ كان الاجل قاطعا لزمان الاستكمال وحائلا بين الانسان وبين ما هو معشوق له من حاضر اللذات **السادس** التنبيه على وجوب التسوية للعامل بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة وفيه توبيخ التوبيخ للعبد على غفلته عن ذكر الله واعراضه عن عبادته في حال صفاء الاوقات الحاضرة له والجائه اليه عند نزول الاذلات به فان ذلك ليس من شان العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهي بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وغيره من الآيات بل ان شان العابد لله المخلص له ان تتساوى عبادته في ازمان شدته ورخائه فيقابل الشدة بالصبر والرخاء بالشكر وان يعبده لا لرغبة ولا لرهبة وان عبد فيهما **السابع** قوله الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها واعلم ان الضمير في قوله طالبها وهاربها يعود الى المفعول الاول لارى المحذوف المشبه به في الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار ونام في محل النصب مفعولا ثانيا ومعنى هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة وما يشبه النار ولم يقف على ذات ذلك الشبيه بل علمه به من جهة الشبه وهي نوم الطالب والهارب ولرايت استدعت اي بمعنى اعلم مفعولين اي لم ار نعمة كالجنة تتصف بنوم الطالب لها فنبه على وجه الشبه بقوله نام طالبها ثم نفى الشبيه من تلك الجهة وكذلك قوله ولا النار كما تتصف بنوم هاربها والمفعول الثاني في الجملتين صفة على غير من هي له وهو تنبيه للموقنين بالجنة والنار على كونهم نائمين في مراقد الطبيعة لينتبهوا منها ويستعدوا للاستعداد بالعمل التام لما وراءهم من مرغوب ومرهوب وفيه تنبيه التعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين علمه بما في الجنة من تمام النعمة وتقصيره عن طلبها بما يؤدي اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العذاب وبين تقصيره وغفلته من الهرب الى ما يخلص منها في ذلك **الثامن** قوله الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل الضمير في انه ضمير الشان واراد بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقايد المطابقة وبالباطل الالتفات عنه الى غيره من الاعمال الغير النافعة في الآخرة وهو تنبيه على استلزام عدم منفعة الحق لمضرة الباطل وصورة شرطية متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود الحق مستلزم لمنفعته فعدم منفعته

اذن

الا انه مستلزم لعذابه وعدمه مستلزم لوجود الباطل لان اعتقاد المكلف وعمله اما ان تطابقا اوامر الله تعالى اولا فان والاول هو الحق والثاني هو الباطل وظاهر ان عدم الاول مستلزم لوجود الثاني ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فيظهر بهذا البيان ان عدم منفعة الحق مستلزم لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فنقول مراده عليه السلام التنبيه على لزوم الحق المستلزم لمنفعته ونفي الباطل المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم للوصول الى جوار المقدس والالتفات الى ما عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم للنقصان الموجب للتخلف عن السابقين والهوي في دركات الهالكين وذلك محض المضرة فظهر ان سر قوله عليه السلام انه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن غفل بعض من يدعي العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة في الكتب الالهية انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة ومعتمدا على ذلك بتخيلات خطابية عن مشهورات في بادي الراي اذا تعقبها النظر كانت شرورا **التاسع** ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى اراد بالهدى نور العلم والايمان وبالضلال الجهل المدوح عن ابواب الله والمعنى ان من لم يكن الهدى دليله القايد له بزمام عقله في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراطه المستقيم فلا بد وان يخرج به الضلال عن سواء الصراط الى احد جانبي التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى لما استلزم وجود استقامته بالانسان على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجور بالانسان الى مهاوي الردى والعدول به عن الصراط المستقيم الى سواء الجحيم **العاشر** قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وهو تنبيه على ملاحظة الاوامر الواردة بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وعلى الامر باتخاذ الزاد كقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارة الظعن للمضي الى الله والزاد لما يتقرب اليه ووجه الاستعارة الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بالجسد والجسمانية وكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان انما يعد ليقوى به الطبيعة على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة الى الله تعالى مما يقوي به النفس على الوصول الى جنابه المقدس كان ذلك من اتم المشابهة التي يقرب معها اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون حسن الاستعارة **الحادي عشر** التنبيه على اخوف الامور التي ينبغي ان تخاف وتجتنب وهو الجمع بين اتباع الهوى وطول الامل وسيأتي عليه السلام هذا الكلام في موضع اخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وسنوضح معناه هناك ان شاء الله ويكفي في ان يقال انما جذب منهما عقيب التنبيه على الظعن والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للاعراض عن الآخرة فيكون مستلزما لعدم الظعن وعدم اتخاذ الزاد فخوفهم منها ليجتنبوا فيحصل من اجتنابهما الاقبال على اتخاذ الزاد والاهبة للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر باتخاذ الزاد وفي قوله من الدنيا في الدنيا لطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل وكلاهما يحصلان من الدنيا في الدنيا اما العمل فلا شك انه عبارة عن حركات وسكنات تستلزم هيئات مخصوصة انما تحصل بواسطة هذا البدن وكل ذلك من الدنيا في الدنيا واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة الحواس الظاهرة او الباطنة وتفطن النفس لمشاركات بين المحسوسات ومباينات بينها وظاهر ان ذلك من الدنيا في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى ان كل زاد اعد به الانسان

نفسه للوصول الى جوار الله فقد تزحزح من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل على
استدراجات لطيفة للغافلين من اوامر الله وزواجره واذا تاملت اسلوب كلامه عليه السلام وراعيت ما فيه من
فصاحة الالفاظ وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وحسن ترتيب
اجزائه ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدني وفيض رباني وامكنك حينئذ الفرق بين كلامه
عليه السلام وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**

ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون
في المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب
من قاساكم اعاليل باضاليل وسألتموني التطويل دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا
بالجد اي دار بعد داركم تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم
الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم
ما بالكم ما دواؤكم ما طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعا في غير
حق **اقول** روي ان السبب في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين وعزمه على المسير
الى الشام وذلك ان معوية لما سمع باختلاف الناس على علي عليه السلام وتفرقهم عنه وقتل من قتل من الخوارج بعث الضحاك
بن قيس في نحو من اربعة الاف فارس واوعز اليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية
فاغار على الحاج واخذ امتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود ابن اخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله
وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلام ذلك استصرخ اصحابه على اطراف اعماله واستشارهم الى لقاء
العدو فتلكأوا ورأى منهم تخاذلا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع الى المتن فالصم الحجارة والوهي الضعف
وكيت وكيت كناية عن الحديث وحياد عن الامر عدل عنه قال الجوهري قولهم حيدي حياد كقولهم
فيحي فياح ونقل ان فياح اسم للغارة كقطام فحياد ايضا اسم لها والمعنى اعدلي عنا ايتها الحرب ويحتمل
ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال فيكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظين مختلفين واعاليل واضاليل
جمع اعلال واضلال وهما جمع علة اسم لما يتعلل به من مرض وغيره وضلة اسم من الضلال بمعنى الباطل والمطول
كثير المطال وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد الاجتهاد والاخيب الاشد خيبة وهي الحرمان والافوق
السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه والناصل الذي لا نصل فيه والمقصود انه عليه السلام نبههم على ما يستقبح
في الدين وساء عما يحسن السيرة من احوالهم واقوالهم وافعالهم اما احوالهم فاجتماع ابدانهم مع تفرق آرائهم الموجب
لتخاذلهم عن الذب عن الدين والمفرق لحال مصالحهم واما اقوالهم فكلامهم الذي تضعف عند سماعه القلوب الصلبة
الثابتة ويظن سامعه ان تحته نجدة وثباتا وهو قولهم مثلا في مجالسهم انا لا نفعل لخصومنا وانا سنفعل بهم كذا ونكون
منا كذا وامثاله واستعار لفظ الصم الصلاب من اوصاف الحجارة للقلوب التي تضعف عند سماع كلامهم كما شبه
القرآن الكريم بها في قوله فهي كالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقيب هذه الاقوال عند حضور القتال ودعوتهم
الى الحرب بالتخاذل وعدم التناصر والتقاعد عن اجابة داعي الله وكراهية الحرب والفرار عن مقارعة العدو

وكنى

وكنى بقوله قلتم حيدي حياد عن ذلك وهي كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار ثم اردف ذلك بما افادة ان
يأنف منه من يطلب الانتصار به على وجه التضجر منهم عن كثرة تقاعدهم عن نصرته وذلك قوله ما عزت دعوة من
دعاكم المستلزم للحكم بذلة داعيهم ولا استراح قلب من قاساكم المستلزم للحكم بتعبه وقوله اعاليل باضاليل
خبر مبتدأ محذوف اي واذا دعوتكم الى القتال تعللتم وهي اعاليل باطلة ضالة عن سبيل الله وسألتموني التأخير وتطويل
المدة دفاعا وقوله دفاع ذي الدين المطول يحتمل ان يكون تشبيها لدفاعهم له بدفاع ذي الدين فيكون منصوبا بحذف الجار
ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع ذي الدين المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان المدين المطول ابدا
يشتهي لعدم المطالبة ويود نفسه ان لا يأتيه غريمه فكذلك فهم عليه السلام منهم انهم كانوا يحبون ان لا يعرض لهم بذكر
القتال ولا يطالبهم به فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهة ثم نبههم على قبح الذل ليفيئوا الى فضيلة الشجاعة
بذكر بعض لوازمه المنفرة وهو ان صاحبه لا يتمكن من دفع الضيم عن نفسه وعلى قبح التواني والتخاذل فانه لا يدرك الحق الا
بالجد وهو الجد والتشمير في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة الانكار والتقريع عن تعيين
الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام التي لا نسبة لغيرها اليها في العز والكرامة عند الله ووجوب الدفع عنها والتي هي
موطنهم ومحل دولتهم وكذلك قوله ومع اي امام بعدي تقاتلون وفيه تنبيه لهم على افضليته وما ذلك بعد من اخلاصه
نفسه لله في جميع حركاته وتثبيت لهم على طاعته اذ كان عليه السلام يتوهم في بعضهم الميل الى معوية والرغبة فيما عنده من الدنيا
ثم اردف ذلك بذم من اغتر بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كانوا حزبه ومن
يقاتل بهم اما الاول فهو قوله المغرور والله من غررتموه والمقصود بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلف المواعيد والمطل
بالنهوض الى الحرب لانه انما ينسب من وثق بمقالهم الى الغرور بعد خلفهم في وعدهم له بالنهوض معه وجعل المغرور
مبتدأ ومن غررتموه الخبر فان باب الحصر لمن اعتبر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن انحصار المغرور في من اغتر
بهم ولا كذلك لو كان من مبتدأ واما الثاني فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد
رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه وخصومه كاللاعبين بالميسر ولاحظ شبه حصولهم في حقه بخروج احد السهام
الخائبة التي لا غنم لها كالاوغاد او التي فيها غرم كالتي لم تخرج حتى استوفيت اجزاء الجزور فحصل لصاحبها
غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفة الاخيب واطلاق الفوز هنا مجاز في
حصولهم له من باب اطلاق اسم احد الضدين على الآخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال
الحرب وبين السهام في كون كل منها عدة للحرب ودفع العدو ولاحظها ايضا بين ارسالهم في الحروب وبين الرمي
بالسهام فلاجل ذلك استعار اوصاف السهم التي يبطل معها فايدته لمشابهتهم ذلك السهم في عدم الانتفاع بهم
في الحروب وكانه ايضا خصص بعثه لهم على الحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة الشبه وهي عدم
التفاتهم عن امره وتجاوزهم اوطانهم كالرمي بالسهم الذي لا فوق له ولا نصل فانه لا يكاد يتجاوز عن القوس
مسافة وهو من لطائف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها والمعنى ان من حصلتم في حزبه فالخيبة حاصل
له فيما يطلب بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا نفع له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن نفسه بامور نشأت عن اساءة
ظنه بهم وعدم وثوقه باقوالهم لكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهي انه لا يصدق قولهم لانه من اكثر

من شيء عرف به ومن امثاله المراد الكذوب لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعدهم وعدا عدوهم اذ كان وعيده بهم مع
طول تخاذلهم وشعور العدو بذلك مما يجب جرأته وتسلطه واما من المقاومة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الا
ستنكار والتقريع عن حالهم التي توجب لهم التخاذل والتقاعد عن ندائه ومنوقه لما بالكلام عن دعاء دوائهم العالج
المرض الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله ماذا دواؤكم ما طبكم وقيل الاد بقوله ما طبكم اي ما عادتكم والاول
اظهر والتي ثم ستهفهم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وبأسهم فانهم بحال امثالكم في الرجولية التي هي
مظنة الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سوالهم على جهة التقريع وبيته فهم
بمعلى ايوب لا ينبغي منفور عنها مستقبحة في الشريعة والعادة فاولا عن قولهم ما لا يفعلون وسواء ان الى ما
يدعونه ثمن النهوض الى الحرب ثم لا يفعلون ذلك بقوله اقولا بغير عمل تذكيرا لهم بما يستلزم ذلك من المقت
عند الله كما اشير اليه في القرآن الكريم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وعلى الرواية الثانية وهي أقولا بغير حق اي اتقولون بالسنتكم ما ليس في قلوبكم ولا تعتقدونه وتحزمون
به من انا سنفعل كذا وكذا ويحتمل ان يكون معناه اتقولون انا مخلصون لله وانا مسلمون ولا تعلمون شرايط الا
سلام والايمان وثانيا عن غفلتهم التي ليست عن ورع وهي غفلة تعقلهم المصالح التي ينبغي ان يكونوا عليها وهي طرف
التفريط من فضيلة الفطانة وهي خلاف الغفلة مع الورع فان تلك ناشية في المعاد اذ كان الورع عبارة عن لزوم الا
عمال الجميلة المستعدة في الآخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة بحسبها ليست لبضاعة بل
كانت سبب الخلاص من عذاب نار الآخرة وثالثا عن طمعهم في غير حق اي في ان يمنحهم ما لا يستحقونه لينهضوا
معه ويجيبوا دعوته وكانه عليه السلام عقل من بعضهم ان احد اسباب تخاذلهم عن ندائه انما يكون في ان يوفر
عطياتهم او يمنحهم زيادة على ما يستحقونه كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك ونبههم على قبحه من حيث
انه طمع في غير حق والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان** لو امرت به لكنت قاتلا لع
او نهيت عنه لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع
ان يقول نصره من هو خير مني وانا جامع لكم امره استاثر فاساء الاثرة وجزعتم فاسأتم الجزع ولله حكم
واقع في المستاثر والجازع **اقول** المستاثر بالشيء المستبد به ومقتضى هذا الفصل تبريه عليه السلام من
الدخول في دم عثمان بامر او نهي كما نسبه اليه معوية وغيره **فقوله** لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية
ومنها لزوم كونه قاتلا لكونه امرا وهذا اللزوم عرفي اذ يقال في العرف للآمر بالقتل قاتل والامر شريك الفاعل وان كان
الفاعل في اللغة هو المباشر للفعل والذي صدر عنه وكذلك بين في قوله لو نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه
ناهيا وهو ظاهر وقد عرفت ان استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم واللازمان في هاتين القضيتين
هما القتل والنصر ومعلوم ان القتل لم يوجد منه عليه السلام بالاتفاق فان غاية ما يقول الخصم ان قعوده عن نصرته دليل
على ارادته لقتله وذلك ما قال ان القعود عن النصر قد يكون لاسباب اخرى كما سنبينه ثم لو سلم ان القعود
عن النصر دليل ارادة القتل لكن ارادة القتل ليس بقتل فان كل احد يحب قتل خصمه لكن لا يكون بذلك قاتلا وكذلك ظاهر
كلامه يقتضي ان النصر لم توجد منه واذا انتفى اللازمان استلزم انتفى امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد في النصر

الا انه

الا انه استثنى نقيض عين مقدمها لينتج عين تاليها اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا لا يقال لا يخلو اما ان يكون
مرتكب المنكر هو عثمان او قاتليه وعلى التقديرين فيجب على علي عليه السلام القيام والانكار اما على عثمان بالمسارعة عليه ان
كان هو مرتكب المنكر او على قاتليه بالانكار عليهم ونصرته فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطا لكنه لم يخطئ
فلم يكن تاركا لاحد الامرين فلا يثبت التبري والجواب — البري من المعصية في هذا الموضع ان عثمان رضي الله
عنه احدث امورا نقمها جمهور الصحابة عليه وقاتلوه احدثوا احداثا توجب انكارها اما احداث عثمان فلم يثبت انه
تعلو على علي عليه السلام الى حد يستحق بها القتل وانما استحق في نظره ان ينبهه عليها فلذلك ورد في النقل انه انكرها
عليه وجدد من الناس غيره كما سيجي في كلامه عليه السلام فان صح ان النقل ثبت انه انكر عليه ما احدثه
فكذا لا يكون بذلك داخلا في دمه لاحتمال انه لما جدده الناس ولم يغنه اعتزل وان لم يثبت ذلك النقل فالانكار ليس
فرضا من الاعيان بل من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور الصحابة انكروا
تلك الاحداث من عثمان فلا يتعين الانكار على علي واما احداث قاتليه فهو قتله وان ثبت انه عليه السلام ما انكره عليهم
قلنا ان من جملة شروط انكار المنكر ان يعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او يمكنه من الدفع بيده
فلعل علي عليه السلام علم من حال الجند انه لا يفيد انكاره معهم وظاهر ان الامر كان كذلك اما عدم فايدة انكاره بالقول معهم فلانه
نقل عنه عليه السلام انه كان يعد الناس باصلاح الحال بينهم وبين عثمان رضي الله عنه وانه الذي عما نقموا عليه وتكرر منهم وعده لهم
بذلك ولم يكن منه وظاهر انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما انكاره بيده فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد
او العشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ورعاعهم خصوصا عن طباع ثايرة وتاليف وجمعها اشد جامع
وهو ما نسبوه اليه من تفرقة مال بيت المسلمين الذي هو قوام حياتهم سوا كان ما نسبوه اليه حقا او باطلا ومن المحتمل ان يكون
قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل معه ولا يجوز للانسان ان يعرض نفسه للاذى والقتل في دفع بعض المنكرات
الجزئية فاما ان ثبت انه انكر عليهم كما نقل جملة ذلك الانكار على نهيه ام حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله وكان
قوله ولو نهيت عنه لكنت ناصرا دالا على عدم المنع من قتله لعدم تمكنه من ذلك حال عظم وعدم افادة قوله قال بعض الشارحين
هذا الكلام بظاهره يقتضي انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده في حكم الامور المباحة التي لا يؤمر بها ولا ينهى عنها
قلت — هذا سهو لان التبري من الامر بالشيء والنهي عنه غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت عنه ولا
يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال اعتزاله لهذا الامر لكان ما احد ما ذكرناه وبالجملة فان اهل التحقيق
متفقون على ان السكوت عن الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان دل بقرينة اخرى ومما يدل على انه كان
متبريا من الدخول في دم عثمان بامر او نهي ما نقل عنه لما سئل ان قتل عثمان ام سركه فقال ما سائني ولا سرني
وقيل له ارضيت بقتله فقال لم ارض فقيل اسخطت قتله فقال لم اسخط وهذا كلام حق يستلزم
عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شي ولم يدخل فيه يصدق ان يقول اني لم اسخط به ولم ارض ولم اساه ولم اسره
فان السخط والرضا والاساءة والسرور حالات تتوارد على النفس باسباب تتعلق بها فاذا لم تعرض الاسباب عن
نفسه في امر من الامور كيف يعرض له احد هذه الحالات فيه فان قلت — انه كان قتل عثمان منكرا كان
سخطا ناسخط على الامر وسكنه وقد نقل عنه انه لم يسخطه او ذلك يقتضي احد امرين احدهما انه عليه السلام لا

يحفظ للتفكر وهو باطل بالاتفاق الثاني انّ قتل عثمن لم يكن عنده منكراً والتقدير انه منكر قلت
ان قتل عثمن رضي الله عنه يستلزم سخطه لكن لا من حيث انه قتل عثمن بل من جهة كونه منكراً والمنقول انه لم
يسخط لقتل عثمن ولا ساءه ذلك اي من جهة كونه قتل عثمن وذلك لا ينافي ان يسوءه ويسخطه من جهة كونه منكراً
وفي الجواب غموض فليتفطن له ولاجل اشتباه هذه الحال خبط الجهال وفيها يقول شاعر اهل الشام
ما في علي لمستعتب مقال سوى ضمه المحدثينا ٥ه وايثاره اليوم اهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه حذا شبهة وعمى الجواب على السائلينا ٥ه فليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الامرينا
ولا هو ساءه ولا سره ولا بد من بعض ذا ان يكونا ٥ه فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة في معنى قتل عثمن وما نسب
فيه الى علي من ذلك فمبسوط في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري والسيد المرتضى وغيرهم
فلا نطول بذكرها وربما اشرنا الى شيء من ذلك فيما بعد وقوله فمن ان نصره لا يستطيع الى قوله خير مني فاعلم
ان هذا الفصل ذكره عليه السلام جواباً لبعض من انكر بحضرته قعود من قعد عن نصرة عثمان وحملهم مثار الفتنة
وقال انهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وجهالها وان كانوا رأوا ان قتله وقتاله هو الحق
فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة وفهم عليه السلام ان القايل يعنيه بذلك فاجابه بهذا
الكلام تلويحاً لا تصريحاً اذ كان في محل يلزمه التوقي فقدر اولاً انه امر في ذلك الامر ونهى ثم عاد الى الاستثناء فقرر
في هاتين القضيتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين له اذ لا يستطيع ناصروه كمروان واشباهه
ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كعلي بزعم المنكر وكطلحة وساير اكابر الصحابة اذ العقل والعرف يشهد بافضليتهم
وكذلك لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اقصى ما في سبيل التواضع وليس الكلام فيه
فكانه عليه السلام سلم تسليم جدلي انه دخل في امر عثمن وكان من الخاذلين له ثم اخذ في الرد على المنكر بوجه اخر فقال
غير اني لو سلمت اني ممن خذله لكن الخاذلون له افضل من الناصرين واثبت هذه المقدمة بهاتين القضيتين و
حذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على من عداه اتباعه والاقتداء به فينتج هذا القياس انه كان يتعين
على من نصره ان يتبع من خذله وهذا عكس اعتقاد المنكر وقال بعض النقاد ان هذه كلمة قرشية
واراد بذلك انه عثى على النابس في كلامه قال ولم يرد التبري من امره وانما اراد ان الخاذلين له لحقهم المفضولية بكونهم خاذلين
له وان الناصرين له لحقهم الافضلية بنصرته والذي ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان يحمل على
وجه اخر وذلك انه اثبت افضلية الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص بالاثمية في القعود عن النصرة فكانه
قال واذا كان الخاذلون له افضل ممن نصره تعين عليهم السؤال عن الخذلان وان يستفهموا عليهم لا على الناصرين
له مع كونهم مفضولين ولم خصصت بالاثمية من بينهم والمطالبة بوجهه لولا الاغراض الفاسدة وقوله وانا جامع لكم
امره الى قوله الاثرة اشار عليه السلام بهذا اللفظ الوجيز اجمالا الى ان كل واحد من عثمن وقاتليه كانا على طرفي
الافراط من فضيلة العدل اما عثمن فاستيثاره واستبداده بما يرى فيما امته تشاركه فيه والخروج في ذلك الى
حد الافراط الذي فسد معه نظام الخلافة عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في الجزع من فعله الى طرف
التفريط عما كان ينبغي لهم من التثبت وانتظار اصلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل حتى استلزم ذلك الجزع

ارتكابهم لرذيلة الجور في قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع وقيل اراد انكم اسأتم الجزع
عليه بعد قتله وقد كان ينبغي منكم ذلك الجزع له قبل قتله وقوله ولله حكم واقع في المستاثر والجازع المقصود
من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله في المستاثر هو الحكم المقدر اللاحق لعثمن رضي الله عنه بالقتل المكتوب بقلم القضاء الالهي
في اللوح المحفوظ وفي الجازع هو الحكم اللاحق لقاتليه من كونهم قاتلين او مقتولين وخارجين ومن نسبة هذه الاحكام
الى الله تعالى تنبيه على تبريه من الدخول في امر عثمن وقاتليه بعد الاشارة الى السبب المعد لوقوعها في حقهم وهو الا
ساءة في الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الاخرة اللاحق لكل من ثواب او عقاب عن ما ارتكبه من خطاء
او صواب كما قال الله تعالى فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيجزي كلاً بما يستحقه من سعادة
او شقاوة وبالله التوفيق والعصمة ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبد الله بن عباس
الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه
يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني
بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا قال الرضي رضي الله عنه وهو عليه السلام اول من سمعت منه هذه
الكلمة اعني فما عدا مما بدا اقول يستفيئه اي يسترجعه من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلفه من الفيته على كذا
اذا وجدته عليه والعقص الاعوجاج وعقص الثور قرنيه بالفتح متعد وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة
الجموح الشغبة والذلول السهل الساكن والعريكة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية
الصرفة واصل العرك دلك الجلد بالدباغ وغيره وعدا جاوز وبدا ظهر واعلم انه عليه السلام نهى ابن عباس عن
لقاء طلحة بحسب ما راى في ذلك من المصلحة ونبه على علة وجه نهيه عنه بقوله فانك ان تلقه تجده كالثور وقد شبهه
بالثور والى وجه الشبه بعاقص القرن فاستعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ العقص لما
يتبع من تعاطيه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس
الذي قد يعرض للشجاع ووجه الاستعارة الاولى ان القرن الة القوة للثور ومنع ما يراد به عن نفسه كذلك الشجاعة
بلوازمها العلية والقوة ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة الخصام بعقص قرنيه اي
يرخي راسه ويعطف قرنيه ليصوبها الى جهة خصمه ويقارن ذلك منه نفخ صادر عن توهم غلبته لما ومنه
وشدته عليه وانه لا قدرة له عنه كذلك المتشبه ههنا علم منه عليه السلام انه عند لقاء ابن عباس له يكون
مانعاً جانبه متهيئاً للقتال مقبلاً بالخشونة وعدم الانقياد الصادر عن عجبه بنفسه وعنوانه لشجاعته فلذلك
حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه الشبه هو التواطح في ارايه والخلاف عنه عليه السلام التشبيه بالتواطح القرن
وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي تداخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث به في ذلك
اليوم وذلك انه ابلى فيه بلاء حسنا ثم اشار على ابن عباس بلقاء الزبير واشار له الى وجه الراي في ذلك وهو
كونه الين عريكة ويكنى بحسن العريكة عن الطبع والخلق كناية بالمستعار فيقال فلان لين العريكة اذا كان
سهل الجانب لا يحتاج تليينه معه الى تكلف ومجاذبة قوية كالجلد اللين الذي سهل عركه وفلان شديد العريكة
اذا كان بالعكس من ذلك وظاهر ان الزبير كان سهل الجانب فلاجل ذلك امر بلقائه لما عهد من طبيعته انه اقبل

الاستدراج واقرب الى الانفعال عن الموعظة وتذكر الرحم واحسن بجزء الاستمالة بذكر النسب المستلزم لعطوف
الميل والانعطاف من الطباع السليمة ونحو قوله تعالى حكاية قول هرون لموسى عليهما السلام قال يا ابن ام لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني فان فيه من الاستمالة والاسترقاق بتذكير حق الاخوة مما يدعو
الى عطفه عليه ما لا يوجد في كلام اخر واما كون علي عليه السلام ابن خال الزبير فلان ابا طالب وصفية ام الزبير من
اولاد عبد المطلب بن هاشم **ومنه** فما عدا مما بدا قال ـــــ ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف ومن هيهنا لمعنى عن
ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا منك اي ظهر اي ما الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها وحذف الضمير
المفعول كثير كقوله تعالى وسل من ارسلنا قبلك اي ارسلناه وقال ـــــ القطب الراوندي له معنيان احدهما
ما الذي منعك عما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للانسان
ويكون المفعول الثاني لعدا محذوفا يدل عليه الكلام اي ما عداك يريد ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي
قال ـــــ ابن ابي الحديد ليس في الوجه الثاني ما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما
الزيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى منع وفسر قوله مما كان بدا منك في الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم يبق بينهما
تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه ان عدا يتعدى الى مفعولين وهو باطل باجماع النحاة واقول ـــــ الوجه
الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي لان الصرف والمنع لا كثير تفاوت
بينهما وان كان قد يفرق بينهما ان المنع اعم واما اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو مردود عليه لان معنى
بدا في الوجه الاول معنى ظهر للناس منك من البيعة ومراده في الوجه الثاني ما ظهر لك من الراي من نصرتي وطاعتي
وفرق بين ما يظهر من الانسان لغيره وبين ما يظهر له من نفسه او من غيره واما ما ذكره انه زيادة فاسدة فالظاهر ان
لفظة الثاني في قوله المفعول الثاني زيادة من قلم الناسخ سهوا ويؤيده اظهاره للمفعول الاول تفسيرا لقوله ويكون
المفعول لعدا محذوفا ثم اقول ـــــ وهذه الوجوه وان احتملت ان تكون تفسيرا لانه في كل واحد عدولا عن الظاهر
من وجه اما الوجه الذي ذكره المدائني فلانه لا يحمل عدا على حقيقتها وهي التجاوز ويحمل ما بدا على الطاعة التي وقع
احتاج الى ان يحمل من بمعنى عن وهو خلاف الظاهر واما الراوندي فانه فسر عدا بمعنى منع او عاق ويحمل ما بدا على
الطاعة السابقة او على البيعة ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والحق انه يقال ان عدا بمعنى جاوز ومن لبيان
الجنس والمراد ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعد من الامور التي ظهرت لك وحينئذ يبقى الالفاظ على اوضاعها
الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن ابيه عن جده قال سالت
ابن عباس عن تلك الرسالة فقال بعثني فاتيت الزبير فقلت له فقال اني اريد ما تريد كانه يقول الملك ولم يزدني
على ذلك فرجعت الى امير المومنين عليه السلام فاخبرته وعن ابن عباس ايضا انه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني
على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع وسئل ابن عباس عما يعني الزبير بقوله هذا فقال يقول انا على الخوف لنطمع
ان نلي من الامور ما وليتم وقد فسره غيره بتفسير اخر فقال اراد انا مع الخوف من الله نطمع ان يغفر لنا هذا الذنب
ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود يعد
فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسال عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا

والناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم
المصلت لسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده
او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة
ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه للامانة واتخذ
ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من ابعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال
على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض ابصارهم
ذكر المرجع واراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت مكعوم
وداع مخلص وثكلان موجع قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم
قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر في اعينكم من حثالة
القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة
فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم قال ـــــ السيد الرضي رضي الله عنه وهذه الخطبة ربما
نسبها من لا علم له الى معوية وهي من كلام امير المومنين عليه السلام الذي لا شك فيه واين الذهب من الرغام
والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه
الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته
انه قال وهذا الكلام بكلام علي عليه السلام اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم عليه من القهر
والاذلال ومن التقية والخوف اليق قال ومتى وجدنا معوية في حال من الاحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد
ومذاهب العباد **اقول** عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم ومهانة النفس
حقارتها وكلال حد السيف وغيره اذا وقف عن القطع ونضيض وفره قلة ماله والمصلت لسيفه الماضي في الامور
بقوته والمجلب المستعين على الامر بالجمع والرجل جمع راجل واشرط نفسه لكذا اي اعلمها واعدها له واوبق دينه
اي اهلكه والحطام متاع الدنيا واصله ما يتكسر من اليبيس والانتهاز الاختلاس والاستلاب بقدر
الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين وفرع المنبر يفرعه اي علاه و
طامن من شخصه اي خفض والاسم الطمانينة وشمر من ذيله اي اذا رفعه وزخرف اي زين وضؤولة نفسه
حقارتها والمراح المكان الذي تاوي اليه الماشية بالليل والمغدى هو الذي تاوي اليه بالغداة والشريد الطريد وهو
المطرود والناد الذاهب على وجهه والمقموع المذلل والمكعوم الذي لا يمكنه الكلام كانه شد فوه بالكعام وهو
ما يجعل في فم البعير عند الهياج والثكلان الحزين على فقد بعض الاحباب واخملتهم اي اسقطتهم وازالتهم بين الناس
والتقية والتقوى الخوف والاجاج الملح والضامزة الساكتة والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ
به والجلم المقراض تجز به اوبار الابل وقراضته ما سقط من قرضه واعلم انه قد نسب الخير الى بعض الازمنة
والشر الى بعض اخر وتفضيل بعض الازمنة على بعض نسبة صحيحة لان الزمان من الاسباب المعدة المحمودة
ما يحصل في هذا العالم من الاعدادات وما يتبعها مما يعد خيرا او شرا وقد تتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير

والشر في بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعدّ شرًا اكثر فيقال زمان صعب وزمان جاير خصوصًا زمان ١٤٧
ضعف الدين والنواميس الشرعية التي هي سبب نظام العالم وبقايه وسبب الحياة الابدية في الدار الاخرة وفي بعضها
يكون ما يعدّ خيرًا اكثر فيقال زمان حسن وزمان عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة
خصوصًا زمان قوة الدين وظهوره وبقا سمتي ناموس الشريعة مسدودًا هذا وانا كنا اذا اعتبرنا اجزاء الخير واجزاء
الشر الواقعة في كل العالم بحسب كل زمان زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الازمنة في ما يعدّ خيرًا منها وشرًا
ولذلك قال افلاطون الناس يتوهمون بكل زمان انه اخر الازمنة ويثبتون تقصيره عما تقدمه وليس بين
قرن الزمان الماضي والمقيم حقيقتها من التباين وذلك انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم الى ما شاهدت سنيه في
تجاربه في الزمان الماضي وينظرون الى قصور المروات في الزمان المقيم واتساعها في الماضي من غير ان ينظروا الى
الاعراض في الزمانين وما يوجبه كل واحد منها واذا تتبع هذا بعدل واستقصى تصريف الزمانين من القوي والجلا
والامن والخوف والاسباب والاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله عليه السلام انا قد اصبحنا
الى قوله حتى تحل بهم ذم للزمان بوصفه بالجور والشر لما عدد له مما عدد فيه من الاوصاف المعدودة شرًا بالنسبة
الى نظام العالم وبقايه وذكر من تلك الاوصاف خمسة اولها انه نعدّ فيه المحسن مسيئًا وذلك
من حساب للمسيئين الكالين عن القيام بطاعة الله فيعدّون انفاق المحسن لماله ريا وسمعة او خوفًا او رغبة
في مجازاة وكذلك سائر فضايل دون الكل ذلك طعنًا في فضيلته وحسدًا ان ينال رتبة اعلى فيلحق عونه بدرجاتهم
في الاساءة وثانيها انه يزداد الظالم فيه عتوًا وذلك ان منشأ الظلم هو النفس الامارة بالسوء وهي في زمان العدل
تكون مقهورة دايما او في اكثر الاحوال وثورانها في ذلك الوقت طالبة الظلم تكون فلتة وانها ذ… فرصة … فالظالم في زمان
العدل ان ظلم او بغى وزجره … كالسارق الذي لا يامن في كل لحظة ان يقع به المكروه فكذلك الظالم في زمن العدل مقموع
لحرسة الشريعة مرصود بعيون طلايعها اما في زمان ضعف الشريعة فالظالم فيه كالناهب معط لقوته … غير
ملتفت الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه ازيد وقد كان زمانه عليه السلام بالنسبة الى عهد الرسول صلى الله عليه وآله كذلك وثالثها
انه لا ينتفع اهله فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الآخرة على وفق ما علموا من الشريعة ما ينبغي ان تعمل فيها
اذ الانتفاع بالعلم انما يكون اذا وافقه العمل واليه الاشارة بقوله عليه السلام في موضع آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف
بالعمل فان اجابه والا ارتحل فان المراد بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به وتقييده بالعمل اقتضاه وما ينبغي من
مقارنة العمل له ورابعها انهم لا يسالون عما جهلوا وهو توبيخ للمقصرين في طلب العلم بعدم السوال عما جهلوه
منه وقلة الالتفات اليه لقصور افهامهم عن فضيلته واستغالهم بحاضر اللذات الحسية وخامسها انهم لا
يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك لعدم فكرهم في عواقب امورهم واستغالهم بحاضرها عن الالتفات الى مصالحها
وتدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر الجهاد وتنبيه لهم بذكر القارعة وحلولها بهم وكل هذه امور مضادة لنظام
العالم فلذلك عدّ الزمان الواقعة فيه عنودًا وشديدًا قوله والناس على اربعة اصناف الى قوله قلوا اقول
وجه هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لله اما المريدون للدنيا فاما قادرون عليها او غير قادرين وغير
القادرين اما غير محتالين لها او محتالون والمحتالون اما ان يوصلوا نفوسهم للامرة والملك او لما هو دون ذلك فهذه

اقسام

اقسام خمسة مطابقة لما ذكره عليه السلام من الاصناف الاربعة الذين عددهم للذم مع الصنف الخامس الذين افردهم بالمدح
الصنف الاول وهم المريدون للدنيا القادرون عليها وهو المشار اليه في القسم الثاني من قسمته بقوله ومنهم المصلت
لسيفه والمعلن بشره الى قوله يفترعه والمقصود بهذا الصنف القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب
في تحصيل ما يتخيل كمالًا من القنيات الدنيوية فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول ما امكن تناوله بالغلبة
والقهر واعلان الشر المجاهرة بالظلم وغيره من رذايل الاخلاق والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب
الظلم والغلبة والاستعلاء على الغير واشراط نفسه تاهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهر ان من كان كذلك فقد
اوبق دينه وافسده وقوله لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه اشارة الى بعض العلل الغائية
لصنف المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ الحطام للمال ووجه المشابهة ان اليبيس من النبات
لما لا ينقع له بالنسبة الى ما يبقى خضرته ونضارته او يكون فانيًا كذلك المال بالنسبة الى الاعمال الصالحة الباقي
نفعها في الاخرة وانما خص هذه الامور الثلاثة لانها الاغلب فيما يسعى اهل الدنيا لاجله اذ الغالب ان السعي فيها اما لجمع
المال او لرياسة دنيوية باتخاذ الخيل والنعم او دينية كما في المنابر والتراس بناموس الدين مع قصد الدنيا
وقوله ولبئس المتجر الى اخره تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في اعمالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة فان
طالب الدنيا المحصل لها كيف ما اتفق هالك في الآخرة فهو كالبايع لها بما حصل له من دنياه والمعاوض بما له عند الله
من الاجر الجزيل لو اطاعه حظًا ما ينقضي عينه ويبقى تبعته ولذلك استعار لفظ التجارة لها الصنف
الثاني وهم المريدون لها الغير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو المشار اليه بقوله منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض
الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره وكنى بقوله كلالة حده عن … صرامته في الامور وضعفه عنها
وظاهر ان المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلي عن الموانع المذكورة ووجد الدنيا لتمكن سعيه فيها بالفساد الصنف
الثالث الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها واعدادهم انفسهم لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله
ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا الى اخره فقوله يطلب الدنيا بعمل الآخرة اشارة
الى الحيلة للدنيا كالرياء والسمعة وقوله ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا اشارة الى انه مريد للدنيا فقط وقوله قد
طامن من شخصه الى اخره تفصيل لكيفية الحيلة فان خضوع الانسان وتطامن شخصه والمقاربة بين خطوه وتشمير
ثوبه وزخرفة نفسه بما هو شعار الصالحين من عباد الله وستر الله الذي يحتمي به اهل التقوى ان يردوا موارد الهلكة
يتخذ من يضيف من الناس المكاشف لاحوالهم في عيون اهل الدنيا وارباب القنيات ليسكنوا اليهم في الامانات ويخولوهم
ويحملوا اليهم ذريعة لهم الى ما املوه من الدنيا الفانية فيكونون قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينه وسيلة الى معصيته
الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالين لها المرهلون انفسهم للملك والامرة وهم المشار اليهم بقوله
٥ ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه الى اخره وذلك من موانع هذا الصنف عما راموه ما يغيب احدهم فنودوله
نفسه وقصور باعه عن المساواة وتخيلها العجز عن طلب الملك وان كان سلطوا له الثاني سبب ذلك الضعف وهو
انقطاع سببه من قلة المال وعدم الاعوان والانصار في الطلب فلذلك وقف به حال القدرة على حالة التي لم
يبلغ معها ما اراده وقصرته عليها فعدل يتوسل الى الحيلة الجاذبة لرغبات الخلق اليه من التحلي بالقناعة

١٣٩

فالتذوين بلباس اهل الزهادة من المواظبة على العبادات ولزوم ظاهرا وباطنا وان لم يكن ذلك من اصل واعتقاد
قادوا اليه قوله وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى كناية عن انه ليس من القناعة والزهد في شيء اصلا
ويحتمل ان يكون هذا الصنف من غير القادرين وغير المحتالين الصنف الخامس وهم المريدون بيد
تعالى وهم المشار اليهم بقوله عليه السلام وبقي رجال الى آخره وذكر لهم اوصافا الاول كونهم قد غض ابصارهم
ذكر المرجع وذلك ان المريد بها اذا التفت الى جنابه المقدس واستحضر انه راجع اليه بل ماثل بين يديه فلا بد ان
يغض عن غيره حياء منه وابتهاجا بمطالعة انواره خوفا ان يحجب به لبصيرة عن صعود مراتب الكمال الى معارج الجلال
ولان الحس تابع للقلب فاذا كان بصر القلب مشغولا مستغرقا في جلال الله كان مستتبعا للحس فلم يكن له التفات
من طريقه الى امر آخر ويمكن المراد بالغض الثاني كونهم قد اراق دموعهم خوف المحشر واعلم ان خوف الخائف
قد يكون لامور مكروهة لذاتها وقد يكون لامور مكروهة لما يؤدي اليه ما هو مكروه لذاته واقسام القسم الثاني كثيرة كخوف
الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوية
نه بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المالوفة او خوف تبعات الناس عنده او خوف سوء الخاتمة او خوف
سبق الشقاوة في علم الله تعالى وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصالحين واغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة
فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون الخاتمة تبعا لها ومظهرا لما سبق في
اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل ان
يكون لهما فيه غنى او هلاك فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير او شر وتعلق قلب
الآخر بما خطر بباله حالة التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فكان اعلى فكذلك الالتفات
الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم الالهي في اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات الى الابد والى ذلك اشار الرسول
صلى الله عليه حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء
آبائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله
تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يخرجهم
الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم واما اقسام
القسم الاول فمثل ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته او سؤال منكر
ونكير او عذاب القبر او هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير
او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او من النار واغلالها واهوالها او من حرمان الجنة او من نقصان
الدرجات فيها او خوف الحجاب من الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها ويختلف حال السالكين الى
الله فيها واعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين
والصالحين والزاهدين ومن لم تكمل معرفته بعد واذا عرفت ذلك فنقول الخوف الذي اشار اليه عليه السلام
من هذا القسم او خوف المحشر يتضمن ما ذكرناه من اقسامه الثالث كونهم بين شريد ناد اي مشرود في
البلاد مطرود اما لكثرة النكاية المنكر او لقلة صبره على مشاهدة المنكر وخائف مقموع وساكت مكعوم

اي

اي كان التقية شدت فاه عن الكلام وهو من باب الاستعارة وداع مخلص لله وثكلان موجع اما المصابه في الدين او من
كثرة اذى الظالمين وهذا تفصيل لحال احاد المتقين ويحتمل ان يكون تفصيلا لحالهم بالنسبة الى خوف المحشر اي ان خوف
المحشر اراق دموعهم وفعل كل واحد منهم ما ذكر عنه من الحالة التي هو عليها الرابع كونهم قد اخملتهم التقية اي
تقية الظالمين وخوفا كبيرا لما سبق الخامس كونهم قد شملتهم الذلة اي بسبب التقية السادس كونهم في بحر
اجاج واستعار لفظ البحر بوصف الاجاج لما هم فيه من احوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة ان الدنيا كما لا يصلح للاقتناء وفي
الاستمتاع بها بل يكون سببا للعذاب في الآخرة وكذلك البحر لا يمكن سائحه وان بلغ به جهد العطش مبلغه شربه والتروي
به قوله وافواههم ضامزة وقلوبهم قرحة اي انهم لما قطعوا انفسهم عن لذاتها ومخالطة اهلها فيما هم فيه من
الاهتمام بها لا جرم كانت افواههم ضامزة لكثرة صيامهم بعيدة العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة خوفا او شوقا من الله
او عطشا الى رحمته ورضوانه او لما يشاهدونه من كثرة المنكرات وعدم تمكنهم من انكارها ومن روى ضامرة بالراء
المهملة اراد سكونهم وقلة كلامهم السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا اي ملوا وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم الثامن
كونهم قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قتلوا حتى قلوا اي قتلهم الظالمون لعدم انتظامهم في سلكهم فان قلت
كيف يقال قتلوا مع بقاء بعضهم قلت اسناد القتل الى الكل لوجود القتل في البعض مجازا من باب اسناد حكم
الجزء الى الكل والا فالكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين على غايته منهم فجاز اسناد القتل اليهم وان كان
القتل لبعضهم قوله فلتكن الدنيا في اعينكم الى آخره امر السامعين باستصغار الدنيا واستحقارها
بحيث لا يكون في اعينهم امرا احقر منها فان حثالة القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة والمراد من هذا الامر وغايته
الترك لها فان استحقار الشيء واستصغاره يستتبع تركه والاعراض عنه ثم امرهم بالاتعاظ بالامم السالفة فانها
في الماضين عبرة لاولي الاجساد ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرتها ثم مفارقتهم
لذلك بالموت وبقاء الحسرة والندامة للمستكثرين منها حجابا حائلا بينهم وبين الوصول الى حضرة جلال الله
والامر بالعبرة قبل ان يتعظ بكم من بعدكم على انهم مضطرون الى مفارقة ما هم فيه وسيصيرون عبرة لغيرهم
وغاية الامر بالاتعاظ ايضا الاعراض عنها والاقلاع عن الاعتداد بها ثم لما امرهم بهذه الاوامر التي ليست صريحة في الترك
اردف ذلك بالامر الصريح بالترك فقال وارفضوها ذميمة اي اتركوها حال ما هي حقارة والذمامة ثم نبه بعلة على ما
يبعث على تركها وهو عدم دوام صحبتها وشبابها لمن كان احب منهم لها اي لو دام سرورها ونعيمها لاحد لدام لاحب
الخلق لها واحرصهم على الحفظ عليها فلما لم تدم لمن هو اشد حبا لها منكم فبالاولى ان لا تدوم لكم واذا كان
طبعها رفض كل محب فالحري بذي المروة واللب التورع والاعراض عمن لا يدوم صحبته ولا تصفو محبته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه
دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها فقال والله
لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج عليه السلام فخطب الناس فقال ان الله
بعث محمدا وليس احد من العرب يقرا كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فا
ستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت [illegible]

ولاجبنت وان مسيري هذا لمثلها ولأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه مالي ولقريش والله لقد قاتلتهم
كافرين ولأقاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم قوله ذوقار موضع قريب
من البصرة وهو الموضع الذي نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام والخصف للنعل اي خرزها وبوأهم اسكنهم
والمحلة المنزل والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر المنتظم الفقار والصفاة الحجر الاملس المنبسط
والساقة جمع سائق وتولت بحذافيرها اي باسرها والبقر الشق واعلم انه عليه السلام قدم لنفسه مقدمة من
الكلام اشار فيها الى فضيلة الرسول صلى الله عليه في مبعثه وهو سوقه للخلق الى الدين الحق ليبني عليها فضيلة
نفسه وكانت غايته من ذلك توبيخ من خرج عليه من قريش والاستعداء عليهم فقوله ان الله بعث محمدا الى قوله
صفاتهم صدر الكلام اشارة فيه الى فضيلة الرسول صلى الله عليه والواوان الداخلتان على حرفي النفي للحال فان قلت
كيف يجوز ان يقال انه لم يكن احد من العرب في ذلك الوقت يقرأ كتابا وكانت اليهود يقرءون التوراة والنصارى
الانجيل قلت ان الكتاب الذي تدعيه اليهود وتسميه ذلك الوقت التوراة ليس هو الكتاب الذي انزل
على موسى عليه السلام فانهم كانوا حرفوه وبدلوه فصار كتابا آخر بدليل قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وظاهر انه من حيث هو مبدل ومحرف
ليس هو المنزل على موسى عليه السلام واما الكتاب الذي تدعي النصارى بقاءه في ايديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم
كفارا بسبب القول بالتثليث واما النافون للتثليث فهم في غاية القلة فلا يفيد قولهم ان ما في ايديهم هو الانجيل
علما فان ذلك لا يكون للعرب حال مبعث محمد صلى الله عليه كتابا منزلا من عند الله سلمنا ولكن يحتمل انه يريد
بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن له دين ولا كتاب واما كان لبعضهم تمسك باثار من شريعة اسمعيل
وبعضهم برسوم الحنفية **وقوله** فساق الناس حتى بوأهم محلتهم الاشارة بسوقه لهم الى سوقه العقلي لاذهانهم
بحسب المعجزات الى تصديقه فيما جاء به وسوقهم بحسب ما جاءهم به من القرآن الكريم والسنة النبوية الى معرفة
سبيل الله ثم بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب لبعض الى سلوك تلك السبيل فاصبحوا وقد تبوءوا اعلى
اي منازلهم ومراتبهم التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوب العناية الازلية بوجودهم في هذه الدار وهي لزوم القصد
في سبيل الله المسمى اسلاما ودينا وايمانا وهو في الحقيقة المنجاة التي لا خوف على سالكها ولا سلامة للمنحرف
عنها وذلك معنى قوله وبلغهم منجاتهم **وقوله** واستقامت قناتهم فالمراد بالقناة القوة والغلبة
والدولة التي حصلت لهم مجازا وهو من اطلاق اسم السبب على المسبب فان الرمح او الظهر سبب القوة و
الشدة ومعنى اسناد الاستقامة اليها انتظام قهرهم ودولتهم **وقوله** واطمأنت صفاتهم استعارة
لفظ الصفاة لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم وعلى احوالهم متزلزلين
لا يقر بعضهم بعضا في موطن ولا على حال بل كانوا ابدا في الغارة والنهب والجلاء فكانوا كالواقف على حجر
املس متزلزل مضطرب فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه
وقوله اما والله ان كنت لفي ساقتها الى قوله ولاجبنت تقرير لفضيلته فاثبت لنفسه انه كان من
ساقتها الى ان تولت باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في ساقتها للكتائب المتحزب وان

الجمع لما ذكر وصرح بل ما يحصل منه معنى الذكر وهو الناس فكانه قال فساق الناس وهم بمنزلة كتائب عليه
ثم ساقتها حتى تولت تلك الكتائب باسرها فلم يبق منها من تقاتله وقد علمت ان السوق قد يكون سوقا الى الهدى وقد يكون
سوق طرد وهزيمة والاول هو غايته عليه السلام من السوق الثاني اذ لم تكن مقصودة من حروبه الا السوق الى الدين ولما لم يمكن
حصول الهداية للخلق الا بوجود النبي صلى الله عليه وايضاح سبيل الحق كان دفعه وطرده للكتائب حتى تولت بحذافيرها
فيه حماية عن دين النبي وعن حوزة الدين اشرف وافضل الا انه لكن الغرض تمام الهدى الذي هو غاية وجود النبي
وقوله ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات الفضيلة المذكورة له وتقرير لما علم من شجاعته وتاكيد بعدم العجز في
الجبن الذي هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة **وقوله** وان مسيري هذا لمثلها اي لمثل تلك الحال التي كنت
عليها معهم زمان كونهم من سوق كتائبهم وطردها من غير جبن ولا ضعف وهو في معنى التهديد الذي عساه ان يبلغ
خصومه ويقوي به نفوس اوليائه وكذلك قوله لابقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته ايضا في معنى
التهديد وتنبيه على ما عليه خصومه من الباطل واستعار لفظ الخاصرة للباطل والبقر لتفريق الباطل و
تبيين الحق منه تشبيها له في استتار الحق فيه وعدم تبينه منه بحيوان ابتلع جوهرا ثمينا فعزم شقه واخراج
ما ابتلعه فاحتيج الى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع **وقوله** مالي ولقريش استفهام على سبيل الانكار لما
بينه وبينهم مما يوجب الاختلاف وجحد لفضيلته وحسم لاعذارهم في حربه **وقوله** والله لقد قاتلتهم كافرين
اظهار المنة عليهم بسوقهم فيه لهم الى الدين اولا وتعيير لهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم
به وليخجلوا من مقابلته بالباطل وهو اظهار الانكار عليه اذ كانوا اولى بان ياتيا المنكر منه وهو اولى بان يردعهم عنه اخرا
كما كان اولا وكذلك قوله وقاتلتهم مفتونين على احدى الروايتين واما على رواية ولاقاتلنهم مفتونين فهو تهديد
بان يوقع بهم القتال على فتنتهم ومثلها لجرهم عن الدين وكافرين ومفتونين نصب على الحال وفي ذكر هذين الحالين
تنبيه على علة قتاله لهم في الحالتين وهو طلبه لاستقامتهم في الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال واغراء
لسامعيه بهم **وقوله** واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم تتغير حاله التي بها
قاتلهم كافرين وفائدته تذكيره للخصم بحاله الكاملة في ذلك الوقت ليتقهقروا عن محاربته اذ في تذكر وقائعه
في بدء الاسلام وشدة باسه ما تطير منه القلوب وتقشعر منه الجلود وقد نقلت في تمام هذه الخطبة في بعض
النسخ لتضج منه قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا اليهم الا انا اجترأنا عليهم وذلك اشارة
الى السبب الاصلي لخروج طلحة والزبير وغيرهم من قريش عليه وهو الحسد والمنافسة ان تكون الخلافة والنبوة في
بني هاشم دونهم والضجيج الصراخ القوي وهو كناية عن اشد صياحهم ومنافرتهم له على هذا الامر وقوله والله
ما اتينا الى اخره تاكيد لما نسبه اليهم من سبب الخروج بالقسم البار على انه لم يكن الباعث لهم على قتاله او
على خروجهم والبغي عليه امر كان قبله سوى الاجتراء عليهم اي الشجاعة والاقدام عليهم في منعهم عما يريدون من
نيل الدنيا والا فشرع الشريعة فانه لما لم يكن ذنب في الحقيقة اشارة في حقهم يستحق بها المنافاة منهم الى الحساب
سلوك الروح عن طريق الضلال تعين ان السبب في الخروج عليه وذلك بعينه هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس الى اهل الشام افّ لكم لقد سئمت

عتابكم ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت
اعينكم كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون وكان قلوبكم
مألوسة فانتم لا تعقلون ما انتم لي بثقة سجيس الليالي وما انتم لي بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم
ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب
انتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون غلب والله
المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج
الراس والله ان امرءا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف
ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فاما انا فوالله دون ان اعطي ذلك ضرب بالمشرفية
تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها الناس ان لي عليكم
حقا ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا
تجهلوا وتاديبكم كيما تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين
ادعوكم والطاعة حين آمركم اقول روي انه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر
الخوارج وقد كان قام بالنهروان فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله تعالى قد احسن نصركم
فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام فقالوا له قد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا
الى مصرنا لنصلح عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا لنستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم الآية فتلكؤوا عليه وقالوا ان البرد شديد
فقال انهم يجدون البرد كما تجدون الا انكم تمثلا بقوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
الآية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا ان يرجع بهم الى الكوفة اياما ثم يخرج بهم
فرجع بهم غير راض وانزلهم النخيلة وامرهم ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا زيارة
اهاليهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى لم يبق معه الا القليل منهم فلما راى ذلك دخل الكوفة
فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده
حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به وجفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون
في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى
بالله وكيلا قال فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم هذه الخطبة فقال اف لكم الفصل اقول
كيف تعجب من الشيء وغمرات الموت سكراته التي يغمر فيها العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم
اي يغلق الجواب في المخاطبة وتعمهون تتحيرون وتترددون والمألوس المجنون والمختلط العقل وسجيس الليالي
وسجيس الاوجس اي ابدا مدى الليالي والدهر والزوافر جمع زافرة وزافرة الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع
ساعر واسعار النار تهييجها والهابها والامتعاض الغضب وحمس الوغى اشتدت الحرب وجلبة
الاصوات وعرقت اللحم اعرقه اذا لم ابق على العظم منه شيئا والمشرفية سيوف منسوبة الى مشارف قرى

من

من ارض العرب تدنو من الريف وفراش الهام العظام الرقيقة تلي القحف واعلم انه عليه السلام لما اراد استنفارهم الى الحرب
وكانوا اكثروا عليه التثاقل عن دعوته استقبلهم بالتأفيف والتضجر مما لا يرتضيه من افعالهم وقوله ولقد سئمت
عتابكم تنبيه لبعضهم على ما فيه منه وقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا استفهام
على سبيل الانكار عليهم يستلزم الحث على الجهاد فان الجهاد لما كان يستلزم ثواب الآخرة وعز الجانب والخوف
للاعداء والقعود عنه يستلزم في الاغلب السلامة في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم له كان قعودهم
عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخرة واستخلف الذل من العزة وذلك مما لا يرتضيه ذو عقل سليم وعوضا وخلفا
منصوبان على التمييز وقوله اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى قوله لا تعقلون تبكيت لهم وتوبيخ برذائل تعرض
لهم عند دعائه لهم الى الجهاد الاولى انه تدور اعينهم حيرة وترددا وخوفا من اجابته اما لمخالفة دعوته او الاقدام على
الموت وقطع الاسر خطبته فيشبه حالتهم تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت الساهي فيها عن
حاضر احواله المشغول بما يجده من الالم وهو قوله تعالى ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الثانية
انه يرتج عليهم جوابه ويتحيرون في موضع المقال ويعمهون عطف على ما يرتج عليكم فتتحيرون ثم رشحت حالهم عند دعائه لهم الى
الجهاد تشبيها ثانيا بحال من اختلط عقله اي انهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كالمختلط العقل لا يفقه ما يقول الثالثة انهم ليسوا
لديه بثقة ابدا وهو وصف لهم برذيلة الخلف والكذب المستلزم لعدم الثقة باقوالهم الرابعة كونهم ليسوا بركن يمال به المستند
الذي يحتمي به يقال فلان ركن شديد استعاره لمن ركن الجبل ووجه المشابهة ما بينهما من المشاركة في الشدة وامتناع المعتصم به وفي
نحو قوله تعالى لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اي قوي يمنعني منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز الخامسة
ولا زوافر عز يفتقر اليهم وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة السادسة تشبيههم بابل ضل رعاتها والى وجه الشبه
وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب اشاره الى انهم ضعيفو العزوم متشتتو الآراء لا يجتمعون على
مصلحة يكون بها نظام احوالهم في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة العملية وكالهما على رذيلة البله السابعة
كونهم ليسوا يسعرون نار الحرب اي ليسوا من رجالها وذلك ان مدار الحرب على الشجاعة والراي وقد سبق منه الاشارة الى ذهابهم
بالفشل وضعف الراي فاذن ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لفظ النار للحرب لما يستلزمانه من الاذى الشديد
رشح تلك الاستعارة بذكر الاسعار ووصف رجالها به الثامنة كونهم يكادون ولا يكيدون اي يخدعون
ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة بهم وليس لهم قوة المكر والحيلة به وذلك ايضا من رذيلة ضعف الراي التاسعة
كونهم تنتقص اطرافهم فلا يتمعضون اي يغار العدو في كل وقت على بعض بلادهم فيجوزها فلا يشق ذلك عليهم ولا تدركهم
من الله حمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة العاشرة كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم لهم وهو وصف برذيلة
الغفلة ايضا عما يراد بهم وقلة عقليتهم لمصالح انفسهم وكل هذه التوبيخ تثقيف لهم وتنبيه لنفوسهم الراقدة في مراقد
الطبيعة الى ما ينبغي لهم من المصالح التي يكون بها نظام احوالهم على قانون الشريعة وقوله غلب والله المتخاذلون تنبيه
على انهم بتخاذلهم سيغلبون واورد الغلب المطلق معقودا بالتخاذل لانهم بالحكم العام اشد قبولا منهم لدخولهم اذ وضعهم
بمقال مخاطبتهم والله اذ تخاذلهم لم يكن وقعه في الذهن كوقعه عاما وقوله وايم الله الى قوله انفراج الراس اقسم انه ليظن
بهم انهم عند اشتداد الحرب وحميان الموت سينفرجون عنه انفراج الراس اقسم انه اي يتفرقون عنه اشد تفرق وانفراج

راس شيء بل اول من تكلم به اكثم بن صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فانكم بعد ذلك لا تجتمعون
على عز وفي معناه اقوال احدها قال ابن دريد معناه ان الرأس اذا انفرج عن البدن لا يعود اليه ولا يكون بعده اتصال وذلك
اشد انفراج الثاني قال المفضل الرأس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الرأس وفيها تباع
الخمر قال حسان كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء وهذا الرجل قد انفرج
عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب به المثل في المباينة والمفارقة الثالث قال بعضهم معناه ان الرأس اذا انفرج عن
بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتيام والعود الى الصحة الرابع قال بعضهم انفرجتم عني رأسا اي بالكلية الخامس
قيل معناه انفراج من يريد ان ينجو برأسه السادس قيل معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية
من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج ونحوه قوله عليه السلام في موضع آخر انفراج المرأة عن قبلها وعلى كل تقدير فهو من
شدة انفصالهم وتفرقهم عنه احوج ما يكون اليهم واستحرار الموت يحتمل ان يراد به شدته تشبيها بالحرارة مجازا
كما سبق ويحتمل ان يراد به حلوله وحضوره فيكون اشتقاقه من الحرية والجملة الشرطية خبر ان المخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهي مع اسمها وخبرها قائمة مقام مفعولي اظن وفيه توبيخ لهم على التقصير البالغ في
حقه الى حد ان يظن بهم الظن المذكور **وقوله** والله ان امرءا الى قوله ان شئت من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب
للانفعال عنه وذلك انه صور لهم افعالهم من التخاذل عن العدو والضعف وسائر افعالهم المذمومة التي الفوا التي توبخ
عليها والتقصير فيها له تصويرا ابلغ في افحش صورة واشدها كراهة اليهم وابلغها نكاية فيهم وهو تمكينهم للعدو من
انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه هي بعينها تمكين العدو مما يريد بهم واعداد له وتقوية لحاله ولما كان من
عادة ظفر العدو اجتياح المال والقتل وتفريق الحال كنى عن الاول بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم
لسلب المال بكليته ظاهر وكذلك كنى عن القتل وسائر اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم العظم وعن تمزيق الحال
المنتظم بفري الجلد ثم لما كان من البين ان تخاذلهم تمكين لعدوهم منهم وكان تمكين الانسان لعدوه من نفسه ليفعل به الا
فعال المذكورة لا يكون الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لاجرم اثبت العجز وضعف القلب لمن يمكن
عدوه من نفسه واكد ذلك بان وبالقسم البار وكنى بضعف القلب عن الجبن واتى بذلك الاثبات على وجه عام
لكل امرئ فعل ذلك ولم يخصهم بالخطاب لان نسبة تمكين العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصود بذلك زجرا لنفار بعضهم
عن الاصغاء تحت هذا العموم بالانقياد لامره بالجهاد ثم اردفه بالامر ان يكونوا ذلك المرء الذي وصفه بما وصفه امرا على
سبيل التهديد والتنفير وذلك قوله انت فكن ذلك ان شئت اي ذلك المرء الموصوف بالعجز خطاب للشخص المطلق
الصادق على اي واحد منهم كان وامره له ان يكون بصفة المرء الموصوف او الاستفهام له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال
الردية عند تمكينه عدوه من نفسه وروي انه خاطب بقوله انت فكن ذلك الاشعث بن قيس فانه روي انه قال له
وهو يخطب ويلوم الناس على تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان فقال له ان فعل ابن عفان لمخزاة على
من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرءا امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رأيه مأفون عقله ان انت
فكن ذلك ان شئت الفصل **وقوله** فاما انا الى قوله ما يشاء لما خيرهم ان يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد اردف
ذلك بالتبرؤ من الاتصاف بحال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السلام اسوة في النفار عن تمكين العدو من انفسهم الا بعد بذل

النفس في الجهاد اي على تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فانه هو لا يختار ذلك بل دون ان يعطي عدوه من نفسه ذلك
التمكين ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية عن اشد المجاهدة ويفعل الله
بعد ذلك الجهاد والمناجزة ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فان اليه مصير الامور وعواقبها **وقوله** ايها
الناس الى اخره ذكر ما لهم عليه من الحق وما له عليهم منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الواجب لهم فينبغي ان يخرجوا
اليه من الواجب حقه الذي فرضه الله عليهم فبدا ببيان حقهم عليه ادبا واستدراجا لطاعتهم فان البداءة بحق الغير
قبل حق النفس الذي هو الاولى ادب وهم لما عليه اقبل وذكر منها اربعة امور بها يكون صلاح حالهم في الدارين احدها النصيحة
لهم وهي حثهم على مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما هو الاليق بهم في معاشهم ومعادهم الثاني توفير فيئهم عليهم بترك ظلمهم
فيه وتفريقه في غير وجهه وجرهه الى ما ليس لمصلحة لهم كما نسبوه الى من كان قبله الثالث تعليمهم كيلا يجهلوا
والامام يتركهم يجهلوا الا انه ظهور المنة عليهم بذلك فبقي الجهل عنهم اشد من ظهوره في ذكر عرض لجهاد العالم لهم ولذلك كان
تاديب الرجل ولده من الحقاق له يا ما جعل اشد بكثير من تعادمن يقال له انت بعالم الرابع تاديبهم كيما يعملوا
ومن هذه الامور الاربعة هي الواجبة على الامام للرعية واحد منها يرجع الى اصلاح ابدانهم وقوامها وهو توفير فيئهم عليهم بضبطه
وعدم التصرف فيه لغير وجه مصالحهم واثنان يرجعان الى اصلاح حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو
التعليم لغرض العلم او من جهة اصلاح القوة العملية وهو التاديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحتي البدن والنفس
ونظام احوالهما وهو النصيحة لهم ثم انه ذكر ذلك بيان حقه عليهم وذكر ايضا اربعة الاول الوفاء بالبيعة
وهي اهم الامور اذ بها النظام الكلي الجامع لهم معه الثاني النصيحة له في غيبته وحضوره والذب عنه اذ بذلك
نظام شمل المصلحة بينهم وبينه ايضا الثالث اجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فان التثاقل عن دعوته
مما يلحق من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة الرابع طاعتهم له حين يامرهم وظاهر ان شمل المصلحة
لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل ان هذه الامور الاربعة وان كانت حقوقا له عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم
من النفع في الدنيا والاخرة فان الوفاء ملكة تحت العفة والنصيحة له سبب لانتظام امورهم به واجابة دعوته اجابة
الداعي الى الله الجاذب الى الخير والمصلحة وكذلك طاعته طاعة امر الله اذ هو الناطق به وقد علمت ما تستلزمه طاعة الله من
الكرامة عنده وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** بعد التحكيم الحمد طلع
لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى
الله عليه واله اما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه
الحكومة امري ونخلت لكم مخزون رايي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة و
المنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت واياكم كما قال اخو هوازن
امرتهم امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد **اقول** اي ان عمرو بن العاص وابا موسى
الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في امر الناس كان علي عليه السلام قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان
به فلما تمت خدعة عمرو لابي موسى وبلغه عليه السلام ذلك اغتم له غما شديدا ووجم منه وقام فخطب الناس فقال
الحمد لله الفصل وزاد بعد الاستشهاد بالبيت وزيد في بعض الروايات الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما

فقد احكم الكتاب واحييا ما اماتا واتبع كل واحد منهما هواه وحكما بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا في حكمهما
فكلاهما لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير واصبحوا في معسكركم يوم كذا فاما قصة التحكيم وفي
سببها فمذكور في كتب التواريخ والخطب الامر العظيم وفدحه الامر اذا غاله وابهظه والحايف حتى الطباع الا
ينبو الطبع عن الموافقة فيقاطع ويباين **فقوله** الحمد لله الى قوله الجليل قد عرفت نسبة الخير والشر الى
الدهر على اي وجه هي ومراده حمده الله على كل حال من السراء والضراء وان هنا للغاية ويفهم من هذا الصدر وقوع
الخطب الفادح وهو ما وقع من امر الحكمين وحمد الله عليه وقوله ليس معه اله غيره تاكيد لمعنى كلمة التوحيد وتقرير
لمقتضاها **وقوله** اما بعد الى قوله الندامة العقود الاربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في حسن الراي
ووجوب قبوله اما كونه ناصحا فلان الناصح يصدق الفكر ويمحض الراي وغير الناصح ربما يشير بغير الراي فيوقع في
المضرة واما كونه شفيقا فلان الشفقة تحمل على النصح فتحمل على حسن التروي في الامر وايقاع الراي فيه عن تثبت
واجتهاد والباعث على هذين اعني النصح والشفقة اما الدين او محبة المستشير واما كونه عالما فلافادته اصابته بعلمه
وجه المصلحة في الامر فان الجاهل اعمى لا يبصر وجه المصلحة فيه قال رسول الله صلى الله عليه استرشدوا العاقل
ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله ابن الحسين لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر
عداوة العدو العاقل فانه كما يوشك ان يقع بك العاقل بمكره يوشك ان يورطك شؤم الجاهل واما كونه
مجربا فلانه لا يتم راي العالم ما لم ينضم اليه التجربة وذلك ان العالم وان علم وجه المصلحة في الامر الا ان ذلك الامر قد
يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطلع عليه الا بالتجربة مرة ومرة فالمشورة من دون تجربة مظنة للخطا وقيل في منثور
الحكم كل شي يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير الموصوف بالصفات
المذكورة مستلزمة في الغالب الاحوال للسرور بحسن ثمرة رايه والفوز بها لا جرم كانت معصيته ومخالفة رايه
مستلزمة للحسرة مستعقبة للندامة **وقوله** وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري لما قدم ان معصية المشير
المذكور يعقب الحسرة والندامة اردف ذلك ببيان انه هو المشير واشار اليهم في القوم ليتضح انهم قد
عصوا مشيرا قد استكمل شرايط الراي فيتوقعوا الندم على معصيته **وقوله** ونخلت لكم مخزون رايي
استعار لفظ النخل لاستخلاص اسد ارايه واجودها لهم بحسب اجتهاده ووجه المشابهة ان اجود ما ينتفع به
ما ينخل من دقيق ونحوه وهو المنخول كذلك الراي الاجود والانقى ما استخلص وصفي من كدورات الشهوة والغضب
وقوله لو كان يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا هو قصير ابن سعد اللخمي مولى جذيمة الابرش بعض ملوك
العرب واصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزبا ملكة الجزيرة فبعثت اليه عن حيث ليتزوج بها خدعة وسالته
القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي وكان قصير
اشار على جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل لا به فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبلته جنود الزبا بالعدة ولم
ير منهم الكرامة له فاشار اليه قصير بالرجوع عنها وقال له انها امراة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما
دخل اليها غدرت به وقتلته فعندها قال قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب
في رايه وقد يتوهم ان جواب لو هاهنا مقدم والحق ان جوابها محذوف والمعنى يتضح بتقدير الكلام والتقدير

إلى

اني كنت امرتكم امري في هذه الحكومة ونخلت لكم فلو اطعتموني لفعلتم ما امرتكم به ومحضت لكم النصيحة فيه فقوله
لو فعلتم هو تقدير الجواب ومما ينبه عليه ان قوله فابيتم على اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة وهو في تقدير استثنا
نقيض ذلك التالي وتقديره لكنكم ابيتم علي اباه من خالف الامر وصب المشير وعصاه حتى شك في نصحه هل
كان صوابا او خطا وهذا الحكم حق فان المشير بالراي الصواب اذا كثر عليه الخلاف فيه فقد يتهم نفسه في صحته وذلك الراي
وصوابه لان استخراج وجه المصلحة في الامر امر اجتهادي يغلب على الظن بحسب الامارات اللايحة للمشير فاذا جوز
المشير ان يكون خلاف ما راه هو المصلحة فلا مانع اذن ان يعرض لغيره امارات اخرى يغلب على ظنه ان ما راه هو ليس
مصلحة فيعارض بها ما راه الاول حتى يخالفه في رايه فاذا كثرت تلك المخالفة من جمع عظيم جاز ان يشكك
الانسان فيما راه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان الامارات التي اقتضت ذلك الظن غير صحيحة فلذلك قال عليه
السلام حتى ارتاب الناصح بنصحه وعنى بالناصح نفسه او من راى الحق برايه لاطباق اكثر اصحابه على مخالفتهم وقال بعض
الشارحين يحمل ذلك على المبالغة لانه عليه السلام منزه عن ان يشك فيما يراه صوابا يسترشدون به **وقوله** وضن الزند
بقدحه قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده اذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقها او لم يتمكن من افادتها فان المشير اذا اتهم
واستغش او خطي في رايه ربما لا ينقدح له بعد ذلك راي صالح لحكم الغضب عليه من جهة مخالفيه وعدم قبول رايه
ولما كان غرضه ان يقرر عليهم الندامة في مخالفة رايه ويوبخهم على عصيان امره اكد ذلك بمعاينته وجه المصلحة
كما هو قال فكنت وانا كما قال اخو هوازن امرتهم امري البيت وهو دريد بن الصمة من قصيدة
له في الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط بني السودا والقوم شهدي وقصته في هذه
القصيدة ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم واستاق الغنم فلما كان
بمنعرج اللوى قال لا والله لا ابرح حتى انحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة واجيل السهام فقال له
اخوه دريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه واقام ونحر النقيعة وبات فلما اصبح هجم القوم عليه وطعن عبد
الله بن الصمة فاستغاث باخيه دريد فنهنه عنه القوم حتى طعن هو ايضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل
بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح حصلت له فقال القصيدة وانما قال عليه السلام اخو هوازن لنسبته اليهم
لان دريد بن الصمة من بني جشم بن معوية بن بكر بن هوازن ونحوه قوله تعالى واذكر اخا عاد لنسبته فيهم
وكذلك قال لهم اخوهم لوط ويكفي في اطلاق لفظ الاخوة مجازا مجرد الاتصال بهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك
ووجه تمثيله عليه السلام بالبيت اني كنت وانا كذا نصيحتي لكم ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم امري المستلزمة
لندامتكم على التفريط كهذا القايل مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم ما لحقهم من الندامة والهلاك
واعلم ان الذي كان اشار به على اصحابه هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام ومحل السبب ان امارات
الغلبة المهمة كانت لايحة على اهل الشام فلما عاينوا الهلاك استغاثوا بمعونة عمرو بن العاص في كيفية
الخلاص فقال عمرو ان معاوية لا تقوم لرجاله ولست مثله انه يقاتلك على امر وانت تقاتل على غيره انت
تريد البقاء وهو يريد الفناء واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم ولكن
الق الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ

بحاجتك واني لم ازل اوخر هذا الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف على
اطراف الرماح وكان عددها خمسماية مصحف ورفعوا مصحف المسجد الاعظم على ثلاثة ارماح مشدودة ويمسكها
عشرة رهط ونادوا باجمعهم الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا
وبينكم فقال عليه السلم اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق
المبين وحينئذ اختلف اصحابه فقالت طايفة القتال القتال وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب ولا يحل
لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب وتنادوا من كل جانب الموادعة الموادعة فقال عليه السلم في جوابهم
ايها الناس اني احق من اجاب الى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط ليسوا باصحاب
دين ولا قرآن اني اعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم انها
كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن
اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الظالمين
فجاءه عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون امرة المومنين اجب الى كتاب الله اذ دعيت والا قتلناك
كما قتلنا عثمن فقال عليه السلم ويحكم انا اول من اجاب الى كتاب الله واول من دعا اليه فكيف لا اقبله
وانما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن ولكني قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وليس العمل بالقرآن يريدون فقالوا
ابعث الى الاشتر يأتيك وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على معسكر معوية ليدخله ولاح
له الظفر فبعث اليه فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من اجاب الى الحكومة من اصحاب علي مسابة
ومجادلات على ما اختاروه من ترك القتال والحرب وتنادوا من كل مكان رضي امير المومنين بالتحكيم وكتبوا عهدا
على الرضا به وسنذكر كيفيته اجمالا ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
في تخويف اهل النهر فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر واهضام هذا الغائط على
غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت
نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم علي اباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رأيي الى هواكم وانتم معاشر
اخفاء الهام سفهاء الاحلام ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا **اقول** الخطاب للخوارج
الذين قتلهم عليه السلم بالنهروان وقد كان القضاء الالهي سبق فيهم بما كان منهم من الخروج وروي في صحيح الاخبار ان
رسول الله صلى الله عليه بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال
صلى الله عليه قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه ويلك ومن يعدل اذا لم
اعدل فقام عمر وقال يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه فقال دعه سيخرج من ضئضئ هذا قوم
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على حين فرقة من الناس تحتقر صلاتكم في
جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى
يديه كانها ثدي امرأة والصفة يقتلهم اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد رضي الله عنه عن مسروق
قال قالت لي عائشة انك من ولدي واحبهم الي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علي بن ابي طالب

علي

على نهر يقال لاعلاه تامرا ولاسفله النهروان بين الخافيق والطرفاء قالت ابغني على ذلك بينة فاقمت رجالا
شهدوا عندها بذلك ثم قلت لها سالتك بصاحب القبر ما الذي سمعت منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شر
الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم فهو انه عليه
لما قهره اصحابه على التحكيم واظهروا عنه الرضى به بعد ان حذرهم ووعظهم فلم يلتفتوا كتبوا كتاب التحكيم واخذه
الاشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف به على اصحاب علي فرضوا به حتى مر برايات
عنزة وكان مع علي عليه السلم منهم بصفين اربعة آلاف فارس فلما قرا الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم
حملا على اصحاب معوية فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على مراد ثم على رايات بني راسب ثم على بني تميم فلما
قرأه عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا عليه السلم بذلك
فاستصغر امرهم وظن انهم قليلون فلما بلغهما امر الحكمين ما راعه الا والناس يتنادون من كل جانب
لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك وقد كنا اخطانا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا فـ
ارجع انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى عليه السلام الرجوع وقال ويحكم ابعد العهد نرجع فهما
تمسك بقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية وابت الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه فتبرؤوا من علي
وبرئ منهم ثم كان اجتماعهم بحروراء فسماهم عليه السلام الحرورية فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا
الى النهروان وكان اميرهم يومئذ عبد الله بن الكوا وحين القتال عبد الله بن وهب الراسبي فسار
اليهم فخطبهم فقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن
العلم والحكمة ايها القوم اني نذير لكم الفصل وروي انه عليه السلم لما قتلهم طلب ذا الثدية فيهم طلبا شديدا
فلم يجده فجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل انه لفي القوم فلم يزل يتطلبه حتى وجده
في وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كانها ثدي في صدره وعليها شعرات كشارب الهرة فكبر
علي عليه السلام وكبر الناس معه وسروا بذلك والاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط
ما سفل من الارض وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اوقعكم في الحبا
لة والنكر المنكر ويروي بجرا والبجر الامر العظيم والداهية ويروي هجرا وهو الساقط من القول ويروي
عرا والعر والمعرة الاثم والعرا ايضا داء يأخذ الابل في مشافرها ويستعار للداهية واعلم ان هذا الفصل تحذير
للقوم من الهلاك وهم على غير بينة من ربهم ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يدعونه حقا ويقاتلون عليه
وذلك بما في الحادثة اذ فيه جزم بانه سعادة الدارين وانما سميت الحجة سلطانا لان بها الغلبة والتسلط
وهو من باب الاستعارة **وقوله** قد طوحت بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم او ابعادهم وتيههم
اليها لان المهلك لهم والموجب لتيههم انما هو اتباع اهوائهم الباطلة التي منشاها انما هو تحصيل ما تزدهي به
من مال او جاه وعزة فكانت الدنيا هي التي رمت بهم المرامي عن رحمة الله واخرجتهم عن طاعته **وقوله**
واحتبلكم المقدار استعار لفظ الحبالة لاحاطة القدر النازل عن قضاء الله بهم فهو كحبالة الصائد التي لا مخرج
للطائر منها اذا نزلت به **وقوله** كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله الى هواكم تقويم للحجة

علیهم وکانه یقول لهم ان کان الحق مانوعدم الحکومة فلم طلبتموها وابیتم علی اباالحاکمین المنابذین لما نهیتکم
عنها حتی ضربت الی هواکم فیها وان کان الحق هو اتباعها فلم شاققتمونی الان لما اوقعتها وجعلت لله بها
علی عهدا وعلی القیدین بلزومهم الخطا **وقوله** وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام الواو للحال والعامل ضربت
والاضافة فی اخفاء وسفهاء غیر محضة ولذلک صح کونهما وصفین لمعاشر وخفة الهامة کنایة عن رذیلة الطیش
المقابلة لفضیلة الثبات والسفه رذیلة مقابلة للحلم وهما فضیلتان تحت ملکة الشجاعة ولما کانت هاتان الرذیلتان (والثبات والحلم)
منسبة الی الفضیلتین مع اضافتهما الیهما **وقوله** ولم آت لا ابا لکم بجرا ولا اردت بکم ضرا اخرج مخرج
الاعتذار الیهم واستدراجهم ببیان تحسین فعله ونفی النکر عنه وعدم قصد الاساءة الیهم لیرجعوا عما نسبه
الیهم **وقوله** لا ابا لکم کلمة اعتیدت فی السنة العرب قال الجوهری یراد بها المدح وقال غیره یراد بها الذم
فان عدم الحوق باب یستلزم العار والسبه وقیل هی دعاء علی المدعو ان لا یکون له اب یعینه وتستظهر ونفی الاب
یستلزم نفی العشیرة له فکانه دعاء بالذل وعدم الناصر والله اعلم **ومن کلام له علیه السلام یجری مجری الخطبة**
فقمت بالامر حین فشلوا ونطقت حین تعتعوا وتطلعت حین تقبعوا ومضیت بنور الله حین وقفوا
وکنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت برهانها کالجبل لا تحرکه القواصف ولا
تزیله العواصف لم یکن لاحد فی مهمز ولا لقایل فی مغمز الذلیل عندی عزیز حتی آخذ الحق له والقوی
عندی ضعیف حتی آخذ الحق منه رضینا عن الله قضاه وسلمنا لله امره اترانی اکذب علی رسول الله والله لانا اول
من صدقه فلا اکون اول من کذب علیه فنظرت فی امری فاذا طاعتی قد سبقت بیعتی واذا المیثاق فی
عنقی لغیری **اقول** التعتعة الاضطراب فی الکلام عن الحصر وتطلع الامر اختباره وتعرفه والتقبع التقبض
تعالی قبع القنفذ اذا قبض راسه بین کتفیه والاستبداد الانفراد والرهان ما یراهن ویستبق علیه والهمز
الغیبة بالعیب وکذلک المغمز قال بعض الشارحین هذا الفصل فیه فصول اربعة التقطها الرضی رحمه الله من
کلام طویل له علیه السلام قاله بعد وقعة النهروان ذکر فیه حاله منذ توفی رسول الله صلی الله علیه وآله الی ذلک الوقت **الفصل الاول** قوله
فقمت بالامر حین فشلوا الی قوله برهانها هذا الکلام ورد فی معرض افتخاره واثبات فضیلته علی سایر الصحابة
لغایة قبول رایه فقیامه بالامر حین فشلهم اشارة الی فضیلة شجاعته ای فقمت بامر الله بین یدی رسوله
وبعده فی الحروب والمقامات الصعبة التی ضعفوا عنها والاوقات التی فشلوا فیها وامن فی ذلک ظاهر **وقوله**
ونطقت حین تعتعوا اشارة الی ملکة الفصاحة مستتبعة لملکة العلم ای نطقت فی القضایا المبهمة والاحکام
والمقاول التی حضرت فیها بلغاؤهم مکن بنطقه وتعتعتهم عن فصاحته وعیهم **وقوله** وتطلعت حین
تقبعوا اشارة الی کبر الهمة فی تحصیل ما ینبغی للانسان ان یحصله من تعرف الامور واختبارها والنظر
فی مصادرها ومواردها وهی ملکة تحت الشجاعة ولما کان التطلع الی الامر یحتاج الانسان فیه الی تحصیل النظر
ومد العنق وتحقیق العین والحس وکان تعرف الامور واختبارها للانسان یحتاج الیه ذلک الفکر الذی هو
عین النفس التی بها یبصر وتحدیقه نحو الامور المعقولة وارسال المتخیل لتفتیش خزاین المحسوسات
اشبه ذلک التطلع فاستعار له لفظ التطلع وکنی بوصفه **قوله** حین تقبعوا ای کانوا تقبعوا فی الامور حین

تقصورهم

تقصورهم عن ذلک ولما کان التقبع یقابل مد العنق والتطاول الی رویة الاشیاء المخفی تطلعا وکان قصورهم وعدم
وعدم اعتبارهم للاشیاء یقابل مد الفکر وتطاول الذهن الی معرفة الامور وکان قصورا للفکر ایضا والعجز عن المعرفة
یشبه التقبع استعار لهم لفظ التقبع وکنی بوصفه **قوله** ومضیت بنور الله حین وقفوا اشارة الی فضیلة العلم
ای کان سلوکی لسبیل الحق علی وفق العلم وهو نور الله الذی لا یضل من اهتدی به ومضی حین وقفوا حایرین متر
ددین جاهلین بالقصد وکیفیة سلوک الطریق وانما اثبت لنفسه هذه الفضایل وقرن کل فضیلة لرذیلة فیهم
تقابلها لیتبین فضله بالنسبة الیهم اذ کان الغرض ذلک **قوله** وکنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا کنی بخفض
الصوت عن ربط الجاش فی الامور الشاقة بها والتصمیم علی فعل ما ینبغی من غیر التفات الی الحوادث والموانع عن
فعل ما هو خیر ومصلحة فان کثرة الاصوات وعلوها فی الانفعال التی هی مظنة الخوف دلیل الفشل والاشتغال
من کان اعلی فوتا واشد سبقا الی مراتب الکمال ودرجات السعادة ممن کان اضعف فیه **قوله** فطرت
بعنانها واستبددت برهانها الضمیر لتعود الی الفضیلة وان لم یجر لها ذکر لفظی فاستعار هاهنا لفظ الطیر
لسبق العقلی لما یشترکان فیه من معنی السرعة واستعار لفظی العنان والرهان اللذین هما من متعلقات
الخیل للفضیلة التی استکملها تشبیها لما مع فضایل نفوسهم بخیل الحلبة ووجه المشابهة ان الصحابة رضی
الله عنهم لما کانوا یقتنون الفضایل ویستبقون بها الی رضوان الله وسعادات الاخرة کانت فضایلهم التی هم
علیها یستبقون کخیل الرهان ولما کانت فضیلته علیه السلام اکمل فضایلهم وانها کانت بالنسبة الی فضایلهم کا
لفرس الذی لا یشق غباره فحسن منه ان یستعیر لسبقه بها لفظ الطیران ویجری علیها لفظ العنان والرهان
الفصل الثانی قوله کالجبل لا تحرکه القواصف الی قوله آخذ الحق منه وهذا الفصل یحکی فیه حاله
بعد الخلافة حیث انتهت الیه وجریه فیها علی القانون العدل والاوامر الالهیة فقوله کالجبل تشبیه له فی الثبات
علی الحق بالجبل وکما لا تحرک الجبل قواصف الریاح وعواصفها کذلک هو لا یحرکه عن سواء السبیل
مراعاة هوی لاحد واتباع طبع یخالف ما تقتضیه سنة الله وشرعه بل هو ثابت علی القانون العدل وموافقة
الامر الالهی **وقوله** لم یکن لاحد فی مهمز ولا لقایل فی مغمز ای لم یکن فی عیب اعاب به وقد ادمج فی هذه
القراین الاربع مع الاربع الاخیرة من الفصل الاول السجع المتوازی **وقوله** الذلیل عندی عزیز حتی آخذ الحق
له اعزازه للذلیل اعتنائه بحاله واهتمامه بامر ظلامته ومن اعتنی بحال انسان فقد اعزه ثم جعل اعزازه غایة
هی اخذ الحق له وکذلک قوله والقوی عندی ضعیف حتی آخذ الحق منه فان ضعف القوی هو قهره تحت
حکم الی غایة یستوفی منه حق المظلوم فان قلت بعضهم من ها هنا یتبین ان نظره الی الذلیل بعد استیفا
حقه والی القوی بعد اخذ الحق منه لا یکون علی سواء بل یکون التفاته الی القوی اکثر (واکرم) ولیس من العدل قلت
انه لما لم یکن الغرض من الامر مساواة المظلومین الخلق الا انتصاف الضعیف من القوی وعدم التظالم بینهم لم
تجب مساواة المظلومین القوی والضعیف الا من تلک الجهة ولم یکن اعزازه للقوی واکرامه فی غیر وجه
الظلم قبیحا لجواز انفراده بفضیلة توجب اعزازه من جهة الدین ایضا **الفصل الثالث** قوله
رضینا عن الله قضاه وسلمنا لله امره الی قوله من یکذب علیه قیل ذکر ذلک علیه السلام لما تفرس فی طایفة من

قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه من اخبار الملاحم في الامور المستقبلة وقد كان منهم من
يواجهه بذلك كما روي انه لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي
مائة الا انبأتكم بناعقها وسائقها قام اليه انس النخعي فقال اخبرني كم في لحيتي وراسي طاقة شعر
فقال عليه السلام والله لقد حدثني حبيبي رسول الله ان على كل طاقة شعر من راسك ملكا يلعنك وان على كل
طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله وكان ابنه سنان ابن انس
قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو وسياتي بعض تلك الاخبار وقوله رضينا عن الله قضاه
وسلمنا له امره قد عرفت ان الرضى بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص
اوليائه ولما كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وكان ذلك القضاء الالهي قد جرى على قوم بالكذب
له والتهمة فيما يقول لاجرم كان هو عليه السلام اولى الناس بلزوم باب الرضى **وقوله** اتراني اكذب الى قوله عليه
السلام استنكار لما صدر منهم في حقه من التكذيب وايراد حجة لبطلان اوهامهم في حقه بصورة قياس الضمير
مع نتيجته وتقديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق له فلن يكون اول مكذب له ينتج اني لا اكون
اول مكذب له **الفصل الرابع** قوله فنظرت في امري الى آخره فيه احتمالان احدهما قال بعض الشا
رحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة
بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله فيما
امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها **اقول** واذا الميثاق في عنقي
لغيري اي ميثاق رسول الله وعهده الي بعدم الشقاق وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي
فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكني المخالفة بعده الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في تضجره وتبرمه من ثقل
اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق
لي واتفاقهم علي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامورهم ولم يسعني
عند الله الا النهوض بامرهم ولولا ذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود
الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها
ولسقيت اخرها بكاس اولها والاول اشهر بين الشارحين والله اعلم بالصواب

ومن خطبة له عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم
فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من
خافه ولا يعطى البقاء من احبه **اقول** يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الى
قوله ودليلهم العمى والثاني الباقي فالفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس
فيها اما الاول فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا وظاهر ان
علة تسميتها شبهة هو ذلك الشبه فلذلك جعله فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء الله او اعداؤه
اما اولياؤه فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم

كان

كان يتبعه الارواح بشرى اذ كانوا في ظلمات الشبهات وحيرتهم من الهوى في مهاوي الجهالات كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وهو الهدى المامور بلزوم سمته والسالك الى المطالب الحقة وهو المراد د
بدليلهم فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم الى ما يدعون اليه الا ضلالهم عن القصد القويم
واضلالهم الخلق عن الطريق وليس لهم ما يهتدون به ودليلهم عمى القلب يهيمون به في السبيل اذا اشتبهت هي في نفسها عمي
ابصار بصائرهم عن نور الحق وطمس الاذهان من استحقاب الحجب عن اهتداء سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى اخره فمصداق القضية الاولى قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الآية وحاصله التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبة
ما لا بد من زواله ليفرغ السامعون الى العمل لما بعده ان اخذ التوفيق بازمة عقولهم فالخوف منه ومحبة البقاء لا
تنفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سبق له قبل الاول
كلام يحسن تعلقه به وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** منيت بمن لا يطيع اذا
امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم
فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة
فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر
وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كانما يساقون الى الموت وهم ينظ ون
اقول هذه الخطبة خطب بها عليه السلام في غزاة النعمان بن بشير لعين التمر والسبب ان معوية بعث
النعمان بن بشير في الفي فارس لارهاب اهل العراق فاقبل حتى دنا من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل علي
مالك بن كعب الارحبي ولم يكن معه اذ ذاك سوى مائة رجل او نحوها فكتب مالك اليه عليه السلام يعلمه الخبر فصعد المنبر
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من
اهل الشام ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل فتثاقلوا فارسل
الى وجوههم فامرهم بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع منهم الا الجمع اليسير نحو ثلثمائة رجل فقام عليه السلام وقال الا اني منيت
الفصل ويروى ان الاربع كانت لمالك بن كعب على النعمان وجمعه منيت اي ابتليت وتحمشكم اي تغضبكم والمستصرخ
المستغيث بصوته من ينصره والغوث الصوت يستصرخ به وقيل هو قول الرجل واغوثاه والثار الدخل والجرجرة
صوت يردده البعير في حنجرته عند عسفه والاسر داء ياخذ البعير في سرته يقال منه جمل اسر
والنضو المهزول من الابل والادبر الذي به دبر وهي القروح في ظهره وفي الفصل مطالب **الاول**
قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت وهو اظهار لعذر نفسه على اصحابه لينسب اليهم التقصير دونه ويقبح عليهم
ذلك عندهم **الثاني** قوله لا ابا لكم الى قوله مرام وهو استنهاض لهم الى نصرة الله وتحقيق بسؤالهم عن سبب
تثاقلهم عن النصرة والذب عن دينه سؤالا على سبيل الانكار للسبب وتنبيههم على الاسباب التي توجب
حثهم لنصرة الله والغضب له بسؤالهم عنها هل هي موجودة ام لا سؤالا على سبيل الانكار ايضا اذ هم يدعون وجودها
لهم وهي الدين الذي امروا بلزومه والاجتهاد فيه كما قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء

الايام المتتبعة وهي ملكة تحت الشجاعة وكذلك قوله اقوم فيكم الى قوله اتوا من الاسباب الباعثة لهم ايضا
على الاجتماع فان ذلك حاله من استصراخهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم في مقابلة ذلك من تثاقلهم عن ندائه
وعدم طاعتهم له مما ينبههم على خطائهم وتقصيرهم وقوله حتى يكشف الامور عن عواقب المساءة ذكر لما به
تثاقلهم عن دعوته وتنبيه بذلك استعقابه للمساءة على خطائهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام
عتاب وتوبيخ يبعث طباع الغضوب على الثائر في النصرة اذ من شانهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال وقوله دعوتكم
الى قوله الادبر استعارة لفظ الجرجرة لكثرة تملكهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل
الاسر اشد من جرجرة غيره لاحظ شبه ما بينه اليهم من التضجر بها ولذلك تشبيه تثاقلهم بتثاقل
النضو الادبر وذكرهم ما دعاهم اليه من نصرة اخوانهم على اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بالتمنع من دعوته
الثلث قال ثم اردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب والضعف وتشبيههم بمن يساق
الى الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه من الجولة الى ما يساق اليه لشدة خوفه كل ذلك ذم
وتوبيخ يستثير به طباعهم على ما هي عليه من التثاقل عن نداءه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم في معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا لله فقال كلمة حق
يراد بها باطل نعم لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة ولا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته
المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتامن به السبل ويؤخذ به
للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم
قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي
الى ان ينقطع مدته وتدركه منيته اقول كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة وردت في اذهان الخوارج
من حقية دعاء اصحاب معوية الى كتاب الله اي ان دعاءهم لكم الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم
بها كتاب الله بل غرض آخر باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحو ما لا يجوز ان نفعل قوله
نعم لا حكم الا لله تصديق لقولهم لتمكين ما عليه الكلمة في نفس الامر ثم لما راوه حقا من ظاهرها ان الحكم ليس
حق على معنى انه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليه
مع انها احكام الله بل تكون مستنبطة بحسب الاجتهاد وسائر طرقها لمن كان اهلا لذلك وتجب على من ليس له اهلية
الاجتهاد امتثالها ولما تصور الخوارج تلك الكلمة يعني انه لا يصح حكم لم يوجد في كتاب الله ولا يجوز امتثاله والعمل
به لا جرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء القوم يقولون لا امرة اي لما نفوا ان يكون لغير الله حكم نص عليه فقد نفوا الامرة
لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير في رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم
ولما كانوا قد نفوا الامرة كذلك نص عليه السلم بقوله ولا بد للناس من امير بر او فاجر فكان جملة الكلام في
معنى شرطية متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن القول
بنفي الامرة باطل فالقول بنفي الحكم الا لله كما تصوروه باطل فقوله ولا بد للناس من امير في معنى استثناء
نقيض تالي المتصل وتقريره ان الانسان خلق مجبولا على مقارنة النفس الامارة بالسوء محتاجا الى مجموع قوى

في بدنه هي منابع الشرور فاهواء الخلق لذلك مختلفة وقلوبهم متفرقة فكانت طبيعة نظام احوالهم في معاشهم وبقائهم محوجة
الى سلطان قاهر يتالف بهيبته الاهواء ويجتمع بهيبته القلوب وينكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق
من حب المغالبة على ما اثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي عن ذلك
حيث يقول لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم والظلم في شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
وهذه العلة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع الى امور اربعة اما عقل زاجر او دين حاجز او عجز مانع او سلطان
رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين بدواعي الهوى فتكون رهبة السلطان اقوى
ردعا واعم نفعا وان كان جائرا فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الاخرة
وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار
اي ان وجود الامام وان كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ
كان بوجوده صلاح بعض الامور على انه وان كان لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جائر كما قال وكل لا
خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب الاشتغال عن اثارة الفتن فيكون ذلك خيرا وقع في الو
جود بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب وذلك معنى قوله عليه السلم لا بد للناس من امير بر او
فاجر وقوله يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر الضمير في امرته يعود لما عاد الى الامير وكان لفظ الامير
محتملا للبر والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المؤمن امرة الامير من حيث هو بر وبالتي يستمتع فيها
الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض الشارحين ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة
الفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله والمراد بعمل المؤمن في امرة البر عمله على وفق اوامره ونواهيه اذ
ذلك وقت تمكنه منه والمراد باستمتاع الكافر في امرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التي يخالف فيها اوامر
الله وذلك وقت تمكنه من مخالفة الدين وقوله يبلغ الله فيها الاجل اي في امرة الامير سواء كان برا او فاجرا وفائدة
هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الاجل وتخويفهم به وقوله ويجمع به الفيء الى قوله القوي الضمائر
يعود كلها الى الامير المطلق اذ قد يحصل الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا ومما يؤيد ذلك ان
اكثر الخلق متفقون على ان امراء بني امية كانوا فجارا عدا رجلين او ثلاثة كعثمان وعمر بن عبد العزيز
وكان الفيء يجمع بهم والبلاد تفتح في ايامهم والثغور الاسلامية محروسة والسبل آمنة والقوي ماخوذ بالضعيف
ولم يضر فجورهم شيئا في تلك الامور وقوله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة اي
فائدة وجود هذه الامور ان يستريح بر بوجودها ويستراح من تعدي الفاجر وبغيه وقيل اراد ان هذه الامور لا تزال
تحصل بوجود الامير برا كان او فاجرا الى ان يستريح بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله واما
الرواية الاخرى فمعنى الكلام فيها ظاهر وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

ان الوفاء توام الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر
اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة
ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها راي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين اقول

الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والحوّل القلّب الذي يكثر تحوله وتقلبه في اختبار الامور وتعرف وجوهها
والانتهاز المبادرة الى الامر والفرصة وقت الامكان والحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفا
ملكة نفسانية تنشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه والصدق ملكة تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة
وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة متلازمتان ولما كان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر في بطن واحد
استعار لفظ التوأم للوفا لمقارنته الصدق تحت العفة واستعاد لفظه له ثم لما كانت فضيلة الوفا مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة
الصدق مقابلة برذيلة الكذب كانت رذيلتا الغدر والكذب ايضا توأمين تحت رذيلة الفجور المقابلة لفضيلة العفة
قوله ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفا وقاية تامة اما في الآخرة فلاستتاره به من عذاب الله الذي هو لطف
يزود واما في الدنيا فلاستتاره به من السب والعار وما يستلزمه عدم الوفا من الغدر والكذب الملحقين لوجه النقص
واذ علمت انه لا نسبة لما يجتن منه بالاسلحة وغيرها الى ما يتوقى بالوفاء علمت انه لا جنة اوقى من الوفا وممادح
الوفا ومذام الغدر كثيرة قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا
عاهدوا الآية وقال سبحانه في مدح الوفا ومن اوفى بعهده من الله وقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن
اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ومن الخبر في ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة قوله
وما يغدر من علم كيف المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على منازل السفر اليه وعلى الجزاء الاخروي
التي هي المستقر صارف قوي عن ارتكاب الرذائل التي من جملتها الغدر وانما خص الغدر بنسبة اهله الى
الجهل بامر المعاد لكونه في معرض مدح الوفا والترغيب فيه قوله ولقد اصبحنا في زمان الى قوله الحيلة
اقول انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثير الى حسن الحيلة لجهل المرتقين بثمرة الغدر و
لعدم تمييزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا ما يستلزم الدها والتفطن لوجه الحيلة وايقاعها
بالمغدور به وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة والذكا وجودة الراي في استخراج وجوه المصالح التي
ينبغي كانت بينهما مشاركة في استلزام مفهوميهما التفطن والذكا في استخراج وجه الحيلة وايقاع الراي
الا ان تفطن الغادر يستعمله في استنباط الحيلة وان خالفت القوانين الشرعية وناقضت المصالح الكلية
في جنب مصلحة جزئية تخصه وتفطن الكيس انما يستعمله في ايقاع راي او حيلة تنظم مصلحة العالم وتوافق القوا
نين الشرعية ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادر دون عذره في موضع الكيس ونسبهم ايضا الجاهلون في
غدرهم الى حسن حيلتهم كما نسب ذلك الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان
حيلة الغادر تخرجه الى رذيلة الفجور وانه لا حسن في حيلة جرت الى رذيلة وقوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى
الى آخره دعا عليهم بقتال الله لهم لبعد استفهامه عن خوضهم في امر استفهاما على سبيل الانكار وقد علمت
ان قتال الله كناية عن عداوته والبعد عن رحمته وظاهر ان اهل الغدر بعداء عن رحمة الله ثم اردف
ذلك بالاخبار بالاشارة الى انه لا فضيلة لهم فيما يفتخرون به من الذكاء في استنباط وجوه الحيلة اذ كانت
غايتهم الغدر والخيانة فانه قال الحوّل القلّب في الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الا انه يلاحظ في
العمل بها مانع الله ونهيه عن ارتكابها لما يؤدي اليه من ارتكاب الرذائل الموبقة فيتركها راي عين اي حال

ماي

بالي مرتبة ومعه القدرة عليها خوفا من الله تعالى ثم يراها من لا يعتقد انها في خرم قواعد الدين فيبادر اليها حال امكانها
وليس ذلك بفضيلة بل الفضل في الحقيقة لتاركها عن وازع الدين بالحول القلب الى نفسه والاساءة فان شيمته الكرم
كانت كذلك. ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان
اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الآخرة الا وان الدنيا قد ولت حذّاء
فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا
من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيامة وان اليوم عمل ولا حساب
وغدا حساب ولا عمل اقول حذّاء مسرعة خفيفة سرعة لا يتعلق احد منها بشيء والصبابة بقية
الماء في الاناء والمقصود بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول الامل في الدنيا فانهما من اشد اسباب الهلاك فكان
الحذر عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى
واما من خاف مقام ربه الآية ثم التذكير بامور الآخرة واعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء الى مقتضى
طباعها من اللذات الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشريعة واما الامل فقد سبق بيانه ولما كانت السعادة
التامة انما هي في مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملأ الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان اتباع
النفس الامارة بالسوء في ميولها الطبيعية والانهماك في ملذاتها الفانية اشد جاذب للانسان عن قصد
الحق وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت السموات الى حضيض جهنم كما قال سيد المرسلين
صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا راس
كل خطيئة وقال الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى لا جرم كان اخوف ما ينبغي
ان يخاف من الامور المهلكة اتباع الهوى واما الامل فمراده به ايضا الامل لما لا ينبغي ان يؤمل فيه من المقتنيات
الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطابقا لاتباع الهوى وبه يكون نسيان الآخرة لان طول توقع الامور
المحبوبة الدنيوية توجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال
الآخرة وهو مستعقب لامحاء ما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي والشقا
الاشقى ولما كان عليه السلام هو المتولي لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم كان الاهتمام لصلاحهم منوطا بهمته العلية
فلا جرم نسب الخوف عليهم الى نفسه وقوله الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صابها اقول الدنيا بالنسبة الى
كل شخص بما له او خفيفة الارتحال لم يبق منها بالقياس اليه الا اليسير واطلاق الصبابة ههنا استعارة لبقيتها القليلة
القليلة والتذمي وجه تشبيهها بصبابة الاناء ايضا وقوله الا وان الآخرة قد اقبلت لما نبه على ان الدنيا سريعة
الانصرام اردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الآخرة واقبالها وكل ذلك قطع للآمال الفانية وردع عن اتباع
الهوى من ابناء الغافلين اذا كان العمر في ادباره والموت في اقباله فما اسرع الملتقى والموت هو وصلة
الآخرة وقوله ولكل منهما بنون الى قوله يوم القيامة من لطائف كلامه فاستعار لفظ الابناء للخلق بالنسبة
الى الدنيا والآخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شانه الميل الى والده اما ميلا طبيعيا
او تحببا لعود المنفعة منه وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة ويميل كل منهما الى ما يرجوه

١٤٨

مع ما يحصل من طرف الدنيا وضمن بعينه الآخرة للراغبين فيها مما يتوهمونه لذة وخيرا وما يحصل من طرف الآخرة
للراغبين فيها من اللذة والسعادة اشبه ذلك بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاده منه لخير الابن بالنسبة الى الاب
فاستعير لفظهما لتلك المشابهة ولما كان غرضه حث الخلق على السعي للآخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا
قال عليه السلام فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ثم ذكر فايدة رايه عليهم بان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد سيلحق
بابيه يوم القيامة واشار بذلك الى ان ابناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون في الآخرة يلحقون
لدارهم فيها ولهم فيها ما تشتهي الانفس ولهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم لما
كانت مستغرقة في محبتها وناسية لطرف الآخرة ومعرضة عنها لاجرم كانت يوم القيامة مغلولة في محبة الباطل مقيدة
بسلاسل الهيات البدنية والملكات الردية المتمكنة من جواهرها فهي لتعلقها بمحبة الدنيا حيث لا يمكن من تحصيل
... له ولا تعلق له والامثلة الاولى ولا الف له الا معه ولا انس الا معه ثم حيل بينه وبينه مع شدة تعلقه به وشوقه
اليه واخلد الى اضيق الاحيان وبدل بالعز الهوان فهو في اشد ولم وتيم واعظم حسرة وغم واما ابناء الآخرة
فهم في حضانة ابيهم وفي نعيمه وقد زال عنهم بوس الغربة ووحشة الفقر وسوء المحضن فمن الواجب اذن ان تعرف احوال
الوالدين واتباع ابرهما وادومهما شفقة واعظمهما بركة وما هي الا الآخرة فليكن ذو العقل من ابناء الآخرة
وليكن بر ابيه متوصلا اليه باقوى الاسباب وامتنها **وقوله** وان اليوم عمل الى آخره كنى باليوم عن مدة الحياة
وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بالعمل والحساب بالحساب واليوم اسم ان وعمل قائم مقام
الخبر استحالة ... اليه مقام المضاف اي واليوم يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشأن واليوم عمل جملة
من مبتدا وخبر هي خبرها وكذلك قوله وغدا حساب ولا عمل وصدق هذين الحكمين ظاهر وفايدتهما التنبيه على
وقت العمل ومدته ليبادروا الى العمل الذي به يكونون من ابناء الآخرة في وقت امكانه قبل مجي الغد الذي هو وقت
الحساب دون العمل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام

وقد اشار عليه اصحابه ملع
بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي لحرب اهل الشام
وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا
او عاصيا والراي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره
وبطنه فلم ار فيه الا القتال او الكفر انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا
فغيروا **اقول** وقد كان يظن كثير من الصحابة بعد ولاية علي عليه السلام ان معوية لا يطيع لربما اتى
كتبه ولذلك اشار عليه اصحابه بعد ارسال جرير اليه بالاستعداد لحربه وروي ان جريرا لما اراد بعثه قال والله
يا امير المومنين ما ادخرك من نصرتي شيا وما اطمع لك في معوية فقال عليه السلام قصدي حجة اقيمها ثم
كتب معه اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمن
على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغايب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار اذا
اجتمعوا على رجل فسموه اماما كان ذلك رضى فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة ردوه الى ما خرج منه
فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المومنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير

بايعاني

بايعاني ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون
فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت
بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله
واما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري ان نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرا قريش من دم عثمان
واعلم انك من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله وهو
من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله وربما جا شي من هذا الكتاب في كتبه عليه السلام الى معوية فاجابه معوية
اما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بري من دم عثمن كنت كابي بكر وعمر وعثمن رحمهم الله
ولكنك اغريت بعثمن وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل الشام
الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمن فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك على كحجتك
على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة لانهم اطاعوك ولم
يطعك اهل الشام فاما شرفك في الاسلام وقرابتك من النبي عليه السلام وموضعك من قريش فلست ادفعه
وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل ارى الشام تكره اهل العراق واهل العراق لها كارهونا
وقد ذكرنا بعضها قبل ويروى ان الكتاب الذي كتبه عليه السلام مع جرير كانت صورته اني قد عزلتك ففوض
الامر الى جرير والسلام وقال لجرير صن نفسك من خداعه فان سلم اليك الامر وتوجه الي فاقم انت بالشام
وان تعلل بشي فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معوية تعلل بمشاورة اهل الشام وغير ذلك فرجع جرير فكتب
معوية في اثره في ظهر كتاب علي من ولاك حتى تعزلني والسلام **اقول** الاستعداد التهيو للامر والخداع الحد
خدعه بالحيلة والاناة الاسم من التاني والرفق وارودوا امهلوا ونقمت الامر بفتح القاف انكرته **فقوله** ان
استعدادي الى قوله ان ارادوه المراد ان اهل الشام في زمان كون جرير عندهم في مقام التردد والتفكر في اي الامرين
يختارون وان لم يكن كلهم فبعضهم كذلك فلو استعددت للحرب في تلك الحال لبلغهم ذلك فاحتاجوا
الى الاستعداد ايضا والتاهب للقاية فكان ذلك الاستعداد سببا لغلق الشام بالكلية وصرفا لمن يكون
في ذهنه ذلك في هذا الامر او في قلبه الدخول بعد ما يريد وذلك مستلزم للحرب **وقوله** ولقد وقت الى قوله عاصيا
اي وقت له وقتا يصل الينا فيه لا يتخلف عنه الا لاحد امرين اما خداع منهم له ومواعيد يمطلونه بالجواب
لينظروا امورهم في تلك المدة واما عصيان منهم ومخالفة فان ذلك حصر تخلف جرير في هذين المانعين غير
صحيح لجواز ان يتخلف لمرض او موت او عرض آخر قلت انه عليه السلام لم يقصد الحصر اليقيني وانما اراد الحصر
بحسب غلبة الظن الناشي من الامارات والقراين الحالية ثم كلامه عليه السلام ليس في الاسباب الاضطرارية التي من
قبل الله تعالى فان ذلك امر مفروغ منه لا يحسن ذكره واما الموانع الاختيارية فانما هي وغالب الظن هو الخداع
... وغالب الظن انه العصيان اذ المعهود مثل جرير وقد ارسل في مثل هذا الامر المهم ان يعدل عنه الى شغل
اختياري لنفسه او لغيره الا ان يكون عاصيا **وقوله** والراي مع الاناة راي حق اجمع الحكما على صوابه فان
اصابة المطالب والظفر بها في الغالب انما هو مع التثبت والتاني في الطلب وذلك ان اناة الطالب هي مظنة فكره

في الاقتداء الى تخليص الوجه الاليق والاقيس والاشمل المصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك اكد بعض الحكما الامر بالتاني
بقوله من لم يتثبت في الامور لم يعد مصيبا وان اصاب والغرض وان كان سوء الاصابة الا انها وان حصلت من غير التاني كان
مفرطا وقع التفريط فاتت الراحة وعدم الاصابة والاصابة منه نادرة والنادر غير منتفع به ولا ملتفت اليه **وقوله**
فاربوا قوا ولا اكون لكم الاعداد لما نبههم على فضيلة الاناة امرهم بها مطلقا بل نبههم بقوله ولا اكون لكم الاعداد
على امور ثلاثة احدها انه ينبغي لكم ان يكونوا على يقظة من هذا الامر حتى يكونوا حال اشارته اليهم قريبين من
الاستعداد الثاني ان لا يتوهم احد منهم فيه مداخلة ضعف عن مقارعة اهل الشام فيتداخلهم بسبب
ذلك فشل وضعف عزيمة الثالث ذكر الشارح ابن ابي الحديد وهو انه عليه السلام وان كان كره لهم الاستعداد الظاهر
الا ان قوله ولا اكون لكم الاستعداد تنبيه على الاستعداد الباطن والتهيؤ في السر وربما كان نفوا ان الشارح
بهذا الوجه ما يتوهم تناقضا وهو كونه قد اشار بترك الاستعداد ثم قال لاصحابه ولا اكون لكم الاعداد وقد علمت انه
ترك للاستعداد في ذلك الوقت واختياره ترك الاستعداد تنبيههم على عدم كراهيته له ليكونوا منه على يقظة
كما اومانا اليه **وقوله** ولقد ضربت الى قوله او الكفر **اقول** استعار لفظ العين والانف والظهر
والبطن التي هي حقايق في الحيوان لما راى معوية في امر الخلافة وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل الكناية
فكنى بالعين والانف عن المهم من هذا الامر وخاصة فان العين والانف اعز ما في الوجه وكنى بالضرب لهما عن فحص
المهم منه على سبيل الاستعارة ايضا وكنى بلفظي الظهر والبطن لظاهر هذا الامر وباطنه ووجوه الراي فيه
ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحدا واحدا **وقوله** فلم ار الا القتال او الكفر تعيين
لما اختاره بعد التقليب والتصفح لوجوه المصلحة في امر مخالفيه وسوق الخبر وتنبيه على وجه اختياره بقوله
او الكفر اي ان احد الامرين لازم اما القتال او الكفر وذلك انه ان لم يختر القتال لزمه تركه وتركه مستلزم الكفر
لكن التزام الكفر منه محال فتعين اختيار القتال ومراده بالكفر الكفر الحقيقي فانه صرح بمثله فيما قبل
حيث يقول وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود
بما جاء به محمد عليه السلام فاتى قد اشار الى وجه الحصر في القتال والجحود مع ان ترك القتال بدون الجحود ممكن قلت
بيانه من وجهين احدهما قال الشارحون ان الرسول صلى الله عليه كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت
ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امر الاسلام من الخطر لكان قد خالف
امر الرسول وظاهر ان مخالفته مثل علي عليه السلام لامر الرسول لا يتصور الا عن عدم اعتقاد صحته وذلك جحد به
وكفر الثاني يحتمل ان يكون قد تجوز بلفظ الجحود في التهاون بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين
ومبالغة في المجاهدة الباعثة **وقوله** انه قد كان الى اخره تنبيه على وجه عذره عما نسبه اليه معوية
وجعله سبب العصيان له وهو الطلب بدم عثمان وتهمته له بذلك واراد بالوالي عثمان والاحداث التي
احدثها هو ما نسب اليه من الامور التي انكروها عليه كما سنذكرها واوجد الناس مقالا اي جعل لهم
بتلك الاحداث طريقا الى القول عليه فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروه وازالوه واما الاحداث المنقولة عنه
فالمشهور منها بين اهل السير عشرة **الاولى** توليته امور المسلمين من ليس اهلا من الفساق من اعا الفاسق

دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وسعيد بن العاص حتى ظهرت منه الامور التي اخرجه
اهل الكوفة منها بسببها وعبد الله بن ابي سرح مع قوة ظلمه وتظلم المصريين منه وهو الذي اتهمه المسلمون بمكاتبته
بقتل محمد بن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع واشتد الحصار عليه **الثانية**
رده الحكم بن ابي العاص الى المدينة بعد طرد الرسول صلى الله عليه له وبعد امتناع ابي بكر وعمر من رده فخالف
في ذلك سنة الرسول وسيرة الشيخين وعمل بدعواه مجردة عن البينة **الثالثة** انه كان يوثر اهله بالاموال
العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة
الف دينار ومنها انه اعطى مروان مائة الف دينار وروى خمس افريقيه وذلك مخالف لسنة الرسول ومن بعده
من الخلفاء **الرابعة** انه حمى الحمى عن المسلمين بعد استواء الرسول بينهم في الماء والكلاء **الخامسة** انه اعطى
من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها وذلك مما لا يجوز في الدين **السادسة** انه ضرب عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه وهو من اكابر الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر **السابعة** انه جمع الناس
على قراءة زيد بن ثابت خاصة واحرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القران المنزل وذلك مخالفة الله وللرسول
ومن بعده **الثامنة** انه اقدم على عمار بن ياسر رحمه الله بالضرب مع كونه من اشراف الصحابة ومع علمه بما قاله
الرسول صلى الله عليه عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي حتى اصابه الفتق ولذلك
صار عمار مظاهرا بالبغض المتظلمين منه على قتله وروى عنه انه كان يقول قتلناه كافرا **التاسعة** اقدامه
على ابي ذر مع شهادة الرسول صلى الله عليه وصحبته له بقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق
من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة **العاشرة** تعطيله الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فانه قتل
الهرمزان مسلما بمجرد تهمته انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يقده به وقد كان علي عليه السلام يطلبه بذلك فهذه هي المطاعن
المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمن رضي الله عنه عن الاحداث باجوبة مستحسنة وهي مذكورة في المطولات
من مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردنا مختصرة لتعلق المتن بها كما ذكرنا **ومن كلام له عليه السلام**
لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين عليه السلام
واعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد
فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه حتى بكته ولو اقام لاخذنا منه ميسوره وانتظرنا بماله
وفوره **اقول** مصقلة هذا كان عاملا لعلي عليه السلام على اردشير خره وبنو ناجية قبيلة نسبوا انفسهم الى سامة
ابن لوي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسمتهم بني ناجية وهي امهم امراة سامة وانا سبب
هربه الى الشام فهو ان الخريت احد بني ناجية كان قد شهد صفين مع علي عليه السلام بصفين ثم استهواه الشيطان
فصار من الخوارج بسبب التحكيم وخرج هو واصحابه الى المداين مفارقا لعلي عليه السلام فوجه اليهم معقل
ابن قيس في الفي فارس من اهل البصرة ولم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتى لحقهم بساحل فارس
وكان بها جماعة كثيرة من قوم الخريت وكان فيهم من اسلم من النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف ارتدوا
واجتمعوا عليه فزحف اليهم معقل بن قيس فقتل الخريت وجماعة منهم وسبى من كان ادرك فيهم من

١٥

الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلماً اخذ بيعته وخلى سبيله واحتمل الباقين من النصارى وعيالهم
وكانوا خمسمائة نفس حتى مرّوا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء وبجدوا وطلبوا منه ان يعتقهم فاقسم
ليتصدّقن عليهم وذلك ثم بعث الى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسماية الف درهم ثم وعده ان يحمل المال في اوقات
مخصوصة فلما قدم معقل على علي عليه السلام واخبره القصة وشكر سعيه واستنظر المال من يد مصقلة فابطأ به
فكتب اليه استحثه او يقدم به عليه فلما قرأ كتابه قدم عليه وسوا بالكوفة فاقام اياما ثم طالبه بالمال فادى منه
مايتي الف درهم وعجز عن الباقي فخاف فلحق بمعوية فبلغ ذلك عليا فقال له الفصل ولنرجع الى المتن
فحمدا اي بخاه عن الخير والتبكيت والتقريع واللائمة والوفور مصدر وفر المال اي تا وزاد ويدي موفورا
ومقصوده عليه السلام بعد ان قدم الاعتا على مصقلة بيان خطابه فاشار الى جهة الخطا وهي جمعه بين امرين
متنافيين في العرف وهما فعل السادة ذوي المروة والحمية حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي
هو شيمة العبيد ثم اكد عليه السلام ذلك بمثلين احدهما انه ما انطق مادحه حتى اسكته ويفهم منه معنيان
احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام اي انه لم ينطق مادحه حتى تقصد اسكاته بهروبه فان اسكات المادح لا يقصد به
قصده لو قصد الا بعد انطاقه ومعلوم انهم فعل الذي يطلب به انطاق مادحه بمدحه من الكرم والحمية والرقة
ونحوها فكانه قصد اسكات مادحه بهروبه وتزري عليه ذلك وقال له انه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد
اسكاته بهروبه وان كان العاقل لا يتصور منه هو بما قصد اسكات مادحه عن مدحه الا انه لاختيار الهروب
المستلزم لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسب اليه الثاني ان يكون المراد انه قد جمع بين غايتين متنافيتين
فبين انطاقه لمادحه بفداء الاسرى مع اسكاته بهروبه قبل انطاقه وهو وصف له بسرعة الحالة التي
يرد بها حتى كانه قصد الجمع بينهما وهذا كما يقول في وصف سرعة تفرق الاحباب عن اجتماعهم ما
اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتراقهم كان الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع والافتراق الثاني
قوله ولا صدق واصفه حتى بكته والمفهوم منه كالمفهوم من الذي قبله **وقوله** ولو اقام الى اخره لما
اشار الى خطابه اردفه بما يصلح بالمعاتبة ان يكون عذرا له لو اعتذر وهو توقفه التشديد عليه في
امر الباقي من المال حتى كان ذلك الوهم سبب هزيمته وفي بعض الروايات لو اقام لاخذنا منه ما قدر عليه
فان اعسر انظرناه فان عجز لم ناخذه بشي والاول هو المشهور وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته
الذي لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة والدنيا دار مني لها الفنا ولاهلها منها الجلا وهي حلوة خضرة
وقد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا منها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسالوا فيها
فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ **اقول** هذا الفصل ملتقط من خطبة طويلة له عليه
السلام خطب بها يوم الفطر وهو غير متسق بل بين قوله نعمه وقوله والدنيا فصل طويل وهذه الخطبة يتصل
الفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وفيها بعد هذا الفصل ولم نذكرها كراهة التطويل
ولنعد الى الشرح فنقول القنوط الياس والاستنكاف الاستكبار ومني لها اي قدر والجلا بالفتح

والمد

وانتقد الخروج عن الوطن والتبست امتزجت والكفاف ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ
ما يبلغ مدة الحياة منه واعلم انه نبه على استحقاق الله تعالى الحمد ودوامه باعتبار ملاحظة ستة
احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير مقنوط من رحمته مقررا لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء
ولقوله تعالى ولا تياسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهذه الحال تشهد باثباتها
العقل اذ كان العبد عند اخذ العناية الالهية بضبعيه يعلم استناد الموجودات كليها وجزئيها الى مدبر
حكيم وانه ليس شي منها خاليا عن حكمة فيستلمح من وجه ان ايجاده له واخذ العهد عليه بالعبادة
ليس الا لينجذب الى موطنه الاصلي ويصل منه الاول بالتوحيد المحقق والحمد المطلق عن نار الجحيم
وجحيم سقر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا ييأس من روح الله عند نزول امر واجب
النزول به مما يعده شرا بل يكون بجنابه اوثق وقلبه بحول العناية له اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا
الذين عميت ابصارهم بصايرهم عن اسرار الله فهم في طغيانهم يعمهون واولئك هم الخاسرون واشار الى
الحالة الثانية بقوله ولا مخلو من نعمته تقريرا لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فسبوغ نعمته دايم
الى قدرته التي استلزمت طبايعها الحاجة اليه فوجب لها فيض جوده واستلزم ذلك وجوب
شكرها بلسان حالها ومقالها بالثنا المطلق عليه ودوام الشكر له وان من شي الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحال الثالثة بقوله ولا مايوس من مغفرته تقريرا لقوله
تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ومن شهادة العقول سنن وجميل
عفوه وعفو لمن حركت لعقله ايدي شياطينه للحط الى مهاوي الهلاك فعجز عن مقاومتها بعد ان
كانت له مسكة بجناب الله فضعفت تلك المسكة عن ان تكون منجاة له حال مجاذبة الهواه وان ذلك
الغفران منتفا ومناسب قوة تلك المسكة وضعفها والعقل مما يؤيد ذلك ويحكم بصحة هذه الشهادة
فان كل ذي علاقة بجناب الله يتخلص من العقاب وان بعد خلاصه على ما نطق به البرهان في موضعه
وذلك يستلزم الاعتراف بالاحسان ودوام الثنا والحمد ثم اشار الى الرابعة بقوله ولا مستنكف
عن عبادته تقريرا لقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون الاية وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته
شاهد عظيم على كمال عظمته وانه المستحق للعبادة دون ما سواه اذ هو المستجمع للكمال
المطلق فلا يلحقه نقصان فيه الى ما يكون سببا للاستنكاف والاستكبار وغني
عن بيان ان الاسلوب الثلاثة بعده منصوبات على الحال وقوله الذي لا يبرح له رحمة ولا يفقد له نعمه اشار
الى انهما يستلزمان في ملاحظتهما وجوب شكره تعالى ونبه بقوله لا تبرح على دوام رحمة الله لعباده
وقوله لا تفقد له نعمه كقوله ولا مخلو من نعمته ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معايب الدنيا للتنفير عنها
فذكر وجوب الفنا لها ثم حذر بذكر العيب الاكبر لها الذي يرغب مع ذكره وملاحظته من
له ادنى بصيرة عن الركون اليها ومحبته تيسيرا لها وهو مفارقتها الواجبة والجلا عنها ثم اردف ذلك بذكر

١٨

جهتين من جهات الميل اليها احداهما منسوبة الى القوة الاليفة وهي حلاوتها والاخرى الى القوة الباصرة
وهي خضرتها واطلاق لفظيهما مجازا نكنى به عن جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ الجزء على الكل
وايراده لهذين الوصفين اللذين هما وصفا مدح في معرض ذمها كتقدير اعتراض على ذمها لغرض ان
يجيب عنه ولهذا عقب ذكرهما بما يصلح جوابا وتنبيه على ما يصرف عن الميل اليها من هاتين الجهتين
وتنزلونها محلة الطالب اذ كان من شان المحل ان ينتفع به في حال تحصيله دون ما بعد خصوصا في حق
من احب ذلك المحل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك كما اشار اليه بقوله والتبست بقلب
الناظر واما خص الناظر لتقدم ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر فمن تخلت له منحة والتبست
بقلبه وكان لا بد له من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها بل يبقى في عذاب الفراق منكوسا وفي ظلمة الوحشة محبوسا
واليه اشار التنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم
يصلاها مذموما مدحورا ثم لما نبه على معايبها امر بالارتحال عنها ولم يامر به مطلقا بل لا بد معه من
استصحاب احسن الازواد اذ كانت الطريق المامور بسلوكها في غاية الوعارة مع طولها وقصر المدة
التي يتخذ الزاد فيها فلا ينفع اذن الا الزاد الاقوى الابقى الذي لا يتطرق اليه فنا ولا نقص اعدك الله لا
فاتته رحمته من هذا الارتحال الارتحال الحسي الحاصل لك من بعضها الى بعض ولا من الزاد الماكول الجسماني
فان احسن ما يحضرنا منه ربما كان منهيا عنه بل المامور به ارتحال آخر بتنبيه من قصور طريق الآخرة
فانك قد علمت ان الغاية من التكاليف البشرية هي الوصول الى حضرة الله وشاهدت جلال كبريائه
علمت من ذلك ان الطريق الى هذا المطلوب هي اما وجوده وشواهد آياته وان القاطع لمراحل تلك الطريق
ومن زلها هو قدم عقلك مقتديا باعلامها الواضحة كلما نزل منها منزلا اعدته المعرفة به لاستلاحة اعلام
منزل آخر اعلى واكرم منه كما قال تعالى لتركبن طبقا عن طبق الى ان يستقر في مقعد
صدق عند مليك مقتدر واذا تصورت معنى الارتحال وقد علمت ان لكل ارتحال وسفر زادا علمت
ان اكرم زاد واحسنه في هذه الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة التي هي غذا للعقول وبها ذو
حيوتها واليه الاشارة بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار بقوله بما بحضرتكم
الى ما يمكننا ان ناتي به من الاعمال الصالحة في حيوتنا الدنيا ثم عقب الامر باتخاذ الزاد بالنهي عن
طلب الزيادة على ما يقوم به صلاة البدن من متاع الدنيا اذ كان البدن بمنزلة مركوب تقطع به النفس
مراحل طريقها فالزيادة على المحتاج اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزم لحجب
وكل ذلك مثقل للظهر وشاغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسئلوا منها فوق الكفاف
ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ ولا تمدن اعينكم فيها الى ما متع المترفون فتقصروا في الرحيل
واشتغلوا بطلب مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام
اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في النفس والاهل والمال اللهم
انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل ولا يجمعهما غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا

والمستصحب

والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد الرضي رضي الله عنه وابتدا هذا الكلام مروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قفاه امير المؤمنين عليه السلام بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله
ولا يجمعهما غيرك الى آخر الفصل اقول روي انه عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب
متوجها الى معوية ووعثاء السفر مشقته واصله المكان المتعب لكثرة رمل وغوص الارجل فيه
والكآبة الحزن ويشتمل هذا الفصل على الالتجاء الى الله في خلاص طريقه المتوجه فيها بدا وعودا من الموانع
الصارفة عن تمام المقصود وفي سلامة الاحوال المهمة التي تتعلق النفس بها عن المشغلات البدنية المعوقة
عن عبادة الله واعظمها احوال النفس ثم ما يصحبها من اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار بشمول
منانه وجميل رعايته وصحبته تقريرا لقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ كان شان الصاحب
العناية بامر صاحبه وشان الخليفة على الشي العناية بذلك الشي وحفظه مما يوجب له ضررا واستلزم
جمعه له بين هذين الحكمين وهما الخلافة والاستصحاب بقوله ولا يجمعهما غيرك كونه تعالى بريا
من الجهة والجسمية اذ كان اجتماعهما ممتنعا للاجسام اذ لا يكون جسم مستصحبا مستخلفا في حال
واحد واكد ذلك وبينه بقوله لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا
فان قلت هذا الحصر انما يتم لو قلنا ان كل ما ليس بذي جهة هو واجب الوجود وهذا مذهب
خاص فما وجه صحته مطلقا قلت الحصر صادق على كل تقدير فانه على تقدير ثبوت امور مجردة
من الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله
تعالى وما سواه فبالعرض فيصدق الحصر على ذلك الاستحقاق وللبحث عن فايدة الدعاء وسبب اجابته
فانه ربما يعرض لبعض الاذهان شبهة فتقول اما ان يكون المطلوب بالدعاء معلوم الوقوع لله او معلوم
اللاوقوع وعلى التقديرين لا فايدة في الدعاء لان ما علم وقوعه وجب وما علم عدمه امتنع فنقول في
الجواب عن هذا الوهم ان كل كاين فاسد موقوف في كونه وفساده على شرايط توجد وا
سباب تعد لاحدهما لا يمكن بدونها كما علمت ذلك في مظانه واذا جاز ذلك فلعل الدعاء
من شرايط وجود ما يطلب به وهما وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما وعلتهما الاولى الا انه هو الذي
ربط احدهما بالآخر فجعل سبب وجود ذلك الشي الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء
وما لم يشرب الدواء لم يصح واما سبب اجابته فقال العلماء متوافي الاسباب ومتوان يتوافى سبب
دعاء رجل مثلا فيما يدعوا فيه وساير اسباب وجود ذلك الشي معا عن البارى تعالى لحكمة الهية
على ما قدره وقضى ثم الدعاء واجب وتوقع الاجابة واجب فان انبعاثنا للدعاء سببه من هناك ويصير
دعاؤنا سببا للاجابة وموافاة للدعاء لحدوث الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد يكون
احدهما بواسطة الآخر وقد يتوهم ان السماويات تنفعل عن الارضيه وذلك انا ندعوا فيستجاب لنا وذلك
باطل لان المعلول لا ينفعل في علته البتة واذا لم يستجب الدعاء لداع وان كان يرى ان الغاية التي يدعوا
لاجلها نافعة فالسبب في عدم الاجابة ان الغاية النافعة ربما لا تكون نافعة بحسب مراده بل بحسب

نظام الكل فلذلك يتأخر اجابة دعائه او لاستجابة لهو بالجملة يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروط ذلك
المطلوب حال الدعاء واعلم ان النفس الزكية عند الدعاء قد يفيض عليها من الاول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها
وعها متصرفة على ارادتها فيكون ذلك اجابة الدعاء فان العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في
ابداننا فانا ربما تخيلنا شيئا فتتغير ابداننا بحسب ما تقتضيه احوال نفوسنا وتخيلاتها وقد يمكن
ان يؤثر النفس في غير بدنها كما يؤثر في بدنها وقد تؤثر في نفس غيرها وقد اشرنا الى ذلك في المقدمات وقد يستجيب الله
لتلك النفس اذا دعت فيما تدعو فيه اذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل
وبالله التوفيق   كأني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي تعركين
بالنوازل وتركبين بالزلازل واني لاعلم انه ما اراد بك جبار سوءا الا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل **اقول**
عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع به في كل سنة ويقيمون به سوقا مدة شهر ويتبا
يعون ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك قول ابي ذؤيب   اذا بني القباب على عكاظ وقام البيع
واجتمع الالوف   فلما جاء الاسلام رفع ذلك وأديم عكاظي منسوب اليها لكثرة ما كان يباع منه بها والاديم
واحد وجمعه الادم وربما جمع على آدمة كرغيف وارغفة والعرك الدلك والنوازل المصائب والخطاب هنا
شاهد حال المدينة التي هي الكوفة وذلك موضع كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب على الحال وتقرير الخطاب
كأني حاضر بك ومشاهد لما يلحق المستقبل حال تجاذب ايدي الظالمين لاهلك بانواع الظلم وكنى بالمكني عنه بمدها وشبه ذلك
بمد الاديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما ان الاديم مستحكم الدباغ يكون شديد المد والعرك واستعار
لفظ المد والعرك ملاحظة لذلك الشبه ولفظ الركوب ملاحظة لشبهها بمتن المطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة لشبه
ما يقع لهم من الظلم الموجب من اضطراب الحال بالارض ذات الزلازل ثم اشار الى مشاهدة ثانية لما يقع لمن اراد بهم سوءا
واوقع بهم ما وقع من البلاء وما اراد بهم ثم الى ابتلاء الله بعضهم بشاغل في نفسه عما يريد بغيرهم من سوء و
يقصد به من حادث خراب ورمي بعضهم بقاتل فاما المصائب التي ابتلي بها اهل الكوفة والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مسطورة
في كتب التواريخ واما الجبابرة الذين ارادوا بها سوءا وطغوا فيها فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب
واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فجماعة منهم ابتلي بشاغل فمنهم زياد روي انه كان قد جمع الناس في المسجد
ليأمرهم بسب علي عليه السلام والبراءة منه ويقتلهم بذلك فيقتل من يعصيه فيه فبينا هم مجتمعون اذ خرج حاجبه فامرهم
بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم
الحجاج وقد تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد اصابهما البرص ومنهم
خالد القسري وقد ضرب وحبس حتى مات جوعا واما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير
والمختار بن ابي عبيد الثقفي ويزيد بن المهلب واحوالهم مشهورة من رامها طالع التاريخ
الحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال اما
بعد فقد بعثت مقدمتي وامرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم امري وقد رأيت ان اقطع هذه النطفة الى شرذمة
منكم موطنين اكناف دجلة فانهضهم معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد

رضي الله عنه يعني بالملطاط ههنا السمت الذي امرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ويقال ذلك ايضا لشاطئ البحر و
اصله ما استوى من الارض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب
بها عليه السلام وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة متوجها الى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ووقب الليل
دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والشرذمة النفر اليسير واكناف النواحي وتوطين البقعة
واستيطانها اتخاذها وطنا والامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه حمد الله باعتبار تكرر
وقتين وهما حالتا المقصود وان كان دوام الحمد له الآن في التقييد بالقيود المذكورة فوائد فالاول قوله كلما وقب ليل
وغسق وفيه تنبيه على كمال قدرة الله في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه الحمد بما يلزم من دوام ذلك من ضروب الامتنان والثاني
قوله كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه
الثالث الحمد له حال كونه غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فائدة هذا القيد الرابع كونه غير
مكافأ الافضال وفائدته التنبيه على ان افضاله لا يمكن ان تقابل بجزاء اذ كانت القدرة على الحمد والثناء نعمة ثانية وقد
سبق بيان ذلك ايضا فاما قوله اما بعد الى آخره فخلاصته انه عليه السلام لما اراد التوجه الى صفين بعث زياد بن النضر
وشريح بن هانئ في اثني عشر الف فارس مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات فاخذوا شاطئها من قبل البر
مما يلي الكوفة حتى بلغوا عانات فذلك معنى امره لهم بلزوم الملطاط وهو ممتد شاطئ الفرات واما مسيره عليه السلام فانه خرج من
الكوفة انتهى الى المدائن فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم عدي بن حاتم فاستخلص منهم ثمانمائة رجل فسار
بهم وخلف معهم ابنه زيدا فلحقه في اربعمائة رجل منهم فذلك قوله وقد رأيت ان اقطع هذه النطفة اي الفرات الى شرذمة
منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المدائن فاما المقدمة فانه لما بلغهم انه عليه السلام اخذ على طريق الجزيرة وان معاوية خرج
في جموعه لاستقباله كرهوا ان يلقوهم وبينهم وبينه الفرات عليه السلام الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا
الفرات من هيت ولحقوا به فصوب رأيهم في الرجوع اليه وباقي الكلام ظاهر **ومن خطبة له عليه السلام**
الحمد لله الذي بطن خفيات الامور ودلت عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب
من اثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء اعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه
ولا قربه ساواهم في المكان به لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام
الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا **اقول** يقال
بطنت الوادي دخلته وبطنت الامر علمت باطنه وفي هذا الفصل مباحث جليلة من العلم الالهي وجملة من صفات
الربوبية اولها قوله بطن خفيات الامور ويفهم منه معنيان احدهما كونه داخلا في جملة الامور الخفية
ولما كانت بواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونه بطنها انه اخفى منها عند العقول الثاني ان
يكون المعنى انه نفذ علمه في بواطن خفيات الامور اما المعنى الاول فبيانه انك علمت ان الادراك اما حسي واما عقلي ولما
كان الباري تعالى منزها عن الجسمية منزها عن الوضع والجهة استحال ان يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنية
ولما كانت ذاته بريئة من انحاء التراكيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه فهو اذن على جميع الادراكات
ظاهرة وكونه اخفى الامور الخفية واضح واما الثاني فقد سبق بيان انه عالم الخفيات والسرائر وثانيها

كونه تعالى وقد دلت عليه معاني اعلام الظهور وكنى باعلام الظهور عن آياته وآثاره في العالم الدالة على وجوده الظاهرة في كل صورة منها كما قال وفي كل شي له آية تدل على انه واحد وهي كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذه الطريق من الاستدلال هي طريق المليين وساير فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا على حدوث الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها على وجود الخالق ثم بالنظر في احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا باحكامها واتقانها على كون فاعلها عالما حكيما وبتخصيص بعضها بامر ليس للآخر على كونه مريدا ونحو ذلك وكذلك الحكماء الطبيعيون يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع اتصال المحركات لا الى اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من ذلك على وجود مبدا اول واما الالهيون فلهم في الاستدلال طريق آخر وهو انهم ينظرون اولا في مطلق الوجود اهو واجب او ممكن ويستدلون من ذلك على اثبات موجود واجب ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزم لعدم الجسمية والعرضية والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد آخر وظاهر ان هذه الطريق اجل واشرف من الطريق الاولى وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم بالعلة المعينة مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الاية المذكورة اشارة الى الطريقة الاولى فتمامها اشارة الى هذه الطريقة وهو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد قال بعض العلماء وهذه طريق الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اي يستدلون بوجوده على وجود كل شي اذ منه منشأه ولا يستدلون عليه بوجود شي بل هو اظهر وجودا من كل شي فان خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة الى تدبيره وقدرته لا يخالف شي من الموجودات شيئا في تلك الشهادات ولا يختص احدها بعدم الحاجات وقد ضرب العلماء الشمس مثلا للنور في شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات التي يساعد عليها الوهم ادراك الحواس واظهرها ادراك البصر واظهر مدرك للبصر نور الشمس المشرق على الاجسام وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة ليس فيها الا الوانها فقط من سواد وحمرة فاما ان فيها مع ذلك ضوءا يقارن اللون فلا فاذا اريد تنبيه هولاء على سهوهم فطريقه التنبيه بالتفرقة التي يجدونها بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها عليها مع بقاء الالوان في الحالين فان التفرقة بين المستضي بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية ظاهرة فتعرف وجود النور اذن بعدمه ولو فرضت الشمس دائمة الاشراق على الجسم الملون لا تغيب عنه لتعذر على هولاء معرفة كون النور شيئا موجودا زايدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور لله تعالى وتقدس عدم او غيبة لانهدمت السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها في الشهادة به متفقة والاحوال كلها على نسق واحد مطردة متسقة كان ذلك سببا لخفائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره وثانيها الاشارة الى سلوب توجب ملاحظتها تنزيهه تعظيمه تعالى احدها

كونه

كونه متعقبا على عين البصير اي لا يصح ان يدرك بحاسة البصر وصدق هذا السلب ظاهر بدليل هكذا الباري تعالى هو غير جسم وغير ذي وضع وكل ما كان كذلك فممتنع رويته بحاسة البصر فينتج ان الله تعالى ممتنع الروية بحاسة البصر والمقدمة الاولى استدلالية والثانية ضرورية وقد ثبتا استدل عليها والمسالة مستقصاة في الكلام والى ذلك اشار القرآن الكريم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ه وثانيها قوله فلا عين من لم يره تنكره اي سبحانه مع كون البصير لا يدركه بحاسة بصره لا ينكره من جهة انه لا يبصره اذ كانت فطرته شاهدة بظهوره ووجوده في جميع آثاره ومع ذلك ليس له سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره اذ كان حظ العين ان يدرك بها ما مع ادراكه فاما ان ينفي بها ما لا يدرك من جهتها فلا ه وثالثها قوله ولا قلب من اثبته يبصره اي ان من اثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره وانما اكد عليه السلام بهذين السلبين الاخيرين لانهما يشتملان عند الوهم في بادي سماعهما على منافاة وكيف الى ان يقهر العقل على التصديق بهما فكان الوهم يقول في جواب قوله فلا عين من لم يره تنكره كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفي جواب السلب الثاني كيف يثبت القلب ما لم يبصر فلما كان في صدق هذين السلبين اعاجيب لاوهام السامعين مفزوع لهم الى ملاحظة جلال الله وعظمته وتنزيهه عما لا يجوز عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله فلا قلب من اثبته يبصره اي انه وان اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط به علما ورابعها كونه تعالى قد سبق في العلو فلا شي اعلى منه وتقريره ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلث الاول العلو الحسي المكاني كارتفاع بعض الاجسام على بعض الثاني العلو التخيلي كما يقال للملك انه اعلى من الناس اي اعلاهم في الرتبة التخيلية كالة الثالث العلو العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية التي بعضها اعلى من بعض وكما يقال السبب اعلى من المسبب اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه في المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى الثاني لتنزهه سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات اضافية تتغير وتتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد تكون كمالات عند بعض الناس ونقصانات عند آخرين كدول الدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد وتتطرق اليها الزيادة والنقصان ولا شي من كمال الاول الواجب سبحانه كذلك لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فبقي ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا بمعنى ان رتبته فوق رتبة جميع المراتب العقلية منحطة عنه وبيان ذلك ان اعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة هي مبدأ كل موجود حسي وعقلي وعلة العلل التامة المطلقة التي لا يتصور النقصان فيها بوجه ما لاجرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا وله الفوق المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شي وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى قوله سبق في العلو فلا شي اعلى منه فسبقه في علوه تفرده بالعلو المطلق وفواته لغيره ان يلحقه فيه ه وخامسها قربه في الدنو فلا شي ادنى منه وقد اورد عليه السلام القرب هنا مقابلا للبعد اللازم من السبق في العلو فانه يستلزم البعد عن الغير فيه واورد الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان العلو يقال على المعاني الثلثة المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك الدنو يقال على معان ثلثة مقابلة لها فيقال مكان فلان ادنى من

مكان فلان اذا كان اسفل منه وان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك الفلاني ادنى من رتبة ١٥٤
السلطان الفلاني اذا كان في مرتبته اقل ويقال رتبة المعلول ادنى من رتبة علته ويقال شي دني اي خسيس فيقال فلان
ادنى الى فلان واقرب اليه اذا كان خصيصا به مطلعا على احواله اكثر من غيره والبارى تعالى منزه عن ان
يراد بدنوه احد المفهومات الثلاثة الاولى بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه في دنوه اذن بحسب علمه الذي لا يعزب
عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب كل قريب وادنى كل دان كما
قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى الى العبد من نفسه اذ نفس كل انسان لا تعرف نفسها
وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو اذن القريب في دنوه الذي لا شي اقرب منه وانما اورده بلفظ الدنو ليحصل
المقابلة فتنزع النفوس السليمة عند انكار الوهم لاجتماع القرب والبعد والعلو والدنو في شي واحد الى تفهم
المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه منها **قوله** فلا استعلاؤه باعده من شي من خلقه ولا قربه ساواهم
في المكان به تاكيد لرد الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية فان الوهم يحكم بان ما استعلى على الاشياء فانه
بعيد عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في اماكنها وذلك لكونه مقصور الحكم على المحسوسات ونحن
لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا مكانيين بل بمعاني اخر لا جرم لم يكن استعلاؤه
بذلك المعنى على مخلوق فانه متباعد عن شي منها ولم يكن منافيا لقربه بالمعنى الذي ذكرناه بل كان الاستعلاء
والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا موجبا لمساواته لها في المكان كما ادعاه الوهم وردا لاحكامه المناسبة
في صفات الجلال ونعوت الكمال قوله لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب
معرفته ويفهم من صفته معنيان احدهما شرح حقيقته وذاته والثاني شرح ما لها من صفات الكمال المطلق
وظاهر ان العقول لم تطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حد لحقيقته ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس
لما تعتبره العقول من كمال له سبحانه نهاية تقف عندها فيكون حدا له واما انه سبحانه مع ذلك لم يحجبها عن واجب
معرفته فلانه تعالى وهب لكل منهن قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله حتى
نفوس الجاحدين فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة اعلام الوجود وايات الصنع له على كل نفس تلحظ حاجتها
بصدورها عنه بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بما تشاهده من تلك الايات الى صانع حكيم فهو الذي تشهد
له اعلام الوجود على اقرار قلب كل من جحده بان جحده له انما هو راي اتبع فيه وهمه مع اقرار قلبه بالتصديق به
بشهادة ايات الصنع وشواهد الاثار على صحة ذلك الاقرار واعلم ان الجحد على نوعين احدهما جحود تشبيه اذ المشبهة
مقرون لله بخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه بالرسوم جاحدون له في الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه
ويثبتونه الها ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون ما سوى ذلك فكانوا نافين للاله الحق في المعنى والثاني جحود
من لم يثبت صانعا وكل الفريقين جاحد له من وجه مثبت له من وجه اما المشبهون فمثبتون له صريحا
جاحدون له لزوما واما الاخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا مقرين له من الجهة التي تشهد العقلاء بها ويقرون
به لزوما واضطرارا ولذلك ترجم عليه السلام عن اقوال الفريقين فقال تعالى عما يقول المشبهون به والجاحدة
له علوا كبيرا وحكي ان زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع فاعرض

عليه

عليه السلام عنه ثم التفت اليه وسأله من اين اقبلت وما قصتك فقال الزنديق اني كنت مسافرا في البحر فعصفت
علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها ولم تزل
الامواج تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل ونجوت عليها فقال عليه السلام ارايت الذي كان قلبك اليه اذا انكسرت
السفينة وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع اليه طالبا للنجاة منه فهو الهك فاعترف
الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وبالجملة فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع سبحانه امر ظاهر وان
خالطها غواشي الاوهام واليه الاشارة بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم
الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها
جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم الى البر اذا هم يبغون في الارض بغير الحق و
بالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع
يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف
على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ولكن يؤخذ من
هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم
من الله الحسنى **اقول** المرتاد الطالب والضغث القبضة من الشي واعلم ان مبدا وقوع الفتن المؤدية الى
خراب العالم وفساده انما هو اتباع الهوى والاراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر الله وذلك ان
المقصود من بعثة الرسل ووضع الشرايع انما هو نظام احوال الخلق في امور معاشهم ومعادهم فكان كل راي ابتدع
وهوى اتبع خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سبب الوقوع وتشتت نظام الوجود في هذا العالم وذلك كاهواء
البغاة واراء الخوارج ونحوها **وقوله** فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى اخره اشارة الى اسباب تلك
الاراء الفاسدة وهو ان تلك الاسباب هي امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج التي يستعملها المبطلون
في استعلام المجهولات فبين ان السبب هو ذلك الامتزاج بشرطيتين متصلتين احداهما قوله فلو ان الباطل
خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات الشبهة اذا كانت
كلها باطلة ادرك طالب الحق وجه فسادها بادنى سعي ولم يخف عليه بطلانها واما استثناء نقيض تاليها فلانه
لما خفي وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحق فكان ذلك هو سبب الغلط
والتباس الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين والثانية قوله ولو ان الحق خلص من لبس الباطل
انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة ايضا كما مر اي ان مقدمات الحجة التي استعملها المبطلون
لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا فتنقطع السنتهم عن العناد فيه والمخالفة له
وقد عرفت في علم المنطق كبرى هذين القياسين لانهما قياسا شرط كما سبق ثم اشار الى النتيجة او ما في معناها
وهو قوله ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث اي من الحق والباطل فيمزجان واستعار لفظ الضغث
لمقدار مقصود ونبه بالتفريع بلزوم الاراء الباطلة والاهواء المبتدعة لمزج الحق بالباطل [illegible]

ينه في الشيطان على اوليآيه اي يزين لهم اتباع الهوآ والاحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب اغوايهم عن تميز الحق
من الباطل فيما يلبس من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اي من اخذت عناية الله بايديهم في ظلمات
الشبهات فقادتهم فيها بافاضة نور الهداية عليهم الى تميز الحق من الباطل واوليك هم عن النار مبعدون

ومن كلام له عليه السلام لما غلب اصحاب معوية اصحابه على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم
من المآء قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتاخير محلة او رووا السيوف من الدمآء ترووا من المآء فالموت
في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين الا وان معوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا
نحورهم اغراض المنية **اقول** اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد عمى وابهم ومنه
عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفي الفصل لطايف الاولى قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الا
ستطعام لتحرشهم بالقتال في منعهم للمآء ووجه الاستعارة استلزامهم القتال وطلبهم له بمنع المآء الذي هو في المعنى
اقوى حد ما للقتال من طلب المأكول بالاقوال ولانهم لما حازوا المآء اشبهوا في ذلك من طلب الطعام له ولما استلزم
ذلك المنع طلبهم للقتال تعين ان يشبه ما طلبوا اطعامه الثانية قوله فاقروا على مذلة وتاخير محلة
الى قوله المآء امر لهم بما يجعلهم لازمين عن منعهم المآء واستطعامهم القتال به اما ترك القتال او ايقاعه وانما اورد الكلام
بصورة التخيير بين هذين اللازمين وان لم يكن مراده الا القتال لعلمه بانهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزمه من الا
قرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتاخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف والشجاعة وانما اورد الوصفين
اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة وعلى تاخير المحلة لينفروا بهما عنه وتظهر لهم في صورة كريهة
وانما جعل الري من المآء الذي هو مشتهى اصحابه في ذلك الوقت لازما لترويتهم السيوف من الدمآء التي يلزمها القتال
ليريهم القتال في صورة محبوبة تميل طباعهم اليها ونسبة التروي الى السيوف نسبة مجازية الثالثة قوله
فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين من لطايف الكلام ومحاسنه وهو جذب الى القتال
بابلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه بتصويره لهم ان الغاية التي عساهم يفرون من القتال خوفا منها وهي
الموت موجودة في الغاية التي عساهم يطلبونها من ترك القتال وهي الحياة البدنية حال كونهم مقهورين ووجود
لفظ الموت في الشدايد والاهوال التي تلحقهم من عدوهم لو قهروهم وهي عند العاقل اشد بكثير من موت البدن
واقوى مقاساة فان للذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي اللب موتات متعاقبة ويحتمل ان
يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد فانه موت للنفس وعدم لحياتها برضوان الله ولكنه جذبهم ان الغاية التي
يفرون اليها بترك القتال وهي الحياة موجودة في الغاية التي يفرون منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين اما في
الدنيا فمن وجهين احدهما الذكر الباقي الجميل الذي لا يموت ولا يفنى الثاني ان طيب حياتهم الدنيا انما يكون
بنظام احوالهم بوجود الامام العادل وبقاء الشريعة كما هي وذلك انما يكون بالقآء انفسهم في غمرات الحرب
محافظة على الدين وموت بعضهم فيها ولفظ الموت مهمل تصدق نسبته الى الكل وان وجد للبعض واما
في الآخرة فالبقاء الابدي ما لهم فطلة على وطايب الله والحياة التامة في جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الاية وفي القرينتين الاوليين السجع المتوازي وفي

الذين

الذين بعدهما السجع المطرف وفي اللتين بعدهما المقابلة الرابع قوله الا وان معوية ذكر العدو برذيلتين واصحابه
برذيلتين اما الاوليان فكونه قايد غواة وكونه قد لبس عليهم الحق بالباطل واراهم الباطل في صورة الحق واما الاخريان
فكونهم غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى صار جهلهم مركبا والغرض من ذلك التنفير
عنهم **وقوله** حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاصحاب معوية من تلبيسه الحق عليهم وكني بذلك عن
تصديهم للوثب ولفظ الغرض مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم لنحورهم بصدد ان يصيبها سهام المنية
من الطعن والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما ينصبه الرامي هدفا وهي استعارة بالكناية كانه
حاول ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الا وان الدنيا قد بلغ
تصرمت واذنت بانقضآء وتنكر معروفها وادبرت حذآء فهي تحفز بالفنآء سكانها وتحدو بالموت
جيرانها وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او
جرعة كجرعة المقلة لو تمززها الصديان لم ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على
اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن عليكم فيها الامد فوالله لو حننتم حنين الوله العجال
ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد التماس القربة
اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلا فيما ارجوا
لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة
اليه او رهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيا من جهدكم
انعمه عليكم العظام وهداه اياكم للايمان **اقول** اذنت اعلمت وتنكر معروفها جهل وحذآء سريعة
خفيفة ويروى بالجيم اي مقطوعة الخير والعلاقة والحفز السوق الحثيث والحفز ايضا الطعن والسملة
بفتح الميم البقية من المآء في الاناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها المآء عند قلته يعرف بها
مقدار ما يسقى كل شخص والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اي سكن
عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت عزمي على فعله والمقدور المقدر الذي لا بد من كونه والامد الغاية
والوله العجال جمع والهة وعجول وهما من الابل النوق تفقد اولادها وهديل الحمامة نوحها والجؤار الصوت المرتفع
والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانماثت انحلت وذابت واعلم ان مدار هذا الفصل على امور ثلاثة
احدها التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن تاميلها والامر بالرحيل عنها الثاني التنبيه على عظيم
ثواب الله وما ينبغي ان يرجى منه ويلتفت اليه ويقصد بالرحيل بالنسبة الى ما الناس فيه مما يتوهمونه خيرا في الدنيا ثم
الى عظيم عقابه وما ينبغي ان يخاف منه الثالث التنبيه على عظمة نعم الله تعالى على الخلق وانه لا يمكن
جزاؤها بابلغ المساعي واكثر الاجتهاد اما الاول فاشار اليه بقوله الا وان الدنيا قد تصرمت الى قوله فيها
الامد وقد علمت ان تصرمها هو تقضي احوالها الحاضرة شيا فشيا بالنسبة الى من وجد فيها في كل حين
وان اذنها بالانقضآء هو اعلامها بلسان حالها لاذهان المعتبرين انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فهو
تغيره وتبدله ومثاله ان الانسان اذا اصاب لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال او جاه ونحو ذلك

اليه وتوهم بقاؤه له وكان ذلك معروفا الذي اسند اليه عرفه والفه منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده
فيصير بعد ان كان معروفا مجهولا وكون الدنيا لصديق تنكر في صداقته ومزجها بعداوته **وقوله** وادبرت
حذاء اي ولت حال ما لا تعلق بأحد منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانتقال خيراتها عمن انتقلت
عنه بموته او غير ذلك من وجوه زوالها ملاحظة لشبهها بملك اعرض عن بعض رعيته بوجه وترك **وقوله** فهي
تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها استعار وصفي السائق والحادي استعارة بالكناية ووجه
المشابهة كونهم قاطعين لمدة العمر بالفناء والموت فهي مصاحبة لهم بذلك كما يصحب السائق في
الحادي الابل بالسوق والحداء وان اريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى البلاء ملاحظة لشبه مصائب
الدنيا بالرماح وكذلك استعار لفظ الفناء والموت لعله السوق والحداء ونزلهما منزلة الحقيقة ووجه المشا
بهة كون الموت هو السبب في انتقال الانسان الى دار الآخرة كما ان الصوت والسوط مثلا اللذين هما التا
الحداء والسوق هما اللذان بهما يحصل انتقال الابل من موضع الى موضع **وقوله** وقد امر منها ما كان حلوا وكدر
منها ما كان صفوا العقول وتنكر معروفها اي ان الامور التي تقع لذيذة فيها وتجدها الانسان في بعض اوقات بمصادفة
حلوه خالية عن كدورات الامراض وسائر التنغيص بالعوارض التي يجدها هي في معرض التغير والتبدل بالمرارة
والكدورة فما من نعيم يخاطبه بما ذكرناه ويصدق عليه انه قد عرضت من تلك اللذات ما استعقب صفوها
كدرا وحلاوتها مرارة اما من شباب تبدل بكبر او غنى بفقر او عز بذل او صحة بسقم **وقوله** فلم
يبق منها الا سملة الى قوله لم ينقع تقليل وتحقير لما بقي منها للكل تحقير من الثاني فان بقاءها له على
حسب بقائه فيها وبقاء كل شخص فيها يسير ووقته قصير واستعار لفظ السملة لبقيتها وشبهها ببقية
الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اي كما ان العطشان
الواجد لبقية الاداوة والجرعة لو تمصصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد لبقية عمره
والبعيد من الاستمتاع فيه بلذات الدنيا لا يشفي ذلك غليله ولا يسكن عطشه منها فالاولى اذن تعويد النفس
بالفطام عن شهواتها **وقوله** فازمعوا عباد الله بالرحيل عن هذه الدار امر لهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالازماع
وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات الى الله والاقبال على عقبات الطريق اليه وهو الرحيل الحق عن الدنيا
وقوله المقدور على اهلها الزوال تذكير بما لا بد منه من مفارقتها لتخف الرغبة ثم اعقب ذلك بالنهي
عن متابعة الامل في لذاتها فانه ينسي الآخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ المغالبة تذكيرا بالانفة واستثارة
لحميته من نفوسهم ثم بالنهي عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التي هي الموت فان ذلك يقسي القلب فيورث
الغفلة عن ذكر الله كما قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون واما الثاني
وهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر منها وامر بالارتحال عنها اشار بعد ذلك
الى ما ينبغي ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه واشار الى تعظيمها بتحقير الاسباب
والوسائل التي يعتمد عليها العباد في عباداتهم بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه
وتلك الاسباب من شدة الحنين والوله الى الله والدعاء المشبه بهديل الحمام والتضرع المشبه بتبتل الرهبان هذا في

طرف

طرف العبادة والانقطاع الى الله المشبه بتبتل الرهبان الزهد بتهم ومن شدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من الاموال والاولاد وهو
اشد الزهد ورتب ذلك بصورة متصل مقدمها قوله حننتم الى قوله رسله وتاليها قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه
والقياس مفعول له وكذلك اصلاحه هذا المقصود بوجيز الكلام انكم لو اتيتم بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة لكم
من عبادة وزهد ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او يغفر لكم سيئة احصتها كتبه والوا
ح المحفوظة لكان الذي ارجو من ثوابه للمتقرب اليه في ان يرفع منزلة له من حضرة قدسه اكثر مما يتصوره المتقرب انه
يصل اليه بتقربه ولكان الذي اخافه من عقابه على المتقرب في غفران سيئته عنه اكثر من العقاب الذي يتوهم
انه يدفعه عن نفسه بتقربه فينبغي لطالب الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته في التقرب اليه ليصل الى ما هو
اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب من ذنبه الى الله ان يخلص بكليته في الفرار اليه ليتخلص
من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته اليه فان الاشد في معرفة ما اعده الله لعباده الصالحين من
الثواب العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العذاب الاليم اجل مما يتصوره عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وان
كانت عقولهم في ذلك الادراك متفاوتة ولما كانت نفسه القدسية اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لا جرم
كان الثواب المرجو لهم والعقاب المخوف عليهم الى ذهنه اقرب فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف
عليكم من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه واما الثالث وهو التنبيه على عظيم
نعم الله تعالى على العباد فنبه عليه بان كل ما اتوا به من الاعمال التي بذلوا جهدهم فيها في طاعة الله وساعتها
لكنهم ان ياتوا به منها فهو قاصر عن مجازاة نعمه العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب في صورة شرطية
متصلة ايضا مقدمها مركب من ابزر اجزها قوله ولو انماثت قلوبكم اي ذابت خوفا منه ووجدا به وتالي
كي تتوقف عن اقصى حال الخائف الراجي لربه في عبادته الثاني قوله وسالت عيونكم دما وهو كالاول والثالث
قوله ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية اي مدة بقاء الدنيا وتاليها قوله ما جزت اعمالكم الى اخره وانعمه منصوب
مفعول جزت وهداه في محل النصب عطفا عليه وانما افرد الهدى بالذكر وان كان من النعم لشرفه اذ هو الغاية
المطلوبة من العبد بكل نعمة فكل نعمة افيضت عليه فانها لم تخلق ولم تفض عليه انواع النعم الالهية الا لتكميل
قلبه وتستعد نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها فيمشي بها في ظلمات الجهل الى ابيه ويجوز بها عقبات
صراطه المستقيم واكد ملازمة هذه المتصلة بالقسم البار وكذلك المتصلة السابقة وفائدة هذه التنبيه بعث
الخلق على الشكر وتوفير الدواعي على الاجتهاد في الاخلاص الى الله حيث ازمن مقابلة عظيم انعامه بالتقصير في
شكره والثناء على نعمه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام في يوم النحر في صفة الاضحية**
ومن تمام الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن والعين سلمت الاضحية وتمت ولو كانت
عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك **اقول** الاضحية منسوبة الى الاضحى اذ كان ذبحها في ضحى ذلك اليوم
وقيل انه مشتق منها واستشراف اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع او نقصان الخلقة والعضباء
مكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكنى بجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك موضع النسك وهو العبادة
التقرب بذبحها واعلم ان المعتبر في الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر ان العمى والعور والهزال وقطع

الاذن المشوبة في خلقتها ونقصان في قيمتها دون العوج ولبس القرن وفي فضل الاضحية اخبار كثيرة روي عن رسول الله
صلى الله عليه انه قال ما من عمل يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها واظلافها
وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا وروي عنه ايضا ان لكم بكل صوفة من جلدها حسنة
وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يبالغون في اثمان
الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاها ثمنا وانفسه عند اهله وروي ان عمر رضي الله
عنه اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثماية دينار فسال رسول الله صلى الله عليه ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه
عن ذلك وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلثماية دينار وان كانت قيمة ثلاثين
بدنة وفيها تكثير اللحم لكن ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال
التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة كثر
العدد ام قل واعلم انه ربما لاح مما اسرار وضع الاضحية سنة باقية مما يدوم بها التذكر لقصة ابرهيم عليه السلام في
ابتلايه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء المبين ثم تلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصايب في
المكاره فيتاسى الناس به في ذلك مع ما في الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها
للتقرب الى الله تعالى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** فتداكوا علي تداك
الابل الهيم يوم ورودها قد ارسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي
وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد
صلى الله عليه فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من
موتات الاخرة **اقول** تداكوا اي دق بعضهم بعضا اي دقه بالضرب والدفع والهيم الابل العطاش والمثاني
جمع مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير واعلم ان قوله فتداكوا الى قوله لدي اشارة الى صفة اصحابه بصفين
لما طال منعه لهم من قتال اهل الشام وكان عليه السلام يمنعهم من قتالهم لامرين احدهما انه كانت عادته في الحرب
ان يكون خصمه البادي فتركبه الحجة والثاني انه كان يستخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم على
سبيل شكه في قتال من خالفه فانه عليه السلام كان مامورا بذلك بل على وجه استخلاص وجه الراي الاصلح وانتظار
لانجذابهم الى الحق ورجوعهم الى طاعته لحقن دماء المسلمين كما سيصرح به في الفصل الثاني الذي يلي
ثم اكد وصفهم بالازدحام عليه بامرين احدهما تشبيهه بازدحام الابل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم
ورودها الماء ووجه الشبه ما لهما من شدة الازدحام الثاني دعت الازدحام عليه ومنه ظنه عليه السلام ان يقتلوه او يقتل بعضهم
بعضا **وقوله** وقد قلبت هذا الامر الى اخره اشارة الى بعض علل منعه لهم من القتال وهو تقليبه لوجوه
الاراء في قتالهم حتى تبين له ما يلزم في ترك القتال من الخطر ومنه الفزع على ان في الامرين خطرا اما القتال ففيه
بذل نفسه للقتل وهلاك جماعة من المسلمين واما تركه ففيه الجحود بما جاء به وحق مخالفة امر الله ورسوله المستلزمة العقاب الاليم
لكن قد علمت ان الدنيا لا نسبة لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة الاخرة وشقاوتها عند ذوي البصاير خصوصا
مثله عليه السلام فلذلك قال وكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات

الآخرة

الآخرة واستعار لفظ الموتات للاهوال والشدايد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة
ومن كلام له عليه السلام وقد استبطا اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين اما قولكم اكل ذلك
كراهية الموت فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طايفة فتهتدي بي وتعشو الى ضوئي وهو
احب الي من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء باثامها **اقول** عشا الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وبآثامها
بآثامها ترجع بها وهذا الفصل مناسب للاول قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوا
عليه في طلبه حتى نسبه بعضهم الى العجز وكراهية الموت ونسبه بعضهم الى الشك في وجوب قتال هولاء فورد عليه
السلام الشبهة الاولى وهي قوله اكل ذلك كراهية الموت وروي كراهية بالنصب على المفعول له وسد مسد الخبر
واجاب عنها بقوله فوالله ما ابالي الى قوله الي وصدق هذه الدعوى المؤكد بالقسم ظاهر منه فان الفا
لا يعجز عن سبب الموت خصوصا نفسه القدسية كما سبق وفي نسبة الدخول على الموت والخروج اليه نسبة
مجازية تستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية وهي قوله واما قولكم شكا في اهل الشام
واجاب عنها بقوله فوالله ما دفعت الحرب الى اخره وتقريره ان المطلوب الاول من الانبياء والاولياء انما هو اهتدا
الخلق بهم من ظلمة الجهل واستقامة امورهم في معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا كان هذا هو المطلوب الذاتي له
عليه السلام من طلب هذا الامر والقتال عليه وكان تحصيل المطالب كلما كان الطف واسهل من القتل والقتال كان
اولى لاجرم كان انتظاره بالحرب ومدافعتها يوما فيوما انما هو انتظار وطمع ان يلحق به منهم من يجذب الحق
الالهي بعضه الى الحق فيهتدي به في طريق الله ويعشو الى ضوء علمه وكماله وكان ذلك احب اليه من قتلهم
على ضلالهم وان كان كل ضال انما يرجع باثمه الى ربه ويكون رهين عمله كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة
ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى **ومن كلام له عليه السلام** ولقد كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم نقتل اباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما ومضيا على
اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا في جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول
الفحلين يتخالسان انفسهما ايهما يسقي صاحبه كاس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما راى الله
صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه ومتبوئا اوطانه ولعمري
لو كنا ناتي ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما **اقول**
المنقول ان هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين اقر الناس بالصلح واوله ان هولاء القوم لم يكونوا ليفيئوا الى الحق
ولا ليجيبوا الى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتايب تقفوها الجلايب
وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحي ارضهم وباحجار مساربهم ومسارحهم
وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم
وموتاهم في سبيل الله الا جدا في طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد كنا مع رسول الله الفصل وكلمة سواء
اي عادلة والمناسر خيل من المائة الى المايتين وقيل الجيش ما بين ... الا القطعة والخميس الجيش و
تدعق تغير على ارضهم فتثير غبارها حوافرها وشن الغارة اثارها واللقم منهج الطريق والمضض حرقة الالم

ويقضا ولاي يتحاملان ويتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة صاحبه والمنون المنية والكتب الصرف
والاذلال وجيران البعير مقدم عنقه من مذبحه الي منحره وتبوأ وطنه سكن فيه ومقصوده في هذا الفصل
توبيخ اصحابه على ترك الجهاد والتقصير فيه **وقوله** ولقد كنا الي قوله اوطانه بيان الفضل وكيفية صنعه
هو وسائر الصحابة في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه لغرض قيام الاسلام وظهور اسراره ليتبين المتاسين
تقصيرهم بالنسبة الي ما كان اولئك عليه في جهادهم يومئذ فبدأ بذكر ما كانوا يكابدونه من الشدايد وان
احدهم كان يقتل اباه وولده طلبا لرضا الله وذبا عن دينه ثم ان دينه ذلك الا ايمانا بالله وتسليما لقضائه ومضيا
على واضح سبيله وصبرا في طاعته على مضض الالم المتواتر وان احدهم كان يصاول عدوه ليختطف كل روح
صاحبه والجور بلفظ الكاس فيما يتجرعه الانسان من غصص الالم حال القتل ونبه بقوله مرة لنا ومرة
لعدونا على ان اقدامهم على القتال يومئذ لم يكن عن وثوق منهم على العدو ويقين بغلبه بل مع غلبة العدو لهم وقهرهم
ومرة مغلوب على الظفر والتقدير فمرة الاولة تكون لنا من عدونا ومرة تكون له منا **وقوله** فلما راي
الله صدقنا الي قوله النصر فيه تنبيه على ان الجهاد الالهي لا يخل فيه ولا منع وانما هو عام الفيض على كل قابل
استعد لرحمته واشار الي ان الله صدقهم الي علو باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذي اعدهم به لانزال النصر
عليهم والكبت لعدوهم الي افاضته على كل منهم ما استعد له **وقوله** حتى استقر الاسلام الي قوله اوطانه اشار
الى حصول غايتهم التي قصدوها بجهاد العدو وهي استقرار الاسلام في قلوب عباد الله واستعار لفظ الجران و
رشح تلك الاستعارة بالالقاء ملاحظة لشبهه بالبعير الذي اخذ مكانه وكذلك استعار لفظ التبوء ونسبته الي
الاوطان تشبيها لمن كان من الناس خايفا متزلزلا ثم استقر له ثم اطمان واستقر في وطنه واستعار
لفظ الاوطان لقلوب المومنين ولمن يتبوء اوطانه عن استقراره فيها **وقوله** ولعمري لو كنا ناتي الي قوله
عود رجوع الي مقصوده الاصلي وهو تنبيه اصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الان و
تخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامة الدين وكني بالعود للدين عن قوته وعظمه كناية بالمستعار
وكذلك باخضرار العود للايمان عن نضارته في النفوس والاخط في الاولى تشبيه الاسلام بالبيت ذي العود
وفي الثانية تشبيه الايمان بالشجرة ذات الاغصان **وقوله** وايم الله لتحتلبنها دما استعار لفظ الحلب
الدم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يريد عوض الدين للجهاد ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم في
افعالهم بالناقة التي اصيب ضرعها بافة من تفريط صاحبها فيها والضمير المؤنث منهم يرجع في المعنى
الى افعالهم وكذلك الضمير في قوله ولتتبعنها ندما فان ثمرة التفريط الندامة ودما وندما منصوبان على التمييز
وقد اتفق في هذا الفصل نوعان من السجع فالمتمم والام سجع متوازي وجرانه واوطانه مطرف وكذلك
عمود وعود ودما وندما وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام لاصحابه** اما انه سيظهر عليكم
بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه
سيامركم بسبي والبراءة مني فاما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تتبرؤوا مني
فاني ولدت على الفطرة وسبقت الي الايمان والهجرة **اقول** رحب البلعوم واسع الحلق وبطن

مندحق اي بارز وفي هذا الفصل اخبار بما سيكون لاصحابه من الابتلاء بسبه والخطاب لاهل الكوفة **فقوله** اما
يحتمل ان يكون المشددة والتقدير اما انه بعد الله كذا ويحتمل ان تكون مخففة وهي ما النافية دخلت عليها همزة الا
ستفهام والتقدير اما تعلمون انه سيظهر واختلف في مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين المراد معاويه
لانه كان بطينا كثير الاكل روي انه كان ياكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت
وتعبت وكان ذلك فاة اصابته بدعاء الرسول صلى الله عليه روي انه بعث اليه مرة فوجده ياكل فبعث اليه ثانية
فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه ولبعضهم في وصف آخر وصاحب لي بطنه كالهاوية كان
في امعايه معاويه وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل المغيرة بن شعبة
وظهوره عليهم بعد استعلائه وتامره عليهم واكله ما يجد مع طلبه ما لا يجد كناية عن كثرة اكله وجعل
ذلك علامة له **وقوله** فاقتلوه اي لما هو عليه من الفساد في الارض ولن تقتلوه حكم لدني اطلع عليه **وقوله**
الا وانه سيامركم بسبي الي اخره اشارة الي ما شاورهم به في حقه من السب والبراءة وتوصيتهم بما هو الاصلح
لهم والفرق عليهم بين سبه والبراءة منه بان رخص في سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص في التبري منه
ووجه الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من صفات القول اللساني وهو امر يمكن ايقاعه من دون اعتقاده
مع احتمال التعذيب ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المامورين ونجاتهم بامتثال الامر به فاما التبري فليس
مسبه قوليه فقط بل يعود الي المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه هيهنا فانه امر باطن
يمكنهم الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر به ضرورة وكانه لحظ فيهما قوله تعالى
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الاية **وقوله** في السب
فانه لي زكاة ولكم نجاة اشارة الي اسباب ترخيصه في سبه اما نجاتهم بسببه فظاهر واما كونه زكاة
له فلوجهين احدهما ما روي في الحديث ان ذكر المومن بسوء زكاة له ووسمه بالبس فيه زيادة في جاهه وشرفه
الثاني ان الطباع تحرص على ما يمنع منه وتلح فيه فالناس لما منعوا من ذكر فضايله والموالاة له والزموا سبه
وبغضه ازدادوا محبة بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك انه عليه السلام سبه بنو امية الف شهر على المنابر
فما زاده ذلك على ذلك الا علوا ولا ازداد الناس في محبته الا غلوا والمنقول ان الذي امر بقطع سبه عمر
بن عبد العزيز ووضع مكان سبه من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية ولذلك قال
كثير بن عبد الرحمن يمدحه وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تقبل اساة مجرم
وفيه يقول الرضي الموسوي يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك
انت نزهتنا عن الشتم والسب ولو كنت مجزيا لجزيتك غير اني اقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك
وقوله فاني ولدت على الفطرة الي اخره تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه واراد بالفطرة فطرة الله
التي فطر الناس عليها وهي بعثهم الي عالم الاجساد ماخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل
في سلوك صراطه المستقيم واراد بسبقه الي الاسلام والهجرة سبقه الي طاعته الله ورسوله صلى الله عليه فيما جاء
من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيما في كل ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشي من الملكات الرديئة

ملة وقته اما زمان صغره فلخبر المشهور كل مولود يولد على الفطرة واما بعد ذلك فلان الرسول صلى الله عليه كان هو المتولي لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاق من اول وقته الى ان توفي صلى الله عليه كما اشرنا اليه قبل وكما سنذكره من بعد كيفيته كان قبوله واستعداده لانوار الله اتم فطرت عليه نفسه وجبلت عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك احد من الصحابة وظاهر انه كان بهذه الصفة من خلفاء الله واوليائه كان التبرؤ منه تبرؤا من الله ورسوله فوجب الامتناع عنه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر ابعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذن وما انا من المهتدين فاوبوا شر مآب وارجعوا على اثر الاعقاب اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضي رضي الله عنه وقوله عليه السلام ولا بقي منكم آبر يروى بالراء من قولهم رجل آبر للذي يأبر النخل اي يصلحه ويروى آثر وهو الذي يأثر الحديث اي يحكيه ويرويه وهو اصح الوجوه عندي كانه قال لا بقي منكم مخبر ويروى بالزاي معجمة وهو الواثب والهالك ايضا يقال له آبز **اقول** المروي في السبب انه لما كتب عهد التراضي بالحكمين بين علي ومعوية اعتزلت الخوارج وتنادوا من كل ناحية لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك ان الله قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كنا زللنا واخطأنا حين رضينا بالتحكيم وقد بان لنا زللنا وخطأنا فرجعنا الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب اليه كما تبنا وقال بعضهم اشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك فاجابهم عليه السلام بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي بالحصباء وهي صغار الحصى والاثرة بالتحريك الاستبداد فدعا عليهم اولا بريح تحصبهم ثم بالفناء غضبا من مقالتهم ثم اخذ في تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر في صورة سؤال عقبه بتنبيههم على خطائهم في حقه ببيان غلطه على نفسه لو اجابهم الى ما سألوا فان شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق وعدم اهتداء سبيل الله ثم اردف ذلك بلونين احدهما اخذهم بالغضب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على اعقابهم اي من حيث خرجوا من الحق وفارقوه الثاني اخبارهم بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية عمن يقتلهم بعده كالمهلب بن ابي صفرة وغيره وهذا الاخبار لغرض استنفارهم اليه وجذب لهم بوعيد غيره والاثرة التي يتخذها الظالمون فيهم سنة اشارة الى ما يستأثر به الملوك والعمال عليهم من الفيء والغنائم واهانتهم لهم وقد كانت دعوته عليه السلام استجيبت فيهم فانهم لم يزالوا بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم الله تعالى واحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج وبالله التوفيق

وقال عليه السلام لما عزم على قتال الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما **اقول** خلاصة هذا الخبر انه عليه السلام لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم قد عبروا النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم فقال له آلله انت رأيتهم قد عبروا فقال له نعم فقال عليه السلام

والله ما عبروه ولن يعبروه وان مصارعهم دون النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الاثلاث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى قال ثم جاءه جماعة من اصحابه واحدا بعد آخر كلهم يخبر بما اخبره الاول فركب عليه السلام وسار حتى انتهى الى النهر فوجد القوم باسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروي ان شابا من اصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم من امرهم وسار الى النهر لئن صدق حكمه والا لاكونن قريبا انه فان كانوا عبروا النهر لاحملن سنان رمحي في عين ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه واخبره بما روى في نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال عليه السلام ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره فاما حكمه بانهم لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل من اصحابه عشرة فروي انه قال لابي ايوب الانصاري وكان على ميمنته لما بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم وجدوا المفلت منهم تسعة والمقتول من اصحابه ثمانية وهذا من كراماته عليه السلام

وقال عليه السلام لما قتل الخوارج فقيل له يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين **اقول** نجم طلع والاصلاب المختلفين وكلا رد لمقالة من يحكم بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال وقرارات النساء الى انه لا بد من خروج قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الآن موجودون في الاصلاب والارحام بما لحق منهم من نطفة الى الارحام وكنى بالقرارات عنها ومنهم نطفة بعد في الاصلاب ثم الحق احكاما آخر تقريرا لبقائهم منها انه سيقوم منهم رؤساء ذوو اتباع وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة ورشح بالقطع الاستعارة لقولهم وقطع لكونهما حقيقتين في الشاة وجعل لتراذلهم غاية هي كون اواخرهم لصوصا سلابين اي قطاعا للطريق واما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك ان الفئة الذين سلموا يوم النهر تفرقوا في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد الى تل موزن وقد كان منهم جماعة لم يظفر بهم عليه السلام فظهرت بدعتهم في اطراف البلاد بعده وكانوا نحوا من عشرين فرقة وكبار هاماتهم احداها الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكانت اكبر الفرق خرجوا من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج عشرة عطية بن الاسود الحنفي وعبد الله بن ماحوز واخواه عثمن والزبير وعمرو بن عمير العنبري وقطري بن فجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي وصالح العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في نيف وثلاثين الف فارس منهم فانفذ اليهم المهلب ابن ابي صفرة ولم يزل في حربهم هو واولاده تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب وبايعوا بعده قطريا وسموه امير المؤمنين الثانية النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه اميران يقال لاحدهما عطية وللآخر ابو فديك ففارقاه بشبهة ثم قتله ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن عبد الملك بن مروان الثالثة البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم

ابن خابد وكان بالحجاز وقتل عثمان بن حيان الذي بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه وذلك في زمن الوليد باشارة منه الرابعة العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس مشهور الخامسة الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض خرج في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله فقتله السادسة الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر وتحت هذه الفرقة ايضا فرق كثيرة ولكل منها رئيس مشهور وتفصيل مذاهبهم وفرقهم واحوالهم ومن قتلهم مذكور في كتب التاريخ واما كون اخرهم لصوصا سلابين فاشارة الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصبهان والاهواز وسواد العراق ويعيثون فيها وينهبون اموال الخراج ويقتلون من لم يدن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم وتفرق قوتهم بوقائع المهلب وغيرها كما هو مذكور في مظانه **وقال عليه السلام** لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه يعني معوية واصحابه **اقول** نهى عليه السلام عن قتل الخوارج بعده واومى الى علة استحقاق القتل بانها طلب الباطل لانه باطل ليبين انها منفية في حقهم فينتفي لازمها وهو استحقاق القتل واشار الى ان الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ومن لم يكن غرضه الا الحق لم يجز قتله وحسن الكلام يظهر في تقدير مقدمة هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم لاستحقوه بسبب طلبهم للباطل من حيث هو باطل لكنهم لا يستحقونه من تلك الجهة لانهم لم يكونوا طالبين للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقون القتل وفرق بين من يطلب الحق لذاته فيظهر عنه في صورة باطل وبين من يطلب الباطل لانه فيظهر في صورة الحق حتى يدركه فان الثاني هو المستحق القتل دون الاول واومى بمن طلب الباطل فادركه الى معوية واعلم ان هذا النص منه عليه السلام بانهم كانوا طالبين الحق وبيانه ان معظم رؤسائهم كانوا على غاية من المحافظة على العبادات حتى نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله في وصفهم فقال حتى ان صلاة احدكم لتحتقر في جنب صلاتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القرآن ودرسه الا انهم بالغوا في التحري وشدة الطلب للحق حتى عبروا عن فضيلة العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا في الفسق ومرقوا من الدين فان قلت كيف نهى عن قتلهم بعده مع انه قتلهم قلت الجواب من وجهين احدهما انه عليه السلام انما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل واحد منهم نفسه ويشتغل بها ولا يسعى في الارض فسادا وهو انما قتلهم حيث افسدوا في زمانه وقتلوا جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن امرأته وكانت حاملا ودعوا الناس الى بدعتهم ومع ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤكم به ولم يشرع في قتالهم حتى بدؤوا بقتل جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يكون انما قاتلهم لانه امام عادل رأى الحق في ذلك وانما نهى عن قتالهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له حكم الله في ان يقتل ويتولى امر الجهاد ولا يعرف مواضعها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما خوّف من الغيلة وانّ عليّ من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت عني واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم **اقول** قد كان عليه السلام خوّف من غيلة ابن ملجم لعنه الله مرارا وروي ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما يقلدك السيف وليس باوان حرب فقال اردت ان انحر به جزور القرية فاتى الاشعث عليا فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال عليه السلام ما قتلني بعد

وروي ان عليا كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف عليه السلام الى بيته اتي به ملببا فاشرف عليهم وقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا منه فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه فان على انها جنة الفضل والغيلة القتل على غفلة والجنة ما يستتر به من سلاح وطاش السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ اسباب حياته في المدة المكتوبة له في القضاء الالهي وكنى الاستعارة ووجه الاستعارة ان مع بقاء اسباب الحياة محفوظة لا تؤثر في الانسان سهام المنية ابدا كما ان لابس الجنة محفوظ بها من اذى السهام ونحوها ووصفها بالحصينة ترشيحا للاستعارة وكنى بها ايضا عن قوة تلك الحفظة وكنى بيومه عن وقت ضرورة موته وبانفراج الجنة عنه عدم بعض اسباب الحياة المستلزم لعدم الحياة ولحوق سهام الامراض ونحوها ترشيح للاستعارة ايضا ونسب اليها اسلامها له ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظه ثم يسلمه للقتل ونحوه وحينئذ لا يطيش السهم استعارة لانتظام الامراض التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه عن انكابه في حصول الموت عنه ولفظ الكلم للاثر الحاصل عن تلك الاسباب ووجه الشبه في الاولى كونهما سببين للهلاك وفي الثانية ما سبق ذلك ما انه من الالم ورشح الاولى بذكر الطيش والثانية بذكر البرء ومن الشعر المنسوب اليه في ذلك قوله

من ايّ يوميّ من الموت افرّ ايوم لم يقدر ام يوم قدر فيوم لم يقدر فلا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر

ومرجع ذلك ملاحظة قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**

الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وما اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى نقص **اقول** بينا اصلها بين بمعنى الوسط فاشبعت الفتحة فحدثت الالف وقد يزاد ما فيقال بينما والمعنى واحد وتحقيق الظرفية ان الظل دائر بين السبوغ والتقلص والزيادة والنقصان وقلوص الظل نقصه ومضمون هذا الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه على وجوب لزوم اداب الله فيها واشار الى امور ثلاثة كاسباب لذلك الاول كونه لا يسلم منها الا فيها وتحقيقه وبيانه لاولاد الدنيا والاخرة وقد علمت ان اسباب السلامة هي الزهد في الدنيا وسائر اجزاء الرياضة وهي منها لا يمكن في الاخرة بل كلها اعمال متعلقة بالبدن فاذن لا يتحقق ما يلزم منها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا الثاني كونها لا ينجى بشيء كان لها وهو ايماء الى ذم الرياء في الاقوال والافعال وتحذير من كل عمل او قول قصد به الدنيا فان شيئا من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الآخرة بل ربما كان سبب الهلاك فيها لما في الاشتغال بمهمات الدنيا من تنسي الاخرة الثالث كونها قد ابتلي الناس بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل ان يكون مصدرا استعمل في موضع الحال ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقد سلف عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة واعلم انه ليس المراد ان الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد وما يكون منهم الا بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما كان وما يكون قبل كونه كما قال وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير بل الكشف عن حقيقة الابتلاء انه لما كان الانسان انما يكون انسانا بما خلق فيه من

القوى الشهوية والغضبية وما يتبعهما وكان لهذه القوى ميول طبيعية الى حاضر اللذات الدنيوية فهي مشتهيا تها و
ابتهاج لها بها واخط لما بين غيرها وكانت النفوس الانسانية مخالطة لهذه القوى وهي الاتها ولا وجد لها في تقربها
غالب الاحوال الا بها وكانت تلك القوى في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى مشتهياتها الطبيعية بالطبع وكانت تلك
النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الاخرة مشغولة بحاضر ما وجدته من لذات الدنيا عن تصور ما وراءها
ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما ينافي ذلك ويتوقف على رفض حاضر الدنيا ومنازعة هذه القوى في مشتهياتها وجذبها عن
التوجه بكليتها اليها المانعة النفس في التفاتها عن ذلك الى امور لا يتصور في الدنيا الا بالا ومتاب الخيالية
كما هو وظيفة الانبياء عليهم السلم مع الخلق كانت ارادته تعالى لذلك الالتفات مع ما يعرض فيه من منازعة
الهوى فان اطاع هلكوا وان عصوه نجوا صورة امتحان فاشبه ذلك ما يعتمده احدنا عند عبده اذا اراد اختبار ميله
ومحبته له فوهب له جميع ما يشتهيه ثم كلفه مع ذلك تكاليف شاقة لا يمكن من فعلها الا بالتفاته عن مشتهياته
وسخيمته عليه فلا جرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من الله في الوجود وكذلك ظهر معنى كونها فتنة فان الفتنة
الامتحان والاختبار وان قررناها حالا ودنى لمعنى الضلال وتعود الى صدها النفوس الى حاضر لذاتها عن سنن
الحق السابع كونهم ما اخذوه من حلالها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وهو تنبيه على وجوب فضل الاخرة
بما يوخذ من الدنيا ويتصرف فيه وتسفيرا له لجعل الماخوذ منها لحجود التمتع بها بذكر وصفين احدهما
وجوب مفارقة الماخوذ منها والاخراج منه والثاني الحساب عليه في الاخرة واعلم ان الحساب على
راى المليين ظاهر قالوا ان الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله كلام عن كلام كما انه تعالى
وهو سريع الحساب واما الحكما فقالوا ان الحساب معنى ونقيضه تقديم مقدمات الاولى كثرة الافعال و
تكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس والاستقراء التام يكشف عن ذلك ومن كانت مواظبته
على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ تلك الملكة الصادرة عن ذلك الفعل في نفسه اقوى الثانية انه لما كان تكرر الفعل
يوجب حصول الملكة وجب ان يكون لكل عمل يفعله الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون لكل
جزء من اجزاء العمل الواحد اثر في حصولها بوجه ما وضربوا لذلك مثلا فقالوا لو فرضنا سفينة عظيمة
بحيث لو القي فيها مائة الف من فانها تغوص في الماء قدر شبر واحد فلو لم يلق فيها الا حبة واحدة من الحنطة
فذلك القدر من الحجم الخفيف فيها يوجب غوصها في الماء مقدارا ما من الثقل وان بلغ في القلة الى حيث لا
يدركه الحس اذا عرفت ذلك فنقول ما من فعل من الخير والشر قليل ولا كثير الا ويفيد حصول اثر
في النفس اما سعادة او شقاوة وعند هذا ينكشف سر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذلك لما ثبت ان الافعال انما تصدر بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرهما
لا جرم كانت الايدي والارجل شاهدة على الانسان يوم القيامة بلسان حالها على معنى ان تلك الاثار النفسانية
انما حصلت في جواهر النفوس بواسطة الافعال الصادرة عنها فكان صدور تلك الافعال من تلك الجوارح
جاريا مجرى الشهادة على النفس بما انسبته بها اذا عرفت ذلك فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة
يعود الى تعريف الانسان ما له وما عليه من مال ونحوه وكان ما يحصل في النفوس من الملكات الخيرية والشرية

امورا مضبوطة في جوهرها مجتمعا تعليها وانما ينكشف لها كثرة تلك الهيات وبكلها من دواتها وتشوهها
بها في الان الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن اشبه ذلك ما يتبين للانسان عند المحاسبة مما اخفي عليه
ولا فاته عليه لفظ الحساب وذلك اليقين والاطلاع على الشاه اليه بعقولهم عليهم السلم قدموا عليه وليس المقصود
ان ما يقدم عليه في الاخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل اثره في النفوس من خير او شر فالذي نبه و له الجاهلون
منها لحمد النعم بها هو الذي يتمكن عنه صفات السوء في جواهر نفوسهم فيقدمون عليها ويقيمون بها في عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون الثامن كونها عند ذوي العقول كفيء الظل وشبه بهذا الوصف على
سرعة زوالها وانما خصص ذوي العقول بذلك لا يرى احدهما ان المعتبر لزوالها عاقل يجد عقله دون هواه فلذلك
نسب الى العقل الثاني ان حال ذوي العقول مرغوب فيه لمن سمعه ولما كان مقصوده تحذير السامعين من
سرعة زوالها فعلوا فيها ما ينبغي فانسب ذلك الى ذوي العقل ليقتفي السامعون اثرهم ثم اشار الى وجه شبهها
بالظل بقوله بينا تراه الى اخره اي انها تسرع زوالها كما تسرع زواله وهو من التشبيهات السائرة ومثل
قول الشاعر الا انما الدنيا كظل غمامة اظلت يسيرا ثم خفت فولت ومن خطبة له عليه السلام
فاتقوا الله عباد الله وبادروا اجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم
واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا
فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين الجنة او النار الا الموت ان ينزل به وان
غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري
بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به
نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له
والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون
عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة نسال الله سبحانه ان يجعلنا
واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كابة اقول
البادرة المسارعة والسدى المهمل وجدير بكذا اي اولى به وحري حقيق والتسويف قول الانسان سوف افعل
وهو ثانيا عن التمادي في الامر والبطر تجاوز الحد في الفرح والكابة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير من
الدنيا والترغيب في الاخرة وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها فقوله فاتقوا الله
الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال الصالحة وحث عليها بالامر بسابقة الاجال بها وعلى توقع
سرعة الاجل واخطاره بالبال وهو من الجواذب القوية الى الله تعالى ونسب المسابقة الى الاجال بملاحظة تشبيهها
بالمراهن اذ كان لحوقها للمرء حائلا بينهم وبين الاعمال الصالحة الشبيهة بما يستبق عليه من رهن فقوله وابتاعوا
ما يبقى الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد في الدنيا والتخلي عن متاعها الفاني وان تشتري به ما يبقى والثمن بما
يزول ليكون المشتري احب الى النفوس لبقائه وقوله وترحلوا فقد جد بكم امر بالترحل وهو قطع
منازل السفر الى الله تعالى في مراتب السلوك لطريقه ونبه على وجوب الترحل بقوله فقد جد

بلغ

١٧٤

بكثرة اي في السير الى اجالكم بقوة وذلك الجد يعود الى سرعة توارد الاسباب التي تنفد المزاج للفساد وتقربه
الى الآخرة بملاحظة تشبيهها بسابق الابل ونحوها **وقوله** فاستعدوا للموت فقد اظلكم الاستعداد له هو باستكمال
النفوس كمالها الذي ينبغي حتى لايبقى للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيلة الى المحبوب
وهو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرة الملأ الاعلى ونبه بقوله فقد اظلكم على قربه واستلزم ذلك
تشبيهه بالسحاب او الطير فاستعير لفظ الاظلال **وقوله** فكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا تنبيه لهم على الالتفات
الى منادي الله وهو لسان الشريعة والانتباه بندائه من رقدة الطبيعة **وقوله** واعلموا الى قوله سدى تنبيه لهم
على ان الدنيا ليست بدار لهم ليلتفتوا عن الركون اليها ويتوقعوا الاخراج منها ثم امرهم بالاستبدال بها لئلا يذكروا ان هناك
عوضا منها حتى انه يلتفت اليه وهو الدار الآخرة ونبه بقوله فان الله لم يخلقكم عبثا الى آخره على وجوب العمل
لذلك البدل فانهم لم يخلقوا الا لاجله ودارهم فيه **وقوله** وما بين احدكم الى قوله ينزل به تبيين لما خلقوا له و
وعدوا بالوصول اليه وانه لاحايل بينهم وبينه الا الموت قال بعض الشارحين وهذا الكلام مما يصلح متمسكا
للحكماء في تفسيرهم للجنة والنار فانهم لما قالوا ان الجنة تعود الى المعارف الالهية ولوازمها والنار تعود الى جذب الدنيا
والميل الى مشتهياتها وتمكن الهيات الرديئة في جوهر النفس وعشقها بعد المفارقة لما لا يتمكن من العود اليه كمن
نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ به الى موضع ظلماني شديد الظلمة مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى قال
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا الآية وكان لذة ادراك المعارف الباقية وادراك الم النار بالمعنى
المذكور انما يتحقق حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان في عالم الشهادة في ادراكه لما حصل في نفسه ومتمكن
من الهيئات كعضو مفلوج عطي حرارة على المه فاذا زال الخدر احس بالالم وكذلك النفس بعد الموت يدرك ما
لها من لذة او الم كما هو لذوال الشواغل البدنية عنها قلت وهذا الكلام ايضا ظاهر على مذهب
المتكلمين اذ كان في الخبر ان العبد يكشف له عند الموت عما يخصه من جنة او نار ثم يوصل ذلك اليه
قيام القيامة الكبرى **وقوله** وان غاية الى قوله الملوة كنى بالغاية عن الاجل المعلوم للانسان ثم نبه على قصره
وحقارته باعتبارين احدهما كونه تنقصه اللحظة اي النظرة ومفهوم ظاهر فان كل جزء من الزمان قد ضمته قد
مضى من مدة الانسان تنقص لها الثاني كونه تهدمه الساعة كنى بالساعة عن وقت الموت والاشكال
ان الآن الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن غاية اجل الانسان وغاية الشيء ما تنقطع عنده الشيء
وكنى بالهدم عن ذلك الانقطاع والانتهاء كناية بالمستعار وظاهر ان مدة هذا شانها في غاية القصر **وقوله**
وان غايبا الى قوله الاوبة اشار بالغايب الى الانسان اذ كانت الدنيا عالم غربته ومحل سفره ومنزله الحقيقي
الى موطنه ووطنه اليه متوجه واما الليل والنهار جديدان لتعاقبهما فليس احدهما بخالته للآخر و
استعار لفظ الحدو لما يستلزمانه من اعداد الانسان لقرب اجل المقتضي بصوت الحادي الذي يعجل
الابل في سيرها وقربها من المنزل المقصود لها وظاهر ان من كان الليل والنهار حاديين فهو في غاية
سرعة الرجوع الى مبدايه ووطنه الاصلي وقال بعض الشارحين اراد بالغايب الموت وهو وان
كان هو لا الا انه ايضا يتوقع لفظ الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع **وقوله** وان قادما الى قوله العدة

اشار بالقادم بالفوز او الشقوة الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فانه اما الفوز بالسعادة الباقية
او الحصول على الخيبة والشقوة ونبه بذكر القدوم على ان من هذا شانه فالواجب عليه ان يستعد بافضل
عدة ليصل بها الى احبها لديه ويقيها عذابا عن اكرهها عنده **وقوله** فتزودوا الى قوله غدا افضل نوع من
تفضيل افضل العدة وهو الزاد الذي يحرز الانسان به نفسه يوم القيامة من السعي في نار جهنم وعليك حتى
واشار بذلك الزاد الى تقوى الله وخشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف وانه انما يحصل في الدنيا واما
كونه من الدنيا فلان الآثار الحاصلة للنفس من الخلوات والملكات كالخشية والخوف وسائر ما يتزوده و
يستصحب بعد المفارقة امور انما حصلت عن هذا البدن واستفيدت من الدنيا بواسطته والمشابهة التي لاجلها
استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه الزاد الجسماني والتقوى من سلامة المتزود بهما كل في طريقه
فذاك في المنازل المحسوسة من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل المعقولة ومراتب السلوك
الى الله تعالى من عذاب الجوع المعقول **وقوله** فاتقى عبد ربه الى قوله شهوته امر ورد بلفظ
الماضي خاليا عن العطف وهي بلاغة تزيد المعنى في احسن صورة والامر بالتقوى تفسير الامر بالزاد كما قال
تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس امر بالنظر في مصالحها والسعي عليها ان تعمل
ما هو الاولى بها من التمسك بحدود الله والوقوف عندها والامر بتقديم التوبة وغلبة الشهوة هو من جملة
الامر بالنصيحة كالتفسير له وهي من لوازم التقوى اذ دوامها بهما والمراد تقديم التوبة على الموت او بالنسبة الى كل وقت يحضر
وقوله فان اجله الى قوله شقوته حث على امتثال الاوامر السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على
غفلة لما يستلزمه من شدة الحسرة وطول الندم على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب
لغفلته عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل اياه عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية والتسويف التوبة
مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه ما من مولود الا وقد ولد معه قرين من الشيطان
كانت الغفلة اشد والنسيان اكثر واستعار لفظ الخداع لصورة من النفس الامارة بالسوء وهو قولها للانسان
تمتع من شبابك واغتنم لذة العيش ما دمت في مهل وستقبل من عمرك وستلحق للتوبة ونحو ذلك من الا
قاويل فان هذه صورة خداع من الشيطان واما نسبه الى ذنب الى الامل فلان الامل هو عزم النفس على فعل ذنب
المرورات لها في مستقبل الاوقات عن توهم طول مدة الحياة واتساعها لما تفعل فيها من معصية وتوبة وذلك العزم
من اسباب الانخداع للشيطان وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل غاية ذلك الخداع هو ان يهجم على
المخدوع منيته حال ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يوصل فيكون ذلك مستلزما لاعظم حسرة واكبر ندامة
على ان يكون عمره عليه حجة شاهدا بالباب حاله على ما اكتسب فيه من الاثم فضاء زعيا كان وسيلة لسعادته سببا
لشقاوته وانتصب نصب على الحال وحسرة على التمييز للتعجب منه المدعو واللام في لها قيل للاستغاثة كانه قال
يا لحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل لام الجر فيجب دخولها على الضمير المنادي محذوف تقديره يا قوم
ادعوكم لها حسرة فان في موضع النصب بحذف الجار كانه قيل فعلام تقع عليهم الحسرة فقال على كون اعمارهم
عليهم حجة عليهم يوم القيامة **وقوله** نسال الله الى قوله كآبة خاتمة الخطبة وسال الله الخلاص من امور ثلاثة

الاول ان يخلطه مرشده الفرح بنعمة الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزمة للهلاك الابدي الثاني ان ١٤٣
لا يقصر به غاية عن طاعة ربه اي لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة تقال قصرت هذه الغاية بفلان اذا لم يبلغها
الثالث ان لا يحل به يوم الموت ندامة والحزن وذلك سؤال لجميع اسبابهما وسوابغ الهوى في الدنيا والعدول عن
طاعة الله وبالله العصمة **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل
ان يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره
ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف
الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام وكل
ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان
ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون لم
يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ و
لا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول
مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** المثاور المواثب والداخر الذليل وآده الامر اثقله وذرأ خلق والمبرم
المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي ايضا لا يطلع عليها الا المبرزون فيه **الاول**
الذي لم يسبق الى قوله باطنا **اقول** انه لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية امور تلحق الزمان لذاته
ويلحق الزمانيات به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتاخرة عن وجود الجسم المتاخر
عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه لاجرم لم يلحق ذاته المقدسة وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال
شيء من لواحق الزمان فلم يجز اذن ان يقال مثلا انه كان عالما قبل كونه قادرا او سبق عليه او كونه قادرا قبل
كونه مريدا او كونه حيا قبل كونه عالما والا كونه اولا للعالم قبل كونه آخرا له قبلية وسبقا زمانيا بقي ان يقال ان
القبلية والبعدية قد تطلق بمعان أخر كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعلية وقد بينا في الخطبة الاولى
ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات تحدثها العقول عند مقايستها الى مخلوقاته
وشيء من تلك الاعتبارات لا تتصف ايضا بالقبلية والبعدية باحد المعاني المذكورة بالنظر الى ذاته المقدسة
فلا يقال مثلا هو مستحق لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار او بعده والا لكان كمال ذاته قابلا للزيادة والنقصان
بل استحقاقه بالنظر الى ذاته لما يصح ان يعتبر لها استحقاق واحد لجميعها دائما فلا اعتبار يفرض الا وهو يستحق
له ان يعتبر له الاولية والآخرية معا استحقاقا اوليا ذاتيا لا على وجه الترتيب وان تفاوتت الاعتبارات
بالنظر الى اعتبارنا وهذا بخلاف غيره من الامور الزمانية فان الجوهر مثلا يصدق عليه كونه اولا من العرض و لا
يصدق عليه مع ذلك انه آخر له حتى لو فرضنا عدم جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين
معا بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم اذ ذاك لبعض احواله سابقة على بعض واستحقاقه لهما لذاته
بل بحسب اسبابه ولا العرض لما صدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله باعتبار ما وخلاف المختلفين
في ان الصفات قديمة مبني على سوء تصورهم لما نعتهم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا واذا عرفت ذلك

فنقول

فنقول اوليته هو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود وآخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد سبق معنى كونه ظاهرا
وباطنا في الخطبة التي اولها الحمد لله الذي بطن خفيات الامور **الثاني** كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصود هذه
الكلمة انه تعالى لا يوصف بالقلة وان كان واحدا وتقرير ذلك ان الواحد يقال بمعاني والمشهور منها المتعارف بين
الخلق كون الشيء مبدأ الكثرة يكون عادا لها ومكيالا وهو الذي تلحقه القلة والكثرة الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى
هو قليل بالنسبة الى الكثرة التي يصح ان تكون مبدأ لها والمتصور لاكثر اهل العالم صدق هذا الاعتبار على الله بل ربما لا يتصور بعضهم
كونه تعالى واحدا الا بهذا الوجه ولما كان تعالى منزها عن الوصف بالقلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللازمة
عن الطبيعة الامكانية اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتها لغيره في معرض المدح له نفيها عنه واستلزم ذلك
تنزيهه تعالى عن الواحدية بالمعنى المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس اذا بطل كونه واحدا بهذا المعنى
بطل كونه واحدا فانا نثبت صدق الواحد عليه بمعاني أخر في الخطبة الاولى وقد يفهم من هذا الكلام انه لما نفى عنه القلة استلزم
ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة انما يستلزم ثبوت الكثرة عند تقابلهما على محل
من شأنه قبولهما وربما قيل ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال عليه السلام كل مسمى بالوحدة
ولم يقل كل واحد ليشعر بان قول الوحدة على واحديته تعالى وعلى واحدية غيره قول بحسب اشتراك الاسم **الثالث**
وكل عزيز غيره ذليل **اقول** رسم العزيز بانه الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول
اليه وكل واحد من هذه القيود الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى واحد ويستحيل ان يوجد
مثله وليس ذلك الا الله سبحانه والكمال في النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شيء في كل شيء وليس ذلك
على الكمال الا لله تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على معنى الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا لله
تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي كل موجود سواه ففي ذل الحاجة اليه وحقارة العبودية بالنسبة الى كمال عزه فاما
العزيز من الخلق فهو الذي توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بالقياس الى من هو دونه في الاعتبارات المذكورة
فهو اذن وان صدق عليه انه عزيز بتلك الاعتبارات الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه وداخل في تلك الاعتبارات و
كذلك من هو اعلى منه الى ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي لا يلحقه ذل باعتبار ما فلذلك اثبت عليه السلام الذل لكل عزيز سواه
الرابع وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة وتقابلها الضعف ولما كان استناد جميع
الموجودات الى تمام قدرته علمت انه لا اتم من قدرته فكل قوة وصف بها غيره فبالنسبة الى ضعيف يقابلها لمن هو دونه واذا
قيس بالنسبة الى من هو فوقه كان ضعيفا بالنسبة اليه وكذلك من هو فوقه الى ان ينتهي الى تمام قدرة الله فهو القوي الذي
لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره وكذلك قوله وكل مالك غيره مملوك فان معنى المالك يعود الى القادر على الشيء الذي
ينفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره وغيره باذنه ولما ثبت ان كل موجود سواه فهو في تصرف قدرته ومشيته اذ هما
مستند وجوده ثبت انه هو المالك المطلق الذي ليست له مملوكية بالقياس الى شيء آخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان
صدق عليه العرف انه مالك بالقياس الى من هو دونه ثم لا يخفى عليك مما سلف ان قول القوي والمالك عليه وعلى غيره
قول بحسب اشتراك الاسم ايضا **الخامس** وكل عالم غيره متعلم لما ثبت ان علمه تعالى بالاشياء على ما هو من التفصيل
التام ولما لم يكن شيء منه مستفادا من ايدي غيره وكان علم من سواه اما مستفادا بالتعلم من الرسم او الغير من الغيب

الا ان ينتهي الي علمه تعالي الفايض بالخيرات لا جرم كان كل عالم سواه متعلما وان سمي عالما لحصول العلم له وكان هو العالم
المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الي امر آخر **السادس** وكل قادر غيره يقدر ويعجز **السابع** قدرة الله تعالي
تعود الي اعتبار كونه مصدرا للاثار اما قدرة الغير فقد يراد بها قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافاعيل
الاختيارية وبالعجز ما يقابل القدرة بهذا المعني وهو عدمها عما من شانه ان يقدر كما في حق الواحد منا وقد يراد بها [illegible]
الحوادث يتقابلان اذا عرفت ذلك فنقول القادر المطلق علي كل تقدير هو من استند كل مخترع وموجود اختراعا ينفرد
به ويستغني فيه عن معاونة غيره وهذا انما يتحقق في حق الله سبحانه فاما كل منتسب الي القدرة سواه فهو وان كان با
لجملة ذا قدرة الا انها ناقصة لتناولها بعض الممكنات فقط وقصورها عن البعض الاخر وعدم تناولها له اذ كان منشا جميع
المخترعات وان نسب اليها ذلك فلانه فاعل اقرب وواسطة بين الفاعل الاول سبحانه وبين ذلك الاثر لا انه استقلالا
وتفردا به علي ما علم في مظانه وكل قادر سواه فلانه يتحقق العجز وعدم القدرة بالنسبة الي ما لا يمكن تعلق قدرته
به من ساير المخترعات والممكنات وانما يستحق القدرة من جوده تعالي وهو اذن الفاعل المطلق الذي لا يعجز عن شي
عن شي ولا يستعصي علي قدرته شي **الثامن** وكل سامع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كثيرها ويذهب
عنه ما بعد منها **التاسع** حس السمع في الحيوان عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ الي الاذن في عصبة نابتة منه الي الصماخ
مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة آلة هذه القوة والصوت هيئة تحصل في الهواء عن تموجه بحركة شديدة اما من
قرع لجسم من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة واما من قلع شديد به فيلج الهواء
بين الجسمين المنفصلين الصلبين ويحصل عن السببين تموج الهواء علي هيئة مستديرة كما يفعل وقوع الحجر في الماء
فاذا انتهى ذلك التموج الي الهواء الذي في الاذن تحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة فتنفعل العصبة
المفروشة علي الصماخ عن تلك الحركة وتدرك القوة السامعة منها فهذا الادراك يسمي سماعا اذا عرفت ذلك
فاعلم ان ادراك هذه القوة للصوت يكون علي قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت
ضعيفا او بعيدا جدا لم يحصل بسببه تموج للهواء فلم يصل الي الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معني قوله يصم عن
لطيف الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان قلت لم خصص اللطيف بالصمم عنه والبعيد بالذهاب
عليه قلت [illegible] ان يكون لان البعيد في مظنة ان يسمع وانما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل له اليه فاما
اللطيف فلما لم يكن من شانه ان تدركه القوة السامعة اشبه عجزها عن ادراكه الصمم فاستعير لفظه له واما ان كان
الصوت في غاية من القوة والقرب فربما احدث الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفرق اتصال الروح الحامل
لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتادية القوة الي الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان وضعفه ولما كان
الباري تعالي منزها عن الجسمية وتوابعها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات وذهاب
بعيدها والصمم من كثيرها مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك سلم
ذلك في معرض ما يجب تنزيهه سبحانه عنها واذ هو سميع بالمعني المذكور وقد نطق القران باثبات هذه الصفة له
فهو سميع بمعني انه لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوي بل ما هو ادق واخفي ليسمع حمد
الحامدين ودعا الداعين وذلك هو السميع الذي لا يتطرق اليه الحدثان اذ لم يكن بالة واذن **العاشر** وكل بصير

غيره

غيره يعمي عن خفي الالوان ولطيف الاجسام **اقول** خفي الالوان مثلا كاللون في الظلمة واللطيف قد يكون بمعني
عدم اللون كما في الهواء وقد يكون بمعني رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالاثير واللطيف بالمعنيين غير
مدرك للحيوان واطلق لفظ العمي مجازا اذ كان عبارة اما عن عدم البصر مطلقا او عن عدمه عما من شانه ان يبصر
والواحد منا في هذه الاعتبارات بوجود للبصر غير انه لم يكن عدم ادراكها عمي حقيقيا بل لكون العمي من اسباب عدم
الرؤية اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب علي المسبب وهذا الكلام في معرض مدحه تعالي يستلزم تنزيهه بصنعه
عن لواحق العمي ومظنته اذ كان سبحانه منزها عن عوارض العمي والبصر ومتعاليا عن ان يكون ادراكه بحدقة
واجفان وانطباع الصور والالوان وان كان يشاهد ويري حتي لا يعزب عنه ما تحت الثري واذ سمي بصيرا بالمعني
المذكور فهو البصير باعتبار انه مدرك لكمال صفات المبصرات وذلك الاعتبار اوضح واجلي مما يفهم من
ادراك البصر الناظر علي ظواهر المرئيات **الحادي عشر** وكل ظاهر غيره باطن **اقول** ظهور الاشياء هو
انكشافها للحس او للعقل انكشافا ثابتا ويقابله بطونها وهو خفاؤها عن احدهما ولما ثبت انه تعالي منزه
عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس ولما قام البرهان علي انه تعالي بري عن انحاء التراكيب
الخارجية والعقلية وجب تنزه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم من هذا الترتيب انه لا يشارك الاشياء
في معني ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب ان يكون ظهوره عبارة عن انكشاف وجوده لابصار بصاير
عباده في جزئيات اثاره كما قال تعالي سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وان كانت مشاهدة الخلق له علي
مراتب متفاوته ودرجات متصاعدة كما اشار اليه بعض مجردي السالكين ما رايت شيئا الا ورايت
الله بعده فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والحضور قالوا ما رايت شيئا الا ورايت الله فيه فلما ترقوا
قالوا ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله فلما ترقوا قالوا ما رايت شيئا سوي الله والاولي مرتبة الفكر والاستدلال
عليه والثانية مرتبة الحدس والثالثة مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفنا وساحل عزته
واعتبار الوحدة المطلقة محيط [illegible] كل لاحق فاذا عرفت معني ظهوره علمت ان شيا من الممكنات لا
يكون له الظهور المذكور فانه وان كان لبعض الاشيا ظهور في عقل او حس الا انه ليس في كل عقل وفي كل
حس اذ كل مطلع علي شي فالذي خفي عنه اكثر مما اطلع عليه فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس اليه
وهو تعالي الظاهر لكل شي وفي كل شي لكونه مبدا كل شي ومرجع كل شي **الثاني عشر**
وكل باطن غيره فهو ظاهر وقد عرفت معني البطون للممكنات وظهورها وعلمت ايضا مما سبق ان
كونه باطنا تعالي بمعنيين احدهما انه الذي خفي قدس ذاته عن اطلاع العقول عليه والثاني انه الذي بطن
جميع الاشيا خبرة ونفذ فيها علمه ثم علمت ان الظاهر المقابل للمعني الاول فاما المقابل للثاني فهو الذي يطلع
علي ظواهر الاشيا ولم يكن له اطلاع علي بواطنها يقال فلان ظاهري اذا عرفت ذلك فنقول
ان كل باطن غيره سوا كان المراد بالبطون خفا المقصود او نفوذ العلم في البواطن فهو ظاهر بالقياس اليه
تعالي ظهورا بالمعني الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي علي بعض العاقلين لم يخف علي غيره وان
خفي علي الكل فهو ظاهر في علمه تعالي وممكن الظهور في علم غيره فليس اذن بخفي مطلقا وهو تعالي الباطن

١٩١

الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل عالم وان جل قدره فلا احاطة له
الا ببعض الممكنات المعلومات وهو قاصر عن بعضها وتعقلها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس اليه وفي بعض
النسخ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القصص ان كل ممكن ان كان ظاهرا
مكشوفا للعقل او الحس لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل او
الحس لم يوصف مع ذلك بانه ظاهر وهو تعالى الموصوف بانه الباطن الظاهر معا وفي هذه النسخة نظر فانا
انما اثبتنا كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي بعض الممكنات ما هو كذلك كالزمان مثلا فان كل
عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته على جمهور الحكماء واضطربت فيه اقوال العلماء وكذلك
العلم فليس اذن كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر والله اعلم **الثالث عشر** لم يخلق ما
خلقه لتشديد سلطان الى قوله متاخر **اقول** انه تعالى لا يفعل لغرض ومتى كان كذلك كان منزها عن خصو
صيات هذه الاغراض اما الاول فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه
تعالى اما ان يكونا على سواء او ليس والاول باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا من غير مرجح والثاني باطل
لانهما اذا لم يستويا كان حصول الغرض اولى به فحينئذ يكون حصول ذلك الغرض معتبرا في كماله فيكون بدونه
ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال ليس اولوية الغرض بالنسبة الى ذاته بل بالنسبة الى العبد اذ غرضه الا
حسان الى الغير لانا نقول عرض الاحسان الى الغير وعدمه ان كانا بالنسبة اليه على سواء عاد حديث الرجحان
بلا مرجح وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنقصان واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض وكل
ما ذكره عليه السلام في هذا الفصل من تشديد سلطان وتقويته او تخوف عاقبة زمان او استعانة على ند وشريك ومكابرة
اعراض علمت صدق قوله انه لم يخلق شيئا من خلقه لشيء من هذه الامور وهذا تنزيه من نفي الغرض المطلق
واما تنزيهه تعالى عن خصوصيات هذه الاغراض فلان تشديد السلطان انما يحتاج اليه ذو النقصان
في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في كل شيء عن كل شيء صدق ان ذلك ليس بغرض له مما خلق واما
التخوف من عواقب الزمان فلان التفرد والامتناع ولواحقهما من الخوف والرجا ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات
القابلة للنقصان والكمال وما هو في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شيء لم يتصور
ان يكون احد هذه الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون
من الغير وذلك من لوازم الضعف والعجز والخوف واذ لا عجز فلا استعانة فلا ند ولا شريك ولا ضد وكذلك
نقول لا ند ولا شريك ولا ضد فلا استعانة والغرض تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوقين وخواص
المحدثين **قوله** لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون اي بل خلائق خلقهم بمحض جوده وهو فيضان
الخير عنه على كل قابل بقدر ما يقبله من غير بخل ولا منع وتعويق وبذلك الاعتبار كان كل شيء مربوبا له وخاضعا
كل شيء وكل عبد ذليل وهو مالكه ومولاه **قوله** ولم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن اشارة الى
سلب كونه فاعلا ولا سبب في تنزيهه تعالى عن الحلول ثلاثة طويلة والمعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود

موجود

الموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم
حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتاخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشي
في الشي لا يتصور الا اذا كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره
فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الكون في المحل والنائي عنه والمباينة له امورا انما
يقال على ما يصح حلوله فيه ويحله وكان هو تعالى منزها عن الحلول وجب ان يمتنع عليه اطلاق هذه الامور
فاذ ليس هو بحال في الاشياء فليس هو بكائن فيها واذ ليس بكائن فيها فليس بنائي عنها ولا بائن لها **قوله**
لم يؤده خلق ما ابتدا ولا تدبير ما ذرا الاعياء انما يقال لذي الاعضاء من الحيوان واذ ليس تعالى
بجسم ولا ذي الة جسمانية لم يلحقه بسبب فعله اعياء وانما قال ما ابتدا ليكون سلب الاعياء عنه ابلغ اذ
المبتدى من الافعال تكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصريفه لجميع الذوات والصفات كما ينبغي تصريفا
تاما كليا وجزئيا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى او لم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
ولم يعي بخلقهن **قوله** ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال وقد
سبق بيانه **قوله** ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر اشارة الى كمال علمه ونفي الشبهة ان تعرض له واعلم
ان الشبهة انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة غير الضرورية وذلك انك علمت ان الوهم لا يصدق حكمه
الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استفصال وجه الحق فيها
يكون معارضا بالاحكام الوهمية فاذا كان المطلوب غامضا فربما كان في الاحكام الوهمية ما يشبه بعض اسباب
المطلوب فتتصور النفس بصورته والعقل مبدا فينتج ابا باطلا في صورة المطلوب وليس به ولما كان الباري
تعالى منزها عن القوى البدنية وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض لقضائه ولا قدره شبهة تدخل عليه فيه شك الا
بما في عواقبها وقد عرفت معنى القضا والقدر فيما سبق **قوله** بل قضاء متقن وعلم محكم اي بري من
فساد الشبهة والغلط **قوله** وامر مبرم اشارة الى قدره الذي هو تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل
المحكم لا يكون الا محكما **قوله** المامول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** جمع بين الوصفين هو
كمال ذاته وعموم فيضه وانه لا غرض له وانما الجود المطلق والحكمة لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول النقمة
به قد يستعد بالاستغفار والتشكر لافاضة الغفران ورفع النقمة فيصير ما عليه مع ذلك كثير من نعمه
لديه كان تعالى مظنة للامل والفزع اليه في رفع ما اتى وابقا ما بقي حتى انه تعالى هو المفيض لصورة الامل واليه
الاشارة بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكذلك حال افاضة نعمته لما كان العبد
قد يستعد بالغفلة والاعراض عن شكرها كان تعالى في تلك الحال اهلا ان يرهب على تبدل نعمته ويسلبها
وكان هو المامول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به عليه وهو الذي لا مفر منه الا اليه ومن عداه فمجهول
النعمة غير محتاج اليه رجشه وقيام نعمته معاذ المحول رحمته ولا مامول وانما هو في كل الحالين سواه وبالله
العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كان يقوله لاصحابه في بعض ايام صفين معاشر
المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام واكملوا

اللأمة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبا وصلوا
السيوف بالخطى واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاودوا الكر واستحيوا
من الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا
وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم
للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم
ولن يتركم اعمالكم اقول المشهور ان هذا الكلام قاله عليه السلام لاصحابه في اليوم الذي كان مساءه ليلة
الهرير وروي انه قاله في اول ايام اللقاء بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلاثين استشعرت الشي اتخذته
شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب والجلباب الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقاصي الاضراس
ونبا السيف اذا دفع في الضريبة ولم يعمل واللأمة بالهمزة الساكنة الدرع وبالمدودة مع تضعيف الميم جميع آلات
الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح الزاي ضيق العين وصغرها وكذلك تضييقها والنظر بموخرها عند
الغضب والطعن الشزر بسكون الزاي الضرب على غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبا جمع ظبة
وهي طرف السيف والمنافحة المضاربة بالسيوف ... باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب او جمع عقب وهو
العاقبة وسجحا اي سهلا والسواد العدد الكثير والرواق بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه
وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد ولن يتركم اي ينقصكم واعلم
ان هذه الاوامر مشتملة على كيفية تعليم الحرب والمقاتلة وهي كيفية تستلزم الاستعداد لها افاضة الصبر
لمحاله فاولها الامر باستشعار خشية الله فانها تلزم الشعار للجسد وهو استعارة كما سبق وفايدة هذا
الامر الصبر على الحرب وامتثال جميع الاوامر الباقية اذ خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره ولذلك قدمه
الثاني الامر باتخاذ السكينة جلبابا تنزيلا للثبات الشامل للانسان منزلة الملحفة في شمولها للبدن
والشمول هو وجه الاستعارة وفايدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان الطيش والاضطراب مظنة
من الفشل وطمع العدو الثالث الامر بالعض على النواجذ وفايدته ما ذكره وهو ان ينبو السيف
عن الهامة وعلته ان العض على الناجذ يستلزم تصليب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم
ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود الى المصدر الذي دل عليه عضوا لقوله تعالى من
احسن كان خيرا له وقال بعض الشارحين عض الناجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة
وليس المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا لو قطع عن التعليل الا انه غير مراد هنا لانه لا يصح تعليله
بكونه ابنا للسيوف عن الهام الرابع الامر باكمال اللامة واكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل ان يريد
باللامة جميع آلات الحرب وما يحتاج اليه فيه وفايدته شدة التحصن الخامس الامر بقلقلة
السيوف في الاغماد وفايدته سهولة جذبها حال الحاجة اليها فان طول مكثها في الاغماد يوجب صداها وصعوبة
مخرجها حال الحاجة السادس الامر بلحظ الخزر وذلك من هيئات الغضب فان الانسان اذا اشتد
من غضب عليه نظره خزرا وفايدته امور احدها انها الطبع واستشعار الغضب والثاني ان

النظر

النظر الى الشزر بكلية العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو
الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب التفطن والحذر واشتداد الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال
له ومظنة لاشتداد غرته السابع الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا يوسع المجال على
الطاعن ولان اكثر المناوشة للخصم في الحرب تكون عن يمينه وشماله الثامن الضرب باطراف السيوف
وفايدته ان مبادلة العدو والقرب الكلي يشغل عن التمكن من ضربه التاسع الامر بوصل السيوف بالخطى وله فايدتان
احدهما ان السيف ربما يكون قصيرا فلا ينال العدو به فاذا انضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفي
قول الشاعر اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب وقول الآخر
نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها اذا لم تلحق وقيل لبعض العرب عليه السلام ما اقصر سيفك
فقال اطوله بخطوة الثانية ان الزحف في الحرب الى العدو والتقدم اليه بخطوات دخل المكافحة يكسر
ومنه الضعف في عدوه ويلقي في قلبه الرعب ويداخله الرهبة واليه اشار حميد بن ثور الهلالي ووصلنا
الخطا بالسيوف والسيف بالخطا اذا ظن ان المرء ذا السيف قاصر ثم اراد تاكيد تلك الاوامر وقال بعد
الاوامر ... اخرى اكده وذلك بامرين احدهما ان الله تعالى يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم
بعين الله والباء هاهنا للمصاحبة كما في قولك انت مني بمرأى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع ابن عم رسول الله تنبيها
لهم على فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي فيثبتوا
على قتال عدوهم كما يثبتون مع رسول الله العاشر الامر بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز
الى فئة وان يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب اي انه عار في عاقبة
امرهم ومسبة باقية في اعقابهم واولادهم الثاني كونه نارا يوم الحساب اي يوجب استحقاقها ق
لان الفرار من كبائر المعاصي وجعله نارا مجاز اطلاقا لاسم الغاية على ذي الغاية وهو تذكيرهم بوعيده تعالى ومن
يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
الحادي عشر قوله وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل للموت عليهم الذي هو غاية ما يلقونه من الشدايد
في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل من الحياة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقي
اعلاما كقول احدنا للمنفق ماله حين يطيب له نفسا عما ذهب منك فان الصدقة مضاعفة لك عند الله
وتجده خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوبة على التمييز واشار بها الى النفس المدبرة للبدن وبالاولى الى الشخص
القايل بالقتل الثاني عشر الامر بالمشي الى الموت سجحا اي مشيا سهلا لا تكلف فيه ولا تجشم فان المطمئن
سريع الفؤاد وهو امر لهم بالمشي الى غاية ما يخافونه من القتل ليوطنوا انفسهم عليها ولينفروا بسرعة الى الحرب
دون العادة ان يستنفر الجماع قبل ذلك فيبادر الى داعيه لما يتصور فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة
وروي سمحا والمعنى واحد وقوله وعليكم بالسواد الاعظم الى قوله الحق اقول لما تقدم بالاوامر
المذكورة عين مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق المطنب الى مضرب معوية
وكان معوية اذ ذاك في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاقدوا ان

لا ينفرجوا عنه حتى يقتلوا وعيّن لهم وسط الرواق واغراهم به بقوله فان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان معوية وقيل عمرو بن العاص وذلك ان الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معاوية في اصحابه كذلك عنده عليه السلام لاجرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان المطلق ولما كانت محال الفساد هي مظنة ابليس وكان المضروب قد ضرب على غير طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره **وقوله** قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردد معوية وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان تجمعوا نكص وهرب او عن الشيطان على سبيل استعارة الوثبة والنكوص واليد والرجل ويكون تقديم يده للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معوية الحرب والمعصية وتاخير للنكوص الرجل كناية عن تهيئه للفرار اذا التقى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه فلما تراءى الجمعان نكص على عقبيه وقال اني برئ منكم الآية فان قلت ما معنى نكوص الشيطان على من راى من قس بالعقل في الوصية والجواب قلت لما كانت وسوسته تعود الى القاء الى النفس صورة ما يخيل بحسنه لها فتقطه امر آخر كما حكى الله سبحانه عنه تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم الآية فان نكوصه يعود الى اعراض الوهم عند عرض الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك الحكم ورجوعه عنه ومعنى قوله اني برئ منكم اني ارى ما لا ترون وذلك ان الوهم اذن يحكم بالهرب والاندفاع عن الخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه ويكون اذن قوله اني اخاف الله والله شديد العقاب موافقة لحكم العقل فيما كان يخاف من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وقيل ذلك من تمام اغراء اصحابه باهل الشام وتنبيههم على ان ما عندهم في الحرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع والا عراض عنهم الثالث عشر امرهم بقصد عدوهم وكذلك امرهم بتكريره اي اصمدوا لهم صمدا الى غاية ان يتجلى لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود لمعنى الظلام عن الصبح للمشاركة بينهما في الوضوح والجلاء والصبح بحس والحق العقلي ولفظ التجلي ترشيح للاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى ان ينفتح لكم ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وتهيئه اذ الطالب لغيره حقه سريع الانفعال قريب الفرار في المقاومة **وقوله** وانتم الاعلون الآية تسكين لنفوسهم وتثبيت بالمطلوب بالحرب ومنو العلو والقهر كما بشر الله تعالى به الصحابة في قتال المشركين وتثبيت لهم على المضي في طاعته فان حزب الله هم الغالبون وقوله ولن يتركم اعمالكم تذكير لهم بجزاء الله لهم اعمالهم في الآخرة وبعث لهم بذلك على لزوم العمل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه واله قال ما قالت الانصار قالوا قالت منا امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه واله وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة عليهم فقال عليه السلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول صلى الله عليه فقال احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة **اقول** الانباء التي بلغته عليه السلام هي اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة وايقاعهم البيعة لابي بكر رضي الله عنه وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهي صفة كانوا يجتمعون فيها فخطبهم سعد بن عبادة ومدحهم في خطبته واغراهم بطلب الامامة وقال ان لكم سابقة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما آمن من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه ضيما حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والقوة بدينه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامره واذعنت لاسيافكم العرب وانجز الله لنبيكم الوعد وهو توفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر فانتم احق الناس به فاجابوه جميعا ان وفقت واصبت ولن نعدوا ان نوليك هذا الامر وانتهى الخبر الى ابي بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله وانتم انصار الدين ووزراء رسول الله واخواننا في كتاب الله وانتم المؤثرون على انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم وان لا يكونوا انتقاض هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى بيعة ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو عبيدة ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار وثاني اثنين وامرك رسول الله بالصلاة فانت احق بهذا الامر فقالت الانصار نحن انصار الدار والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا وفي بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلاة الا في مساجدنا فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم فقال الحباب بن المنذر نحن والله احق بهذا الامر منه فقد دان لهذا الامر باسيافنا من لم يكن يدين له وان لم تصنعوا الحق لنا كم عن بلادنا انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف هذا فقام بشير بن سعد الخزرجي وكان يحسد سعد بن عبادة ان يصل اليه هذا الامر وكان سيدا في الخزرج وقال انما نريد بجهادنا واسلامنا الا وجه ربنا لا عرضا من الدنيا وان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره فاتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر وقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقالا لا نتولى هذا الامر عليك وانت احق به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه بشير بن سعد وبايعته الاوس كلها وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي ممتنعا من البيعة حتى مات بحوران في طريق الشام ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذي رواه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه في حقهم فهو صحيح اخرجه مسلم والبخاري في مسنديهما عن انس قال مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال لهم ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج صلى الله عليه معصبا على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو في صورة شرطية متصلة يستثنى فيها نقيض تاليها وتقرير ها لو كانت الامامة حقا لهم لما كانت الوصية بهم لكنها بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة ونحوها انما تكون الى الموصى في حق المرؤس من غيره

عكس واما بطلان التالي فللخبر المذكور واما قوله احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة واشاره بالثمرة اما الى نفسه واهل ١٦٨
بيته فانهم ثمر الغصن المورق المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش باعتبار استعار لفظ الثمرة لنفسه
وقد عرفت كيفيه فرعيتهم عن رسول الله وكونه ثمرة له واضاعتهم لها اهمالهم له من هذا الامر ويحتمل ان يريد بالثمرة التي
اضاعوها هي سنة الله الموجبة في اعتقاده استحقاقه هذا الامر وظاهر كونها ثمرة الرسول صلى الله عليه واله واهمالهم
لها تركهم العمل بها في حقه ومثله كلام في قوة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار وتقديره انهم كانوا
اولى من الانصار لكونهم شجرة رسول الله فنحن اولى لكوننا ثمرته وللثمرة اختصاص بالشجرة من وجهين احدهما القرب
ومزيته ظاهرة والثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وعنهما فان كانت الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار
الثمرة واللام يلتفت الى الثمرة فبالاولى لا التفات الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد امرين اما بقاء الانصار
على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه عليه السلام احق بهذا الامر وهو المطلوب والله اعلم بالصواب

ومن كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل وقد اردت تولية
مصر هاشم بن عتبة ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم الفرصة بلا ذم لمحمد بن ابي بكر فلقد كان الي
حبيبا وكان لي ربيبا **اقول** كان عليه السلام ولى محمد بن ابي بكر مصر فلما اضطرب الامر عليه بعد صفين
وقوي امر معوية طمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص بايعه على ان يكون معه في قتال علي ويكون مصر له طعمة فبعثه
اليها بعد صفين في ستة الاف فارس وقد كان بها جماعة عظيمة ممن تطلب بدم عثمان فكانوا [illegible]
قبل ما نصا فوالى عمرو وكان معوية كتب الى وجوه اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالتر
هيب وكتب محمد بن ابي بكر الى علي بالقصة يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعوا
اهل مصر الى قتال عمرو فانتدب معه اربعة الاف رجل فوجه منهم الفين مع كنانة بن بشر لاستقبال
عمرو وبقي هو في الفين فابلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسنا وقتل من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل
حتى قتل هو ومن معه فلما قتل تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو يطلب محمدا فهرب منه مختفيا فالتجى الى
خربة اختبى فيها فدخل عمرو فسطاط وخرج معوية بن خديج الكندي وكان من امراء جيش عمرو في طلب
محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا فقدمه فضرب عنقه ثم اخذ جثته فجعلها في جوف حمار ميت واحرقه
وقد كان علي عليه السلام وجه لنصرته مالك بن كعب الى مصر فخرج الى مصر في الفين وجعل يسير بهم خمس ليال
وورد الخبر الى علي بقتله واخذ مصر فجزع عليه السلام عليه جزعا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحم الله محمدا كان
غلاما حدثا وقد كنت [illegible] العرصة الفضا والنهز النهوض لتناول الشي والفرصة والنهزة وهي ما امكنك من نفسه
وانما اراد تولية هاشم لقوته على هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم هذا ابن عتبة ابن ابي وقاص الذي كسر رباعية
رسول الله صلى الله عليه يوم احد وكلم شفته وكان هاشم من شيعة علي والمخلصين في ولايته وشهد معه حروب
صفين وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها **وقوله** لما خلى لهم العرصة اي عرصة الحروب
كما فر محمد وظن انه يجد بمصاله ولو ثبت لثبت معه الناس وقتل دونها **وقوله** ولا انهزهم الفرصة كني بالفرصة
عن مصر اي ولا امكنهم من تناولها كما مكنوا مع محمد **وقوله** بلا ذم لمحمد اي لست في مدحي لهاشم ذاما لمحمد ثم

علي

على ان له من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان له حبيبا وظاهر انه عليه السلام لا يحب الا مرضيا لله
ورسوله بريا من العيوب الفاضحة وقد كان محمد رضي الله عنه من نساك قريش وعبادها الثاني انه كان ربيبا
له وذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا فلان ام محمد هي اسما بنت عميس وكانت تحت جعفر ابن ابي
طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها ابو بكر
فاولدها محمدا ثم لما مات عنها تزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشأ على ولايته منذ صباه وكان علي يحبه
ويكرمه ويقول محمد ابني من ظهر ابي بكر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهتكت
من آخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة
في جحرها والضبع في وجارها الذليل والله من نصرتموه ومن رمي بكم فقد رمي بافوق ناصل انكم والله
لكثير في الباحات قليل تحت الرايات واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا ارى اصلاحكم
بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل
كابطالكم الحق **اقول** البكار جمع بكر وهو الفتي من الابل والعمدة هي التي شدخ اسنمتها ثقل الحمل
والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت واطل اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين وبالعكس القطعة
من الجيش من المائة الى المائتين وقد سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو بيته وبيت الضبع وجاره
والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل والباحات ساحة الدار والاود الاعوجاج واضرع اذل واتعس اهلك
والجدود الحظوظ وهذا الفصل يشتمل على توبيخ اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذلك وجوه التوبيخ الاول
حاجتهم الى المداراة الكثيرة وليس ذلك من شيم الرجال ذوي العقول بل من شان ذوي البهائم ومن لا عقل له وشبههم في
حاجتهم الى المداراة بشيئين احدهما بالبكار التي قد انكسرها حملها ووجه الشبه بينها وبينهم هو قلة
صبرهم وشدة اشفاقهم وتألمهم من التكليف بالجهاد واستثقالهم كما يشتد حرج البكار العمدة وعجزها
من حملها وذكرها الثاني بالثياب المتداعية وهي التي تتبع لما يتخرق منها ما انخرق في تقبل حالها ووجه
الشبه ما ذكره ومنه قوله كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر اي كما ان الثياب المتداعية كذلك فكلما اصلح اصحابه
كلما اصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه الثاني شهادة حالهم عليهم بالجبن والخوف
وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها وكني باغلاق كل منهم بابه عند تعرض جيوش الشام منهم عن فرارهم
من القتال وكراهيتهم كما عهدهم للحرب وشبههم في ذلك بالخوف والفرار بالضبة والضبع حين تري الصايد او
من تخافه وانما خص الاناث لانها اولى بالمخافة من الذكران الثالث وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم
فنبه بوصف الذل على ذلك بقوله الذليل والله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى
تشتت آرائهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في ذلك بحصر الذل لكل منتصر بهم فيمن نصروه ونبه على قلة الانتفاع بهم بقوله
ومن رمي بكم فقد رمي بافوق ناصل استعار لهم لفظ السهم الذي لا فوق له ولا نصل وكني بذلك عن عدم فائدتهم ونكايتهم في العدو
كما لا فائدة في الرمي بالسهم الموصوف الرابع وصفهم بالكثرة في الباحات والاندية مع قلتهم في الحروب وتحت الالوية

وقد يعود الى الذم بالجبن ايضا والعادية فان قلة الاجتماع في الحروب والتفرق عنه من لوازم الخوف وكان معنا لهذا
الوصف وضده الاجتماع والكرّ في الحرب مع القلة في غيره مدح كما قال ابو الطيب ثقال اذا لاقوا خفاف
اذا دعوا قليل اذا عدّوا كثير اذا شدّوا فالحري ان كان هذا الوصف ذمّا كما قال عويف القوافي
الشم اقل الناس عند لوائهم واكثرهم عند الذبيحة والقدر وقوله وانى لعالم الى قوله اودكم اراد انه لا يصلحهم
الا السيف بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج وروي انه نادى في الكوفة من تخلف عن
المهلب بعد ثلاث فقد احلّ دمه وقتل جماعة فخرج الناس الى المهلب يهرعون وكما يفعل كثير من الملوك
وقوله ولكني لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اي لما لم يكن ليستحل من دماء اصحابه ما يستحل ملوك الدنيا من
رعيتهم اذا ارادوا اثبات ملكهم ولو بفساد دينهم لاجرم لم يرا صلاحهم الا بالقتل اذ كان اصلاحهم بذلك سببا
لفساد نفسه بلزوم الاثم لها ولما كان من الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان الغير فرعا على اصلاح نفسه
او لم يتصور من مثله عليه السلام ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل على وجه من المصلحة فان قلت
الجهاد بين يدي الامام العادل واجب وله ان يحملهم عليه فلم لا يستجيز قتلهم قلت الجواب من
وجهين احدهما انه ليس كل واجب تحت تركه القتل كالحج الثاني لعله عليه السلام لو شرع في عقوبتهم بالقتل
في ترك الجهاد معه يفرقوا عنه الى خصمه او سلموه اليه او اتفقوا على قتله وكل ذلك مفاسد اعظم من تباعدهم عن
دعوته في بعض الاوقات وقوله اضرع الله الخ دعا عليهم بالذل واهلاك الجد ثم نبههم على علة استحقاقهم
لدعائه وهي الجهل ثم ما يلزمه من ظلم القسم اما الجهل فعدم معرفتهم الحق كمعرفتهم الباطل وانا وما يلزمهم من
اقامته واتباعه بمعرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال بها عن اوامر الله ونواهيه ويحتمل ان يشير به
الى ما يعرض لبعضهم من الشبه الباطلة في قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف والتخاذل عن الحرب ويكون
مقابلتهم بجهالتهم الباطل والحق تنبيها على قوة جهلهم المركب وهو اشد الجهل وغايته او يجوز بكونهم على
فتى الجهل والبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو تصديقهم بالباطل واما الظلم فهو ابطالهم الحق وذلك اشارة
الى تقاعدهم عن طاعة الله وتقاعدهم عن سماع منادية واجابته وعدم ابطالهم الباطل اشارة الى عدم انكارهم
للمنكر من انتهائهم وغيرهم وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني
عيني وانا جالس فسنح لي رسول الله صلى الله عليه فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد
فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا لهم مني **اقول** السحرة السحر الاعلى
واما كيفية قتله عليه السلام فمذكورة في كتب التواريخ **وقوله** ملكتني عيني فاستعارة حسنة والتجوز في التركيب اما الاستعارة
فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخوله عليه السلام في غلبة النوم وقهره وسعه لان يتصرف في نفسه كما يمنع المالك عبده
من التصرف في امره واما التجوز ففي العين وفي الاسناد اليها اما الاول فاطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة
اذ انطباق الجفون من عوارضها واما الثاني فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين والواو في قوله وانا جالس
وقوله فسنح لي اي اعرض اراد بالسنح حضور صورة رسول الله صلى الله عليه في لوح خياله كما علمت وشكايته
منهم وجواب الرسول له يستلزم امرين احدهما انه عليه السلام كان في غاية التأذي من تقصيرهم في اجابة ندائه ودعوته

الى

الى الجهاد حتى انتهت الحال الى تبليغه الشاكي عدم رضا الرسول صلى الله عليه عنهم **وقوله** وابدلهم بي شرا
مني استلزم ان فيه شرا كما قدمنا بيانه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام في ذم اهل العراق**
اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمراة الحامل حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها وطال تأيمها وورثها ابعدها
اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني انكم تقولون علي يكذب قاتلكم الله فعلى
من اكذب اعلى الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها و
لم تكونوا من اهلها ويل امه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نبأه بعد حين **اقول** املصت
اسقطت والايم الذي لا بعل لها واللهجة اللسان والقول الفصيح وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين
وفيه مقصودان الاول توبيخهم على ترك القتال بعد ان شارفوا الظفر على اهل الشام وتحاكمهم الى التحكيم و
ابن هو المقصود في تشبيههم بالمراة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة هي وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل تشبيه
في استعدادهم وتعبيتهم للحرب والاتمام يشبه مشارفتهم للظفر والاملاص يشبه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم
الظفر به وذلك رجوع غير طبيعي ولا معتاد للعقلاء كما ان الاملاص امر غير طبيعي للحامل ولا معتاد واتمام موت
القيم بامورها وهو زوجها وطول تأيمها وذلك يشبه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك و
دوام عجزهم وذلتهم بعد رجوعهم لتفرقهم الى خوارج وغيرهم فان موت قيم المراة مستلزم لضعفها ودوام عجزها
وذلتها لكونها قد استحق ميراثها البعيد عنها لعدم ولدها وزوجها وذلك يشبه من جانبهم اخذ عدوهم الذي هو
ابعد الناس عنهم ما اخذ من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب تقصيرهم في مقاومته وبهذه الوجوه من الشبه اشبه
المراة المذكورة ثم توبيخهم من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التضجر من جانبه معهم بانه ما اتاهم ايثارا منه للمقام بينهم
ولكن سوقا قدريا اضطره الى ذلك وصدق اذ لم يكن خروجه من المدينة التي هي دار الهجرة ومقام قبر
رسول الله ومقدمه الى الكوفة الا لقتال اهل البصرة وحاجته بالاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم يكن جيش الحجاز
وافيا بقتالهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام فدامت حاجته الى المقام بينهم وروي ولا جئت اليكم
شوقا بالشين المعجمة والمقصود الثاني توبيخهم على ما بلغه من تكذيبهم له ومقابلته لهم على ذلك برد احكام او
هامهم الفاسدة في حقه وذمهم بجهلهم ومقصود اخبارهم عما يعتقد من الحكمة وهو قوله ولقد بلغني الى اخره فقوله
ولقد بلغني انكم تقولون يكذب صورة دعواهم المنقولة عليه وقد كان جماعة من منافقي اصحابه اذا اخبر عن امور
ستكون او كانت ثم اخبر عنها واسند ذلك الى رسول الله صلى الله عليه يتحادثون فيما بينهم بتكذيبه فيبلغه ذلك
كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين و
نحو ذلك من الامور الغريبة التي يستنكرها طباع العوام ولا يعقل اسرارها الا العالمون بل كانوا يكذبونه بحضرته
كدعواه انه لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل
القرآن بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي
اي شيء نزلت فقال رجل من تحت المنبر يا لله وللدعوى الكاذبة وكذلك قوله سلوني قبل ان تفقدوني
فوالله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها وتطأ في خطامها بالفتنة شبت نارها بالحطب الجزل

مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بنجله او حولها ذلك اذا استدار الفلك وقلتم مات او هلك ١٧٠
باي واد سلك فقال قوم من تحت منبره لله ابوه ما افصحه كاذبا وكانما اشار فليد وافصح الشارح وقابل دعواهم بان
احدهما الدعا عليهم بقتال الله لهم وقد علمت ان قتاله يعود الى مقته وابعادهم عن رحمته الثاني الحجة والتقرير عاه
الذي اخبركم به من هذه الامور اما ان اكون كاذبا على الله ورسوله فلو كذبت فيه فالكذب اما على الله وهو باطل لاني اول
من آمن به واول مؤمن به فلا اكون اول مكذب له او على نبيه وهو باطل لاني اول من صدقه واتبع ملته وقوله كلا
والله لقد صدق دعواهم بعد التحقيق فانه قياس فاذن دعواكم على الكذب فيما اخبركم به باطلة وقوله ولكنها لهجة غبتم
عنها ولم يكونوا من اهلها يريد به بيان منشأ دعواهم الفاسدة للتكذيب وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور المستقبلة
وكونها اطوارا وراء عقولهم الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام سائر الحيوان وليسوا لفهم اسرارها باهل وانما
باللهجة اللائقة الاقوال واسرارها وتغيبهم عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها معرفة امكانها في حق مثله او
الى غيبتهم عنها عند القاء الرسول صلى الله عليه وآله قوانينها الكلية اليه وتعليمه لابوابها وتفصيل ما فصل منها
وانما كانت عقول اولئك واشباههم مقهورة تحت سلطان اوهامهم وكان الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه الاحكام
لا جرم لم ينهض عقولهم لتصديقه عليه السلام فيها ولم يجوز اطلاعه عليها بل ما تعب اوهامها الحكم بتكذيبه وحاله
في ذلك مختصة من حال رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بقي في قومه وقوله ويل امه فالويل في الاصل دعاء بالشر
عنه به واضافته الى الام دعاء عليها ان تصاب باولادها وقيل بها تستعمل الرحمة وقيل تستعمل للتعجب وهو
استعظام الامر وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم البالغة التي لا يريد
بها جزاء ولا ثمنا لا يفقهونها ولا يهتدون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها اذن من
تلك الانفس دعاء يقبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر
فعله وعلى هذا يحتمل ان يكون ويل امه دعاء بالشر على من لم يقتبس الحكمة منه والضمير
ذلك الوقت وان لم يجر له ذكر سابق معذور يعود اليه لكنه موجود في كل شخص منهم فكانه قال ويل امهم ويحتمل ان
تكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم او كثرة كيله الحكم عليهم مع اعراضهم
عنها وقوله ولتعلمن نبأه بعد حين اقتباس لهذه الآية المقتضي عن مقصوده اي ولتعلمن نبأ جهلكم
واعراضكم عما القيه اليكم من الحكم والآداب الصالحة وينكشف لكم ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين
الى مدة الحياة الدنيا وثمرة اعمالهم اذن الندامة والحسرة على ما فرطوا في جنب الله حيث لا ينفع الا الاعمال
الصالحة وذلك حين يزول عنهم غواشي الابدان وتطرح نفوسهم جلابيبها بالموت واما الى مدة حياته اي
ستعلمون عاقبة قولكم هذا بعد مفارقتي لكم والعاقبة اذن ابتلاؤهم من بعده من بني امية وغيرهم بالقتل
والذل والصغار وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** علم فيها الصلاة على النبي
صلى الله عليه وآله اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها و
سعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما
انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل والدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع

قايما

قائما بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على
نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام
واقام موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
بالحق ورسولك الى الخلق اللهم افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم
واعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك منزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي
المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات
واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة وتحف الكرامة **اقول** المدحوات المبسوطات
والمسموكات المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهي الخلقة
والدمغ كسر عظم الدماغ وجيشات جمع جيشة من جاشت القدر ارتفع غليانها واضطلع بالامر قوي على
حمله والقيام به من الضلاعة وهي القوة والاستيفاز الاستعجال والنكول الرجوع والقدم التقدم والوهي الضعف
ووعى الامر فقهه والقبس شعلة النار واورى اذكى واشعل وقد اشتملت هذه الخطبة على ثلاثة فصول
الاول في صفات المدعو وتمجيده وهو الله سبحانه والثاني في صفات المدعو له وهو النبي صلى
الله عليه وآله الثالث في انواع المدعو به وذلك هو الترتيب الطبيعي فبدأ بتمجيد الله تعالى باعتبارات
ثلاث الاول كونه داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع وظاهر كونها مدحوات فان كل طبقة منها
او العنصرية كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع ان شكلها كروي ودونها دحاها قوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها والارض مددناها فانه باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز
من الماء الذي يتصرف عليه الحيوان فانه في الاوهام سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلي محدبا واليه الاشارة
بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والله الذي جعل لكم الارض بساطا الثاني كونه داعم المسموكات اي
حافظ السموات ان تقع على الارض فان قلت قد قال في الخطبة الاولى بلا عمد يدعمها ثم جعلها هنا
مدعومة فما وجه الجمع قلت انه نفى هناك الالة كونها مدعومة بعمد وهذا اثبات لكونها مدعومة
بغير العمد وقد بين هناك ان الدعامة التي يقوم بها السموات وهي قدرته تعالى الثالث كونه جابل القلوب
على فطراتها شقيها وسعيدها اي خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلي
الخير والشر واستحقاق الشقاوة او السعادة بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وقوله وهديناه النجدين اي الهمناه معرفة سلوك طريقي
الخير والشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب وشقيها بدل من القلوب اي
خالق شقي القلوب وسعيدها على فطراتها المكتوبة في اللوح المحفوظ فمن اخذت العناية الالهية بزمام
عقله الى وفق ما كتب له فاعدته لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد ومن لحقته حبائل القضاء
وجذبته الى مهاوي الهلكة فذلك هو الشقي البعيد واليه الاشارة بقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد الاية وقوله
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك بعض مطلوباته من هذا الدعاء وشرائف

٢٠

صلواته باعظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها وتوالي بركاته ما زاد منها **الفصل الثاني**
ذكر للنبي عليه السلم احدا وعشرين وصفا هي جهة استحقاق الرحمة من الله وزيادة البركة المدعو بها الاول
كونه عبدا لله وظاهر كون العبودية جهة لاستحقاق الرحمة الثاني كونه رسولا لله والرسالة نوع خاص
من الاستعباد توجب مزيد الرحمة والشفقة الثالث كونه خاتما لما سبق من انوار الوحي والرسالة
بنوره وما جاء به من الدين الحق وظاهر كون ذلك جهة استعداده لقبول الرحمة ودرجات الكمال الرابع
كونه فاتحا لما انغلق من سبيل الله تعالى وطريق جنته وحضرة قدسه باندراس الشرايع ففتح صلى الله عليه
تلك السبيل بشرعه وكيفية هدايته الخلق فيها الخامس كونه قد اظهر الحق بالحق والحق الاول هو
الدين وما يدعو اليه والثاني فيه اقوال فقيل هو المعجزات اذ بسببها تمكن من اظهار الدين وقيل الحرب و
الخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه اي خاصمه فغلبه وقيل هو البيان اي اظهر الدين بالبيان الواضح و
اقول الاشبه انه اراد انه اظهر بعضه ببعض وكل جزء من الحق حق وذلك ان الدين لم يظهر دفعة
وانما بني الاسلام على خمس ثم كثرت فروعه وبالاصل يظهر الفرع وظاهر كون اظهاره للحق جهة لاستحقاق
الرحمة السادس كونه دافعا لجيشات الاباطيل اي لثوران فتن المشركين واتباعهم لاطفاء انوار الله
او لفتنهم السابقة التي كانت معتادة لهم من الغارات وجذب بعضهم لبعض فان كل ذلك امور باطلة على
غير قانون عدلي من الله وذلك الدفع من جهات قبول الرحمة السابع كونه دامغا لصولات الاضاليل وهو قريب
من السادس واستعار لفظ الدمغ لهلاك الضلال بالكلية ببركة مقدمه صلى الله عليه ووجه الاستعارة
كون الدمغ مهلكا للانسان فاشبهه ما اهلك الباطل وهي هنا افعال الرسول والضلال هنا الانحراف عن طريق
الله اللازم عن الجهل بها واستعار وصف الصولات له ملاحظة لشبه المنحرفين عن سبيل الله الى الفساد
في قوة انخداعهم وشدة فسادهم بالفحل الصائل الثامن كونه حمل الرسالة فقام بها كما كلف به وقوي عليه
وقائما نصب بحالها وكذلك المنصوبات بعده نعني مستوفزا وغير ناكل ولذلك محل الاوامر وواعيا وحافظا
وماضيا وفي قوله كما حمل لطف اي صل عليه صلاة مناسبة مشابهة لتحمله له الرسالة ووفائه بامره لان الفعل
من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزي والاصل كونه جهة استحقاق طلب ما يناسبها من الجزاء التاسع
كونه مجلا في رضاته بامتثال اوامره العاشر كونه غير ناكل فيما يتقدم فيه من طاعة الله الحادي عشر
كونه ماضي العزم في القيام باوامر الله غير واني فيه الثاني عشر كونه واعيا لوحيه حافظا له قوي النفس على
قبوله الثالث عشر كونه حافظا لعهده الماخوذ عليه من تبليغ الرسالة واداء الامانة وقد سبق بيان معنى
العهد في الخطبة الاولى الرابع عشر كونه ماضيا على انفاذ امره في العالم وجذب الخلق الى سلوك سبيل الخامس
ما انتهى اليه من الغاية باجتهاده في ارضاء الله وهو كونه اورى قبس القابس اي اشعل انوار الدين وقدح زناد
الافكار حتى اظهر انوار العلوم منها للمقتبسين واستعار لفظ القبس لنور العلم والحكمة ولفظ الوري كناية
لاظهار الرسول لتلك الانوار في طريق الله وقد سبق وجه الاستعارة السادس عشر كونه اضاء الطريق للخابط
فالطريق هي طريق الجنة والحضرة الالهية واضاءته لها باظهاره تلك الانوار وبيانها بتعليم كيفية سلوكها والا

وارشاده اليها والخابط هو الجاهل الذي قصرت الحكمة الالهية ارشاده حيث كان يخبط في ظلمات الجهل السابع عشر
كونه قد هديت به القلوب الى موضحات الاعلام اي الى الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام هي المطالب الحقة الواضحة
اللازمة عن تلك الادلة بعدما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والآثام اللازمة عما اجترحته من السيئات
وذلك امر ظاهر الثامن عشر كونه امين الله على وحيه ورسالته المامون تاكيد للامانة وقد عرفت معنى الامانة
التاسع عشر كونه خازن علمه المخزون اي علومه اللدنية الغيبية التي لا يتاهل لحملها كل البشر المشار اليها بقوله
تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول العشرون كونه شهيدا يوم الدين لقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي شاهدا يوم القيامة على امته بما علم منهم
من خير وشر فان قلت وما حقيقة هذه الشهادة وما فايدتها مع ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة
قلت اما حقيقتها فيعود الى اطلاعه صلى الله عليه على افعال امته وبيان ذلك انك علمت فيما سلف ان
للنفوس القدسية الاطلاع على الامور الغايبة والانتقاش بها مع كونها في جلابيب من ابدانها فكيف بها اذا فارقت
هذا العالم والجسم المظلم فانها اذن تكون مطلعة على جميع افعال امتها ومشاهدة لها من خير او شر واما فايدتها فقد
علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم منكر للاله على الوجه الذي هو به اله فبالحري ان ينكر
كونه عالما بجزئيات افعال عباده ودقائق خطراتهم او حاجاتهم وظاهر ان ذلك الانكار يستتبع المبالاة
بفعل القبيح والانهماك في الامور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها فاذا ذكر لهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما
يفعلون مع صدق ذلك باحسن تاويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس الامارة بالسوء وقهر الاوهام
الكاذبة ويردع النفس عن متابعة الهوى ثم لابد لكل رسول من امناء على دينه وحفظة لهم شهداء ايضا
على من بعده الى قيام الساعة واذا كان معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما في ذمة المشهود عليه وعلمه
بحقيقته وفايدتها حفظ ما في ذمة المشهود عليه وتخوفه ان يجحده او لم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد
فيفضحه وينتزع منه على اقبح وجه وكان هذا المعنى والفايدة قايمين في شهادة الانبياء عليهم السلام اذ بها
يحفظ اوامر الله وتكاليفه التي هي حقوقه الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها بذكر شهادة
الرسل عليهم السلم بالتقصير فيفتضحوا في محفل القيامة ويستوفي منهم جزاء ما كلفوا به ونقصوا فيه بالعقاب
الاليم لاجل ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه الحادي والعشرون كونه مبعوثه بالحق وهو الدين الثابت
الباقي نفعه وثمرته في الآخرة ثم اعاد ذكر كونه رسولا لله الى خلقه وانما كرره لانه الاصل في باقي الاوصاف
وظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة واضافة الصلوات الالهية على نفسه القدسية
الفصل الثالث في تفصيل المطلوب من هذا الدعاء وهو قوله اللهم افسح الى آخره وطلب امورا
احدها ان يفسح له مفسحا في ظله اي مكانا متسعا في حضرة قدسه وظل جوده ولفظ الظل مستعار
لجوده ووجه المشابهة راحة المستظل بالظل من حر الشمس فاشبهها راحة الملتجي الى جود الله المستظل
به من حرارة جهنم وسعير عذابه واليه الاشارة بقوله تعالى في ظل ممدود الثاني ان يجزيه مضاعفات الخير
من فضله اي يضاعف له الكمالات من بعده وقد علمت ان مراتب نعم الله غير متناهية الثالث ان

يُثني على بناء الباقين بنائه ويحتمل ان يريد بما يأتيه ما يشيده من الدين فيكون اعلاه المطلوب منه واتمام دينه
واظهاره بجمعه على الاديان كلها ويحتمل ان يريد به ما يشيده من الملكات الخيرية واستحقه من مراتب الجنة
وقصورها السابع ان يكرم لديه منزلته ومنه اتانا له المنزل المبارك الموعود وقيل رتبة الزلفى منه ‌لا
تبارك الخامس ان يتم له نوره ومنه اما النور الذي بعث به واتمامه انتشاره في قلوب العالمين واما
النور الذي في جوهر ذاته وتمامه زيادته كماله السادس ان يجزيه عن بعثته بقبول شهادته ومرضي مقالته
ومقبول مفعول اجره وذا منطق نصب على الحال وقبول شهادته كناية عن تمام الرضى عنه اذ من كان مقبول
الشهادة مرضي القول فلا بد ان يكون بريا من جهات الرذايل المحبطة او كناية عن كونه معتقدا لانه وشاهدا له
من اعمال امته وغيرها مما يريد عن كدر الاغاليط وشوايب الاوهام وكذلك رضى اقواله في شفاعته وغيرها
وكونه ذا منطق عدل اي لا يجور فيه عن الحق وخطبته فصل اي مميز للحق فاصلة له من الباطل وكل
هذه الاعتبارات وان اختلفت مفهوماتها ترجع الى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كماله عليه السلم
وقربه من الله تعالى وقوله اللهم اجمع الى اخره سأل الله ان يجمع بينه وبين الرسول في امور احدها
برد العيش والعرب تقول عيش بارد اذا كان لا كلفة فيه من حزونة وخشونة وهو في الاخرة يعود الى ثمرات الجنة
البريئة من كدر الاتعاب الثاني قرار النعمة اي مستقرها وهو الجنة وحضرة رب العالمين الثالث
منى الشهوات وهو ما تتمناه النفس من المشتهيات وتهواه من اللذات بنعيم الابد الرابع رخاء الدعة
ومنتهى الطمأنينة اي اتساع سكون النفس بلذة معارفه للحق والانس بالملإ الاعلى وامنها من عجايب
الدنيا وراحتها من معاناتها الخامس تحف الكرامة وهي ثمرات الجنة وقطوفها الدانية وسائر
ما اعد لهم فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن كلام
له عليه السلام قاله لمروان ابن الحكم بالبصرة قالوا لما اخذ مروان ابن الحكم اسيرا يوم الجمل واستشفع
بالحسن والحسين عليهما السلم الى امير المؤمنين فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا امير
المؤمنين فقال اولم يبايعني بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية لو بايعني
بيده لغدر بسبته اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه
ومن ولده يوما احمر اقول السبة الاست والامرة بالكسر الولاية وكبش القوم رئيسهم ولما امتنع من
بيعة مروان نبه على سبب امتناعه من ذلك وهو انه مظنة الغدر وذلك قوله انها كف يهودية اذ من شأن
اليهود الخبث والمكر والغدر ثم فسر تلك الكناية بقوله لو بايعني بيده لغدر بسبته وذكر السبة
اهانة له لان الغدر من اقبح الرذايل فنسبته الى السبة اولى الى الغدر تسلك سبل ذلك في كلامهم
قال المتوكل يوما لابي العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساءوا ثم قال
يا امير المؤمنين ان الله تعالى رضي فمدح فقال نعم العبد انه اواب وسخط فذم فقال عتل بعد ذلك زنيم
والزنيم ولد الزنا ثم ذكر ما سيكون من امر مروان تلك الامور احدها انه سيصير امير المسلمين ونبه على قصر
مدة امارته بتشبيهها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو القصر وكانت مدة امارته اربعة اشهر وعشرا

ووردت السنة وانما خصه بلعقة الكلب لانه في معرض الذم والسب فاما ما في قوله انه سيظهر عليكم والثاني
انه سيكون ابا للاكبش الاربعة وكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك وولي الخلافة وعبد العزيز وولي مصر
وبشر وولي العراق ومحمد وولي الجزيرة ويحتمل ان يريد بالاربعة اولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام
وكلهم ولي الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم الثالث ما سيصدر منه ومن ذريته من الفساد في الارض و
ما يلقى الناس منهم من القتل والانتهاك لحرمته وكنى عن قتلهم للناس وشدائد ما يلقون منهم بالموت الاحمر ومن
لسان العرب وصف الامر الشديد بالاحمر ولعله لكون الحمرة وصف الدم كنى به عن القتل وورد موتا احمر وهو
كناية عن مدة احزمهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وفساد بني امية ودمارهم للاسلام واهله
مشهور وفي كتب التاريخ مسطور ومن كلام له عليه السلام في بيعة عثمان لقد علمتم اني احق بها
من غيري ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة التماسا لاجر ذلك
فضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه اقول الزخرف الزينة ويقال الذهب
والزبرج النقش والزينة بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم اني احق بها تنبيه الى ما علموا من وجه
استحقاقه للخلافة وهو استجماعه للفضايل الداخلية والخارجية والضمير في بها الخلافة ومنه اما ان
يعود الى ذكرها في فصل تقدم متصلا بهذا الفصل او لشهرتها ولكون الحديث فيها قرينة معينة لها كما قال قبل
لقد تقمصها وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اي لا تركن المنافسة في هذا الامر مهما
سلمت امور المسلمين من الفتنة وفيه اشارة الى ان غرضه عليه السلام من المنافسة في هذا الامر
هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم عن الفتن وقد كان لهم ممن سلف من الخلفاء
قبل استقامة امر وان كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو ولي هو هذا الامر فلذلك اقسم ليسلمن
ذلك الامر ولا ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقت عصا الاسلام و
ذلك ضد مطلوب الشارع وانما يتعين عليه النزاع والقتال عند خوف الفتنة وقيامها فان
قلت السؤال من وجهين الاول ما وجه منافسته في هذا الامر مع انه منصب يتعلق
بامور الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر منه عليه السلام من الزهد فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها
الثاني كيف سلم هاهنا خوف الفتنة ولم يسلم لمعوية وطلحة والزبير مع قيام الفتنة في
عهدهم قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله ليس منصبا دنياويا وان كان متعلقا
باصلاح احوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لانها مضمار الاخرة ومزرعتها والغرض من ذلك اصلاحها
انما هو نظام احوال الخلق في معاشهم ومعادهم فمنافسته عليه السلم في هذا الامر على هذا الوجه من الامور
المندوب اليها اذا اعتقد ان غيره لا يغني غناءه في القيام به فضلا عن ان يتنافس انها لا تجوز في
الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلاثة وبين معوية في اقامته حدود الله والعمل بمقتضى اوامره ونواهيه
ظاهر وقوله ولم يكن فيها جور الا علي خاصة تظلم ممن عدل بها عنه ونسبة لهم الى الجور
دونه من استحقاقها في انظارهم فاوصلوها اليهم من سائر الخلفاء وخاصة نصب على الحال وقوله

التماسا لاجوده اي آخره والتماسا مفعول له والعامل لا تستمن اي القس ثواب الله وفضله بتبليغي وصبري
وكذلك قوله وزهدا مفعول له ونبه ايا اي ان مقصود غيري من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا
وزخرفها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمان
اولم ينه بني امية علمها بي عن قرفي اوما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني
انا حجيج المارقين وخصيم المرتابين على كتاب الله تعرض الامثال وبما في الصدور تجازي العباد **اقول**
قرفني يقرفه اي اتهمني به ونسبه اليّ ووزع كف وحجيجهم محاججهم والخصيم المخاصم وقوله اولم
ينه اوما وزع استفهام عن عدم انتهائهم عن نسبته الى دم عثمان مع علمهم بحاله وقوته في الدين وعصمته
عن دم حرام فضلا عن مثل دم عثمان استفهاما على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبه لهم الى الجهل
لجهلهم بمناسبة حاله وسابقته في الاسلام لبراءته عما قرفوه به وقوله ولما وعظهم به الله ابلغ من لساني
تعديد لنفسه في عدم ردعه لهم عن الغيبة وامثالها اي اذا كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي لا يردعهم
فكلامي بطريق الاولى ومن زواجر كتاب الله كقوله تعالى ان بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الآية وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القرآن كثير وما ادى بلسانه وعظه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
وقوله انا حجيج المارقين اي الخوارج وكل من خرج من دين الله وخصيم المرتابين اي الشاكين في اشتباه
هذا الامر الي وقيل المنافقين الشاكين في صحة الدين وقوله على كتاب الله تعرض الامثال الى
اخره اشارة الى الحجة التي يحج بها ويخاصمهم وتقريرها ان تعلق هذا المنكر به ونسبته اليه باطل اما من
جهة اقواله او افعاله او اعتقاده وارادته والثلاثة باطلة فتعلق هذا المنكر به ونسبته اليه باطلة بيان
الحصر ان هذه المقدمات الثلاث هي جهات صدور المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني
انه ان كان قد حصل في اقواله او افعاله ما يشبه الامر بالقتل او فعله فاوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو
ما روي عنه لما سئل عن قتل عثمان الله قتله وانا معه وكتخلفه في داره يوم قتل عن الخروج فينبغي ان يعرض
ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه تعرض الامثال والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك قتلا فليحكم
والا فلا ولن يدل ابدا فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قول او فعل واما بطلان الثالث فلان علم ما في القلوب
الى الله وهو المجازي بما فيها من خير وشر وليسوا مطلعين على ما هنالك حتى يحكموا بالقتل من جهتها فاذن
حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
رحم الله امرا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب ربه وخاف ذنبه قدم
خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب محذورا ورمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب
مناه وجعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل
وبادر الاجل وتزود من العمل **اقول** الحجزة معقد الازار والمراقبة المحافظة والغراء البيضاء واعلم ان
هذا الفصل يشتمل على استثبات عليه السلام لعبد استجمع ما ذكر من الامور وهي عشرون وصف الاول

ان

ان سمع الحكم فوعيه والحكم الحكمة ودعاه لسامعها وواعيها يستلزم امره بتعلمها وتعليمها وهي اعم من العلمية
والعملية ووعاها اي فهمها فما العقيب اليه الثاني كونه اذا دعي الى رشاد دنا من الداعي اليه واجاب دعاه
والرشاد يعود الى ما يهديه ويرشده في طريق معاشه ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة
الثالث اخذه بحجزة هاد فنجا به اي يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا باستاد مرشد عالم
ليحصل به نجاته واستعار لفظ الحجزة لاثر الاستاد وسنته ووجه المشابهة كون ذهن المقتدي لازما لسنة شيخه
في مسالك طريق الله وطلبا لها لينجو به كما يلزم الناكب لطريق مظلم لم يسلكه قبل بحجزة آخر قد سلك تلك
الطريق وصار دليلا فيها ليهتدي به وينجو من التيه في ظلماتها وبين اهل السلوك خلاف انه هل يضطر المريد الى الشيخ
في سلوكه ام لا واكثرهم يرى وجوبه ويفهم من كلامه عليه السلام وجوب ذلك ويستدل منها دنية المرجحون له اذ كان
اسال العارفين ومنتهى طبقاتهم وظاهر ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الهداية وبدونه اطول واقرب الى
الضلال عنها فلا شك قال عليه السلام فنجي اي ان النجاة معلقة به وقد ذكرنا ما احتج به الفريقان في كتاب
مصباح العارفين الرابع ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احدى ثمرات الايمان وهي رتبة عظيمة من رتب
السالكين قال رسول الله صلى الله عليه اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال تعالى افمن هو
قائم على كل نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام الغزالي رحمه الله وحقيقتها انها
حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة وتثمر اعمالا في الجوارح والقلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله
به واما العلم المثمر لها فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر والسرائر قائم على كل نفس بما كسبت وان سر
القلب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت على القلب ولم يبق فيها
شبهة فلا بد ان يكون تجذبه الى مراعاة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة فمنهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم
والاجلال واستغراق القلب بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه
متسع للالتفات الى الغير اصلا وهي مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى
المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعة كانت كالمستعملة لها فلا تحتاج لغيرها ولا يحتاج الى
تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن نال هذه الرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع اقوالهم
ومثل هذا من يحضر في خدمة ملك عظيم فان بعضهم قد لا يحس بما يجري عليه في حضرة الملك من استغراقه
بهيبته ومن يشغله امر مهم يفكر فيه وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بامراة فدفعها على
وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا الثانية مراقبة الورعين من اصحاب
اليمين وهم قوم غلب بعض اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة
الجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة الى التلفت الى الاقوال والاعمال الا انها مع ممارستها للعمل لا تخلو
عن المراقبة وقد غلب الحياء من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل
ما يفتضح في القيامة اذ يرون الله مشاهدا لاعمالهم في الدنيا كما يرونه في القيامة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج في
الحال الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر يسنح له فان

١٧٨

فان الحق تجلّى مقتضيا وان كان شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربّه ولام نفسه على اتباع هواها
فيه وان شك فيه توقف الى ان يظهر له بنور الله سبحانه من اي جانب هو كما قال علي عليه السلام الهوى شريك
العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة والعمل شيئا من اعماله وخواطره وان قل لسلم من مناقشة الحساب
فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتّه الطين باصبعه [illegible]
ثوب اخيه الخامس ان يخاف دينه واعلم ان الخوف ليس هو من ذنب بل من المعاقب على الذنب لكن
لما كان الذنب سببا موجبا لسخط المعاقب وعقابه نسب الخوف اليه وقد سبق منا بيان حقيقتي الخوف
والرجاء السادس ان يقدم خالصا اي يكون اعماله احواله كلها خالصة لله من قول وعمل وخاطر بريئة
عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في الخطبة الاولى السابع ان يعمل صالحا وصلاح العمل
الاتيان به كما امر به وهو نوع مما تقدمه الثامن ان يكتسب مذخورا وهو امر بالاتيان بما امرت الشريعة
المكتسب به ونبه على وجوب السعي فيه بانه يبقى ذخرا ليوم الفاقة اليه التاسع ان يجتنب محذورا وهو
امر باجتناب ما نهت الشريعة عنه ونبه على وجوب اجتنابه بكونه محذورا يستلزم العقاب في الآخرة
العاشر ان يرمى غرضا اي يجعل اغراض الدنيا من درجة الاعتبار وهو اشارة الى الزهد والتخلي
عن موانع دخول الرحمة الحادي عشر ان يحرز عوضا اي يدخر في جوهر نفسه ملكات الخير ويوجه سرّه الى
مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يفاض عليه من الحسنات ونبّه بتكثيرها فنعم العوض هي من متاع
الدنيا واعراضها الفانية الثاني عشر ان يكابر هواه اي يطوع نفسه الامارة بالسوء للاعمال الدينية في
مراقبتها في كل خاطر يلقيه الى نفسه ويقابلها بكسره وقمعه الثالث عشر ان يكذب مناه اي بما يلقيه
اليه الشيطان من الاماني ويقابله بالتكذيب والقمع له يتجوز عدم نيلها وحسم مادة ذلك بالمراقبة فان
الوساوس الشيطانية يتبع بعضها بعضا ومن اشاراته عليه السلام الى ذلك اياكم والمنى فانها بضائع
النوكى اي الحمقى الرابع عشر ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا تنقاد
الى قبائح اللذات ولما علمت ان الانقياد في سلوكها الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الآخرة علمت ان
مقاومتها وردعها عنها هو سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كون كلٍّ
سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والذب عليها سبب النجاة من العدو الخامس عشر ان يجعل التقوى عدة
وفاته ولما كان التقوى وقد يراد به الزهد وقد يراد به الخوف من الله المستلزم للزهد كما علمت وكانت العدة
هو ما استعد به الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم حادث يلحق الى الانسان من احوال الآخرة
لا جرم كان التقوى عدة للموت اذ كان المتقي مشغول البال بعظمة الله وهيبته عن كل حادث يلحقه
لا يكون للموت عنده كبير وقع ولا عظيم كرب وقد يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة ما يلحقه لا مجازا
وظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله السادس عشر ان يركب الطريقة الغراء وهو ان يسلك
الى الله تعالى طريقه الواضحة المستقيمة وهي شريعته السابع عشر وان يلزم المحجة البيضاء والفرق
بين هذا الامر والذي قبله ان الاول امر بركوب الطريقة الغراء والثاني امر بلزومها وعدم مفارقتها فان

وان

وان كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف وسالكها ابدا محارب للشيطان وهو في معرض ان يستنزله عنها
الثامن عشر ان يغتنم المهل اي ايام مهلته وهي الاجل اي يبادر الى العمل قبل ان يسبقه فينقطع عنه العمل
ان يتزود من العمل وهو الامر بما يتخذ زادا اليه من اتخاذ العمل زادا وقد سبق وجه استعارة الزاد له وقد اتى عليه السلام
في كل امر من هذا الكلام السجع المتوازي وجعل الصدر ثلثه والآخر ثلثه وعطف كل قرينة على مشاركتها
في الجزء الاخير منها وحذف حرف العطف من الباقي ليتميز ما يتشابه منها عن غيره وكل ذلك بلاغة ن
ومن كلام له عليه السلام ان بني امية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وسلم تفويقا والله لئن
بقيت لهم لانفضنهم نفض اللحّام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على القلب قوله ليفوقونني
اي يعطونني المال قليلا قليلا كفواق الناقة وهو الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزّة من
الكرش والكبد يقع في التراب فتنفض **اقول** استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه المشا
بهة هو قلة ما يعطونه مع كونه في دفعات كما يعطى الفصيل ضرع امه لتدر ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها لتدر
وتراث محمد اشارة الى الفيء الحاصل ببركة هجرته وهو التراث اللغوي المكتسب عن الميت بوجه ثم اقسم ان
بقي لبني امية ليبعدنهم التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك وشبه نفضه لهم بنفض
القصّاب القطعة من الكبد او الكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هي الحق والثانية سهو من
الناقلين وقد ورد عنه هذا الكلام بزيادة ونقصان في رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة
من قبل عثمان بعث اليه بصلة فقال والله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث الينا ما افاء الله على رسوله بمثل
قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصّاب الوذام التربة **ومن كلمات
كان يدعو بها عليه السلام** اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني فان عدت فعد لي بالمغفرة
اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي اللهم اغفر لي ما تقربت به اليك ثم خالفه
قلبي اللهم اغفر لي رمزات الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان **اقول** الوأي
الوعد والرمزات جمع رمزة وهي الاشارة بالعين او الحاجب او الشفة والسقط من الشيء رديه والمغفرة الالهية
قد سأل الله سبحانه في جميع هذه الفصول المغفرة ومغفرة الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع في مهاوي الهلكة
في الآخرة او يكشف مقابحه لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه لاسباب السعادة وجذبه بها عن
متابعة الشيطان في المعاصي قبل صدورها او قبل مصيرها ملكات في جوهر نفسه والمطلوب بمغفرة
الامر الاول ما الله اعلم به منه مما هو عند الله معصية وسيئة في حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار
مغفرة الله لما يعاوده ويتكرر منه كذلك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكون الثاني
ما وعد الله من نفسه ان يفعله ثم لم يوف به وما هنا مصدرية ولا شك ان مطالبة النفس بفعل الخير
وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر شيطاني يجب ان يستغفر الله له ويسأل ستره ببعث الدواعي الى فعله
من مقابح الشيطان المجذب له الثالث شوب النفس ما يتقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة ومخالفة
نية القربة الى الله بقصد غيره بها ولا شك ان ذلك شرك خفي جاذب من الترقي في درجات العلى ف

يحتاج الى ان يتداركه الله بالمغفرة والجذب عنه قبل تمكنه من النفس الرابع الاشارة باللحظ وهو الايماء الخارجة
عن حدود الشريعة كما يفعل عند التعجب على تخصيص لعتاب او ليضحك منه او يظلم وكل تلك عن خواطر
شيطانية ينبغي ان يسأل الله تعالى رفع اسبابها وستر النفس عن التدنس بها الخامس سقطات الالفاظ
والذي من القول وهو ما تجاوز حدود الله وخرج بها الانسان عن مستقيم صراطه السادس سهوات
القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد جذب القوة الشهوية للنفس الى مشتهياتها ومن روى بالسين
فسهوات القلب خواطره التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالفت اوامر الله وقد يستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل
خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان كان لا يوجب اثما في النفس ولا يؤاخذ به العبد الا انه ربما يقوى بتوفر اسبابه
وكثرتها فينقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في حق المنهمكين في لذات الدنيا المعرضين لما كان اعدهم
ربما رام التشبه بمن يصلي الفرض فيصلي الصلاة الواجبة مرتين او مرارا ولا يستبعد دركها بها ويجدها
وتعتبر مثل ذلك مجذب العبد عن الاسباب الموجبة له السابع هفوات اللسان اي الزلل الحاصل من قبله
ونادرته ايضا خاطر شيطاني ويغفر بتوفيقه لمقاومته هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عليه السلام عن
المعاصي حملوا طلبه للمغفرة هذه الامور على وجهين احدهما وهو الاحق ان طلبه لغفرانها انما هو على تقدير وقوعها
منه فكانه قال اللهم ان صدر عني شئ من هذه الامور فاغفره لي وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق
كل واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه صدور شئ منها عنه حتى يحتاج الى المغفرة الثاني انهم حملوا ذلك على
تاديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب او على التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر مظنة
التقصير والاساءة وان ما لم يوجب عصمته فالامر منقطع ظاهر وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام

قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا امير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت
عليك ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال له عليه السلام اتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها
صرف عنه السوء وتخوف الساعة التي من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن
واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه وينبغي في قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد
دون الله لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التي نال فيها النفع وامن فيها الضر ثم اقبل عليه السلام على الناس
فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به في بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة المنجم
كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله

اقول حاق به احاط ونزل به كذا اي نعطيه اياه ونجعله اولى به وروي ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس
اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم واعلم ان الذي يلوح من سر نهي الحكمة النبوية عن تعلم
النجوم امران احدهما اشتغال متعلمها بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لاحكامها فيما يرجون ويخافون
عليه فيما يسنده الى الكواكب والاوقات والاشتغال بالفزع اليه والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله تعالى
والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهمهم من الاحوال وقد علمت ان ذلك يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه ليس
الا دوام التفات الخلق الى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم اليه الثاني ان الاحكام النجومية اخبارات

عن

عن امور ستكون وهي تشبه الاطلاع على الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا
يميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار به فكان تعلم تلك الاحكام والحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق وموهنا
لاعتقاداتهم في المعجزات اذ الاخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظمة باريهم ويشككهم في عموم
صدق قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي
ارض تموت فالمنجم اذا حكم لنفسه بانه يصيب كذا في وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب غدا
وباي ارض تموت وذلك عين التكذيب للقرآن وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة و
السحر والعزائم ونحوها واما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل النظر اما
متكلمون او حكماء اما المتكلمون فاما معتزلة او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على
امرين احدهما ان الشريعة كذبته وعندهم ان كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي وان لم يعلم عين ذلك
الوجه والثاني مناقشته في ضبطه لاسباب ما اخبر عنه من كون او فساد واما الاشعرية فهم وان قالوا انه
لا مؤثر الا الله تعالى وزعم بعضهم انهم خلصوا بذلك من اسناد التاثيرات الى الكواكب الا انه لا مانع على مذهبهم ان يجعل
الله اتصال نجم بنجم او حركته علامة على كون كائن او فساده وذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدة فيرجعون ايضا الى
بيان عدم احاطته باسباب كون ما اخبر عن كونه ومناقشته في ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت في اصولهم
ان كل كائن فاسد في هذا العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلي ومادي وصوري وغائي اما السبب الفاعلي
القريب فالحركات السماوية والذي هو اسبق منها فالمحرك لها الى ان ينتهي الى الجود الالهي المعطي لكل قابل
ما يستحقه واما سببه المادي فهو القابل لصورته وينتهي القوابل الى القابل الاول وهو مادة العناصر المشتركة
بينها واما الصوري فصورته التي يقبلها مادته واما الغائي فهي التي لاجلها وجد اما الحركات السماوية فان من
الكائنات ما يحتاج في كونه الى دورة واحدة للفلك ومنها ما يحتاج الى بعض دوره ومنها ما يحتاج الى جملة من
ادوار واتصالات واما القوابل للكائنات فقد تقرر عندهم ايضا ان قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد
معين له وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه وهكذا قبل كل صورة صورة معدة لحصول الصورة
بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات والحركات الفلكية ولكل استعداد معين زمان
معين وحركة معينة واتصال معين يخصه مما لا يفي بدركها القوة البشرية اذا عرفت ذلك فنقول
الاحكام النجومية اما ان تكون جزئية واما كلية اما الجزئية فان يحكم مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله
كذا وكذا وظاهر ان مثل هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما هو من جهة اسبابه اما الفاعلية
فان يعلم ان الدورة المعينة او الاتصال المعين سبب لملك هذا الرجل البلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلي
لذلك الامر والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير ذلك الاتصال او هو مع غيره اقصى ما في الباب
ان يقال انها كانت هذه الدورة وهذا الاتصال سببا لهذا الكائن لانها كانت سببا لمثله في الوقت الفلاني
لكن هذا باطل ايضا لان كونها سببا للكائن السابق لا يجب ان تكون لكونها مطلق دورة واتصال

بل لعله ان يكون لخصوصية كونها تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد وحينئذ لا يمكن الاستدلال
بحصولها على كون هذا الكائن لان الموثرات المختلفة لا يجب تشابه اثارها والثاني ايضا باطل لان العقل
يجزم بانه لا اطلاع له على انه لا مقتضي لذلك الكائن من الاسباب الفاعلة الا الاتصال المعين وكيف وقد
ثبت ان من الكائنات ما يفتقر الى اكثر من اتصال واحد ودورة واحدة او اقل واما الثالث فلانه يعلم ان المادة
قد استعدت لقبول هذا الكائن واستجمعت جميع شرايط قبوله الزمانية والمكانية والسماوية والارضية وظا
هر ان الاحاطة بذلك مما لا يفي به القوة البشرية واما الصورية والغائية فان يعلم ما يقتضيه استعداد مادة
ذلك المعين وقبولها من الصورة وما يستلزمه من التشكل والمقدار وان يعلم ما غاية وجوده وما اعده
العناية له وظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان واما احكامهم الكلية فلان يقال كلما حصلت الدورة
الفلانية كان كذا فالمنجم انما يحكم بذلك عن جزئيات من الدورات تشابهت اثارها فقطعها متكررة ولذلك
يعدلون اذا احتق القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود الى تكرر مشاهدات
يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما كليا كحكمه بان كل نار محرقة فانه لما امكن العقل اثبات
الاحراق بواسطة الحس امكنه الجزم الكلي بذلك واما التشكلات الفلكية والاتصالات الكوكبية المقتضية للكون
ما لكونها فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال
متشابهة الا انه لا يمكن الانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك ان
حساب المنجم مبني على قسمة الزمان بالشهور والايام والساعات والدرج والدقايق واجزائها وتقسيم الحركة بازائها
ورفع بينها نسبة عددية وكل هذه امور غير حقيقية وانما توضع على سبيل التقريب اقصى ما في الباب ان
التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة لكنه يجب ان يظهر في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الاسباب
كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلي الثابت الذي لا يتغير باستمرار اثر ما على وتيرة واحدة
ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود الى مثل الدورة لا يقتضي بحدوث العلم بعود مثل الاثر السابق
لتوقف العلم بذلك على عود امثال الاسباب الباقية للاثر السابق من الاستعداد وساير اسبابه العلوية
والسفلية وعلى ضبطها فان العلم التجربي انما يحصل بعد حصر ما العلم عودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل
للقوة البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة او اعرفت ذلك فنقول قوله ادعم الى قوله
الفراستنبات لما في العادة ان تدعيه الاحكاميون مما ادعاه المنجم المشير بعدم السير في ذلك الوقت
وقوله فمن صدقك بهذا الى قوله الضر الزامات له على ما يعتقده تفرد بها عن قول احكام المنجم
والاعتقاد فيه اولها ان من صدقه فقد كذب القران ووجه التكذيب ما ذكرناه الثاني كون
مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل محبوبه ودفع مكروهه اي يتوجه اليه في ذلك لانه يعتقد بمجرد
ويجعل عليه له ويعرض عن التوجه الى الله كما سبق الثالث انه ينبغي للعامل بامره ان يوليه الحمد
دون ربه ومثل هذا الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول صورته انك تزعم انك تهتدي الى ساعة النفع والضر
وكل من زعم ذلك فقد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من المخيلات وقد استعملها

الخطيب

الخطيب المتنفير عن بعض الامور التي يقصد النهي عنها وقوله ايها الناس الى قوله بر او بحر او تحذير عن تعلمها
لما ذكرناه واستثنى من ذلك تعلمها للاهتداء بها في السفر واعلم ان الذي ذكرناه ليس الا بيان ان الاصول
التي بني عليها الاحكاميون احكامهم وما يخبرون به في المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد
عليها في تلك الاحكام والجزم بها وهذا الا بيان كون تلك القواعد ممهدة بالتقريب كقسمة الزمان وحركة الفلك بالشهر
والشهر واليوم ما اخذوا عنها حسابا يبني عليه مصالح امادينية لمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوها
او دنيوية كاجال المداينات وساير المعاملات ولمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها ما يليق بها من
الحراثة والسفر واسباب المعاش ولذلك معرفة قوانين يعرفه من اوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي ببعضها
على جهتها المسافرون في بر او بحر فان ذلك القدر منها غير مذموم بل لعله من الامور المستحبة لخلو المصالح المذكورة
فيه عن وجوه المفاسد التي يشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك امتن الله تعالى على عباده بخلق الكواكب
بقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب وقوله
فانها الى اخره تعليل التحذير من تعلمها وتنفير عنها بقياس آخر موصول مستنتج منه ان المنجم في النار وحل تقديره
تفصيل فالنتيجة الاولى كون المنجم كالساحر وهي مع قوله والساحر كالكاهن ينتج ان المنجم كالكاهن وهذه
النتيجة مع قوله والكاهن في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسان الاولان من قياس المساواة وقد
علمت انه عند الانحلال الى الحدود الاربعة والقياس المنتج لان موضوع الكبرى جزء من محمول الصغرى فليس الا
مستطيسترك فهو معدول له عن وجهه الى وقوع الشركة في بعض الاوسط ولذلك استحق ان يفرد باسم
ويعمل بتحليله قانون يرجع اليه في بعض اشاراته وقد سبق مثله في الخطبة الاولى واذا حمل على القياس الصحيح
كان تقديره المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر وشبه الكاهن المشبه للساحر مشبه الساحر فينتج
ان المنجم يشبه الساحر وهكذا في القياس الثاني المنجم يشبه الساحر المشبه للكافر وشبه الساحر المشبه
للكافر يشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر والكافر في النار فالمنجم كذلك ومنه القياس الثالث في
نتيجته فاما بيان معنى الكاهن والساحر والاشارة الى وجوه التشبيهات المذكورة فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة
الى انه يمكن وجود نفس تقوى على الاطلاع على ما سيكون وعلى التصرفات العجيبة في هذا العالم فتلك
النفس ان كانت كاملة حتى مجذوبة من الله تعالى بدواعي السلوك الى سبيله وما يقود اليه فهي نفوس الا
نبياء والاولياء ذوي المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك الجهة وغير طالبة
لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذايل الاخلاق وخسايس الامور كالتكهن ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واعلم
ان احد ما يظهر قوة الكهانة ونحوها من قوى النفوس في اوقات الانبياء وقبيل ظهورهم وذلك ان الفلك اذا
اخذ في التشكل بشكل يتم به في العالم حدث عظيم عرض من ابتداء ذلك الشكل وغايته احداث في الارض
شبيهة بما يريد ان يتم ولكنها تكون غير تامة لان سببها غير تام فاذا استكمل ذلك الشكل في الفلك تم وحدث به في
العالم ما يقتضيه في اسرع زمان لسرعة تبدل اشكال الفلك فتظهر تلك القوة التي يوجبها ذلك الشكل في
شخص واحد او في شخصين او اكثر على حسب ما تقتضيه العناية الالهية ويستوعب ذلك الشخص تلك

تلك القوة على الكمال فانما منعه من ذلك الشكل ولم يستوفه فانه يكون ناقص القوة بحسب بعده من الشكل
ويظهر ذلك النقصان بظهور النوع المقصودة بذلك الشكل فيتبين قصور القوى المتقدمة على التي فالمتاخرة
عنه ونقصانها من ذلك التمام واما صفة الكاهن من اصحاب تلك القوى فهو ان صاحب قوة الكهانة اذا
احس من نفسه بحول الهمة الارادة لتكملها فيهم باخبار امور حسية وينشر ما في غلبات تجري مجرى
الفال والزجر وطرق الحصى وربما استعان بالكلام الذي فيه سجع او موازنة او بحركة عنيفة من عدو وخبب
كما حكي عن كاهن من الترك وكما نقل الي من شاهد كاهنا كان في زماننا وتوفي سنة عشر يكنى
بابي عمرو وكان بناحية من سواحل البحر يقال لها قلهات وانه كان اذا سئل عن امر استعان بتحريك راسه
تحريكا قويا ويضعف بحسب الحاجة فاجاب عقيب ذلك وقيل انه كان قد يستغني في بعض اللعبا
زات عن تلك الحركة والغرض من ذلك اشتغال النفس عن المحسوسات فيتداخل نفسه ويعقد فيها
ذلك الامر وبعضهم يقتصر من تلك الحركة ما يقذفه على لسانه وربما صدق الكاهن وربما كذب وذلك
انه يتم نقصه بامور منها ان لكمالها غير كامل فيه فيعرض له الكذب ويكون غير موثوق به وربما يعمد الكذب خوفا
من كساد بضاعته فيستعمل الزرق ويخبر بالاثار في نفسه ويضطر الى التخمين وذلك سؤالا استفاد وقد يجب
قربهم من الافق الانساني ويتقدم منه ويعتقد قبولهم للاثر العلوي ويتميزون عن الانبياء بالكذب وما يدعونه من
المحالات وان اتفق ان يلزم اصلهم الصدق فانه لا يتعدى ذو قدره في قوته وربما دل على التصديق باول امر يلوح من النبي
ويعرف فضله كما روي عن طليحة وسواد بن قارب وغيرهما من الكهنة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله واعترف بذلك
تقوى — اما قوله فانها تدعوا الى الكهانة اي انها تدعو المنجم في اخر امره الى ان يصير بنفسه كالكاهن في دعوى
الاخبار عما سيكون ثم اكد كونها داعية الى التكهن بتشبيهه بالكاهن واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم
بكون ما يخبر به من الامور الكائنة انما هو عن قوة نفسانية له وظاهر ان ذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق في
اغوايهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم واما الساحر فيتميز عن الكاهن بان له قوة على التاثير في امر خارج
عن بدنه اثارا خارجة عن الشريعة مؤذية للخلق كالتفريق بين الزوجين ونحوه وتلك زيادة شر اخر على الكاهن
ادعى الى فساد اذهان الخلق وزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم عنه خوفا ورغبة واما الكافر فيتميز عن الكل
بالبعد الاكبر عن الله تعالى وعن دينه وان شاركه في اصل الانحراف عن سبيل الله وحينئذ صار الضلال
والفساد في الارض مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد والاضعف فالكاهن اقوى في ذلك
من المنجم والساحر اقوى من الكاهن والكافر اقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل عليه السلام الكاهن
اصلا في التشبيه للمنجم لزيادة فساده عليه ثم الحقه به وجعل الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا
للساحر لان التشبيه يستدعي كون المشبه به اقوى في الوصف الذي فيه التشبيه واحق به وقد لاح
من ذلك ان وجه التشبيه في الكل هو ما يشترك فيه من العدول والانحراف عن طريق الله بالتنجيم
والكهانة والسحر والكفر وما يلزم ذلك من صد كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت جهات هذا العدول
بالشدة والضعف كما بيناه ولما منع عليه السلام من تعلمها اصحابه عن تعلم النجوم وقبول احكامها وعمل

او بحر

بلغت

او ما لم من ذلك بالتخويف المذكور امرهم بالمسير الى الحرب وروي انه سار في تلك الساعة الى الخوارج وكان
من ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت منهم غير تسعة نفر ولم يهلك من رجاله غير ثمانية نفر كما
سبق بيانه وذلك يستلزم خطاء ذلك المنجم وتكذيبه في مقاله وبالله التوفيق — **ومن كلام**
له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء — معاشر الناس ان النساء نواقص
الايمان نواقص الحظوظ نواقص العقول فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في
ايام حيضهن واما نقصان عقولهن فشهادة امراتين منهن كشهادة الرجل الواحد واما نقصان
حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على
حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر — **اقول** لما كانت واقعة الجمل وما اشتملت
عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا الى راي المراة اراد ان ينبه على وجوه نقصان النساء واسبابه
فذكر نقصانهن من وجوه ثلاثة احدها كونهن نواقص الايمان واشار الى جهة النقص فيه بقعودهن
عن الصلاة والصوم في ايام الحيض ولما كان الصوم والصلاة من كمال الايمان ومتممات الرياضة كان قعودهن
عن الارتياض بالصوم والصلاة في تلك الايام نقصانا لايمانهن وانما رفعت الشريعة التكليف عنهن بالعبادتين
المذكورتين لكونهن على حال مستقذرة لا يستاهل صاحبها للوقوف بين يدي الملك الجبار ويعقل للصوم وجه
اخر وهو انه يؤدي بالحائض الى ضعفها ضعفا بخروج الدم واسرار الشريعة ادق واشق ان يطلع عليها
عقول سائر الخلق الثاني كونهن نواقص حظ واشار الى جهة نقصانه بان ميراثهن على النصف من
ميراث الرجال كما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين والذي يلوح
من سر ذلك كثرة المونة على الرجل ومعاهل التصرف وكون المراة من شانها ان تكون مكفولة محتاجة الى
قيم يقوم بها كالخادم الثالث كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان استعداد
امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبه تعالى عليه بقوله فرجل
وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذا
كرة فيهن ولذلك جعل شهادة امراتين بشهادة رجل واحد وله ايضا سبب عارض من خارج وهو
قلة معاشرتهن لاهل العقل والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في
تدبير امور المعاش والمعاد ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقولهن
فلذلك كانت المراة ارق وابكى واحسد والج وابغض واجزع واوقح واكذب وامكر واقبل للمكر واذكر
للمضرات والامور ولكونها بهذه الصفات اقتضت الحكمة الالهية ان يكون عليها حاكم مدبر تعيش بتدبيره
امور المعاش فقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم
الشهوة وقبولها للمكر وقلة طاعتها للعقل مع كونها شريكة وداعية الى نفسها اقتضت ايضا ان يبين
الحكمة التشبيه والتحذير وقوله — فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر لما نبه على
جهات نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر لا جرم نفر عنهن فامر اولا بالتقية

١٧٨ بين شرارهن وهو يستلزم الأمن بالقرب منهن وعدم مقاربتهن فأما خيارهن فإنه أمر بالكون منهم على
حذر وبعضهم من ذلك أنه لما كان الأغلب من مقاربتهن وكان الإنسان أمام محتاجا إلى مقاربة الخيرة منهن فينبغي
أن يكون معها على حذر وتثبت في سياستها وسياسته نفسه معها إذ لم يكن الخيرة منهن خيرة إلا
بالقياس إلى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن في المعروف كيلا يطمعن في المنكر وأشار به إلى طاعتهن فيما
يشرن به ويأمرن مطلقا وإن كان معروفا معقولا وفيما يطلبنه من زيادة المعروف والإحسان إليهن
وإكرامهن بالزينة والحلي فإن طاعتهن فيما يشرن به من معروف يدعوهن إلى الشرور بما لا ينبغي
والتسلط على الأمر به فإن فعل فليفعل لأنه معروف لا لأنه يقتضي آراءهن وزيادة إكرامهن من
مقويات دواعي النفس والشرور حتى ينتهي إلى الطمع في الاقتراح وطلب الخروج إلى المواضع التي يريد
بها زينتهن ونحو ذلك إذ العقل مغلوب فيهن بدواعي الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك كراعا فيأخذ
ذراعا وروي أن رسول الله صلى الله عليه كان يخطب يوم عيد فالتفت إلى صفوف النساء فقال معاشر النساء
تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار عددا فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله فقال لأنكن تكثرن
اللعن وتكفرن العشير وتمكث إحداكن شطر عمرها لا تصوم ولا تصلي **ومن خطبة له عليه السلام**
أيها الناس الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والورع عن المحارم فإن عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم
ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد أعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة **أقول** عزب ذهب
وبعد وأعذر أظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم أن قوله أيها الناس إلى قوله عند المحارم تفسير للزهد وقد رسمت
بثلاثة لوازم له الأول قصر الأمل وقد علمت فيما سلف أن الزهد هو إعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها
وقطع الالتفات إلى ما سوى الله تعالى وظاهر أن ذلك الإعراض مستلزم لقصر الأمل في الدنيا إذ كان الأمل إنما يتوجه
نحو مأمول والملتفت إلى الدنيا ليس بقصور طول أمله فيها الثاني الشكر على النعم وذلك أن العبد بعد
الغائب عن أعراض الدنيا تكون محبته لله وإنابته إليه واعترافه الحق بالآية وذلك أن الشكر حال للقلب يثمرها
العلم بالمشكور وهو حق اليقين أن يعلم أنه لا منعم سواه وأن كل نعمة منه فهو واسطة تحصل من العلم
الحال تثمر العمل بالجوارح الثالث الورع وهو لزوم الأعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط
في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت أن الوقوف عن التورط في المحارم ولزوم الأعمال الجميلة لا يتم إلا بالالتفات
عن محاب الدنيا ولذاتها المنهي عن الميل إليها وهذا التفسير منه عليه السلام مستلزم للأمر به **وقوله** فإن عزب
ذلك إلى آخره يحتمل معنيين أحدهما وهو الظاهر أنه إن تعذر عليكم وشق استجماع هذه الأمور الثلاثة فلا تنسوا
منها الورع والشكر وكأنه خص طول الأمل وذلك أنه قد يقصد طوله فيما ينبغي من عمارة الأرض لعمارة الآ
خرة وأن قصر الأمل لا يصدر إلا عن غلبة الخوف من الله تعالى على القلب والإعراض بالكلية عن الدنيا وذلك في
غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع ورخص في طول الأمل وفسر الورع بالصبر إذ كان لازما للورع وهو
تحت ملكة العفة ثم عقب بذكر الغالب على مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان على لزوم التذكر الثاني
يحتمل أن يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلاثة في معرض الأمر بلزومها قال بعد ذلك أن صعب عليكم لزوم الشكر والثلاثة

به ولزوم الأعمال الجميلة فاعملوا إلى آخره سهل منها فرخص لهم في طول الأمل لما ذكرناه في التذكر ثم إنه نبه لا ينبغي بالكلية
ولا ينبغي عوضا من لزوم الشكر ثم الصبر عند المحارم وعدم الانقياد للغلبة دواعي الشيطان عوضا من لزوم الأ
عمال الجميلة عند الحاجة فإن الصبر عند شرب الخمر مثلا عند حضوره أهون على الطبع من الصوم عن سائر المباحات حينئذ
ولزوم سائر الأعمال الجميلة **وقوله** فقد أعذر إلى آخره تأكيد لما سبق من أمره بالزهد وجذب إليه وأشار بالحجج إلى
الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجج مستعار ووجه المشابهة
أنه لما كان ظهور الرسل قاطعا ألسنة حال الظالمين لأنفسهم في محفل القيامة عن أن يقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا
رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى أشبه الحجة القاطعة فاستعير لفظها له وإسفارها وظهورها إلى
إشراق أنوارها عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة أيضا وأشار بالكتب بارزة العذر الكتب
المطهرة إعذارا إلى الخلق بتخويفهم وتحذيرهم وإرشادهم إلى طريق النجاة وإسناد الإعذار إلى الله تعالى استعارة من
الأقوال المخصوصة التي يبديها الإنسان عذرا له فعال الله وأقواله التي عرف خلقه فيها صلاحهم وأشعرهم فيها بلزوم
العقاب لهم لو لم يلتفتوا إليها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام في ذم الدنيا** ما أصف من دار أولها
عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها
فاتته ومن قعد عنها واتته ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته قال السيد رضي
الله عنه وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام ومن أبصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ
غايته ولا يدرك غوره لا سيما إذا قرن إليه قوله ومن أبصر إليها أعمته فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها واضحا
نيرا وعجيبا باهرا صلوات الله وسلامه عليه **أقول** العناء التعب وقد ذكر للدنيا في معرض ذمها والتنفير عنها
أوصافا عشرة الأول كون أولها عناء وهو إشارة إلى أن الإنسان فيها من لدن ولادته في تعب ومشقة ويكفي في
الإشارة إلى متاعب الإنسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على
عيش النساك أو ليست الدنيا كلها أذى وبلاء أوليس الإنسان يتقلب في ذلك من حين يكون جنينا إلى أن يستوفي
أيامه فإنا قد وجدنا في كتب الطب أن الماء الذي يقدر منه الولد السوي إذا وقع في رحم المرأة اختلط بمائها ودمها وغلظ
ثم الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى يتركه كالرائب الغليظ ثم يقسمه في أعضائه لأيامه فإن كان ذكرا فوجهه
قبل ظهر أمه وإن كان أنثى فوجهها قبل بطن أمها وذقنه على ركبتيه ويداه على جنبيه مقبض في المشيمة كأنه
مصرور في صرة ويتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو إلا كأنه مقموط فوقه حر البطن وتحته ما تحته
مربوط بمعاء من سرته إلى سرة أمه ومنها يمتص ويعيش من طعام أمه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم
والظلمات والضيق حتى إذا كان يوم ولادته سلطت الريح على بطن أمه وقوي عليه التحريك فتصوب رأسه قبل
المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجد صاحب الرهق فإذا وقع إلى الأرض فأصابته ريح أو مسته يد وجد
كما يجد من الآلام ما يجده من سلخ جلده ثم هو في ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام وإن عطش فليس له
استسقاء أو وجع فليس به استغاثة مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمسح إذا نيم على ظهره
لم يستطع تقلبا فلا يزال في أصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فإذا أفلت من ذلك أخذ بعذاب الأدب فأذيق

من الوانا في الحمية والدواء والاوجاع والاسقام فاذا ادركه تفرق المال والاهل والولد والشيب والحرص ومصاحبة
الطلب والسعي وذلك هذا ينقلب منه فيها العداوة الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم المميت والحيات اللاذعة
مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان عذاب الهرم لمن بلغه. الثاني كون اهلها فناة ومنه تنفير
عنها بذكر غايتها ومنه الموت وما يستصحبه من فراق الاهل والاحبة والاشراف على الاهوال العظيمة المعضلة. الثالث
كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيامة من الآثار المكتوبة عليه مما خاض فيه من
مباحات الدنيا وتوسع فيه من المآكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يظهر في لوح نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق
بالمجردين عنها الذين لم يتدنسوا بها تعوق الملاك فلم يكتب عليهم شيء منها فما يحاسبون عليه واليه اشار سيد المرسلين
صلى الله عليه ان الفقراء ليدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد
الرحمن يدخلها حبوا وما ذاك الا للزوم حساب الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وقنياتها عن اللحوق
بدرجة المخفين منها وقد عرفت كيفية الحساب. الرابع كونها في حرامها عقاب وهو تنفير عما يوجب العقاب
من الآثام بذكره. الخامس كونها من استغنى فيها فتن اي كانت محبته لما اقتنى فيها سببا للفتنة وضلاله عن
سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة. السادس كونها من افتقر فيها حزن وظاهر
ان الفقير الطالب للدنيا غير الواجد لها في غاية من المحنة والحزن على ما يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله له ه
السابع من ساعاها فاتته واقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثر ما يكون بمنازعة اهلها ومجاذبتهم اياها
وقد علمت ان الشهوة والغضب والحمية والحرص عند المجاذبة للشيء وتوقع منع الانسان له وتجاذب الخلق التي
وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض وفيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان
فواتها اللازم عن شدة السعي في تحصيلها مكروها للساعين. الثامن كونها من قعد عنها واتته وهو ايضا جذب الى
القعود عنها وتركها وان كان لغرض مواتاتها كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء والسمعة وقد علمت ان
الزهد الظاهري مطلوب ايضا للسالك اذ كان وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال الرسول صلى الله عليه الرياء قنطرة
الاخلاص وقد راعى في هذه القرائن السجع المتوازي. التاسع من ابصر بها بصرته اي من جعلها سبب هدايته
وتبصره استفاد منها البصر والهداية وذلك انك علمت ان مقصود الحكمة الالهية من خلق هذا البدن وما فيه من الآلات
والمنافع انما هو استكمال النفس باستخلاص العلوم الكلية وفضائل الاخلاق من تصفح جزئيات الدنيا ومقايسة
بعضها الى بعض كالاستدلال بحوادثها وعجائب مخلوقاتها اشرفها على وجوده وحكمته وجوده وتحصيل الهداية به
الى اسرار ملكه فكانت سببا ماديا لذلك فلاجل ذلك صدق انها يبصر من ابصر بها. العاشر ومن ابصر اليها اعمته
اي من مد اليها بصر بصيرته وتطلع اليها لمحبة لها تعالى [illegible] الى ما تغشاه اركاجاسهم
بنية الآلية لتتنبهم لتمييز قلبه محبة وعشقا اعمت عين بصيرته عن ادراك انوار الله والاهتداء بكيفية سلوك نخ
سبيله واليه الاشارة بالنهي في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق بين قوله من ابصر بها وابصر اليها ومدح السيد لهذا الفصل مدح في موضعه (٥)

ومن خطبة له عليه السلام وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء اعلم ان في هذه الخطبة فصولا

الفصل الاول قوله الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة
وازل احمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه واومن به اولا باديا واستهديه قريبا هاديا واستعينه قاهرا قادرا
واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان محمدا صلى الله عليه عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء عذره وتقديم
نذره **اقول** الحول القوة والطول الفضل والمنحة العطية والازل الشدة والنذر النذارة وقد اثنى على الله تعالى
في هذا الفصل باعتبارات اربعة من نعوت جلاله الاول كونه عليا وليس المراد به العلو المكاني لتقدسه تعالى
عن الجهة كما سبق فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدأ لكل موجود حكمها ومرجعه فهو العلي
المطلق الذي لا اعلى منه في وجوده وكمال رتبته وشرفه كما سبق بيانه ولما كان ذلك اعتبارا لحقه بالقياس الى كل
موجود صدر عن قدرته وقوته الحول جعل الحول له مبدأ هو حوله. الثاني كونه دانيا بطوله ولما عرفت ان معنى
الدنو والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبارا تحدثه عقولنا له من قرب افاضة نعمه على
قوابلها وقربه من ابصار البصائر في صورة نعمة نعمة منها ولاجل ذلك جعل طوله مبدأ الدنو. الثالث كونه مانح كل
غنيمة وفضل. الرابع كونه كاشف كل عظيمة وازل وهما اشارتان الى ان كل نعمة صدرت عنه على قابلها فمبدأ وجودها
جوده ورحمته سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعقل وغيرها او عدمية كدفع البلاء والضراء والبلاء اللاتي
بقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم الآية وقوله
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض **وقوله** احمده الى قوله نعمه تنبيه للسامعين
على مبدأ استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه قال بعض الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى
واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولم يبال كم اعطى ولمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب
وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة
من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك الا الله تعالى وقلت والاحسن الاشبه في رسم هذا
الفضل الاعتبار انه يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله
عواطف كرمه في نعمه وآثاره الخيرية التي تعود على عباده مرة بعد اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التي لا قصور
فيها عن قبول قابلها **وقوله** واومن به اولا باديا نصب اولا باديا على الحال واشار بهذين الوصفين الى الجهة التي
هي مبدأ الايمان به اذ كان باعتبار كونه اولا هو مبدأ لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا للعقل في جميع آثاره
فباعتبار ظهوره مع كونه مبدأ لكل موجود واولا له يجب الايمان به والتصديق بالالهية **وقوله** واستهديه
قريبا هاديا فاستهداه طلب الهداية منه وقربه هو دنوه بجوده من قوابل فضله وهدايته هبته الشعور لكل
ادراك بما هو اليق به لمطلبه دون ما ليس اليق به وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ لطلب الهداية
منه **وقوله** واستعينه قاهرا قادرا استعانته طلب المعونة منه على ما ينبغي من طاعته وسلوك سبيله
والقاهر هو الذي لا يعتري في ملكه بخلاف حكمه نقص بل كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته وحقير في قبضته
والقادر هو الذي اذا شاء فعل واذا لم يشأ لم يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه وظاهر انه باعتبار
هذين الوصفين مبدأ للاستعانة **وقوله** واتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل على ما علمت يعود الى

اعتها والانسان فيها يجوا وبفات على غيره والناس في اعتبار كونه مقتضيا لكل قابل من خلقه ما يكفى استحقاقه
من منفعة ودفع مضرة والناصر هو اعتبار اعطايه النصر لعباده على اعدايهم بافاضة هدايته وقوته وظاهر
انه تعالى باعتبار هذين الوصفين مستأهل التوكل عباده عليه والقاسم تفايد امورهم اليه وقوله واشهد الى آخره تقوى
للرب له وتعيين لاغراضها وذكر منها ثلاثة احدها انها ذا ... والعناية الثلاثة لله وانها ذاس اجوابه لاجتماعه
على قلب الخلق بالعبودية الثاني انها اعذار في اقواله وافعاله وقد سبق بيان وجه استقامة القعد
الثالث تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على السنة الرسل عليهم السلام الى الخلق قبل لقاء المجازية لهم
الى لزوم طاعته وظاهر ان كون الثلاثة اغراضا للبعثة **الفصل الثاني** قوله اوصيكم عباد الله بتقوى
الله الذي ضرب لكم الامثال ووقت لكم الآجال والبسكم الرياش وارفع لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد
لكم الجزاء وآثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافع وانذركم بالحجج البوالغ فاحصاكم عددا ووظف لكم مددا في
قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها **اقول** الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى
بالمال وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافع الواسعة الطيبة وهذا الفصل يشتمل على الوصية بتقوى
الله وخشيته والانجذاب اليه باعتبار امور الاول ضرب الامثال والامثال التي ضربها الله لعباده في القرآن
كثيرة منها قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله يرجعون
والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجزات من الرسول صلى الله عليه فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا
الى ظلمة جهلهم فهم صم عن سماع دواعي الله باذان قلوبهم بكم عن مناجاة الله باسرارهم عمي عن مشاهدة
انوار الله بابصار بصايرهم فهم لا يرجعون عن تماديهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء الى
قوله قاموا وهو مثل شبه فيه القرآن بالمطر نزل من السماء وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من
الرعد والبرق وشبه تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القرآن وتصاممهم عن سماع الوعظ بمن يجعل اصابعه في اذانه
خوف الصواعق وقوله يكاد البرق الى آخره اشارة الى من كان يبرق قلبه لسماع الوعظ البالغ اذا قرعه ويميل
الى التوبة وينجلي عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى قرنايهم اشاروا عليهم بالعود الى ما هم فيه وبالغوا في الجهد في
وخوفوهم بالعجز فيضعف قصودهم وتظلم عليهم شبهات الباطل فيغطي ما كان ظهر لهم من نور الحق وكذلك باقي امثال
الله في كتابه الكريم الثاني قوله ووقت لكم الآجال اي كتبها بقلم القضاء في اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع
فيحاسبه باعماله واسراره فبالحري ان يتقيه ويعمل للقاء به الثالث كونه قد البسهم الرياش وهو اظهاره
للنعمة عليهم كما قال تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى الآية ليذكروا
انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية الرابع كونه قد ارفع لهم المعاش اي اطاب معايشهم في الدنيا
قال تعالى ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث الخامس احاطته بهم احصاء لقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم
عدا اي احاط بهم علمه واحصاء منصوب على المصدر من غير لفظ فعله او على التمييز وظاهر ان علم العبد بانه
مشاهد منهم عن احاطة علمه جاذب لهم الى تقواه السادس كونه قد ارصد لهم الجزاء لقوله من جاء بالحسنة
فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون

السابع ايثاره لهم بالنعم السوابغ والرفد الروافع لقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الثامن انذاره بالحجج البوا
لغ برسله وتواعظه وسايره ما جذب به عباده الى سلوك سبيله وهي حجة على عصاته لئلا يقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين التاسع احصاه لعددهم لقوله تعالى واحصى كل شيء عددا العاشر توظيفه
المدد وهو توقيت ايام الآجال واما تكرر وصفي الاحصاء والعد وهذين الوصفين ايضا الا انه لزم كثيرا ما يذكر
الله تعالى بالجزئيات مع عدم تناهيها فيكون ذكره متبوعا على النفس توقيت الآجال لقل تحضب ويقدح في امر
المعاد والعقوبات اللازمة لكل افراد الخلق بحسب كل ذرة من الاعمال الصالحة [illegible] طرد اللوم وكذا
في ان توقيت الآجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله **وقوله** في قرار خبرة ودار عبرة اي محل اختبار الله
خلقه ومحل عبرتهم اي انتقالهم اذهانهم فيما يجري فيها من آيات العبر وآثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية
صانعها كما سبقت الاشارة الى معنى الاختبار والاعتبار وكذلك قوله فانتم فيها مختبرون وعليها محاسبون وقد سبقت
الاشارة اليه في قوله الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها وفي هاتين القرينتين مع السجع المتوازي من التجنيس
بين خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول **الفصل الثالث** قوله فان الدنيا رنق مشربها ردغ
مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور حايل وضوء آفل وظل زايل وسناد مايل حتى اذا انس نافرها واطمأن
ناكرها قمصت بارجلها وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت المرء اوهاق المنية قايدة
له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل وكذلك الخلف يعقب السلف لا تقلع
المنية اخترامها والاقرب الباقون اجتراما يحتذون مثالا ويمضون ارسالا الى غاية الانتهاء وصيور الفناء **اقول**
الرنق الكدر والردغ الوحل والتراب المختلط بالماء ويونق يعجب ويوبق يهلك والغرور خداعه مستغفلة
الانسان والحايل المتنقلة المتحولة وقمصت الدابة رفعت يديها وطرحتهما وعجنت برجليها وقنصت صادت
واقصدت اصابت المقتل والاوهاق جمع وهق بالتحريك وهو الحبل والضنك الضيق واقلع عن الشيء امتنع
والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وادعى كف وزجر وحبذا عذره فلان فعل فعله وارسالا جمع رسل
وهو القطيع من الغنم يتبع القطيع وصيور الامر ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل على التنفير عن
الدنيا بذكر معايبها وما تؤول اليه وذكر لها اوصافا الاول كونها رنق مشربها وهو كناية عن
تنغصها لاتيانها بنوايب المصايب من الهموم والاحزان والاعراض والامراض الثاني كونها ردغ مشرعها
[illegible] عنها فصل الشروع في تناولها والورود في استعمالها وكونه ردغا وصف الطريق المحسوس استعير له ووجه
المشابهة كون طريق الانسان في استعمال الدنيا والتصرف فيها ذات مزالق ومزال اقدام يهوي به الى جهنم لا يثبت
فيها الاقدام عقل قد ضبطه [illegible] وقهر سطوة شياطينه كما ان الطريق ذات الوحل كذلك ومنوس لطايف
[illegible] الثالث كونها يونق منظرها ويوبق مخبرها وهو اشارة الى اعجابها لذوي الغفلة بزينتها
مع هلاكهم باختبارها وذوقهم لحلاوتها المفضي الى التذاذهم بها الرابع كونها غرورا حايلا يروى بفتح
الغين وضمها ومعنى الاول ذات غرور اي تغر الخلق بزخارفها فيتوهمون بقاءها ثم تنتقل عنهم وتحول
ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على ما يغتر به حقيقة عرفية الخامس كونها

صوّا قبلا استعار لفظ الضو لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين يقال على فلان صوّ اي له منظر حسن
او لما ظهر لهم من وجوه مسالكها واهتدوا بها الى تحصيلها ومداخلها ومخارجها وعلى التقديرين فهو ضوّ آفل اي زائل
ولفظ الافول ايضا مستعار السادس وظل زائل استعار لفظ الظل لما ياوي اليه الانسان من نعيمها
فيستظل به من حرارة بؤسها وظاهر كونه زائلا السابع كونها سنادا مائلا استعار ايضا لفظ السناد لما
يعتمد الغافلون عليه من قنياتها وخيراتها التي لا اصل لها ولا ثبات بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة الثامن كونها تغر الناس بضوئها وظلها وبهجة
منظرها الى غاية ان يثق بها من كان يعقلها باقناعها وتطمين اليها من كان يقتضي وطره منكرا لها
حتى اذا كان ذلك منه طوعا لها فعلت به افعال العدو المخدوع وتسبب اليها من الافعال امورا احدها
قنصها بالارجل واستعار لفظ القنص استناعها على الانسان عند حضور اجله كانها تدفعه برجليها مولية عنه
كما تفعل الدابة ورشح بذكر الارجل وانما جمع لعبا اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجل ان القنص
انما انسب الثاني قنصها له باحبلها وهو كناية عن تمكن محبتها والهيئات الردية المكتسبة
في عنق نفسه كناية بالمستعار الثالث كونها اقصدته باسهمها واستعار لفظ الاسهم للامراض واسباب
الموت واقصادها كناية عن اصابتها كناية بالمستعار لاوصاف الرامي تنزيلا للدنيا منزلته الرابع
كونها علقته حبائل المنية وحبالها استعارة لما يجذب به الى الموت من سائر اسبابه ايضا وكذلك لفظ القايد
استعاره كني بها عن انسياق المريض في حبائل مرضه الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضجع و
سوء القبر ووحشة المرجع ومعاينة اي ما يجده النفوس الجاهلة عند رجوعها الى مبدأها من وحشة فراق
ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت الفته من مال واهل وولد وهي استعارات لاوصاف الصايد تنزيلا
للدنيا منزلته ومعاينة المحل اي مشاهدة الاخرة التي هي محل الجزاء وثواب العمل اي جزاؤه من خير او شر
وقوله وكذلك الخلف الى اخره اي على الاحوال المذكورة للدنيا سعى الخلق يتبع خلفهم من سلف منهم لا المنية
تقصر عن اخترام نفوسهم ولا الباقون منهم يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها والعود فيها
بل يقتدون بامثالهم الماضين في ذلك ويمضون عليه اتباعا الى غاية مسيرهم مطايا الابدان ومصير
امرهم وهو الفناء والعرض على الملك الديان وقد راعى الصانع السجع المتجانس في قوله يوبق ويوثق ناقدها
ملخ وماكرها وقمصت وقنصت والاختلاف بحرف او بنقط وبالله التوفيق الفصل الثالث
في الاشارة الى ما يلحق الناس بعد الموت من احوال القيامة تركيبا ثم قوله حتى اذا تصرمت الامور وتقضت
الدهور وازف النشور اخرجهم من ضرايح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا
الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة
وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة
والجم العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال
العقاب ونوال الثواب اقول تصرمت تقضت وازف دنا والضرايح جمع ضريح وهو الشق في

وسط

وسط القبر واوكار الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع ومهطعين مقبلين
ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس والضرع الخضوع والانكسار وكاظمة ساكتة والهينمة صوت
خفي والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق وهو الخوف والزبرة الانتهار والمقايضة
المعاوضة والنكال تنويع العقوبة واعلم انه قد تطابقت السنة الانبياء والرسل عليهم السلام على القول
بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب
يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة الاية ونحوه واتفق المتكلمون على القول به واما الحكماء
فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسماني بناء على ان المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع عود اسبابه باعيانها
من الوقت والدورة الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود المثل وربما قاله
بعضهم ظاهرا الشريعة في امر المعاد الجسماني واثبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية قال
الرئيس ابو علي بن سينا في كتاب الشفا ما هذه حكاية الفاظه يجب ان نعلم ان المعاد منه ما هو مقبول
من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث
وخيرات البدن وشروره معلوم لا يحتاج ان نعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وعلى آله حال السعادة والشقاوة اللتين بحسب البدن ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس
البرهاني وقد صدقته النبوة وهما السعادة والشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس
وان كانت الاوهام منا تقصر عن تصورهما الان لما نوضح من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة هذه
السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنية بل كانهم لا يلتفتون الى تلك وان اعطوها ولا يستعظمونها
في جنب هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الاول واعلم ان الذي ذكره عليه السلام هنا صريح في اثبات
المعاد الجسماني ولواحقه فقوله اخرجهم من ضرايح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح
المهالك اشارة الى جمع اجزاء ابدان الناس بعد تشذبها وتفرقها فيخرج من كان قبره من ضريح في
لحد او سبع او مقتولا في مطرح الهلاك من معركة الحرب او غيرها اخرجه من ذلك المكان وجمع
اجزاءه والف بينها قابل قلت اذا اكل انسان انسانا واغتذى به وصارت اجزاء بدنه اجزاء
لبدن الاكل فكيف يمكن اعادتهما لان تلك الاجزاء في اي بدن منهما اعيدت لزم نقصان الاخر وبطلانه
قلت مذهب محققي المتكلمين ان في كل بدن واحد اجزاء اصلية باقية من اول العمر الى اخره
لا تتغير ولا تتبدل واجزاء فضلية فاذا اعيدا يوم القيامة فما كان اصليا من الاجزاء لبدن الماكول فهو
فضلي لبدن الاكل فيرد اليه من غير ان ينقص من الاجزاء الاصلية للاكل شيء ولا عبرة بالفاضلة وبا
في الفصل غنى من الجواب وقال بعض الفضلاء انه ربما احتملت هذه الالفاظ ان يسلط
عليها من التاويل ما يناسب مذهب القايلين بالمعاد الروحاني فقوله حتى اذا تصرمت الامور
اي احوال كل واحد واحد من الخلق في الدنيا وقوله وتقضت الدهور اي انقضت مدة كل شخص
منهم وقوله وازف النشور اي دنا انتشار كل واحد في عالم الاخرة من قبور الابدان وقوله اخرجهم

من صرائح القبور استعار لفظ القبور للابدان وصرّح بجمعها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان النفس 182
تكون منغمسة في ظلمة البدن وكدورة الحواس متوحشة عن عالمها كما ان المقبور متوهم لظلمة القبر ووحشته
منقطع عن الاهل والمال وضمير الخروج يعود الى الاية في صدر الخطبة **وقوله** واوكار الطيور فاعلم ان العارفين
واهل الحكمة كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير والوكر للنفس الناطقة والملائكة كما اشار اليه سيد
المرسلين صلى الله عليه في قوله حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش وتقول يا اهلي
ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي والرفرفة انما تكون لذي الجناح من الطير وكما جاء في
التنزيل الالهي في وصف الملائكة اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع وكما اشار اليه ابو علي في قصيدته
التي اولها هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع واشار بالورقاء الى النفس الناطقة
وكما اشار اليه في رسالته المسماة برسالة الطير بقوله برزت طائفة ما تقتنص فنصبوا الحبائل ورتبوا
الشرك وهيأوا الطعم وتواروا في الحشيش واما في سربه طير ونحوه ووجه المشابهة في هذه الاستعارة ما
تشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال فالنفس بانتقال عقلي والطير بانتقال
حسي واذا استعير لفظ الطير للنفس فبالحري ان يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشاركة
وهو كونهما مسكنا لا يسهل مفارقته **وقوله** واوجرة السباع استعارة للابدان ايضا والسباع اشارة
الى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التي شانها محبة الغلبة والانتقام فان السبع كذلك **وقوله** ومطارح
المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها مطارح مهالك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات اعني ابدانهم **وقوله** سراعا
الى امره نصب على الحال بقوله اخرجهم والامر ما بعده من المنصوبات وامره هو حكم قضائه الازلي عليهم بالرجوع اليه
وعودهم الى مبداهم وسرعتهم اليه اشارة الى قرب وصولهم ومثوى في ان انقطاع علاقة النفس مع البدن
وهو على غاية من السرعة **وقوله** مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس بوجوهها الى محل
عودها وما اعد لها فيه من خير وشر **وقوله** رعيلا اشارة الى اجتماعهم في حكم الله وقبضته وفي محل
الاستحقاق لثوابه وعقابه **وقوله** صموتا اي لا السنة لهم اذ لا ينطقون بها ويحتمل ان يكون الصمت
كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل الحاجة وهيبة الجلال **وقوله** قياما صفوفا فقيامهم استعارة
لاستعداد النفوس هيبة الله وعظمته وقيامها بتصور كمالها على ساق العبودية وذل الامكان وصفوفا
استعارة لانتظامهم اذن في سلك علمه تعالى اذ الكل بالنسبة الى علمه على سواء كما يستوي الصف
المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لترتبهم في القرب الى الله تعالى متفاوتين متصاعدين
وقوله ينفذهم البصر اشارة الى احاطة علمه تعالى بهم **وقوله** ويسمعهم الداعي فالداعي هو حكم القضاء عليهم
بعودهم واسماعهم عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد **وقوله** عليهم لبوس الاستكانة
وضرع الاستسلام والذلة اشارة الى حالهم التي يخرجون من الاجداث عليها من ذل الامكان وذل الحاجة
والخوف في قبضة الله ومثله قوله تعالى يوم يدعو الداعي الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
وقوله قد ضلت الحيل اي حيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص مما هم فيه كما كانوا يتخلصون بحيل الدنيا
من

من بعض شرورها وانقطع الامل اي املهم فيها الاستمتاع بعودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك **وقوله** وهوت الافئدة
كاظمة اي سقطت النفوس في حضيض الذل والفاقة الى رحمة الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار كما سبق
وقوله وخشعت الاصوات مهينمة كقوله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ومثواها
اي سؤالهم بلسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ورق العبودية في ملاحظة جلال الله **وقوله**
والجم العرق وعظم الشفق استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما تجده النفس من كرب ام الفراق
وهيبة الله وعدم الانس بعد الموت اذ غايته الى ان البعث ان يعرق ويشفق من نزول العقاب به الجام
الى العرق لشبهه مجازيه **وقوله** وارعدت الاسماع لزبرة الداعي اشارة الى ما تجده النفس عند تيقنها المفارقة
واستعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للانفس على مرادها قهرا لا تتمكن معه من الجواب بالامتناع وفصل
الخطاب منه امضاء احكام الله على نفوس عباده وعند الرجوع اليه بتوفيتها ما لها واستيفاء ما عليها ومقايضة الجزاء
معاوضتها بما اتت به اما من الملكات الردية فبنكال العقاب واما من الملكات الفاضلة فبنوال الثواب وحسب
كل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات والاستعارات من حقائق الالفاظ والى التاويل
عن الظواهر انما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا عضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام على ظاهره
ولا اعترف القوم بجواز المعاد الجسماني تقليدا للشريعة ولم يقم دليل عقلي يمنع منه لم يمكننا الجزم اذن
بعض من هذه التاويلات واشالها وبالله التوفيق والعصمة **الفصل الثاني** في تنبيه الخلق على اوصافهم
ما هم المنبه لهم عليه من التحير والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون **وقوله** عباد مخلوقون اقتدارا
ومربوبون اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون اجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون
جزاء ومميزون حسابا قد امهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت
عنهم سدف الريب وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياد واناة المقتبس المرتاد في مدة الاجل ومضطرب
المهل **الفصل** القسر القهر والجبر والاجداث القبور واحدها جدث والرفات الفتات من العظم ونحوه و
مدينون مجزيون والمستعتب المسترضي والسدف جمع سدفة وهي ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك
والارتياد الطلب وذكر من تلك الاوصاف ثلثة عشر وصفا الاول كونهم مخلوقون اقتدارا اي
خلقهم ليس لذواتهم بل بقدرة قادر مستقل عن مشاركة الغير وذلك مناف لعصيانهم له الثاني كونهم
مربوبين اقتسارا اي ليس ملكهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون الخيرة في معصيته وطاعته الثالث
كونهم مقبوضين احتضارا اي يحضرون بالموت مقبوضين بيد حضرة جلال الله الرابع كونهم من شانهم
ان يضمنوا الاجداث الخامس ان من شانهم ان يصيروا رفاتا السادس ان من شانهم ان يبعثوا افرادا
كما قال تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اي مجردين عن استصحاب غيره معه من اهل ومال السابع انهم مدينون
جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر نصب بغير فعله الثامن ان من شانهم ان يميزوا حسابا اي يعدون
عدا كقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر اصحب عن غير فعله التاسع كونهم
قد امهلوا في طلب المخرج اي انما امهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وورطات المعاصي

الى نور اليقين ومنها الجزء العاشر كونهم قد هدوا واستبيل المنهج اي الهموا ما اصل فطرهم ودلوا بالاعلام الواضحة
من الانبياء والشرايع على الطريق الى حضرة قدس الله والجنة الحادي عشر كونهم قد عبروا والمهل المستعتب
لما كان من تطلب استعتابه ويقصد رجوعه عن غيه بفعل ونداي طويلا كانت مهلة الله سبحانه لخلقه مدة اعمارهم
ليرجعوا الى طاعته ويعملوا صالحا ليثيبه ذلك فنزلت منزلة وممهل نصب على المصدر لان التعمير امهال
الثاني عشر كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اي ازال عن ابصار بصايرهم ظلم الشكوك والشبهات
والجهالات بما وهبه لهم من العقول وايدهم به من بعثة الرسل الثالث عشر كونهم قد خلوا المضمار ليجادوا
اي تركوا في الدنيا ليضمروا انفسهم بارتياد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد اذ من شأن المضمار
ان يجعل فيه جياد الخيل وفيه تنبيه لهم على ان يكونوا من جياد مضمارهم وقد سبق وجه الاستعارة
ومعنى التضمير في قوله الا وان اليوم المضمار وكذلك خلوا الروية الارتياد اي ليفكروا في طلب ما يلحقون
به الى الله تعالى من سابق طاعاته وكذلك ليتنبهوا لنا المقتبس الانوار الالهية الطالب الاستنارة بها في مدة
اجالهم ومحل اضطرابهم في مهلتهم وتحصيلهم لما ينبغي لهم من الكمالات ومن ملك من عبيده هذه الحالات و
افاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق باحدهم ان يجاهره بالعصيان او يتجاسر ان يبارزه
بالمخالفة ان الانسان لكنود مبين **الفصل الخامس** في التنبيه على فضل موعظته
وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض لعدم القلوب الحاملة لها ثم الحث على التقوى فقوله فيا لها
امثالا صايبة ومواعظ شافية امثالا ومواعظ نصب على التمييز وصواب الامثلة مطابقتها للممثل به
وشفاء الموعظة تاثيرها في القلوب ازالة مرض الجهل والرذايل الخلقية ورجوع المتعظ بها منيبا الى ربه قوله
لو صادفت قلوبا زاكية واسماعا واعية واراء عازمة والبابا حازمة فزكاء القلوب استعدادها لقبول
الهداية وطهارتها من ذلك ووعي الاسماع فهم القلوب عنها وانما وصفها بالوعي لانها ايضا قابلة لعشور المعاني مودية
لها الى قوى الحس ثم الخيال وعزم الاراء توجيه الهمة الى ما ينبغي والثبات على ذلك وحزامة الالباب جودة
راي العقول فيما يختار ونظام هذه الاشياء اسباب نفع الموعظة قوله فاتقوا الله الى قوله مقاربه
امر بتقوى الله تقية كتقية من استجمع جميع هذه الاوصاف احدها التقية من سمع فخشع اي تقية من استعد
قلبه لسماع الموعظة فخشع لها الثاني تقية من اقترف فاعترف اي اكتسب الذنوب فاعترف بها
واناب الى الله الثالث تقية من وجل اي خاف الله فاقلقه خوفه فعمل اي فالتجأ الى الاعمال الصالحة
لينجو بها الرابع تقية من حاذر اي عقاب ربه فبادر اي الى طاعته الخامس تقية من ايقن
اي بالموت ولقاء ربه فاحسن اي فاحسن عمله واخلصه له السادس تقية من عبر اي
بالعبر وذكر بها فاعتبر اي فجعلها سلما يعبر فيها ذهنه الى العلم بما ينبغي له السابع وحذر اي من
الله سخط الله وعقابه فازدجر اي ارتدع عن معصيته الثامن تقية من اجاب اي اجاب
داعي الله فاناب اي رجع اليه بسره وامتثل امره التاسع تقية من راجع اي راجع فكره وعقله
فتاب اي فاستعان به على شياطينه وقهر نفسه الامارة بالسوء فتاب من متابعتها العاشر

تقية

تقية من اقتدى اي بائمة الهدى والولاية وهداهم الذي اتوا به فاحتذى اي حذا حذوهم في جميع احوالهم
تطلب قصدهم ونقل فعلهم الحادي عشر تقية من اري اي اراه الحق فاطرق لعين بصيرته طريق الله
وسبيله فراى اي فعرفها واسرع طالبا لما سلكه له ونمشي اليه ونجا فيها هاربا من ظلمات جهله ورذائله
فافاد ذخيرة اي فاستفاد سلوكه لها وطاعته لربه في ذلك ذخيرة لمعاده واطاب سريرته
من نجاسات الدنيا وعمر بما يكتسبه في سلوكها من الكمالات المسعدة معاده واستظهر زادا
ليوم رحيله من دنياه واستعد به لوجه سبيله التي يتوسل اليها وسافر فيها ولحال حاجته وموطن
فاقته فان كل مرتبة من الكمال حصلت للانسان فهي تعلقه لمرتبة اعلى منها لولم يحصلها لظهرت له حاجته
في الاخرة الى اقل منها حيث لا يجد اليها سبيلا وكذلك قوله قدم اي ما استظهر به زادا امامه اي تلقاء
وجهه التي يتوجه مستقبلها ومنتهى اليها الى دار مقامه اي الاخرة قوله اتقوا الله جهة ما خلقكم له اي باب
عبادة ما خلقكم له ولما كان ما خلقهم له انما يتوصل الى الوصول اليه كان المعنى اجعلوا تقواكم منتهيا
الى تلك الجهة والاعتداد لا للرياء والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون منصوبا به بفعل مقدر
اي اقصدوا بتقواكم جهة ما خلقكم له قوله واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه اي اسلكوا في
حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه بما توعدكم به وذلك الحذر انما يحصل بالبعد عن حقيقة الحذر
منه والسالكون الى الله في تصور ذلك على مراتب متفاوتة قوله واستحقوا منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق
ميعاده استحقاق ما وعدكم الله تعالى من جزيل الثواب انما يحصل بالاستعداد له فهو امر بالاستعداد له و
الاستعداد يحتاج الى اسباب فذكر عليه السلام في ايراد احدها التنجز لصدق ميعاده والتنجز طلب
انجاز الوعد وقضايه وذلك انما يكون بالاقبال على طاعته كما قال تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونحوها والثاني الحذر من اهوال معاده وذلك باجتناب مناهيه
والتفاتح بزواجره ونواهيه قوله جعل لكم اسماعا اعلم ان في هذا الفصل فصلين
الفصل الاول في تذكير عباد الله بضروب نعمه عليهم والتنبيه على الغاية منها ثم التذكير بعجايب
الماضين من الخلق والتنبيه على الاعتبار بهم وضروب من معرض الامتنان وذلك قوله عليه السلام جعل لكم اسماعا
لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضايها ملايمة لاحنايها في تركيب صورها ومدد
عمرها بابدان قايمة بارفاقها وقلوب رايدة لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات منته وحواجز عافيته
وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من اثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح
خناقهم ارهقتهم المنايا دون الامال وشذبهم عنها تخرم الاجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم يعتبروا
في انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حواني الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل
السقم واهل مدة البقاء الا اونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض
وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب او
نفعت النواحب وقد غودر في محلة الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته

١٨٤ وابلت النواعك جدته وعفت العواصف آثاره ومحا الحدثان معالمه وصارت الاجساد شجبة بعد
بعثتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب ابنائها لا تستزاد من صالح
عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اولستم ابناء القوم والآباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون
قدتهم وتطؤن جادتهم فالقلوب قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمار كان
المعنى سواها وكان الرشد في احراز دنياها قوله عشاها اشجها والعشى ظلمة تعرض للعين
بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو وهو ايضا القطعة من اللحم وكنى بها عن الجسد في الجنوب
الجانب والارفاق المنافع ويروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلاف الضيف والخناق بالكسر
حبل يخنق به والارهاق الاعجال والتشذب التفريق ومهد الامر مختلف ومشددا الى هيأه والف
الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته والهرم الكبر وغضارة العيش طيبه والآونة جمع اوان
كالازمنة جمع زمان والذبل الذابلة وازف قرب والعلز كالرعدة تاخذ المريض والجريض ان يبتلع
ريقه على هم وحزن والحفدة الاعوان وعود دعوتك واهلكه اخلقه وابلاه والمعالم الاثار والنجيب
الهالك الناحل والنخرة البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر القاف والدال المهملة الطريقة وروي
بضم القاف والذال المعجمة والاول اصح ولنرجع الى المعنى فقوله جعل لكم الى قوله بارفاقها تذكير
بنعم الله تعالى بخلق الابدان وما تشتمل عليه من المنافع وفائدة الاسماع ان تعي ما خلقت لاجله وفائدة الابصار
ان يدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعالى فيحصل له منها عبرة ولفظ العشا يحتمل ان يكون
مستعارا للظلمة للجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلوا عشا قلوبها وحينئذ فادراك
البصر المحصل عبرة يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا فصح حينئذ اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل
ان يكون مستعارا لعدم ادراكها ادراكا يحصل منه عبرة اذ كانت فائدتها ذلك فما لم يحصل منها ذلك
الادراك كانت كمن اصابه العشا ووجه المشابهة عدم الفائدة ونسبة الجلاء اليها بوجود الادراك المفيد
عبرة عنها وهو استعارة ايضا وعن ليست بزائدة لان الجلاء يستدعي مجلوا ومجلوا عنه فلذلك عليكم
المجلو واقامه مقام المجلو عنه فكأنه قال لتجلوا عن قوامها عشاها واما فائدة البدن واعضائه فقد
اشرنا اليه قبل مفصلا وقوله قائمة بارفاقها اي ان كل بدن قائم في الوجود بحسب ما هيئ له من ضروب
المنافع وقوله وقلوب رائدة الى قوله ستر ما عنكم اظهار المنة الله تعالى على عباده بخلقه لهم وهدايته لقلوبهم
لارتياد ارزاقها التي بها قوام حياتها الدنيا وتمكنها من اصلاح معادها ثم باعتبار كونهم في مجللات نعمه وسوابغها
حسنها ستره عليهم قبائح اعمالهم ان تظهر وهواجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل على ما له
في صاحبه من الغل والحسد وتمنى زوال نعمته لافنى بعضهم بعضا وخرب نظام وجودهم وموجبات
منه نعمه التي يستوجب بها ان يمن بها ومن روى بفتح الجيم فالمراد بالمنن اذن النعم وموجباتها ما تنعقد
منها وافيض على العباد وحواجز عافيته ما منع منها عوائل الامراض والمفاسد المندفعة بها والماذكره
ستر كمية الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد اذ كان اطلاع الانسان على كمية عمره

ما يوجب اشتغال خاطره بخوفه من الموت عن عمارة الارض ويبطل بسببه نظام هذا العالم وقوله وخلف
لكم عبرا وجه من منن الله تعالى على عباده فان ابقاءه احوال الماضين وما خلفوه عبرة للاحقين سبب
عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوي الضلال الى سعادة الابد ومستمتع خلاقهم محل ما استمتعوا به مما كان
نصيب لكل منهم في مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبائل
الموت واغلال الجحيم وذلك المستفسح مدة حياتهم ايضا ثم اخذ في وصف حال الماضين في غرورهم
وذكر اعجال الموت لهم عن بلوغ آمالهم وتشذيبه لهم باخترامهم ونبه به على وجوب تقصير الامل
والاستعداد للموت وكذلك نبههم بقوله لم يمهدوا الى قوله الاوان على تقصير الماضين في اصلاح معادهم حيث
امكنهم ذلك في سلامة ابدانهم واول زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكر ثم نزع عن حال السابقين والتفت عن
الغرور الى الاستعداد بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهمهم عما ينتظر اهل الشباب بشبابهم غير حوالي
الهرم واهل الصحة بصحتهم غير الاسقام والمعمرون بطول اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار
لما ينتظرونه غير هذه الامور وتقريعا على ذلك الانتظار وتنفيرا عنه بذكر غاياته التي حصرها واعلم
ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان المنتظر لامر والمترقب له تاركا في اكثر احواله لما يعنيه من
الاشتغال الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكانت غاية الشباب الى تجني ظهور الهرم وغاية الصحيح ان
يسقم وغاية المعمر ان يفنى اشبه تركهم للعمل وعبادة الله تعالى غاياتهم المذكورة الانتظار لها فاستعير
لفظ الانتظار ثم كنى عن شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض له حينئذ كما
ازفة والقلق والغم والخوف والغصص بالريق والتلفت للاستغاثة بالاعوان والاقرباء والاعزة ثم
نبه بقوله فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب اي البواكي على ان ما يقع عند نزول الموت من نصب الامور
لا ينفع في دفعه قريب ولا يجيب على طريق الاستفهام والانكار وقوله وقد غودر الجملة في محلة
القبر على الحال والعامل نفعت اي لم ينفعه البكاء حال ما غودر في محلة الاموات بالاوصاف
الكريهة تنفيرا عن احواله وحدها الى الخلاص من اهوالها بالعمل له والاخلاص له وقوله رهينا اي مقيما او
مرتهنا بذنوبه وموثوقا بها ونصبه على الحال وكذلك وحيدا وموضع قوله قد هتكت وباقي الافعال
المعطوفة عليه والهوام الديدان المتولدة من جثته وغيرها وقوله والارواح مرتهنة بثقل اعبائها اشارة
الى اشتغال النفوس وانحطاطها في الهيئة السافلة بثقل ما حملته من الاوزار واكتسبته من الهيآت
الردية وما يتحقق غيبته من الانباء هي كما هو للخبر عن الاحوال اللاحقة بها بعد الموت ومن خير وشر
فانها تنقطع عنها عن اهل الدنيا او انباء ما خلفته من اللواحق الدنيوية فانها تنقطع بعد الموت
غيبتها وانقطاعها عنها والاول اولى وقوله لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها
اي لا يطلب منها زيادة من العمل الصالح والانقطاع من سيئ زللها ويرضى عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين وذلك لعدم آلة العمل وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صار في عنقها من
اطواق الهيآت الردية كما قال تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها

كلمة هو قايلها ومن ورآيهم برزخ الي يوم يبعثون **وقوله** اولستم ابآء العقوم والابنآء واخوانهم والاقربآء
اي اوليس فيكم من هو اب لميتٍ او ابن له او اخوه او قريبه وهو تنبيه للسامعين علي وجه
العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت وما بعده نبههم علي انهم امثالهم في تلك الاحوال ليرجعوا الي تقوى
الله الذي هو سبب النجاة من تلك الاهوال **وقوله** تحتذون امثلتهم اي تقتدون بهم في افعالهم وتسلكون
مسالكهم في عدو ونحو كما قال تعالي حكاية انا وجدنا آباءنا علي امة وانا علي آثارهم مقتدون **وقوله**
فالقلوب قاسية عن حظها اي لا استعداد لها يقبل به حظها الذي ينبغي لها طلبه لاهية عن رشدها غافلة
عن طلب هدايتها سالكة في غير مضمارها المضمار ستنبه الشريعة واوامر الله تعالي وسلوكها لغيره
ارتكابها المناهي الله ورياضتها بالاعمال الصالحة التي هي طرق الجحيم **وقوله** كان المعني سواها وكان الرشد
في احراز دنياها انما لخص في ذكر اعراض القلوب وغفلتها عن المواعظ وانها كانها في تحصيل الدنيا الي
غاية ان اشبهت من لم يكن معنيا بالخطاب بها وان الرشد الذي جذبت اليه انما هو في تحصيل الدنيا وجمعها
الذي جذبت عنه وجذبت منه **الفصل الثاني** في التذكير بامر الصراط والتحذير من اهوال يوم
والحث علي التقوى وذلك قوله واعلموا ان مجازكم علي الصراط ومزالق دحضه واهاويل زلله وتارات
اهواله فاتقوا الله تقية ذي لبٍّ شغل التفكر قلبه وانصب الخوف بدنه واسهر التهجد غرار نومه
واظمأ الرجاء هواجر يومه وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم الخوف لامانه وتنكب
المخالج عن وضح السبيل وسلك اقصد المسالك الي النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات الغرور ولم
تعم عليه مشتبهات الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمي في انعم نومه وآمن يومه قد عبر
معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الآجلة سعيدا وبادر من وجل واكمش في مهل ورغب في طلب
وذهب عن هرب وراقب في يومه غده ونظر قدما امامه فكفي بالجنة ثوابا ونوالا وكفي بالنار عقابا
ووبالا وكفي بالله منتقما ونصيرا وكفي بالكتاب حجيجا وخصيما اوصيكم بتقوى الله الذي اعذر
بما انذر واحتج بما نهج وحذركم عدوا نفذ في الصدور خفيا ونفث في الآذان نجيا فاضل واردي
ووعد فمني وزين سيئات الجرائم وهون موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق
رهينته انكر ما زين واستعظم ما هون وحذر ما امن **اقول** المزلق الموضع الذي لا يثبت عليه
قدم والدحض الزلق والتهجد العبادة بالليل والغرار النوم القليل واوجف اسرع والمخالج الامور
الشاغلة الجاذبة واكمش امضي عزمه ومضي قدما لم يعرج واعلم ان الصراط الموعود به في القرآن
الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته فظاهر الشريعة والذي عليه جمهور المسلمين
ومن اثبت المعاد الجسماني يقتضي انه جسم في غاية الدقة والحدة ممدود علي جهنم وهو طريق الي الجنة يجوزه من
اخلص لله ومن عصاه سلك عن جنبيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا بحقيقته وما ثبت
في صفته انه كالشعر في الدقة فهو ظاهر بالنسبة الشعر اليه كنسبتها الي الخط الهندسي الفاصل بين الظل و
الشمس الذي ليس من احدهما فهو كذلك الخط الذي لا عرض له اصلا وحقيقته هو الوسط الحقيقي

بس

بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير
والتواضع بين التكبر والمهانة والعفة بين الشهوة والخمود والعدالة بين الظلم والانظلام فالاوساط بين هذه الاطراف
المتضادة هي الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان وكل واحد منها هو غاية البعد
بين طرفيه وليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان فالواو وتحقيق ذلك ان كمال الانسان في التشبه بالملائكة
وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فغايته التباعد
منها الي الوسط بما عدا يشبه الانفكاك عنها فاشبه كانه لا بخيل ولا مبذر والصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي
لا ميل فيه الي احد الجانبين ولا عرض له وهو ادق من الشعر والذي قال تعالي ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروي عن الصادق عليه السلم وقد سئل عن قوله تعالي اهدنا الصراط المستقيم قال
يقول ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الي محبتك والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او نا خذ بآرائنا
فنهلك وعن الحسن العسكري عليه السلم الصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فاما الصراط المستقيم
في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الي شيء من الباطل والصراط الآخر
هو طريق المؤمنين الي الجنة لا يعدلون عن الجنة الي النار ولا الي غير النار سوي الجنة والناس في ذلك متفاوتون
فمن استقام علي هذا الصراط وتعود سلوكه مر علي صراط الآخرة مستويا ودخل الجنة امنا اذا عرفت ذلك
فقوله مزالق الصراط كناية عن المواضع التي هي مظان الجذاب الانسان عن الوسط بين الاطراف المذمومة وتلك
المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية واهاويل زلله هي ما تستلزمه العبور الي احد طرفي الافراط والتفريط
من العذاب العظيم في الآخرة وتارات اهواله تكررا لذلك تارة بعد اخرى **وقوله** فاتقوا الله عود الي الامر
بتقوى الله تقية من استجمع اوصاف الايمان احدها تقية من شغل التفكر قلبه اي في امر معاده عن
محبة الدنيا وباطلها الثاني وانصب الخوف بدنه اي اتعبه ونحله خوف الله تعالي وما اعد للعصاة من الا
هوال الثالث واسهر العبادة غرار نومه اي لم تترك له نوما الرابع واظمأ الرجاء هواجر يومه اي
الصيام رجاء ما اعد الله لاوليائه الابرار دعو ضما طيبات هذه الدار وظما في هواجر يومه كناية عن كثرة صيامه
في الشدة وقاية حرارة وانما جعل الهواجر مفعولا اقامة الظرف مقام المظروف ومن ومن وضوء الجهاد الخامس
وظلف الزهد شهواته استعاد لفظ الظلف للزهد ووصف اوصاف المانع ونسبته الي النادسه الاظلاف الشهوات
ولاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تأديهما المؤذي وبين الزهد والمانع لما يستلزمانه من كون الاعراض عن الدنيا
يستتبع قهر الشهوات ودفع مضارها كما تفعل المانع بالنار السادس واسرع الذكر بلسانه اي لعوده
اياه وادمانه فيه السابع وقدم الخوف لامانه اي خوف ربه بعمل مخلصا له ليامن عذابه الثامن و
تنكب المخالج اي عدل عن الامور الشاغلة له الي واضح سبيل الله التاسع وسلك اقصد المسالك اي اوراها
قصدا الي النهج الواضح والطريق المطلوب بها من خلقه وهو سبيل الله المستقيم فان الناس في سلوك سبيل الله
مذاهب كثيرة ولكن اقربها اليه اولاها بالقصد الي طريقه الموصل اليه العاشر ولم يفتله فاتلات الغرور
اي لم تمله عن قصده في لذات الدنيا عن ربه اذا لم ينفعل عن طاعته الحادي عشر ولم تعم عليه مشتبهات الامور

١٨٦

اي لم تظلم في وجه شبهة على حق فيشتد عليه وجه تخليصه الثاني عشر كما اذا بفرجة البشرى اي بشرى
الملائكة يومئذ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الثالث عشر وراحة النعمى اي الراحة
من مشاق الدنيا ومتاعبها بنعيم الآخرة ونعيم الله في الجنة الرابع عشر في انعم نومه اي في اطيب راحته واطلق
لفظ النوم على الراحة في الجنة مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الخامس عشر وآمن يومه اي آمن اوقاته
او اطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل السادس عشر قد عبر معبر العاجلة اي
الدنيا حميدا اي محمود الطريقة السابع عشر وقدم زاد الآجلة سعيدا اي عمله للآخرة فحصل على السعادة الابدية
وحميدا وسعيدا حالان الثامن عشر وبادر من وجل اي الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله التاسع عشر
واسرع في مهل اي الى طاعة ربه ايام مهلته ومدة حياته الدنيا العشرون ورغب في طلبه اي بان طلبه
الله عن رغبة له الحادي والعشرون وذهب عن هرب اي كان ذهابه عما يبعد عن الله عن هرب من خوف الله
وفي كل قرينتين من هذه العشر السجع المتوازي الثاني والعشرون وراقب في يومه غده اي توقع في ايام
حياته هجوم آخرته الثالث والعشرون ونظر قدما امامه اي لم يلتفت في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه
بقوله فكفى بالجنة ثوابا ونوالا على وجوب السعي لها دون غيرها ثم بكون النار وبالا وعقابا على وجوب الهرب
منها دون غيرها وبقوله وكفى بالله منتقما ونصيرا على وجوب الاقتصار على خشيته والاستعانة به وبقوله وكفى
بالكتاب حجيجا اي محتجا وخصيما على وجوب الانفعال عنه وملاحظة شهادته في الآخرة على من لم يتبعه ونسب
الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمنصوبات بكفى على التمييز وقوله اوصيكم بتقوى الله عود الى
الحث على تقوى الله باعتبارات ثلاثة احدها اعذاره الى الخلق بالانذار بوجوه العقوبات الثاني احتجاجه
عليهم بما اوضحه بالدلائل والبينات الثالث تحذيره لهم ابليس في عداوته وقد سبق معناه في الخطبة الاولى وذكر
لعداوته ما هي كونه نفذ في الصدور خفيا والاشارة بوالي النفس الامارة بالسوء ويجوز بلفظ الصدور في القلوب
اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه نفث في الاذان نجيا وهو اشارة الى ما تلقيه شياطين الانس بعضهم الى
بعض من زخرف القول غرورا وقد سبق ذلك في الخطبة الاولى وكونه اضل اي جذب عن طريق الله واردى
اي فاوردهم في قرار الجحيم ووعد فمنى اي بلوغ الامال الكاذبة وزين سيئات الجرائم اي قبائح المعاصي وهون
موبقات العظائم اي ما يهلك من عظيم الذنوب وتهوينه لها بمثل تنبيه التوبة ونسيانه عن العقل له بقوله ان الله
غفور رحيم ومثل الاقتداء بالغير الذي هو اولى بالعقوبة مثلا او اكبر قدرا في الدنيا وسائر اصناف الوساوس
كما عرفت حقيقتها وقوله حتى اذا استدرج قرينه واستغلق رهينته فقرينته هي النفس الناطقة
باعتبار موافقته وهي رهينته باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ
الرهينة مستعار واستدراجه لها تزيينه حالا بعد حال وتعويدها اتباعه وقوله وانكر ما زين الى آخره اشارة
الى غايته من وسوسته وهو عود النفس الامارة بالسوء عن موافقتها الى حكم العقل في قبح ما كانت امرت به واستعظام
خطر ما ساعدتها على التجرؤ بعينه بالاتباع من تحسينه بعد ان كانت تحث عليه وتزينه وتومن منه وذلك اما
عند التوبة وقوة العقل بما اوعد معاينة المكروهات المؤذية من العقوبات والآلام اما في الدنيا او بعد المفارقة

والحسد

والعذاب في عذاب الجحيم بسبب الانهماك فيما كانت زينته من الباطل وذلك ان النفس اذا فارقت البدن حملت
معها القوة المتوهمة فتدرك ما لحقها من جزئيات العقوبات كعذاب القبر وما يتنوع منه كما سبقت الاشارة اليه
الله بقصده ودنت من شياطين الانس في تزيينهم الجرائم وامان الشيطان الظاهر فظاهر منها
صفة خلق الانسان وفي هذا الفصل فصلان الفصل الاول قوله ام هذا الذي انشاه في
ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا
حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله
نفر مستكبرا وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا لدنياه في لذات طربه وبدوات اربه
لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في فتنته غريرا وعاش في هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض
مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه فظل سادرا وبات ساهرا في غمرات
الآلام وطوارق الاوجاع والاسقام بين اخ شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا والمرء في
سكرة ملهثة وغمرة كارثة وانة موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة ثم ادرج في اكفانه مبلسا وجذب
منقادا سلسا ثم القي على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الاخوان
الى دار غربته ومنقطع زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع اقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال
وعثرة الامتحان واعظم ما هنالك بلية نزل الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير لا فترة مريحة ولا دعة
مزيحة ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين اطوار الموتات وعذاب الساعات انا
بالله عائذون اقول اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من مبدأ عمره بالتقصير
ببيان نعمة الله تعالى عليه بتصريفه في اطوار الخلقة وتمكينه من مقابلة نعمه بالكفران والغفلة في متابعة الشيطان
وذكر ما يكون غايته من حيوته الدنيا وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله واقاربه وما لهم
ثم ما يكون بعد الموت من العذاب في القبر والسؤال والحساب وسائر ما ينفر طبعه منه ويوجب له الالتفات
الى اصلاح معاده ومدى كونه مبدأه لعله يتذكر او يخشى والشغف بالفتح الحجب جمع شغاف بالفتح
وهو غلاف القلب والدهاق المفرغة والمحاق الناقصة واليافع الغلام المرتفع والسادر اللاهي الذي لا يهتم بشيء
والماتح الجاذب للدلو من البير والبدوات الخطرات التي تبدو اي تظهر للخاطر ودهمته بالكسر اي غشيته
والغبر البقية وجماح سعيه في ركوب هواه والسنن الطريقة والمراح [illegible] واللدم ضرب الصدر والكارثة
[illegible] لشدة الغم والابلاس الياس والرجيع من الابل المردد في الاسفار والنضو الذي قد اهزله وحفدة
الولدان اعوانهم والحشدة بفتح الحاء الجماعة الذين يجتمعون والمتفجع المتوجع وفي تفصيل هذا الفصل
نكت الاولى ام للاستفهام وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وامره باعتبار حال نفسه ودلائل
خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكأن ام معادلة لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير اليس
فيما ظهر لكم من عجايب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتقلبه في اطوار خلقته وحالاته الى يوم
نشوره كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وفي بعض النسخ او هذا والمعنى واحد واعلم ان في ملاحظة

خلقه الانسان وما جمع فيها من لطايف الايجاد عبرة تامة حتى كان عالما مختصرا كما اومانا اليه قبل
وكما سياتي الثانية بل احواله تكون الانسان زبدة المني والنفخ يظهر فيه فينمو به واول
ما يكون فيه وعا الروح بفعل الملك المعمور ثم يجذب زخم من فعل الطبيعة فيثقب ثقبا امام فوهات
العروق بحيث اذا اختلفت محسوسة صارت عروقا ثم تبسط النطفة في اقطارها ويحدث في الغشاء
ثقبا موازيات لثقب العروق التي في الرحم ينفتح عند الحيض ويحصل لجميعها مجاري في الغشاء المذكور
يؤدي الى مجرى واحد نافذ الى عمق النطفة مؤديا الى باطنه الدم في عرقين او عرق والنفس في عرقين
واذا اختلفت هذه المجاري امتصت النطفة حينيذ الغذاء من فوهات تلك العروق ونفذ في الصفاق
دم يتخيل عن قريب الى جرم المني ويجذب لها خطوط لها مبادي نحو دموية ونقط اولى هي القلب
ثم تزال الاوعية تتزايد في النطفة حتى تصير علقة ويكون مثل الرغوة في الاكثر لستة ايام وابتدا
الخطوط الحمر والنقط بعد ثلاثة ايام اخرى ثم بعد ستة ايام اخرى وهو الخامس عشر من حين العلوق
تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقة وبعد ذلك باثني عشر يوما تصير لحما وتتميز قطعة لحم هي المضغة
وتتميز الاعضاء الرئيسة وتمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف
عن الضلوع والبطن تميزا يحس به في بعضهم ويخفى في بعض حتى يحس به بعد اربعة ايام اخرى تمام الاربعين
فيصير جنينا وقد يتم ذلك في ثلاثين يوما وقد يتم في خمسة واربعين يوما وقيل العدل في زمان ذلك خمسة
وثلاثون يوما فيتحرك في سبعين يوما ويولد في مائتين وعشرة ايام وذلك سبعة اشهر واذا كان الاكثر
خمسة واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما ويولد في مائتين وسبعين يوما وذلك تسعة اشهر فهذا
اشارة الى تنقله في الرحم بتدبير الملك المقتدر وواسطة الملك المعمور ولو كشف الغطا لرايناها هذا التخطيط
والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا مع انا لا نرى المصور ولا الة التصوير فسبحان المقتدر على ما يشاء الثالثة انما
وصف العلقة بالمهانة لكونها لم يفض عليها بعد صورة تخص الانسان وهي بعد مستهجنة الرابعة الولد ما
دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد فاذا ارتفع قيل يافع فاذا طر شاربه فهو غلام فاذا ادرك فهو رجل والرجولية
تلك حدود الشباب ويتوالى تمام النمو وبعده الكهولة وبعدها الشيخوخة الخامسة ذكر الحفظ للقلب
واللفظ للسان والحفظ للبصر بيان لفوايدها ثم ذكر غاية تلك الفوايد ومقصودها وهو ان يفهم الانسان
معتبرا اي يستنبط من شواهد الايات دلايل وحدانيته وساير نعوت جلاله ويعبر منها الى استكمال
الفضايل النفسانية ويقصر مزدجرا اي يكف عما لا ينبغي من موبقات الاثام وعن الخوض فيما لا يعنيه
مزدجرا عنها السادسة قوله حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا الى اخر الاوصاف
ربما يعترض فيقال ان كثيرا من الناس لا يكون بهذه الصفة وحينيذ لا تصدق عليهم هذه الاحكام
فجوابه ان الاشارة بالانسان الى الانسان المطلق الذي هو نوع تحت البعض لا الانسان العام وظاهر ان
الاوصاف المذكورة اذا صدقت على المطلق فقد صدقت على بعض الناس وذلك البعض هم الغفا
المرادون بتلك الصفات والتوبيخ بها لهم وفيه تنبيه للالباب على وجوب دوام شكر الله والبقا

علي

على استعمال الاوامر والنواهي السابعة ما نجم في غرب مثواه لما استعار لفظ الغرب لهواه الذي يملاه به صيانة
الهالك من الاثام كما يملا ذو الغرب غربه من الماء رشح تلك الاستعارة بذكر المتح الثامنة المطلوبات
ستة منه نطفة وعلقة وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومعنى اوستر دخرا ومستكبرا وسادرا وما نجا
وكادحا وعديا ونيلا وسنادا وسليا وزحيخ وصب ونضو سقم ونجيا كلها احوال والعامل في كل
حال ما يليه من الافعال وسعيا اما مفعول به والعامل كادحا او مصدر استغنى عن ذكر فعله وغيرا
منه ظرف محذوف اي وقت مقارنة اي زمانا يسيرا وروي اسيرا فعلى هذا يكون حالا وجزعا وقلقا
نصبه مفعول له واستعار اسيرا للعاصي على الرواية الثانية ووجه المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه
الى مثواه كما يقاد الاسير الى ما يكرهه التاسعة لم يفد عوضا اي لم يستفد في الدنيا عوضا مما يفوت
منها في الاخرة والعوض الذي ضيعه من الكمالات التي خلق ليستفيدها وقد منت عليه ولم يقضها من العلوم
والاخلاق العاشرة العاد في الموت المال والعامل ادمنة والانة المعجمة منه للقلوب الواجدين عليه والجذبة
للحركة الى جذب الملايكة للروح كما قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملايكة
باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وروي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ان المؤمن اذا احتضر اتته الملا
يكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها
النفس المطمئنة ارجعي راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك
والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملايكة بمسح
فيه جمر فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة ارجعي ساخطة مسخوطا عليك
الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمر وكان لها نشيش ويطوى عليها ذلك المسح
ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك الجذبة تعود الى ما يجده الميت حال النزع وهو عبارة عن الم ينزل بنفس
الروح ويستغرق جميع اجزايه المنتشرة في اعماق البدن وليس هو كما يجده الروح المختص ببعض
الاعضاء كلسعة عقرب وشوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم على نفس الروح
ويستغرق جميع اجزايه وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء ومن اصل كل شعرة
وبشرة ولا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه وقد تمثل ذلك بشجرة شوك كانت داخل
بدن ثم جذبت منه فهي الجذبة المكربة ولما كان موت كل عضو من البدن عقيب الالام التي يجدها لا بد
يجد فيك من السوقة المتعبة الحادية عشر قوله رجيع وصب ونضو سقم استعار له وصفي الجمل فالرجيع
باعتبار كونه قد ردد في اطوار المرض وتواتره عليه كما يردد الجمل في السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار
نحوله من الاسقام كما ينحل الاسفار الجمل الثانية عشر قوله تعهد في حفيرته نجيا لبهتة السؤال
الى اخره الثالثة عشر القول بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حق روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال لعمر يا ابن الخطاب كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع
وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب فاذا دفنوك

فإذا انتقر فوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد العاصف وأبصارهما كالبرق
الخاطف يجران أشعارهما ويحثيان القبر بأنيابهما فيقولان لك من ربك ومن
نبيك وما دينك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي عقلي الآن قال صلى الله عليه
ثم قال فإذن أكفيكهما وفي وصفهما عنه صلى الله عليه أنهما ملكان أسودان أزرقان أحدهما منكر
والآخر نكير واعلم أن الإيمان بأمثال هذه الأخبار على ثلاث مراتب أحدها وهو الأظهر الأسلم أن تصدق بأنها
موجودة وأن هناك ملكين على الصورة المحكية وحيات وعقارب تلدغ الميت وإن كنا لا نشاهدها إذ لا تصلح
هذه العين لمشاهدة الأمور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون
بنزول جبريل وكان النبي صلى الله عليه يشاهده وإن لم يكونوا يشاهدونه وكان جبريل لا يشبه الناس فكذلك
منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس من جنس حيات عالمنا فقد ذكر بعض
آخر **المقام الثاني** أن يتذكر ما قد يراه النائم من صورة شخص هائل يضربه أو يقتله أو حية تلدغه
وقد يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من نفسه ويشاهد
ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله شخصا ولا حية والحية موجودة
في حقه متخيلة له ولا فرق بين أن تتخيل عدوا أو حية أو تشاهد **المقام الثالث** أن يعلم أن منكرا
ونكيرا وسائر أهوال القبر غايته الإيلام والمؤلم في حقه ليس هو الشخص المشاهد ولا الحية بل ما حصل
فيه من العذاب فالنفس العاصية إذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة معها ولم تتجرد عن البدن مرتبطة
عن الهيئات البدنية والأخلاق الردية المهلكة من الكبر والرياء والحسد والحقد والحرص وغيرها
وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن متوهمة نفسها الإنسان الذي مات وعلى صورته كما كان في الدنيا تتخيل
وتتوهم بدنها مقبورا وتتخيل الآلام الواصلة إليها عن كل خلق ردي على سبيل العقوبة الحسية لها كما
كما تقرره الشريعة الصادقة والنفس في الأذهان عنها على صورة شخص منكر هائل الصورة يعنفه
في السؤال ويبهته بنحو منظره وهول أصواته ويمتحنه فيتلجلج لسانه فيضربه ويعذبه وعلى مثال تنيف
للذعة وإن كانت النفس سعيدة تخيلت الملذات الحاصلة لها عن كل خلق حسن وعمل صالح
قدمته في صورة ملائكة فوق ما كانت تعتقده مما كان وصف لها من حسن أشخاص بهية تدخل عليهم وتلقاهم
بالبشارة كمبشر وبشير وسائر الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحة
القبر والروح والريحان وسائر ما وعد فيه فهذا عذاب القبر وثوابه وإليه الإشارة بقول الرسول صلى الله
عليه القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فإن قلت لم جعل أول داخل على الإنسان
في قبره سواء كان سعيدا أو شقيا ملكين ولم يكن ثلاثة أو واحدا مثلا قلت قال بعض العلماء إنه
لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس إنما تحصل من جهة قوتين نظرية وعملية بما جعل
ما يكتسب عن كل واحدة منهما ملكا فإن المكتسب جهلا مركبا ورذائل أخلاق فمنكر ونكير وإن
كان علما ومكارم أخلاق فمبشر وبشير والله أعلم بأسرار شريعته واعلم أنك متى تصورت ثواب القبر

وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار **الرابعة عشر** قوله لا فترة مريحة ولا قوة حاجزة
فحوى مجرى آيات الوعيد الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الذين لا مشاكلة لنفوسهم بعالم الملكوت وبحوح
قوله تعالى إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وأما أنهم ليس لهم قوة حاجزة
فلأن القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مفقودة في حقهم وهي المشاكلة بالله تعالى ومحبته والالتفات إلى عالم
الغيب والملأ الأعلى وأما عدم المدة الناجية فلأن الإنسان غير قابل للفناء مرة أخرى كما علم ذلك في موضعه
وأما سلب السنة عنهم فإشارة إلى شدة الآلام وما يلحقونه من أليم العذاب لما أن الألم الشديد يستلزم عدم
النوم فلا سلوة إذن بين حالات تكرار العذاب وإطلاق لفظ الموتات مجاز في شرح العذاب إطلاقا
للغاية على ما يصلح غاية له وقد لا يخفى في أكثر هذا الفصل السجع المتوازي وبالله التوفيق (ن)
الفصل الثاني قوله عباد الله الذين عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وأنظروا فلهوا وسلموا فنسوا
أمهلوا طويلا ومنحوا جميلا وحذروا أليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة
أولي الأبصار والأسماع والعافية والمتاع هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو مجار أم لا فأنى
تؤفكون أم أين تصرفون أم بماذا تغترون وإنما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض قيد قده
متعفرا على خده الآن عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل في فينة الإرشاد وراحة الأجساد ومهل
البقية وأنف المشية وإنظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق وقبل
قدوم الغائب المنتظر وأخذة العزيز المقتدر **اللغة** ورطته في الأمر حصلته فيه والمناص الملجأ
والمجار المرجع وأفك صرف وقيد قده مقدار قامته والمتعفر المترب والعفر التراب والفينة الحين والأنف
أوله والحوبة الحاجة والمسكنة والضنك الضيق وفي هذا الفصل فوايد **الأولى** التنبيه والتقريع
على كفران جملة من نعم الله فمنها أن عمرهم فتنعموا وعلمهم ففهموا وأنظرهم وسلمهم من الآفات وأمهلهم طويلا
ومنحهم الجميل وحذرهم أليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم أن اشتغلوا بلذات الدنيا
عن أوامره ولهوا عن الالتفات إليه ونسوا ما ذكرهم به ودعاهم إليه **الثانية** التحذير من الذنوب المورطة
في موارد الهلكة وأنواع العذاب ثم من العيوب المسخطة وهي مكتسب رذائل الأخلاق **الثالثة** تنبيه أولي
الأبصار والأسماع والعافية والمتاع في الدنيا على أنه لا مناص [illegible] ولا خلاص لهم من عذابه لمن حصل فيه وذلك
المعاد والأملاد [illegible] استحقه له ولا معاد أي [illegible] ولا مزحزح أي [illegible] وإنما خص أولي الأبصار والأسماع
والعافية لكونهم أهل التكاليف التامة والعقول داخل في إشارته إما بالأبصار والأسماع مجازا أو في العافية وإنما
خص أولي المتاع لأن أهل الاستمتاع بالدنيا هم المحدودون عنها من جهة استغراقهم باتباعها عن سلوك سبيل الله
وأهل استفهام عن الأمور المذكورة على سبيل الإنكار لها ثم استفهامهم عن وجه صرفهم عن غايتهم وعن مكان
[illegible] على سبيل التقريع لهم ثم عما يغترون به بعد لقاء الله في ذلك أوامره على سبيل الإنكار للاغترار أيضا وأم
معادلة للاستفهامية **الرابعة** التذكير بأمر القبر وتعظيم الخوف فيه [illegible] منفود عنه طبق وفيه تنبيه
على وجوب الانتهاء عن الاستكثار من متاع الدنيا وجمع الوجوب [illegible] رقبها وإنه لا نصيب للمحتة في

يخيلها منها الاعتقاد قائمة ومتوكنا يتمعن فيه الخامسة التنبيه على وقت العمل والاحوال التي يمكنهم فيها
وكني بالآن عن زمان الحياة وبالاختناق عما يوجد به اعناق النفوس الى بارئها فعند الموت كناية بالمستعار ووجه
المشابهة كون كل واحد منهما مكروها يفيد به الى مكروه ورشح الاستعارة بذكر الاعناق وكني به عن مدة الامهال في
الحياة الدنيا وكرائد اذا ذاك ارشاد الروح ابدانها واسبابها ويكون ذلك الاسباب في فسحة الارشاد اي في زمان ارشاد
النفوس وطلبها لما يستعد به من الكمال اللائق بالله وروي الارشاد اي ارشاد النفوس الى سبيل الله وجهة السعادة
الابدية وكذلك مثل البقية اي بقية الاعمار السادسة قوله وانف المشيئة اي اول الارادات للنفوس وذلك انه
ينبغي ان يكون اول زمان الانسان واوايل ميول قلبه الى طاعة الله والانقياد لاوامره فيكون ما يرد على لوح نفسه من
الكمالات المسعدة في الآخرة واردا على لوح صاف عن كدر الباطل والنهي على ذلك فجعل اوايل ميول الارادات
لما هي الله تسود وجه نفسه بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستصفاء بنور الحق فكان من الاخسرين
اعمالا السابعة انظار التوبة امهال الله العصاة لاجلها ولما كان غرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله حسن
ان يعبر عن تركه انتقامه منهم بانه انظار للتوبة الثامنة وانفساح الحوبة اتساع زمان العمل بالحاجة في الآخرة والاحتياط
تكفي فيها اذى ملاقاته وذلك ان كل حاجة ترمي الانسان في الدنيا فقد لا يكون في محل العزوة والضيق الكلي منها
وان كانت في محل الضرورة للنهاية منطقيا ان يؤدي زوالها بخلاف الحاجة والضرورة في الآخرة الى صالح الاعمال فانها لا يمكن
زوالها بعد المفارقة ولا متسع للنيل لها لا في الدنيا وكان اهلها منها في اشد ضرورة واضيق حال واقبح صورة وابشع
بالضنك والضيق الى انحصار الانفاس في اغلال الهيئات البدنية وسجن جهنم وبالدوع والنسوق الى الفزع الاكبر
من اهوال الموت وما بعده التاسعة الغايب المنتظر كناية عن الموت ووروده محبوب ولما استعار له لفظ الغايب
راعاه لتبهيها في يستطعونه ذلك الاستعارة بلفظ القدوم العاشر اخذ العزيز المقتدر جذب الارواح بحكم
قدرة الله العزيز الذي لا يلحقه اذلال فاجر المقتدر الذي لا امتناع منه لعقلية قاهرة وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة يزعم لاهل الشام ان
في دعابة واني امرؤ تلعابة اعافس وامارس لقد قال باطلا ونطق آثما اما وشر القول الكذب انه ليقول
فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيلحف ويسأل فيبخل ويخون العهد ويقطع الال فاذا كان عند الحرب
فاي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح القوم سبته
اما والله انه ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة انه لم يبايع معاوية
حتى شرط له ان يؤتيه اتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة **اقول** نسبه الى ظهر وسميت ام عمرو النابغة
لشهرتها بالفجور وتظاهرها به والدعابة المزاح والتلعابة كثير اللعب والتاء للمبالغة والمعافسة المداعبة والممارسة
المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه والال القرابة وسبته سوءته والاتية العطية والواو واحد وكذلك الرضيخة
واعلم ان في هذا الفصل ثلاثة فصول **الاول** ذكر دعوى عمرو في حقه عليه السلام من كونه لعابا مزاحا يكثر
المعالجة والمصارعة وذكر هذه الدعوى مصدرة بالتعجب من صدورها في حقه مختومة بالتكذيب لمدعيها والرد
لمقاله وذلك قوله عجبا الى قوله ونطق آثما وباطلا وصف للمصدر واثما حال وانما كني عنه باسم امه لان من عادة

الوب

الذنب السبب الى الاثم انما كانت مشهورة بشرف او حسب ونحوها واعلم انه عليه السلام قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر
المعتدل الذي لا يخرج به حد الوقار الى الافراط فيه فمن ذلك ما روي انه كان جالسا يوما على دكة ومن الاريف وكان ابو
هريرة جالسا معه فاخذت لقمة وحذفه بنواة فالتفت اليه ابو هريرة فتبسم عليه السلام فقال ابو هريرة هذا
الذي اخرك عن الباب وقد علمت ان ذلك من توابع حسن الخلق ولين الجانب فان ذلك فضيلة وليس بر ذيلة
والدعي لعمرو بن العاص انما هو عيبه في ذلك الى حد الافراط الذي يصدق عليه انه لعب وهذا ما روي انه كان يقول لاهل
الشام انا انما اخرنا عليا لان فيه هزلا لا جد معه ونحوه ما كان يقوله ابن العاص لرسول الله صلى الله عليه انه لسا في
من اسبه اباه فخاطبه وتكذيبه عليه السلام له ... واما ما فيها دعابة خرج الى اللعب واما اصل المزاح فلم يكن وكيف
وقد كان يصدر من رسول الله صلى الله عليه فاروي انه قال يوما لعجوز ان العجائز لا يدخلن الجنة فبكت فتبسم
وقال ان الله يجعلهن شوابا ثم يدخلهن الجنة فاهل الجنة شباب جرد مرد وان الحسن والحسين سيدا
شباب اهل الجنة وكان يقول امزح ولا اقول الا حقا **الثاني** قوله اما وشر القول الى قوله سبته وذلك
على ذكر ما اجتمع في هذا المدعي من الرذايل التي توجب فسقه وسقوط دعواه لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وذكر من تلك الرذايل ثمان
الاول الكذب وظاهر كونه شر القول وانه مستلزم لمطلقة في الدين والدنيا اما الدين فلان الكذب والمكذوب اما المنقول
فقول الرسول صلى الله عليه الكذب راس النفاق واما المعقول فلان الوجدان شاهد بان الكذب مما يسود لوح النفس
ويبعد عن ان ينتقش بصور الحق والصدق ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب
البلاد وقتل النفوس وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى
العقل قبحه بالضرورة لذاته وهو رذيلة مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور الثانية الخلف في الوعد الثالث
الغدر في العهد وخيانته وهما رذيلتان مقابلتان للوفاء واخلاف تحت رذيلة الفجور ايضا والعدد يستلزم رذيلة
العجب وهو طرف الافراط من فضيلة الزكاة وهما يستلزمان الكذب ايضا الرابعة قطع الرحم وهي رذيلة الاقوا
من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات الدنيوية وهي رذيلة تحت الظلم مستلزمة
البخل الخامسة رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة الشجاعة ونبه عليها بقوله فاذا كان عند الحرب
فاي زاجر وآمر هو الى قوله سبته وفيه تنبيه على دناءة همته ومهانة نفسه اذ كان على الحقيقة شهم النفس
يفترس قراع الابطال الى التخلص من الموت باقبح فعل يكون من كشف سوءته ونفى ذلك سببه في عقبه على سبيل
الاعتراض والمبالغة وانه رذيلة تحت الجبن وقوله فاي زاجر وآمر هو استفهام على سبيل التعجب والمبالغة
في الزجر والنهي وذكر في تعرضه الزم هنا وان كان من المادح لغرض ان يردفه بذم بليغ ليكون ذلك خارجا مخرج
الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا في النفوس واشد عارا عليه اذ كان الامر والنهي في الحرب انما يحسن ممن اشتهر
بالشجاعة والاقدام لا ممن يامر وينهى فاذا اشتد القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في البقاء ولو بقبح
حالة فان عدم الامر والنهي والخمول بمثل هذا اليق واولى من وجودهما فكان ابا الطيب حكى صورة حاله اذ قال
اذا ما ملا الجبان بارضه طلب الطعن وحده والنزالا واما صورة هذه الرذيلة منه فروي ان عليا عليه السلام

حمل عليه في بعض ايام صفين فلما قصده علي القى نفسه عن فرسه وكشف سوءته مواجها له عليه السلام بها فلما رأى
ذلك منه غض بصره عنه وانصرف عنه وهو مكشوف العورة والحاجب منه فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها با
رتكاب المذلة والعار وفيه يقول ابو فراس ولا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو وكذلك
فعل بسر بن ارطاة معه عليه السلام فانه حمل على بسر فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته
فصرف عليه السلام وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح اصحابه يا امير المؤمنين انه بسر بن
ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان معوية اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر ارفع طرفك
ولا تستحيي فلك بعمرو اسوة وقد اراك الله منه واراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام
اما تستحيون لقد علمكم عمرو كشف الاستاه ثم انشد ٥ افي كل يوم فارس ذو كريهة له عورة وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معوية ٥ بدت امس من عمرو فقنع راسه وعورة بسر مثلها حذو حذوه
فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية ٥ ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه ٥ وكان بسر ممن يضحك من عمرو فصار ضحكة له
الثالث بيان وجه ذمه وتنزيهه عن عمرو في حقه وهو استعداده اللعب وذكر وجهين احدهما يرجع اليه وهو انه
عليه السلام دائم الذكر للموت والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المستكثر من ذكر الموت يقل ويكون
ابدا قصير الامل وجلا من الهم مترصدا لهجوم الموت عليه مشغولا به عن الالتفات الى حظ الشهوات من اللعب
ونحوه فكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله الثاني يرجع الى حال عمرو وهو انه ممن نسي الآخرة وظاهر ان نسيانها
مستلزم للكذب وسائر وجوه ضياع آيات الدين عنها بالمكر والحيلة وما لا ينبغي ممن يرجو الله ومن كانت هذه
حاله فكيف يوثق بقوله لم تثبت بقوله ولم يبايع معوية الى آخره على بعض لوازم نسيان الآخرة وسواحقه لبيعته
وقتاله معه الامام الحق الذي يخرج به عن دينه الذي عرفت وتلك العطية هي مصر كما سبقت الا
شارة اليه وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له الاول لا شيء قبله والآخر لا غاية له لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية
ولا تناله التجزئة والتبعيض ولا تحيط به الابصار والقلوب **اقول** هذا الفصل يشتمل على اثبات
ثماني صفات من صفات الجلال فالاولى الوحدانية وهو كلام ينفي الشركاء وذلك قوله واشهد الى قوله لا شريك له
وقد اشرنا الى مقتضى البرهان العقلي على الوحدانية ولما لم تكن هذه المسألة مما يتوقف اثبات النبوة عليها
جاز الاستدلال فيها بالسمع كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الثانية
اثبات كونه اولا غير مسبوق بالغير الثالثة اثبات كونه آخرا غير متناه وجوده الى غاية يقف عندها
وقد سبق البحث عنهما مستقصى ونفي قبلية شيء له والغاية عنه تاكيدان الرابعة من السلوب انه
لا تقع الاوهام فتقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا تصدق حكمها الا فيما كان محسوسا
او متعلقا بمحسوس فاما الامور المجردة عن علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا عن ان يقع
في اثبات صفة لها واما الحاكم بان ليس صفة له نحو العقل الصرف وقد علمت انا لا نثبته سنا له صفة

خارجية بل امور اعتبارية تحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يلزم من هذا انه لو اثبت له صفة بل معناه
ان الاوهام لا تصدق حكمها في وصفه تعالى الخامسة كونه تعالى لا يعقل له كيفية يكون عليها وبيانه انك قد عرفت معنى
الكيفية فعرفت انها عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة ولما ثبت انه تعالى
ليس له صفة تزيد على ذاته وهي محل لها استحال ان تعقد القلوب منه على كيفية السادسة كونه لا تناله التجزئة
والتبعيض وهو اشارة الى نفي الكمية عنه اذ كانت التجزئة والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من لواحق
الجسم والباري تعالى ليس بجسم وليس بكم فليس بقابل للتبعيض والتجزئة ولان كل قابل لهما منفعل
من غيره والمنفعل عن الغير ممكن على ما ثبت السابعة كونه تعالى لا تحيط به الابصار وهو كقوله تعالى لا تدركه الابصار
وهذه المسألة مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق فيها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة البصر بالذات
هو الالوان والاضواء وما يعرض المتلون والمضيء ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان تعالى منزها عن الجسمية
ولواحقها وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر الثامنة كونه تعالى لا تحيط به القلوب والمراد ان العقول
البشرية قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد سبق تقريره وبالله التوفيق **منها**
فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع واعتبروا بالآي السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ فكأن قد
علقتكم مخالب المنية وانقطعت منكم علائق الامنية ودهمتكم مفظعات الامور والسياقة الى الورد
المورود وكل نفس معها سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها **اقول**
النوافع جمع نافعة والساطع المرتفع والنذر جمع نذير ومفظعات الامور شدائدها والورد المورود وفي هذا الفصل
[illegible] الاول الامر بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا فيما يعتبر به
من باب اطلاق اسم الحال على المحل والاتعاظ سببه وحقيقته وثمرته اما سببه فالنظر في
[illegible] وتدبر قصصهم وتعريف تصفح آياته وقدرته لاجل الخير وهو الاعتبار واما حقيقته فالخوف
[illegible] في نفس المعتبر من اعتباره وما يلزم عن ان يلحقه ما يلحقهم اذ هو مثلهم واولى بالحكم واما ثمرته فالا
نزجار عن مناهي الله والاجابة لداعيه والانقياد لسلوك سبيله الثانية الامر بالاعتبار بالآي السواطع
والمراد بالاعتبار الاتعاظ بالآيات وقد يراد بالآي آيات آثاره وعجائب مصنوعاته او آيات القرآن
[illegible] والنذر واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة ظهور اشراق نور الحق منها على مرايا قلوب
عباده كاشراق نور الصبح وسطوعه ومراد استعاره لفظ المحسوس للمعقول واعتبارها الانتقال
[illegible] في مقام النظر والاستدلال كما سلف بيانه الثالثة الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بملاحظة
[illegible] النذر وهي زواجر الله ووعيداته البالغة حد الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها الرابعة الامر
بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر والموعظة عنهما وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع
[illegible] وجذبا للنفوس الى الذكر وقبول المواعظ الخامسة التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه ليبادر وا
الى الاوامر السابقة فقوله فكأن قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب [المنية] استعا ن
[illegible] بذكر العلوق ملاحظا في ذلك تشبيه المنية بالسبع الذي يهجم ويتوقع افتراسه وكان

مخففة من كأنّ واسمها ضمير الشأن ويحتمل ان الناصبة للفعل وخففت عليها كاف التشبيه وقوله وانقطعت
عنكم علائق الامنية اشارة الى ما ينقطع عن الميت بانقطاع اسبابه من مال او جاه وسائر ما كان يتعلق به آماله
من علائق الدنيا ومتاعها وقوله ودهمتكم مقطعات الامور اشارة الى ما يهجم على الميت من شدائد الموت وما
يتبعها من عذاب القبر واهوال الآخرة وقوله والسياقة الى الورد المورود فالسياقة كما هي السوقة المتعبة
التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر وقوله وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس للآية و
هي كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق الذي يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهي والاسباب الموت القوية
الحاكمة على النفس برجوعها الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة فبما اكتسبت من سوء ملكة وجذبته من عجيزة وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم الآية وان كانت من اهل السعادة
سائقها سائق رؤوف سوق لطيف ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واما الشاهد عليها
بعملها فقد سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق **منها** في صفة الجنة درجات متفاضلات
ومنازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها **اقول** اعلم ان
الآثار الجنة هي المعارف الالهية والنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعداء في الوصول الى نيل هذه
الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة فالاولى مرتبة من اوتي الكمال في جزئي القوة النظرية حتى
استغنى عن معلم بشري رأسا واوتي مع ذلك ثبات الفكرة واستقامة وصحة منها ذا الحدس قدم العقل
فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد هذا العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويستثبتها في انتظامه ويبصر
العالم وما يجري فيه متمثلا في نفسه ويكون لقوته النفسانية في التعلق ان تؤثر في عالم الطبيعة حتى ينتهي الى
درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية اولات المعارج وهم السابقون السابقون اولئك المقربون
وهم افضل النوع البشري واحقه باعلى درجات السعادة في الجنة المرتبة الثانية مرتبة من له الاولى
الاولتان دون الثالث اعني التأثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين وتحتها مراتب فاحدها مرتبة
من له استعداد طبيعي لاستكمال قوته النظرية دون العملية الثانية مرتبة من اكتسب ذلك الاستكمال في قوته
النظرية اكتسابا تكلفيا دون تهيؤ طبيعي ولا حصة لهؤلاء في القوة العملية الثالثة مرتبة من ليس له تهيؤ
طبيعي ولا اكتساب تكلفي في قوته النظرية ولكن له ذلك في القوة العملية الرابعة مرتبة من له تكلف في اصلاح
الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة دون تهيؤ طبيعي لذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمقربين السابقين
في الملكات الشريفة لذات عظيمة في الجنة فقد فازوا بنعيم الابد والسرور الدائم في حضرة رب العالمين في مقعد صدق
عند مليك مقتدر وهم غير محجوبين عن اللذات لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون كما
قال عليه السلام لا يظعن مقيمها مجردة عن عوارض الابدان وشوائب المواد مرفوعة عن مزاحمة القوى المتغالبة
المؤدية الى الهرم والموت متجلين بالانوار الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم المشرقة واما اصحاب اليمين
٥ فلا شك ان اصحاب اليمين ولهم لذات دون الوصول الى رتبة السابقين وقد يخالط لذات هؤلاء شوب من

لذات

لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل الالهي في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
وكل من المراتب المذكورة كمال يخصه ودرجة من السعادة في الجنة تخصه كما قال تعالى هم درجات عند الله و
قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من
تحتها الانهار وعد الله اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله ان هذا لرزقنا
ما له من نفاد ولان الكمال الذي حصل للانسان فاستحق به سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهره لا تزول ولا
تتغير ومهما دام استحقاق القابل لجود الله ونعمته وجب دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق
الذي لا بخل من جهته ولا منع واما قوله ولا يظعن مقيمها فلقوله تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الا
بدي مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اي لا
يصيبه بؤس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب وذلك البؤس عن الضعف وهذه اللوازم منفية عن اهل
الجنة لقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا
يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وبانتفاء هذه اللوازم ينتفي عنهم ملزومها وهو الهرم وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام وفيها فصول **الاول** قوله قد علم السرائر وخبر الضمائر له الا
حاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء اقول هذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف الحق سبحانه
الاول كونه عالما بالسرائر وهو كقوله تعالى يعلم سركم وجهركم **والثاني** كونه خبيرا بالضمائر وهو قريب
من المرادف للعالم بالسرائر فان الخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكو ن
ن عنده خبرها وذلك بعينه هو العالم مضافا الى السرائر والخفايا الباطنة وان كان مطلق العلم اعم **الثالث** كونه
محيطا بكل شيء وهو اشارة الى علمه بكليات الاشياء وجزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء اما
المتكلمون فظاهر واما المحققون من الحكماء فملخص كلامهم اجمالا في كيفية علمه تعالى انه يعلم ذاته بذاته ويتحد
هناك المدرك والمدرك والادراك ولا يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التي تحدثها العقول البشرية اما
المعلولات القريبة منه فتكون باعيان ذواتها ويتحد هناك المدرك والادراك ولا يتعدد الا بالاعتبار العقلي و
تغاير هناك المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شأنها امكان ان توجد في وقت او
تتعلق بوجود فتكون بارتسام صورها المعقولة في المعلولات القريبة التي هي المدركات لها اولا وبالذات وكذلك
الى ان ينتهي الى ادراك المحسوسات بارتسامها في آلات مدركيها والواحد ذلك لان الموجود في الحاضر حاضر والمدرك
للحاضر مدرك لما يحضر معه فاذن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
فتكون ذوات معلولاته القريبة مرتسمة بجميع الصور وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين وتارة باللوح المحفوظ
وتسمى عندهم عقولا فعالة **الرابع** كونه تعالى غالبا لكل شيء **الخامس** كونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى
الصف قدرته تعالى بالتمام على كل مقدور فان القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوي

ونعوذ الى القاصد وقد سبق بيانه وما صدق لانه الفضيلتين فبين ان الله تعالى مبدأ كل موجود فان كان كل
ممكن مفتقر في سلسلة الحاجة اليه وقد وضع من ذلك في الكتب الثلاثية **الفصل الثاني**
قوله فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه قبل اوان شغله وفي متنفسه قبل ان يؤخذ
بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه الى دار اقامته فالله الله عباد الله فيما استحفظكم
من كتابه واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة
ولا عمى قد سمى آثاركم وعلم اعمالكم وكتب آجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا وعمر فيكم نبيه ازمانا حتى اكمل
له ولكم فيما انزل من كتابه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه
واوامره فالقى اليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد وانذركم بين يدي عذاب شديد
فاستدركوا بقية ايامكم واصبروا لها انفسكم فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة
والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ولا تداهنوا فيهجم
بكم الادهان على المعصية عباد الله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه
والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره
واعلموا ان يسير الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان جانبوا الكذب فانه مجانب
للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة ولا تحاسدوا فان الحسد
يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة واعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا
الامل فانه غرور وصاحبه مغرور **اقول** الفصل الى آخره شروع في الموعظة والمشورة ولما قدم الاشعار
بان الله تعالى عالم بما في الصدور غالب على كل مقدور امرهم بعده بالعمل واراد الاعمال الصالحة المطلوبة بالتكاليف الشرعية
وان يجعلوا لاجل ذلك ثبات اقدامهم على الصراط المستقيم المامور بسلوكه ثم لطف في الجذب الى العمل بتذكيرهم
انهم في ايام مهلة وفراغ ومتنفس خناق يمكنهم فيه العمل وان الذي يعملونه من الصالحات معونات لهم في سلوكهم
الى الله والى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة ادراك الاجل بعده شغل باهوال الآخرة واخذ بالكظم وكنى به عن
عدم التمكن من العمل اذ لم تكن الآخرة دار عمل ثم انبه بالناس وحذرهم ربهم ان يخالفوه فيما امرهم بحفظه من
كتابه وعنى بحفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره ونواهيه وفي حقوقه التي استودعهم اياها ثم
علل ذلك بتنبيههم على ان الله تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم ليستكملوا الفضائل النفسانية
بواسطة الآداب البدنية ولم يجعلهم في وجودهم مهملين بل ضبط آثارهم واعمالهم وكتب آجالهم في كتاب المبين
والالواح المحفوظة الى يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمّر فيهم وكتاب اوضح لهم فيه السبيل التي
يسلكونها لخلقهم واكمل لهم ولنبيه دينهم الذي ارتضى لهم وما اعلم له من الكمالات المسعدة في الآخرة كما
قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وبلغهم على لسانه ما احب
لهم من الخيرات الباقية وكرهه لهم من الشرور الشقية في الآخرة كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه
وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وخوفهم بالوعيد والنذر بين يدي عذاب شديد واستعار لفظة اليدين

للعذاب

للعذاب ولى بين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة المشارف له ووجه المشابهة ان الانذار بالمخوف يكون
بين يدي سطوته وما يبين شديده فكانه نزل العذاب الشديد منزلة المعذب واستعار له يدين وجعل الانذار
به والتخويف متقدما له بين يديه ورشح من الجواذب اللطيفة ثم عاد الى امرهم باستدراك بقية اوقاتهم
في الدنيا وان يصبروا لها انفسهم اي يلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة وفي لفظ الاستدراك استعارة
بتقديم تفريط منهم في جنب الله ولذلك قال فانها قليل في كثير الايام التي يكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن
الموعظة وانما قال لها لان قلة وقت يتحقق ان يوقع فيه ما ينبغي من الاعمال فتصدق عليها ذلك الفعل لها
وقوله ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية **اقول** ليس المقصود بالرخصة هنا الرخص الشرعية
بل ما يتساهل الانسان فيتوسع لنفسه من تنويع المآكل والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في تقنين
الامر وتأويل له تأويلا وتحيل تخيلها انها جائزة في الشريعة ويروج بها اتباعه لهواه وتحسين الاجتماع في السماع لغير
اهله وحضور مجالس الفساق ومن سيرة الظالمين والضابط الكلي في هذا الباب هو توسع الانسان في الامور
المباحة واستعمالها حيث فانه متى فعل ذلك شارف المكروه ثم ربما لحظ الاعتياد في فعله فقادته شهوته
الى فعله فاستوى في جنبه فتنة المحظور وذلك ان العقل اذا اطاع النفس الامارة فيما تامر به من ترك
لذتها وما اقترفه اليه لوقوع الانس به وظاهر ان ارتكاب بعض ما سولت لها يجر الى ارتكاب بعض فيؤدي
ذلك الى تجاوز الحدود الشرعية وعبورها الى الوقوع في حبائل الشيطان والتهور في المحظورات التي هي مهاوي
الهلاك والدخول في الخبر من رتع حول الحمى اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب بالحصن
والشيطان بعدو يريد ان يدخله ولن يمكن دفع ذلك العدو والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن
التي منها الدخول اليه وحراستها ومن ابوابه الكبيرة كثرة المخالفات ومساهلة النفس في التوسع في المباحات
والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك الابواب فدخول الشيطان منها سهل ومفتوح عليه اقدر ولذلك قال
عليه السلام فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها الى
العدل وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال
له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بهن قلوب بني آدم فقال فهل لي فيها
من شيء قال نعم ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ
بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ولا تداهنوا اي لا تساهلوا الظلمة وتصالحوا
معهم بالسكوت عما ترونه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا انستم بمشاهدة المعاصي
والفتم تكرارها كنتم بذلك عصاة وربما ساقكم ذلك الى فعل المنكر ومشاركتهم فيه **وقوله** عباد الله
الى آخره اخبارات في معنى الاوامر والنواهي واوامر ونواهي صريحة مشتملة على جواذب الى طاعة الله ولزوم
دينه فالاول قوله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وبيانه انه لما كان غرض الناصح انما هو جلب الخير
والمنفعة الى المنصوح وكان اجل خير ومنفعة هو السعادة الباقية الابدية ومشاهدة حضرة الربوبية وكانت تلك
السعادة انما تنال بطاعة الله تعالى فكل من كانت طاعته له اتم كانت سعادته اتم فكان هو انصح الناس لنفسه

مبالغة في طاعته **الثاني** قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر فانه لما كانت
غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة الى المغشوش وكان اعظم شر وضرر يلحق العبد هو الشقاوة
الابدية في دار الجحيم وكانت تلك الشقاوة انما تحصل للانسان عليها بمعصية الله تعالى فكل من كانت معصيته
اتم كانت شقاوته اتم فكان هو اغش الناس لنفسه بالغته في معصيته وحاصل القضية الاولى الامر
بالطاعة اتم ما يكن والثانية النهي عن المعصية اتم ما يكن وترغيب في الطاعة بذكر فضيحة الغش لما ان
النصيحة محبوبة وتنفير عن المعصية بذكر غشها **الثالث** قوله والمغبون من غبن نفسه والمراد من غبنها بالمعصية
المستلزمة لدخول النار فكان الانسان يبيع شيئا من حظوظ نفسه وقد يحسبها ما يستحقه من ثواب الله
ولما كانت السعادة الاخروية اعظم ما يتنافس فيه لا جرم كان اعظم مغبون من لم يفز بها فلذلك حصر المغبون
فيه على طريق المبالغة وهو حث في معنى النهي عن المعصية وتنفير عنها بذكر غبن النفس **الرابع** قوله و
المغبوط من سلم له دينه والغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من حال او مال مع قطع النظر عن تمني زوال تلك
الحال عمن هي له وبهذا القيد يتميز عن الحسد والقضية ظاهرة جدا فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة
الكبرى الباقية مع كونها اجل ما يغبط به ويتنافس فيه لا جرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة
وترغيب في المحافظة على الدين بكون من سلم له مغبوطا **الخامس** قوله والسعيد من وعظ بغيره وقد صارت
هذه القضية في معنى المثل اي السعيد في الاخرة من اعتبر بحال غيره فشاهد بعين بصيرته مصير الظالمين
في عاقبتهم فعدل عن طريقهم وتذكر مآل المتقين فآل الى جادتهم وسلك مسالكهم وترغيب في الاتعاظ
بالغير بذكر استلزامه للسعادة **السادس** وكرر التنفير لي الاخرة من الخدع هواه وغروره وتنفير
عن اتباع الهوى بذكر الخداع والغرور **السابع** التنبيه على ان يسير الرياء شرك وقد سبق منا
بيان ان الرياء في العبادة وان قل التفات مع الله الى غيره وادخال له في القصد بالعمل والطاعة وهو في الحقيقة
شرك خفي اتفقت عليه ارباب القلوب **الثامن** قوله ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة
للشيطان اراد باهل الهوى الفساق المنقادين لدواعي الشيطان الى الشهوات الخارجة عن حدود الله ونفّر
عن مجالستهم بانها محل لان ينسى احدهما شيئا من الايمان وهو ظاهر فان اهل الهوى انما يشتغلون بذكر ما هم فيه
من لعب ولهو وخوض في اصناف الباطل وانواعه فتحي استهم عن رعيه مظنة الغفلة عن ذكر الله والانجذاب
الى ما هم عليه من الاعمال الصالحة وتناسي اركان الايمان وقواعده وقد علمت الاثر الغزلات عن النبي تؤول الى
نسيانه والمحاسن عن لوح الخيال والذكر وربما يتجوز في مطلق الغفلة عن الحق اوقات العبادة والذكر بالنسبة
لتحيه للتي يأتم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت معنى الشيطان وان كل مجلس
عصي الله فيه فهو محضر للشيطان وموطن له **التاسع** الامر بمجانبة الكذب والتنفير عنه بقوله فانه مجانب للا
يمان وهو حديث نبوي ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة داخلة في مسمى الايمان
فالصدق من جملتها ونقيضه الصدق مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للآخر فالكذب مجانب للايمان وان
لم يكن كذلك قلت ان الكذب من اعظم الرذائل الموبقة والايمان اعظم الفضائل المسعدة وبين الفضائل والرذائل

منافاة

منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته له كونه غير لائق ان يجامعه في محل
واحد وغير مناسب له والمجانبة كونه ليس منه في شيء وقد بينا ما يشتمل عليه الكذب من المفاسد المهلكة وكراهة
اولها وهو الجنة اذ الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب يكون الكاذب على شرف مهواة وهاوية اي
هوة ومهواة او محلها وهو حضيض الجحيم الذي هو محل الهوان اذ الكذب باب من ابوابها ومن انتهى الى الباب
فقد شارف الدخول وعن الرسول صلى الله عليه واله اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان
الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان
الرجل ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال صلى الله عليه الكذب راس النفاق وهو ظاهر فان
مدار النفاق على المباينة بالقلب اللسان المطابق لما في النفس وهو حقيقة الكذب **العاشر** النهي عن
الحسد وقد اتفق ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو احد العوارض
الرديئة للنفس ويتولد من اجتماع البخل والشره في النفس واعني بالشره من يلتذ طبعا بانقطاع
نفع الناس ويكره ما نزل فيهم وان كان من لا يعرفه ولم يسيئوا اليه وقد علمت ان هذه صفة مستحق للسلب
من الله عز وجل وذلك لانه مضاد لارادة الله تعالى التفضل على الكل المريد الخير المطلق الكل وقد رسم الحسد
بانه اهتمام الانسان بخير يناله غيره من حيث لم ينله هو فيتمنى زواله وقد يوجد الحسد ممن لا ينفع ما يحسده
الحسود وهي الحسد البالغ فاما تعليله وجوب قوله فانه ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب فاعلم ان العلماء
قد اتفقوا على ان الحسد مختص بالنفس والجسد اما بالنفس فلانه يفسدها ويغرق فكرها بالاهتمام بامر المحسود
حتى لا يتسع للتصرف فيما يعود نفعه عليها بل ويفني ما حصلت عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المتقدم
ذكرها ويفضي على طول تعود الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والهم لان نعم الله على عباده اكثر
من ان تحصى فاذا كان الحسد دائما انقطع وقت الحاسد به عن تحصيل الحسنات واما بالجسد فانه يعرض
له عند حدوث هذه الاعراض النفسانية طول السهر وسوء الاغتذاء ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد
المزاج اذا عرفت ذلك فنقول انه قد استعار هنا لفظ الاكل لكون الحسد ماحيا لما في النفس من
الخواطر الخيرية التي هي الحسنات وما فيها من خير وربما ملكات وذلك بسبب استغراقها في حال المحسود
واشتغالها به وشبه ذلك باكل النار الحطب ووجه الشبه ما بينهما في الحسد والنار من افناء المادة
والحطب واستهلاكه **الحادي عشر** النهي عن التباغض وتعليل ذلك بانها الحالقة واعلم انه لما كان
امر العالم لا ينتظم الا بالتعاون والتظاهر وكان التعاون انما يتم بالالفة وكان اقوى اسباب الالفة هو المودة والمحبة
فادت بين الخلق كانت المودة من المطالب المهمة للشارع ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه
لتخلص محبتهم وتصفو القلوب ويصدق بينهم التعاون والتظاهر والاتحاد في الدين وقال صلى الله عليه المؤمن
اخو المؤمن في صحيحه من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا عنه
مكروها في الشريعة لما يستلزمه من التقاطع بينهم وعدم تعاونهم وتظاهرهم وبسبب ذلك يتحفظ كل
منهم ابدا محاسبه ويتحكم فيه اهواء اعاديه فلا يسلم له دينه ولا ... بل يكون ...

وتعلله ولذلك قال عليه السلام فانها الحالقة واصل هذا اللفظ استعارتها لحلق الشعر فالموسى ونحوها للدواعي والاسباب
الشر ثم سار مثلاً وقد وقع ههنا موقعه من الاستعارة ووجه المشابهة ان الموسى مثلاً كما انها سبب لحلق الشعر
واستيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال الخلق بعضهم لبعض الثاني عشر التنبيه على مفسدة الامل
للدنيا تنفيراً عنه والامر بتكذيبه المستلزم للنهي عنه فاما مفسدته فاجمالها انه يوجب سهو العقل اي غفلته عما
هو الاولى بالانسان في معاشه ومعاده ومنوط اهوائه فان الامل انما شغل الفكر بما يأمله ويرجوه وفي كيفية تحصيله
وكيفية العمل به بعد حصوله وشغله بذلك يستلزم اعراضه عن غيره اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
الثانية انه ينسي الذكر اي ذكر الله تعالى وما بعد الموت من احوال الآخرة وذلك باستغراقه فيما يأمله
من احوال الدنيا حاشية الثالثة انه غرور وصاحبه مغرور وروي بفتح الغين من غرور وضمها ووجه الفتح
ان الامل ليس متوقفاً من الغفلة عن الذكر وغيره بل مستلزم لها فلذلك صدقت نسبة الغرور اليه ووجه
الضم انه مجاز من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه واما تكذيبه فبذكر الموت ودوام اخطاره بالبال وملاحظة
المرجع والمعاد واما سر رد الامل تكذيب له لان النفس حال توقعها للمأمول تكون حاكمة حكماً وهمياً ببلوغه
ونيله فاذا رجعت الى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان نخوتها ذلك كذبا
لما جزم به الوهم من الاحكام ورداً له وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام ومنها فصول
الفصل الاول في صفات المتقين وهو قوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبداً اعانه الله على
نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعد القرى ليومه النازل به فقرب على نفسه
البعيد وهون الشديد نظر فابصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب
نهلاً وسلك سبيلاً جدداً قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هماً واحداً انفرد به فخرج
من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر
طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو
من اليقين على مثل ضوء الشمس قد نصب نفسه لله في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع
الى اصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات دليل فلوات يقول فيفهم
ويسكت فيسلم قد اخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه العدل فكان اول
عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية الا امها ولا مظنة الا قصدها قد امكن
الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله اقول [illegible]
والفرات صادق العذوبة والنهل الشرب في اول الورد والجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان
والمنار الاعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات جمع عشوة وهي
ركوب الامر على جهل به والعشوة بالعين المهملة بين الظلمة والمبهمة الامر الملتبس والمعضلات
الشدائد وذكر من صفاتهم التي هي سبب محبة الله لهم اربعين وصفاً وقد علمت ان محبة الله تعالى
تعود الى افاضة الكمالات النفسانية على نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد لها الى جوده فمن كان

استعداده

استعداده اتم كان استحقاقه اوفى فكانت محبة الله له اكمل الاول من تلك الاوصاف كونه اعانه الله
على نفسه اي افاضة قوة على استعداد يقوى به عقله على قهر نفسه الامارة بالسوء الثاني ان يستشعر
الحزن اي يتخذه شعاراً له واراد الحزن على ما فرط في جنب الله وما اكتسب من الاثم وانه من جملة ما اعدته المعونة
الالهية لاستشعاره ليستعد به لكمال اعلى الثالث ان يتجلبب الخوف وهو ايضاً يتخذه جلباباً واستعار لفظ
الجلباب وهو الملحفة للخوف من الله والخشية من عقابه ووجه المشابهة ما اشتركا فيه من كون كل منهما
ملتبساً به وهو ايضاً معونة من الله للعبد على تحصيل السعادة الرابع زهرة مصباح الهدى في قلبه وهو
اشارة الى شروق نور المعارف الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن والخوف ولذلك عطفه
بالفاء واستعار لفظ المصباح لنور المعرفة لما اشتركا فيه من كون كل منهما سبباً للهدى ورشح استعارته
بلفظ الزهور للمعقول الخامس كونه اعد القرى ليومه النازل به واستعار لفظ القرى للاعمال الصا
لحة واراد باليوم النازل به يوم القيامة واستلزمت الاستعارة تشبيهه لذلك اليوم بالضيف او بيوم القرى
للضيف المتوقع نزوله ووجه المشابهة ان القرى كما يبيض به وجه القاري عند ضيفه ويخلص من ذمه
ويكسبه محبة والثناء كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم يكون سبباً لخلاص العبد من الهوان ويكسبه
رضى الحق سبحانه والثواب الجزيل منه السادس وقرب على نفسه البعيد يحتمل وجهين احدهما
التقريب بالبعيد اي رحمة الله فانها بعيدة من غير مستحقها والمستعد لقبولها قريبة من حسن عمله
وكمل قبوله فالعبد اذا ارتاض بالاعمال الصالحة نفسه واعدها لقبول نوره كانت رحمة الله على غاية القرب
منه كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد بالبعيد امله الطويل في الدنيا
وبتقريبه له على نفسه تقصيره له بذكر الموت دون بلوغه كما سبق السابع كونه هون الشديد ويحتمل
ايضاً معنيين احدهما ان يريد بالشديد اهوال الآخرة وعذاب الجحيم وتهوينها بالاعمال الصالحة واستشراف
انوار الحق وظاهر كونها مهونة لشديد عذاب الله الثاني ان يريد بالشديد شدائد الدنيا من الفقر
والاهتمام بالمصائب التي تنزل به من الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه لذلك تسهيله على خاطره
واستحقاره في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعد له من الثواب الجزيل في الآخرة كما قال تعالى
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم و
رحمة واولئك هم المهتدون الثامن كونه نظر اي تفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء فابصر اي فشاهد الحق سبحانه في عجائب مصنوعاته بعين بصيرته التاسع وذكر فاستكثر
اي ذكر ربه ومعاده فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له وتجلى المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره والا
ستكثار من الذكر باب عظيم من ابواب الجنة العاشر كونه ارتوى من عذب فرات شبه العلوم و
الكمالات النفسانية التي تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذوبة والفرات ورشح بذكر
الارتواء للاستعارة وقد سبق وجه هذه الاستعارة مراراً الحادي عشر كونه سهلت له موارده التي يرد منها
بفيض السبق في طريق الله لا ينفك عن تأييد الهي يحمله عليه فيكون همه بها سرعة الاستعداد

لنبوب الكمالات الموصلة اليه اذا عرفت ذلك فنقول مواهب تلك الكمالات من العلوم والا
خلاق في معادنها ومواطنها المتنوعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدي بها ويؤخذ عنها انوار الله كالاتية
ومصدق تلك المواهب ايضا على بدايع صنع الله التي يرد بها ذهن العبد ويكتسب بها الملكات الفاضلة ويهتو لتلك
المواهب هذه شرعة قبولهم لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذنها بناصبا فيتهيا بها العناية الالهية لقبولها في
سرها لانه **الثاني عشر** مشرب سهلا اي اخذ تلك الكمالات سابقا اليها كثيرا من ابنا نوعه وستقدما
فيها بسهولة موردها عليه وهي الفاظ مستعارة لاخذها وسبقه اليها ملاحظة لتشبيه بشرب السوابق
من الابل الي الماء **الثالث عشر** كونه قد سلك سبيلا جددا اي سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين طرفي
التفريط والافراط **الرابع عشر** كونه قد خلع سرابيل الشهوات اكثر الاوصاف السابقة اشارتها
الي تحصيل العلم والاستعداد له واشار بهذا الوصف الي طرف الزهد واستعار السرابيل للشهوات
ووجه المشابهة تلبس صاحبها بها تلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع وكني به عن طرحه لاتباع الشهوات
والتخلي عنها فيها نخرج به عن حد العدل **الخامس عشر** وتخلي من الهموم اي من هموم الدنيا وعلايق
اخرالها وطرح كل مقصود من قصد الا الله واحدا انفرد به وهو الوصول الي ساحل عزة الله وتوجيه بسره
الي مطالعة انوار كبرياية واستشرافها وهو تمام الزهد الحقيقي وظاهر كونه منفردا به عن غيره من
ابناء نوعه **السادس عشر** فخرج من صفة العمي اي عمي الجهل بما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن
مشاركة اهل الهوى اي في اغراضهم ومجوزهم اذ هو على حاق الوسط من فضيلة العفة **السابع عشر**
فصار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي طرقه وسبل المعرفة المقبول بهذا به وقد وقف
عليها العارفون ودخلوا منها الي حضرة جلال الله فوقفوا علي مراحلها ومنازلها ومحاوفها فصاروا مفاتيح
لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح فيها لنفوس الجاهلين ولفظ المفتاح مستعار
للعارف ووجه المشابهة ظاهر **الثامن عشر** ومغاليق ابواب الردي فابواب الردي هي اطراف
التفريط والافراط والمسالك التي يخرج فيها عن حدود الله المؤدي سلوكها في قرار الجحيم والعارف لما شانه
ابواب المنكر ان سلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لا جرم اشبه المغلاق الذي يكون سببا لسد
الطريق ان تسلك فاستعير لفظه له ويرجع التدبير بمطابقة المغاليق بازاء المفاتيح والردي بازاء
الهدى **التاسع عشر** قد ابصر اي بعين بصيرته طريقه اي المامور بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية اليها وهي
صراط الله المستقيم **العشرون** وسلك سبيله اي لما ابصر السبيل سلكها اذ كان السلوك هو المقصود
الاول **الحادي والعشرون** وعرف مناره لما كان السالك الي الله قد يستقيم به طريق الحق اتفاقا وذلك
كسلوك من لم يستكمل قوته النظرية بالعلوم وقد يكون سلوكه بعد استكماله بها فالسالك لذلك قد عرف
بالبرهان مناره اي اعلامه المقصوده في طريقه التي هي سبب هدايته وهي القوانين الكلية العلمية ويحتمل
ان يريد بالبرهان ما يقتضيه بسلوكه وهو حضرة جلال الله وملائكته المقربون **الثاني والعشرون** قد قطع غماره
واشار بالغمار الي ما كان مغمورا فيه من شهوات الدنيا وهمومها والتام بسبب فقدها ومجاذبة اهلها لها فان

العارف بمعزل عن ذلك والتام بسببه **الثالث والعشرون** واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها
اراد باوثق العرى وامتن الحبال سبيل الله واوامره استعارة ووجه المشابهة ان العروة كما تكون سببا للنجاة من
تمسك بها وكذلك الحبل وكان الجود ما ثبت ومتن ولم ينقطع كذلك طريق الله المؤدي اليه يكون الدوام في
التمسك باوامره سبب النجاة من اهوال الآخرة وهي عروة لا انفصام لها واوامره حبال لا انقطاع لها واليها
الاشارة بقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (ن)
الرابع والعشرون فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس اي فكان من تمسكه باوامره ونواهيه ومجاهدته
في سبيله قد استشرق انوار اليقين فصار شاهدا بعين بصيرته عالم الملكوت رائيا بها الجنة
والنار عين اليقين كما يرى بعين الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء **الخامس والعشرون** قد نصب نفسه
لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله اي لما كمل في ذاته نصب نفسه لارفع الا
مور من هداية الخلق وافادتهم القوانين طريق الله فصار كالمصباح يقتبس منه انوار العلم فهو لكونه مليا بها
قايم باصدار الاجوبة عن كل ما يرد عليه من الاسولة التي استبهم امرها على الاذهان وافي برد كل فرع من فروع
العلم الى اصله المتشعب عنه **السادس والعشرون** كونه مصباح ظلمات اي يهتدي به الناس في ظلمات الجهل
الى الحق ولفظ المصباح مستعار له كما سبق **السابع والعشرون** كونه كشاف عشوات اي موضع
لما اشكل امره وارتبك فيه الجهل من الاخفاء الملتبسة ممثل الوضوح الحق بها ومن روى بالعين المعجمة فالمراد
كشاف اغطية الجهالات عن ابصار البصاير **الثامن والعشرون** وكذلك كونه مفتاح مبهمات اي فاتح لما انغلق
على اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام **التاسع والعشرون** كونه دفاع معضلات اي يدفع
كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع صعب على الطالبين تبين وجه الحق فيه وبحيرهم ببيانه عن
التردد فيه مهاوي الجهل **الثلاثون** وكذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهي
الامور المعقوله ووجه المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدي لسلوكها الا بالادلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا
مراحلها ومنازلها حتى كان من لا قايد له منهم فيها لا بد وان يتيه فيها ويكون جهله بطرقها سببا لهلاكه
كذلك الامور المعقولة المعقوله لا يهتدي لطريق الحق فيها الا من اخذت العناية الالهية بيده فالقت
زمام عقله الى استاد مرشد يبين له سبل الحق منها ومن لم يكن كذلك حتى حاد عن طريق الحق فيها خبط
في ظلمات الجهل خبط عشوا وسلك به شياطينه ابواب جهنم والعاهدون من اولئك الذين هم هدى الطريق والوا
قفون على اخطارها ومنازل السلامة فيها يحيون بمصابيحهم **الحادي والثلاثون** كونه يقول فيفهم وذلك
لشاهدته عين الحق من غير شبهة تعتريه فيما يقول ولا اختلاف عبارة عن جهل بالمقول **الثاني والثلاثون**
كونه يسكت فيسلم اي من خطر القول ولما كانت فايدة القول الافهام والافادة وفايدة السكوت السلامة من افات
اللسان وكان كلامه في معرض المدح لا جرم ذكر نتايج فايدتهما والمقصود ان العارف يستعمل كلا من القول والسكوت
في موضعه وعند الحاجة اليه **الثالث والثلاثون** كونه قد اخلص لله فاستخلصه وقد عرفت ان الاخلاص
لله هو التفرد اليه مع حذف كل خاطر سواه عن درجة الاعتبار واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين

ابنائه لو عند بالوصي عنه وافاضته انواع الكمال عليه وادنائه الى حضرة قدسه وانفراده بمناجاته وظاهر ان العلم
سبب استخلاصه كما قال تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من
جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الرابع والثلاثون فهو من معادن دينه استعار لفظ المعدن له
ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما اصلا ينتزع منه الجواهر فمن المعادن انواع الجواهر المحسوسة
ومن نفس العارف جواهر العلوم والاخلاق وسائر ما اشتمل عليه دين الله الخامس والثلاثون كونه من اوتاد
ارضه استعار له لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما سبب لحفظ ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود
وبالعارف يحفظ نظام الارض واستقامة امور هذا العالم وقد سبق مثله في قوله في الخطبة الاولى ووتد
بالصخور ميدان ارضه السادس والثلاثون كونه قد الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه لما
كان العدل ملكة تحت عن الملكات الثلاث وهي الحكمة والعفة والشجاعة وكان العارفون قد راضوا انفسهم با
لعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات الخلقية لا جرم كان جميعهم في حصولها قد الزم نفسه العدل ولما
كان العدل في القوة الشهوية وسوانا بصيرة عفيفة لا يجاوز الشهوة ولا فاجرا اصعب من العدل على سائر
القوى لكثرة موارد الشهوة وميلها بالانسان الى طرف الافراط وكان الثاني اللتي المباح من الواردة في الشريعة
من موارد الشهوة لا جرم كان مقتضى المدح انه بدا بذلك نفي الهوى عن نفسه ولان اشارت الاولى بداية في تكميل
القوة العملية باصلاح القوة الشهوية فيقف عند حده ولا يتجاوزها في ماكول او منكوح او ملبوس ونحوه
السابع والثلاثون كونه يصف الحق ويعمل به اي يتبع قول الحق بعمله فان الخلف في القول عند الخالق قبيح
ومع الله اقبح ولذلك عاتب الله المؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون وكانوا قالوا لنفعلن في سبيل الله ما فيه رضاه فلما كان يوم احد لم يثبتوا واكد عتابه بشدة
مقته لخلفهم وعدم مطابقة افعالهم لاقوالهم الثامن والثلاثون كونه لا يدع للخير غاية الا امها لما فرغ من عد
اوصافه المعارف شرع فيها اجمالا فذكر انه طالب لكل غاية خيرية اي لا يقنع ببعض الحق ويقف عنده
بل يتناهى فيه ويستقصي غاياته التاسع والثلاثون ولا مظنة قاصد لكل مطلب له ومظنته كل محل
امكن ان يتوقع منه ويستفيده فالاولياء وصحبة الذين وغيرهم الاربعون كونه قد امكن الكتاب
من زمامه فهو قائده الى اخره فتمكينه الكتاب كناية عن الانقياد لما اشتمل عليه من الاوامر والنواهي واستعار
لفظ الزمام لعقله ووجه المشابهة ما اشتركا فيه من كون كل منهما الة للانقياد وهي استعارة للفظ المحسوس
للمعقول وكذلك استعار لفظ القائد للكتاب لكونه جاذبا بزمام عقله الى جهة واحدة مائلا له عن الانحراف عنها
وكذلك لفظ الامام لكونه مقتدى به وقوله يحل حيث حل ثقله وينزل استعار وصفي الحلول والنزول له التي
هي من صفات المسافر التي يحلو حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره الى
الله بحيث لا ينفك عنه وجودا وعدما وبالله التوفيق الفصل الثاني قوله واخر قد تسمى عالما بلغ
وليس به فاقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال ونصب للناس اشراكا من حبال غرور وقول زور
قد حمل الكتاب على ارائه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول اقف عند

الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف
باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه وذلك ميت الاحياء اقول وهذا الفصل في صفات بعض
الفساق في مقابلة الموصوف السابق وخصص من تسمى عالما وليس بعالم بالذكر في معرض الذم لانه اشد
فتنة واقوى فسادا في الدين لتعدي فتنته من نفسه الى غيره وذكر له اوصافا الاول كونه قد تسمى عالما
وليس بعالم طلبا للرياسة وتحصيل الدنيا وهذا الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم معذورون الثاني كونه
قد اقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال والجهائل جمع جهالة والمراد الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير
المطابق لما في نفس الامر وهذا الوصف اضطراب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية
لان الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا على وجه التعلم والتعليم والاضاليل من لوازم الجهالات وهي الانحراف
عن سواء السبيل وانما قال من جهال ومن ضلال ليكون اثبات الجهل والضلال له اكد فان تلقفها
عن الجهال الضلال واعتقاد مثلها اسد ورسخ في النفس من سائر الجهالات الثالث كونه قد نصب للناس
اشراكا من حبال غرور وقول زور استعار لفظ الاشراك والحبال لما تقرر على النفوس الناس من
الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة ما اشتركا فيه الشرك من الحبال وغيره وسائرها يجذب
بها الخلق من اقوالهم وافعالهم ولكونها محصلة للوصف كالشرك للصيد وغرور يعولا لقلوب الخلق ورغ
لهم استعارة لذلك النصب الرابع قد حمل الكتاب على ارائه اي على تفسير كتاب الله تعالى مذاهب
محبة ويكيف منها ما يعتقده المجسمة من ظواهر السنة بتجسيم الصانع جل قدرته وتفسيرهم للكتاب
على ما اعتقدوه بطالة ءامهم الخامس وعطف الحق على اهوائه من فسر الفاظ القران على حسب عقيدته
الفاسدة ورايه الباطل فقد عطف الحق على هواه اي حمل كل دعوى لصحة تبع بتاويل شا ولو اتبع الحق اهوائهم
لفسدت السموات والارض ومن فيهن السادس كونه يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم اي يسهل
على الناس امر الاخرة وموضع يحتاجون فيه الى ذلك وعبادة وتذكيرهم باليم عقابه كما يخطئ الى ملوك
ويطعوا عن عقابه الله تعالى ومناهيه فاذا احضروا مجالس جهال الواعظين ما لوتهم الى توسلوا الى استجلاب
قلوبهم وتشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بان ذكروا لهم مواعيد الله كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا
ونحوه فيهون عليهم بذلك عظيم الوعيد واهوال الاخرة ويصغر عندهم جرائمهم التي ارتكبوها في جنب ما قصدوه
من الوعد الكريم ويساعدهم بميل طباعهم الى المشتهيات الخارجة عن حدود الله فيتجاوزوا ما اقتروقوه ولا
كذلك العالم اذ من شانه ان يستعمل كلا من ايات الوعد والوعيد في موضعها كي يبقى السامعون بين خوف ورجاء فلا
ينهمكوا في اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا يقنطوا من رحمة الله نظرا الى الوعيد السابع يقول اقف
عند الشبهات اي اذا التبس الامر فيه شبهة لا اقدم عليه ومنها وقع وذلك لجهله بمواقع الشبهة وغيرها
الثامن يقول اعتزل البدع اي ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها اضطجع كنى باضطجاعه
بين البدع عن تورطه فيها كناية بالاستعارة وذلك ايضا لجهله باصول الشريعة وكيفية تفريعها التاسع
فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان اذ لا يمكن الحيوان غير الانسان كما هو مختص به في العرف فاطلق

على قلبه انه قلب حيوان كالجماد ويجوز لما بينهما من المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول المعارف والعلوم ثم
سلبهما الى المهوات العاشر كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه اي لا يعرف لجهله
قانون الهداية الى طرق الحق فيسلكه ولا وجه دخوله في الباطل فيعرض عنه وذلك ان الجاهل الجهل المركب
لما حاد عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم ان يعرف باب الهدى او الوصول اليه
فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع ان يعرف مبدأ دخوله في الجهل
وهو باب العمى فامتنع منه ان يصد عنه ثم حكم عليه لاجل تلك الاوصاف انه ميت الاحياء اما كونه ميتا
فلان الحياة الحقيقية التي تطلب لكل عاقل والتي وردت الشرائع والكتب الالهية بالامر بتحصيلها هي
حياة النفس باستعمال الفضائل التي هي سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل المركب هو الموت
المضاد لتلك الحياة فالجاهل بالحقيقة ميت واما انه ميت الاحياء فلانه في صورة حي الفصل الثالث
قوله فاين تذهبون واني تؤفكون والاعلام قائمة والايات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف
تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن و
ردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله انه يموت من مات
منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من
لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان
ووقفتكم على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي و
اريتكم كرائم الاخلاق من نفسي فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل اليه الفكر
اقول تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد
ولده والذي بني عمه والهيم الابل العطاش واعلم انه لما قدم المتقين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم ثم كان
في ذكرهما تنبيه على وصفي طريق الحق والباطل ولوازمهما فلذلك اعقبها بالتنبيه على كونهم في ضلال وتيه
وعمى عن الحق ثم بالتوبيخ والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليلزمهم ويلزمهم سلوك
طريق اهل التقوى وينفروا عن ضلالهم الى اقتباس انوار الحق من اهله فقوله اين تذهبون الى قوله منصوبة
سؤال عما يذهبون اليه عن وقت صرفهم عن ذلك الى سواء اعني سبيل الانكار لما هم عليه من الطريق
الجائر والواو في قوله والاعلام للحال واشار بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها وكذلك المنار ونصبها
قيام الائمة بينهم ووجودهم فيهم ثم اردف بالاستفهام عن الام والتعجب منه بتنبيه فقال فاين يتاه
بكم وكيف تعمهون ونبه به على ان الذهاب الذي سالهم عنه هو تيه في الضلال وحيرة في الجهل والتردد
في العمى وتبين منه ان قوله واني تؤفكون اي متى تصرفون عن نبيكم وذهابكم في الضلالة وقوله وبينكم
عترة نبيكم الواو للحال ايضا والعامل تعمهون ويتاه بكم وكذلك الواو في قوله وهم ازمة الحق والمعنى
كيف يجوز ان تتيهوا وتترددوا في ظلمات الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته عليهم السلام
واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
اهل

اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض واستعار لهم لفظ الازمة ووجه المشابهة كونهم قادة الخلق الى طريق
الحق كما يقود الزمام الناقة الى الطريق وكذلك استعار لهم لفظ الالسنة ووجه المشابهة كونهم تراجمة الوحي
كما ان اللسان ترجمان النفس ويحتمل ان يريد بكونهم السنة الصدق انهم لا يقولون الا صدقا وقوله
فانزلوهم باحسن منازل القرآن فاعلم ان للقرآن منازل القلب وهو فيه منزل لبيب احدها منزلة الاكرام
والتعظيم والثانية منزلة الحفظ والمطالعة دون تعظيم الثالثة منزلته في الوجود اللساني بالتلاوة الرابعة منزلته
في الدفاتر والكتب واحسن منازله هي الاولى والمراد اذن الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن
بالمحبة والتعظيم وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى اقتباس العلوم والاخلاق منهم اذ
كانوا معادنها ولما كانت العلماء والائمة تشبه بالينابيع والعلم يشبه بالماء العذب وكانت نفوسهم بالعطشان حسن
منه الامر لهم بورودهم وان يشبه الورود المطلوب منهم بورود الابل العطاش وقوله يا ايها الناس الى قوله
وليس ببال لما كان عليه السلام في معرض ذكر العترة فكانها قد تقدم ذكرها فلذلك حسن اعاد الضمير في قوله خذوها
وان لم يسبق لها ذكر واشارة النبي صلى الله عليه وآله بهذه الكلمة تفسير لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الاية ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية
ان اولياء الله لا يموتون ولا يبلون وان بليت اجسادهم قال بعض الشارحين فيما لا يعنيه في
بلي من بلي منا نص جلي على ان اجساد الاولياء تبلى وذلك يخالف ما يعتقده الناس ايمانا من قول
الرسول صلى الله عليه وآله في قتلى بدر زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون يوم القيامة واوداجهم تشخب دما وقوله
تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية وليس ولا واحد منهما يدل على ان الاجساد لا تموت ولا تبلى
اما الخبر فليس مقتضاه انها تبقى صحيحة تشخب دما الى يوم القيامة بل ذلك مما يشهد ببطلانه الحس بل لعل
المراد انها تعاد يوم القيامة تعاد مجروحة تشخب جراحها دما كهيئتها يوم موتها واما الاية فالذي اجمع عليه علماء
المفسرين ان الحياة المذكورة فيها هي حياة النفوس وهو ظاهر في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار
الجنة فتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم
ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب فقال
الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فنزل ولا تحسبن الذين قتلوا الاية فاذن الاستاذ بيت كلامه عليه السلام وما ورد
في القرآن والخبر ومقصوده بهذه الكلمة تقرير فضيلتهم وانهم اولياء باقون عند ربهم في ظل كرامته وقوله
فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغي ان يقال وقوله فان اكثر الحق فيما
تنكرون تاكيد للامر بالتثبت في الاقوال والنهي عن التسرع اليها والجاهل قد يستنكر الحق اذا كان لفظه
او معناه عنده من غير اعتقاد صحته اليه بشبهة او تقليد فنبه على ان اكثر الحق فيما تنكرونه لئلا يتسرعوا
الى القول عن غير علم والذب ذلك هذه القضية مرتبة بعبارة التعليل وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه
وهو انا طلب منه الم العذر منهم فيما يلحقهم من عذابنا بسبب تقصيرهم فان العذر لا حجة لهم قد اعذروا

والمنة الاصغر من الله عليهم في ... الايمان عن ...

به وتوعدوا عليه فلو قصر منه عليهم في تذكيرهم بتلك الوعيدات والانذارات مع كون ذلك ماخوذا عليه من الله تعالى
لكانت حجتهم عليه قائمة ولما كان قد اعذر لهم بما بلغ وحذره وقد اعذر من انذر ولما ذكرهم تنبيه الحجة عنه في ذلك فيما ذكرنا
خطابهم ولعلهم يرجعون **وقوله** الم اعمل فيكم الى قوله فيه تفصيل لما احتج به من الجواب الى انه قد اعد
اليهم بما ولي بلفظ الاستفهام على سبيل التقريع والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله وشانه ركزها فيكم
اي انه الاصل المتبع المقتدي به والثقل الاصغر الواضحة في الفعل بكتاب الله وسنة رسوله كناية باستعارة وجه
المشابهة كون طريقته يهتدي بها الى سلوك سبيل الله كما يهتدي بالاعلام والرايات امام الجيش وغيره ولفظ
الركز ترشيح للاستعارة كنى به عن ايضاحها لهم وتوقيفه على حدود الحلال والحرام تعريفهم اياها
واراد بالعافية السلامة من الاذى الحاصل من ايدي الظالمين واستعار لفظ اللباس لها ووجه الاستعارة ان
العافية تشمل المعافى كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش للمعروف لكونه اراد وطيئا قواعده
يستراح به كالفراش **وقوله** واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي اي اوضحتها لكم وشاهدتموها مني متكررة
وقوله فلا تستعملوا الراي الى اخره نهي لهم عن الاشتغال بالخوض في صفات الله والبحث عن ذاته على غير
قانون واستاذ مرشد بل بمحض الراي والتخمين فان تلك الدقايق لما كانت لا ساحل لها ولا غاية يقف
الفكر عندها وان تغلغل في اعماقها وكانت مع ذلك في غاية الغموض والدقة وكثرة الاشتباه كان تداولهم للا
شتغال بها مؤديا الى الخبط وافتراق المذاهب وتشتت الكلمة والاشتغال بذلك عن الانتظام في سلك
الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينتسب الى العلم بجملته وكل ذلك ضد مطلوب الشارع فان الالفة والاتحاد في الدين
من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق دقايق العلم وتفريع الفقه على غير قانون من امام هدى بل بالراي
عن ادلة وهم **وقوله** حتى يظن الظان ان الدنيا معقولة على بني امية تمنحهم درها وتوردهم صفوها
ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولا سيفها فكذب الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها
برهة ثم يلفظونها جملة **وقوله** معقولة محبوسة والمجة الفعلة من مج الشراب اذا قذفه من
فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ لفظ الماء من فيه وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني
امية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم **وقوله** حتى يظن الظان الى قوله سيفها غاية من غايات طول عنا الناس
معهم واستعار للدنيا اوصافا ثلاثة احدها كونها معقولة ووجه الاستعارة ملاحظة شبهها بالناقة في
كونها محبوسة في ايديهم كما تحبس الناقة بالعقال الثاني كونها ذات در تمنحهم اياه ووجه الاستعارة ايضا
تشبيهها بالناقة في كون ما فيها من فوايدها وخيرها ماهية لهم ومصبوبة عليهم كما تبذل الناقة درها لحالبيها
الثالث كونها توردهم صفوها ونسبة الايراد اليها مجاز ويجوز بالسوط والسيف عما فيه الامة معهم من
العذاب والقتل ونحوه استعمالا للفظ السبب في المسبب **وقوله** وكذب الظان لذلك اي لزوال
ما عساه يظن من ذلك بتحقيق ما حصلوا عليه من الامر ولذتهم به وتحقيق مدته واستعار لذلك لفظ
المجة ولفظ بكونها مطعومة لهم عن تلذذهم بها مدة امرتهم وبكونها ملفوظة عن زوال الامر عنهم والله ...
بقوله جملة اي بكليتها وهي كناية بالمستعار تشبيهها بالقمة التي لا يمكن اساغتها وبانها اللتي ينفق

ومن

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل
ورخاء ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء وفي دون ما استقبلتم من عتب وما استدبرتم من خطب
معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر ببصير فيا عجبا ومالي لا اعجب من
خطا هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغيب
ولا يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم
ما انكروا مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على ارائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه
قد اخذ منها فيما يرى بعرى ثقات واسباب محكمات **اقول** القصم بالقاف الكسر والازل
بفتح الهمزة الضيق والشدة واقتص اثره تبعه ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على اختلاف ارائهم في الدين
واستبداد كل منهم بمذهب بحسب ما يرى في المسايل الفقهية وغيرها مع وجوده عليه السلام بينهم واعراضهم عن مراجعته
مع علمهم بقيامه بذلك **وقوله** اما بعد الى قوله بسميع صدر هذه الخطبة وكانه عليه السلام فهم ممن خرجت هذه
الخطبة بسببه انهم انما يستبدون بارائهم دون مراجعته عن كبر منهم على التعلم والاستفادة ووجد انه الاحق
من حمل كلفة التحري في الدين والتحرز من الغلط فيه ومشقة الطلب فلذلك حذرهم من حال الجبابرة وان
يبيدهم بترك قواعد الدين الى ارائهم المتفرقة فيستعدوا للهلاك بقوله انه لم يقصم جباري دهر الا بعد امهالهم
وامكانهم فانهم اذا امهلوا واغتروا فيما هم فيه من الرخاء والترف اعرضوا عن الاخرة ونسوا ذكر الله تعالى
فاستعدوا بتركهم لقوانين الدين التي بها نظام العالم للهلاك كما قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكذلك قوله ولم يجبر عظم احد من الامم
الا بعد ازل وبلاء كنى بجبران العظم من قوتهم بعد الضعف كناية بالمستعار وصدق هذه القضية ظاهر
فان احداث الامم المتبعين لانبيائهم او لملوكهم في اظهار دين او طلب ملك لن يصلوا الى مطلوبهم الا بعد قوتهم
واتفاقهم وتظاهر بعضهم ببعض ومعاناة بلاء وازل بحيث يستعدون بذلك للفزع الى الله تعالى فيهبهم
نعمهم القبول الالهي ويعدها باجتماع عزايمها لقبول صور النصر وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد في الدين
وعدم تشتت الاراء فيه فان ذلك يدعوا الى التحزب والتفرق ويدخل عليهم الوهن والضعف وكل ذلك
ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل ان يكنى بقوله لم يقصم جباري دهر عن جبابرة وقته كمعاوية واصحابه
القاسطين وبجبر احداث الامم الا بعد ازل وبلاء عن اصحابه فنبههم بالكلمة الاولى عن ان اولئك الجبابرة وان طالت
مدتهم فعرضت شوكتهم فانما ذلك املاء من الله تعالى لهم ليستعدوا به للهلاك وبالكلمة الثانية على انكم وان ضعفتم
وابتليتم فذلك عادة الله فيمن يريد ان ينصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على الخلاف وتشعب الاراء والمذاهب
بالعرب لما ان ذلك يودي الى طول محنتهم وضعفهم عن مقاومة عدوهم **وقوله** وفي دون ما استقبلتم
من عتب اي من عتاب لكم واستدبرتم من خطب اي من الاهوال اللتي كنتم تردونها من المشركين في مبدا الاسلام حيث
كنتم قليلين وارجو ان يثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم ايدكم بنصره وبات ... قلوبكم وحبب عليكم
الاسلام وفضل في دينكم وذلك اي معتبر وفيه اي اعتبار فانكم لو لم تتحدوا وتتفقوا اسوا امراة ذلك الصعب

واختلفت اراؤكم في ذلك الوقت كما اختلفوا الآن ولكنتم اذن على غاية من الكرم لم تغن عنكم لشمالكم شيئا فكانه
قال فيجب من ذلك الاعتبار ان الائمة قوائم الراي وان تتحدوا في الدين وتراجعوا علمكم باصوله وفروعه
وقوله ما كل ذي قلب بلبيب الى قوله ببصير اراد بذي القلب الانسان وظاهر ان الانسان قد يخلو عن
اللب واراد باللب العقل والذكاء واستعماله فيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي وبالجملة فاللبيب من ينتفع بعقله فيما
خلق لاجله وكذلك السميع والبصير بما الذان يستعملان سمعهما وبصرهما في استفادة العبر واصلاح امر المعاد
وهو قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها وقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وغاية هذه الكلمات تحريك التقويم الى
الاعتبار وكيلا يعتد انسان انه غير لبيب ولا سميع ولا بصير **وقوله** فيا عجبا الى اخره اردف تعجبه بما يصلح جوابا
سؤال مقدر بما يتعجب منه وكانه فهم من تقدير ذلك السؤال تعجب السائل من تعجبه المستلزم لتنزيهه وتفحصه
حتى كان السائل قال ومم تعجب وعلام هذا التعجب والاسف فقال ومالي لا اعجب من خطاء هذه الفرق
الفصل ثم شرع في تفصيل الخطايا والمذام التي كان اجتماعها فيهم سبب التعجب منهم فاشار الى تركهم
ما لا ينبغي ثم ازوقه بذكر فعلهم لما لا ينبغي وقدم على الكل ذكر اختلاف حججهم في دينهم وذلك هو الاصل الذي
نشات عنه اكثر هذه الرذائل فاسادكم لما لا ينبغي فنفي صنوا اجد اصابه كلهم لاقتصاص اثر نبيهم فانهم
لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فيما جا به كما سبق بيانه لكنهم اختلفوا فلم يقتصوا اثر نبيهم الثاني
تركهم الاقتداء بعمل الوصي ومتوالاته الى نفسه وهذه اقطع لاعذارهم فان الاختلاف في الدين قد يعرض عن عروض
شبهة عدم اصابة الكل الحق مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في التوقيف على اسرار الشريعة فاما اذا كان الموقف
موجودا بينهم كملا عليهم امتنع ان يقعوا في تلك الضرورة فيعتذروا بها في الاختلاف الثالث تركهم الايمان
بالغيب اي التصديق به والطمانينة في اعتقاده وللمفسرين في تفسير الغيب اقوال احدها عن ابن عباس
هو ما جاء من عند الله الثاني عن عطاء هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الآخرة والثواب والعقاب
والحساب الرابع قيل يؤمنون بظهر الغيب كقوله تعالى يخشون ربهم بالغيب اي لا يحفظون سرائرهم
الايمان في غيب بعضهم عن بعض الخامس عن ابن عيسى اي ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل
السادس عن الاخفش يؤمنون بما غاب عنهم من متشابهات القرآن السابعة تركهم العفة
عن عيب ومنوات ذلك الى الغيبة وظاهر انها فجور وعبور الى طرف الافراط من فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغي
فامور احدها انهم يعملون في الشبهات اي لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يبحثون عن وجه الحق
فيه بل يعملون فيه بما قادتهم اليه اهواؤهم الثاني كونهم يسيرون في الشهوات لما لحظ مشابهته بيل قلوبهم
الى شهواتها الدنيوية وانهماكهم فيها قاطعين مراحل الاوقات باللذة بها بالسلوك السابح في الطريق ويخوضها
استعار لذلك السلوك لفظ السير الثالث كون المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اي ان
المعروف والمنكر تابعان لاراداتهم وميولهم الطبيعية فما انكرته طباعهم كان هو المنكر بينهم وان كان معروفا
في الشريعة وما اقتضته طباعهم ومالت اليه كان هو المعروف بينهم وان كان منكرا في الدين والواجب ان

تكون

تكون اراداتهم وميولهم تابعة لقوانين الشريعة في اتباع ما كان فيها معروفا وانكار ما كان فيها منكرا الرابع
كون مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على ارائهم وهو كناية عن كون احكامهم في كل ما يرد عليهم
من مشكلات الدين وشبهاتهم من احكامهم تابعة لاهوائهم لا بحسب ما يقتضيه قانون شرعي بل بحسب ما اشتهته انفسهم
من الامارة بالسوء التي هي منبع الاهواء والمنى المتبعة الخامسة تقليد الائمة التي ترجع اليهم في استفادة الاحكام فكل
منهم يأخذ من نفسه اي يحكم فيما يراه ويحكم بارائه كانما عقل عرى وثيقات اي لا يفضل من تمسك بها واسبابا
محكمات اي نصوص جلية وظواهر واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى المحكم ولفظ العرى مستعار
وقد سبق وجه الاستعارة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ارسله على حين
فترة من الرسل وطول هجعة من الامم واعتزام من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا
كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام
الهدى وظهرت اعلام الردى فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة و
شعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي اباؤكم واخوانكم
بها مرتهنون وعليها محاسبون ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب
والقرون وما انتم اليوم من يوم كنتم في اصلابهم ببعيد والله ما اسمعكم الرسول صلى الله عليه
وآله شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم اليوم بدون اسماعكم بالامس ولا شقت لهم الابصار وجعلت
لهم الافئدة في ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان ووالله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه
ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل
الغرور فانما هو ظل ممدود الى اجل معدود **اقول** الفترة ما بين زماني الرسالة والهجعة النومة والا
عتزام العزم وروي اعتزام الفتن بالراء المهملة اي كثرتها وروي اعتراض من اعترض الفرس الطريق
اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتهجم العبوس والاحقاب جمع حقب بضم الحاء
والقاف وهو الدهر والبطان حزام القتب الذي يجعل تحت بطن البعير وصورة هذا الفصل تذكير بنعمة الله تعالى التي
كانوا فيها من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله فاشار اولا الى النعمة المذكورة ثم اردفها بالاحوال
المذمومة التي تبدلت بتلك النعمة الجسيمة وعدد منها امورا احدها الفترة من الرسل وطول
خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة تلحق ذلك
الزمان لما فيه من الانقياد ما يلحق زمان وجود الرسول من المدح الثاني طول الهجعة من الامم وكنى بها
عن الغفلة في امر المعاد وسلوك المصالح التي تنبغي الثالث الاعتزام من الفتن اما على الرواية
الاولى فنسبة العزم الى الفتن مجاز لكن بوجه وقرعها بين الخلق المشبه لقصد كما ايام وعلى الرواية الثانية
فعلى كثرة من الفتن وعلى الرواية الثالثة فالمعنى ان الفتن لما كانت غير واقعة على قانون شرعي
ونظام عقلي وذلك حيث فقده الاهم اشبهت المعترض في الطريق من الحيوان الماشي على غير استقامة
استعير لها لفظ الاعتراض الرابع وعلى انتشار الامور اي تفرق امور الخلق واحو

لعلـ

وما تنقل [illegible]

وجريانه انعاهت على غير قانون عدل العاصي التلظي من الحروب وقد سبق تشبيه الحرب بالنار
فلذلك اسند اليها التلظي على سبيل الاستعارة وكنى به عن هيجانها وتوجه ازمان الفترة السادس
والدنيا كاسفة النور والواو للحال اي كاسفة نورها ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء وما يأتون به من الشرائع
وما ينتج منهم من الاولياء والعلماء كناية بالاستعارة ووجه المشابهة ما يستلزمه النور ووجود الانبياء والشرائع
من الاهتداء بهما ورشح تلك الاستعارة بذكر الكسوف وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس
السابع ظاهرة الغرور اي خلل قد اغتر بها قوم لمكنه في سيئاتها واخذ عنه مجرا وعنها الثامن
اوبيل على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها واستعار لفظ الثمر والورق لمتاعها
وزينتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت وعدم طلاوة عليهم اذ من خشونة
مطاعمهم كما يعجب حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا يلتذ بالنظر اليها وعني بالاياس من ثمرها انقطاع امال
العرب اذ ذاك من الملك والدولة وما يستلذ منه من الحصول على طيبات الدنيا ولذلك استعار لفظ الماء
لموادّ متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من صنف التجارات والمكاسب وعدم
الملك للامصار ونحو ذلك لعدم النظام العدلي بينهم وكلها استعارات بالكناية ووجه الاستعارة الاولى
ان الورق كما انه زينة الشجرة وبه جمالها كذلك لذات الحياة الدنيا وزينتها ووجه الثانية ان الثمر كما انه مقصود
الشجرة غالباً وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به مقصود والمطلوب منها لاكثر الخلق ووجه
الثالثة ان الماء كما انه مادة الشجرة وبه حياتها وبقاؤها في الوجود كذلك موادّ تلك اللذات ومن المكاسب
والتجارات والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه باقي الاستعارات ظاهرة التاسع
دروس اعلام الهدى كنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التي بها يهتدى لسلوك سبيل الله وبدروسها
عن موت اولئك وعدمهم كناية بالمستعار كما سبق العاشر ظهور اعلام الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى
النار الحادي عشر كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة في وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفائها لهم فان
طيب العيش في الدنيا انما يكون مع وجود نظام العدل والصفة بين اهلها وعدم النظام وذلك في زمان الفترة
مفقود بين العرب ونحوه كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار عنهم اذ من عدم تحصيل
المطلوب معهما الثاني عشر كون ثمرها الفتنة اي غاية سعيهم فيها على خبط في ظلمات جهلهم انما هو
الفتنة اي الضلال عن سبيل الله والتيه في ظلمات الباطل وغاية كل شيء هي مقصودة فيشبه الثمرة التي
هي مقصود الشجرة فلذلك استعير لفظها الثالث عشر وطعامها الجيفة يحتمل ان يكون لفظ
مستعاراً لطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة انه لما كانت الجيفة عبارة عما انتن وتغير من اجزاء
من جثة حيوان وتحرم تعافه ما كله وتنفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة اكثرها يكون
من النهب والغارة والسرقة ونحوها مما يخبث تناوله شرعاً وينفر العقل عنه وتاباه كرام الاخلاق فا
شبه ما يحصل من متاعها الجيفة في خبثها وسوء مطعمها وان كان احد الخبيثين عقلياً والآخر حسياً
فاستعير لها لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا يأكلونه في الجاهلية من الحيوان على غير ذكاة ومنه

حرمها

حرمه القرآن الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة
اي المضروبة بالخشب حتى تموت ويبقى الدم فيها فتكون اطيب كما زعم المجوس والمتردية اي التي تردت من علو فماتت
فان كل ذلك اوامات فكثيراً ما يعفن ويؤكل فيصدق ان طعامهم كان الجيفة الرابع عشر كون شعارها الخوف
الخامس عشر كون دثارها السيف استعار لفظي الشعار للخوف والدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى
ان الخوف وان كان من العوارض القلبية الا انه كثيراً ما يستتبع اضطراب البدن وارتعاده فيكون شاملاً
له شمول ما يلبس الانسان شعاراً ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان في مباشرة البدن والمضروب من
فوقهما وقوله فاعتبروا عباد الله شروع في المقصود فقوله واذكروا تلك اشارة الى وجه العبرة
من تابع الاعمال اي تلك الاعمال التي كانت تشغلها اباؤكم واجدادكم زمان الفترة وزمان دعوة الرسول لكم كما سمعتم عليها
وقوله فهم بها مرتهنون اي محبوسون في سلاسل الهيئات البدنية والاغلال مما اكتسبوا منها وقوله
العمري الى قوله بعيد الحاق لهم باباءهم في تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه احوالهم
عاصمة من امور احد كما ان اولئك كانوا اكثر وليس زمان الابن وحاله ببعيد من حال ابيه فيما يأتي ويذر
الثاني ان الرسول صلى الله عليه لم يسمعهم شيئاً الا واسمعكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة الثالث
الالات وتساوي ابصاركم واسماعكم الرابع ان سائر الالات البدنية التي كانت لاولئك فاكتسبوا بها
كما لا او لم يكتسبوا حاصل لكم ايضاً الخامس الكلم تعلموا شيئاً كان اباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك
سبباً للفرق بينكم وبينهم السادس ولا اصفيتم به الاتي شيء لم يكن لاباؤكم مثله معرضة من
كانهم باباءهم في هذه الاحوال اشار في احدها التشفيع عن حال من سبق من العاصين لمخالفة اوامر الله
مائلاً والتائب الى الجذب والترغيب في حال من سبق ممن اطاع الله والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم
وبين السابقين والمتشابهات يتجاذبان في اللوازم كان تشبيه السابق في عصيانه لاثمه ما لزمه من اليم العقاب
من تشبيهه في طاعته والتعنت لزمه ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب وقوله ولقد نزلت
بكم البلية يحتمل ان يكون اشار بها الى الفتن بدولة بني امية وملوكها وقوله جائلاً خطامها كناية بالمستعار
من افلاتها وصعوبة حال من يركب اليها فانها لما كانت دولة خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الاهواء
كان الراكن اليهم على خطر في دينه ونفسه كما ان من ركن الى الناقة التي جال خطامها اي ثبت في وجهها
ولم تمكن جرابها فركبها كان على خطر ان تصرعه فتهلكه ثم اردف ذلك بالنهي عن الاغترار بما اصبح فيه اهل
الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها ونفره عنه باستعارة لفظ الظل له ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من
كونه ممدوداً ينقضي عند اجل ويزول وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام المعروف
بمعرفته ورؤيته الخالق من غير رؤية الذي لم يزل دائماً قائماً اذ لا سماء ذات ابراج ولا حجب ذات ارتاج ولا
ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك
مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان كل جديد ويقربان
كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى اثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم وما تخفي صدورهم من

العفو عنهم ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى ان ينتهي بهم الغايات هو الذي استدت نعمته
على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر من عاداه ومدمر من شاقه ومذل
من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه كفاه ومن سأله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه
عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا
قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر
ولا واعظ **اقول** الارتاج الاغلاق والساجي الساكن والعجاج الاشاح والبحر الواسع والدايان مخزان
في سيرهما وعادة غالبة والمناواة المعاداة وقد صدر هذا الفصل باعتبارات اضافية للحق سبحانه في معرض
تمجيده فالاول كونه تعالى معروفا من غير رؤيته وقد سبق معنى معرفته تعالى ومراتبها وبيان كونه منزها
عن الرؤية بحاسة البصر الثاني كونه تعالى خالقا من غير رؤية وقد سبق ايضا بيانه في الخطبة
الاولى بلا روية اجالها الثالث كونه لم يزل دائما وذلك لكونه واجب الوجود مستلزما لاستحالة عدمه
ازلا وابدا السابع كونه قائما يجوز ان يريد به معنى الدائم الباقي ويجوز ان يريد به القائم بامور العالم والمدبر
فيه على هذا الوجه اقوال احدها ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه كونه عالما بما الخلق اينما كانوا وضابطا
لاحوالهم الثاني قيامه بتوكيل الحفظة عليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت الثالث القائم على الشيء هو الحافظ له والمدبر لامره الرابع هو المجازي بالاعمال الخامس
هو القايل لعباده المقتدر عليهم **وقوله** اذ لا سماء اي قوله فاعتمد اشارة الى جهة اعتبار ازليته وقيامه
بذاته وسبقه لكل مكون ودواته تعريفا لقول الرسول صلى الله عليه كان الله ولا شي فاما الحجب ذات الارتاج فيحتمل
ان يريد بها السموات على ظاهر الشريعة والله تعالى في السماء فاستعمل الحجب لها فاطلق لفظها عليها وكونها
ذات ارتاج كناية عن عدم التمكن من خرقها والدخول فيها كناية بالاستغلاق وقال بعض الفضلاء
اراد بها الهيئات البدنية وحجب الذنب والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن مشاهدة انوار جلال الله
حتى كانها اقفال عليها كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها **وقوله** ولا خلق ذو اعتماد اي ذو قوة وبطش
يعني الانسان كونه مبدع الخلق اي مخترعه على غير مثال سبق السادس كونه وارثه اي كما
انه مبداوه فهو ماله ومرجعه وذلك اشارة الى كونه دائما قائما بذاته لم يزل الابدال السابع كونه اله الخلق وهو
اعتبار يلحقه بالنسبة الى ايجاده خلقه واستعباده اياهم الثامن كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس
الى افاضته سائر نعمه عليهم التاسع كون الشمس والقمر دايبين في مرضاته اي على وفق ارادته بحكمه
المطلق والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من اعظم آيات ملكه **وقوله** يبليان كل
جديد نسب الابلاء اليهما لكونهما من الاسباب المعدة للحوادث في هذا العالم وتغيراته ولذلك قوله و
يقربان كل بعيد وفيه جذب الى ذكر المعاد والعمل له فكونهما يبليان كل جديد منبه على عدم الثقة والا
عتماد على ما يروق ويعجب من حسن الابدان وجدتها ولذاتها ما يحدث ويتجدد من تينات الدنيا
ولذاتها لوجوب دخولها فيما يبلى وكونهما يقربان البعيد ينبه مع ذلك على الجد بما يستبعده اهل الغفلة

من الموت والفناء في حال صحتهم ابدانهم وسلامتهم في حياتهم الدنيا العاشر كونه تعالى قسم ارزاقهم كقوله تعالى
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي وهب لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ الحادي عشر
كونه احصى اثارهم الى قوله من الارحام والظهور اي احصى كل ذلك منهم بقلم القضاء الالهي في الالواح المحفوظة فقد
اليه الاشارة بقوله تعالى والله يعلم اعمالكم وقوله ما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب
مبين **وقوله** الى ان يتناهى بهم الغايات اي يعلم كل احوالهم من حين ابتدائهم الى ان يقف كل عند
غايته المكتوبة له من خير او شر الثاني عشر هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته
واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشاره بذلك الى كمال ذاته بالنسبة الى ملوك الدنيا مثلا فان احدهم في حال
غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا رحمة عنده ولذلك في حال رحمته لاوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم ولا نقمته
انه تعالى هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير توقف في
جوده على امر من ذاته وكان اعداؤه الذين يستعدون بجحودهم عند لعقوبة بحظه وشدة نقمته في الاخرة لا جرم او لا انهم
ذلك وان كانوا في الدنيا في سعة من رحمته وشمول نعمته وكذلك اولياؤه لما استعدوا لقبول رحمته وشمول نعمه
افاضها عليهم في حضرة قدسه على غاية من البهجة والسعادة وضروب الكرامة وان كانوا بحسب ديهم في ضروب
من العذاب وشقاوة الفقر والضنك في الدنيا وذلك لا يملكه الا حليم لا يشغله غضب من رحمة عدل حكيم لا
تمنعه رحمته عن انزال عقوبته سبحانه ليس الا هو الثالث عشر قاهر من عاداه انه تعالى قاهر باعدائه
انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه فيقهرهم بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى وهو الذي يلحقه هذا الاعتبار مطلقا اذ كل موجود فهو مسخر تحت قدرته تعالى وقهره
عاجز في قبضته الرابع عشر ومدمر من شاقه الخامس عشر ومذل من ناواه السادس عشر وغالب
من عاداه فضاده اتباع غير سبيله من العبد ما تبين له من الهدى ومناواته الاعراض عن اوامره
واتباع الشهوات واذلاله تعالى حينئذ هو افاضته لصورة الحاجة الى غيره السابع عشر كافي من توكل
عليه الثامن عشر ومعطي من سأله التاسع عشر وقاضي من اقرضه العشرون ومجازي من شكره
وهذه الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد اذا استعد بحسن التوكل والسؤال والصدقة
والشكر لنعمه وجب في جوده وحكمته افاضته كفايته فيما توكل عليه فيه تكفيه من الكمالات افاضته تمامها
عليه ومن دفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه ما سأل اذا استعد لقبوله ثم اداؤه عن قرضه اضعافه
ثم جزاؤه على شكره زيادة انعامه واطلق لفظ القرض لما يعطي الفقير مجازا كما قال تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا اي يؤتيه من جانب الرياء والسمعة خالصا لوجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة ووجه
المناسبة كون الفقراء اهل الله وعياله فكان المعطي هو الله تعالى **وقوله** عباد الله الى اخره شروع
في التذكير والموعظة فقوله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا زنة النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان
العقل اي مراعاة استقامتها على ساق الوسط بين طرفي الافراط والتفريط اللذين هما كفتا الميزان

مهما رجحت اعمالهما فالنقصان لازم والفشواه قايم واما الميزان الاخروي فاما على راي المتكلمين فظاهر ٢١٢
الشريعة بظاهره واما على راي محققي السالكين من الصوفية فما اشار اليه الامام الغزالي رضي الله عنه كما في
رسالته قال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقايق الامور وبالموت ينكشف الغطا كما قال
تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما يكشف له تاثير اعماله مما يقربه الى الله تعالى ويبعده
عنه ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تاثيرا من بعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري سببا يعرف الخلق
في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تاثيراتها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة
والنقصان وان اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب لحركات
الفلك والمسطر لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي
وهو ما يعرف به الزيادة والنقصان وهو موجود فيها باجمعها وصورته تكون موجودة للحس عند التشكيل
بالخيال بالتمثيل وقوله وحاسبوها قبل ان تحاسبوا محاسبة النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها
الجزئية والشرعية ليرتبها بما ينبغي لها وتوبيخها على فعل ما لا ينبغي وهي باب عظيم من ابواب المرابطة في
سبيل الله فان للعقلاء في سلوك سبيل الله ومرابطتهم مع النفس مقامات خمسة الاولى المشارطة
ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة ثم المجاهدة والمعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون
حال الانسان مع نفسه كحال التاجر مع شريكه اذا سلم اليه مالا ليتجر به فالعقل هو التاجر في طريق
الاخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما
يستعين التاجر بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا
ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا
فيوظف عليها الوظايف ويامرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحتم عليها سلوك غيرها كما يشترط
التاجر على شريكه الثانية ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين
الكالية والى مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قا
يمون وقوله صلى الله عليه اعبد الله كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة المراقبة ولا بد منها فان الانسان لو غفل
عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين اذا انفرد بمال سيده الثالثة
ثم بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى
فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان
يهمل مناقشتها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة
نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشتري بها كنز من كنوز الاخرة لا يتناهى قالوا وينبغي للانسان
ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول اي نفس ليس لي بضاعة الا العمر ومهما فني
فقد فني راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله فيه وهو صاحب

البضاعة

البضاعة وربحها ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسب انك رددت فاياك
وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد
كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك
الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لادهشهم عن الاحساس
بالالم ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله
فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس
فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله
من الغبن الفاحش ما يناله من قدر على الكثير ثم ضيعه والى هذه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع
ذلك يوم التغابن وقال بعضهم ان المسي قد غبن عند البعث لفوته ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن
والحسرة ثم يستانف وصيته لاعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج
واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب
لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصي كل عضو
بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجع في تفصيل تلك الاوامر والنواهي الى تراجم الشريعة ثم يشترط عليها
انها ان خالفت عاقبها بالمنع من شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد العمل وقد تكون قبله للتحذير كما قال تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه الرابعة المجاهدة والمعاقبة وهو بعد المحاسبة اذا راى نفسه
قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالصبر عن امثالها وبالتضييق عليها في مراداتها ومما يعتاد اليها من
الامور المباحة وان راها متوانية كسلانة عن شيء من الفضايل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل
الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرانا لما فات روي ان ابن عمر اخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان
فاعتق رقبتين الخامسة توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت ان النفس امارة بالسوء ميالة
الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وصالحها ومنعها عن شهواتها
ولذاتها المالوفة فان اهملتها شردت وجمحت ثم لم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة واللوم
كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان تذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل
والحمق وما بين يديها من مفاجاة الموت وما تؤول اليه من الجنة والنار وما غلب عليه اتفاق كلمة اولياء الله الاخيار
هو تسليمها سادات الخلق ورؤسا العالم من وجوب سلوك سبيل الله واصفا لها معاصيه وتذكيرها
بايات الله واحوال الصالحين من عباده فهذه هي محاسبات النفس ومرابطتها واما حسابها في الاخروي
فقد سبقت الاشارة اليه وقوله وتنفسوا قبل ضيق الخناق استعار لفظ النفس لتحصيل
الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم التنفس راحة القلب من
الكرب واستعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق
والموت من عدم التمكن والتصرف والعمل اي التنفس والفرصة للعمل قبل تقضيه بزوال وقته وضيقه وقوله وانقادوا

قبل عتق الرقاب اي انفادها والاوامر الله الي طاعته قبل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة
المكربة كما سبق **قوله** واعلموا انه من لم يعن على نفسه الى اخره اي من لم يعنه الله على نفسه واعانة
له هو اعداد العناية الالهية لنفسه الناطقة ان يقبل السوانح الخيرية وما يسد لها على النفس الامارة بالسوء
لتقوي تلك السوانح على قهرها وعلى الانقياد عن متابعتها والانجذاب الى ما يدعو اليه من الشهوات بانه
متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ غيرها ولم تقبله اذ لا قبول بدون استعداد
للقبول وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله التوفيق
بلغ **ومن خطبة له عليه السلام** تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلايل خطبه وكان سأل سائل له
ان يصف الله تعالى حتى كأنه يراه عيانا فغضب لذلك وقال ـــ الخطبة روى مسعدة بن صدقة عن الصادق
جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال خطب امير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان
رجلا اتاه فقال يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلاة جامعة
فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على
النبي صلى الله عليه ثم خطبها واعلم ان في الخطبة فصولا **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي لا يفره
المنع ولا يكديه الاعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما خلاه هو المنان بفوائد النعم و
عوائد المزيد والقسم عياله الخلائق ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه
وليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء
بعده والرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولا كان في
مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من
فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا انفد سعة ما عنده ولكان
عنده من ذخاير الانعام ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله
الحاح الملحين **اقول** الاشباح الاشخاص ويفره يزيده وفرا ويكديه ينقص خيره و
تنفست عنه انفرجت والفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب الخالص
والمرجان صغار اللؤلؤ والالحاح في السؤال الدوام عليه وقد شرع في وصف الله سبحانه باعتبارات له الى
اثاره الاول انه لا يزيده ما حرمه ومنعه من فضله الشيء ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم ردع الوهم
عن سبحانه بدخوله في عموم المنتقصين بالعطاء بقوله اذ كل معط منتقص سواه ولذلك قدسه عن الدخول في زمرة
المذمومين منهم بما في ايديهم عن طالبه بقوله وكل مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيتان مؤكدتين
للاوليين وبيانهما ان التزيد بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق في حق من ينتفع ويتضرر بالزيادة و
النقصان والانتفاع والتضرر على الله محال فالتضرر والتزيد عليه محال ولانهما يقتضيان عليه بالحاجة
والامكان ولانه ما مقدوراته غير متناهية ونبه بقوله اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه وانما النقص المعطي
من خلقه لحاجته الى ما يعطيه وانتفاعه به وانما استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه

والتنقص

ربع

من منع واعطى معلوما بنظام الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان غالب منعهم يكون عن بخل وطمع ومنع
شح واعلم ان صدق الكلية في المنتقصين بالعطاء ظاهر واما في المذمومين بالمنع فتحقيقها ان كل مانع لطالب فهو انما
يمنعه خوف الفقر ونحوه وظاهر ان الخائف من الفقر الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله المتوكلين
عليه الزاهدين في متاع الدنيا وقيناتها واذا كان الغني مامورا بان يكون من متوكلا وفي زمرتهم كان الجري ان يكون مستحقا
للذم على ما يمنعه من ماله ويكون محجوبا بوجه عن النظر الى وجه الله الكريم فصدق الكلية اذن ظاهر وفي دعوته
الغايبين علامة بان لا يزيده كثرة العطاء الا جودا وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف
الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة صدرت عنه معدة لمحلها ومهيئة له لقبول نعمة اخرى كانت كثرة
عطاياه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزمة لزيادة الجود الثالث انه المنان بفوائد النعم والمنة تذكير
المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير
موضع من كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم لخلقه والسبب الفارق كون كل منعم سواه فيحتمل
ان يتوقع لنعمته جزاء او يستفيد كمالا اعوضا يليق بها اعادة وابين توقع الاكد الجميل وبقبح ان يمن
على من نعمته ويتوقع لها جزاء ان يمن بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر انما يليقان بالغني عن
غيره فانما تطاول به والتطاول مما يوذي المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لثواب ذلك والله
وجزاؤه ولذلك ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فجعلها
سبب لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها وفوايد النعم ما افادها وعوايد المزيد والقسم معتادها
الرابع كون الخلق عياله ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى ربهم
لوجه المشابهة ان عيال الرجل من هو من جهته لمعيشتهم ويصلح حالهم وكذلك الخلق انما خلقهم الله وجعلهم
تحت عنايته ليصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم وكذلك استعار لفظ الضمان لما وجب في الحكمة الالهية
من وجوده ما لا بد منه في تدبير صلاح حالهم من الاقوات والارزاق وتقدير اقواتهم اعطاء كل ما كتب
له في اللوح المحفوظ من نايله وما يقتضيه الخامس كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر
اولا ما يصلح حالهم في الدنيا وهو ضمان الارزاق وتقدير الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الآخرة
من نهج السبيل وايضاحه واشار به الى ايضاح الشريعة لطريق السالكين اليه الراغبين في النظر الى
وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم السادس كونه ليس بما سئل باجود منه بما لم
يسأل ويستلزم بيان هذا الوصف اشارة الى لطيفة وهو ان نقصان ما يصدر عنه سبحانه لاعتبارين
احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبتها اليه
على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ان يكون ببعض الاشياء ابخل
او اليها احوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك الثاني بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف
الواقع في القرب والبعد انما هو من تلك الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل
شرطا ومعاندا كان اقرب الى جوده اذا عرفت ذلك فاعلم ان السايل وان حصل له

ما سأله من الله تعالى دون ما لم يسئل فليس منعه ما لم يسئله لعزته عنده وليس بينه وبين ما طلب بالنسبة
الى جوده فرق وتفاوت بل انما خص بما سأل لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يسأله ولو
سأل ما لم يسأله واستحق وجوده لما كان في الوجود الالهي بخل به والاسع في حقه وان عظم خطره وجل قدره ولم يكن له
اثر نقصان في خزائن ملكه وعموم جوده والى هذا اشار علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقد سئل عن الجواد فقال
لسؤالك وجهان ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل الذي يمنع ما افترض الله عليه وان
اردت الخالق فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فقوله له وليس
له اشارة الى ان الجود الالهي انما يفيض ويتوقف في هيئته على وجود المستحق وقد نبه عليه السلام بهذا الوصف
عن صفة الخالق اذ كان من شأنهم ان يكونوا بما سئلوا اجود منهم بما لم يسئلوه لكونه اسهل عليهم ومن شأن
السائل ان لا يسأل الا ما هو اعز عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود السابع الاول الذي لم يكن له قبل
فيكون شيء قبله الثامن والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما
سلف ولنزد هنا بيانا فنقول الاولية والآخرية اعتباران اضافيان تحدثهما العقول لذاته المقدسة
وذلك انك اذا لاحظت ترتيب الوجود في سلسلة الحاجة الى الله سبحانه ووجدته تعالى بالاضافة اليها اول اذ كان
انتهاؤها في سلسلة الحاجة الى عنايته المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف واذ ليس بذي مكان
فالتقدم بالمكان منفي عنه والزمان متأخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتأخرة عن الجسم المتأخر عن علته فلم
تلحقه القبلية الزمانية فضلا ان تسبق عليه فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من الزمانيات ولا من غيرها واذا
اعتبرته بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السالكين المسافرين في منازل عرفانه وجدته آخرا اذ هو
آخر ما ترتقي اليه درجات العارفين ومعرفته هي الدرجة القصوى والمنزل الآخر وان كل موجود سواه فهو ممكن
العدم ودون ذاته ان لا يستحق وجودا فضلا ان يستحق الآخرية والبعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته
فهو المستحق لبقية الوجود والآخرية لذاته وبالنسبة الى كل موجود فاذن هو الاول المطلق الذي لا شيء قبله
والآخر المطلق الذي لا شيء بعده التاسع الرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه وقد سبق ان القوة
الباصرة انما تتعلق بذي وضع وجهة والباري تعالى منزه عنهما فيستحيل ان يدرك بحاسة البصر وردعه
لها قهرها بذل النقصان عن قبول ادراكه العاشر كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال
لما كان الزمان من لواحق التغيرات واختلاف الاحوال وكان ذاته سبحانه مقدسة عن لحوق الزمان كانت مبراة
عن تغير الاحوال التي تلحق الزمانيات واختلافها الحادي عشر ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال
كما من شأن ذي المكان جواز ان ينتقل عن مكانه وكان سبحانه منزها عن المكان ولوازمه النقصانية
الامكانية لا جرم لم يجز عليه الانتقال الثاني عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت
عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان الى قوله مطالب الانام انما عدد هذه الاشياء في معرض المدح
له تعالى لكونها اعظم ما يعتقده الانسان ونفسه واجل ما يتنافس فيه ابناء الدنيا تنبيها على كمال
قدرته وعدم تناهي مقدوراته اذ سبق انه انما يهبه مثل ذلك جود المحتاجين الذين يتقاضونه عليهم

الانتفاع والتفرد واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه الشبه انفتاح الصدفتين واسفارهما عن اللؤلؤ
الشبيه في بدوه واشراقه باسنان الانسان حال ضحكه ومن لحمه تشبيه الانسان في رقة طرفه ولطافته ومن شاهد هذه الصدفة
عند فتحها وجدها كانسان يضحك والاولى استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة لشبهه بما يحصد من
الحنطة وغيرها واعلم ان الصدف وان كان حيوانا ذا حس وحركة الا ان له شبها بالنبات ولحوقا به من جهة
انه ذو عرق في الارض يغتذي به وقد اجمل ما يخرج من معادن البر والبحر لتبيين المناسبة بينهما **وقوله** لانه
الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين انما كان هذا علة لعدم تأثر وجوده بهبة ما
عظم قدره ونقصان خزائنه باخراجه لان الجواد الذي شأنه ما ذكر انما كان كذلك لكونه ليس من شأنه ان
يلحقه النفع والضر والنقص بل هو غني مطلق واستعار لفظ الغيض للنقص ملاحظة لشبهها بالماء والذي له
مادة نابعة لا ينقص بالنزح ومن روى لغضبه فلان الغضب من لواحق المزاج والباري تعالى منزه عنه فمنزه
عن لواحقه ولان البخل رذيلة مكتسبة من البدن والمزاج تبعث عليها الحاجة والنقصان فمن لا يلحقه
الانتقاص فلا يؤثر في ملكه هبة الاشياء لمن سألها **الفصل الثالث** قوله فانظر ايها السائل
فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب
عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى
حق الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة
ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم
التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون
من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس
لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته ردعها وهي
تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف
كنه معرفته ولا تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال
امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله واراناه من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار
حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهرت في
البدائع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته با
لتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة واشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفا
صلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكأنه
لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب
العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم
وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل
بك والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي

لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكن لا سكينة ولا في رواتب خواطرها محددة مصرفا اوف الاقتحام
الدخول في الاسدف جمع سدفة والسدف جمع سدفة وهي الابواب والحجب ومايا البلاد اي قطعها والسدف
جمع سدفة وهي الظلمة والجنة الترد واهتدي عليه اي سلكت مسالكه والحقاق جمع حق وهو اطراف عظام
المفاصل والعادل الجاعل له عديلا والمحجة فوق العكس وصدر هذا الفصل تاديب الخلق في وصفهم بقوة
سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك في مقصد والثناء عليه كما هو اهله وان كان الخطاب لسايل اذ هو السبب
هذه الخطبة وذلك على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة فارشد في ذلك الى كتاب الله تعالى وامر ان يجعله اماما
تقتدي به ويستضئ بانواره في سلوك سبيل الله وكيفية وصفه فان اولي ما وصف به تعالى هو ما وصف
به نفسه وامر ان يبقى على ما لم يجد مفسرا وشارحا عليه في كتاب الله او في سنة رسوله واما ايمة الهدى الذين
بين مكانه في ايضاح الدين وحفظه اي علم الوقال وهو المراد بالتفويض وتعيان ايمة الهدى اعلم بوجوه تسبيحه
تعالى اي منزلته وبيان سبب تلك الاعتبارات من اللغط ونعيد لا ينطلق عليه ويبعد عن طلب ذلك والبحث
عنه بانه اتو الى انه تكلف الشيطان وكما جوران طلب ما وراء حدود الشريعة التي هي عن تجاوز ما انا
هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع على ما منع منه ثم اعلم ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوبه
منه ولما كان مطلوب الشارع حين وضع الشريعة وتقرير قواعدها هو جمع قلوب العالم على قانون واحد
واتحادهم فيه بحيث لا يفترقوا في اعتقاد اثنين لئلا يكون ذلك الافتراق سبب لضعف الدين وعدم تمكنها
وثبتهم على تشييده كما سبق بيانه لا جرم وجب في الحكمة ان يحرم حينئذ عليهم الخوض فيما وراء ذلك لتثبت
قواعد الدين في قلوبهم وترسخ ولا تخرج بهم البحث عما وراءها الى اطراحها وفساد اعتقاد كثير من الخلق لها ف
لغيرهما مما وراءها اذ لم يكن فيهم من يستعد لقبول ما وراء تلك الظواهر الا العدد النادر وان كنا نعلم انه كان صلى
الله عليه اذا علم من اصحابه استعداد القبول بثه من اسرار الشريعة ووثق بهم ان يحملوا ما القاه اليه كعلي عليه السلم
دون ابي هريرة وامثاله ثم وصف له بعد ذلك الراسخين في العلم الممدوحين في القرآن الكريم بقوله تعالى لكن الراسخون
في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الاية وقوله والراسخون في العلم يقولون امنا به وفسر معنى الرسوخ فقال
الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب
فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخا ولما اشار الى السدد المضروبة وحجب الغيوب فلنشر الى ما كشف عنه بعض علماء الصوفية
منها واشار اليه الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولما ثبت ان الله تعالى متجلي لذاته بذاته فالحجاب لا بد وان
يكون بالنسبة الى المحجوب فاقسام المحجوبين ثلاثة منهم من حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور
ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة وتحت كل قسم من هولاء اقسام كثيرة لا تحصى فيكتفى بالاشارة الى اصولها
فنقول القسم الاول المحجوبون بمجرد الظلمة وهولاء هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله وهم صنفان فصنف
منهم طلبوا للعالم سببا فاحالوه على الطبع وقد علمت ان الطبع صفة جسمانية مظلمة خالية عن المعرفة

والادراك

والادراك وصنف منهم لم يتفرغوا لاكثر همومهم لطلب السبب بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهايم فكانوا
محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم المظلمة والظلمة اشد من الهوى ولذلك قال تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه وقال النبي صلى الله عليه الهوى ابغض اله عبد على وجه الارض وهولاء ينقسمون الى فرق كثيرة لا حاجة الى ذكرها
القسم الثاني المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة اصناف فصنف منهم منشا ظلمته الحس وصنف منهم منشاها
الخيال وصنف منهم منشاها مقايسات عقلية فاسدة فالاولون اصناف طوايف الاولى عبدة الاوثان فانهم علموا
على سبيل الجملة ان لهم ربا اوجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز وانفس من كل شي ولكنهم حجبوا بظلمة الحس
عن ان يجاوزوا العالم المحسوس في اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالفضة والذهب والياقوت اشخاصا
مصورة باحسن صورة وجعلوها الهة فهولاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله تعالى ووضعوها في الاجسام
المحسوسة فصارت حجبهم انوارا مكدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافة الى عالم المعقولات الثانية
طايفة ترقوا عن رتبة الاحجار وكانوا ادخل من عبدة الاوثان في ملاحظة الانوار كما يحكى عن قوم من اقاصي الترك
ليس لهم ملة ولكنهم يعتقدون ان لهم ربا هو اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او فرسا او شجرا عبدوه
وقالوا هذا ربنا فهولاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس الثالثة طايفة ترقوا عن هولاء وقالوا ينبغي
ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطان في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجة المحسوس
فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات فهولاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله مع ظلمة
الحس الرابعة طايفة ترقوا عن ذلك فقالوا النار نطفيها ونقهرها فلا تصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات
التي لا تحت تصرفنا ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فعبدوا
النجوم فمنهم عبد المشتري ومنهم عبد الشعرى وغيرها فهولاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراق
وهي من انوار الله الخامسة طايفة ترقوا عن هولاء فقالوا ان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه
ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس فهولاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة مع بقية الانوار
السادسة طايفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تنفرد بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون
له شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اله العالم والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا
في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم
الى النور والظلمة وهولاء هم الثنوية الصنف الثاني المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا
الحس واثبتوا وراء المحسوس امرا لكنهم لم يهتدوا الى مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخسهم
رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية وارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة
فوق وهولاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى يتنزهوا عن الجهة الصنف الثالث
المحجوبون بانوار الهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا
منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال
كلامه صوت ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك

اذا حقق القول عليهم رجعوا الى التشبيه في المعنى وان انكروه لفظا اذ لم يذكروا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق
الله فهؤلاء محجوبون بنجلي من الانوار مع ظلمات المقايسات العقلية القسم الثالث المحجوبون بمحض الانوار
وهم اصناف لا تحصى ايضا لكن نذكر منهم ثلاثة اصناف الاول الذين عرفوا معاني هذه الصفات
وقد عرفوا ان اطلاق اسمائها على الله تعالى وعلى اطلاقها على البشر ليس سوى فيه تعريف بهذه الصفات وعرفوه
بالاضافة الى المخلوقات فقالوا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم الظاهر
وهو محرك السموات ومدبرها الصنف الثاني الذين عرفوا ان في السموات ملائكة كثيرة وان محرك كل
سماء منها موجودا آخر يسمى ملكا وان هذه السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة
مرة واحدة والرب تعالى هو المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها الصنف الثالث الذين
ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام الفلكية من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون
الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون بانوار محضة وقف بهم عما وراءها ووراء
هؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ ولكن عنهم بحجب
المقابلات والاعتبارات الى الغير وهم الواصلون فمنهم من ادرك ذلك التجلي في تلك الانوار جميع ما ادركه
بصره بالكلية وبقي ملاحظا لرتبة الحق فيها وانمحقت فيه المبصرات دون المبصر ومنهم من تجاوز هؤلاء
وهم خواص الخواص واحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا في انفسهم فلم يبق لهم
اليها التفات وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهؤلاء هم الواصلون كما سبقت الاشارة
اليه ونهاية الكل الى خطاب الامتنان الذي يتلاشى فيه كل موجود ولا يبقى الا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا عرفت
ذلك فنقول السر والمعرفة وحجب الغيب التي اشار اليها هي درجات الاشتغالات في مفهومات
صفات الله تعالى ومراتب عرفانه ومعرفة ملائكته ومراتبهم وكمالاتهم وسائر حجب الانوار التي يحجب بها اهل
القسم الثالث والراسخون الذين اشار اليهم في ظاهر كلامه الواقفون في المرتبة الاولى وهم الذين اقتصروا
في صفات الله تعالى وملائكته وعالم غيبه على ما وقفتهم الشريعة عليه على سبيل الجملة كما اوصل الى افهامهم
فهم الرسول صلى الله عليه وعقلوا في وصفه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال انه على حد وصف البشر
بها وتزيح في اذهانهم ما تصوروه اجمالا لو فصل لكان مطابقا ومن اعدته العناية الالهية لقبول التفصيل وصل
اليه بقي هنا بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت
مراتبها ولذلك قال صلى الله عليه بعثت لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقيل قوي على رفع حجاب من حجب الغيب
وقصر عما وراءه فاعترف بعجزه عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا ليس الرسوخ مرتبة
واحدة هي تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما
وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وقوة السالكين على رفع حجب الانوار التي اشرنا اليها
وكلامه عليه السلام لا يأبى ما قلناه بل يصدق اذا تأمل فانه قال وهم ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
وهو صادق ايضا على من قطع حدا من منازل السلوك وعجز عما وراءها فوقف عنده عن التعمق فيه والبحث

اذ لا يخلف بما لا يفي به وسعه **وقوله** فاقتصر على ذلك اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه
السنة النبوية وارشدت اليه ايمة الهدى **وقوله** ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين
لا مقدر لعظمة الله بقدر عقل هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو تصغير لعظمة الله بحسب عقل الضعيف
وعظمة الله تعالى اعظم واجل من ان يضبطها عقل بشري واما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم
لمثلية الله تعالى لمدركاته من الاجسام والجسمانيات وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاده غير الصانع صانعا وضلال
عن طريق معرفته اياه وهو مستلزم للهلاك في تيه الجهل واعلم ان في احالته عليه السلام لطالب الموقف على الكتاب
والسنة وبيان الاية ولا تعلي ان مقصوده ايضا ان لا يقتصر على ظاهر الشريعة فقط بل يتبع انوار القرآن والسنة
واثار ايمة الهدى وورد في القرآن الكريم والسنة وكلام الايمة من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ودرجات
الاشتغالات في درجاتها ما لا يخفى كثرة وينبهوا على كل مقام اهله واخفوه عن غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس
وكما ان الطبيب يرى ان بعض الادوية لبعض المرضى ترياق وشفاء وذلك الدواء بعينه لشخص آخر سم وهذا كان
لان نقاب اسرار الموحدين لمقاصده من الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض الصدور
فيلقونها اليهم وربما كانت تلك الاسرار بعينها لغير اهلها سببا لضلالهم وكفرهم الى الغيب اليهم فاذن مقصوده
عليه السلام تقصير كل عقيل على ما هو الاولى به وما يحتمله والجمع العظيم المخاطبون هم اصحاب الظاهر الذين يجب قصرهم
عليه والله اعلم **وقوله** هو القادر الذي اذا ارتمت الى افقه اشارة الى اعتبار الحيلة في وصفه تعالى
نبه فيها على ان غاية استقصاء العقول وتعمقها وغوص فطنها طالبة لتفصيل صفات كماله ونعوت جلاله
ان تقف حاسرة وترجع خائبة معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت الى قوله ردعها شرطية متصلة
في قوة شرطيات متعددة المقدمات وتاليها واحد فالمقدم الاول قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع
قدرته وارتماؤها استرسالها لما يحتجه في المطالعة والتفتيش منقطع قدرته منتهاها كما والمقدم الثاني قوله وحاول
الفكر المتجرد عن خطرات وساوس الشيطان وشوائب الاوهام ان تقع عليه في عميقات ذاته وليس سببها بكل
ما ينبغي لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته اي في اسرار عالم الغيب العميقة المقدم الثالث
قوله وتولهت القلوب اي اشتد شوقها اليه لتجري في كيفية صفاته المقدم الرابع قوله وغمضت
مداخل العقول اي دقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغه الصفات اي انتهت العقول الى حيث لا تبلغه
مع ملاحظة ذات الحق سبحانه بل بحذف كل خاطر وكل اعتبار من صفة وغيرها عن ملاحظة وقربة لتنال علم
ذاته بالكنه **وقوله** ردعها هو تالي هذه الشرطيات وردعها ايضا اذا خاشية جسرة وسبيله
في كل من هذه الدركات كونها قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها عن
ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلق بالمحسوس وردع الفكر ان يقع عليه والقلب ان تجري في كيفية
صفاته فيحدها ويحصرها لخلقها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له اذ كانت صفات الكمال ونعوت الجلال
كذلك وردع العقول ان تحيط بكنه ذاته لخلقها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذي حد وتركيب فكان
مستند ذلك الردع هو قدرته فلذلك قدم على الشرطية اعتبار كونه قادرا فقال هو القادر الذي من شأنه كذا

وقوله وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار
لفظ السدف لظلمات الجهل بكل ما يعني معنى من صفات جلاله وطبقات حجبها اي ردعها عن تلك المطالب
حال ما هي قاطعة لمهاوي تلك الظلمات ووجه الاستعارة ما اشتركا فيه من عدم الاهتداء فيها ومتخلصة حال
ايضا والعامل ما تجوب او ردعها وتخلصها اليه توجهها بكليتها في طلب ادراكه وقوله فرجعت اذ جبهت
الى قوله عن معرفته حال والعامل رجعت وجور الاعتساف شدة جولانها في تلك المنازل وظاهر ان جور الا
عتساف غير نافع في تحصيل ما لا يمكن واولوا الرويات اصحاب الفكر اي رجعت معترفة بامرين احدهما
انه لا ينال كنه معرفته والثاني ان الفكر لا تقدر جلال عزته اي لا تحيط بكماله خبرا وظاهر ان صدق هذه
الاحكام للنفس موقوف على ارتباط افكارها في طلب هذه المعارف وعجزها عنها وقوله الذي ابتدع الخلق
على غير مثال الى قوله قبله ان الصانع البشرية انما تحصل بعد ان ترتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل
فعل لا يفعله الا عن تصور وضعه وكيفيته اولا وتلك التصورات تارة تحصل عن امثلة للمصنوع ومقادير له خارجية
شاهدها الصانع ويحذو حذوها وتارة تحصل بمحض الالهام والاختراع كما يتفق على اذهان كثير من الا
ذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره فيتصوره ويبرز صورته الى الخارج وكيفية صنع الله العالم وجزئياته
منزهة عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما الاول فلانا بينا انه لا قبل له فلا قبل لمصنوعاته فلا امثلة
اي على مثل ولا مقدار احتذى حذوه واما الثاني فان هي الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بانه
انما فعل على وفق ما حصل في ذهنه من الشكل والهيئة وما استفاده من الصانع الاول جلت عظمته
فكان في الحقيقة فاعلا على غير مثال سابق محتذيا لمقدار عليه وعلم الاول سبحانه ليس على النحو المذكور من حصول
صورة مساوية للمعلوم في ذاته كما حققته من قبل فاذن فعله بمحض الابداع والاختراع على ابلغ ما يكون عن حذو
مثال وقوله واراناه من ملكوت قدرته الى قوله معرفته بملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى العذرة لان اعتبار الملك في
الوجود كذي مبدأ المالكية وآثار حكمته ما صدر عنها من الافعال والاحكام واتقن وكل ناقص الى كما له
واستعار لفظ النطق للسان حال آثاره تعالى المفصحة عن كمال الحكمة المعجبة بتمام النظام وحسن الترتيب ووجه
المشابهة ما اشتركا فيه النطق وحال مصنوعاته من ذلك الافصاح والبيان واعتراف عطف على عجائب
اي ان متعلق بالحاجة وما في قوله ما دلنا مصدر المفعول الثاني لارانا اي وارانا من اعتراف الخلق بحاجتهم
الى ان يقيمهم في الوجود بمساك قوته التي تمسك السموات والارض ان تزولا ما دلنا باضطراده قيام الحجة له على
معرفته وقوله على معرفته متعلق بدلنا اي ما دلنا على معرفته فلزمنا قيام الحجة له بالضرورة وقوله وظهرت
في البدائع الى قوله فانه استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة الصانع في فعله من الاتقان والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت
فيه آثار حكمته انه فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق بلسان حاله ومقاله كالانسان وبعض
بلسان حاله فقط اذ لا عقل له كالانسان كالجماد والنبات والضمير المضاف اليه في قوله فحجته يحتمل عوده الى الله
ويحتمل ان يعود الى الخلق الصامت وقد علمت ان السالكين في سماع هذا النطق من آثاره ومشاهدته في
مصنوعاته على درجات ومنازل متفاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله واشهد ان من شبهك الى

قوله برب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى على طريق قوله مالك يوم الدين اياك نعبد والمشبهة نوع الحقيقة
لمنوالخلق وانما حمل المشبه بو منوتباين اعضايهم وتلاحم حقاق مفاصلهم لانه في معرض ذم المشبهة والتشبيه
على وجه اعلامهم وتباين الاعضاء وتلاحمها من لوازم المشبه به وهي مستلزمات التركيب لاجتماع المفردات
المتلازم لظهور الحاجة الى المركب والجامع ويمتنع على مجمل نظرها حاجته ان يشتبه به الصانع المطلق البري عن
الحاجة بوجه ما فقدمها لحري بها مجري الاوسط في لزوم التركيب للمشبه به ليظهر تنزيهه الا بعن الشبه به وان
كان التقدير من شبهك بخلقك في اعضايهم المتباينة المتلاحمة والذي ثبت له من وجه الحكمة في احتجاب المفاصل
معنوابها لرخلقت ظاهره بحونه عن الاعشية ليثبت رباطها وتنشف حتى فقد لمرفق الحيوان بها حاملوالاّن او
انما كانت معرضة للآفات المفسدة لها وغيره ذلك من حسن تدبيره ولطيف حكمته وقد شهد عليهم على المشبه
له بخلقه بامرين احدهما انهم لم يعرفوه والثاني انه لم يتيقن تنزيهه عن المثل والقران والبرهان مصدقان
لشهادته في الموضعين اما القران فما اشار اليه بقوله وكانه لم يسمع تبروّ التابعين من المتبوعين اذ يقولون الاية
ووجه الاستدلال على المطلوب الاول ان المشبهة وعبدة الاصنام يشتركون في الاخرة انهم كانوا ضالين في تشبيه
اصنامهم برب العالمين فهو دليل على ان المشبهة ضالون من جهة تشبيههم لله بخلقه وكل من كان كذلك
فليس بعارف بالله والمقدمة الاولى ثابتة لمنطوق الاية واما الثانية فلانه لو كان المشبه له عارفا به مع
تشبيهه له بخلقه لما كان في ضلال مبين من تلك الجهة لكنه في ضلال مبين من تلك الجهة فاذن ليس هو بعارف
له واما البرهان فلان الله سبحانه لما تقدس عن ان يشبه خلقه في شيء كان المشبه له بخلقه والمكيف له بكيفية
محجوبا وصفه غير عارف به بل متصورا امرا اخر هو في الحقيقة غير الله واما صدقه في القضية الثانية فلان المشبه لله
ضال من جهة انه مشبه له وكل من كان كذلك فليس يتيقن عن الله المثل وصدق الاولى ظاهر من الاية واما الثانية
فلانه لو كان متيقنا له عن الند بلحية شبهه له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال منها فليس يتيقن له عنه واما
البرهان العقلي فلان الند المثل هو الشبيه وكلامه في المشبهة وفي الاية تنفير عن مذهب التشبيه بذكر تبرؤ
التابعين من المتبوع وتشبيههم بخالقهم وندامتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على الوجهين لتدارك الاعمال
والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا بتشبيههم في ضلال مبين وقوله كذب العادلون
الى قوله عقولهم تكذيب للعادلين به واشارة الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم وقد
عرفت ان منشأ التشبيه هو الوهم اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات وما يتعلق بها فان حكم في المجردات
حكم وقدرها محسوسة ذات احجام والحقها احكام المحسوس والذين لم يرتفع المشبهة لله عن تشبيهه بالاصنام
والاشخاص الاجسام لصورة الانسان واعضائه ولكن غير عبدة الاوثان من سائر فرق المشبهة حتى كانت غاية
تنزيه من نزهه منهم ان نوهمه في جهة فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المخلوقة فكانوا
عن اوهامهم قد نحلوه حلية المخلوقين ووصفاتهم باوصافهم الناسية فمنهم من اثبت له اعضاء من يد وساق
وعين ووجه وساير ما ورد في القران الكريم والسنة النبوية حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصف
هيئة فقال انه مجوف الاعلى مصمت الاسفل وانه قطط الشعر الى غير ذلك من هذيانهم وكفرهم تعالى

انه عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتجربته بخواطرهم تجربة المجانين مواثيقهم الاعضاء المذكورة و
ذلك عن تقديرهم له على الخلقة المختلفة القوى بقوانح عقولهم الحادثة متابعة لاوهامهم الفاسدة وتقليد
من سلف من ابائهم فان الاعضاء انما تتولد وتكمل بواسطة قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى
مختلفة بحقايقها متضادة في افعالها محتاجة الى الجامع والمركب مؤديه بالامكان الذي تنزه قدس
الصانع ان يتطرق اليه بوجه **وقوله** فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك الى قوله بينات شهادة
ثانيه على من شبهه وجعل له مثلا بالكفر واشاره الى بطلانها بقياس من الشكل الاول استدلالا ن
كبرا هالى كتاب الله ونصوص اياته المحكمة وبيناته الالباء وشواهد حججه في تلك الايات اى محكم
الشاهدة وهي كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا وقوله ائنكم لتشهدون
ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون والاستدلال لكفر ونحو ذلك واما المقدمة
الاولى فلان التشبيه هو المثل والعديل وقد علمت ان البرهان العقلي مما يشهد بصدق هذه الشهادة فان المشبه
لتوهمه خلقه مع بواتر عن شبهه العقل فاعتقد ان ذلك الذي يشير اليه بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غير
الصانع صانعا وهو بعين الكفر والضلال **وقوله** واشهد الذي لم تتناه في العقول الى قوله مصرفا شهادة
بالله هي خلاصة الشهادتين الاولتين تتميز بهم عن شاهبيغ العقول البشرية وافكارها اي احاطتها حقيقة
وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراءها ادركته شيء اخر وتنبيه في الشهادة على ما يلزم
ذلك التناهي من كونه ذا كيفية يكيفه بها القوى المتخيلة المنسبتة بها العقول ومهابب الفكر جمله تماما من
كونه محدودا اذ كانت الحقايق انما تدرك بكنهها من حدودها **وقوله** مصرفا اي محلولا في ذاته بالتجزئة و
التحليل والتركيب اذ كان من شان المحدود ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة لبراءته عن الكيفية والاجزاء و
التركيب كان ملزومها هو التناهي في العقول باطلا **الفصل السادس** قدر ما خلق فا
حكم تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته
ولم يستصعب اذا امر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته المنشي اصناف الاشياء بلا روية
فكر ال اليها ولا قريحة عزيزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك اعانه على ابداع
الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناءة المتلكئ فاقام من
الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها ووصل اسباب قرائنها وفرقها اجناسا مختلفات
في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها **اقول** الدجج
واذعن خضع وذل والريث البطؤ والاناءة والتلكي التباطؤ عن الامر والتوقف فيه والاود الاعوجاج
بدايا جمع بدية وهي الخلقة العجيبة **فقوله** قدر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدره
في الوجود فعلى هذا دقيق حكمة بحيث لو زاد على ذلك المقدار او نقص منه لاختلف مصلحة ذلك المقدار
وتغيرت منفعته **وقوله** ودبره فالطف تدبيره اعاده على وفق المصلحة ولطفه في ذلك تصرفه
في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره بذلك **وقوله** ووجهه

لوجهته

لوجهته اي قوله الى غايته اي الحركة وسيره لما خلق له ما كتب له في اللوح المحفوظ فلم يتجاوز مرسوم تلك
المنزلة المعلومة له اي لم يتعدها ولم يقصر دونها والاللوم التقصير في علمه سبحانه والله تعالى **وقوله** ولم يستصعب
اذا امر بالمضي على ارادته اي لما امر المطلق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة الله وسابق الحكمة الالهية
كلا الى غايته لم يمكن تخلفه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيه اسبابه
بحسب القضاء الالهي عليه بذلك **وقوله** وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته اي وكيف يستصعب
ثم اشار الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده بذكر علته وهو استناد جميع الاثار الى
مشيته اذ كل اثر فهو واجب عن مؤثره والكل منتهٍ في سلسلة الحاجة الى ارادته واجب عنها وقد
علم ذلك في العلم الالهي **وقوله** المنشي اصناف الاشياء الى قوله عجايب الامور قد سبق في الخطبة الاولى بيان
ان الروية والفكر والتجربة مما يلحق الانسان ويخصه وان الباري سبحانه منزه عن شيء منها في كيفية ابداعه لخلقه
واما الشريك فمنزه عنه بنفس هذه الوحدانية كما سبقت الاشارة اليه ايضا والقريحة الغريزية قوة الفكر
للعقل **وقوله** فاتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته تمام مخلوقاته من جهة جوده باعطائها ما
ينبغي لها فان عرض لشيء منها فوت كمال فلعدم استعداده وقبوله لذلك واذعانه ذلته في رق الحاجة والا
مكان والتصريف القدرة واجابته الى دعوته كونه في الوجود عن قوله كن **وقوله** لم يعترض دونه
ريث المبطئ ولا اناءة المتلكئ تنزيه لفعله تعالى وامره ان يعرض في طاعة المشية له شيء من هذه الكيفيات اذ كل
شيء في قبضته وعلى غاية من السرعة الى اجابة امره ولما كان تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون صدق كلما ينبغي لذلك المامور وما يتوقف لاجابة امره بالكون في الوجود ويجب عنه فكيف يمكن ان
يعرض له في اجابة الامر بطؤ وتلكؤ بل يكون كلمح البصر كما قال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر و
يحتمل ان يكون ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شيء من هذه الكيفيات فان البطؤ و
الاناءة والتلكي من عوارض الحركة التي هي من عوارض الجسم واعراضها يعرض لمن يفعل بالالة وتشتد حركته
لضعف وقد علمت تنزيه الله تعالى عن جميع ذلك **وقوله** فاقام من الاشياء اودها الى قوله والهيئات
اقامته لاودها رفعه لاعوجاج كل شيء باعداده لما ينبغي له واقامته كما له ونهجه لحدودها اوضحه حدودها
على الروايتين وهو ايضاحه لكل شيء وجهته وغايته وتيسيره لها وملاءمته بين متضادها كجمعه
العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في مزاج واحد وقد سبق بيانه ووصله اسباب قرائنها اشارة
الى ان الموجودات لا تنفك من اشياء تقترن بها من هيئة او شكل او عرض وتحيز ولما اقتران الشيئين
لا محالة مستلزم لاقتران اسبابهما واتصالها لاستحالة قيام الموجود بدون اسبابه وذلك الوصل مستند
الى كمال قدرته اذ هو مسبب الاسباب وقال بعض الشارحين اراد بالقرائن النفوس وعلى
هذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى عبادته وما هو الاولى بها في معاشها ومعادها وسوقها
الى ذلك اذ المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب فلان اذا علقه عليه ووصله بتبريه وانعامه والاول
اظهر **وقوله** وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات لا تزيد بالحد

جنايب والجدد دما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل بالاختلف بالامور المذكورة كلها او بعضها فهو مختلف الجنس
له وجد التي منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال ايضا والعوارض القوى النفسانية والاخ
لاق والهيات الصفات وان حملنا الجدد على ما هو المتعارف كان جنسا فانه حكمة الخالق سبحانه
اقتضت تميز بعض الموجودات عن غيرها بحدودها وحقايقها وبعضها باشكالها وهياتها ومقا
ديرها وعوارضها واخلاقها كما تقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم الارادة الالهية وقوله بدايا
خلايق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتداعها اي من بدايا اي عجايب مخلوقات احكم صنعها على وفق
ارادته وبابه التوفيق ومنها في صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع
انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين باعمال خلقه حزونة معراجها وناداها
بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام رصدا من
الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة
لامره وجعل شمسها اية مبصرة لنهارها وقمرها اية ممحوة من ليلها فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر سيرهما
في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها ٥
فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها
واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سايرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها
اقول الرهوات جمع رهوة وهي المواضع المتفتحة وايضا قيل وبابه هالكه وما يحول وناط
علق والصدوع الشقوق ووشج بالتشديد اي شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج
بالفتح وهي عرى العيبة التي تخاط بها وتقفل وتطلق ايضا على حروفها التي تخاط والارتتاق الالتصاق
والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في الجبل والدراري الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل
على كيفية خلق السماء فقوله ونظم بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضي بظاهره ان السماء كانت ذات
فرج وصدوع وهذا على راي المتكلمين ظاهر فان الاجسام لما كانت عندهم مركبة من الاجزاء التي لا تتجزى
كانت قبل تاليفها ذات فرج وصدوع واما على راي غيرهم فقالوا يحتمل امرين احدهما لما كانت السموات
متركبة من اجزاء وكانت بين اجزائها قبل تركيب متباينة لولا ذلك المركب والمؤلف استعار لها لفظ
الرهوات والفرج لما يتصور من المباينة بين اجزائها عند قطع النظر عن صانعها وتركيبها
سبحانه ونظامه لرهوات فرجها اي حكمه لصورها على قوابلها حتى تمت مركبا منتظما ملاحم الصدوع
والصدوع الثاني ان يشير بالفروج الى ما بين اطباق السموات من التباين ونظمه لرهواتها
وملاحمه صدوعها خلقها اكرا متماسة لا خلا بينها ونبه على كمال قدرة الله بقوله بلا تعليق فان
الاوهام حاكمة بان السماء واقعة في خلا كما يقف الحجر في الهواء وذلك منشا حيرتها وتعجبها
فحول لها بذلك القول الى التعجب والاستعظام وقوله ووشج بينها وبين ازواجها وازاد بازواجها
نفوسها التي هي الملايكة السماوية التي قرنها وكل قرين زوج اي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول

حق

كل جرم سماوي لنفسه التي تقبلها عنه وقوله وذلل للهابطين بامره الى قوله انفراجها وقد سبقت
الاشارة الى ان الملايكة ليست اجساما كساير الحيوان فاذن ليس هبوطها وصعودها الصعود والهبوط المحسو
سين والانتقال المكاني بل قدس عن اوهام المتوهمين في حقه اليه يصعد وعنه ينزل فاذن مراده
لفظ النزول من الجهة المحسوسة الى اسفل للنزول المعقول من سماء الجود الالهي الى اراضي المواد القابلة للا
فاضات العالية وبذلك المعنى يكون هبوط الملايكة عبارة عن ايصالها الى كل ماده ما كمالا منو
طا به بينه وبين مبدعه وموجده ومنهم المرسلون من الملايكة بالوحي وغيره وكذلك الصاعدون باعمال
الخلق من الملايكة ايضا فاما معنى الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة في ذوات الصاعدين بها وقد
لاح فيما سبق ان علم الله سبحانه بمعلوماته البعيدة كالامور الزمانيات والمعدومات التي من شانها ان توجد في
وقت وتتعلق بزمان انما تكون بارتسام صورها المعقولة في الواح الالواح وهو ايضا مستعار كلفظ الهبوط
للمعنى الذي ذكرناه من اراضي النفوس الى الالواح المحفوظة فاما انفراجها الذي ذلل حزونته لهم وسهل
عليهم سلوكه فيعود الى عدم حجبها ومنعها لنفوذ علوم الملايكة باعمال الخلايق وما يجري في هذا العالم فا
كان الجسم المتصغر لا يمنع نفوذ جسم اخر فيه من حيث هو متصغر والوصول الى ما وراءه كذلك السماء لا يحجب علوم
الملايكة ان تتعلق بما في هذا العالم من الموجودات تحدث تجري المنفرج من الاجسام فاطلق عليها
لفظ الانفراج وتذليله لحزونة ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه ما لجريان علوم الملايكة
المرتبة في هذا العالم وقوله وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق
صوامت ابوابها فيه احتمالان الاول انك قد علمت فيما سلف ما معنى كون السماء من دخان فاما نداؤه
لها فاشارة الى امره لها بالاتيان والكون في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طايعين واما التحامها فعبارة عن تركيبها بانضمام جزو لها الصوري الى جزئه القابل كما يلتحم طرفا العيبة بشد
عراها واما فتق صوامت ابوابها بعد ذلك الارتتاق فهو جعلها اسبابا لنزول رحمته ومدبرات تنزل
بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع رحمة الله فكانت حركاتها تشبه الابواب اذ هي ابواب رحمته ومفاتيح
جوده والثاني ان العرب تقول كلما علاك فهو سماء وكذلك هذا يحتمل ان يكون المراد بالسماء ما هو اعم
من السماء المعهودة ويكون قوله وناداها اشارة الى سمة السحاب وكونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد
يشبه الدخان فاستعير له لفظه والتحام عرى اشراجها اشارة الى التحام تلك الاجزاء البخارية وانعقادها
سحابا وارتتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
وقوله واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها له معنيان احدهما ان يكون استعار لفظ النقا
ب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم بما وراءها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى الشهب وانها
رصد الثاني ان يكون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة ورشح بذكر النقاب اذ شان الرصد
والحرس حفظ الفرج والابواب ويكون سر ذلك ووجه الحكمة فيه ان العرب كانت تعتقد ان الشيا
طين تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملايكة ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة والمنجمين فلما ان دور السا

والنهي عن التكهن ونحوه مما يتبع فيه من فساد اذهان الخلق وصرف قلوبهم عن الشريعة التي الوحي
اليهم ان هذه الشهب التي تنقض انما جعلت رجوما للشياطين مسترقي السمع وكل من استمع منهم رمي
بشهاب منها وان الاصوات تحجب عنهم فلا يصلون اليها للتخرص في افساد الخلق بانقطاع مادة الكهانة وبخيرها
فتثبتوا اعتقادهم بهم ويكون ذلك كشفا لاوهامهم التي بثها شياطين الفرس وقمعا لها وبالله التوفيق
وقوله وامسكها ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره اي حفظها بقدرته عن ان
تحركها الريح المخترقة فيها مجيئا وذهابا وجرت الحكمة الالهية عليها بالاستقرار انقيادا للقهر والامساك الاول
اشارة الي صنع القضاء والامر الثاني اشارة الي اعتبار القدرة وقوله وجعل شمسها اية مبصرة لنهارها
وقمرها اية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين الاية وكونهما ايتين اي دلالتين على كمال
قدرته ونقل عن ايمة التفسير في ابصار اية النهار ومحو اية الليل وجوه احدها ان ابصار اية
النهار بسبب الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو اية الليل سواء اختلاف احوال القمر في اشراقه في
ضيائه بحيث لا يبقى ليلتين على حالة واحدة بل كل ليلة في منزل بزيادة او نقصان الثاني ما نقل
ان ابن الكواء سأل عليا عليه السلام عن اللطخة التي في وجه القمر فقال ذلك محو اية الليل الثالث عن ابن
كثير ان الايتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوي ايتين فقوله
فمحونا اية الليل اي لم يجعل للقمر نورا من ذاته بل من الشمس وابصار اية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها
ومن هنا لابتداء الغاية او لبيان الجنس ويتعلق بممحوة او بمحذوف وقيل اراد من ايات ليلها وقوله فاجراهما
في مناقل مجراهما وقدر سيرهما في مدارج درجيهما مناقل مجراهما ومدارج درجيهما التي قدر سيرهما فيها هي
بروجها ومنازلها والشمس اي معرفات الدرج والبروج والمنازل واعلم ان الناس قسموا دور الفلك الذي تسير
فيه الكواكب باثني عشر قسما وسموا كلا منها برجا وقسموا كل برج بثلاثين قسما وسموا كل قسم درجة وسموا تلك
البروج احد الحمل الثور الجوزا السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس
الجدي الدلو الحوت والشمس تسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في يومين وربع
وانقص من ثلاثة ايام اما منازل القمر فثمانية وعشرون احدها الشرطين البطين الثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر
الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد
الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر الرشا والقمر يكون كل يوم في منزل منها وكل ذلك بحسبان
ذلك تقدير العزيز العليم وقوله ليميز بين الليل والنهار اي قوله بمقاديرهما اي بمقادير سيرهما وقد
سبق بيانه في الخطبة الاولى وقوله ثم علق في جوها فلكها لما اشار اولا الي تزيينها اشار ثانيا الى افرادها في اجرامها
ركبها ومنوا الماذا اليه تعليق فلكها في جوها فان قلت فقد قال اولا بلا تعليق ثم قال هنا وعلق
فما وجه الجمع قلت التعليق المراد هنا اضافي يصدق على ... اراد بالاول انها غير
معلقة بجسم اخر فوقها وما الثاني انه علقها في جوها بقدرته ولا ... واراد بالفلك اسم الجنس ...

المستديرة

المستديرة التي يصدق عليها هذا الاسم وقوله وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها
كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها كقوله تعالى فاتبعه شهاب
ثاقب وقد تقدم بيانه وانما اعاد ذكر الشهب لانه ذكر اولا انه اقامها رصدا وذكر هاهنا انه جعلها
رصدا اي لمن يسترق السمع بها وقوله واجراها على اذلال تسخيرها اي قوله وسخر لكم كقوله تعالى والشمس و
القمر والنجوم مسخرات بامره والاذلال ... الامكان واليه ... الايجاد والتدبير فاما الثابت والسائر منها فالسائر
هو من الكواكب السبعة زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وتسمى الشمس والقمر
بالنيرين والخمسة الباقية بالمتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثم
عودا الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاستقامة وباقي الكواكب التي على السماء غير هذه السبعة تسمى بالثوا
بت وفلكها الثامن فكل واحد من السبعة يتحرك حركة مخصوصة تخالف حركة الاخر واما صعودها
وهبوطها فصعودها طلبها لشرفها وشرف الشمس في الدرجة التاسعة عشر من الحمل وشرف القمر
في الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل في الحادية والعشرين من الميزان وشرف المشتري في الخامس عشر
من السرطان وشرف المريخ في الثامنة والعشرين من الجدي وشرف الزهرة في السابعة والعشرين
من الحوت وشرف عطارد في الخامسة عشر من السنبلة وشرف الراس في الثالثة من الجوزا وشرف
الذنب في الثالثة من القوس وبرج الشرف كله شرف الا ان تلك الدرجات قوية وما دام الكوكب متوجها الى
درجة الشرف فهو في الازدياد والصعود فاذا جاوزها اخذ في الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب مقابل
شرفه وصعوده فاما نحوسها وسعودها فقالوا زحل والمريخ نحسان اكبرهما زحل والمشتري والز
هرة سعدان اكبرهما المشتري وعطارد سعد مع السعود نحس مع النحوس والنيران سعدان
من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة والراس سعد والذنب والكيد
نحسان ومعنى سعودها ونحوسها كون اتصالاتها اسبابا لصلاح شي من اجزاء هذا العالم وفساده وبالله
التوفيق ومنها في صفة الملائكة عليهم السلام ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى
من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته وملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك
الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد وورا ذلك الر
جيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها انشا
هم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق
من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودايع امره ونهيه وعصمهم
من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة
وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الاثام
ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم

وقد لاذت فاوجه الاجن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته و
هيبته جلالته في اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو في خلق
الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام الايهم ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى
فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود
المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان
به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكاس الروية
من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الر
غبة اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما
سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول
دؤوبهم ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم
ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا
الى راحة التقصير في امره رقابهم ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في هممهم
خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغ
بتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة
من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك
السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات
وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا
تشعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول
ولا ونى ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزداد
ون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما اقول الصفيح السطح والفجاج الطرق
الواسعة والجو المكان المتسع العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق الستر الذي يمد فوق
البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب وتستك الاسماع تصم وخاسئة متحيرة والاخبات التذلل والاستكانة
وذللا سهلة والموصرات المثقلات والعنق جمع عنق وهي المرة بعد المرة والنزائع بالغين المعجمة
الخواطر المفسدة وبالمهملة الفتن والاخياف جمع اخيفة وهي العقد ولاث الصق والقيام جمع قيمة وهي
لفائف التي الدين العلية والمغطية والدلح جمع دالحة وهي الثقال والشمخ العالية وقترة الظلام
سواده والايهم الذي لا يهتدى فيه والتخوم جمع تخم بفتح التاء وهو منتهى الارض وحدودها والريح الهفافة
الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجرة والربق جمع ربقة وهي الحلقة من الحبل والدؤوب الجد
في العمل والاسلة طرف اللسان والجؤار رفع الصوت بالدعاء ونحوه والهمس الخفي من الصوت والاستهتار
الذي بالشيء واستعمله بالاسماء مجيبه وتظاهر به ووشيك السعي قريبه والنسخ الازالة والاستحواذ على

الى

التي الاحاطة بها والغلبة عليها واخياف الهمم مختلفاتها واحدها اخيف والحفدة السرعة واعلم ان هذا
الفصل يشتمل على وصف الملائكة لانهم اشرف الموجودات الممكنة بكمال العبودية لله اذ كان في
معرض تمجيده ووصف عظمته وقد سبق ذكر انواع الملائكة واسكانهم اطباق السموات ترتيبا متفاهما
بقدر الامكان والاشارة هاهنا الى ما يختص بهذا الموضع من المباحث الاول ثم خلق سبحانه
الى قوله من ملائكته يحتمل ان يشير بالصفيح الاعلى الى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها
وسكانه الملائكة المدبرون له ويحتمل ان يريد به محل عبادة الملائكة من حضرة جلال رب العالمين و
عالم الملكوت ومقعد الصدق من سموته فان خلقهم انما كان لعبادته ذلك المحل وهو البيت المعمور بحال اشرف
عبادتهم له ولما كانوا اشرف الموجودات كانوا هم الخلق البديع التام المعجب الثاني قوله فملا بهم فروج
فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من التباين
لولا الملائكة الذين هم ارواح الافلاك وبها قام وجودها وثبت جواهرها محفوظة بها ووجه المشابهة ظاهر ورشح
تلك الاستعارة بذكر الملء والحشو واما فجاجها وفروجها فاشارة الى ما يعقل من اجزائها واجوائها المنتظمة من
التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكة فيكون حشو تلك الفروج بالملائكة كناية عن نظامها بوجودهم فيها
وجعلها منزلة لهم الثالث قوله وبين فجوات تلك الفروج الى قوله الحجب استعار لفظ الزجل لكمال عبادتهم
لربهم فان كمال عبادة الزجل في رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك استعار لفظ الحظاير لمنازل
الملائكة من عالم الغيب ومقامات عباداتهم وظاهر كونها حظاير القدس لطهارتها عن نجاسات الجهل ورذائلها
والنقص اللاحق بالنسبة وكذلك استعار لفظ سترات الحجب والسرادقات لما سبق علينا من حجب
النور التي حجبت بها عن الاذهان او البعد بهم عن المواد والاوضاع الجسمانية ووجه المشابهة كونهم محتجبين
بذاتهم عن رؤية الابصار والاوهام وظاهر كون تلك الحجب سترا ذات المجد لكمال ذواتهم وشرفهم
بها على من دون تلك الحجب الرابع وراء ذلك الرجيج الذي تستك الى قوله حدودها استعار لفظ
الرجيج لعبادات الملائكة كما استعار لفظ الزجل ورشح استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع
وكنى به عن كمال عبادتهم ويحتمل ان يشير بذلك الزجل والرجيج الى ما سمعه الانبياء من اصوات الملائكة كما
نقلت كيفية في سماع الوحي ومبادئه في المقدمة واستعار سبحات النور التي وراء ذلك الرجيج الى جلال وجه
الله وعظمته وتنزيهه ان يصل اليه ابصار البصائر وذكر بلوغ ذلك وراء حجبهم الى ان معارفهم لا تتعلق به
كما هو بل وراء علومهم وغايات اطوار افكارهم من جلاله تنقص معارفهم عنها وتردع ابصار البصائر عن ادراكها
وترجع حسيرة متحيرة واقفة عند حدودها وغاياتها من الادراك الخامس انشاهم على صور مختلفات
الى قوله عزته اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال
والقرب منه ولفظ الاجنحة مستعار للقوى التي بها حصلوا على المعارف الالهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان
كما قال تعالى اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي
له ولذلك جعل الاجنحة هي التي تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله ومنزلته له عما لا ينبغي له وجهه ولا يناسب جلاله

عشر السادس ولا ينتحلون الي قوله يعملون اي لا ينسبون بعض مصنوعاته الي قدرهم وان كانوا وسايط
فيها ولا يدعون انهم يقدرون على شي منها لما انفرد به لعلمهم انهم وسايط في افاضة الجود على مستحقه وما لهم
بجعلهم وسايط فيه بل المنفرد بذاته في ابداعه ولا يدعون القدرة عليه اصلا وذلك لكمال معارفهم باقدارهم ونسبتهم
الي باريهم وقد اكرمهم الله تعالى بالتقديس عن النفوس الامارة بالسوء التي هي مبدا دعوى الاقتدار والخروج عن
طاعته السابع جعلهم فيما هنالك الي قوله ونهيه اي في مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة
الي ذلك في الخطبة الاولى الثامن وعصمهم الي قوله مرضاته منشا الشكوك والشبهات والزيغ عن سبيل الله
هو معارضة النفس الامارة للعقل وجذبها الي طرق الباطل والملايكة مبرؤن عنها فكانوا معصومين ممنوعين
عما يقود اليه وما ينسب من الزيغ والانحراف عن قصد الله وامدادهم بفوايد المعونة زيادتهم في كمالاتهم على غيرهم ودوا
ذلك بدوام وجوده التاسع واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ التواضع والاستكانة لما يلحقهم
من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الي جوده والانقياد تحت عظمته اي جعل ذلك الاعتراف شعارا لازما لذوا
تهم لزوم الشعور ومنع الادراك العاشر وفتح لهم ابوابا ذللا الي تماجيده الابواب الذلل وجوه معارفهم الالهية
التي بها يمجدونه حق تمجيده وهي ابوابهم ووسايلهم الي تنزيهه وتعظيمه وظاهر كونها سهلة اذ حصولها ليس اكتسابا
عن طريق تعترضه بتاكيدها السلوك والشبهات ومنازعات الاوهام والخيالات كما عليه علومنا الحادي عشر
ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده قيل استعار لفظ المنار الواضحة للوسايط من الملايكة المقربين بينهم وبين
الحق سبحانه اذ اخبار عن الملايكة المنادية ولفظ الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده
وتنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنار والاعلام كما تكون وسايط في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملايكة
المقربون والمعارف الحاصلة بواسطتهم تكون وسايط في الوصول الي المطلوب الاول جل عز سلطانه
الثاني عشر لم يثقلهم مؤصرات الآثام لما لم تكن النفوس الامارة بالسوء موجوده لهم استلزم ذلك نفي آثارها
عنهم من الاثام والشرور الثالث عشر ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام اي لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم
عن الوجود وزوال تجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان والتغيرات الحادثة بسببه الرابع عشر ولم ترم
الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة ايمانهم ما لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم
وما ينبغي له ومعاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية واعتراك الشكوك والظنون من منازعة الاوهام والخيالات
وعلوم الملايكة مجردة عنها ومبراة منها ولفظ الرمي مستعار لانبعاث القوى الامارة بالسوء والقائها الخواطر الفا
سدة الي النفس المطمئنة ومن روى النوازع بالعين المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك
لاختلاط الظنون والاوهام على القلب وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهر الخامس عشر ولا قدحت
قادحة الاحن فيما بينهم اي لم تثر بينهم الاحقاد شيئا من الشرور كما يثير الزناد نارا لبراءتهم عن قوى
الغضب والشهوة السادس عشر ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم الي قوله صدورهم لما كانت
الحيرة تردد العقل في اي الامرين اولى بالطلب والاختيار وكان منشا ذلك منع معارضات الوهم والخيال
للعقل حيث لا وهم ولا خيال فلا حيرة تخالط معارفهم وتزيل هيبة عظمته من صدورهم والهيبة كناية عن

استشعار

استشعار عظمته ولفظ الصدور مستعار لذواتهم السابع عشر ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على
فكرهم وقد مر تفسير الوسوسة وفاعل الطمع ههنا اما مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه اي اهل الوساوس وهم الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس واسناد الطمع اليه مجازا كقوله تعالى
واخرجت الارض اثقالها وريبها غلبة الشكوك الناشية عنها على وجوه عقولهم وابصار ذواتهم التي بها ينظرون
الي وجه باريهم وانتفى آثارها عنهم لانتفاء اسبابها وهي النفوس الامارة الثامن عشر منهم من هو في خلق الغمام الي
قوله الايهم هذا التقسيم يعود الي جنس الملايكة فانه الاوصاف السابقة فكانت خاصة بسكان السموات
منهم وقد وردت بان في الغمام ملايكة تسبح الله وتقدسه وكذلك في الجبال والاماكن المظلمة وهم من الملايكة
الارضية وقد علمت ما قيل فيها في الخطبة الاولى التاسع عشر ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى الي قوله المتنا
هية ليس يبعد ان يكون هذا القسم من الملايكة السماوية ايضا واستعار لفظ الاقدام لعلومهم المحيطة باقطار الارضين
السفلى ونهاياتها ووجه المشابهة كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه واصلة الي نهايته كما ان الاقدام تقطع الطريق
وتصل الي الغاية منها وشبهها بالرايات البيض النافذة في مخارق الهواء من وجهين احدهما في البياض فان
البياض لما استلزم الصفاء عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية من كدورات الباطل وظلمات الشبه الثاني
في نفوذها في اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء واشار بالريح التي تحبس الاقدام على حيث انتهت من الحدود الي
حكمة الله التي اعطت كلا ما يستحقه وقضت كل موجود على حده وبهفوفها الي لطف تصرفها وجريانها في المصنوعات
العشرون قد استفرغتهم اشغال عبادته الي قوله وشيجة خيفته اي لم يجعل لهم فراغا لغيرها وقد علمت ان
تحريك الملايكة السماوية لاجرام الافلاك التي هي لها كالابدان بحركة ارادية شوقية للتشبه بالملايكة
المتوسطة بينها وبين الحق سبحانه في كمال عبادتهم لذلك المدركات الالهية الواجبة مستفرغة لهم عن الاشتغال
بغيرها كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وحقايق الايمان تصديقهم الحق بوجوده عن شاهد وجودهم
وظاهر كونه سبب الارادة معرفته التامة والدوام عليها وابراز ما في قوتهم من الكمال بها الي الفعل فان التصديق بوجود
الحق الواجب تحصيل اقوى الاسباب الباعثة على طلبه فصار الايمان به والتصديق الحق اليقين بوجوده وسيلة
جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال بها وقاطعهم اي الوله اليه والعشق له وثبات الرغبات على ما
عنده دون غيره ولما استعار لفظ الذوق لعقلانهم ولفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح
الاستعارة الاولى بذكر الحلاوة وكنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفته كما يلتذ ذايق الحلاوة بها والثانية
بذكر الكاس والروية اذ من كمال الشرب ان يكون بكاس روية اي من شانها ان تروي وكنى بها عن كمال
معارفهم بالنسبة الي غيرهم وكذلك رشح استعارة لفظ التمكن بذكر سويدايها اذ كان من كمال تمكن العوارض
القلبية كالمحبة والخوف ان تبلغ الي سويدايه واشار بوشيجة خيفته الي العلاقة المتمكنة من ذواتهم لخيفته
ومن كمال علمهم بعظمته ولفظ الخيفة مستعار كما سبق لانفعالهم في ذل الامكان عند اعتبار حقه وقهره
الحادي والعشرون فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم تجوز بانحناء الظهور في كمال خضوعهم في عبادتهم وهو
اطلاق الاسم المسبب على السبب الثاني والعشرون ولم تنفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم لما كان من

شأن احدنا اذا رغب الى احد من بعض الملوك وفزع فيها اليه بالتضرع والخدمة ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته
اما دواعي نفسه الى الطلب وميولها وانقطاعها باستيلاء الملال على نفسه وضعفها عن تحمل المشقة او مطلوبه
وبحصول لامكان تناوله وانقطاعه اما باياسه منه او باعطائه اياه وكانت مادة تضرعهم وعبادتهم لله تعالى
على التقديرين برية عن القواطع اما عن دواعيهم فلان الكلال والملال من عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه
كمال معرفة الله تعالى بعد تصورهم لعظمة ذلك المطلوب وعلمهم ان درجات الوصول اليه غير متناهية لا جرم
سلب عنهم في معرض مدحهم انقطاع مادة تضرعهم ليستلزم ذلك سلب انقطاع تضرعهم وعبادتهم له الثاني
والعشرون ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة لديه رفيق خشوعهم لما كان من قرب من السلطان مثلا من شانه ان يقوى
نفسه وتخف هيبته منه وكان ذلك لتناهي نسب ملوك الدنيا وكونه مكتسبا لهم وتصور المتقرب اليهم مثليته
لهم وامكان وصوله الى ما وصلوا اليه وكان سلطان الله لا يتناهى عظمته وعزته وعلوه فانا لم يتصور من المعارف المتقرب
اليه ان تخف هيبته او ينقص خشوعه وعبادته بل كلما ازداد معرفة به ازدادت عظمته في نفسه اذ كان يقدر
في سلوكه عظمة الله بقدر عرفانه به وكلما عبر منزلا من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكمل عقد يقينه
بذلك وعلم نقصان ذاته فكمل خشوعه وصدق خضوعه واستعار لفظ الريق لما حصلوا فيه من الخشوع
الثالث والعشرون ولم يتولههم الاعجاب الى قوله حسناتهم اي لم يستول عليهم والاعجاب هو استعظام الا
نسان نفسه عما يتصور انه فضيلة له ومنشاء وقع الحكم هو النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة
حصلت له عن استحقاق وجب له تبجيله وكرامه مع قطع النظر عن واجب النعم ومفيضها والملائكة
السماوية منزهون عن الاوهام واحكامها غرقى في الوله اليه ودوام مطالعة الانية والاستكانة تحت جلال عزته
فلا يستكبرون ما سلف منهم من عبادة ولا يستعظمون ما صدر عنهم من خير الرابع والعشرون ولم
تجد الفترات فيهم على طول دؤوبهم قد ثبت ان الملائكة السماوية دائمة التحريك لاجرامها حركة لا يتخللها
سكون ولا تنكسر ولا يفترها اعياء وتعب ولبيان ذلك بالبرهان اصول ممهدة في مواضعها واما بالقرآن
فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد سبق الخامس والعشرون ولم تغض رغباتهم
فيخالفوا عن رجاء ربهم المخالفة من الشيء العدول عنه وقد سبق ان رغبات الملائكة السماوية واشواقها
الى كمالاتها دائمة ثابتة فكانت لذلك دائمة الرجاء لها من واهبها ولفظ الغيض مستعار كما سبق
السادس والعشرون ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم طول المناجاة يعود الى توجيه وجوههم
دائما اليه واستعار لفظ الالسنة ورشح بذكر الاسلات ملاحظة للتشبيه بالانسان في مناجاته وكنى بعدم
جفاف السنتهم عن عدم فتورهم وعدم لحوق الاعياء والكلال لهم وظاهر انه لا السنة لحالهم فلا جفاف
السابع والعشرون ولا ملكتهم الى قوله اصواتهم اي لم تشغلهم العبادة فتنقطع اصواتهم وتضعف
فتخفى بالتضرع اليه وهو تنزيه لهم من الاحوال البشرية والعوارض البدنية من الضعف والاعياء
وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال وقوتها وقد سبق ان الملائكة السماوية لا يجوز عليها شيء من تلك العوارض
واستعار لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة الثامن والعشرون ولم تختلف في مقادم

الطاعة مناكبهم الى قوله رقابهم استعار لفظ المقادم من ريش الطائر وهي عشرة في كل جناح لما سبق من وجوبه
من طاعة الله وكان اهم عبادته كسعيه والتوجه اليه ولفظ المناكب وهي اربع ريشات بعد المقادم
في كل جناح لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية للمقادم وعلى نظامها وترتيبها لا تخالف صفها ونسقها
كذلك الملائكة لا تختلف ذواتهم واجرامها في نسق ما امرهم من عبادة ربهم ومعرفته بل صافون لا يحيدون
عن نهجهم بعضا في استقامة طريقهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم في التوجه اليه كما اشار
اليه في بعض الخطبة الاولى وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ الرقاب ولفظ الثني اي لم يلتفتوا
الى الراحة من تعب العبادة فيقصروا في اوامره والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة
لكونهما من توابع هذه الابدان التاسع والعشرون ولا تعدو الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة وفيما
سبق والبلادة هي طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما من عوارض هذا البدن ووسائطه ولذلك
الشهوات والملائكة السماوية بريئة عنها فلم يجز ان يطرأ على قصودهم لما توجهوا له غفلة ولا بلادة حتى يكون
ذلك سببا لاعراضهم عن التوجه فيه ولم يجز ان تنتهي الشهوات فيمنعهم ليهاجم حدائقها ولفظ الانتضال
مستعار لتوارد جواذب الشهوة على النفس الناطقة مع كونها مؤذية لها ومؤدية في قرار الجحيم الثلاثون
قد اتخذوا الى قوله برغبتهم اشار بيوم فاقتهم الى حال حاجتهم في الاستكمال الى جوده وان كان ذلك دائما
فهو ذخرهم الذي اليه يرجعون ولذلك الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق اي المخلوقين الى حال الحاجة ايضا
فانه انما يكون ذخيرة لهم لوجوب رجوعهم اليه فيما يحتاجون وانما يحقق تقصدهم له برغبتهم في الحاجة اليه
الحادي والثلاثون لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادتهم هو الوصول الى كمال معرفته وكانت
درجات المعارف الالهية غير متناهية لم يكن قطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما كانوا غرقى في محبته عالمين بكمال
عظمته وان ما يرجون من تمام جوده اشرف المطالب وارفع المراتب وما يخشون من انقطاع جوده ونزول
حرمانه اعظم المهالك والمعاطب لا جرم دام رجاؤهم له وخضوعهم في وقت الحاجة اليه والفزع من حرمانه وكان
ذلك الرجاء والخوف هو مادة استهتارهم بلزوم طاعته التي يرجعون اليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم
ق بلزومها الثاني والثلاثون لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق
اي لم ينقطع اسباب خوفهم له واسباب حاجتهم الى القيام في الوجود اي الاستكمال بجوده فان الحاجة
الضرورية الى الغير في مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قضائه وتوجب الاقبال على الاستعداد لجوده بلزوم
طاعته وحاجتهم اليه دائمة فجدهم في عبادته دائم فالتواني منه مفقود الثالث والثلاثون ولم ياسرهم
الى قوله اجتهادهم سبب لبعض اوصاف السر عنهم فان كثيرا من العابدين قد يصرفهم عن الاجتهاد في
طاعة الله سبب ما يظهر لهم من كمالات الدنيا وزينتها فيؤثرون ما قرب من السعي في تحصيله على ما يستعد
من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عما وراء هذه الذات
والملائكة منزهون عن الشهوات وما يلزمها من اسر الاطماع الكاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة
لقود الاطماع الى ما يطمع فيه الرابع والثلاثون ولم يستحسروا ما مضى من عبادتهم الى

قوله وجلهم معنى هذه الشرطية انهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيما فكان لفوته
ماحيا لاشفاقهم وخوفهم منه وهذا كان الانسان اذا عمل لبعض الملوك عملا استعظمه فانه يرى في نفسه
استحقاق اتم جزائه ويجد التطاول به والادلال عليه فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظامه
لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه وتقل هيبته لكن الملائكة خائفون
ابدا كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله والملائكة من خيفته فينتج انهم لا يستعظمون سالف عبادتهم
الخامس والثلثون ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم اي في اثباته واستحقاقه كمال
العبادة وذلك لعدم سلطان الشيطان عليهم وهو سبب لبعض احوال البشر ولذلك قوله ولم يفرقهم الى قوله
اخياف الهمم تنزيه لهم عن امور من عوارض البشرية احدها سوء التقاطع ومنه كتقاطع المتعا
دين وتباينهم الناشي عن الغضب والشحناء الناشي عن الحسد وقد علمت ان الحسد رذيلة نفسانية سببها
عن البخل والشره ومنبعها النفس الامارة الثاني تشعب الريب (مصارف) لهم والريب الشكوك والشبه
ومضاربها من الامور الباطلة التي تنصرف اذهانهم اليها عن الشبه او تلك الشبه والشكوك انفسها وتشعبها
لهم اقسامها بحيث يذهب كل واحد من شعبه الى باطل وقد علمت ان منشأ الشكوك والشبهات هو
الوهم والخيال ولما كانوا مبرئين عن النفوس الامارة وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلاثة الرابع لما كان
معبودهم واحدا ومنتهى غاية مطلوبهم كانت هممهم فيه واحدة فلم يلتفتوا الى غيره ولم يفترقوا فيه
السادس والثلثون فمنهم اسراء الايمان قوله ولا فتور استعار لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة ونزه
هم عن ان يجذبهم عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه تنزيههم عنها السابع والثلثون وليس
اطباق السموات الى قوله عظما المراد ان السموات مملوة بالملائكة فبين ساجد لوجه ربه وبين ساع
مجد في امره واعلم ان للسماء ملائكة مباشرة لتحريكها وملائكة على رتبة من اولئك هم الآمرون لهم بالتحريك
فيشبه ان تكون الاشارة بالساجدين منهم الى الآمرين والسجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالمجتهدين و
تكون الاشارة بالساعين المسرعين الى المتولين للتحريك واما زيادتهم بطول الطاعة علما بربهم فلما
ثبت ان حركاتهم انما هي شوقية للتشبه بملائكة اعلى رتبة منهم رتبة في كمالهم بالمعارف الالهية وظهور ما في ذوا
تهم بالقوة الى الفعل وزيادة عزة ربهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم له تابعة لها كما نبهت عليه
من قبل وبالله التوفيق منها في صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور
امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي امواجها وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول
عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل
مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة الذل منقادا
اسيرا وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره وردت من نخوة باوه واعتلائه وشموخ انفه وسمو غلوائه
وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت اكنافها
وحمل شواهق الجبال البذخ على اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها وفرقها في سهوب

بلغ

بيدها

بيدها واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها
فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها
اعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها
على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى
بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين
قزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم
سحابه ارسله سحا متداركا قد اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما القت
السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها اخرج من هوامد الارض النبات ومن
زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر
انوارها وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما
مهد ارضه وانفذ امره اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها
اكله واوعز اليه فيما نهاه عنه واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه
عنه موافاة لسابق علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه
مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي
ودائع رسالاته قرنا فقرنا حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الارزاق
فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من اراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر
والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج افراحها غصص اترا
حها وخلق الآجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها ووصل بالموت اسبابها وجعله خالجا لاشطانها وقاطعا
لمرائر اقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين
ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب وما اصغت لاستراقه مصائخ الا
سماع ومصايف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات وهمس الاقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف
الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال واوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الاشجار والحيتها ومغرز الاوراق من
الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور قطر السحاب في متراكمها
وما تسفي الاعاصير بذيولها وتعفو الامطار بسيولها وعوم نبات الارض في كثبان الرمال ومستقر ذوات
الاجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار وما اوعبته الاصداف وحضنت
عليه امواج البحار وما غشيته سدفة ليل او ذر عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير و
سبحات النور واثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل
نسمة ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة او ساقط ورقة او قرارة نطفة او نقاعة
دم ومضغة او ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا

اعتورتهم في تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نقدمهم عليه واحصاهم عدة ووسعهم عدله وعمهم فضله
مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله اللهم انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير ان تؤمل فخير مامول وان ترج
فاكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك ولا اوجهه الى معادن
الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الادميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكل
مثن على من اثنى عليه مثوبة من جزاء وعارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة
اللهم وهذا مقام من افردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي
فاقة اليك لا يجبر مسكنتها الا فضلك ولا ينعش من خلتها الا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك و
اغننا عن مد الايدي الى سواك انك على كل شيء قدير الاول كبسها اغاصها في الماء بقوة والمور التردد في
الحركة ومستفحل صليله والتلاطم التراد والاواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق التراد ايضا
والاثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها وجمح الفرس اذا غلب صاحبه ولم يملكه والارتماء التقاذف والتراد في
الكلكل الصدر والمستخذي الخاضع والتمعك التمرغ واصطخاب امواجه غلبتها واصواتها والساجي الساكن
والحكمة ما احاط من اللجام بحنك الدابة والدحو البسط والبأو الزهو والشموخ الكبر والترفع والبأو الفخر وشمخ
بانفه تكبر والغلواء التجاوز للحد وكعمته شددت فاه والكظة شدة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق
الخفة والطيش ولبد لصق بالارض ساكنا والذيفان التبختر والبذخ العالية والعرنين اعلى الانف عند
ملتقى الحاجبين والسهوب جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة ايضا والاخدود
الشق في الارض والجلاميد الصخور والشناخيب رؤوس الجبال والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة
وادنيها سطحها وتغلغله دخوله في اعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة في الارض وجراثيم
الارض اعاليها وما اجتمع منها وارض جرز لا نبات بها لانقطاع المطر عنها والروابي عوالي الارض والقزع
قطع السحاب الرقيقة الواحدة قزعة والكفة بالضم ما استطال من السحاب وما استدار فبالكسر والوميض
اللمعان والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الابيض والبعج الشق واسفت دنت من الارض لثقلها
وهيدبه ما تهدب منه الى الارض اي تدلى وتمريه تستخرج ما فيه من الماء والدرر جمع درة بالكسر وهي
كثرة اللبن وسيلانه والاهاضيب جمع هضاب وهو جمع هضب وهو حلبات القطر بعد القطر
والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة القوية من المطر والبرك الصدر والبواني ما يلي الصدر من الاضلاع
وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعب الثقيل وجبل زعر اذا قل نبته والبذخ التكبر والريط جمع ريطة
وهي الملاءة اليتي وسمطت زينت بالخيط وهو العقد ومن رواه شمطت بالشين المعجمة اراد خلطت
والجبلة الخلقة واوعثوا … والعقابيل بقايا المرض والنوح الجوع والفاقة الفقر
والخلج الجدب والانتجاع والاشطان جمع شطن وهي الحبال والمرايض الجبال اللطيفة الفتل والتحا
فت … والرجم بالظن القول عنه والغيابة ظلمة قعر البئر ومصاخ الاسماع خروقها والاصاخة الاستماع
والولائج المداخل والاكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الاستتار وهي الشجر

فشرها

فشرها والافنان الاغصان والامشاج النطفة المختلطة بالدم والتعفو المحو والشناخيب الجبال رؤوسها
رؤوسها وذرات اعاليها والتغريد ترديد صوت الطائر والدياجي جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر
الشارق طلع ورجع الكلمة جوابها والنقف عن عصره يجتمع فيها الدم والعتوة احاطت به والعارفة المعروف
والعيلة الفقر والعبقة الخفة من غيرته واعلم ان هذا الفصل يشتمل على فصلين الفصل الاول
في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه للارض في الماء وجملة من احوالها وهو الى قوله جواد طرقها وفيه ابحاث
البحث الاول في الاستعارات والتشبيهات وابحاث لفظية الاول استعارة لفظ
الكبس لتلقه لها غايصا معظمها في الماء كما يغوص بعض الزق المنفوخ وغوص بالاعتماد عليه الثاني استعا
ر لفظ الاستفحال للموج ووجه المشابهة ما اشترك فيه الموج والفحل من الاضطراب والهيجان والصولة
الثالث تشبيهه بالفحول ايضا ووجه الشبه ما يظهر على رؤوس الموج عند اضطرابه وغليانه من رغوة
الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه الرابع استعار لفظ الجماح لحركة الماء على غير نسق واضطراب لا يملك
معه تصريفه كما يجمح الفرس الخامس استعار اوصاف الناقة من الكلكل والكاهل للارض
ورشح تلك الاستعارة بالوطء والتمعك واما حصب الصدر والكاهل لقوتهما وكنى بالمجموع عن الحاقها بالناقة
السادس استعار لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ الحكمة والانقياد والاسر وكنى بها عن الحاقه بحيوان ن
صائل قهر كالتوحش واضاف الحكمة الى الذل اضافة للسبب الى المسبب السابع استعار لفظ النخوه
والبأو وشموخ الانف والسمو والغلواء والنزق والذيفان والوثب للماء في هيجانه واضطرابه ملاحظة لشبهه
بالانسان المتجبر الشاب في حركاته الموزونة بتكبره وزهوه الثامن استعار لفظ الاكتاف للارض
ووجه المشابهة كون الارض محلا لحمل ما يثقل من الجبال كما ان كتف الانسان وغيره محل لحمل الاثقال التاسع
استعار لفظ العرنين والانف لاعالي رؤوس الجبال كناية عن الحاقها بالانسان وكنى بالتغلغل والتسرب عما
يتوهم من نفوذ الجبال في الارض وغوصها فيها واستعار لفظ الخياشيم لتلك الاسراب الموهومة ولما جعل
الجبال اوتادا جعل لتلك الاسراب المتوهمة قيام الجبال فيها خياشيم العاشر استعار لفظ الركوب
للجبال والاعناق للارض كناية عن الحاقها بالتاجر والمركوب الحادي عشر استعار لفظ الوصال والذريعة
للجداول كناية عن الحاقها بالانسان عديم الوسيلة الى مطلوبه الثاني عشر الصمان في تغلغلها وركوبها
الجبال والصفير في خياشيمها بعودها الى الارض وبا في العبارة ظاهرة الثالث عشر تجوز في اسناد لفظ الاحياء
والاستخراج الى السحاب اذ المخرج هو الله تعالى الرابع عشر كنى بعدم النوم عن عدم اخفاء وميض البرق
في السحاب كناية باستعار الخامس عشر استعارة لفظ الهدب لقطرات المطر المتصل يتلو بعضها بعضا
ملاحظة لشبهها بالخيوط المتدلية السادس عشر استعار لفظ الدرر والاهاضيب وهي الحلبات للغمام
كناية عن الحاقها بالناقة السابع عشر اسند المري الى الجنوب مجازا ولان لها سببية في نزول الغيث
وانما خص الجنوب لانها في اكثر البلاد حارة رطبة اما الحرارة فلانها تاتي من الجهة المتسخنة بمقاربة الشمس
واما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تحلل منها الابخرة وتحفر عنها الجنوب تخالط الرياح واذا

واذا كان كذلك كانت الجنوب اولي بالذكر من وجهين احدهما انها اكثر استعصا بالابخرة
ولذلك كان السحاب الكثر الغنا ذا معها ومصاحبة لها الثاني انها لحرارتها تفتح المسام ولرطوبتها ترخي
فكان ذور المطلوع عنها اكثر **الثاني عشر** استعاد لفظ البذي والبواني للتجايب واسند اليه الالقا
كناية عن الحالية بالحمل الذي الثقل الجمل فرمي بصدد الي الارض **الرابع عشر** سبب الابهاج والازدهار
والبسي الي الارض ذات الازاهير مجازا لملاحظة لشبهها بالماة المنتحية بما عليها من فاخر الملابس و
حيل الثياب **البحث الثاني** ان مقتضى الكلام ان الله تعالى خلق الماء قبل الارض ثم دحاها فيه وسكن
بها مستفعل امواجه وهذا مما يشهد به البرهان العقلي فان الماء لما كان حاويا لاكثر الارض كان سطحه الباطن
مماس لسطحها الظاهر مكانا لها وظاهر ان المكان تقدما باعتباره علي المتمكن فيه وان كان اللفظ يعطي
تقدم خلق الماء علي خلق الارض تقدما زمانيا كما هو المقبول عند السامعين **البحث الثالث**
انه اشير الي كونها مدحوة في القرآن الكريم ايضا والارض بعد ذلك دحاها مع ان الارض كرة كما ثبت بيانه
في علم الهيئة فلا بد من التاويل وقد نبهنا عليه في قوله اللهم داحي المدحوات وقد ورد الخبر ايضا ان الارض
دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الاشارة بالكعبة الي كعبة وجود واجب الوجود
التي هي مقصد وجوه المخلصين التي جعلت هذه الكعبة في عالم الشهادة مثالا لها وكون كل ما من تحتها عبارة
عن وجودها عن ذلك المبدا **البحث الرابع** الاشارة الي خلق الجبال فيها وكونها سببا لسكونها
وللناس في تكوين ما يكون من الجبال فيها وجوه احدها انه قد يكون عن بخار زالت مياهها الثاني قد
يكون عن زلزلة فصلت قطعة علي ناحية فارتفعت الثالث قد يكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا
فتراكم وعلا الرابع قد يكون لعمارات تراكمت فتخربت فاما كونها اسبابا لسكون الارض فقد سبقت
الاشارة اليه في الخطبة الاولي واعلم ان هذا البرهان مطابق علي الشهادة بكونها كما اشير اليه في خطابه
البحث الخامس في تفجير ينابيع العيون في الجبال وغيرها وقد اشار العلماء الي اسبابه فقالوا
ان الادخنة والابخرة ما تحتبس منها تحت الارض وفيه نقب فتح بها ممرا او بخار ومياه فقد يبرد
الابخرة والهواء فيصير ماء حتي له قوة ومدد ينفجر عيونا ويجري علي الولاء لعدم مدخل الهواء بين الخارج وما
يتصل به ويتبعه وما لا مدد له من العيون يركد دماله مدد الا ان اجراء مدده والارض ذاهبه
لا تحتاج الي مقاومة يحصل منه القنوات وماء البير ايضا من قبل ما له مدد لكنه لم يجد سبيلا الي
اجلا الجواب لعدم رخاوة ارضه فخالف القنوات واما خص الجبال بتفجير العيون منها لان العيون
اكثر ما تنفجر من الجبال والاماكن المرتفعة وذلك لشدة احتقان الابخرة تحتها بالنسبة الي سائر
الاماكن الهابطة الرخوة فان الارض اذا كانت رخوة نفضت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر يعتد به
ولان هذا التخصيص ادل علي حكمة الصانع وعنايته بالخلق ومزيد معرض تحديده وتعديد الآية
البحث السابع انما اعد الهواء لساكنها واعلم انه سبحانه لما جعل الهواء عنصر الابدان الحيوانية
وارواحها البدنية كذلك جعله مددا يصل الي الارواح ويكون علة لصلاحها وبقائها بالتعديل وذلك التعديل

يكون بفعلين احدهما الترويح والثاني التنقية اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط بالاحتقان
في الاكمة فان الهواء الذي يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق الاحتقانية المؤدية
الي سوء مزاج يؤدي به عن الاستعداد لقبول الاثر النفساني الذي هو سبب الحياة واما التنقية فهي
باستصحابه عند رد النفس لما سلمته اليه القوة المميزة من البخار الدخاني الذي نسبته الي الروح نسبة
الخلط الفضلي الي البدن فكان التعديل هو ورود الهواء علي الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عند عند
رد النفس وذلك ان الهواء المستنشق انما يحتاج اليه في تعديله اول وروده لكونه باردا بالفعل فاذا استحال
الي كيفية الروح بالتسخين لطول مكثه بطلت فايدته فاستغني عنه واحتيج الي هواء جديد يدخل ويقوم مقامه
فدعت الضرورة الي اخراجه لاخلاء المكان لما قبله وليندفع معه فضول جوهر الروح وهذا معني قوله
عليه السلام واعد الهواء متنسما لساكنها واعتبار اعداده لمنفعة الحيوان اعم مما ذكرنا فانه ايضا مدد
للامزجة المعدنية والنباتية والحيوانية التي يحتاج الانسان في بقايه اليها ولكونه عنصرها ومقيمها في
بقايها وعند ملاحظة هذه المنافع عن الهواء يظهر اثر نعمة الله تعالى به **البحث السابع** في اخراجه
تعالى اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شي
موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة باهلها المخرجين اليها الي الحيوان مطلقا
واعلم ان اذا اردنا فهمنا انه جعلها قرارا لهم رضا لحالنا علينا كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض قرارا
ولكونها فراشا شرايط احدها ان تكون ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف فيها بحسب الاختيار
وموافقة المصلحة دون كونها متحركة الثاني ان تكون خارجة من الماء وذلك ان الانسان وغيره من الحيوانات
البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فاقتضت عناية الحق سبحانه بالحيوان ان ابرز بعضها من الماء ليعيش فيه
ويتصرف عليه الثالث ان لا تكون في غاية الصلابة كالحجر والا لكان النوم والمشي عليها مؤلما وايضا لم
يكن ليثبت فيها انواع النبات والاشجار وايضا لكانت تسخن كثيرا في الصيف وتبرد كثيرا في الشتاء
فما كانت تصلح لسكني الحيوان وايضا كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض الرابع ان لا تكون في غاية
الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيها الانسان الخامس انه سبحانه لم يخلقها في غاية الشفا
فيه واللطافة فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم يتمكن من الاستقرار عليه وان كانت جسما
ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحترق القطن
اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور لكنه خلقها غبراء ليستقر النور علي وجهها فيحصل فيها نوع
من السخونة وخلقها كثيفة لئلا تنعكس الاشعة منها علي ما فيها فتحرقه فصارت معتدلة اي في الحر والبرد تصلح
ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان المنفعة الثانية خلق الجبال فيها وتفجيرها بالمياه كما سبقت
الاشارة اليه المنفعة الثالثة ما يتولد فيها من المعادن والنبات والحيوان وفي انواع كل من هذه
الموجودات واختلاف الوانه وروايحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصي
من المنافع التي يحتاج اليها الانسان في بقايه وصلاحه المنفعة الرابعة كونها اصلا للبدن وذلك ان الماء

لرقته ورطوبته لا يحفظ الشكل والتصوير فاذا خلط بالتراب حصل له قوام واستمساك وحصل قبول الاشكال
والتخطيط كما قال اني خالق بشرا من طين المنفعة الخامسة قبولها الحياة بعد الموت كما قال تعالى
وآية لهم الارض الميتة احييناها **البحث الثامن** في تمجيده تعالى باعتبار انشائه للسحاب
والبرق والنظر في وجه الحكمة فيه وفي اصله وفي حياة الارض به اما وجه الحكمة في انشائه فلكونه مادة لما ينبت في الارض
الجرز مما هو قوام بدن الحيوان كما اشار اليه عليه السلام بقوله ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون و
الانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى قوله وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام ونحوه
قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون
البحث التاسع في تمجيده باعتبار تخديده للفجاج في آفاقها اي الطرق الواسعة في نواحيها كما
قال تعالى وجعل لكم فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون ثم باعتبار اقامة المنار للسالكين فيها
والاشارة بالمنار اما الى النجوم كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال **الفصل الثاني**
في تمجيده تعالى باعتبار خلقه لآدم واختياره له واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان ومقابلة عصيانه بقبول توبته
واهباطه الى الارض واكرام ذريته بجعل بعضهم الانبياء منهم واليهم وقسمته بينهم معيشتهم وآجالهم
بالقلة والكثرة وابتلائه لهم بذلك ونحوه من قوله فلما مهد ارضه وانفذ امره الى قوله قاطعا لمرائر اقرانها و
اعلم ان الكلام في قصة آدم عليه السلام قد سبق في الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده غير ان في هذا الكلام فوائد الفائدة
الاولى معنى قوله مهد ارضه اي جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا او جعلها مهدا كقوله
تعالى جعل لكم الارض مهدا وعلى التقدير الاول ارادته لما خلقها بحيث تسهل على العباد ان يتصرفوا فيها
بالقعود والقيام والزراعة وسائر جهات المنفعة وانفذ امره في خلق آدم خلقه بعد ذلك وعلى التقدير الثاني
يكون لفظ المهد استعارة لها ملاحظة لتشبيهها بمهد الصبي في كونه محل الراحة والنوم الفائدة الثانية
وانفذ امره اي في ايجاد مخلوقاته واتمامها فحكم على العالم بالتمام باختيار نوع الانسان الذي هو تمام دائرة الوجود
فقال له كن فكان الفائدة الثالثة قوله خيرة من خلقه نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر
وشاهد كونه خيرة الله من خلقه قوله تعالى ان الله اصطفى آدم وقوله ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من
وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله ان انواع كرامات الله في حق البشر غير متناهية
كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل فمن وجوه الاول انه سبحانه
مطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه الثاني
انه مطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا الثالث انه مطر
على الشاكرين مطر الزيادة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الخامس انه مطر على المتذكرين [illegible]
مطر التبصير كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون الثاني
ان التكريم لآدم وذريته اما باحوال داخلة في الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها اما البدنية التي

اكرمهم بها فامور الاول الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثاني
حسن القامة والتعديل كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ونبات التي خفي فان اكثرها علوا و
ارتفاعا كان اشرف في نوعه فان احسن الاشجار اعلاها امتدادا الثالث انه اكرمه بتمكينه من
القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح وذلك انه تعالى رتب الخلق على اصناف اربعة احدها ما يشبه
القائمين كالاشجار وثانيها ما يشبه الراكعين كالبهائم وثالثها ما يشبه الساجدين كالحشرات التي تدب على
وجوهها وبطونها ومنها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه
الهيئات ومكنه من ذكره على جميع الاحوال كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم واما الاحوال التي اكرمهم بها غير بدنية فامور احدها الروح التي هي محل العلم باشرف الموجودات
ومبدئها وهو الله تعالى كما قال ونفخت فيه من روحي وشرفه باضافة الروح اليه وبهذا التشريف تميز
عن سائر الموجودات في هذا العالم الثاني العقل وشرفه من وجوه الاول روي ان الله تعالى
اوحى الى داود عليه السلام اذا رأيت عاقلا فكن له خادما الثاني قول الرسول صلى الله عليه اول ما خلق
الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي
منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان
عقلا اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم الكلية الضرورية كما للطفل وهو المشار اليه بقول النبي
عليه السلام والثاني العقل المستفاد وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس
الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله
في الآخرة الثالث العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما
يذكر الا اولوا الالباب وسماه حياة ونورا فقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس واما الكرامة الخارجة عنه فامور احدها انه خلق ما سواه منفعة له فقال
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ففرش الارض
فرشا وجعل السماء سقفا محفوظا وجعل ما اخرج من الارض رزقا له وما ارسله من السحاب من
ماء مادة لذلك كما قال تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه بخلق الشمس والقمر والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين وسخر لكم الليل والنهار وقوله وجعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال ولتعلموا عدد
السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام فجعل منها غذاءه وملبوسه وراحته وجماله وزينته فقال
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ويخلق ما لا تعلمون الثاني روي عن امير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم انه
قال بالدعوة الى الجنة كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام الثالث انه اكرمهم بتخيير قلوبهم

لعرفته والسنتهم لشهادته وابدانهم لخدمته منه فهم بتكليفه وبعث الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعالى
لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم جعل آدم والانبياء من ذريته اكرم عباده لديه تحببا اليهم بالنبوة والر
سالة كما قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من
بعض ثم فضل اولي العزم منهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض ونبه
الخليل والكليم والروح والحبيب فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم در
جات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ثم فضل محمدا صلى الله عليه على الكل فقال وكان
فضل الله عليك عظيما وجعل غايه طسم وخاتمه ظاهرة فقال ولكن رسول الله وخاتم النبيين الغاية
الرابعة قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان آدم اول شخص يكون في الوجود من نوع الانسان وقوله والحق
طرده لمنزلته اي عذابه وكونه مستحقا للقرب منه وقوله فاماته لسابق علمه اشارة الى انه وقع عليه في الوجود
بقيد عن ضابط القلم والقضاء الالهي السابق الغاية الخامسة قوله فاهبطه بعد التوبة من قال ان المراد
بآدم هو نوع النفس البشرية وهو ثبت انه حادث او الشخص الاول منها قال ان التوبة قبل الاهباط هي التوبة
بالقوة المعلومة بيوم من عصاه اولاد آدم التائبين اليه قبل اهباط نفوسهم من درجات عرفانهم والغات
وجوههم الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والانبياء عليهم السلام يرجعون عن المباحات الى ما هو الاولى
والامم من عبادة الله ومطالعة انوار كبريائه ويعدون ما رجعوا عنه ذنبا وجوب عزم عنه توبة كما قال النبي صلى
الله عليه انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وليس ذنب المستغفر منه الا اشتغال ذهنه
بتدبير امور الارض وعاداتها واشتغاله بذلك عن الخلوة بالله واستغراق انوار قدسه الغاية السادسة
قوله وليقيم الحجة به على عباده الذي بعث آدم حجة عليهم اما اولاده الموجودون في زمانه والمنقول انه مات
عن اربعين الفا او من بلغته سنته منهم بعد وفاته والمنقول ان الله تعالى انزل عليه من الاحكام تحريم الميتة والدم
ولحم الخنزير وحروف المعجم احدى وعشرين ورقة وهو اول كتاب كان في الدنيا اجرى الله عليه الالسنة كلها
الغاية السابعة قوله ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته اي ان حجة ربوبيته قائمة
عليهم في كيفية تخليقه لهم وخلق ما يستدلون عليه من صنعه كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية وغيره من الآيات وانما تكون بعثة الانبياء مؤكدة لتلك الحجج مذكرة
للغافلين عنها بها ومنبهة على وجودها وموصلة بينهم وبين معرفته مما جاءت به من الكتب المنزلة و
السنن الشريفة وقوله وبلغ المقطع عذره ونذره اي اعذاره الى الخلق وانذاره لهم بلغ الغاية ومنتهى
كل شيء غايته الغاية الثامنة تقديره الله ارزاقهم تقسيمه لها واعطاء كل مخلوق ما كتب له في اللوح المحفوظ
منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومتعسر ومعاقبة الاضداد عليهم من تنغيص سعة
الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما قال فبينما المرء في ملكه اصبح محتاجا الى الفلس
وكذلك الحاقه السلامة في النعم وطوارق الآفات من غرق او حرق او غضب ظالم وغلب غاشم وكذلك
الارزاق وفرح افراحها وتكدير ما بغصص اتراحها واتراحها ثم خلقه الآجال مقدرة بالطول والقصر والتقديم

والتاخر الغاية التاسعة تقديره للموت متصلا باسبابها ولما كان الاجل عبارة عن وقت ضرورة الموت
وكانت اسباب حصول تلك الاوقات هي بعض الامراض او القتل مثلا لا جرم صدق ان الموت الذي هو عبارة عن
مفارقة الارواح الاجساد كان متصلا بتلك الاسباب واستعار لفظ الخلج وهو الجذب للموت ورشح بذكر الاشطان
ووجه المشابهة ما يستلزمه الموت من قرب الاجل كما يستلزمه الجاذب من قرب المجذوب اليه فقدر الموت
جاذبا للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد واما كونه قاطعا لمرائر اقرانها فاستعار ايضا لفظ المرائر
لاسباب العلاقة بين اقران الاحياء ومنه المتفق دونه في الزمان الواحد الذي يتصل بهم الاجل وتلك الاسباب كالصداقة
والاخوة وسائر اسباب العلاقة بين الناس وظاهر كون الموت قاطعا لتلك المرائر الغاية العاشرة
انه عليهم جعل قسمة الله تعالى للارزاق وتقديرها بالكثرة والقلة والضيق والسعة صورة ابتلاء من الله الشكر
من الاغنياء والصبر من الفقراء وقد اشرنا في قوله الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد بالابتلاء من الله معا
ملته تعالى لعباده معاملة المبتلين المختبرين لانه سبحانه يعلم الخفيات والسرائر فلا يتصور في حقه الاختبار
حقيقة الا انه هيهنا بيانا فنقول ان العبد اذا تمكن في خاطره انما يفعل الله من افاضة نعمه عليه
او حرمانه لها ابتلاء لشكره او صبره فشكر او صبر حصل من شكره او صبره على ملكات فاضلة في نفسه
فيستعد بها لمزيد الكمال وتمام النعمة كما قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم
المهتدون واما التحقيق في امثال هذه القسمة من ضيق رزق او سعته او طول اجل او قصره او معاقبة شدة
لرخاء وحزن لفرح فهو ان لكل واحد من هذه الامور اسباب قد تخفى على من نوضح له ولا بد من انتهائها
الى قضاء الله فما عد منها خيرا فهو داخل في الارادة الكلية للخير المطلق بالذات وما عد منها شرا فلا
يدخل في القضاء الالهي بالعرض كما علم ذلك في مظانه وبالله التوفيق

الفصل الثالث

في تحقيقه سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء وعد من جزئياتها ما حمله في قوله عالم السر من ضمائر المضمرين الى
قوله وما تشتبه خلق وسلاله ولنشر الى ما عناه اشكل من الفاظه الاول هو اطورم الظنون
لما كان الخاطر الظني للانسان يتعلق بمظنونه لا محالة بعدا لم يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو الرمي بالحجر
ونحوه فاستعير لفظه له وانما خص الظن بذلك دون العلم لانه كثيرا ما يظن ما لا يجوز ظنا غير مطابق
كما يظن ببعض الناس ما يقبح منه ويصل اليه بسببه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الا
شياء برميه بالحجر المستلزم لاذاه الثاني عقد عزيمات اليقين العقد في النفس من الجزم
من يقين الثالث ومسارق ايماض الجفون لما اشبه شعاع البصر البرق في وميضه واختفائه
عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض لنوره ولفظ المسارق لمخارجه الرابع استعار
لفظ الاكنان للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ الغيابات للغيوب ووجه المشابهة
كون القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات مانعة من ادراك المبصرات كما يمنع الغيوب ادراك ما فيها
الخامس مصايف الذر ومشاتي الهوام بيوتها واسرابها الصيفية والشتوية من بطن الارض

الواقية لها حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من الوهه تر ديد صوت الثكلى في بكائها وحنينها
الي من فقدته الساد من والانح فلت الاكمام اما حسنت الاضافة هنا لان ذلك كثير غلاف ولا ينعكس
في ان تخصص العام بالاضافة الي بعض جزئياته الساتح محط الاتساح محل نزول النطف من
الاصلاب ومساربها وهي الاوعية التي تتسرب فيها المني والاصلاب التي يتولد عنها الثامن ومات في
العاصيف بذيولها اي ماتثيره وتذروه من التراب واستعار لفظ الذيول لما احد الارض منها الساتح
استعار لفظ العروق لدخول عروق النبات في نواحي الارض لملاحظة شبهها بالماء ودوي بنات الارض تتقدم
البار وهي الهوام التي تنت في الرمل وتغوص فيه وتستتر كالجلكة وهي دويبة كالعظاة دون
الشبر صغيرا املسا تستعملها العرب للسمنة وكوح من الجبال وغيرها العاشر وتغريد ذوات
المنطق استعار لفظ المنطق للطير ووجه المشابهة ان مدلول تغريدها معلوم لها فاشبه النطق المفيد
من الانسان الحادي عشر ما اوعته الاصداف من اللولو والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لولو و
حيوان وغيرهما. لفظ الحضن مستعار للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن في انطباقها على البيض
والفراخ الثاني عشر سبحات النور ما ينشق منه عن كدر الظلمة ولفظ العوج مستعار لمقادن ظلال الغيم
والضمير في قوله عليها يرجع الي الارض وقرارة النطفة مستقرها من الارحام ولفظ النقاعة استعاره للجلي دم
الحيض والمضغة الولد في بعض اطوار خلقته كما عرفته وناشية الخلق ما نشا من مخلوقاته الثالث عشر
قوله لم تلحقه في ذلك كلفة الي قوله ولا فترة الكلفة لكون الفعل مستلزما للفاعل بنوع مشقة وتلك المشقة اما
لضعف قوة الفاعل اوضعف الة او قصور علمه عن تصور ما يفعل والباري تعالي منزه عن هذه الامور لا ستلزامها
منها الحاجة وكذلك العارض من عوارض موانع العلوم ونفوذها مستلزم وجود المقاوم والمثل وقد تنزه قدس
الحق عنهما واما الملالة فالمفهوم منها انصراف النفس عن الفعل بسبب تحلل الارواح الدماغية وضعفها
عن الفعل او لعارض ازالها وقد علمت انها من لواحق الاجسام وكذلك الفترة والباري تعالي منزه عنهما الرابع عشر
قوله بل نفذهم علمه الي قوله وغمرهم فضله اثبت كل واحدة من هذه القراين الاربع مقابلة للاربع التي نفاها
فنفاذ علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفة في علمه بهم واحصائهم بعده مقابل لاعتراض العارضة في
حفظ خلقه ووسع عدله لهم مقابل لنفي اعتراء الملالة في تنفيذ امورهم وتدبير مخلوقاته اذ كان معني عدله فيهم
ضعه لكل موجود في مرتبته وهيئته لما استحقه من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعتراض
الملالة سبب لاختلال نظام الفعل وقوله وغمرهم فضله مقابل لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل
مانع له عن تتميم فعله وتمام جوده وقوله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله تنبيه علي حقارة عبادتهم
في جنب عظمته واستحقاقه لما هو اهل ليدوم شكرهم وثناؤهم ولا يستكثروا شيئا من طاعاتهم و
بالله التوفيق الفصل الرابع في تمجيده خطابا له ودعاؤه وطلب الجزاء لما سبق من
ثنايه وتعداد اوصافه الجميلة وهو رضاه عنه واغناؤه عن غيره وفيه اشارات الاولي قوله انت
اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير اشارة الي انه تعالي بحسب استحقاقه الوصف باشرف

طرفي النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد كمالاته وجهاته بالنظر الي كل جزئي من جزئيات نعمه
هو اهل التعداد الكثير الثانية قوله وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك وما اثني به علي احد سواك
اشارة الي اذنه له في شكره والثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا ينبغي
ان تطلق الا له ومعنى هذا الاذن اما الهام حسن شكر المنعم ومدحه واذ لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق
التمجيد المطلق الا هو او مخاطبته له بايجاب الشكر كقوله تعالى فاشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وبا
لتسبيح في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبحوه بكرة واصيلا و
استعار لفظ المعادن للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشي كما انه مظنة المطلوب كذلك واستعارة
لفظ المعادن للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشي محله منها كذلك الخلق ارباب النعم الفانية مظان
حيث طالبها من ايديهم وحرمانها وكذلك مواضع الريبة اي الشك في منعهم وعطاياهم لها ولذلك فسره
بقوله وعدلت بلساني عن مدائح الادميين والثناء علي المربوبين المخلوقين الثالثة قوله دليلا
نصب علي الحال او المفعول والمراد به جابه دليلا علي ذخاير الرحمة رجاه وان يسوقه بهدايته الي وجوه
الاستعدادات الي رحمته ويستر عليه بتحصيله للاسباب المعدة عن كل خاطر سواه فان كل خاطر
سوى الحق سبحانه ذنب في حق مثله عليه السلام ولفظ الذخاير والكنوز مستعار لجوده السابعة
قوله هذا مقام من افردك بالتوحيد اشارة الي مقامه بين يديه بهذا الذكر والتوحيد في خطبته وهو
توطيه لذكر مطلوبه واستنزال رحمة الله ثم قال وهي فاقة اليك وجه استحقاقه لجوده
اولا وقصر شديد الي قد علي فضله اذ لم يكن فاقة في امر دنيوي يمكن المخلوقين الاتيان به لم
اردفه بذكر مطلوبه وهو رضا الله واغناؤه عمن سواه وظاهر ان حصولهما مستلزم لما رجا الله دليلا
عليه من ذخاير رحمته وكنوز مغفرته وبالله العصمة والتوفيق ومن كلام له عليه السلام
لما اريد علي البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه
والوان لا يقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا
اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الي قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني فانا كاحدكم
ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزيرا خير مني لكم اميرا اقول
حاصل هذا الفصل انه لابد لكل مطلوب علي امر من تعزز فيه وتمنع والحكمة في ذلك ان الطالب لا يكون
متكلا عنت فيما تطلب فان الطبع حريص علي ما منع سريع النفرة عما سورع الي اجابته فيه فاراد عليه
السلام التمنع عليهم لتقوى رغبتهم اليه فانه لم يحصل اليه هذا الامر الا بعد اضطراب في الدين في قتل عثمان رضي الله عنه
والجراة علي الدم فاحتاج في تقويم الخلق وردهم الي قواعد الحق الي ان يزدادوا فيه رغبة بهذا الكلام ومثله فقاله
دعوني والتمسوا غيري الاتري انه نبههم بعد هذا التمنع علي ان هاهنا امورا صعبة مختلفة يريدان يحملهم
عليها ويقاوم بعضهم فيها بعضا ويحملهم علي الصلاح وحمل استقبالهم لتلك الامور الصعبة عليه لا استقا
لته من هذا الامر فقال انا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب اي لا تصبر ولا تثبت عليه العقول

بل تنكرونه وتأباه لمخالفته الشريعة ومضادّته لنظام العالم وذلك الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس
عليه بعد مع التاويلات الفاسدة والشبهات الباطلة ككتيبة معوية واهل البصرة لدم عثمان وكتاويل
الخوارج عليه في الرضا بالتحكيم ونحوه ذلك ومعنى المكنى عنه بالوجوه والالوان كناية بالمستعار وقوله وان الافاق
قد اغامت والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم لما غشي افاق البلاد واقطار العالم من المتغير العا
رضة على الفساد من ظلمات الظلم والجهل ووجه المشابهة ما يستلزم هذه الظلمات من توقع نزول الشرور
بها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها
جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها واعلموا الى قوله عتب العاتب لما تبع عليهم وعلم صدق رغبتهم
فيه شرع في تقرير ما يريد ان يفعله تقريبا اجابته عليهم مع تبع دونه الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم
الى هذا الامر لا يركب بهم الا ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغي الى قول قايل خالف امر الله لمقتضى هواه ولا
عتب عاتب عليه ع انه لم يفعله او لم يرضه مما يخالف ما يعلمه من امر الشريعة اذ القايل والعاتب في ذلك
مفتر على الله وعايب عليه ولقد وفى عليه السلام بما وعدهم يوم ذلك كما سيذكره من قصة اخيه عقيل
لما استماحه برا من شعير حتى احمى له حديدة وقربها منه فان عقيل فقال له ثكلتك الثواكل اتان
من حديدة حماها انسانها للعبه ولا اتان من نار اججها جبارها لغضبه ولفظ الذئب مستعار لهم لاشتراكهما
على ما يعلم وان تركتموني الى اخره اي كنت كاحدكم في الطاعة لاميركم بل لعلي اكون اطوعكم له اي
الحق عليه بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلي انه على تقدير ان يولوا احدا لخالف امر الله لا يكون اطوعهم
له بل اعصاهم واحتمال توليتهم لمن هو كذلك قايم فاحتمال طاعته له وعدم طاعته قايم فحسن ايراد لعل
والواو في قوله وانا لكم وزيرا واميرا حالان والعاملان ما تعلق بهما الجار والمجرور واراد الوزير اللغوي
وهو المعين والظهير الحامل لوزره يظاهره وثقله وظاهر انه عليه السلام كان وزيرا للخلفاء وعضدا لهم
والخيرية هنهنا تعود الى سهولة الحال عليهم في امر الدنيا وانه اذا كان اميرا لهم حملهم على ما يكره طباعهم من
المساواة في الحروب والتسوية في العطايا ومنعهم ما يطلبون مما فيه لشريعة ادنى منع ولا كذلك اذا
كان وزيرا فان حظ الوزير ليس الا المشورة والراي الصالح والمعاضدة في الحروب وقد يخالف في رايه بحيث
لا يتمكن من الزام العمل به وانما كان هذا الفتح دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماعهم بالاجابة والله
التوفيق ومن خطبة له عليه السلام اما بعد ايها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم
يكن ليجترئ عليها احد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل ان تفقدوني فوالذي
نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها
وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني
ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل اذا قلصت حربكم
وشمرت عن ساق وضاقت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية
الابرار منكم ان الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات

يحمن

يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطين بلدا الا ان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء
مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن
بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها
وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير ضاير بهم ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون
انتصار احدكم منهم الا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء
مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة
ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكاس مصبرة لا
يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا
ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه فقأت عينه عورتها
وماج اضطرب والغيهب الظلمة والكلب الشر والكلب داء معروف والفئة الطايفة وناعقها الداعي لها
والمناخ بالضم محل البروك وحوازب الخطوب ما حزب منها اي اصاب والتقلص التقبض وشبهت
اشتبهت واوقعت الشبهة وحام الطاير دار والخطة الحال والامر والناب الناقة المسنة والضروس
التي تعض حالبها والعذم العض ومنه الكذم ايضا والزبن الدفع وتشوها قبح منظرها ومنه قبحة المنظر
وسامه خسفا اولاه ذلا والعنف شدة السوق ويحلسهم اي يلبسهم الحلس ومنه الحلس تحت برذعة
البعير والجزر القطع وبه سميت الجزور لما يجزر من الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته
وشرف وقته به وعلى رذيلة بني امية بذكر فتنتهم وما يلقون منهم ليشتد النفار عنهم وتقوى الرغبة
اليه من وجهين احدهما انه اخبار عما سيكون والثاني بذكر ما اشتهر من فضيلته فانا فقأت
عين الفتنة استعار لفظ الفتنة لاهل البصرة وعنوهم واستعار لها لفظ العين وانما خص العين لانها
اشرف عضو في الوجه وبها تعرف الشخص وحركته ورشح الاستعارة بذكر الفقء وكنى به عن زوال
فتنتهم بسيفه ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري اي ان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال
اهل القبلة ويخافون من ذلك الحوب والاثم ولا يعلمون كيفية قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجيزون
على جريحهم وهل تسبى ذراريهم وتقسم اموالهم اذا بغوا ام لا حتى اقدم عليه السلام على قتالهم ففقأ اعينها فسكنت
بعد هياجها وسبب ذلك حرب عايشة رضي الله عنها وقد صرح عليه السلام بذلك في الفاظ اخرى فقال اما
بعد فانا فقأت عين الفتنة شرقيها وغربيها وشافعها ونادرها لم يكن ليجترئ عليها غيري ولو لم
اكن لما قوتل اصحاب الجمل ولا اصحاب صفين ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقأت عين اهل الفتنة
فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون فقؤه لعيونهم كناية عن قتلهم وروي ان من المتوقفين
عن الحرب الاحنف ابن قيس وجماعة معه وكنى بموج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن
في اذهان الناس حيث جهلوا ان خلاف طلحة وخروج عايشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرا
بهم وقتالهم وقتلهم والكلب كنى باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على

القتل والقتال كناية بالمستعار في الموضعين **وقوله** فاسئلوني الى قوله ومن يموت موتاً تعرض للاسوله
عما سيكون ولم يكن ليجتري على ذلك احد غيره من بين ساير الصحابة والتابعين ولو ادعى ذلك غيره من اهل الريبه
البيان وفضحه الامتحان وروي ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شيتم
وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضراً وهو اذ ذاك غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت
ذكراً ام انثى فسألوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له بما عرفت ذلك فقال من كتاب
الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكراً لقال قال نملة وذلك ان النملة تقع على الذكر والانثى كالحمامة
والشاة وانما يميز بينهما بعلامة التانيث فانظر الى هذا المعجب بنفسه كيف انقطع عن سؤال يمكن
الفطن ان يجيب عنه بادني سعي فكيف به اذا سئل عن الامور المستقبلة التي لا يستنبطها من عالم
الغيب الا من ايد بقوة الهية تكشف النور بصيرته معها حجب الاسرار وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه
من الاخبار عما سيكون وكيفية ذلك واراد بالساعة العامة واستعار اوصاف الابل ورعاتها واصحابها
من الناعق والقايد والسايق والمناخ والركاب والرحال للفيئة المهدية والضالة ومن يهديهم ومن يضلهم ملاحظة
لشبههم بالابل في الاجتماع والانقياد لقايد وداعي والضمير في اهلها يعود الى الفية **وقوله** ولو فقدتموني الى
قوله المسئولين كراهة الامور ما تكره منها وحوازب الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة المهمة
واطراق السايلين لحيرتهم في عواقب تلك الامور الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص وفشل كثير
من المسئولين اي جبنوا عن رد الجواب لجهلهم بعواقبها وما يكون عنه منها وقوله وذلك اشارة الى
اطراق السايلين وفشل المسئولين **وقوله** اذا قلصت حربكم تقشير الكراهة الامور النازلة بهم واستعار
لفظ التقلص والتشمير عن ساق للحرب ووجه الاستعارة تشبيهها بالمجد في الامر الساعي فيه وكذا
انه اذا اراد ان يتوجه فيه قلص ثيابه وشمر عن ساقه لئلا يعوقه وتهيأ واجتمع عليه لذلك الحرب
في كونها مجتمعة على المتوكل بهم والمحوق لهم والواو في قوله فكانت للعطف على شمرت وموضع يستطيلون
نصب على الحال **وقوله** حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم اي الذين يبتلون من بني امية في دينهم في
اعمارهم ويفتح الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم **وقوله** ان الفتن اذا اقبلت شبهت اي يكون
في مبدأها مشتبهة بالحق في اذهان الخلق واذا ادبرت نبهت الاذهان على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين
الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر ما يكون ذلك عند ادبارها كالفساد في الدولة مثلا الذي يعرف به عامة
الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون في آخرها فيكون هو ذنبا بزوالها وعلامة يشرع به
ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات تفسير له اي لا يعرف في مبدأ الحال كونها فتنة ونسبة بكونها حقا
ودعاة هدى فاذا استعقبت عرف انها عن الحق بمعزل وان دعاتها كانوا دعاة ضلالة **وقوله** يحوم حوم الرياح
استعار لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها في دورانها الموهوم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد دون بلد
بالطايفة والريح ولذلك شبهها بحومها ولذلك لفظ الخطا **وقوله** الا ان اخوف الفتن عندي الى اخره شرع
في تعيين ما يريد ان يخبر به وهو بعض ما تعرض للسؤال عنه وانما كانت هذه الفتنة اخوف الفتن لشدتها

على

على الاسلام واهله وكثرة بلوغها اهل الدين فيها بالقتل وانواع الاذى ويكفي في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول
الله صلى الله عليه وقتل الحسين عليه السلام وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها وقتل ابن الزبير
وسب علي عليه السلام ثمانين سنة وما اشتهر من البلاء وغيره بتوليهم الحجاج دماء المسلمين الى غير ذلك مما
هو المسطور في التواريخ واشار بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لها لجريانها على غير
قانون حق فالاعمى المتعرف في حركاته في غير جادة او لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كما لا يهتدي بالعمى
الحسي لذلك لفظ المظلمة **وقوله** عمت خطتها الدنيا ولا يدعها وخصت بليتها اي باهل التقوى
وشيعة علي عليه السلام ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام **وقوله** واصاب البلاء من
ابصر فيها واخطا من عمي عنها اي من اهتدى لكونها فتنة كان منها في بلاء من نفسه ومنهم اما من يقتسر بالقول
الطويل من مشاهدة المنكر وانما منهم فلان المتقي العالم بكونهم ائمة ضلال منحرف عنهم وغير داخل في تصرفهم
الباطل وكان من شانهم يستبيح من هذه حاله بالاذى والقتل فكان البلاء اخص به واما من عمي عن كونها فتنة بل كان
في عمى المجهل عنها فهو مستفاد لدعوتهم الباطلة مساق تحت راياتهم لانهم جار على وفق اوامرهم فكانت
سالما من بلاياهم ثم اردف ذلك بالقسم البار لتجدنهم الناس ارباب سوء الحمرة شبههم في افعالهم المضرة
بالناب الضروس لجالبها واشار الى وجه الشبه بها وضاف فكذبها وعضها وخبطها بيدها وربهما برجلها
وسنها ذروتها اشارة الى جميع حركاتها المؤذية الردية وهي تشبه حركاتهم في الخلق بالاذى والقتل ومنع الرفد
والاستحقاق من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر غايتين لحركاتهم الشريرة وبلاياهم للناس احداهما انهم لا
يتركون من الاذى والقتل الا احد رجلين اما نافع لهم سالت سنتكم او من لا يضرهم بانكار منكر عليهم
ولا مخالفة على دولتهم من ساير العوام والسوقة الثانية انه لا يكون انتصاركم منهم الا مثل انتصار العبد من
سيده والصاحب من استصحبه اي كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده والتابع المستصحب الذي من شانه
الضعف وعدم الاستقلال بنفسه من ليستصحبه كذلك لا يمكن لبقيه من الابرار من بني امية اصلا ويحتمل ان
يريد هنا ما يشبه الانتصار من الغيبة وغيرها كما قال عليه السلام في موضع آخر ويكون نصر احدكم لنصر العبد
من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر فتنتهم وانها مشتملة على فتن مرق واحق
تاتي شايبة وقطعاً كقطع الليل المظلم ومن روى فتنتهم بلفظ الجمع فانه اراد جزئيات شرورهم في دولتهم واستعار
لفظ الشوه لقبحها عقلاً وشرعاً ووجه المتشابهة كونها مستغرزا منها كما ان قبيحة المنظر كذلك ولذلك
استعار لفظ القطع لورودها عليهم ووصفات كقطع الخيل المتتابعة في الغارة والحرب واشار بكونها جاهلية الى
كونها على غير قانون عدلي كما ان حركات اهل الجاهلية كانت كذلك ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم
يرى اي ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يقتدي به **وقوله** نحن اهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها
دعاة اي انا نا نجون من اثامها والدخول فيها الى سبلها وليس المراد انا سالمون من اذاهم غير داعين فيها الى
الحق لشهادة دعوة الحسين عليه السلام الى نفسه وقتله واولاده وهتك ذريته ويحتمل ان يريد انا بنجاة منها او
لسنا فيها بدعاة مطلقا والحسين عليه السلام لم يكن داعيا منبعثا من نفسه للدعوة وانما كان مدعوا الى القيام

بن اهل الكوفة وتجيب اهم **وقوله** ثم ليفرجنها الله كتفريج الاديم الى قوله الا الخوف اشارة الى زوال دولتهم بظهور بني
العباس عليهم وقلعهم واستيصالهم وتتبعهم لاثارهم وحصول الفرج منهم لبقية الابرار من عباد الله المقصودين بازائهم
كما ينفرج الجلد اي عما يلتصق عما فيه ولقد اولاهم بنو العباس من الذل والهوان واذاقوهم كاس العذاب طعوما
مختلفة واروهم عيان الموت الوانا شتى كما هو مذكور في كتب التاريخ ولفظ الكاس والتصبير والعطية مستعارة
ولذلك لفظ التجليس ووجه المشابهة حملهم الخوف بتغاذاتهم كما ان جلس البعير كذلك **وقوله** حتى تود قريش
الى آخره اشارة الى غاية هذه الفرقة المتغلبة من قريش على هذا الامر اي ان حالهم في التراذل والضعف عن
مجاراتهم ينتهي الى ان يحبوا رويته مقاما واحدا مع انه ابغض الخلق اليهم ليقبل منهم حينئذ ما يطلب اليوم
بعضه من نصرتهم له واتباعهم له وانقيادهم لهداه فيمنعونه اياه ولكن عن قصر ذلك المقام المتمني لهم
زمانه لقدر جزر الجزور وصدقه عليه السلام في هذا الخبر ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد آخر ملوك بني
امية قال يوم الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مارا به في صف خراسان لوددت
ان علي ابن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة مشهورة وبالله التوفيق **ومن خطبة**
له عليه السلام فتبارك الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذي لا غاية له فينتهي
ولا آخر له فينقضي **اقول** تبارك قيل مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع واحد والثبات
فيه وقيل من البركة وهي الزيادة وبالاعتبار الاول يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه
قدم الوجود لذاته وبقاء وجوده لا عن استفتاح ولا الى انقطاع وبالاعتبار الثاني اشارة الى فضله واحسانه
ولطفه وهدايته ووجوه الثناء عليه الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن كقوله في صدر الخطبة
الاولى الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هنا بالحدس والحدس في اللغة الظن
وفي اصطلاح العلماء لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادي ثم منها الى المطالب
كان الحدس عبارة عن جودة هذه الحركة الى اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم كلفة وهو مقول
بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وباعلى رتبه قاصر عن تناول ذات الحق تعالى كما سبق **وقوله** الاول
الى آخره قد سبق تفسير اوليته وآخريته غير مرة وبالله التوفيق **منها** قوله فاستودعهم
في افضل مستودع واقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام كلما مضى سلف قام
منهم بدين الله خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله فاخرجه من افضل المعادن منبتا
واعز الارومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر واسرته
خير الاسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمر لا ينال فهو امام من
اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته
الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة
من الامم اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة فالطريق نهج يدعو الى دار السلام وانتم في دار مستعتب على مهل
وفراغ والصحف منشورة والاقلام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة والتوبة مسموعة والاعمال

مقبولة

مقبولة **اقول** النبع الثقل والنفث النفخ والارومة الاصل والصدع الشق ومعنى الاول نسله
ورهطه الادنون واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقدح به واللمع واضح **وقوله** فاستودعهم
اي في ذلك اشارة الى الانبياء عليهم السلام القائمين بدين الله واعلم ان دين الله تعالى واحد بعث جميع الانبياء لتسليك
الخلق اياه وله اصل وفروع فاصله الطريق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم الاخلاق ونظام امر الخلق في معاشهم
ومعادهم وهي الامور التي لا بد منها في الشرع ومتواصل لا تخالف فيه بين [illegible] فاما الاختلافات الواقعة في الشرائع فهي
امور جزئية بحسب مصالح جزئية تتعلق بوقت الرسول المعين وحال الخلق المرسل اليهم يقع عليها ذلك الاصل وتكون
كالمشخصات له والعوارض التي تختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية وافضل مستودع استودعهم فيه حظائر قدسه
ومنازل ملائكته ومواضع [illegible] وخير مستقر اقرهم فيه ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم
الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفة وكرائم الاصلاب ما كرم منها وحق الاصلاب سمحت [illegible] ان يوصف بالكرم
ومطهرات الارحام ما طهر منها وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الانبياء ان يكون طاهرة من [illegible] و
الشيعة يطهرون اصول الانبياء من طرف الاباء والامهات عن الشرك ويحتجون بقوله صلى الله عليه نقلنا من
الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بافضل مستودع وخير مستقر مبدا اصلاب الاباء وارحام
الامهات ويكون قوله تناسختهم تفسيرا له وبيانا **وقوله** كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف اشارة الى
صورة وجود الانبياء عند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه **وقوله** حتى افضت كرامة
الله الى محمد صلى الله عليه الى قوله امناءه اشارة الى غاية سلسلة الانبياء وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ
المعدن والمنبت والمغرس لطينته التي منها [illegible] الى القرابة التي استعدت لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك
الى ذلك مثل ما ان الارض معدن الجواهر ومغرس الشجر الطيب وظاهر ان اصلا انتج مثله افضل المعادن واعز
الاصول وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله وقيل بيته وقبيلته ثم بين انها اخص واشرف فقال من
الشجرة التي صدع منها انبياءه فاستعار لفظ الشجرة لصنف الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طينتها كذلك
صنف الانبياء اشرف من قوابل صورهم ووجه الاستعارة [illegible] من تفرع اشخاص الانبياء وعن
صنفهم كما يتفرع اغصان الشجرة عنها واشارة الى علي وسلالته **وقوله** عترته خير العتر واسرته خير
الاسر بداءة بالعترة لما عرفت انها اخص واقرب من الاسرة ومصداق افضلية عترته قوله صلى الله عليه سادة
اهل المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه افضلية اسرته قوله صلى الله
عليه ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من معد بني النضر بن كنانة واصطفى هاشما من بني النضر و
اصطفاني من بني هاشم وقوله صلى الله عليه قال لي جبرئيل يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم اجد فيها اكرم منك
ولا بيت اكرم من بني هاشم وقوله صلى الله عليه الناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم **وقوله** وشجرته
خير الشجر قيل اراد بالشجرة في الموضعين ابراهيم عليه السلام وقيل اراد هاشما وولده بقرينة قوله نبتت في حرم
واراد مكة وذكر [illegible] الاستعارة بوصف الانبات والبسوق وكنى بالكرم الذي هو عن زكا اصله وما استلزم من
الفضل وكنى بالفروع عن مثل علي عليه وذريته وسائر الشجعان من بني هاشم وبوصفهم بالطول عن بلوغهم

والامور الجزئية المذكورة في الفروع التي تقابلها الاصل

في الشرف والفضل الغاية البعيدة ونوع ترشيح الاستعارة وارتفاع الثمر كناية عن العلوم والاخلاق
المتفرعة عنه ومن ايثار امتثاله ويكونها الاثمار عن شرفها وغموض اسرارها اي انها لشرفها وعلوها لا يمكن ان
ينالها الا اولياؤها او لغموض اسرارها لا تصل الا اذهان اليها **وقوله** فهو امام من اتقى الى قوله ذوق ملغه استعار
لفظ المصباح والسراج والشهاب والزند له صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة كونه سبب هداية الخلق كما ان هذه
الامور الثلاثة كذلك ورشح استعارة السراج بلمعان الضوء والشهاب بسطوع النور والزند ببروق اللمع ويحتمل
ان يكون وجه استعارة الزند كونه منشأ انوار العلم والهداية **وقوله** سيرته القصد اي طريقته العدل
والاستواء على الصراط المستقيم وعدم الانحراف الى احد طرفي الافراط والتفريط وسنته الرشد اي سلوك طريق
الله عن هداية وكلامه الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الوسط
بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الوسط بين رذيلتي الظلم والانظلام **وقوله**
ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل اي ذلة عنه وغباوة من الامم اي جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغي
وقد سبق بيان الفترة **وقوله** اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة استعار لفظ الاعلام لآيات الدين
وما بايديهم من مصابيح الهدى وكنى بكونها بينة عن وضوحها وظهورها بين الخلق **وقوله** فالطريق
نهج يدعوا الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه وضوحها في زمانه عليه السلام وقرب العهد بالرسول صلى الله
عليه وآله فاطلاق كون الشريعة داعية الى الجنة واسناد الدعوة الى الطريق مجازا اذ الداعي قيم الطريق وو
اضعها **وقوله** وانتم في دار مستعتب اي دار الدنيا التي يمكن ان تستعتبوا فيها فتحتبوا اي تطلبوا رضا
الله بطاعته برضى عنكم وعلى مهل اي امهال وانتظار وفراغ من عوائق الموت فما يعده **وقوله** والصحف
منشورة الى آخره والواوات السبع للحال والمراد صحايف الاعمال واقلام الحفظة على الخلق
اعمالهم وفائدة التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل فيها وتذكر اضدادها مما لا يمكن معه
العمل ولا ينفع الندم من الموت وطي الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة وعدم قبول
التوبة كما قال تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام بعثه والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الاهواء
واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى في زلزال من الامر وبلاء من الجهل فبالغ صلى
الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعى الى الحكمة والموعظة **اقول** الفصل تقديم
لفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو في والناس للحال اي في حال ما هم ضالون عن سبيل الله في حيرة من امرهم
ما ذا يتبعون وخابطون في فتنة اي كانت حركاتهم على غير نظام في ضلال البدع ومن دون خابطون تمره
استعارة ووجهها كونهم يجمعون في ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من اقوال وافعال كما يجمع الحاطب ومنه
المثل حاطب ليل لمن جمع بين الغث والسمين والحق والباطل في اقواله **وقوله** قد استهوتهم الاهواء
اي جذبتهم آراؤهم الباطلة الى مهاوي الهلاك او الى اتعابها واستزلتهم الكبرياء اي قادتهم الى الزلل والخطل
عن طريق العدل واقتفاء آثار الانبياء في التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء وطارت

بهم الى ما لا ينبغي من الغارات والفتن في الارض فكانوا ذوي خفة وطيش ولفظ الجهلاء تأكيد للاول
كما يقال ليل اليل ووتد واتد **وقوله** حيارى في زلزال من الامر وبلاء بهم بالغارات وسبي بعضهم بعضا
وقتلهم من الجهل اي لا يهتدون لجهلهم الى مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم وبلائهم بالغارات وسبي
بعضهم بعضا وقتلهم **وقوله** فبالغ الى آخره مضيه على الطريقة سلوكه لسبيل الله من غير انحراف ودعوته
الى الحكمة والموعظة هي دعوته الى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة البرهانية وبالموعظة الدعوة بالخطابة وقد سبقت الاشارة الى
رتبتي المقدمات وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الاول فلا شيء قبله
والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه **اقول** اثنى على الله سبحانه
باعتبارات اربعة الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية واكد كل واحد منها بكماله فكمال الاولية
بسلب قبلية شيء عنه وكمال الآخرية بسلب بعدية شيء له والظاهرية بسلب فوقية شيء له والباطنية
بسلب شيء دونه والمراد بالظاهر هنا العالي فلذلك حسن تأكيده بسلب فوقية الغير له وبالباطن
الذي بطن خفيات الامور علما وهو بهذا الاعتبار اقرب الاشياء اليها فلذلك حسن تأكيده بسلب
ما هو دونه اي ما هو اقرب اليها منه وحصلت حينئذ المقابلة بين الداني والعالي ويحتمل ان يريد بالظاهر
البين ويكون معنى قوله فلا شيء فوقه اي لا شيء يوازي جوده ويحجبه عن معرفة خلقه به وبالباطن الخفي ويعني فلا
شيء دونه اي في الخفاء وقد سبق بيان هذه الاعتبارات الاربعة غير مرة وبالله التوفيق **منها**
في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مستقره خير مستقر ومنبته اشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد
السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت اليه ازمة الابصار دفن به الضغائن واطفأ به النوائر الف
به اخوانا وفرق به اقرانا اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته لسان **اقول** الماهد
جمع ممهد والميم زائدة وثنيت اليه اي صرفت والضغائن الاحقاد والنوائر جمع نائرة وهي العداوة والمحن
والاقران الاخوان المقترنون واشار بمستقره الى مكة وكونها خير مستقر لكونها ام القرى ومقصد
خلق الله ومحل كعبته ويحتمل ان يريد محل من جود الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ
المنبت والمعدن وقد مر بيان وجه استعارتها ومماهد السلامة مجال التوطينة لها وهي كناية عن مكة والمدينة
وما حولها فانها محل لعبادة الله والخلوة به التي هي مهاد السلامة من عذابه وانما كانت كذلك لكونها دار التقشف
خالية عن المشتهيات والقنيات الدنيوية ويحتمل ان يريد بمماهد السلامة ما تقلب فيه وتقلب عليه من مكارم
الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله صرفت نحوه افئدة الابرار تنبيه على ان الصارف هو لطف
الله وعنايته بهم بالغايات قلوبهم الى محبته والاستضاءة بانوار هداه ولما استعار لفظ الازمة للابصار ملاحظة
لشبهها بقياد الابل رشح الاستعارة بذكر الثني وكنى به عن التفات الخلق اليه بابصارهم
وبصائرهم وتلقي الرحمة الالهية منه ثم استعار لفظ الدفن لاخفاء الاحقاد به بعد ان كانت ظاهرة فيما صورا
بها ولفظ الاطفاء لازالة العداوات بجذبه العرب بالتأليف بين قلوبهم كما قال تعالى في اظهار المنة علي

٢٢٤ عباده واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
والاقوام المفرق هم هم المتابعون على الشر وقوله اجتذبه الذلة اي ذلة الاسلام واهله واذل به العزة اي
عزة الشرك واهله وبين ال قد يتبين من هذه الجبب مقابلة ومطابقه فقابل بالتفريق التاليف وبالذلة الا
عزاز وبالعز الاذلال وقوله وكلامه بيان اي لما اشكل من احكام كتاب الله كقوله تعالى لتبين للناس ما
نزل اليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة ان سكوته صلى الله عليه
وسلم يفيد بيانا من وجهين احدهما انه كان يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم ان السكوت عن الخوض
فيما لا يعنيهم الثاني ان الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم ولم ينكر عليهم
علموا بذلك انه على حكم الاباحة فكان سكوته عنهم في ذلك الوقت بيانا له واشبه سكوته عند اللسان المعرب
بلغ عن الاحكام وابانة التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه
وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجا من مساغ ريقه اما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم
ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن لاسراعهم الى باطلهم وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم
رعاتها واصبحت اخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا
فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا اشهود كغياب وعبيد كارباب اتلو عليكم الحكم فتنفر
ون منها واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغي فما اتي على اخر قولي
حتى اراكم متفرقين ايادي سبا ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم
غدوة وترجعون الي عشية كظهر الحنية عجز المقوم واعضل المقوم ايها الشاهدة ابدانهم الغا
ئبة عنهم عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونه وصاحب اهل الشام
يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله ان معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ مني عشرة منكم
واعطاني رجلا منهم يا اهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صم ذوو اسماع وبكم ذوو كلام وعمي
ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند البلاء تربت ايديكم يا اشباه الابل غاب عنها رعا تا
تها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب والله لكاني بكم فيما اخال لو حمس الوغى وحمي
الضراب قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج المراة عن قبلها اني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي و
اني لعلى الطريق الواضح القطه لقطا انظروا الى اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يخر
جوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فان لبدوا فالبدوا وان نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتاخروا
عنهم فتهلكوا لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما ارى احدا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا
قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كان
بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر
يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب **اقول** المرصاد الطريق يرصد بها والرصد الراقب
والشجا الغصص بلقمة وغيرها والحث السوق الشديد واعضل اشكل والحنية القوس ومنى ابتلى وتربت

اصابت

اصابت التراب دون الخير والخال الحسب والوغى الحرب واصله من الاصوات وحمي اشتد واللقط
الطريقة ولبد الطائر لصق بالارض **وقوله** ولئن امهل الله الظالم الى قوله ريقه في معرض التهديد لاهل
الشام باخذ الله لهم وعدم فوتهم وانه لهم بالرصد على جميع حركاتهم وحافظ طريقهم التي هم سالكوها اصلا وعلى
موضع الشجى من مساغ ريقهم ومجرى الحلق وذكر الشجى وكون الله بالرصد تنبيه على ان الله تعالى في مظنة
ان يؤذي الظالم بعقوبته عند اطلاعه على ظلمه كما قال تعالى او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم
على تخوف ثم اردف ذلك بالقسم البار ليظهرن اصحاب معاوية عليهم تنفيرا لهم الى منافرتهم ثم نفى ما عساه
يتوهم انه علة غلبهم لهم كيلا يتخاذلوا بسبب ذلك وهو قوله ليس لانهم اولى بالحق منكم وارده
بتعيين السبب الحقيقي لذلك وهو قوله لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم اي امره الباطل وابطائكم عن حقي
اذ كانت النصرة باجتماع الكلمة وطاعة الامام لا باعتقاد حقية امره مع التخاذل عنه ثم اردف ذلك
بتوبيخهم وتشنيعهم بما هم عليه من مخالفته اي بقوله ولقد اصبحت الامم الى قوله رعيتي لان شان الرعية
الخوف من سلطانها فاذا كان حاله مع رعيته بالعكس كانت البلية عليهم لعجيب [illegible]
التشنيع فيذكر انه في محل ظلم مثله ولقد اشتكى عليهم منهم في مواطن كثيرة كيوم التحكيم اذ قالوا له ان لم
ترض فعلنا بك كما فعلنا بعثمان ونحو ذلك ثم اردف بيان وجوه تقصيرهم ببيان ما فعل في حقهم
من الايادي الجميلة والهداية الى وجوه المصالح من استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم واسماعهم الدعوة
الى مصالحهم سرا وجهرا ونصيحته لهم بالوجوه الصائبة من الراي وهو كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلم
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم الى قوله استكبارا
ثم شبههم بالغياب مع شهادتهم وبالارباب مع كونهم عبيدا ووجه الشبه الاول ان الغائبة في شاهد الموعظة
دون الغائب عنها من حيث عدم الانتفاع بها فاذا ليست الكلمة منهم كالغائب عنها في عدم الانتفاع بها واما الثانية
فلانهم رعية من شانهم التعبد لاوامر امرائهم ثم انهم لتعززهم وشموخهم كبرا وعدم طاعتهم كالارباب الذين من
شانهم ان يامروا ولا ياتمروا ثم وبخهم بنفارهم عما يتلوه عليهم من الحكم وتفرقهم عن مواعظه البالغة لهم واهل
البغي اشارة الى اهل الشام وايادي سبا مثل يضرب في شدة التفرق ضربه لتفرقهم عن مجالس الذكر
ومنها لفظان جعلا اسما واحدا كمعدي كرب وسبا قبيلة من اولاد سبا بن يشجب ابن يعرب
ابن قحطان واصل المثل ان هذه القبيلة كانت بمارب فلما ان دنت انفتاح سد مارب وزالت طريفة
الكاهنة ذلك الامر وعدته العشيرة الى عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا فباع امواله بمارب وارتحل الى
مكة فاصاب هؤلاء الحمى وكانوا لا يعرفونها فدعوا الى الكاهنة فاخبرتهم بما سيقع وقالت انه
مفرق بيننا فاستشاروها في امرهم فقالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد
فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على
ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت ومن كان يريد الراسيات في
الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج ثم قالت

ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والملب والتامير ويلبس الديباج والحرير فليلحق بمصر وعموا
وغيرها من ارض الشام فمكان الذين يسكنونها آل جفنة من غسان ملوك الشام ومن كان منكم
يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والمدح الهراف فليلحق بارض العراق فكا
نت آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسادت حين
تفرق بعد اجتماع ثم لما كانت المخادعة من الاشتغال عن المصلحة قال تتخادعون اي انهم اذا اجتمعوا
من مجلس وعظ اخذ كل منهم يستغفل صاحبه عن تذكر الموعظة ويشغله بغير ذلك من الاحاديث
وان لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة وتقويمه لهم بالغدوة اصلاح اخلاقهم بالحكم في
المواعظ ورجوعهم اليه عشية كظهر الحنية اي معوجين كظهر القوس وهو تشبيه للمعقول من اعوجا
جهم والتوائهم عن جميل الاخلاق بالمحسوس **وقوله** عجز المقوم اشارة الى نفسه واعتراف بعجزه
عن تقويمهم واعضل المقوم اي اشكل امرهم واعياه اداواؤهم عليه ثم عاد الى ندائهم وتنبيههم بذكر
معايبهم لتنفر عقولهم عنها فوصفهم بشهادة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء ثم بكونهم ممن
ابتلي بهم امراؤهم ثم نبههم على رذيلتهم من مخالفة امامهم مع كونه مطيعا لله وما عليه خصومهم من فضيلة طاعة
امامهم مع كونه عاصيا لله وجعل ذلك مقايسة بينهم ليظهر الفرق فتدركهم الغيرة ثم اردفه بتحقيرهم وتفضيل
عدوهم عليهم في الباس والنجدة واستفادة الحال فاقسم انه ليود ان يصارفه معاوية بهم صرف الدينار
بالدرهم وذلك قوله ايها القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك بتبيين ما ابتلي به منهم واشار الى خمس
خصال وانما قال بثلاث واثنتين لتناسب الثلاث وكون الاثنتين من نوع آخر فالثلث الصمم مع كو
نهم ذوي اسماع والبكم مع كونهم ذوي كلام والعمى مع كونهم ذوي ابصار وجمعه هذه الثلاث مع اضدادها
هو سبب التعجب منهم والتوبيخ لهم فاراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم الدينية ونظام امور دولتهم
بآلات السمع واللسان والعين فانه لم ينفعه سمعه وبصره عبره ولم يكن كلامه فيما ينفعه كان كمن قد عدم الآلات
في عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه لان وجودها لما لم يفد منفعة الكسب مضرة فقدانها
عاد بها واما الاثنتان فكونهم لا احرار صدق عند اللقاء اي انهم عند اللقاء لا يصدقون حريتهم ولا تبقى بحلها
تهم من مخالطة الجبن والتخاذل والعبد اذ الحر الخالص من شوب الرذايل والمطاعن ثم كونهم غير
اخوان ثقة عند البلاء اي ليسوا ممن يوثق باخوتهم في الابتلاء بالنوازل ثم عاد الى العتاب عليهم على وجه التعجب
منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم اصابة الخير وقوله يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها
كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب ذكر التشبيه والمشبه به ووجه الشبه ثم اردفه
بذكر رذيلة يظنها منهم بانا دنيا وحتى تفرقهم عنه على تقدير اشتداد الحرب وشبه انفراجهم عنه
بانفراج المراة عن قبلها ليرجعوا الى الانفة وتسليم المراة لقبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة او وقت
الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلته ليثبت قلوبهم وبيانها والبينة التي هو عليها من ربه آيات
الله وبراهينه الواضحة له على وجوده والثقة بما هو عليه من سلوك سبيله وهو قوله تعالى قل اني على بينة

من

من ربي والمنهاج من بينة طريقه وسنته والطريق الواضح الذي هو عليه سبيل الله وشريعة دينه والتقاط
الحق التقاطا بتتبعه وتمييزه عن طرق الضلال بالسلوك ثم اردف فضيلته بالامر باعتبار اهل البيت ولزوم
سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجونهم عنه و
لا يردونهم الى ردى الجاهلية والضلال القديم وفيه ايماء الى ان اتباع غيرهم يؤدي الى ذلك وقوله فان لبدوا فالبدوا
اي ان سكنوا واجلسوا لزوم البيوت عن طلب امر الخلافة والقيام فيه فتابعوهم في ذلك فان سكوتهم قد يكون
لمصلحة يغيب علمها عن غيرهم وان نهضوا الى ذلك فانهضوا معهم ثم نهاهم عن ان تسبقوهم فتضلوا اي ان
لم تتقدموا فيه فان متقدم الدليل شانه الضلال عن القصد وان لا تتاخروا عنهم فتهلكوا اي لا تتاخروا عن
متابعتهم في اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فتكونوا من الهالكين في تيه الجهل وعذاب الآخرة والامامية
تخص ذلك بالاثني عشر من اهل البيت عليهم السلام **وقوله** ولقد رأيت اصحاب رسول الله الى آخره مدح
لخواص الصحابة وذكر لما كانوا من خشية الله ودينه ترغيبا في مثل تلك الفضائل وتحريك بقوله
فما ارى احدا يشبههم منكم لدواعي السامعين من الغيرة على تلك الفضائل ان يختصوا بها دونهم وذكر
من عاداتهم اوصافا احدها الشعث والاغبار وهو اشارة الى تقشفهم وترك زينة الدنيا ولذاتها الثاني
بياتهم سجدا وقياما واشار به الى احيائهم الليل بالصلوات وهو كقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما الثالث مراوحتهم بين جباههم وخدودهم فقد كان احدهم اذا تعب جبهته من طول السجود
راوح بينها وبين خده الرابع وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم واشار به الى قلقهم ووجدهم
من ذكر المعاد واهوال يوم القيامة كما يقلق الواقف على الجمر مما يجده من حرارته الخامس كان
بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد
ماتت جلودها وثفنت كما ان ركب المعزى كذلك السادس انهم اذا ذكر الله هملت اعينهم
حتى تبل جيوبهم ومن روى جباههم فذلك حال سجودهم ممكن وما دوا كما يميد الشجر بالريح العاصف
خوفا من عقاب ربهم ورجاء لثوابه فتارة يكون ميدانهم وقلقهم عن خوف الله وتارة يكون عن الارتياح
والاشتياق الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله تعالى والذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا
عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان باك يبكي
لدينه وباك يبكي لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه
واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله بعافية فاقبلوا
وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين **اقول** نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء التعب ولا
شك ان هذا الفصل اشارة الى بني امية فانهم لم يزالوا ظالمين في زمن الخبر المعلم به وذكر لظلمهم غايات
احدها انهم لا يدعون محرما الا استحلوه واعظم كبائر الجنايات الظلم وقتل النفس وحالهم فيها
مشهور فيما ظلموا بغير حق ومعنى قوله استحلوا (استحلوه) كاستحلال الحلال في عدم التحرج والاثم بها الثانية ان

الجزء الثالث

من كتاب مصباح السالكين شرح
نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
تصنيف الشيخ العلامة مروج المحسنين
وقطب السالكين ميثم بن علي بن ميثم البحراني قدس الله روحه وطاب
رمسه وحشره مع الائمة الطاهرين بمنه وفضله

لا يدعوا عقدا الا حلوه اي من عقود الاسلام التي نظم بها امور العالم من قوانين الشرع وضوابطه وحل رباطه
عن جزم تلك القواعد بمخالفتها الثالثة انه لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا ادخلوا ظلمهم ومنوكيله عن عموم
عداوتهم على وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر وينابيع سوء نعيهم اي اوجب سوء
رعيهم لأهله بنو هم عنه الرابعة ان يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك لدنياه الخامسة وحتى يكون نصرة
احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده ذكر المشبه والمشبه به ثم اشار الى وجه الشبه
بقوله اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه السادسة وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم
بالله ظنا وانما كان كذلك لان حسن الظن بالله اشد الناس بعدا منهم وتوكلا عليه فيكونون عليه
اشد كلفا وله اذى طلبا فكان منهم اكثر تعبا ثم اردف ذلك بانه يوتي الله العافية ان
يقبلها ويشكر الله عليها نعمة وان ذا العافية من الابتلاء يسرورهم لبعض الناس او بقائهم عن ذلك
فخلف من بلاء بينهم ويأمر من ابتلي بينهم بالصبر على ما ابتلي به ووعده على ذلك بحسن العاقبة لازما
للتقوى والصبر كما قال تعالى واصبروا ان العاقبة للمتقين وبالله التوفيق

وهذا آخر الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة وعلى الله قصد السبيل
وهو حسبي ونعم الوكيل وفرغ من كتابته العبد الضعيف الملا
المحتاج الى الله الكثير الزلل الراجي رحمة ربه وشفاعة سيده محمد صلى
الله عليه وآله حسن محمد حسن الجوبياني العاملي
المجاور بالمشهد المقدس الرضوي صلوات الله وسلامه
على مشرفه ضاحي نهار الخميس الخامس عشر
من شهر صفر ختم بالخير والظفر لسنة ثمان
عاشر وسبعماية والحمد لله اولا واخرا
وظاهرا وباطنا

صورة خط المصنف المنقول منه وهذا آخر الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي
ونعم الوكيل وفرغ من كتابته احوج الخلق الى عنايته ابن مصنفه ميثم بن علي بن ميثم البحراني في صفر من سنة اثنتين
وسبعين وستماية حامدا لله ومصليا على نبيه محمد النبي الامي وعلى آله وسلم

ويتلوه في الجزء الثالث ان شاء الله تعالى ومن خطبة له عليه السلام
نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ٥

بلغ مقابلة [illegible] شرح
نهج البلاغة تصنيف الامام العلامة
[illegible] البحراني [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون ونسأله المعا
فاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها
والمبلية لأجسادكم وإن كنتم تحبون تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنهم قد
قطعوه وأمّوا علما فكأنهم قد بلغوه وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها وما عسى أن يكون
بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا
تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فإن عزها وفخرها إلى انقطاع وزينتها ونعيمها إلى
وضرّاءها وبؤسها إلى نفاد وكل مدة فيها إلى انتهاء وكل حي فيها إلى فناء أوليس لكم في آثار الأولين وفي
آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون وإلى الخلف
الباقي لا يبقون أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع
مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى أثر
الماضي ما يمضي الباقي ألا فاذكروا هادم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الأمنيات عند المساورة
للأعمال القبيحة واستعينوا بالله على واجب حقه وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه **أقول**
الرفض الترك والسفر المسافرون وأمّوا قصدوا ويعدوه يتعداه ويحدوه يسوقه والمساورة المواثبة فقوله
نحمده إلى قوله في الأبدان خصص الحمد بما كان لأن الشكر على النعمة مترتب على وقوعها والاستعانة على ما يكون لأن
طلب العون إنما يكون في أمر متوقع بصدد أن يفعل ثم سأل العافية في الأديان كما سألها في الأبدان لأن لها سقما هو
في الحقيقة أشد وقيل لأعرابي ما تشتكي قال ذنوبي فقيل ما تشتهي قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا فقال
الطبيب أمرضني وسمع عمرو العابد البصري رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقال يا عبد الله
غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الأجساد وعمى القلب عن الله أشد والعافية فيها بإمداد العناية
الإلهية ببقائها سليمة أو بتداركها للمذنبين بجذبهم إلى التوبة ثم أردف ذلك بالرأي الصالح والوصية الناصحة
برفض الدنيا وتنفيرهم عنها بذكر معايب أحدها تركها لهم على كل حال وإن لم يحبوا تركها ومن أكبر الآلام
ألم ترك محبوب لا بد من مفارقته تركا باستدراج النفس واستغفالها كي لا يغيظها مفارقته دفعة مع
تمكن محبته من جوهرها فيبقى كمن نقل عن معشوقه إلى موضع ظلماني شديد الظلمة الثاني كونها
مبلية لأجسامهم وإن أحبوا تجديدها وإبلاؤها بالأمراض والهرم ومن شأن المؤذي أن يجتنب لا أن يحب أصلا
ثم أردف ذلك بتمثيلهم في الكون بها فمثلهم بالسفر ومثلها بسبيل هم سالكوه ومن سلك سبيلا فكأنهم
قطعوه والمشبه هو باعتبار سرعة سيرهم وقرب الآخرة منهم وقطع منازل الأعمار والمشبه به قاطع ذلك السبيل
أي من سلك سبيلا أشبه في سرعة سيره من قطعه ثم لما كان لا بد لكل طريق سالك من غاية يقصد
فمن سلك سبيلا فكأنهم بلغوا تلك الغاية أي أشبهوا في قرب وصولهم من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده
وتحقير لمدة البقاء في الدنيا والمقام فيها وأكد ذلك بقوله وما عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى

يبلغها أي إجراؤه إليها بسير سريع وفي بعض النسخ وكم عسى والتقدير وكم عسى مجرى الذي يجري إلى غاية
من إجرائه إليها حتى يبلغها وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجع من مدة المجري ومدة الحياة الدنيا ومفعول
المجري محذوف والتقدير المجري مركوبه ولما لم يكن الغرض إلا ذكر الإجراء لا جرم حذف المفعول وقد يجيء لازما
وكذلك قوله وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه إلى قوله يفارقها أي وما يرجى ويؤمل أن يكون من ذلك البقاء
وكان هنا تامة وهو في الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا والإنكار على المؤمل
الراجي له وعنى بالطالب الحثيث الموت وأسند إليه الطلب مجازا واستعار له لفظ الحدو وقد علمت وجه
هذه الاستعارة وكنى برتبة الحدو عما يتوهم من سوق أسباب الموت للبدن إليه **وقوله** فلا تنافسوا إلى
قوله فإنه نهي عن اعتبار شيء من أحوالها خيرها وشرها من خيرها عزها وفخرها وزينتها ونعيمها ونهى عن
المنافسة فيه والإعجاب به وأما شرها فضراؤها وبؤسها وشدائدها ونهى عن الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عما
نهى عنه بانقطاعه وزواله وما كان من شأنه الزوال والانقطاع فمن الواجب أن لا ينافس فيه ولا يعجب به
وإن عدّ نافعا وأن لا يجزع من وجوده وإن عدّ ضارا **وقوله** أوليس لكم في آثار الماضين إلى قوله لا يبقون
تذكير لهم بآثار السابقين والماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول العبرة لهم به استفهام إنكار
عليهم أن لا يستفيدوا من ذلك عبرة على تقدير أنهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم نبههم على وجه الاعتبار
والاتعاظ وهو عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي فإن ذلك محل العبرة ثم نبههم على ما يرون من أحوال أهل
الدنيا المختلفة ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف أحوالها وعلى أنها لا تصلح قرارا فأهلها بين ميت يبكى وآخر
يعزى وآخر صريع مبتلى بالأمراض والأسقام وآخر يعوده مشغول الخاطر به وآخر في المعافاة والاجتهاد
والسالم من تلك الأمور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له غافل عما يراد به وليس الله بغافل عنه ثم لا بد أن
يمضي على أثر من مضى وإن طال بقاؤه وما فيها يمضي مصيره وإنما قدم الميت في أقسام أهل الدنيا لأن ذكره أشد
موعظة واستعار لفظ الجود للمحتضر ووجه المشابهة أنه يسمح بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من مال
ثم أمرهم بذكر الموت ووصفه بلوازمه المنفرة عنه وهي كونه هادما للذات الدنيوية ومنغصا للشهوات وقاطعا
للأمنيات فيها وعين لهم وقت ذكره وهو عند مساورتهم الأعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها
ثم بالرغبة إلى الله في طلب معونته بجواذب عنايته وجميل لطفه على أداء واجب حقوقه التي كلفنا القيام بها بالمحا
فظة عليها وأداء واجب ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها ملاحظين لجلال كبريائه باعتبار
كل جزئي منها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الناشر في
الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع أموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد أن لا إله غيره
وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بأمره صادعا وبذكره ناطقا فأدى أمينا ومضى رشيدا وخلف فينا
راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع
إذا قام فإذا أنتم ألنتم له رقابكم وأشرتم إليه بأصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى
يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تيأسوا من مدبر فإن

المدبر عني ان تول أخذي قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا ألا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله
كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنايع واراكم
ما كنتم تاملون **اقول** مرق خرج من الدين ودحق هلك والمليك البطي الثاني وخوى النجم سقط
للمغيب والصنيعة النعمة وهذا الفصل يشتمل على اعلامهم بما يكون بعده من ائمة الايمة وتعليمهم ما ينبغي ان يفعل النابت
معهم ويمنيهم بظهور امام من آل محمد عقيب آخر وعدم تكامل صنايع الله فيهم بما يا سلوه من ظهور امام منتظر
فقوله الحمد لله الى قوله حقوقه شكر له تعالى باعتبارين احدهما نشر لفضله في خلقه
الثاني بسطه فيهم بالجود يده وهي نعمته مجازا لتقدسه تعالى عن الجارحة وهو من باب اطلاق اسم
السبب على المسبب وظاهر كون الجود مبدأ النعمة والنشر والبسط وان كانا حقيقة في الاجسام الا انهما
من الاستعارات الشايعة التي قاربت الحقيقة ثم اكد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كل ما ذكر عنه من رضى
ومشية اذ الشدايد اللاحقة من نعمه ايضا فانها اذا قوبلت بصبر جميل استلزمت ثوابا جزيلا كما قال تعالى
وبشر الصابرين الآية وظاهر ان اسباب النعم نعم ولما حمده على ما لحق من نعمه طلب منه المعونة على رعاية
واجب حقوقه واستعار لفظ الصادع للرسول ووجهها انه شق بأمر الله بيضة الشرك وقلوب المشركين
فاخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره تعالى فادى ما امر به امينا عليه وقبضه
الله اليه مرشدا له الى حضرة قدسه ومنازل الابرار من ملايكته وصالح عباده وما طرفا وامينا ورشيدا احوال
واستعار لفظ الراية للحق التي خلفها رسول الله صلى الله عليه الى كتاب الله وسنته واستعار تقدمها والتخلف
عنها الى طرفي الافراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليهما اي ان من كان تحتها لاحقا بها فهو على
جادة الوسط من الفضايل ومن تقدمها كان على طرف الافراط وقد تعدى في طلب الدين واغلى فيه على جهل
فمرق منه كما فعلت الخوارج ومن تخلف عنها على طرف التفريط والتقصير فهلك في طرق الضلال
الحيرة ولفظ الراية مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصودين لتابعيهما يقتدي بهما في سبيل
الله كما ان الراية كذلك واستعار دليلها الى نفسه استعارة ووجهها ان الامام مظهر ومبين لاحكام الكتاب
والسنة وما خفي منها للسالكين الى الله كما ترفع الراية حاملها لتابعيه ليقتدوا به ثم اشار الى صفات
ذلك الدليل وكنى بقوله مكيث الكلام عن ترويته وتثبته في اقواله وما يشير به ويحكم وبقوله بطي القيام
عن تأنيه في حركته في وجوه المصالح الى حين استبانة الرأي الاصلح ووجه المصلحة وبقوله سريع اذا
قام عن مبادرته الى وجوه المصلحة وانتهاز الفرص ثم اكد تذكيرهم بوجوبه وكنى بقوله النعم له رقابكم عن
خضوعهم لطاعته وانقيادهم لاوامره وبقوله واشرتم اليه بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعيينه وتعظيمهم
له واشار الى انه اذا تم الاسلام بموته في وشبه بقوله فلبثتم بعده ما شاء الله الى انهم يخلون عن امام يجمعهم
هذه الاشارة الى ملك بني امية وبقوله حتى يطلع الله لكم الى قوله سوكم على انه لابد لهم بعد تلك المدة
من شخص يجمعهم وطلوعه ظهوره وتعيينه للرياسة بعد اختفا فقيل هو الامام المنتظر وقيل هو قايم بني
العباس بعد انقضاء دولة بني امية **وقوله** فلا تطمعوا في غير مقبل اي من لم يقبل على طلب هذا

الامر

الامر من هو اهل ومتعين له واترك له الى الخلق بانه فلا تطمعوا فيه فانه ان باته شغلا عن كل شيء وقيل المراد
بغير المقبل من انحرف من الدين بارتكاب منكر فانه لا يجوز الطمع في ان يكون اميرا لكم ودون فلا تطعنوا في
عين مقبل اي من اقبل عليكم من اهل البيت طالبا لهذا الامر وهو اهل له ذكره موافقة وكنى بالطعن في عينه عن
دفعه عما يريد **وقوله** ولا تيأسوا من مدبر الى قوله فتثبتا جميعا اراد ان من ادبر عن طلب الخلافة ممن هو اهل
لها فلا ينبغي ان يحصل الاياس من عوده واقباله على الطلب فلعله انما ادبر عن ذلك لاختلال بعض الشرايط التي
يتعين عليه معها القيام وكنى عن اختلال بعض احواله من قلة ناصر ونحوه بزوال احدى قائمتيه وثبات الاخرى
عن وجود بعض الشرايط ككثرة اهليته للطلب او بعض انصاره وبقوله فترجعا حتى تثبتا عن تكامل
شرايط قيامه ولا منافاة في النهي عن الاياس هاهنا النهي عن الطمع في غير المقبل لجواز ان ينهى عن الطمع فيه
حال اعراضه وادباره عن الطلب لاختلال بعض شرايطه والنهي عن الاياس منه لجواز حصول شرايط القيام
فيه وتكاملها **وقوله** الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه الى قوله طلع نجم تعيين للائمة من آل محمد والمراد الائمة
الاثنا عشر من اهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه التشبيه امران احدهما انه يستضاء بانوار هداهم في سبيل
الله كما يستضيء الناس بالنجوم في سفره ويهتدي بها الثاني ما اشار اليه بقوله كلما خوى نجم طلع نجم و
هو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد قام سيد والامامية يستدلون بهذا الكلام منه عليه السلام انه لا يخلو زمان
من وجود قايم من اهل البيت يهدي في سبيل الله اليه **وقوله** فكأنكم الى آخره اشارة الى منة الله
عليهم بظهور الامام المنتظر واصلاح احوالهم بوجوده ووجدت له عليه السلام في اثناء بعض خطبه في اقتصاص
ما يكون بعده فصلا يجري مجرى الشرح لهذا الوعد وهو انه قال يا قوم اعلموا علما يقينا ان الذي يستقبل قايمنا
من امر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول من امر جاهليتكم وذلك ان الامة كلها يومئذ جاهلية
الا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا ان الرفق يمن والاناة بقاء وراحة والامام اعلم بما
ينكر ولعمري لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن عنكم امراء الجور و
ليطهرن الارض من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنن
احياؤكم لموتاكم رجعة الكرة عما قليل فيعيشوا اذن فان ذلك كائن لله انتم باحلامكم كفوا
السنتكم وكونوا من وراء معايشكم فان الحرمان سيصل اليكم وان صبرتم واحتسبتم واستيقنتم انه
طالب وتركم ومدرك لنا ولكم اخذا بحقكم واقسم بالله قسما حقا ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون **ومن خطبة له عليه السلام** يشتمل على ذكر الملاحم الاول قبل كل اول
والآخر بعد كل آخر باوليته وجب ان لا اول له وباخريته وجب ان لا آخر له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهو
ينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذي انبئكم به عن
النبي الامي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام و
فحص براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطأته عضت

الفتنة بانيابها وماجت الحروب بامواجها وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه وقام على ينعه
وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا
وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم
المحصود **اقول** يحرم مكه يحق عليكم واستيواء اماله والضليل الكثير الضلال ونعق صاح وفحص
الطائر الارض بوجهه بحثها والضواحي النواحي البارزة وكوفان الكوفة وفغر فوه انفتح وفلان شديد الشكيمة
اذا كان قوي النفس ابيا والكلوح تكشر في عبوس والكدح فوق الخدش واينع الزرع نضج والحطم الدق ومضمون
هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير السامعين عن عصيانه وعن التمادي بتكذيبه فيما بينهم فيما كان يخبرهم به
من الامور المستقبلة فقوله الاول والاخر قد مضى تفسيرهما **وقوله** باوليته وجب ان لا اول له لما اراد با
وليته كونه مبدأ لكل شي وباخريته كونه غاية ينتهي اليها كل شي في جميع احواله كان بترتيب الاعتبار يجب ان لا يكون له
اول هو مبدأ له ولا آخر يقف عنده وينتهي ووصفه شهادته بانها التي توافق فيها السر الاعلان والقلب
اللسان كناية عن خلوصها عن شائبة النفاق والجحود بالله ثم ايه الناس وحذرهم من شقاقه وعصيانه
وتكذيبه وهو تعريض لمن ضعفت عين بصيرته عن ادراك فضله والاخبار بما سيكون من مثله ثم
استند ما يريد ان يخبر به الى النبي صلى الله عليه ليكون ذلك شهادة لصدقه واكد ذلك بتنزيهه صلى
الله عليه وتنزيه السامع يعني نفسه عن الكذب فيما بلغ عن ربه وفيما سمع منه وقد بينا كيفية اخذه هذه
العلوم عنه في المقدمات **وقوله** لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام من جملة اخباره عما سيكون
والضليل قيل انه اشارة به الى السفياني الدجال وقيل انه اشارة الى معوية فان مبدأ ملكه بالشام و
دعوته بها وانتهت غاراته الى نواحي الكوفة والى الانبار في حيوته عليه السلام كما عرفت ذلك من قبل
وكنى بفحصه براياته عن بلوغه الى الكوفة ونواحيها كناية بالمستعار ملاحظة لشبهه بالقطاة المتخذة
مفحصا وكذلك فغر فاغرته كناية عن اقتحامه الناس كناية بالمستعار ايضا ملاحظة لشبهه
بالاسد في اقتحام فريسته واشتداد شكيمته كناية عن قوة رأيه وشدة بأسه واصله ان الفرس
الجموح ذي القاس يحتاج الى قوة الشكيمة وشدتها وكذلك ثقل وطاته كناية عن شدة باسه في الارض وعلى
الناس والاشبه انه اشارة الى عبد الملك وقد عرفت احواله وثقل وطاته في الارض فيما سبق واستعار
لفظ العض للفتنة ووجه المشابهة ما يستلزمانه من الشدة والالم ورشح تلك الاستعارة بذكر الانياب وابناء
الفتنة اهلها وكذلك استعار لفظ الموج للحرب وكنى به عن الاختلاط الواقع فيها من القتل والاهوال ولا
يام لفظ الكلوح وكنى به عن شدة ما يلقى فيها من الشر كما يلقى المعبس المكشر وكذلك لفظ الكدوح
استعارة لما يلقى فيها من المصائب الشبيهة بها ولفظ الزرع استعارة لاعماله ولفظ الايناع كناية عن
بلوغه غاية افعاله ولفظ الشقاشق والبروق استعارة لحركاته الهائلة واقواله المخوفة تشبيها له بالفحل
ذي الشقاشق والبروق **وقوله** عقدت رايات الفتن المعضلة اي ان هذه الفتنة اذا قامت اثارت
فتنا كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها بالليل المظلم ووجه المشابهة

كونها

كونها لا يهتدى فيها لحق كما لا يهتدى في ظلمة الليل لما يراد وبالبحر الملتطم في عظمها وخلطها الخلق بعضهم ببعض
وانقلاب قوم على قوم بالحق لهم والهلاك كما يلتطم بعض امواج البحر ببعض ثم اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب
تلك الفتنة بعد ما بين الوقائع والفتن وقد وقع فيها من اخباره وقائع جمة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج و
المختار بن ابي عبيدة وغيرهما واستعار لفظ القاصف من الريح لما يمر بها من ذلك ويجري على اهلها من الشدائد
وقوله وعن قليل تلتف القرون بالقرون اي آخر اي عن قليل يلحق قرن من الناس بقرنه وكنى بالتفاف بعضهم
ببعض عن اجتماعهم في بطن الارض واستعار لفظ الحصد والحطم ملاحظة لمشابهتهم الزرع يحصد قائمه و
يحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم او قتلهم وبحطم محصودهم عن فنائهم وتفرق اوصالهم في التراب
واعلم ان الذي سبق في اللفظ دال واضح على ان المراد بالضليل المذكور معوية بل يحتمل ان يريد به شخصا آخر يظهر فيما بعد
يظهر بالشام كما قيل انه السفياني الدجال وان كان الاحتمال الاول اغلب على الظن وبالله التوفيق ٥

ومن خطبة له عليه السلام تجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والا
خرين لنقاش الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم حالا من
وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا **اقول** اشار باليوم الى يوم القيامة ونقاش الحساب المناقشة
والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية ذلك فيما سبق ونحوه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الاية وخضوعا
كقوله تعالى خشعا ابصارهم وقياما كقوله وقام الناس لرب العالمين ومما كناية من بلوغهم حرجهم وقوتهم
اذ ان ويقضهم ان لا سلطانه الا سلطانه والجمهم العرق بلغ منهم مكان اللجام وهو كناية عن بلوغهم الغاية في الجهد اذ
كانت غاية التاعب ان يكثر عرقه وقوله ورجفت بهم الارض كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اذا رجت
الارض رجا وبست الجبال بسا وقال بعضهم المراد بالارض الراجفة وامرجفة ارض القلوب عن تزلزل خشية الله
عليها وشدة اهوال يوم القيامة وقال آخرون ان ذلك صرف الكلام عن ظاهره من غير ضرورة فلا يجوز اذ كل ما اخبر
الصادق عنه من جزئيات احوال القيامة امور ممكنة والقدرة الالهية وافية بها **وقوله** فاحسنهم حالا من
وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا قيل المراد من وجد قدما عقل موضعا من معرفة الله سبحانه وعبادته
ومن وجد لنفسه متسعا في حظائر قدس الله وسعة رحمته وظاهر ان اوليك احسن الخلق حالا يوم القيامة
وحمله على ظاهره موافقة لظاهر الشريعة ممكن **منها** فتن كقطع الليل المظلم لا يقوم لها
قائمة ولا ترد لها راية تاتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها اهلها قوم شديد كلبهم قليل
سلبهم يجاهدهم في الله قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند
ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر **اقول** بجمع قطع
يرفعها من خلف والكلب الشر والاذى له جميع ذيل والرهج الغبار والحس الصوت الخفي وقد نبه في هذا
الفصل على ما سيقع بعده من الفتن ويحض منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع
الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا يقوم لها قائمة اي لا يمكن مقابلتها لما يقع فيها ويدفعها وانما انث لكون القائمة
ومقابلة الفتنة وقيل لا يثبت لها قائمة فرس واستعار لفظ الزمام والرحل والحفز والقائد والراكب وجهد

لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنّى بالزمام والرحل عن تمام اعداد الفتنة وتهيئها كما ان الناقة للركوب انما تكون مزمومة
مرحولة وبقايدها عن اغوائها وتزايلها عن سنّتها المتبوع فيها وبحقبها وجهدها عن سرعتهم فيها واهلها اشارة الى
الزنج وظاهر شدة كلبهم وقلة سلبهم اذ لم يكونوا اصحاب حرب وغنم وقيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة
وكما سنذكر طرفا منها فيما يستقبل من كلامه في فصل آخر وقد وصف مقاتلتهم في الله بكونهم اذلة عند
المتكبرين وكونهم مجهولين في الارض اي ليسوا من ابناء الدنيا المشهورين بنعيمها وكونهم معروفين في السماء وهو اشارة الى
كونهم من اهل العلم والايمان يعرفهم الله بطاعته ويعرفهم ملائكته بعبادة ربهم ثم اردف ذلك باخبار البصرة مخاطبا
لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهر انه لم يكن غبار ولا اصوات اذ لم يكونوا اهل خيل ولا قعقعة
لجم فاذن لا رهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص العقوبة النازلة
بقوم بعضهم كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة **وقوله** وسيبتلى اهلك بالموت
الاحمر والجوع الاغبر فالموت الاحمر قيل اشارة الى قتلهم بالسيف من قبيل الزنج او من قبل غيرهم ووصفه بالحمرة
كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان بسفك الدم واقول قد فسر عليكم بهلاكهم من قبل الغرق كما يحكيه
عنهم وهو ايضا في غاية الشدة لاستلزامه زهوق الروح وكذلك وصف الاغبر لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه
وغيره لحبسه الصافية لقلة مادة الغذاء وردائه وقيل انما سمي اغبر وقيل لانه يلصق بالغبراء وهي الارض وقد اشار عليه
السلام الى هذه الفتنة في فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب البصرة وفتحها وهي خطبة طويلة حكينا
منها فصولا تتعلق بالملاحم من ذلك فصل تتضمن حال غرق البصرة فعند فراغه عليه السلام من ذلك الفصل قام اليه
الاحنف بن قيس فقال له يا امير المؤمنين ومتى يكون ذلك قال يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك و
بينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا اخوانهم اذا هم راوا البصرة قد تحولت
اخصاصها دورا وآجامها قصورا فالهرب الهرب فانه لا بصيرة لكم يومئذ ثم التفت عن يمينه فقال كم
بينكم وبين الابلة فقال له المنذر بن الجارود فداك ابي وامي اربعة فراسخ قال له صدقت فوالذي بعث محمدا واكرمه
بالنبوة وخصه بالرسالة وعجل بروحه الى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني ان قال يا علي هل علمت ان بين
التي تسمى البصرة والتي تسمى الابلة اربعة فراسخ وسيكون في التي تسمى الابلة موضع اصحاب العشور يقتل في ذلك
الموضع من امتي سبعون الفا شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر فقال له المنذر يا امير المؤمنين ومن يقتلهم
فداك ابي وامي قال يقتلهم اخوان الجن وهم جيل كانهم الشياطين سود الوانهم منتنة ارواحهم شديد كلبهم
قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم اذلة عند المتكبرين من اهل ذلك
الزمان مجهولون في الارض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها ثم هملت عيناه بالبكاء
ثم قال ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس قال له المنذر يا امير المؤمنين وما الذي
يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل قال هما بابان فالويح باب الرحمة والويل باب عذاب يا
ابن الجارود نعم ثارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة يكون بها اخراب منازل وخراب ديار و
انتهاك اموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحا يا ويل امرهن حديث عجيب منها ان يستحل بها د

الاجبال

الاجبال الاكبر الاعور الممسوح العين اليمنى والاخرى كانها ممزوجة بالدم لكانها في الحمرة علقة ناتئ الحدقة كهيئة حبة
العنب الطافية على الماء فيتبعه من اهلها عدة من قتل بالابلة من الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب
من يهرب ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الاغبر ثم الموت الاحمر وهو الغرق يا منذر ان للبصرة ثلاثة صح
اسماء سوى البصرة في الزبر الاول لا يعلمها الا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفكة يا منذر والذي
فلق الحبة وبرأ النسمة لو اشاء لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها
الى يوم القيامة وان عندي من ذلك علما جما فان تسألوني تجدوني عالما لا اخطي منه علما ولا وافيا ولقد استو
دعت علم القرون الاولى وما هو كائن الى يوم القيامة قال فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين اخبرني
من اهل الجماعة ومن اهل الفرقة ومن اهل السنة ومن اهل البدعة فقال ويحك اذا سألتني فافهم ولا
عليك ان لا تسأل احدا بعدي اما اهل الجماعة فانا ومن اتبعني وان قلوا وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله
واما اهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني وان كثروا واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله لهم
ورسوله العاملون برايهم واهوائهم وان كثروا وقد مضى الفوج الاول وبقيت افواج وعلى الله قصمها واستيصا
لها عن جدبة الارض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس انظروا الى
الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الآمن
لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها منسوب
الى الضعف والوهن فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرأ تفكر فاعتبر
واعتبر فابصر فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكان ما هو كائن من الآخرة وكل
معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان **اقول** صدفت اعرضت وثوى بالمكان اقام به والفجيع
المصيب والجلد القوي وحاصل الفصل تزهيد الدنيا والتحذير منها فامرهم ان ينظروا اليها نظر الزاهدين فيها
المعرضين عنها امرهم بتركها واحتقارها الا بمقدار الضرورة الى ما يقوم به الصورة ثم اردفه بذكر معايبها
المنفرة فالاولى زوالها المقيم بها المطمئن اليها عما قليل الثاني تجيعها المترف المتنعم بها الذي خدعته با
سائبها حتى ثبت فيها بسبب ما ركن اليه واطمأن عليه الثالث كونها لا يرجع ما تولى منها وادبر من شباب وصحة
ومال وعيش وغيرها الرابع كونها لا يدري ما هو آت من مصائبها فينتظر ويحترز منه الخامس شوب سرورها
بالحزن اذ كان سرورها لا يتقدم في كل اوان فوت مطلوب او فقد محبوب السادس انتهاء قوة
اهلها وصلابتهم الى الضعف والعجز كما قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وقد قصد بعض
الصالحين في الدنيا فقال عيش مشوب وسقم منتاق الى هرم محتوم بعدم مستعقب بندم على الجود
التي هي فيه ثم نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم منها وعلل حسن ذلك الانتهاء بقلة ما يصحبهم منها فان
المنافسة انما ينبغي ان تكون باقية للانسان حيث كان كان واشار بقليل ما يصحبهم منها الى الكفن ونحوه ثم
دعا لمن تفكر فافاده فكره عبرة اي انتقال ذهنه الى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للآ
خرة فافاده ذلك الانتقال ادراك الحق ومشاهدته ببصر البصيرة له ثم اردف بتشبيه وجود متاع الدنيا

الكامنه بقوله تنبيهاً على سرعة لحوق عذابه لوجوده فكان وجوده شبيه بان لم يكن لسرعة زواله وكذلك تشبيه
عدم الآخرة الان وما يلحق فيها من الثواب والعقاب بوجودها الدائم اي كانها لسرعة وجودها ولحوقها لم تزل موجودة
ونبه بقوله وكل معدود منقضي على انقضاء مدة الاعمار لكونها معدودة الايام والساعات والانفاس وقوله وكل
متوقع آت وكل آت قريب دان في صورة الضرب الاول من الشكل الاول ونتيجته فكل متوقع قريب دان الاشارة
الى الموت وما بعده منها العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً الا يعرف قدره وان من ابغض
الرجال الى الله لعبداً وكله الله الى نفسه جائراً عن قصد السبيل سائراً بغير دليل ان دعي الى حرث الدنيا عمل
وان دعي الى حرث الآخرة كسل كان ما عمل له واجب عليه وكان ما ونى فيه ساقط عنه اقول حد العالم
بمن عرف قدره وانما ذلك بقدر مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان عرفانه بذلك مستلزماً لمعرفته بنسبته
الى مخلوقات الله في العالمين وانه اي شيء هو ولاي شيء وجد وفي اي موضع لاجرم كان هو العالم الاتم لحقائق الاشياء
لما انه به عين المتقوي طوع المرسوم له في كتاب ربه وسنة انبيائه وقوله وكفى بالمرء جهلاً الا يعرف قدره
لما كان العلم مستلزماً لمعرفة القدر كان عدم معرفة القدر مستلزماً لعدم العلم وهو الجهل لانه نقيض اللازم يستلزم
نقيض الملزوم وقوله وكفى بذلك الجهل اشارة الى قوته واستلزامه للعذاب وقوله وان ابغض
الرجال الى الله الى قوله قصد السبيل قد سبق بيانه وقوله سائراً بغير دليل كنى بالدليل عن ائمة الهدى
والمرشدين الى الله ويدخل في ذلك الكتاب والسنة فان من سار في معاملته لله او لعبادته بغير دليل منهما كان من
الهالكين وقوله ان دعي الى حرث الآخرة استعار لفظ الحرث لاعمال الدنيا واعمال الآخرة ووجه المشابهة كونها
مستلزمة للمكاسب الاخروية والدنيوية كاستلزام الحرث لذلك ثم شبه ما عمل له من حرث الدنيا بالواجب في مبادرته
اليه ومواظبته عليه وشبه ما قصر عنه من حرث الآخرة بالساقط عنه فرضه في تكاسله وقعوده عنه مع ان الامر
ينبغي ان يكون بالعكس وبالله التوفيق منها وذلك زمان لا ينجو منه الا كل مؤمن نومة ان
شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد اولئك مصابيح الهدى واعلام السرى ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر اولئك
يفتح الله لهم ابواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته ايها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام
كما يكفأ الاناء بما فيه ايها الناس ان الله تعالى قد اعاذكم من ان يجور عليكم ولم يعذكم من ان يبتليكم
وقد قال جل من قائل ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين قال السيد اما قوله عليه السلام
كل مؤمن نومة فانما اراد به الخامل الذكر القليل الشر والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسيح بين
الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذي اذا سمع بفاحشة لغيره اذاعها ونوه بها والبذر جمع
بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه اقول النومة كثير النوم وروي نومة بسكون الميم وهو
الضعيف وكذلك الاقبلته لوجهه وكنى بالنومة عن خامل الذكر بين الناس المشتغل بربه عنهم
كما فسره عليه السلام بقوله ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد واشار باولئك الى كل مؤمن كذلك و
استعار لهم لفظ المصابيح والاعلام لكونهم اسباب الهداية في سبيل الله وقد سبق ذلك وقوله ليسوا
بالمساييح الى قوله ضراء نقمته ظاهر وقد فسر السيد رضي الله عنه مشكله وقوله ايها الناس الى

قوله الاناء بما فيه اخبار بما سيكون من فساد اهل الزمان وما يكون فيه من الفتن وتبدل الدين كما سبق من امثالها
وشبه قلبهم الزمان بقلب الاناء بما فيه ووجه الشبه خروج الاسلام من كونه منتفعاً به بعد من لم العمل به كما يخرج
ما في الاناء الذي كب عن الانتفاع واحسن بهذا التشبيه فان الزمان للاسلام كالاناء والقائه واشار الى ان ذلك ليس بظلم
منه له ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ان ذلك ابتلاء منه يبتلي به
عباده كما قال تعالى ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين فمن صبر نفعه صبره ومن كفر فعليه كفره
وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه وفايدته فلا وجه لاعادته وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية اما بعد فان الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس احد من
العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ولا وحياً فقاتل بمن اطاعه من عصاه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة
ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته الا هالكاً لا خير فيه حتى
اراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم وايم الله لقد كنت من ساقتها حتى
تولت بحذافيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت وايم الله لابقرن
الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته اقول لنشرح ما انفردت هذه الرواية من الزيادة على الفصل
المتقدم فالحسير الذي اعيا في طريقه والرحا قطعة من الارض تستدير وترتفع على ما حولها واستوسقت
اجتمعت وانتظمت وخنت جبنت فهو له بمن اطاعه من عصاه معناه ظاهر
وقوله ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم اي يسارع الى هديهم وتسليكم لسبيل الله كيلا تنزل
بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله فيقعوا في مهاوي الضلال وقوله يحسر الحسير ويقف
الكسير الى قوله لا خير فيه اشارة الى وصفه عليه السلام بالشفقة على الخلق في حال اسفاره معهم
في الغزوات ونحوها اي انه كان يسير في آخرهم ويتفقد المنقطع منهم عياء او انكساراً من كوب فلا يزال
يلطف به حتى يبلغه اصحابه الا ما لا يمكن ايصاله ولا يرجى قال بعض الشارحين كنى بالحسير
والكسير عمن عجز ووقف قدم عقله في الطريق الى الله لضعف في عين بصيرته واعوجاج في آلة ادراكه
وبقياسه عليه حتى يلحقه الى غايته عن اخذه له بوجوه الحيل والجذب الى الدين حتى يوصله الى ما
يمكن من العقائد المرضية والاعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها (ن)
وقوله الا هالكاً لا خير فيه اراد به من كان مايوساً من رشده لعلمه بان تقويمه غير ممكن
كابي لهب وابي جهل ونحوهما وقوله فاستدارت رحاهم استعار لهم لفظ الرحا لاجتماعهم
وارتفاعهم على غيرهم كما يرتفع القطعة من الارض عن ما حولها من التراب ونحوه وقوله واستوسقت
في قيادها اشارة الى طاعة من اطاع من العرب وانقياده للاسلام واستعار لفظ الاتساق والقيا د
ملاحظة لتشبيهم بالابل المجتمعة لسايقها والمنتظمة في قيادها واستعار لفظ الخاصرة للباطل
ورشح تلك الاستعارة بذكر البقر ملاحظة لتشبيهه بالحيوان المبتلع ما هو اعتو فيه منه وكنى به
عن تمييز الحق منه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام حتى بعث محمداً صلى الله

عليه وآله وسلم شهيدًا وبشيرًا ونذيرًا خير البرية طفلًا وانجبها كهلًا اطهر المطهرين شيمة واجود
المستمطرين ديمة فما احلولت لكم الدنيا في لذتها ولا تمكنتم من رضاع اخلافها الا من بعد ما صادفتموها
جائلا خطامها قلقا وضينها قد صار حرامها عند اقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيدًا غير موجود
وصادفتموها والله ظلًا ممدودًا الى اجل معدود فالارض لكم شاغرة وايديكم فيها مبسوطة وايدي القادة
عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة الا ان لكل دم ثائرًا ولكل حق طالبًا وان
الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فاقسم بالله يا بني امية
عما قليل لتعرفنها في ايدي غيركم وفي دار عدوكم الا ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه الا ان اسمع
الاسماع ما وعى التذكير وقبله ايها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاحوا من صفو
عين قد روقت من الكدر عباد الله لا تركنوا الى جهالتكم ولا تنقادوا لاهوائكم فان النازل بهذا
المنزل نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع لراي يحدثه بعد راي يريد ان يلصق ما لا يلتصق و
يقرب ما لا يتقارب فالله الله ان تشكوا الى من لا يشكي شجوكم ومن ينقض برايه ما قد ابرم لكم
انه ليس على الامام الا ما قد حمل من امر ربه الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والاحياء للسنة و
اقامة الحدود على مستحقيها واصدار السهمان الى اهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل
ان تشغلوا بانفسكم عن مستثار العلم من عند اهله وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فانما امرتم بالنهي بعد
التناهي **اقول** الشيمة الخلق واحلولى حلا والخلف حلمة ضرع الناقة والوضين حزام الهودج والمخضود
الذي لا شوك فيه والمائح الجاذب للدلو من البئر وشغر الكلب رفع احدى رجليه ليبول والترويق التصفية
والجرف المكان ياكله السيل وهار اصله هاير وهو المنهدم فقلب من الثلاثي الى الرباعي كشايك و
شاكي والشجو الهم والحزن وصوح النبت يبس **قوله** حتى بعث الله محمدًا الى قوله من بعد ما
انتهى به صلى الله عليه ومدح له بالتوحيد في الدين وتوبيخ بجمع الدنيا ومحبتها بعده وهو في غاية لفضل سابق
كانه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال والقسف والفقر ومنّ عليهم بذكر هذه الغاية الحسنة من
تلك الاحوال ووصفه باوصاف احدها كونه شهيدًا اي على الخلق باعمالهم يوم القيامة كما قال
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا وقد عرفت كيفية هذه
الشهادة الثاني وبشيرًا للخلق بما اعد لهم من الثواب العظيم الثالث ونذيرًا لهم بما اعد للعصاة
من العذاب الاليم وينتظم هذه الاوصاف قوله تعالى انا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا والثلاثة احوال
الرابع خير البرية طفلًا ولما علمت ان الافضلية انما هي بالاعمال الصالحة والسيرة لسلوك سبيل
الله وكان هو صلى الله عليه من صباه وطفوليته افضل الخلق في لزوم ذلك القدم لا جرم كان خير الناس طفلًا
الخامس وانجبها كهلًا ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال والتقاط الفضائل وتتبعها كان
هو صلى الله عليه في كهولته ودعوته منبع كل فضيلة لا جرم كان انجبهم كهلًا وطفلًا وكهلًا منصوبان على
الحال ايضًا السادس كونه اطهر المطهرين شيمة ولما كان عليه السلام متمم مكارم الاخلاق الطاهرة

ولكل خلق عدل فضيلة مكتسبة لا جرم كان اطهر الشيمة واكرم الخلق السابع كونه اجود المستمطرين
ديمة استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق ورشح بلفظ الديمة وكنى
بذلك عن غاية جوده وكرمه وقد كان صلى الله عليه اذا امسى آوى الى البيت فلا يجد فيه شيئًا من فضة
او ذهب الا تصدق به ولم يبت في بيته منه شي وشيمة وديمة منصوبان **قوله** فما احلولت الدنيا
في لذتها الى قوله من بعد الخطاب لبني امية وبخهم وهو تبكيت لهم بتطعمهم لذة الدنيا وابتهاجهم
بها وتمكنهم منها بعد الرسول صلى الله عليه وتذكير لهم بحالهم لشبهه في ذلك واستعار لفظ الاخلاف
وكنى به عن وجوه مكاسب الدنيا ولذاتها ورشح تلك الاستعارة بذكر الرضاع وكنى به عن تناولهم لها
ملاحظة لتشبيهها بالناقة **قوله** صادفتموها الى قوله غير موجود استعار لها لفظ الخطام والوضين
ورشحهما بالقلق والجولان وكنى بذلك عن مصادفتهم الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه غير منظومة الحال
ولا منضبطة على ما ينبغي لضعف ولاتها عن اصلاح حالها كما ان الناقة قلقة الحزام وجائلة الخطام
غير منظومة الآلة ولا منضبطة الحالة فهي معرض ان تلقي وتتصرف على غير استقامة فيهلك راكبها
ثم ذكر رذيلة قوم فشبه حرامها بالسدر المخضود لهم ووجه الشبه ان نواهي الله ووعيده تدعي قتل
المحرمات يجري مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منها كما يمنع شوك السدر جانبه من تناوله ثم
ولما كان بعض الامة قد طرح اعتبار النواهي والوعيد جانبًا عن نفسه وفعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده
مجرى تناوله السدر الخالي عن الشوك في استمرارها له وتناوله واقباله عليه وكون حلالها بعيدًا غير موجود
اي بين اولئك الشاذين وجائلًا وقلقًا حالان **قوله** صادفتموها والله الى قوله معدود استعار
لفظ الظل لها ورشح بالممدود وكنى بذلك عن زوالها بعد حين تهديدًا لهم به ثم استعار لفظ الظل لها ورشح
بالممدود وكنى به عن خلوها لهم تقال بقي الامر الذي شاغرًا برجله اذا لم يكن له طالب ولا حام يحميه وكنى
ببسط ايديهم فيها عن قدرتهم على التصرف واراد بالقادة الخلفاء وبسلاطة سيوفهم على القادة حياتهم وتحكمهم
عليهم وبقبض سيوف القادة عنهم عدم تمكنهم منهم **قوله** الا ان لكل دم ثائرًا الى قوله من هرب تهديد
بالتهم لبني امية وتخويف باخذه وعقابه وهذا من الكلمات الظاهرة الصدق فانه تعالى هو الثائر لكل دم
معصوم والطالب به الا عدم طالبه او ضعف ولما كان دم مسلم عليهم السلام وسائر الصحابة ممن عصمه الله دمه ومنع
منه وحرمه يجري مجرى الحق الثابت المتعارف لله في كونه يطلب به ولا يهمله وهو الحاكم المطلق لا جرم
الشبه له لفظ الثائر وانما قال كالحاكم لان اطلاق لفظ الحق لله ليس بحقيقة اذ الحق ما شانه ان ينتفع
باخذه ويتضرر بتركه والباري تعالى منزه عن ذلك لكن لما جرى ذلك الدم مجرى الحق له تعالى وكان
هو الاخذ به اشبه الحاكم منا في استيفاء الحق ووصفه تعالى بانه لا يعجزه مطلوب ولا يفوته
هارب في معرض التهديد لهم باخذه وقوته ثم اردف ذلك بالقسم البار مخاطبًا لبني امية لتعرفنها اي
الدنيا وامورها في يد غيرهم من اعدائهم وذلك ظاهر الصدق بانتقالها الى بني العباس ثم شرع بعد ذلك في التنبيه
على الفكر في تحصيل السعادة الباقية والخير الدائم وعلى قبول الوعظ والتذكير فاشار الى ان

الابصار الا ابصار ما نفذ في الخير طرفه واسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله واراد بطرفه بصر العقل وسمعه ٢٢٣
استعارة او حسن البصر والسمع على معنى ان افضل الابصار البصر وسماع السمع ما عاد على المبصر والسامع
بالفايدة المطلوبة منهما وهي تحصيل الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق والمقدم ذلك امام مقصوده انه
بالناصح بجذبه الى قبول قوله والاستصباح بنوره واستعار لنفسه لفظ المصباح ورشح بذكر الشعلة والاسـ
ـتصباح واستعار لفظ العين ورشح بذكر الصفو والتروق والمح ووجه الاستعارة الاولى كونه
مقتدى به كالمصباح ووجه الثانية كون العلم المستفاد منه مادة الحياة الابدية كما ان ماء العين
مادة الحيوة الدنيوية وكنى بترويقها من الكدر عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرق اليه فيه شبهة يكدر
يقينه وقوله امرهم بالاهتداء به واخذ العلوم والاخلاق عنه ثم امرهم باخذ ما عنه اردفه بالنهي عن الجهل و
والركون اليه ثم عن الانقياد للاهواء الباطلة المخرجة عن كرايم الاخلاق الى رذايلها وعن حق المصالح الى
باطلها **وقوله** فان النازل بهذا المنزل اراد منزل المشير المدعي للنصيحة لهم عن جهل منه بوجوه المصالح وقد
نبه انه عليه السلام كان يبدي الراي الصالح ويشير عليهم به واذا خالفه بعضهم الى بعض ما كان من ذلك فيه مشقة
عليهم من جهاد او مواظبة على عمل شاق اشاد به قوم والمبغضون له المدعون لاهليتهم لمقامه بعكس ما
راى فيه واشاد به وردوهم عنه الى ما يوافق اهواءهم ويلايم طباعهم فنبه الدين عليه السلام الى ان من نزل
نفسه منزلة المشير الناصح مع انه جاهل كان يشير به عن هوى متبع وجهل فهو على شفا جرف هار واستعار
لفظ الجرف للآراء الفاسدة الصادرة عن اتباع الهوى فانها لم تبن على نظام العقل ولم ترخص فيها الشريعة
فكانت منها لا استقرار عليها الامان ان تصدد ان يهار فكان المشير بها واقف على شفا جرف هار معد
يهار به في نار جهنم او في الهلاك الحاضر يقال لمن فعل فعلا على غير اصل او يتوقع له منه عقوبة مثلا انه
على شفا جرف هار الآية **وقوله** ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع لما كان الردى هو الهلاك وكان
الراي الفاسد يستلزم الهلاك لمن دعا اليه والمشير كان المشير على الخلق به عن هوى كان ناقل الهلاك من
شخص الى غيره والمستشير له على من يشير عليهم به في معرض التنفير عنه **وقوله** لراي يحدثه بعد راي يريد
ان يلصق ما لا يلتصق ذكر غاية تنقله من موضع الى آخر فان نقله للردى يستلزم تنقله وروي ولراي
بالواو وهو على هذه الرواية يكون كلاما مستانفا والتقدير انه ينقب راي يحدثه يريد الصاق ما لا يلتصق
واستعار لفظ اللصق الصلح اي يريد ان يصلح بينكم وبين اعدايكم وذلك امر لا ينصلح ووجه المشابهة كون
المتصلين في طريقين يجمعهما الصلح ويوجب لهما الاتحاد كما يجمع الالصاق بين المتلصقين ويحتمل
انه يريد ان يلصق بكم من الآراء الفاسدة ما لا ينبغي ان يلتصق بكم وكذلك قوله ويقرب ما لا يتقارب اي ويقرب
عليكم ما بينكم وبينهم من البعد والافتراق وذلك امر لا يتقارب ويفهم من هذا ان من كان ينهاهم عن الركون
الى استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم وبين معوية والدخول فيه ثم حذرهم الله وعقابه
في ان يشكوا الى من لا يشكي حزنهم وذلك ان المشتكي اليه والمستشار اذا لم يهم الشاكي همه لم يكن اهلا
للراي في مثل ذلك الامر المشكو فيه وان كان معروفا بجودة الراي وسر ذلك ان الاهتمام بالامر يبعث

الايد

ما يبد الفكر على الاستقصاء في تفتيش وجوه الآراء الصالحة فيه فيكون بصدد ان يستخرج منها
اصلحها وانفعها وان كان دون غيره في جودة الراي بخلاف الخالي العديم الباعث على طلب الاصلح واردفه بنهيهم
عن ان ينقضوا برايه الفاسد ما قد ابرمه هو عليه السلام من الراي الصايب في الجهاد لعدوهم ثم اردفه ببيان
ما يجب على الامام مما هو تكليفه بالنسبة الى الرعية وغايته ذلك الاعذار اليهم فيما عساهم ينسبون به اليه من
تقصير فيركنون الى غيره في الراي ونحوه وذكر امورا خمسة الابلاغ في موعظة العباد ثم الاجتهاد في النصيحة
لهم ثم الاحياء لسنة الله ورسوله فيهم ثم اقامة الحدود التي يستحقونها بجناياتهم ثم اصدار السهمان على اهلها
والسهمان جمع سهم وهو النصيب المستحق لكل مسلم من بيت المال ثم لما سبق نهيه عن الركون الى الجهل امرهم
بالمبادرة الى العلم من قبل تصويح نبته واستعار لفظ النبت ورشح بذكر التصويح وكنى به عن عدمه بموته
عليه السلام **وقوله** ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم اي بتخليصها من شدة الفتن التي سنحت لهم من بني امية
ومعاناتها ومستثار العلم ما استثير منه واستخرج من اهله وهو عليه السلام ومن في معناه من العلماء ثم امرهم بالانتهاء
عن المنكر ثم بنهي غيرهم عنه وان النهي عن التي بعد الانتهاء عنه هو النهي المطابق لمقتضى الحكمة اذ كان
انفعال الطباع عن مشاهدة الافعال والاقتداء بها اقوى واسرع منها عن سماع الاقوال خصوصا اذا خالفها فعل
القايل وذلك امر ظاهر شهدت به العقول السليمة والتجارب وتوافقت عليه الآراء والشرايع واليه اشار
الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم **ومن خطبة له عليه السلام**
الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرايعه لمن ورده واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا لمن علقه وسلما
لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا
لمن تدبر وآية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن
فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج المناهج واوضح الولايج مشرف المنار مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار
رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره
والموت غايته والدنيا مضماره والقيامة حلبته والجنة سبقته **اقول** الابلج الواضح المشرق و
الوليجة بطانة الرجل وخاصته والمضمار محل تضمير الخيل للسباق والحلبة خيل تجتمع من كل صوب للسباق
وقد يطلق على مجمعها والسبقة ما يستبق عليه من الخطر وقد حمد الله سبحانه باعتبار نعمه بوضع شرايع
الاسلام للعقول لتسلك بها اليه وارشادها بها الى موارد العقول من اركانه وتسهيلها لها ايضاح قواعد
وطالبه بحيث يفهمها الفصيح والالكن ويتناول العمى ورود شرايعها الفطن الذكي واعزاز اركا نه
جهاتها ورفعها على من قصد هدمه واطفاء نوره من معاندته من المشركين والجاهلين ثم مدح الاسلام باوصاف
اسندها الى معصوم وشارعه سبحانه وتعالى احدها جعله امنا لمن عقله وظاهر كونه امنا لمن تعلق
به في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب الثاني وكذلك كونه سلما لمن دخله اي سلما له في الاول ملاحظ
للتشبيه بالحصن باعتبار دخوله وفي الثاني ملاحظة لشبهه بالمغالب من الشجعان باعتبار مسالمته ومعنى
مسالمة الاسلام لكونه محقون الدم مصونا على ما كان يطلبه فكان الاسلام مسالمه ومصالحه لكونه لا يقتضي

مايؤذيه بعد دخوله فيه الثالث كونه برهاناً لمن تكلم به اي فيه ما يقوى به كان الرابع كونه شاهداً لمن
خاصم به والشاهد اعم من البرهان لتناوله الجدل والخطابة الخامس كونه نوراً يستضاء به فا
ستعار لفظ له لفظ النور ورشحه بذكر الاستضاءة ووجه المشابهة كونه مقتدى به في طريق
الله الى جنته السادس كونه فهماً لمن عقل ولما كان الفهم عبارة عن جودة تهيؤ الذهن
لقبول ما يرد عليه وكان الدخول في الاسلام ورياضة النفس بقوله واركانه سبباً عظيماً لتهيؤ الذهن
لقبول الانوار الالهية وفهم الاسرار لاجرم اطلق عليه لفظ الفهم مجازاً اطلاقاً لاسم المسبب على السبب
السابع كونه لباً لمن تدبر ولما كان اللب هو العقل اطلق عليه لفظ العقل وان كان سبباً له كالمجاز
الاول واراد العقل بالملكة وما فوقه من مراتب العقل فان الاسلام وقواعده اقوى الاسباب لحصول العقل بمراتبه
الثامن كونه آية لمن توسم واراد من تفرس طرق الخير ومقاصده فان الاسلام آية وعلامة اذ يثبت
المتفرس اذا اهتدى بها فقد وقع على طريق الهدى التاسع كونه تبصرة لمن عزم واراد من عزم على امر فضله
فان في الاسلام تبصرة لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي العاشر كونه عبرة لمن اتعظ وذلك ظاهر
فان الاسلام نعم المخبر لنفس المتعظ الى حضرة قدس الله بما فيه من احوال القرون الماضية وتصرف الزمان
بهم الحادي عشر كونه نجاة لمن صدق اي لمن صدق الرسول فيما جاء به فان دخوله في الاسلام سبب نجاته
من سيوف الله في الدنيا وعذابه في الآخرة واطلق عليه اسم النجاة اطلاقاً لاسم المسبب على السبب ايضاً
الثاني عشر كونه ثقة لمن توكل اي هو سبب ثقة المتوكلين على الله لاشتماله على الوعد الكريم
وبه يكون استعدادهم للتوكل عليه الثالث عشر كونه راحة لمن فوض اي من ترك البحث والاستقصاء
في الدلائل وتمسك باحكام الاسلام ودلائل القران والسنة المتداولة بين اهله وفوض امره اليه استراح بذلك
التفويض وقيل بل المراد الى فيه الذنب اي تفويض الامور الى الله وعلم ما لم يعلم منها وترك التكليف به وذلك
راحة وقيل بل المراد ان المسلم اذا كمل اسلامه وفوض امره الى الله كفاه الله جميع اموره واراحه من
الاهتمام بها الرابع عشر كونه جنة لمن صبر اي صبر على العمل بقواعده واركانه وظاهر كونه جنة له من
عذاب الله ولفظ الجنة مستعار الخامس عشر ابلج المناهج ومناهج الاسلام طرقه واركانه التي يصدق
على من سلكها انه مسلم وهي الاقرار بالله ورسوله والتصديق بما وردت به الشريعة كما سيفسره
منه وظاهر كونها انواراً واضحة الهدى السادس عشر كونه واضح الولائج اي واضح البواطن والاسرار لمن نظر
اليه بعين الاعتبار السابع عشر كونه مشرف المنار ومنار الاسلام الاعمال الصالحات التي يقتدى بها الى ما
يكون كالعبادات الخمس ونحوها وظاهر كونها مشرفة عالية على غيرها من العبادات السابقة الثامن عشر
كونه مشرق الجواد وهو قريب من ابلج المناهج التاسع عشر كونه مضيء المصابيح وكنى بها عن علماء الاسلام وائمته
كناية بالمستعار ورشح بذكر الاضاءة وكنى بها عن ظهور العلم عنهم واقتداء الخلق بهم ويحتمل ان يريد بالمصابيح
ادلة الاسلام كالكتاب والسنة العشرون كونه كريم المضمار ومضمار الاسلام الدنيا كما سيذكره
ولا شك في كونها كريمة باعتبار انتساب للانواد منها والعبور بها الى الله ولفظ المضمار مستعار وقد سبق

الحادي

الحادي والعشرون كونه رفيع الغاية ولما كانت غايته الوصول الى حضرة رب العالمين التي هي جنة المأوى
لاجرم كان رفيع الغاية اذ لا غاية ارفع منها واعلى مرتبة الثاني والعشرون كونه جامع الحلبة واستعار
الحلبة للقيامة فانها حلبة الاسلام كما سنبينه ووجه الاستعارة كونها محل الاجتماع بها للسباق الى حضرة الله
التي هي الجنة كاجتماع الخيل في الحلبة للسباق الى الوصف الثالث والعشرون كونه متنافس السبقة
ولما كانت سبقته الجنة كانت اشرف ما تنافس فيها الرابع والعشرون كونه شريف الفرسان واستعار
لفظ الفرسان لعلماء الدين من فرسان العلوم ورجالها ملاحظة لشبهه بالفرس الجواد الذي لا يجارى راكبه
الخامس والعشرون والتصديق منهاجه وهو الى اخره تفسير لما اشتمل تفسيره من منهاجه ومناره وغايته
ومضماره وحلبته وسبقته وانما جعل الموت غاية اي الغاية القريبة التي هي باب الوصول الى الله تعالى ويحتمل
ان يريد بالموت موت الشهوات فانها غاية قريبة للاسلام ايضاً ولذلك استعار لفظ السبقة للجنة لكونها
الثمرة المطلوبة والغاية من الدين كما ان السبقة غاية سعي المتراهنين **منها** في ذكر رسول
الله صلى الله عليه وآله حتى اورى قبس لقابس وانار علماً لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسماً من عدلك واجزه مضعفات
الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك نزله وشرف لديك منزله واته
الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ضالين
ولا مفتونين وا السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا انا كررناه ههنا لما في الروايتين
من الاختلاف **اقول** القبس الشعلة واورى اشعل والحابس الواقف بالمكان والنزل ما يهيأ للنزيل
من ضيافة ونحوها والسناء الرفعة والزمرة الجماعة والناكب المنحرف عن الطريق **فقوله** حتى
اورى الى قوله لحابس غاية الكلام مدح فيه النبي صلى الله عليه وآله وذكر فيه جهاده واجتهاده في الدين للغاية
المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار الدين المشتعلة ليقتبس منها نفوس الخلق انوار الهدى وكذلك استعار
لفظ العلم واسند اليه التنوير ويفهم منه امران احدهما انه اظهر انواراً جعلها اعلاماً يهتدى بها في سبيل
الله من حبسته ظلمة الحيرة والشبهة عن سلوكها فهو واقف على ساق التحير لقوله تعالى واذا اظلم عليهم
قاموا والثاني ان تلك الانوار عن اعلام الكتاب والسنن الثاني ان يكون المراد بالاعلام ائمة الدين وتنويره لها تنوير
قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية من الكمالات والعلوم **وقوله** فهو امينك المأمون اي على وحيك
وشهيدك يوم الدين اي على خلقك وبعيثك نعمة اي مبعوثك اليهم نعمة عليهم بهدايتهم به الى جنتك ورسولك
بالحق رحمة لعبادك ان يقعوا في مهاوي الهلاك بسخطك وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم اردفه بالدعاء
له صلى الله عليه فدعا الله ان يقسم له مقسماً من عدله ولما كان مقتضى عدل الله ان يبلغ نفساً هي محل الرسالة
اقصى ما استعدت له من درجات الكمال وتعدها بالدرجة لكمال اعلى دعا له ان يقسم له نصيباً وافراً من عدله يبلغه
به الدرجات من رتب الوصول الغير المتناهية **وقوله** واجزه مضاعفات الخير من فضلك لما دعا
له بما يستحقه زاد على ذلك فدعا له بان يتفضل عليه بزيادة من فضله فيضاعف له ما يستحقه من الخيرات

وقوله اللهم اعل على بناء البانين بناءه دعاء له ليشيد ما بناه من قواعد الدين على سائر بناء البانين
لشرايع من الرسل قبله واراد بما بناه لنفسه من مراتب الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعا له ان يكرم لديه ما
هيأه له من الثواب الجزيل وان يشرف مقامه في حضرة قدسه وان يؤتيه ما يتوسل به اليه ويقرب به منه ومنه
ان يكمل استعداده لما لم يتم القوة على الوصول اليه وان يعطيه الرفعة ويشرفه بالفضيلة التامة وان يحشره
في زمرته على احوال غير خازين اي مفتضحين بقبائح الذنوب ولا نادمين على التفريط في جنبه والتقصير في العمل بطاعته
ولا ناكثين متجوزين عن سبيله الى احد طرفي التفريط والافراط ولا ناكثين لعهوده ومواثيقه التي واثق
بها خلقه ان يعبدوه ويخلصوا له الدين ولا ضالين عن سواء السبيل العدل ولا مفتونين بشبهات الاباطيل
وبالله التوفيق منها في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم
بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم
سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم لنقض ذمم آبائكم تانفون
وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم اليهم
ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت
كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم اقول صدر هذا الفصل تنبيه لهم على المنزلة التي
اكرمهم الله بها من الاسلام والهداية للايمان وما في تلك المنزلة من الفضل حتى حرمتها اماؤهم وجيرانهم
وان كانوا غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف سطوتهم وظاهر ان
سبب ذلك كله هو كرامة الله لهم بالاسلام والهداية للايمان ثم لما قرر نعمة الله عليهم اردف ذلك بالتوبيخ
لهم على التقصير في اداء واجب حقه واشار الى ارتكابهم لبعض سيئات كفران نعمته وهو عدم
انكارهم لما يرون من نقض عهود الله وسكوتهم عليها وعدم غضبهم منها كالراضين بذلك واراد بذلك بغي
البغاة وخروج الخوارج وسائر المنكرات التي وقعت من اهل الشام وغيرهم مما نقضوا بها عهد الله ونكثوا
بيعته التي هي عهد من عهود الله عليهم فان السكوت على مثل ذلك مع التمكن من ازالته وانكاره بالجهاد وسكر
مع راكبيه والواو في قوله وانتم للحال اي وانتم مع ذلك تانفون لنقض ذمم آبائكم فكان يجب منكم بطريق
الاولى ان تانفوا لعهود الله ان تنقض وذممه ان تخفر ثم ذكرهم تفريطهم وتهاونهم في الامور التي كان الله سبحانه
فوضها اليهم وجعل موردها ومصدرها من امور الاسلام واحكامه والتسلط به على سائر الناس ونكبتهم
بتمكينهم الظلمة في منزلتهم تلك من الاسلام واراد بالظلمة معوية وقومه وبتمكينهم لهم تخاذلهم عنه والقائهم
اليهم ازمة الامور اليهم بذلك ولفظ الازمة مستعار والامور التي سلموها اليهم احوال بلاد الاسلام كل ذلك بالتقصير
عن مجاهدتهم وعملهم بالشبهات عملهم على وفق اوهامهم الفاسدة وآرائهم الباطلة التي يتوهمونها حججا فيما
يفعلون وسيرهم في الشهوات قطع اوقاتهم بالانهماك في معصيات الشهوة وقوله وايم الله الى آخره تحذير
لهم وانذار بما سيكون من بني امية من جمع الناس في بلايهم وشرورهم وعموم فتنتهم وكنى باليوم عن مدة ظلمهم
وفتنتهم التي كانت شر الاوقات على الاسلام واهله وانما نسب التفريق اليهم والجمع الى الله تعالى لما سيترل

به قدرة الله من ابتلاء الخلق بهم فانهم لو فرقوهم في اطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفريق من لحوق قدرة الله
لهم ولم يمنعهم من ارادة جمعهم بما اراد بهم من الابتلاء بدولة بني امية وشرورها واحوال دولتهم مع الخلق خصوصا
الصالحين من عباد الله ظاهرة وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام في بعض ايام
صفين وقد رايت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام واعراب اهل الشام
وانتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والانف المقدم والسنام الاعظم ولقد شفى وحاوح صدري ان رايتكم
باخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما ازالوكم حسّا بالنصال وشجرا بالرماح
تركب اولاهم اخراهم كالابل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها اقول الجولة الدوران
والانحياز التنحي والطغام اوغاد الناس واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس واليآفيخ جمع يافوخ وهو
اعلى الدماغ والوحاوح جمع وحوحة وهي صوت فيه بحح يصدر من المتالم والحس الاستيصال والنصال جمع
نصل السيف والشجر الطعن وتذاد تساق وتطرد وفي هذا الفصل تبكيت لاصحابه بانحيازهم عن عدوهم في
تقريع لهم تخجيلا واغراء كيلا يعاودوا الى مثله وذلك قوله وقد رايت الى قوله اهل الشام اي وقد رايت تحاذركم
عنهم حتى حازكم اراذل اهل الشام مع انكم اهل الشرف وسادات العرب واستعار لفظ اليآفيخ
لهم اذ كانوا بالنسبة الى العرب في علومهم وشرفهم كاليافوخ بالنسبة الى الابدان وكذلك استعار لفظ
الانف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم كعز الانف وتقدمه وحسن الوجه به بالنسبة الى باقي
الاعضاء وكعز السنام وعلوه بالنسبة الى باقي اعضاء الجمل ثم اردف ذلك بالتبكيت والتذكير بالرذيلة بذكر
فضيلتهم التي حصلوا بها وهي حوزهم لعدوهم بالآخرة كحوزهم لهم اولا وازالتهم لهم عن مواقفهم كما ازالوهم
وحسهم استيصالا وطعنا يركب مقدمهم تاليهم واوقعهما آخرهم ليشتغلوا على مثل هذه الافعال في مثل تلك المواقف و
عدّ ذلك شفاء لوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجد من الالم بسبب انقهار اصحابه وغلبة عدوهم لهم
وشبههم في تدافعهم وركوب بعضهم لبعض في هزيمتهم بالابل العطاش التي اجتمعت على الحياض لتشرب ثم طردت
ورميت عنها بالسهام وذيدت عن مواردها فانه عند طردها يحصل ذلك الاجتماع يوجب لها ان يركب بعضها بعضا ويقع بعضها
على بعض وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم الحمد لله المتجلي لخلقه
بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير روية اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوي الضمائر وليس بذي
ضمير في نفسه خرق علمه باطن غيب السترات واحاط بغموض عقائد السريرات اقول حمد الله
تعالى باعتبارات احدها تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة ان تجليه يعود الى جلاء معرفته
من مصنوعاته لقلوب عباده حتى اشهدت كل ذرة من مخلوقاته انه ظهر فيها لهم فشهدوه على قدر
قبولهم لمشاهدته وتتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت اشعة البصائر بحسب صفائها فمنهم من يرى الصنع
اولا والصانع ثانيا ومن يراهما معا ومنهم من يرى الصانع اولا والمصنوع ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره الثاني
الظاهر لقلوبهم بحجته اي الواضح وجوده لقلوب المفكرين بادلتهم والسنتهم بما قامت حجته عليهم بذلك وهي
احكام الصنع واتقانه في انفسهم وان احتاجوا الى تنبيه كما في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وكذلك في

٢٢٦ ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء لآية ومتوقدبيت ما مرّ الثالث خلقه لقوله تعالى اولم يتفكروا
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء والآية ومتوقدبيت ما مر الثالث خلقه الخلق بلا روية وفكر
في كيفية خلقه واشار الى نفي ايجاد سلب الروية عنه بقوله اذ كانت الروايات لا تليق الا بذي الضماير اي بذي قلب
وخواطر بدنيه وليس الباري بذي ضمير في نفسه والقياس من الشكل الثاني وتقديره كل روية فلذي ضمير ولا
شيء من واجب الوجود بذي ضمير فينتج انه لا شيء من الروية لواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان مما سبق غير
مرة الرابع كون علمه خارقا لباطن غيب السترات ومنه اشار الى نفوذه في كل ستير وغايب بحيث لا يحجبه ستر
ولا يستره حجاب الخامس كونه محيطا بغموض عقايد السريرات اي بما دق من عقايد اسرار القلوب لقوله
تعالى يعلم السر واخفى **منه** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء
ومشكاة الضياء وذوابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة **اقول** الذوابة ما تدلى
من الشعر وبجوع ويطحا مكة بسيط واديها وسرة الوادي اشرف موضع فيه وفي الفصل استعارات الاولى
لفظ الشجرة لصنف الانبياء عليهم السلام ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا اصل وفروع وفروعه اشخاص الانبياء
وثمره العلوم والكمالات النفسانية كما ان الشجرة ذات غصون الثانية لفظ المشكاة لآل ابرهيم ووجه
المشابهة ان سوادهم قد ظهرت منهم الانبياء وسطع من بينهم ضياء النبوة ونور الهداية فاضاء كما يظهر نور المصباح
من المشكاة الثالثة لفظ الذوابة ولشبهه ان يشير به توريش ووجه المشابهة تدليهم في اغصان الشرف
والعلو عن آبائهم كتدلي ذوابة الشعر عن الراس الرابعة سرة البطحاء واشار به الى احبابه من افضل
بيت في مكة الخامسة استعارة لفظ المصابيح للانبياء ايضا ووجه المشابهة ظاهر وقد مر غير مرة لو
نهم مصابيح ظلمات الجهل السادسة استعارة لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة عنهم
كفيضان الماء من ينابيعه **منه** طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه واحمى مواسمه
يضع ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي واذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن
الحيرة لم يستضيئوا باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالانعام السايمة والصخور
القاسية قد انجابت السراير لاهل البصاير ووضحت محجة الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها و
ظهرت العلامة لمتوسمها ما لي اراكم اشباحا بلا ارواح وارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا
بلا ارباح وايقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء راية ضلال قد
قامت على قطبها وتفرقت بشعبها يكيلكم بصاعها ويخبطكم بباعها قايدها خارج عن الملة قايم
على الضلة فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر او نفاضة كنفاضة العكم تعرككم
عرك الاديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة
من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن اين تؤتون
واني تؤفكون فلكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب فاستمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم وا
ستيقظوا ان هتف بكم وليصدق رايد اهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة

وقوله

وذرته فوق الصحة فعندها ذلك اخذ الباطل ما خذه وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية و
صال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين
وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا وفاض اهل ذلك الز
مان ذيابا وسلاطينه سباعا واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت المو
دة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الاسلام لبس الفرو
مقلوبا **اقول** المواسم المياسم التي يكوى بها والجاذبات المنكشفة والمتوهم المتفرق والضلة الضلال والبكم
جمع ابكم والعين العدول والبطينة الممتلية والغياهب الظلم ويؤفكون يصرفون والفنيق الفحل المكرم وكظوم الجمل
سكونه عن الجرة **فقوله** طبيب دوار بطبه كناية عن نفسه كناية بالمستعار فانه طبيب مرضى الجهل
ورذايل الاخلاق وكنى بدورانه بطبه تعرضه لعلاج الجهال من دايهم وتصببه نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم
للاعدة من العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ المواسم لما يتمكن من اصلاح من لا ينفع فيه الموعظة والتعليم بالجلد وساير
الحدود فهو كالطبيب الكامل الذي يملك المراهم والادوية والمكاوي لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كل واحد من ادويته في
مواضعه حيث الحاجة اليه من قلوب عمي يفتح عماها باعدادها لقبول انوار العلم والهداية لسلوك سبيل الله ومن
آذان صم يعدها لقبول المواعظ ويجوز بلفظ الصمم في عدم انتفاع النفس بالموعظة من جهتها فهي كالصماء
اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم اذ كان الصمم يستلزم ذلك العدم ومن السنة بكم يطلقها بذكر الله والحكمة
واطلق لفظ البكم مجازا في عدم المطلوب منها بوجودها وهو التكلم بما ينبغي فانها لعدمها ذلك المطلوب
كالبكم **وقوله** متتبع صفة لطبيب ومواضع الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال والذين اشار
اليهم بانهم لم يستضيئوا باضواء الحكمة اي لم يقتبسوا انوار العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة
كنى بالزناد عن الفكر وبالقدح عن الاكتساب به كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون الفكر يستخرج
به العلوم الثاقبة التي تثقب سترات الحجب كما يستخرج بالزناد النار **وقوله** فهم في ذلك اي في عدم
استضاءتهم باضواء الحكمة كالانعام السايمة والصخور القاسية ووجه المشابهة بينهم وبين الانعام
استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شيء من حظ العقل وعدم التقيد به كما لا
يقيد الانعام السايمة وبينهم وبين الصخور قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله تعالى وآياته كما
قال تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة **وقوله** قد انجابت السراير لاهل
البصاير اشارة الى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولمن تعود ما يكون من ملوك بني امية وعتوهم وظلمهم
من اولي التجارب والفطن السليمة ويحتمل ان يريد بالسراير اسرار الشريعة وانكشافها لاهلها **وقوله** ووضحت
محجة الحق لخابطها اشارة الى وضوح الشريعة وبيان طريق الله وغاية القصة الاولى التنبيه على النظر في العواقب
وغاية الثانية الجذب الى اتباع الدين وسلوك سبيل الله اذ لا عذر للخابطين في جهالاتهم بعد وضوح دين الله
وقوله واسفرت الساعة عن وجهها اي بدت مقبلة ولما كان وجه الشيء اول ما يبدو منه ويتطلع الى بدوه
عن ماذا من امر الساعة وهو قيام الفتن واسبابها **وقوله** وظهرت العلامة لمتوسمها اي علامة قيام الساعة

٢٧ وهي الفتن المتوقعة المتفرقة من بني امية ومن بعدهم وذكر لاسناد الساعة وظهور علاماتها ثم هدد بدرك
ترغيب في العمل لها قوله مالي اراكم اشباحا بلا ارواح شبههم في عدم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك
المواعظ والتذكير لهم بالجاذب الخالية من الارواح كما قال تعالى كانهم خشب مسندة قوله وارواحا
بلا اشباح قيل فيه وجهان الاول ان ذلك مع ما قبله اشارة الى انقسامهم اي ان منهم من هو شبح بلا روح كما سبق
ومن كان له منهم روح وفهم فلا قوة له بامر الجذب ولا همة معه فهو كروح خلت عن بدن فهم في طرفي تفريط
وافراط الثاني قيل لعلي يذهب من عدم همة بعضهم الى الجذب دون بعض اذ دعوا اليه بما لا يقوم البدن بدون الروح
الثالث قال بعضهم اراد انهم ان خافوا ذهلت عقولهم وطارت البابهم فكانوا كاجسام بلا ارواح وان امنوا
تركوا الاهتمام بامورهم وضيعوا الفرص ومصالح الاسلام حتى كانهم في ذلك ارواح لا تعلق لها بما يحتاج الاجسام اليه
قوله ونساكا بلا صلاح اشارة الى ان من تزهد منهم فزهده ظاهري ليس عن صلاح سريرته وقيل اراد
من تزهد منهم عن جهل فانه وان عمل الا ان اعماله لما لم تكن عن علم كانت ضايعة واقعة على غير الوجه المرضي والمامور
به كما روي عن الرسول ص لحياته على الزاهد الجاهل سخرة الشيطان قوله وتجارا بلا ارباح اشارة الى من
يتاجر الله منهم بالاعمال الفاسدة وهو يعتقد كونها مقربة الى الله مستلزمة لثوابه وليس كذلك ولفظ التجار والربح مس
ستعاران ووجه الاستعارتين ظاهر قوله وايقاظا نوما كنى بنومهم عن نومهم في مراقد الطبيعة و
مهاد الغفلة فهم بين الاعب وايقاظ العيون نوم العقول قوله وشهودا غيبا اي شهودا بابدانهم
غيب بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله والتلقي لاوامره من الموعظة والاوامر الالهية قوله وناظرة عميا اراد
وعيونا ناظرة اي عن تصفح ادلة الله للعبرة بها والاستماع في امر الآخرة فهي تشبه العمي في عدم الفايدة بها قوله و
سامعة صما اي واذانا سامعة للاصوات صما عن نداء الله والنافع من كلامه فهي تشبه الصم في عدم الفايدة المقصودة
قوله وناطقة بكما اي والسنة ناطقة بكما عن النطق بما ينبغي فاشبهت البكم ولفظ العمى والصم
والبكم مستعار للثلث بما ذكرناه وقد راعى في ذلك التضاد في الالفاظ واراد ذوي عيون واذان والسنة
بالصفات المذكورة اي خالية عن الفايدة قوله راية ضلالة لما ابهم وابهم بالتوبيخ والتقريع والتنقيص التي
اليهم بما ينبغي ان يحترزوا منه وياخذوا اهبتهم له من ظهور الفتن المتوقعة لبني امية وكنى عن ظهورها بقوله راية
ضلالة والتقدير هذه راية ضلالة وكنى بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على قايد الفتنة ورئيسهم فيها وكنى بها
لقطب عن كنايته بالمستعار وتفرقها وتشعبها انتشارها في الافاق وتولد فتن اخرى عنها ثم استعار لفظ
الكيل لاهدم واهلاكهم ورشح بذكر ملاحظة لتشبيهها بالكيال في اخذه لما يكيل جملا جملا ورشح بلفظ الصاع
وكذلك استعار لفظ الخبط لايقاع السيف والاضرار الجايرة فيهم على غير قانون ديني ولا انتظام حق ملاحظة
لتشبيهها بالبكرة النفور من الابل التي تخبط ما تلقاه بيدها ورجلها ورشح الاستعارة بذكر الباع ولم يقل بيدها لان
ذكر الباع ابلغ في التعبير عن قوة الخبط قوله قايدها خارج من الملة اي خارج عن الدين والشريعة فا
سق عن اوامر الله قايم على الضلة اي مقيم على الضلالة قوله فلا يبقى منكم يومئذ الا ثفالة كثفالة القدر
استعار لفظ الثفالة وكنى به عمن لا خير فيه من الاراذل ومن لا ذكر له ولا شهرة وشبه اولئك بثفالة القدر

في كونهم غير معتبرين ولا ملتفت اليهم وكذلك نفاضة العكم وهو ما يبقى في اسفل العدل من اثر الزاد والحنطة
ونحوهما ثم استعار لفظ العرك لتقليب الفتن لهم وتذليلهم بها كما يذلل ويلين الاديم ولذلك استعار
لفظ الدوس لاهانتهم لهم وشدة امتهانهم اياهم بالقتل وشبه ذلك بدوس الحصيد من الحنطة ونحوهما ومنوطا حية
ثم اشار الى استقصاء اهل تلك الضلالة على المؤمنين واستخلاصهم لهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك الا
ستخلاص باستخلاص الطير الحبة السمينة الممتلئة من الفارغة الهزيلة وذلك ان الطير [illegible] يميز
الحب من هزيله فيعدل عن الهزيل منه ثم اخذ يسالهم على سبيل التهكم والتقريع لهم تنبيها لهم على غفل
تهم وعما لهم عن غاية اضلتهم مذاهب الضلال لهم وعما تتيه بهم ظلم الجهالات اليهم من المطالب وعما تخدعهم
اوهامهم الكواذب جاذبة لهم اليه فتكثر عليهم مطلوبا آخر غير الله تعالى من طريق غير رشد ثم سالهم عن
الجهة التي يؤتون منها اي من اين اتتكم هذه الامراض وهو عالم بعلم ان الداخل انما دخل عليهم من جهلهم لكن
هذا وجه من البلاغة وكثيرا ما ينبغي تجاهل العارف وهو كقوله تعالى فاين تذهبون وكذلك قوله فانى تؤفكون
اي متى يكون انصرافكم عما انتم عليه من الغفلة قوله ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب تهديد بالاشارة
الى قرب الموت وانهم بمعرض ان تاخذهم على غفلتهم فيكونوا من الاخسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة منه
والرباني العالم علم الربوبية المتبحر فيه ثم باحضار قلوبهم وهو التفاتهم باذهانهم الى ما يقول ثم بالاستيقاظ
من نوم الغفلة عند هتفه بهم وندايه لهم قوله وليصدق رايد اهله مثل نزله هنا على سامعيه واصله لا يكذب
رايد اهله فاستعار لفظ الرايد للمتكلم ووجه المثل ان الرايد لما كان هو الذي يبعثه القوم لطلب الكلأ والماء
اشبهه الفكر في كونه مبعوثا من قبل النفس في طلب مرعاها وماء حياتها وساير الكمالات فكنى به
عنه واهله على هذا البيان هو النفس وكانه عليه السلام قال فليصدق افكاركم ومتخيلاتكم نفوسكم
وصدقها اياها تصرفها على حسب اشارة العقل فيما يقوله ويشير به دون التفات الى مشاركة الهوى فان
المراد اذا ارسلته النفس عن مثل التوسل بهوى في كذبها ودفعها بغرور ويحتمل ان يريد بالرايد اشخاص من
حضر عنده فان كلا منهم له اهل وقبيلة يرجع اليه فامرهم ان يصدقهم اسوله بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة
به والدعوة اليه كما يرجع طالب الكلأ والماء لهما الى قومه فيصدقهم به ويحملهم اليه قوله وليجمع شمله
اي ما تفرق وتشعب من خواطره في امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اي توجهه الى ما اقول قوله فلقد
فلق لكم الامر فلق الخرزة اي اوضح امور ما جهلتموه من الدين واحكام الشريعة وقيل امر ما سيكون من الفتن
وشق لكم ظلمة الجهل عنه كما ينصح باطن الخرزة بشقها وقرفه قرف الصمغة اي التي الكشف عنه اي
بكشفه والنصيحة فيه حتى لم يخرجكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة قارفها يقال تركته على
مقرف الصمغة اي لم يترك له شيئا لان الصمغة يقتلع من قشرتها حتى لا يبقى عليها علقة قوله فعند
ذلك مفضل يقول من بين هذين الحب اي فعند ما تتفصل كلمة الفتن ورايته الضلال ما تتفصل فقد اخذ الباطل
مآخذه اي قد استحكم وثبت واخذ مقاره وكذلك ركب الجهل مراكبه اي كان ذلك وقت جملة
ملاحظة لتشبيهه بالمستعد للغارة قد ركب خيله وكنى بها الغرة عن الجهال قوله وعظمت الطاغية اي

الفتن الطاغية التي تجاوزت في عظمها الحد والمقدار وقلت الواعية اي دعاة الدين واهله الذين يجمعون
حوزته اي الفرقة الداعية وروي الداعية اي الفرقة الداعية الى الله **وقوله** وصال الدهر صيال السبع
العقور استعار وصف الصيال للدهر ملاحظة لشبهه بالسبع ووجه الاستعارة كون الدهر مبدا قويا للنكبات
والشرور الواقعة فاشبه السبع الضاري العقور في شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل ورشح
الاستعارة بذكر الهدير والكظوم ووجه المشابهة ظهور الباطل واكراه اهله وتمكنهم من الامر
والنهي كالفحل المكرم ذي الشقشقة وعنى بالهدير ظهورهم وتمكنهم وبالكظوم ضعف الباطل وخمول اهله
في زمان ظهور الحق وقوته **وقوله** وتواخى الناس على الفجور اي كان اتفاقهم وصحبة بعضهم على الفجور
واتباع الاهواء وتهاجروا على الدين اي من اجتنبوا منه توقع في دينه حذروه ورفضوه فتجنبهم والتحابب على الكذب
داخل تحت التواخي على الفجور والتباغض على الصدق داخل تحت التهاجر على الدين والغرض تعداد ذلك من
تغير الناس عن سنن الاوائل وتخويفهم بوقوعها **وقوله** فاذا كان ذلك كان الولد غيظا اي اذا حدث
ذلك اشتغل كل امرئ بنفسه لينجوا بها فيكون الولد وهو اعز محبوب للوالد غيظا اي من اسباب محنته وغيظه
واطلق لفظ الغيظ عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب **وقوله** والمطر قيظا جعل وقوع المطر قيظا
من علامات تلك الشرور وهو ايضا مما يعد شرا لانه لا يثمر نباتا ولا يقوم عليه زرع ويفسد الثمار القائمة
وكانه كنى به عن انقلاب احوال الخير شرورا **وقوله** وكان اهل ذلك الزمان الى قوله امواتا اهل
كل زمان ينقسمون الى ملوك اكابر واوساط واداني فاذا كان زمان العدل كان اهله في نظام سلك فيفيض عدل
الملوك على من يليهم ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهي الى اداني الناس واذا كان زمان الجور فاض الجور
كذلك فكانت السلاطين سباعا ضارية مفترسة لكل ذي نفس وكان اهل ذلك الزمان واكابره
ذئابا ضارية على اوساط الناس وكانت الاوساط اكالا لهم وكانت الفقراء امواتا لانقطاع مادة حياتهم
من معاملتهم رتبة ويجوز لفظ الاموات عن غاية الشدة والبلاء لكون الموت غاية ذلك اطلاقا لاسم السبب
الغائي على مسببه ثم استعار لفظ الغيض لقلة الصدق والفيض لظهور الكذب وكثرته ملاحظة لتشبيههما
بالماء واستعمال المودة باللسان اشارة الى النفاق وهو التودد بالقول مع التباعد بالقلوب وعقدها على
البغض والحقد واستعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظة لشبهها بالرماح فكما ان الرمح يتشاجر به
فكذلك قلوب بعضهم يحقد على هلاك بعض والطعن فيه بانواع المهلكات وكذلك لفظ النسب للفسوق
ووجه المشابهة كون الفسق بينهم يوصله وهو سبب التواصل والتزاور والتحابب كما ان النسب كذلك وصار
العفاف عجبا لقلة وجوده وندرته بينهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من احسن التشبيه وابلغه
والمشبه به هنا هو الفروة ووجه الشبه كونه مقلوبا وبيانه انه لما كان الغرض الاصلي من الاسلام ان
يكون باطنا ينتفع به القلب يظهر فيه منفعته وقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون
قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو اذ كان اصله ان يكون خمله ظاهرا لمنفعة الحيوان الذي هو لباسه فاستعمله
الانسان مقلوبا وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** كل شيء خاشع له وكل شيء

قائم

قائم به غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف من تكلم سمع نطقه ومن
سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين
من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من اخذت ولا
ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك
من تولى عن امرك كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة انت الابد فلا امد لك وانت المنتهى فلا محيص
عنك وانت الموعد فلا منجى منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم ما نرى من
خلقك وما اصغر عظيمه في جنب قدرتك وما اهول ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك
وما اسبغ نعمك في الدنيا وما اصغرها في نعم الآخرة **اقول** هذا الفصل من اشرف الفصول المشتملة على
توحيد الله وتنزيهه واجلاله وتعظيمه واللهف الحزين والملهوف المظلوم يستغيث والابد الدائم والامد الغاية
وحاص عن الشيء عدل وهرب والمحيص المهرب وفيه اعتبارات ثبوتية وسلبية اما الثبوتية فمن الاول
خشوع الكل له والخشوع هنا بحسب الاشتراك اللفظي اذ الخشوع من الناس يعود الى تطامنهم
وخضوعهم له ومن الملائكة دؤوبهم في عبادته ملاحظة لعظمته ومن سائر الممكنات انفعالها عن قدرته و
خضوعها في رق الامكان والحاجة اليه والمشترك وان كان لا يستعمل في جميع مفهوماته حقيقة فقد بينا
انه يجوز استعماله مجازا فيها بحسب القرينة وهي هنا اضافته الى كل شيء واذ انه في قوة المتعدد كقوله تعالى ان
الله وملائكته يصلون فكانه قال الملك خاشع له والبشر خاشع له وهذا الاعتبار يستلزم وصفه
تعالى باعتبارين احدهما كونه عظيما والثاني كونه غنيا اما العظيم فينقسم الى ما يكبر حاله في النفس و
لكن يتصور ان يحيط بكماله العقول وتقف على كنه حقيقته والى ما يمكن ان يحيط به العقول وان
كانت اكثرها وهذان القسمان انما يطلق عليهما لفظ العظمة بالاضافة وقياس كل الى ما دونه فيما هو عظيم
فيه والى ما لا يتصور ان يحيط به العقل اصلا وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول ان تقف على
صفات كماله ونعوت جلاله وليس هو الا الله تعالى واما الغني فسنذكره الثاني قيام كل شيء به واعلم
ان جميع الممكنات اما جواهر او اعراض وليس منها شيء يقوم بذاته في الوجود اما الاعراض فظاهر لظهور حاجتها
الى المحل الجوهري واما الجواهر فلان قيامها في الوجود انما يكون بقيام عللها او تنتهي الى الفاعل الاول جلت عظمته
فهو اذن العلة المطلق الذي به يكون قيام كل موجود واذ ثبت انه تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت ان الله
قوام كل شيء ثبت انه القيوم المطلق اذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره فكان هذا الاعتبار مستلزما
لهذا الوصف الثالث كونه تعالى غنى كل فقير ويجب ان يحمل الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة
لنعم التجنيس كما ان الغنى هو سلب مطلق الحاجة واذ ثبت ان كل ممكن فهو فقير في طرفيه منتهية سلسلة
الحاجة اليه وانه تعالى المقيم له في الوجود ثبت انه تعالى رافع حاجة كل موجود بل كل ممكن وهو المراد بكونه
غنى له واطلق عليه تعالى لفظ الغنى وان كان الغنى به مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب الرابع كونه عز كل ذليل
وقد سبق ان معنى العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فاجتمعت

٢٤٩

في هذه المفهومات الثلاثة في عزتها وسبق ايضا ان هذه المفهومات مقولة بالزيادة والنقصان على ما تصدق
عليه وانه ليس الكمال في واجبيتها منها الا لله سبحانه وتعالى بدلالة الدليل وثبت انه تعالى عند كل موجود لانه
كل موجود سواه وثبت بالدليل انه تحقق في هذه المفهومات الثلاثة منه سبحانه الناظم لسلسلة الوجود والمانع
لكل من الموجودات في ذاته من النظام الكلي فمنه عز كل موجود وذل كل موجود ذليل في ذل الامكان والحاجة
اليه في اضافة المفهومات الثلاثة عليه فهو اذن عز كل ذليل واطلاق لفظ العز عليه كاطلاق لفظ الغني الخاص به
وقوة كل ضعيف القوة تطلق على حال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف وهما مقولان بالزيادة و
والنقصان على من يطلقان عليه واذا ثبت انه تعالى مستند جميع الموجودات والمفيض على كل قابل ما يستعد له
ويستحقه فهو المعطي لكل ضعيف مادة القوة من نفسه كما له وقوته فمنه قوة كل ضعيف بالمعنيين المذكورين
لما روي ان الحسن قال واعجبا لنبي الله لوط اذ قال لقومه لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اتراه اراد
ركنا اشد من الله تعالى واطلاق لفظ القوي عليه كاطلاق لفظ الغني ايضا السادس كونه مفزع كل ملهوف
اي اليه ملجأ كل مضطر في ضرورته حال حزن او خوف او طلب كما قال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجأرون واذا
مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكل مفزع وملجأ غيره فلما هو لا لكل مضطر وملجأ لا حقيقة
واضافي لا حقيقي وهذا الاعتبار يستلزم كمال القدرة بشهادة فطرة ذي الضرورة بنسبة جميع احوال وجوده الى
جوده ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته بالاطلاع على ضرورته ولذلك كونه سميعا بصيرا وكالئا ومجيبا للدعوات
وقيوما ونحوها من الاعتبارات السابع كونه من تكلم سمع نطقه الثامن ومن سكت علم سره ومنها اشارتان الى ق
صفي السمع تعليم ولما كان السمع يعود الى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان احاطته بما اظهر له العبد وابداه
وما اسره فما اخفاه في جانبي نطقه وسكوته وقد سبقت الاشارة الى ذلك التاسع ومن عاش فعليه رزقه العاشر
ومن مات فاليه منقلبه ومنها اشارتان الى كونه تعالى مبدأ للعباد في وجودهم وما يقوم به عاجلا ومنتهى وغاية لهم
آجلا فاليه رجوع الاحياء منهم والاموات وبه قيام وجودهم حالتي الحياة والممات الحادي عشر من الاعتبارات
السلبية لم ترك العيون فتخبر عنك وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك نعبد وهذا التفات
ومكنه يستلزم عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه اليه وتحسينه معلوم في علم البيان واعلم ان هذا الكلام فيه
لا بد فيه من تجوز واضمار وذلك انا ان جعلنا الرائي هو العيون كما عليه اللفظ ويصدق حقيقة لزم اسناد قوله
فتخبر اليها مجازا لكون الاخبار ليس لها وان راعينا عدم المجاز لزم ان يكون التقدير لم ترك العيون فتخبر عنك
اربابها او لم ترك ارباب العيون فتخبر عنك فيلزم الاضمار ويلزم التعارض بينه وبين المجاز لكن قد علمت في
مقدمات اصول الفقه انهما سيان في المرتبة وغرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبهة وتجويزهم واخبارهم
عنه بالصفات التي من شانها ان يخبر عنها الراوون عن مشاهدة حسية مع اعترافهم بان اخبارهم عن
ذلك عن غير رؤية ولما كان الاخبار عن المحسوسات وما من شانه ان يحس انما يصدق اذا استند الى الحس
لا جرم استلزم سلب الرؤية العيون له سلب الاخبار عنه من جهتها ولذلك الاخبار عنه بما لا يعلم الا من جهتها وتجري
وان كان يصدق الاثبات الا انه يقتضي لنفي الرؤية وهو الرؤية العيون له اذ لا كان الاخبار من جهتها يستلزم رؤيتها

والضبه

وتعيينه باخبار ان عقيب الفاء في جواب النفي والكلام في تقدير شرطية متصلة صورتها لو وقع اخبار العيون عنك لكان
قد رأتك لكنها لم تراك فلم يصح ان تخبر عنك واما قوله بل كنت قبل الواصفين من خلقك فتعليل لسلب الرؤية
المستلزم لسلب الاخبار عنها بقياس ضمير تقديره كنت قبل من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه وهذه
الكبرى من المعلومات المشهورات في بادي النظر وهي كما علمت من مواد قياس الخطيب وان كانت اذا تعقبت
لم توجد كلية اولئن كان وجد قبلنا بطل اخبارنا عنه ويمكن حمل هذا القول على وجه التحقيق وهو
ان نقول ان المراد بقبليته تعالى للواصفين قبلية وجوده بالعلية الذاتية وهي بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزيهه
تعالى عن الجسمية ولواحقها المستلزم لامتناع الرؤية المستلزم لامتناع الاخبار عنه من وجه المشاهدة الحسية
الثاني عشر كونه لم يخلق الخلق لوحشته وهو اشارة الى تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستأنس وقد
سبق بيان ذلك في الخطبة الاولى الثالث عشر ولا استعملهم لمنفعة اي لم يكن خلقه لهم لمنفعة تعود اليه وقد سبق
الى بيان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج المستلزم قدس الله تعالى عنه الرابع عشر ولا يسبقك من طلبت
اي لا يفوتك هربا الخامس عشر ولا ينفلتك من اخذت اي لا ينفلت منك بعد ما جذبه فحذف حرف الجر
وعدي الفعل بنفسه كما قال تعالى واختار موسى قومه وهذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه وتمام قدرته
واحاطة علمه اذ اي ملك فرض فقد يتخلص من يده الهارب ويفلت من احدهما الماسور بالحيلة ونحوها السادس عشر
ولا ينقص سلطانك من عصاك السابع عشر ولا يزيد في ملكك من اطاعك ومنها تنزيه له تعالى عن احوال ملوك
الدنيا اذ كان كمال سلطانهم يزيد بزيادة جنوده وكثرة مطيعيه وقلة العصاة والعاصي ونقصان ملكه بعكس
ذلك وهو سبب لتسلط اعدائهم عليهم وطمعهم فيهم فاما سلطانه تعالى فلما كان لذاته وكمال قدرته مستوليا وهو
مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على
كل شيء قدير لم يتصور خروج العاصي بمعصيته عن كمال سلطانه حتى يؤثر في نقصانه ولم يكن لطاعة الطائع
تاثير في زيادة ملكه الثامن عشر ولا يرد امرك من سخط قضاءك يريد بالامر هنا القدر النازل على وفق
القضاء الالهي وهو تفصيل القضاء كما بيناه وهذا الاعتبار يستلزم ايضا تمام قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان
ما علم وجوده فلا بد من وجوده وسواء كان مكروها للعبد او محبوبا له كما قال تعالى ويأبى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وانما خصص المتسخط للقضاء بالعجز عن رد الامر اذ كان من شانه ان
لو قدر لرد القدر التاسع عشر ولا يستغني عنك من تولى عن امرك اراد بالامر هنا طاعتك وهو امر عباده
بطاعته وعبادته وظاهر ان من تولى عن امر الله فهو اليه اشد فقرا وانقص ذاتا ممن تولى امره وهذا الاعتبار د
يستلزم كمال سلطانه وغنائه المطلق العشرون كل سر عندك علانية الحادي والعشرون وكل غيب
عندك شهادة وهذان الاعتباران يستلزمان كمال علمه تعالى واحاطته بجميع المعلومات ولما كانت نسبة علمه
تعالى الى جميع المعلومات على سواء لا جرم استوى بالنسبة اليه السر والعلانية والغيب والشهادة فان السر والغيب
انما يطلقان بالنسبة الى من يخفى عنه ويغيب عنه وهي القلوب المحجوبة بحجب الطبيعة واستار الهيئات البدنية

والازواج المستولي عليها نقصان الامكان القائم عليها بجعل احوالها ما هو اكمل منها وبكل ذلك ما يمنع ودس الصانع
عنه الثاني والعشرون انت الابد فلا امد لك اي انت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك وذلك لاستلزام وجوب
وجوده وامتناع عدمه وانتهائه بالغاية وقال بعض الشارحين اذا رأيت ذو الابد كما يقال انت خال اي ذو خال
من الخيلاء ومنه الكبير واقول تقريره انه لما كان الازل والابد لازمين لوجوده تعالى اطلق الابد على وجوده
حتى اللب الغز في الدوام كان احدهما بعينه هو الآخر لقوله هيهات الطلاق للمبالغة في البينونة الثالث والعشرون
انت المنتهى فلا محيص عنك الرابع والعشرون انت الموعد فلا منجا منك الا اليك اما انه تعالى المنتهى والموعد
فلقوله تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله الى الله مرجعكم جميعا والمنتهى في كلامه عليه السلام الغاية وقد سبق بيان
انه تعالى غاية الكل ومرجعه واما انه لا معدل عنه ولا ملجأ منه الا اليه فاشارة الى صدور الكل عنه لقوله تعالى
وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه الخامس والعشرون بيدك ناصية كل دابة اي في ملكك وتحت تصرفك فذلك
كقوله تعالى وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وانما خصت الناصية لحكم الوهم بانه تعالى في جهة فوق فيكون اخذه
بالناصية ولانها اشرف ما في الدابة فسلطانه تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة السادس
والعشرون واليك مصير كل نسمة وقد سبق انه تعالى منتهى الكل واليه مصيره سبحانك ما
اعظم ما نرى من خلقك الى آخره تنزيه وتقديس لله تعالى عن احكام الاوهام على صفاته بتشبيهه مقدما لها
وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما نشاهده من مخلوقاته كاطباق الافلاك والعناصر وما يتركب عنها ثم
من حقارة هذه العظمة بالنسبة الى ما يعني العقول من مقدوراته وما يمكن في خيال قدرته من الممكنات
غير المتناهية وظاهر ان نسبة الموجود الى الممكن في العظم والكثرة يستلزم حقارته وصغره ثم من ملكوت
ما وصلت اليه العقول من عظمة ملكوته ثم من حقارتها بالنسبة الى ما غاب عنها وحجب عن ادراكها باستار
القدرة وحجب العزة من الملأ الاعلى وسكان حظائر القدس وعالم العالم العلوي ثم من سبوغ نعمه تعالى على
عباده في الدنيا وحقارة تلك النعم بالنسبة الى نعمه التي اعدها لهم في الآخرة وظاهر ان نعم الدنيا اذا اعتبرت الى نعم
الآخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت بالنسبة اليها في غاية الحقارة وبالله التوفيق فصل
من ملائكته اسكنتهم سماواتك الى آخره وفي هذا الفصل فصول الاول قوله من ملائكة اسكنتهم سماواتك
ورفعتهم عن ارضك هم اعلم خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم
يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون وانهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فيك
وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا اعمالهم ولازروا على
انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك اقول المهين الحقير والتشعب
الاقتسام والتفريق والمنون الدهر وريبه ما يكره من حوادثه والمكانة المنزلة وكنه الشيء نهايته حقيقته وزريت
عليه عبت فعله واعلم ان من في صدر هذا الفصل لبيان الجنس وذلك انه عليه السلام لما شرع في بيان عظمة الله
تعالى وجلاله جعل مادة ذلك التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر الاشرف فالاشرف منها فذكر الملائكة
السماوية واشار الى افضليتهم باوصاف الاول كونهم اعلم خلق الله به وهو ظاهر اذ ثبت ان كل مجرد كان عالمه

ابعد

ابعد عن منازعة النفس الامارة بالسوء التي هي مبدأ الغفلة والسهو والنسيان كان اكمل في معارفه وعلومه بمن
عداه ولان الملائكة السماوية وسائط لغيرهم في وصول العلم وسائر الكمالات الى الخلق فكانوا كالاستاذين لمن
دونهم والاستاد اعلى درجة من التلميذ وقد علمت في الخطبة الاولى ان المعارف مقولة بحسب التشكيك الثاني
كونهم اخوفهم له وذلك لكونهم اعلم بعظمته وجلاله وكل من كان اعلم بذلك كان اخوف له واشد خشية اما الاولى
فلما مر واما الثانية فلقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر الخشية في العلماء وبحسب تفاوت العلم
بالشدة والضعف يكون تفاوت الخشية بها الثالث كونهم اقرب منه والمراد لا القرب المكاني لتنزهه
تعالى عن المكان بل قرب المنزلة والرتبة منه وظاهر ان من كان اعلم به واخوف منه كان اقرب منزلة عنده
لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم الرابع سلب نقصانات البشرية عنهم كونهم لم يسكنوا الاصلاب
ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم تختلف عليهم حوادث الدهر وظاهر كون هذه
الامور الاربعة نقصانات تلزم الحيوان العنصري لاستلزامها التغير ومخالطة الحال المستقذرة ومقاساة
الاسقام والامراض وسائر الحاجات البدنية المانعة عن التوجه الى الله وكان سلبها عمن لا تجوز عليه سببا كمال الاول
قوله وانهم على مكانهم منك الى آخره لما بين عظمة الملائكة بالنسبة الى من عداهم شرع في المقصود وهو
بيان عظمة الله بالنسبة اليهم وحقارتهم على عظمتهم بالنسبة الى عظمته وكبريائه اي انهم مع كونهم على هذه الاحوال
التي توجب العظمة والاجلال من قرب منزلتهم منك وكمال محبتهم لك وغرقهم في انوار كبريائك عن الالتفات الى
غيرك لو علموا كنه معرفتك لصغرت في اعينهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم الى عظمتك وجلالك وجهل ولما
كان حال العبادة ومطابقتها للامر المطاع بحسب العلم بعظمته وكانت ذات الحق سبحانه اعظم من ان يطلع عليها
بالكنه ملك مقرب او نبي مرسل لا جرم كانت عبادة الملائكة بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته مقصرة فكانت
معرفته لهم كانت عبادتهم من دونه مستحقرة في جانب عبادتهم حتى لو زادت معارفهم به وامكن الاطلاع على كنه
حقيقته لازدادت عبادتهم وكانت اجل فاستحقروا ما كانوا فيه وعابوا انفسهم بقصور الطاعة والعبادة عما
يستحقه ذاته المطلقة وعبر بقلة الغفلة عن عدمها في حقهم مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان كل معدوم
موصوفا بالنسبة الى بعضه مجازا ايضا اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم اذ كانت قلة الغفلة مستلزمة لقلة
المعرفة وربما دنياها وقد سبق ذكر انواع الملائكة السماوية وغيرهم وذكرنا نكتة من احوالهم في الخطبة الاولى
الفصل الثاني قوله سبحانك خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا
وجعلت فيها مأدبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا
يدعو اليها فلا الداعي اجابوا ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا
باكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا اغشى بصره وامرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن
غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه
شيء منها حيثما زالت زال اليها وحيثما اقبلت اقبل عليها لا يزدجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ
وهو يرى المأخوذين على الغرة حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق

الدنيا ما كانوا يأمنون وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت
وحسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين احدهم وبين
منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره و
فيم اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته
تبعات جمعها واشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون بها فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره و
المرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره ويزهد فيما كان يرغب
فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى
خالط لسانه سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى حركات السنتهم
ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطا به فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده
فصار جيفة بين اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكيا ولا يجيب داعيا ثم حملوه
الي مخط من الارض واسلموه فيه الي عمله وانقطعوا عن زورته اقول المادبة بضم الدال وفتحها ای فی الارض
الطعام يصنع ويدعى اليه والوله التحير لشدة الوجد والمحنة واغمض اي ارخاه من مطالبها وتساهل في وجه
اشتباهها ولم يحفظ دينه والتبعة ما يلحق من اثم وعقاب والمهنأ المصدر من هنؤ بالفتح وهني بالكسر
والعبء الحمل واصحر انكشف ورجع الكلام جوابه وترديده والالتياط الالتصاق والمخط موضع الخط كناية
عن القبر تخطا ولا لم يخف وبرى بالجاه ومحط القدم منذ لم وفي هذا الفصل نكت الاولى ان ضالا ومعبودا
حالان انتصبا عما في سبحانك من معنى الفعل اي اسبحك خالقا ومعبودا واشار ذلك الى وجوب
تنزيهه في هذين الاعتبارين اعني اعتبار كونه خالقا للخلق ومعبودا لهم عن الشركاء والانداد فانه لما تفرد
بالابداع والخلق واستحق بذلك التفرد بعبادة الخلق له وجب تنزيهه عن مساو له في الاعتبارين الثانية
قوله بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا الجار والمجرور متعلق بخلقت ولفظ الدار مستعار للا
سلام ولفظ المادبة للجنة والداعي هو الرسول صلى الله عليه وآله وقد جمعها الخبر في بعض انه صلى الله عليه
ان الله جعل الاسلام دارا والجنة مادبة والداعي اليها محمدا ووجه الاستعارة الاولى ان الاسلام يجمع اهله ويحميهم
كالدار ووجه الثانية ان الجنة مجمع الشهوات ومنتجع اللذات كما انه يحتمل ان يريد بالدار الآخرة باعتبار
كونها مجمعا ومستقرا والمادبة فيها الجنة والمخصوصات الثانية سميت لذلك الى ذاته وظاهر ان وجود الا
سلام والجنة والدعوة اليها بلاء حسن من الله لخلقه وقد عرفت معنى ابتلائه تعالى وقال بعض
انه يحتمل ان قوله بحسن بلائك متعلق بسبحانك او معبود وهو بعيد الثالثة قوله فلا الداعي اجابوا
الى قوله يواعظ شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله وبيان لعيوبهم وعشوهم في حب الباطل من
الدنيا وفائدته اما للسامعين اللازمين لما اخبر الله المجيبين لدعوته فتنفيرهم عن الركون الى امثال والوقوع
فيها وتعقوا فيه واما لهؤلاء فتنبيههم من مراقد غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلهم يرجعون واستعار لفظ الجيفة
للدنيا ووجه المشابهة ان لذات الدنيا وقنياتها في نظر العقلاء واعتبار الصالحين منفور عنها ومهروب منها

ومستقذرة كالجيفة والى ذلك اشار الواصف لها وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها ويمكن اخذه من البيت الثالث في وجه الاستعارة
المذكورة والزبد استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها وجمعها والخروج به عن سنن الصالحين ووجه
الاستعارة انه لما كان الاقبال على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الله من اعظم الكبائر والمساوي في نظر الشارع
والسالكين لطريق الله وكان الافتضاح عبارة عن انكشاف المساوي المتعارف قبحها لاجرم اشبه الاشتهار
بجمعها وانكشاف الحرص عليها الافتضاح ويمكن ان يصدق الافتضاح هنا حقيقة واولى باولها عن جمعها وتجوز بلفظ
الاصطلاح في التوافق على محبتها اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم فان الاصطلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب و
يلزمه الاتفاق على الاحوال وقوله ومن عشق شيئا اعشى بصره وامرض قلبه كبرى قياس دل على
صغراه قوله واصطلحوا على محبتها لان الاصطلاح على محبة الشيء يستلزم شدة محبته وهو معنى العشق ونتيجته ان
المذكورين في معرض الذم قد اعشت الدنيا ابصارهم وامرضت قلوبهم واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة
لشبه المعقول بالمحسوس ولفظ العشا لظلمة الجهل ملاحظة لشبهه بالظلمة العارضة للعين بالليل واسناد
الاعشاء الى الدنيا يحتمل ان يكون حقيقة لما يستلزمه حبها من الجهل والغفلة عن احوال الآخرة ويحتمل ان
يريد بالبصر حقيقته ويكون لفظ العشا مستعارا للعدم استفادتهم بابصارهم عبرة تصرفهم عن حب الدنيا الى
ملاحظة احوال الآخرة وتوقفهم عنه فهو ينظر بعين غير صحيحة ولكن لعدم صحتها ما يلزم العين غير الصحيحة من عدم
الانتفاع بها في تحصيل الفائدة وكذلك استعار لفظ المرض للآراء الاكيدة وهو الجهل استعارة لفظ المحسوس
للمعقول وقوله فهو يسمع باذن غير سميعة اي بذلك عن عدم افادتها عبرة من المواعظ والزواجر الالهية كما
سبق وكذلك استعار لفظ التخريق لتفرق عقله في مطالب الدنيا ومطالبها ووجه الاستعارة ان العقل
اذا استعمل فيما خلق لاجله من اتخاذ الزاد ليوم المعاد واقتباس العلم والحكمة من تصفح جزئيات الدنيا
والاستدلال بها على وجود الصانع وما ينبغي له ونحو ذلك مما هو كمال السعيد في الآخرة فانه يكون منتظما
منتفعا به واما ان استعمل فيما لا ينبغي من جمع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة في تحصيل جزئياتها وضبطها
حتى يكون ابدا في الحزن والاسف على فوات ما فات وفي الخوف من ذهاب ما حصل وفي الهمة والحرص
على جمع ما لم يحصل بعد فانه يكون كالثوب المخرق الذي لا ينتفع به صاحبه ويحقق قول الرسول صلى الله عليه
من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله همه وجعل فقره بين عينيه الحديث ونسبة ذلك التخريق الى
الشهوات ظاهرة اذ كان زمام عقل بيد شهوته فهي تفرقه وتمزقه على حسب تفرقها وميولها الى انواع
المشتهيات وكذلك استعار لفظ الاماتة للقلب ووجه المشابهة خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقيقي
الباقي كالميت والضمير في قوله عليها يعود الى الدنيا اي وولهت الدنيا على نفسها نفسه وكنى بالتولية عن شدة
المحبة لما تحته التي ابتها هو من غاية وكذلك استعار لفظ العبد له باعتبار كونه محبها والمجد في تحصيلها مصرفا
بحسب تقريبها ودائبا في ذلك كما حيث دارت فان كانت غيره اقبل عليها بالعبادة والحفظ وان زالت عنه اضطرب
الى تحصيلها واضعه من كانت في يده لعرضها فهو في ذلك كالعبد لها بل اخس حالا لان قال عليه السلام في موضع آخر

عند الشهوة اذ ليس عند الرق اذ الباعث لعبيد الرق على الخدمة والانقياد قد يكون قسريا والباعث لعبيد الشهوة
طبيعي وشتان ما هما التابعة قوله وهو يرى المأخوذين على الغرة فالواو في قوله وهو للحال وهو مشعر مع في
وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له وما رأوه من احوال الآخرة وكيفية قبض الموت لارواحهم من مبدأ
نزوله بهم الى آخره وكيفية احوالهم مع اهليهم واخوانهم معه وهو وصف لا مزيد على وضوحه وبلاغته وفايدته
تذكير الغفلة باهوال الموت وتنبيههم من غفلتهم في الباطل لينبعث على وجوب العمل له وتنبيه لما تكون
الى الله على ما هم عليه وسوف يعرفونه يعلمون ما كانوا يجهلون من الموت فانه معلوم لكل احد بل تفصيل سكراته وانقطاعهم
وما كانوا يأمنون اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت
بل يكفيه في تلك الحال انهماكه **وقوله** تغير صفة موصوف ما نزل بهم اي ليس ذلك مما يمكن استقصاؤه بوصف
بل غايته التمثيل كما ورد في التوراة ان مثل الموت مثل شجرة شوك ادرجت في بدن ابن آدم فتعلقت كل شوكة
منها بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ الولوج لما يتصور
من فراق الحياة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جيش بعد جيش آخر وكذلك استعار لفظ العيب للآثام التي يجمعها
النفس ووجه ذلك الظاهر استعار لفظ المجنون للعقول الغافلة والرقة عانت رهونتها مرتبة
مثلا لحصول النفوس في تبعات ما جمع وارتباطها بها عن الوصول الى كمالها وانبعاثها الى سعادتها بعد الموت وقد كان
يمكنه انفكاكها بالتوبة والاعمال الصالحة فاشبه ما جمع من الهبات الذي في تقيده عن انقلاب الاموال
فاد تفكت بها ما على الرهن من المال وقال بعض الشارحين اراد انه لما اشفى على الفراق صارت الاموال
التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف فاشبهت الرهن الذي غلق على صاحبه فخرج من كونه مستحقا
لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان محتملا الا انه يضيع فايدة قوله بها لان الضمير يعود الى الاموال
المجموعة وهو اشارة الى المال الذي تعلق الرهن به فلا تكون هي نفس الرهن **وقوله** وهو يعض يده كناية
عما يلزم ذلك من الاسف والحزن والندم على تفريطه في جنب الله حيث انكشف له حال الموت انقطاع سببه
من الله وفوت ما كان يتوهم بقاءه عليه مما اشتغل به عن ربه وحيث يتحسر على ذلك التفريط كما قال تعالى ان
تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ويتمنى هداية الله فيقول لو ان
الله هداني لكنت من المتقين او الرجعة الى الدنيا الاشتغال بما فرطت فيه من الاوامر الالهية فيقول حين يرى
العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وكما قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني
مع الرسول سبيلا وقد نبه عليه السلام في هذا الكلام على ان آلة النطق تبطل من الانسان حال الموت قبل آلتي السمع
والبصر بقوله فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبه
على ان بطلان آلة السمع بعدها وقبل آلة البصر وان آلة البصر تبطل مع المفارقة بقوله حتى خالط سمعه الى قوله يرى
حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعله عليه السلام باستقراء الطبيعة وليس كلامه ذلك مطلقا بل في بعض
الناس فاغلب ما يكون ذلك فيمن يموت لا لمرض والا فقد يعرض الآفة لقوة البصر وآلته قبل آلة السمع
وآلة النطق والذي يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية

ابقى

عن

من فناء الرطوبة الاصلية التي منها خلقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها بالتجفيف والتحليل
وقد يعينها على ذلك الاسباب الخارجية من الاهوية واستعمال الادوية المجففة وساير المجففات فان كل عضو
ايبس في طبيعته وابرد اسرع الى البطلان واسبق الى الفساد اذا عرفت ذلك فنقول اما ان آلة النطق اسرع
فسادا من آلة السمع فلان آلة النطق مبنية على الاعصاب المحركة ومركبة منها وآلة السمع من الاعصاب المنبعثة
والاتفاق من الاطباء على ان الاعصاب المحركة ايبس وابرد لكونها منبعثة عن مؤخر الدماغ دون الاعصاب المنبعثة للحس
فان جلها منبعث عن مقدم الدماغ فكانت لذلك اقرب الى البطلان ولان النطق اكثر شرايط من السامع
لتوقفه مع الآلة وسلامتها على الصوت وسلامة مخارجه ومجاري النفس والاكثر شروطا اسرع الى الفساد
واما بطلان آلة السمع قبل البصر فلان منبت الاعصاب التي هي محل القوة السامعة اقرب الى مؤخر الدماغ من منابت
محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية ولان العصب المفروش على الصماخ الذي
رتبت فيه قوة السمع احتاج ان يكون مكشوفا غير مستور بعظم سبيل الهواء بخلاف العصب الذي هو آلة البصر
فكانت لذلك اصلب والاصلب ايبس واسرع الى الفساد هذا مع انه قد يكون ذلك لتحلل الروح الحامل للسمع
قبل الروح الحامل للبصر او لغير ذلك والله اعلم وانما تنبيه الصورة الطبيعية من الميت والتوحش من قربه
فلحكم الوهم على المتخيلة بما كان عادة في تصور النوم وعزل العقل في ذلك الموضع حتى ان المجاور لميت في موضع
منفرد يتخيل ان الميت يجذبه اليه ويصيح به بخيالات لشكل خيالية المنفرد عنها طبيعة الحاسية قوله واسلموه الى عمله
اشارة الى انه كل ثواب وعقاب اخروي يفاض على النفس فبحسب استعدادها باعمالها السابقة الحسنة
والسيئة فعمل الانسان مثل الشافع او الصادق له حين لا ناصر له ولما كان سبق عليه السلام في هذا الكلام الى الابتداء والتعود
بين الآوم وذكر اسلامهم له الى عمله لان الاسلام انما يكون للعدو فكان ما دل ان ينفر من قبح الاعمال نبه على ان عمل الانسان
ان يكون كعدوه القوي عليه ويسلم اليه **الفصل الرابع** قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله
والامر مقاديره والحق آخر الخلق باوله وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه اماد السماء وفطرها وارج الا
رض وارجفها وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلاله ومخوف سطوته واخرج
من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريد من مسايلتهم عن خفايا الاعمال وخبايا الافعال
وجعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة فاثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن
النزال ولا يتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار
واما اهل المعصية فانزلهم شر دار وغل الايدي الى الاعناق وقرن النواصي بالاقدام والبسهم سرابيل القطران
ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره وباب قد اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ولهب ساطع
وقصيف هايل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم
فيقضى **اقول** الارج والرجف الاضطراب الشديد ومنه رجفها بغير هزة ودك الاشياء ونسفها قلعها
من اصولها ودك بعضها بعضا تصادمت وتهويتها تعودهم والخطر الاشراف على الهلاك وشخص خرج
من منزله الى آخر واشخصه غيره والكلب الشر والجلبة والجلب العنوت والقصيف الصوت الشديد

والقبول الا فلاك واحد ولا كتبك وفتقها لبشرها واثباتهم لوجي اذا بلغ الكتاب اجله الى غاية الثابت في موتهم
وهو بلوغ الوقت المعلوم الذي يجمع له الناس وهو يوم القيامة وارادة بالاسقاء القضاء وتساويه تفاصيل من الاثار التي
توجد على وفقه كما سبق بيانه والحوق اخر الخلق باولها اشارة الى تواقيهم في الموت وتساويهم فيه كما نطقت
الشريعة به وتجديد الخلق بعثهم واعادتهم واما اعادة السماء وشقها وارتجاج الارض ونسف الجبال فظاهر
الشريعة الناطق بخراب هذا العالم ناطق به واما من زعم تبا اه فتراهما عدلوا الى التاويل والذي يحتمل ان يقال
في وجهين احدهما ان القيامة لما كانت عندهم عبارة عن موت الانسان ومفارقته لهذا البدن وما يدركه
بواسطته من الاجسام والجسمانيات ووصوله الى مبدأه الاول كان عدمه عن هذه الاشياء مستلزما لغيبوبتها
عنه وعدمها وذهابها الاول وجلت عظمته انها قد عدمت وتفرقت وكذلك اذا انقطع نظره عن عالم الحس والخيال
ومتعلقاتهما من الاجسام والجسمانيات واتصل بالملأ الاعلى فبالحري ان تتبدل الارض والسموات
بالنسبة اليه فيصير عالم الاجسام والجسمانيات اذ ذاك له عالم المفارقات معادة الثاني ان هذه الموجودات
المشار اليها لما كانت معهودة بالجام الامكان في قبض القدرة الالهية كان ما نسب اليها من الانشقاق والانفطار
والارتجاج والنسف وغيرها امورا ممكنة في نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب الخارجية فعبر عما يمكن
بالواقع مجازا وحسنه في التوبة معلوم وفايدته التهويل بما بعد الموت والتخويف للعصاة بتلك الاهوال الثالث
قالوا يحتمل ان يريد بالارض القوابل للجود الالهي استعارة فعلى هذا اعادة السماء عبارة عن حركتها واتصالات
كواكبها التي هي اسباب معدة للقوابل هذا العالم وانقطاعها اي منع الجود بسبب تلك المعدات على القوابل وارتجاج
الارض اعداد المواد لاعادة امثال هذه الابدان او لنوع اخر بعد فناء النوع الانساني وقلع الجبال ونسفها وذهابها
اشارة الى زوال موانع الاستعدادات لنوع اخر ان كان او لاعادة ابناء هذا النوع استعارة ووجهها ان الارض تنسف
الجبال يستوي سطحها ويعتدل فكذلك قوابل الجود تستعد وتعتدل لان يبنا من عليها صورة نوع اخر او صورة
اخرى لابناء هذا النوع السابع قالوا يحتمل ان يريد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الانسان فعلى هذا
يكون اعادة السماء عن ترتيب كل استحقاق لقابله في القضاء الالهي والقطر عبارة عن الفيض وارتجاج الارض
وارجاؤها عبارة عن التموج والمرج الواقع بين ابناء نوع الانسان وقلع جبالها ونسفها وذل بعضها بالبعض
عبارة عن اهلاك الجبابرة والمعاندين للناموس الالهي وقتل بعضهم بعضا كل ذلك بأسباب فهي مستندة
الى هيبة جلال الله وعظمته واخراج من فيها وتجديدهم اشارة الى ظهور ناموس اخر مجدد لهذا الناموس
والمتبع له اذن قوم اخرون من هذا النوع جديد وتمييزهم فريقين منعم عليهم ومنتقم منهم ظاهر فان المتبعين
لاتباع الناموس الشرعي والقايلين به هم المنعم عليهم والناكثون والناركون له المعرضين عنه هم المنتقم
منهم المعاقبون فاما صفة الفريقين وما اعد لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز ووصفته
هذه الالفاظ الكريمة وعلى تقدير التاويلات السابقة بمن عدل عن الظواهر فثواب اهل الطاعة جوار
بارئهم وملاحظة الجمال المطلق له وحلولهم في دار بقاؤهم في تلك النعمة غير جائز عليهم الفناء كما نطق عليه
الشرع والبرهان وكونهم غير ظاعنين ولا متغيري الاحوال ولا فزعين ولا انهم سقم ولا خطر ولا يتجعهم

سعد وان ذلك من لواحق الابدان والكون في الحياة الدنيا فحيث زالت عوارضها ولواحقها واما جزاء
اهل المعصية فاما المنزل شر دار وهي جهنم التي هي ابعد بعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة الى قصور
العقلية عن تناول ثمار المعرفة واقران النواصي بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤوسهم عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباس
سرابيل القطران استعارة لفظ السرابيل للهيئات البدنية المتمكنة من جواهر نفوسهم ووجه المشابهة اشتمالها
عليها وتمكنها منها كالسربال للبدن ونسبتها الى القطران اشارة الى شين استعدادهم للعذاب وذلك ان اشتعال
النار فيما يلتبس بالقطران اشد ونحوه قوله تعالى سرابيلهم من قطران وكذلك مقطعات النيران اشارة الى
تلك الهيئات التي تمكنت من جواهر نفوسهم ونسبتها الى النار لكونها ملبوس اهلها فهي منها كما قال تعالى فقطعت لهم
ثياب من نار ولما كان سبب الخروج من النار هو الخروج الى الله من المعاصي بالتوبة والرجوع الى تدبر الايات
والعبر النوافع وكان البدن وحواسه ابواب الخروج الى الله فبعد الموت تغلق تلك الابواب فلا تجد سبيلا
الكفار روحا اطبق تلك الابواب في شدائد حرارة ذلك العذاب ولهيب النار ولجبها واصواتها الهايلة استعارة
لاوصاف النار المحسوسة المستلزمة للهيبة والخوف حسا للنار المعقولة التي هي في الحقيقة اشد نعوذ بالله
منها وانما عدل الى المحسوس للعقل من صفات تلك النار وعدم تصور اكثر الخلق لها الا من هذه الاوصاف
المحسوسة وكونها لا ينقطعن قاطنيها كناية عن التخليد وذلك في حق الكفار والفظ الاسير والقرينة استعارة
وكذلك لفظ الكبول استعارة لقيود الهيئات البدنية المتمكنة من جواهر نفوس الكفار فكما لا ينفصم القيد الوثيق
من الحديد ولا ينفك المكبل به كذلك النفوس المقيدة بالهيئات الردية البدنية عن التمني في جلال الله
وعظمته والتنزه في جنان حظائر قدسه ومقامات اصفيائه ولما كان الاجل مفارقة البدن لم يكن لهم بعد
موتهم اجل اذ لا ابدان بعد الابدان ولا من خلاص من العذاب للزوم الملكات الردية لاعناق نفوسهم وتمكنها منها
فهذا ما عقلناه ولربما يعبرون به عن الاسناد التي يدعونها تحت هذه العبارات الواضحة التي وردت الشريعة
بها لكنك قد علمت ان العدول الى هذه التاويلات واشباهها مبني على امتناع المعاد البدني وذلك مما صرحت
به الشريعة تصريحا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا يحتمل التاويل واذا حملنا الكلام على ما وردت به الشريعة
فهذا الكلام من عليه السلام افصح ما يوصف به احوال القيامة والمعاد والتعرض لشرحه يجري مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق

فصل في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

قد حقر الدنيا وصغرها
واهون بها وهونها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها
من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه
معذرا ونصح لامته منذرا ودعا الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة

اصول

الوابحة اللباس والفضل اقتصاص لحال رسول الله صلى الله عليه واوصافه الحميدة ليبني عليها ما ذكر نفسه
لقد فتحقيره للدنيا وتصغيرها وتهوينها اشارة الى ما كان يجذب الخلق عنها من ذكر منافعها وتعديد معايبها
واهوانه بها اشارة الى زهده فيها وعلمه بان الله ابعدها عنه اختيارا اشارة الى ان زهده فيها كان عن علم منه

باحسانه الله له ذلك وتسبيب اسبابه وهو وجه مصلحته ليستعد نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء
الخلافة الارضية وبسطها الغير اجتماعها وعلى الرواية الثانية فقد عد فيه معنى الاختيار من الله لخلافته عينه
فكان اعراضه عنها بقلبه وامانته ذكرها من مخيلها نفسه ومحبته ان تغيب رغبتها عن عينيه لئلا يتخذ منها ذبابات
ولا يوجد بها مقاما خذ بالعناية الالهية له الى الالتفات اليها الى الكمالات المعلومة له وعن ان يخلط محبتها
عن تشابه الذي قضت العناية الالهية بنظام العالم بنبيه ثم اعقب ذلك بذكر ثلاثة احوال هي ثمرة النبوة
التي هي ثمرة الزهد المشار اليه وهي تبليغ رسالة ربه اعذارا الى خلقه ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
والنصح لهم انذارا بالعذاب الاليم في عاقبة الاعراض عن الله وتاديه الى الجنة مبشرا لمن سلك سبيل الله ونهجه
المستقيم بما اعد له فيها من النعيم المقيم ثم عقب اقتصاص تلك المدائح بالاشارة الى فضيلة نفسه وذلك منه
في معرض المفاخرة بينه وبين مشاجريه كمعاوية فاشار الى فضيلته من جهة اتصاله بالرسول صلى الله عليه
اذ كان من البيت الذي هو شجرة النبوة ومحط الرسالة ومعدن العلم وينبوع الحكمة باجمل مكان بعد الرسول
صلى الله عليه كما سبق بما فيه بيان فضائل ونقط الشجرة والمعادن والينابيع مستعارا كما سبق واراد ان من
تلك الشجرة كان هو ولكل غصن من الشجرة قسطا من الثمر بحسب قوته وقربه من الاصل وعناية
الطبيعة به علمت مقدار فضيلته ونسبتها الى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ناصرا ومحبا الى اجيب
ترغيب في نصرته ومحبته وجذب اليها بالوعد برحمة الله وافاضة بركاته وتنفير عن عداوته وبغضه و
خذلانه بلحوق سطوة الله ولعل ذلك هو غاية هذا من ذكر فضيلته وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص
فانها الفطرة واقامة الصلاة فانها الملة وايتاء الزكوة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من العذاب وحج
البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة في الاجل وصدقة
السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنايع المعروف فانها تقي مصارع الهوان
افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد واقتدوا بهدي
نبيكم فانه افضل الهدي واستنوا بسنته فانها افضل السنن وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا
فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص وان العالم
العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله
الوم اقول ذروة الشي اعلاه والملة الدين والجنة الوقاية ويرحضان بفتح الضاد يغسلان والرحض
الغسل والمثراة المكثرة وهي محل كثرة المال والثروة ومنسأة محل النسأ وهو التاخير والافاضة في الذكر
الاندفاع فيه والهدي ضد الاضلال وهو مصدر وقد اشار عليه السلام في هذا الفصل الى ان افضل الوسايل الموصلة
الى الله سبحانه هو الايمان الكامل فالايمان بالله هو التصديق بوجوده وهو اشارة الى اصل الايمان ثم له لواحق
وكمالات اخذها التصديق برسوله وانما قدمه على سائر العبادات لانه اصل لها لا تصح بدونه الثاني الجهاد في
سبيله وقد عرفت فضائل الجهاد فيما سلف واشار الى وجه فضيلته بكونه ذروة الاسلام واستعار لفظ

الذروة لملاحظة الشبه في العلو والمرتبة في الاسلام بالسنام للتجيير وانما قدمه على الصلاة لكون سائر العبادات على يقين
من لقاء الله وفوق من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقى نفسه الى المهلكة الى ضرورة التي ربما يغلب على
ظنه او يتيقنها ولانه الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين الثالث كلمة الاخلاص وهي كلمة التوحيد المستلزمة
لنفي الشريك والانداد وهو معنى الاخلاص ولذلك اضيفت اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التي فطر الناس
عليها فان العقول السليمة البرية عن شوائب العلائق البدنية وعوارض التربية شاهدة ومقرة بما اخذ عليها من
العهد القديم من توحيد صانعها والبراءة عن الشرك واطلق عليها اسم الفطرة وان كانت الفطرة عليها مجازا اطلاقا
لاسم الملزوم على لازمه الرابع اقامة الصلاة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان الدين لانها الركن القوي من اركا
فاطلق عليها لفظ الملة اطلاقا لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم ان الصلاة فضائل واسرار يجب التنبيه عليها
اما فضيلتها فقد ورد فيها اخبار كثيرة بعد تاكيد القرآن الكريم للامر بها كقوله صلى الله عليه الصلاة عمود
الدين من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح الجنة الصلاة وقوله في فضل اتمامها ان الرجلين من امتي يقومان
في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقوله اما يخاف الذي يحول
وجهه في الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له
ما تقدم من ذنوبه واما اسرارها فتنقسم الى عامة والى خاصة اما العامة فقد بينا فيما سلف في ذكر الحج في الخطبة
الاولى السر العام لجميع العبادات وهي كونها متممة للغرض الثاني من اغراض الانبياء المعارف من الرياضة ومعينة
على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة ومرينا لها على موافقتها واذا لاح لك هذا السر فقد علمت ان جميع
الايات والاخبار الواردة في فضلها يرجع معناها الى ذلك كنهيها عن الفحشاء والمنكر في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر اذ كان سببهما القوة الشهوية اذا خرجت عن حكم العقل فاذا كانت الصلاة هي التي توجب دخولها
تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء والمنكر فقد كانت الصلاة هي السبب في الانتهاء فكانت ناهية
وظهر لنا ايضا معنى كونها عمادا للدين اذ كان بناء الاسلام على خمس فكل منها عماد بحسب شرائطه فمن
اخل بها فقد هدم بنيانه الذي يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاحا للجنة اذ بها يفتح باب من ابواب
الوصول الى الله وكذا يظهر التفاوت الذي يشير اليه صلى الله عليه في صلاة الرجلين من امته فانه اذا كانت
غاية الصلاة هو الالتفات الى الله تعالى بقمع الشيطان وكان احد الرجلين في صلاته خاشعا لخشية الله
مستحضرا لعظمته والاخر غافلا عن هذه الجهة قد صرف الشيطان وجه قلبه الى غير القبلة فاين احدهما من الاخر
وكذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في الصلاة فانه نهي منه عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة
عظمته في حال الصلاة فان الملتفت بيده وما لا يلتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه
ومن كان كذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقلة للامور العقلية
وعدم اكتراثه بشيء من العلوم والقرب الى الله وكذلك غفران ذنب المصلي بسبب تركه حديث نفسه بشيء من الدنيا
فانه في تلك الحال ملتفت الى الله تعالى غافل عن غيره والالتفات اليه هو روح العبادة وخلاصتها ولذلك قال
النبي صلى الله عليه انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك

المذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمته ولا هيبته فاين ذلك وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شي وكان علي عليه السلام اذا حضرت وقت
الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له مالك يا امير المومنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض
فابين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين عليهما السلام اذا حضر للوضوء اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا
الذي يعتادك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من اقوم وكل ذلك اشارة الى استحضار عظمة الله والا
لتفات اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما ما يخصها من الاسرار فقد علمت ان الصلاة ليست الا ذكر
وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فكلام الله ومحاورة ومناجاة لله تعالى وغايتها استلزام الالتفات
اليه وتذكره لينجذب القوى الشيطانية بحيث تنقاد العقل ويتمرن نفوذها بذلك وهو المقصود من القراءة والا
ذكار كالحمد والتكبير والتضرع والدعاء وليس المقصود منه الحرف والصوت امتحانا للسان بالعمل وان حصلت
الغفلة فانه تحريك اللسان بالهذيان خفيف على الانسان لا كلفة فيه من حيث انه عمل وستبين حال الاذكار
وفضيلته وفايدته في موضع اليق به ان شاء الله واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض بها التعظيم لله تعالى
المستلزم للالتفات اليه وذلك ايضا اذ لو جاز ان يكون معظما له بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يعظم
صنما موضوعا بين يديه وهو غافل عنه يؤيد ذلك ما روي عن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا
في الصلاة فلا صلاة له وقال عليه السلام ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من
صلاته ما عقل منها ولما عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان الالتفات اليه مستلزم التذكر
والتحقق والتفهم لان الالتفات اليه انما يراد لمطالعة كبريائه وعظمته والمطالعة ليست الا التفكر الذي هو عين
التصديق وصدقه العقل الانساني ثم ان التذكر والتفهم مستلزم للتعظيم فان مطالعة عظمة الله اعظم من ان
لا يعظمها العارف بها والتعظيم مستلزم للخوف والرجا فانا نجد عند تصور عظمة ملك من ملوك الدنيا وجدانا
ضروريا انا ننقص عن مقابلته ونخاف ونهابه ويلزم منه السكون والخضوع وربما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم اللسان
ومنشأ كل ذلك الخوف الحادث عن تصور عظمته فكيف بتصور جبار الجبابرة وملك الدنيا والآخرة واما
الرجا فانا عند تصور عظمة الله نتصور ان الكل منه وذلك باعث على رجائه خصوصا وقد تاكد ذلك
بالآيات الواردة في باب الخوف والرجاء ولذلك يستلزم الحيا لان المتصور لعظمة الله لا يزال مستشعرا
تقصيرا وتوهما ذنبا وذلك الاستشعار والتوهم يوجب الحيا من الله سبحانه الخامس ايتاء الزكوة
وهي ركن قوي من اركان الدين واشار الى وجه تفضيلها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراو
ندي رحمه الله اراد بالفريضة السهم المقتطع من المال للفقرا المستحقين المسمى زكوة قال وهو عندي سر خفي
لان الفريضة بمعنى الواجب فان كل العبادات الواجبة كذلك ولان الفرض والواجب بمعنى فيكون قوله فريضة
واجبة تكرارا واقول ما ذكره وجه حسن وهو اشارة الى بعض اسرارها كما نبينه ولهذه العبا
دة مع السر العام الشامل لجميع العبادات وهو الالتفات الى الله تعالى ومحبته اسرار تخصها الاول
ان المراد من كلمة الشهادة التوحيد المطلق وافراد المعبود بالتوجه اليه وذلك لا يتم الا بنفي كل محبوب عداه فان

المحبة

المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفايدة في الباطن وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات
والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وانسهم بها ونفرتهم عن الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب
واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم كما قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة ولما فهم الناس هذا المعنى انقسموا اقساما فطايفة اخلصوا في حب معشوقهم ووفوا بعهده وبذلوا اموالهم
ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل لبعضهم كم تجب من الزكوة في مايتي درهم قال اما على العوام فبحكم الشرع
خمسة دراهم واما علينا فيجب بذل الجميع ومنهم من تقعد عن هذه المرتبة وامسكوا اموالهم وراقبوا اوقات الحا
جات ومواسم الخيرات وجعلوا قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن
الحاجة الى وجوه البر وهولاء لا يقتصرون على واجب الزكوة حتى ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال
حقوقا واجبة غير الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد قيل للشعبي هل في المال حق سوى الزكوة فقال نعم اما
سمعت قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ولم يجعلوا
ذلك مخصوصا باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل
حاجته بالفضل عن مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي ادون الرتب
وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وضعف حبهم للآخرة ويلزم هذا السر تطهير الاموال
عن رذيلة البخل فانها من المهلكات قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
ووجه كونه مهلكا انه انما يصدر عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احداهما
تبعد من الاخرى فكانت محبة المال صارفة عن التوجه الى الله وشاغلة منه وذلك يستلزم الهلاك الابدي كما
بيناه وانما تزول هذه الرذيلة بتعود البذل اذ حب الشي لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتى
تصير ذلك عادة فالزكوة بهذا المعنى طهور اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله و
فرحه واستبشاره بصرفه في حب الله طاعة ومحبة له وملاحظة لحذف كل محبوب عداه عن سمت القبلة
السر الثاني شكر النعمة فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها العبادات البدنية ونعمة في ماله و
شكرها العبادات المالية وليس احد اخس ولا ابعد عن رحمة الله ممن ينظر الى فقير قد ضيق عليه في الرزق
ثم اضطر اليه فلم تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على ما اغناه عن السؤال واحوج غيره اليه بعشر ماله
او بربع عشره السر الثالث يتعلق باصلاح المدن وتدبير احوال اهلها وهو ان جعل الله هذا القدر من
في اموال الاغنياء شركة للفقراء لتسد به خلتهم واليه اشار عليه السلام بكونه فريضة واجبة وفي هذا السر
سران احدهما ان يكون ذلك عونا لهولاء على عبادة الله كي لا يشتغلوا بالطلب عنها الثاني ان تنكسر
همتهم عن حسد اهل الاموال والسعي بالفساد في الارض فلا ينتظم امر المدينة وتكون قلوبهم ساكنة الى ذلك
القدر معلقة به مشتغلة بالله تعالى بالدعاء في حفظه سالمة مع اهل الاموال فيحدث بينهم بذلك انس الفة
الكثرة والمعاونة والانس والمحبة الموجبات للالفة الموجبة لنظام العالم وقوام امر الدين وبقا نوع الانسان في
لاجله وجد الناس السادس صوم شهر رمضان وتخصيصه بكونه جنة من العقاب وان كان ساير العبادات

كذلك لما انه اشدها وقاية وبيان ذلك انه مستلزم لقهر العدو (اعداء) التي هي الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان
هي الشهوات وانما يقوي الشهوة ويثيرها الاكل والشرب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه ان الشيطان ليجري
من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وقال صلى الله عليه لعايشة داومي قرع باب الجنة فقالت
بماذا قال بالجوع وكان الصوم على الخصوص اشد قمعا للشيطان واشد ابطالا لكيده وتضييق مجاريه ولما كان
العقاب انما يلحق الانسان ويتفاوت في حقه بالشدة والضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان
وبعده منه وكانت هذه العبادة ابعد لبعده عن الشيطان كان بسببها العبد بعيدا عن العقاب فلذلك خص
بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة وان كانت عدمية الا انها ليست عدما صرفا بل عدم ملكة يجذبك من الطبيعة
نحوه جذبا شديدا بينه صاحبه الله على جبلة من الانفس ليس هذا بتذكر سبب ما ينويه من ذلك وانه
التقرب الى الله سبحانه كما هو غاية التمام للعبادات السابع حج البيت واعتماره وقد سبقت
الاشارة الى اسراره في الخطبة الاولى والذي ذكره هاهنا كونهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب فيجمع
فيه بين منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة اما منفعة الدنيا فكونهما ينفيان الفقر وذلك بسبب التجارة الحاصلة
في موسم الحج وقيام الاسواق بمكة حينئذ واما منفعة الآخرة فكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس لما علمته
في اسرار العبادات وهذه هي المنافع المشار اليها في القرآن الكريم بقوله ليشهدوا منافع لهم قال اكثر
المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة وهو المنقول عن سعيد بن جبير وابن عباس في رواية ابي رزين عنه
ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والآخرة في التجارة والثواب وهو المنقول عن مجاهد وابن عباس في رواية
عطاء عنه الثامن صلة الرحم وذكر من فوائدها امرين احدهما كونها مثراة في المال وذلك من وجهين احدهما
ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق بما له مدة الحياة الدنيا ويقوم بصورته فاذا اقتضت تخصيص بعض الناس
بالقيام بامر جماعة وكفالته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية اضافة ارزاقهم على يديه وما يقوم بامدادهم بحسب استعداده
لذلك سواء كانوا ذوي ارحام او مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احدهم منهم فربما نقص ماله بحسب رزق ذلك المنقطع
وذلك معنى كونه مثراة في المال الثاني ان الصلة للرحم من الاخلاق الجميلة التي يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرجو
في نظر الكل فيكون ذلك سببا لامداده ومعونته من ذوي الامداد والمعونات كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم
مظنة لزيادة المال والثاني كونها منسأة في الاجل من وجهين احدهما ان صلة الرحم توجب تعاطف ذوي الارحام وتوا
زرهم ومعاضدتهم لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخيره وطول عمره والثاني ان مواصلة
ذوي الارحام توجب تعلق هممهم ببقاء واصلهم وامداده بالدعاء وقد يكون دعاؤهم له وتعلق هممهم ببقائه من
شرايط بقائه وانسا اجله وكانت مواصلتهم منساة في اجله التاسع صدقة السر وذكر من فوائدها
كونها تكفر الخطيئة وانما خصها بذلك مع ان سائر العبادات كذلك لكونها ابعد عن الرياء والسمعة فالاخلاص به لوجه
الله تعالى فكان الاخلاص فيها لله تعالى اتم فكانت اولى بالتقرب من الله ومحو الخطيئة العاشر صدقة
العلانية وذكر من فوائدها انها تدفع ميتة السوء وبيان ذلك ان صدقة العلانية تستلزم الشهرة بفعل الخيرات
وتوجب الذكر الجميل والمحبة للمتصدق ولما كانت ميتات السوء كالحرق والغرق والصلب والقتل

ونحو

ونحو ذلك من الاحوال الشنيعة التي تكون مقررة في الخوف الناس عن المرتكب لها وكان قليلا ما يقع منها لمقصد الناس
لمن احبوه واشتهر بالخير واستجلاب قلوب الفقراء بالصدقة والارشاد فلا جرم كانت تلك الصدقة مظنة الدفع
لميتات السوء عنه الحادي عشر صنايع المعروف مستلزمة الثاني عشر وذكر من فوايدها انها تقي مصارع الهوان
وتقريره قريب مما قبله اذ كان اصطناع المعروف مستلزما لميل قلوب الخلق ومحبتهم على محبة المصطنع
وقلما يقع مع ذلك سببهم في مصرع هوان ثم لما فرغ من تعداد كمالات الايمان امر بما يكمله في القلوب ويثبته وهي
امور احدها الاندفاع في ذكر الله ويقوى من مكملات الايمان بدون غيبه بكونه احسن الذكر وذلك لما يستلزم
من الحصول على الكمالات المسعدة في الآخرة والوصول الى الله كما سنبين فضيلته وفايدته في موضع التوبة
الثاني الرغبة فيما وعد المتقين من ثواب الآخرة والفوز وهو ايضا من مكملات طاعته والعمل له ولما كان الخلف
خير الله تعالى فيما كان وعده اصدق الوعود الثالث الاقتداء بهدي النبي واتباع سنته ولما كان افضل الانبياء
الرابع كانت سنته اشرف السنن والاقتداء به واتباع سنته اهدى الطرق الى الله الخامس تعلم القرآن وهو
كونه من مكملات الايمان بالله ورسوله واستعار له لفظ الربيع ووجه المشابهة كون القرآن جامعا لانواع
العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة التي هي متنزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار الرايقة التي
تتنزه النفوس ومطمح انظار العيون السادس الاستشفاء بنوره وظاهر كونه شفاء للقلوب من علة الجهل
السابع حسن تلاوته وذلك لان حسن تلاوته مظنة تفهم معانيه وتدبرها وعن تلاوته تظهر فائدته وتحصل
ثمرته قصصه وانما يكون انفع القصص اذا اتى حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الاوامر المذكورة بالاعتبار
التي عددها بما ينبغي ان يحمل على ذلك العلم بالتنبيه على نقصان العالم الذي لا يعمل بعلمه فسوى اولا بينه وبين
الجاهل العادل عن سواء سبيل الله ووجه التسوية اشتراكهما في لزوم الجهل وهو الحيود عن قصد السبيل في
عدم الانتفاع بغاية العلم وثمرته وهي الاعمال الصالحة ثم جعل حال العالم اخس الثلاثة اوجه احدها ان الحجة عليه
اعظم لانه لا يمكنه ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وليس للعالم ذلك وروي عن الرسول صلى الله عليه انه
قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع اي الذي يستلزم الطاعة
والعمل الثاني ان الحسرة له الزم وذلك ان النفوس الجاهلة غير عالمة بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فاذا فا
رقت ابدانها وهي وان كانت محجوبة عن ثمار الجنة وما اعد الله فيها لاوليائه الفضلاء الا انها لما لم تجد لذتها ولم تطلع جلالة
المعارف الالهية لم يكن لها كثير حسرة عليها ولا اسف على التقصير في تحصيلها بخلاف العارف بها العالم
بنسبتها الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة اذا علم وانكشف له ان العارف انه المانع من الوصول الى حضرة جلال
الله هو تقصيره في العمل بما يعلم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات والدرجات كانت الحسرة والحزن على ذلك اشد الحسرات
وحزن ذلك يجري من علم قيمة جوهرة نفيسة دون من جهل الكمال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه حتى
فاتته فانه تعظم حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها الثالث انه يكون عند الله الوم
اشد الملامة له بعد المفارقة مجازي انقطاع لسانه عن الاعتذار في معصيته عن علم وانما يكون الوم لان
اقدام العالم على المعصية التي علم قبحها انما يكون عن نفس في غاية الانقياد للشيطان والمخالفة للطاعة

بابليس وجنوده طاعة تفضل على طاعة الجاهل وانقياده للقيام الصارف عنها في جوف الظلام ومن علية يهيجها ويرجح الداعي اليها عليه وعدم الصارف في حق الجاهل ولا شك ان اشدية اللذة تابعة لاشدية الانقياد لابليس خضوعا مانع العلم بما يستلذ منه مع بعثه من الهلاك فظاهر اذا كونه اللوم عند الله وبابه التوفيق ن

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حايلة زايلة نافدة بائدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما قال الله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا لم يكن امرؤ منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء الا هتنت عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر منها جانب فاوبى لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذي طمانينة اليها قد صرعته وذي ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى آثارا وابعد آمالا واعد عديدا واكثف جنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالفوادح واوهنتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون فقد رايتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون انكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اقول الحبرة السرور والفجعة الرزية وغوالة اي ناهبة

على غرة

على غرة واوبى ارض والغضارة طيب العيش وقوادم الطير مقاديم ريش جناحيه واوبقه اهلكه ولا بهشة الغفلة وربات كبد ورمام بالية متقطعة والمحروب مسلوب المال وارهقتهم غشيتهم وقدحته الامر اعتاله والثقل والقارعة الداهية الشديدة وضعضعتهم اذلتهم والمناسم اخفاف الابل والسغب الجوع والاجنان جمع جنن وهي القبور واعلم ان مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير عنها بذكر معايبها وفيه نكت فا استعار لفظ الحلاوة والخضرة المتعلقين بحسي الذوق والبصر لما يدرك منها وبلذة النفس ووجه المشابهة المشاركة في الالتذاذ به وانما خص متعلق هذين الحسين لاكثرية تاديتهما الى النفس واللذة بواسطتهما دون سائر الحواس ب وصف الدنيا بكونها محفوفة بالشهوات في الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات قال اصحاب المعاني وفي ذلك تنبيه على ان النار هي الدنيا وصحبتها بعد المفارقة هو سبب عذابها تنبيه ان ذلك غير مفهوم من كلامه عليه السلام وانما معنى الخبر فاذا ان يراد به النار المعقولة فيكون قريبا مما قالوه واذا ان يراد النار الجسمية ويكون المعنى على التقديرين ان النار انما تدخل بالانهماك في شهوات الدنيا ولذاتها والخروج في استعمالها عما ينبغي الى ما لا ينبغي فكانها لذلك محفوفة وحفاظه بالشهوات لا يدخل اليها الا منها واراد بالعاجلة اللذات الحاضرة التي مالت القلوب الى الحياة الدنيا بسببها فاشبهت المراة المتحببة بمالها وجمالها فاستعير لها وصف التحبب ج كذلك قوله راقت بالقليل اي اعجبت بزينتها القليلة بالنسبة الى متاع الآخرة كمية وكيفية د كذلك تحليها بالآمال الكاذبة المنقطعة وتزينها بما هو في نفس الامر غرور وباطل فانه لولا الغرور والغفلة عن عاقبتها لما زانت في عيون طالبيها ه استعار لها اوصاف المحتالة المخدوع وهي كونها غرارة وغوالة اي كثيرة الاستغفال لاهلها والخداع لهم و وصف السبع العقور بكونها اكالة لهم وكنى بالاول عن كونها كالخادع في كونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لاجله بالاشتغال بها والانهماك في لذاتها وبالاكالة عن كونها كالسبع في افنائهم بالموت ز معنى قوله لا تعدو الى قوله مقتدرا ان غاية صفائها للراغبين فيها والراضين بها وموافقتها لهم لا يتجاوز المثل وهو ان تزهو في عيونهم وتروقهم محاسنها ثم عن قليل تزول عنهم كانها لم تكن كما هو معنى المثل المضروب لها في القرآن الكريم واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الآية ح كنى بالعبرة عن الحزن المرتب للسنة ودر وتخصيصه البطن بالسراء والظهر بالضراء يحتمل امرين احدهما ان يريد بطن المجن وظهره وذلك من العادة في حال الحرب ان يلقي الانسان بظهر المجن وفي حال السلم ان يلقي المجن ويكون بطنه ظاهرا فجرى المثل به في حق المتنكرين والمخاصمين بعد تعصل قلب له ظهر المجن كما قال علي عليه السلام لابن عباس في بعض كتبه اليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فلذلك استعمل هاهنا القاء بطنها لاهلها في اقبالها عليه ولقاه منها ظهرها في ادبارها عنه ومجاريها الثاني يحتمل ان يريد بطنها وظهرها وذلك ان العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور ان يلقاه بوجهه وبطنه وفيمن يلقى بالتنكر والادبار ان يلقى بظهره موليا عنه فاستعير ذلك للدنيا وعبر به عن اقبالها وادبارها ط انما خص امنها بالجناح لان الجناح محل التغير بسرعة

فنبه بسرعة تغيرها منها وانما خص الخوف بالقوادم من الجناح لان القوادم هي راس الجناح
وهي الاصل في سرعة حركته وتغيره وهو في سابق ذمها والتخويف منها يحسن ذلك التخصيص
ومراده انه وان حصل فيها امن فهو في محل التغير السريع فالخوف اليها اسرع لتخصيصه بالقوادم
لا خير في شي من ازوادها الا التقوى استثنى ما هو المقصود من خلق الدنيا ووجود هذا النوع
فيها وهو التقوى الموصل الى الله سبحانه وانما كان من ازواد الدنيا لانه لا يمكن تحصيله الا فيها وقد
سبقت الاشارة اليه في قوله فتزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا وظاهر انه لا خير
فيما عداه من ازوادها لفنائه وبغضه في الاخرة ح من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من
الزهد فيها وقد عرفت كيفية الامان به من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه
وهو ملكات السو الحاصلة عن حب قنياتها وملذاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها
وزوالها ط استعار لفظ العذب والحلو للذاتها ولفظي الاجاج والمر لما يلحق والصبر لما يشوب
لذاتها من الكدر بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات الاشتراك في الالتذاذ والايلام ثم
استعار لفظ الغذاء وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام له ووجه الاستعارة ما استعقب
الانهماك في لذاتها من الهلاك في الاخرة كما يستعقبه شرب السم والهمام جمع هم ثم اعقب
التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان اطول اعمارا واشد اثارا من تغيرها بها
وتنكرها لهم مع شدة محبتهم وتعبدهم لها والسوال على سبيل الانكار عن دوام سرورها لهم
وحسن صحبتها اياهم وصرح بعده بالانكار بقوله بل ارهقتهم بالقوادح واستعار لها لفظ
الارهاق والتقعقع والتعفير والوطي واعانة ريب المنون عليهم واسند اليها افعال الاحيا ملاحظة
لتشبيهها بالمراة المتزينة لخداع الرجال عن انفسهم واموالهم ونحو ذلك ثم لما فرغ من ذمها والتنفير
عنها بتعديد معايبها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بهذا المقام
واطمانهم اليها وحرصهم عليها ثم عاد الى ذمها مجملا بقوله بئست الدار لمن لم يتهمها اي
لمن اعتقد نصحها وانها مقصودة بالذات فركن اليها فانها بذلك الاعتبار مذمومة في حقه اذ
كانت سبب هلاكه في الاخرة فاما المتهم لها بالخديعة والغرور فانه يكون فيها على وجل منها
عاملا لما بعدها فكانت محمودة له اذ كانت سبب سعادته في الاخرة ثم شرع في الامر بالعمل
على وفق العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للاخرة انما يكون للاشتغال بالدنيا فالعالم بضرورة
مفارقتها له وما اعد لتاركي العمل من العذاب الاليم اذا انبه على تلك الحال كان ذلك صارفا
له عنها وسالكا للعمل لغيرها واكد التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال الماضين
المفارقين لها بعد مفارقتها المضادة للاحوال المعتادة للاحيا التي الفوها واستراحوا اليها
اذ كان من عادتهم اذا حملوا ان يسموا ركبانا واذا انزلوا ان يدعوا ضيفانا واذا تجاوروا ان
يجيبوا داعيهم ويقولوا عند الضيم وان يرجوا ان يبادرهم الغيث ويقنطوا اذا قحطوا انه

وان

وان يتزاوروا ويراعوا التداني ويحملوا عند وجود الاضغان ويجهلوا عند قيام الاحقاد ويخشوا ويرجوا
فسلبت عنهم تلك الصفات وعوضوا باضداد تلك الهيات بيت فجاوروا ولا فارقوها اي اشبه مجيئهم
اليها ووجودهم فيها خروجهم منها يوم مفارقتهم لها ووجه الشبه كونهم جفاة عداة او العامل فاذا
فيها وهو كناية عن الفقد بها ودل على ذلك استشهاده بالاية الكريمة وموضع قوله قد ظعنوا
منها النصب على الحال كما انتصب جفاة عداة والعامل فارقوها ولا يقدر مثله بعدها وقوله وان قد
مثل الخالين ان تبقين قال الامام الوبري رحمه الله فراقهم من الدنيا ان خلقوا منها ومجيهم
ان دفنوا فيها قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب قلت وكان الحامل لهذا
الامام على هذا التاويل انه لو كان مراده بمجيهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في ظاهر الامر
هو المشبه وفراقهم هو المشبه به لانعكس الغرض اذ المقصود تشبيه المفارقة بالمجي وذلك
يستلزم كون المشبه هو المفارقة والمشبه به هو المجي لكن ينبغي ان يعلم ان المشابهة اذا
حصلت بين الشيئين في نفس الامر جاز ان يجعل احدهما اصلا والاخر فرعا وجاز ان يقصد
اصل المساواة بينهما من دون ذلك فيحمل هنا على الوجه الثاني اولى من التعسف الذي ذكره
فاما الاية فان من فيها لبيان الجنس فلا يدل على المفارقة والانفصال وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ملك الموت هل تحس به اذا دخل منزلا
ام هل تراه اذا توفى احدا بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح
اجابته باذن ربها ام هو ساكن معه في احشائها كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق
مثله **اقول** هذا الفصل من خطبة طويلة ذكرها في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى عن
اطلاع العقول البشرية على كنهه ووصفه فقدم التنبيه بالاستفهام على سبيل الانكار
عن الاحساس به في دخوله منازل المتوفين وذلك قوله هل تحس به الى قوله ونبه باستنكار
الاحساس به على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شانه ان يحس باحد الحواس الخمس
ثم عن كيفية توفيه للجنين في بطن امه وهو استفهام من قبيل تجاهل العارف بالنسبة
اليه وذلك قوله بل كيف يتوفى الجنين الى قوله في احشائها وحصر الحق من هذه الاقسام في الق
بسيط وهو اجابته باذن ربها ليبقى الجاهل في محل الحيرة مترددا فيما بينه انه ملك الموت لا يمكن
الانسان من وصفه نبه على عظمة الله سبحانه بالنسبة اليه وانه اذا عجز الانسان عن وصف مخلوق
مثله فبالاولى ان يعجز عن وصف خالقه ومبدعه الذي هو ابعد الاشيا عنه مناسبة وتقدير
البيان بذلك التنبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله لما بيناه من العجز عن صفة ملك
الموت وحاله وكل من عجز عن صفة مخلوق مثله فهو عن صفة خالق ذلك المخلوق ومبدعه
اشد عجزا ولنشر الى حقيقة الموت والى ما عنت في اللوح من وصف ملك
الموت ان شاء الله فنقول اما حقيقة الموت فاعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهدت به

الاعتبار ان الموت ليس الا عبارة عن تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري منها مجرى الآلة لذي الصنعة وان
الروح باقية بعده كما شهدت به البراهين العقلية في مظانها والآثار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له هو
انقطاع تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج في ادراكه الى آلة
فهي متعطلة عنه بعد مفارقة البدن الى ان تعاد اليه في القبر او يوم القيامة وما كان مدركا لها بنفسها من
غير آلة فهو باق معها تتنعم به و تفرح او تحزن من غير حاجة الى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والادراكات
الكلية لها هناك وقد ضرب للمفارقة التي سميناها الموت مثلا فقيل كما ان بعض اعضاء المريض تتعطل
بسبب مزاج يقع فيه او عصب شدة تعرض للاعصاب فيمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة
لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء كلها وتعطلها
وحاصل معنى المفارقة تعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والآلات والقينات الدنيوية من الاهل والمال
والولد ونحوها ولا فرق بين ان يسلب هذه الاشياء من الانسان او يسلب هو عنها اذ المؤلم هو الفراق
وقد يحصل ذلك بنهب ماله وسبي ذريته وقد يحصل بسلبه ونفيه عن ماله واهله فالموت في الحقيقة هو
سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر فان كان له في هذا العالم شيء يانس به ويستريح اليه فيفقده
عظم خطبه عنده وعظم تحسره عليه في الآخرة وتضاعف شقاوته في مفارقته ويكون سبب عظم حظه عنده
ضعف تصوره لما اعد للابرار والمتقين في الآخرة مما يستحقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا فاما ان كانت
عين بصيرته منفتحة حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذا خلي بينه
وبين محبوبه وتقطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف له هناك ما كان يدركه من السعادة
بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما يشاهد المستيقظ من نومه صورة ما رآه في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
اذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتولي لافاضة صورة العدم على اعضاء هذا البدن وحال
مفارقة النفس له ولعله هو المتولي لافاضة صورة الوجود عليها لكنه بالاعتبار الاول يسمى ملك الموت ثم لما كانت
النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت في هذا العالم وتشبهها بان يستصحب القوة المخيلة معها فحاكي
ما كان محبوبا منها للنفس ومستبشرا بلقائه بصورة بهية كتصور جبرئيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وغيره
من الصور البهية الحسنة وما كان مستكرها ممقوتا منفورا من لقائه بصورة هائلة لا جرم اختلفت رؤية الناس
ملك الموت فمنهم من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون بلقاء الله الذين قطعت رغبتهم في الدنيا ورضوا بالموت
ليصلوا الى لقاء محبوبهم وفرحوا بالقدوم وسيلة اليه كما روي عن ابرهيم عليه السلام انه لقي ملكا فقال له من انت
انت فقال انا ملك الموت فقال استطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم اعرض عني فا
عرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن من
البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة قبيحة هائلة المنظر وهم الذين اعرضوا
عن لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها كما روي عن ابرهيم ايضا انه قال لملك الموت فهل تستطيع
ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه

ثم التفت اليه فاذا شيخ اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب تخرج من فيه ومناخره النار والدخان
فغشي على ابرهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى حالته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند
موته الا صورتك لكفته وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فاني احذركم الدنيا فانها منزل
قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها دارها هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها و
خيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها لم يصفها لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه خيرها
زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض
البناء وعمر يفنى فيها فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم واسألوه (لو ه)
من اداء حقه ما سألكم واسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل ان يدعى بكم ان الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم (خ وان ضحكوا)
وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن
قلوبكم ذكر الآجال وحضرتكم كواذب الآمال فصارت الدنيا املك بكم من الآخرة والعاجلة اذهب
بكم من الآجلة وانما انتم اخوان على دين الله ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون
ولا تناصحون ولا تباذلون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه وتحزنون باليسير من الدنيا حين (ط تدركونه خ)
يفوتكم ويقلقكم ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك
في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كانها دار مقامكم وكان متاعها باق عليكم وما
يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله قد تصافيتم على رفض الآجل
وحب العاجل وصار دين احدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا سيده ٥
اقول بيان هذا منزل قلعة بضم القاف اي لا يصلح للاستيطان والنجعة بضم النون طلب الكلاء
والعيش المنتجع المقصد واللعقة بالضم اسم لما تاخذه الملعقة وفي الفصل نكت فالتحذير من الدنيا والا
ستدراج الى تركها بذكر معايبها وذلك من اول الفصل الى قوله انقطاع السير فاشار اولا الى انها لا تصلح
للاستيطان وطلب الكلاء وكنى بوصفها عن انه ينبغي ان يطلب من الخيرات الباقية التي هي محل الانس والسرور
الدائم وثانيا الى ان زينتها سبب لاستغفالها الخلق والاغترار بها سبب لاستحسانها فان قلت قد
جعل الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة وذلك دور قلت انما جعل الزينة سببا للاغترار و
الغرور سببا لاستحسانها وعدم التنبه لمعايبها فلا دور وثالثا انها هانت على ربها اي لم تكن العناية
الالهية اليها بالذات فلم تكن خيرا محضا بل كان كل ما فيها مما يعد خيرا مشوبا بشر يقابله وذلك بحسب
الممكن فيها وزهادة خيرها بالنسبة الى خير الآخرة ثم الترغيب باوامر احدها ان يجعلوا فرائض الله عليهم
من جملة ما يطلبونه منه والغرض ان يصير محبوبا لهم لحبهم لما يسألونه من مال وغيره فيواظبوا على العمل
بها الثاني ان يسألوه اداء حقه عليهم وذلك بالاعانة والتوفيق والاعداد لذلك كما سألهم اداءه والغرض
ايضا ان يصير الاداء منهم محبوبا اليهم وكما في الدعاء الماثور اللهم انك سألتني من نفسي ما لا املكه الا
بك فاعطني منها ما يرضيك عني الثالث ان يسمعوا داعي الموت آذانهم اي يقصدون سماع ذلك لفظ

بخوف الموت وأهواله وذلك بالجلوس مجالس الذكر ومحادثة الزاهدين في الدنيا فإن في ذكر الموت تنغيص
اللذات الدنيوية كما قال عليه السلام أكثروا ذكر هادم اللذات الثانية شرح حال الزاهدين في الدنيا ليهتدي
من عساه ينجذب إلى الله إلى كيفية طريقهم فيقتدي بهم فذكر أوصافا الأول أنهم تبكي قلوبهم وإن
ضحكوا وذلك إشارة إلى دوام حزنهم لملاحظة الخوف من الله فإن ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق الثاني
أنهم يشتد حزنهم وإن فرحوا ومر تفسيره مما قبله الثالث أنهم يكثر مقتهم أنفسهم فيتركون الالتفات إليها
بالزينة وطاعتها فيما تدعوهم إليه من متاع الحياة الحاضرة وإن اغتبطوا غيرهم بما قسم لهم من رزق الله الرابعة
تعنيف السامعين على ما هم عليه من الأحوال المضرة في الآخرة وذلك بالغفلة عن ذكر الأجل واستحضارهم الآ
مال الكاذبة وغير ذلك من الأحوال المذكورة إلى آخر الفصل ومحل تدركونه وتجمعونه ويفوتكم النصب على الحال وقوله
صبركم عطف على وجوهكم أي حتى يتبين ذلك القلق في وجوهكم وفي قلة صبركم عما غيب عنكم
منها وقوله وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه إلى آخره أي ما يمنع أحدكم من لقاء أخيه بعيب ولا يأمنه عليه إلا الخوف
منه أن يلقاه بمثله لمشاركته إياه فيه كما صرح به قوله تصافيتم على رفض الآجل إلى آخره واستعار لفظ
اللعقة لما ينطق به من شعائر الإسلام والدين كأنها ذنب وتجوزها من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه
والعمل على وفقه وصنيع نصب على المصدر أي صنعتم صنيعا مثل صنيع من أحرز رضا سيده بعضا مما أمره به
ووجه التشبيه الاشتراك في الترك والإعراض عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما
أمرت به السراع إلى ما نهيت عنه ونستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر
ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود إيمانا نفى إخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف
ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان عنه أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ
ومعاذ منجح دعا إليها أسمع داع ووعاها خير واع فأسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله
محارمه وألزمت قلوبهم مخافته حتى أسهرت لياليهم وأظمأت هواجرهم وأخذوا الراحة بالنصب والري بالظمأ
واستقربوا الأجل فبادروا العمل وكذبوا الأمل فلاحظوا الأجل ثم إن الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن
الفناء أن الدهر موتر قوسه لا تخطئ سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب
آكل لا يشبع وشارب لا ينقع ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله لا مالا
حمل ولا بناء نقل ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك إلا نعيما زل وبؤسا نزل
ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله فلا أمل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما أعز
سرورها وأظمأ ريها وأضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله ما أقرب الحي من الميت للحاقه به
وأبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه إنه ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه
وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع

ومن

ومن الغيب الخبر واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا
فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم
فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع قد تكفل لكم بالرزق وأمرتم بالعمل فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى
بكم من المفروض عليكم عمله مع أنه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين حتى كأن الذي فرض
عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق
ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس
مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون **أقول** لا تؤسى أي لا تداوى ولا ينقع لا يسكن
عطشه والضحى بروز الحي للشمس وفي الخطبة لطائف الأولى أنه صدر الخطبة بحمد الله تعالى باعتبارين أحدهما
وصلة حمد حامديه بإفاضة نعمه عليهم كما قال تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم ومن حمد العبد يستعد لشكر النعمة
الثاني وصلة النعم التي يفيضها على عباده بإفاضته الاعتراف بها على أسرار قلوبهم وقد علمت أن الاعتراف
بالنعم هي حقيقة الشكر فظهر إذن معنى وصلة النعم بالشكر وأن الشكر والتوفيق له نعم أخرى كما سبقت
الإشارة إليه في الخطبة الأولى ويحتمل أن يريد الشكر منه تعالى لعباده الشاكرين كما قال تعالى والله شاكر
عليم وظاهر أن وصلة نعمه بشكره في غاية التفضل والإنعام فإن الإحسان إلى الغاية يستتبع الشكر من
المحسن إليه فأما من المحسن فذلك تفضل آخر ورتبة أعلى الثانية أنه نبه بتسويته بين حمده على النعماء
وحمده على البلاء تنبيها منه على وجوب ذلك لأن النعمة قد تكون بلاء كما قال تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة والبلاء منه أيضا نعمة يستحق به الثواب الأجزل وسبب النعمة نعمة وبهذا الاعتبار يجب على الشكر
على البلاء أيضا كما يجب على النعماء إذ الكل نعم الثالثة نبه على وجوب استعانته تعالى على النفوس وذكر
ما لأجله الاستعانة عليها وهو كونها بطاء عما أمرت به من سائر التكاليف وذلك لحاجة النفوس إلى مقا
ومة الطبيعة سراعا إلى ما نهيت عنه من المعاصي وذلك لموافقتها مقتضى الطبيعة الرابعة نبه على وجوب
طلب المغفرة من الله لكل ذنب صغير أو كبير بما أحاط به علمه وأحصاه كتابه المبين واللوح المحفوظ
جبرئيل الأمين علم ما أحاط بكل شيء وكتاب غير مغادر لشيء الخامسة أنه خص إيمان من عاين الغيوب
ووقف على ما وعد به المتقون بحيث الكشف لكونه أقوى درجات الإيمان فإن من الإيمان ما يكون بحسب التقليد
ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين وأقوى منه الإيمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين
وذلك هو الإيمان الخالص وبحسب الإخلاص فيه يكون نفيه الشرك وبحسب يقينه أعني اعتقاده أن الأمر كذا
مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا يكون نفي الشك وقد علمت أنه عليه السلام كان من أهل هذه المرتبة السادسة
كون الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل وذلك أن إخلاص الشهادتين أصل لقبول الأقوال والأعمال
الصالحة لا يصعد إلى الله قول وعمل لا يكونان أصلا له وأشار إلى ذلك بقوله لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل
ميزان ترفعان منه وقد أشرنا إلى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بيانا إن شاء الله السابعة أراد بكون تقوى
الله هي الزاد أي الزاد المبلغ وأن بها المعاذ أي المعاذ المنجح وذلك أوردها تفسيرا له منه أراد بأسمع داع أنه

الداعين اسماعا وتبليغا وهو الرسول صلى الله عليه وآله دعيني واعي المنادين الي داعي الله الذين سمعوا افضل القوابل
الانسانية الناسخة وصفه ما ينال منه من تقوى الله من الاثار في اولياء الله ووصف الليالي بالسهر والجواهر
بالظما للرجلا ظوفين فالليالي لقيام الصلوات والنهار للصوم وكان ذلك من باب اطلاق لفظ صفة المظروف
على الظرف وسر لقولهم نهاره صائم وليله قائم واحدهم الواجبة اي في الآخرة بالنصب اي نعت الايمان من
القيام والروي من عين التي سلسبيلا الا استعداد بظما الصيام والقنائع بنا دونا ولا حظوا للتعليل فان استوا
الاجل مستلزم لعمل لذه لما بعده وكذلك تكذيب الامل وانقطاعه ملازم لملاحظة الاجل الغاشي وكونه مذام
الدنيا وهو لونها والذنب وفنآء وغير وعبر ثم اعقب ذلك الاجمال بتفصيل كل جملة وذلك الي قوله ولا
موتيل سوى فاستعار لفظ وصف الاثار لا ثار الدهر ورشح بذكر الموتيين ووجه الاستعارة ان الدهر جابري
مصائبه المستندة الى القضاء الالهي الذي لا يتعدى جاري الرامي الذي لا يخطي ولذلك استعار لفظ الجراح
لنوايب الدهر لاشتراكهما في الايلام ورشح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار لفظ الاكل والشاربين عن
الشيح [illegible] ووجه المشابهة كونه ياتي على الخلق ويفنيهم كما يأتي الآكل والشارب المذكوران على الطعام
والشراب فيفنيانها واراد بالمرحوم الذي يرى مغبوطا اهل المسكنة والفقر الذي تبدل فقرهم بالغنى فيغبط
وبالمغبوط الذي يرى مرحوما اهل الغنى المتبدلين به فقرا بحسب تصاريف الدهر فتصيبه ابهجل الرحمة
وقوله ليس ذلك الا نعيما زل اي عن المغبوطين وبؤسا نزل بعضهم الحادية عنه نسب الغرور الي سرورها
والظمأ الي ريها والضحى الي فيئها واتى به بلفظ التعجب وكنى بريها عن استتمام لذاتها وبفيئها عن الركون الي
قينتها والاعتماد عليها ووجه نسبة الغرور الي سرورها وفيها انها هي الصوارف عن العمل للآخرة والملهيات
عن الاقبال على الله وكان سرورها اقوى سبب للغرور وريها وفيئها اقوى الاسباب لظما المنهمك فيها من شراب
الابرار واوجب لايرادها الي حر الجحيم فلذلك النسبة حسنت اضافة الغرور والظمأ والضحى الي سرورها وريها
وفيئها وقوله لا جاء يرتد اي من الآت الدهر كالموت والقتل ونحوهما ولا ماض يرتد اي من الاموات والغائب
من الغائبات الثاني عشر قوله انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه الي قوله سماعه يحتمل ان يريد الشر
والخير المطلقين ويكون ذلك للمبالغة اذ يشاء للامر الشريف هذا اشد من الشديد واجود من الجيد ويحتمل
ان يريد شر الدنيا وخيرها فان اعظم شر في الدنيا يستحقر في عقاب الله واعظم خير فيها يستحقر بالنسبة
الى ثواب الله ثم اكد ذلك باعظمية احوال الآخرة بالنسبة الى احوال الدنيا وصداقة كلامه عليه السلام ان اعظم
شيء يتصور الانسان بالسماع ويستهول له ويستكثر هو مثل صورة القتل والجراح فاذا وقع في مثل تلك الاحوال
وشاهدها واضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل عليه ما كان يستصعب منها وهان في عينه ذلك الوقع والخوف
ولذلك لا يزال الانسان يعرف المثول بين يدي الملوك ويتصور عظمتهم وبطشهم الى ان يصل الي مجالسهم فانه يجد
من نفسه زوال ذلك الخوف فكما تتضاعف ما كان يتصوره من عظمتها اهون عنده من وصفه والسماع له وكذلك
حال الخير فان الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم وغيره من سائر مطالب الدنيا ويكون قلبه مشغولا
بتحصيله فيحصل بانتظاره وصوله فاذا وصل اليه هان عليه وهو استصغار له اما احوال الآخرة فالذي يسمع من سرورها

ونعيمها

وخيراتها انما يلاحظها بالنسبة الى خيرات الدنيا وسرورها وربما كانت في اعتبار اكثر الخلق اهون من خيرات الدنيا
وسرورها لقرب الخلق من المحسوس وقرب الدنيا منهم وقوتهم لها دون احوال الآخرة مع قيام البرهان العقلي على ضعف
الاحوال الي نسبة من خير وشر بالقياس الى احوال الآخرة فلذلك كان عيان احوالها اعظم من سماعها واذا
كانت الحال كذلك فينبغي ان يكتفي من العيان بالسماع ومن الغيب بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة
تلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على افضلية الآخرة بان ما زاد فيها مما يقرب الى الله تعالى وان استلزم نقصان
الدنيا من بذل مالي او جاه خير من العكس وبيان هذه الخيرية كون خيرات الدنيا في معرض الزوال مشوبة بالاكدار
والاوجال وكون تلك باقية على كل حال مع كونها في نهاية الكمال وضرب المثل بالكثرة المنقوص من الدنيا الرابح
في الآخرة وهم اولياء الله واحباؤه الذين اشتري منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبالكثرة المنقوص الى سد
الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ثم اكد الحث على سلوك طريق
الآخرة ببيان ان الشاعها بالنسبة الى طريق الدنيا فقال ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وذلك ظاهر
فان كل ما نهينا عنه من القتل وفي الحلم والعفو والصبر التي هي من اشرف الاخلاق المحمودة وسعته
عنه ثم الظلم وفي العدل والاقتصاد على تناول الامور المباحة التي هي اكثر واوسع منه ثم الكذب الذي هو
اساس النفاق وعليه مبنى خراب العالم وفي المعاريض والصدق الذي هو بعضه في عمارة العالم وسد وجه عنه ثم الزنا
ولا شك ان في سائر وجوه النكاحات مع كثرتها وشمولها عن المناسبة اللازمة عن الزنا سعة عنه ثم شرب
الخمر التي هي ام الخبائث ومنشأ كثير من الفساد وفي تركها الى ما يشبه افعالها التي تدعي كونها محمودة
من سائر الاشربة وغيرها ما يعدل عنها ويسعه ولذلك قوله وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فان الواجب والمندوب
والمباح والمكروه يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام ثم لما
نبه على وجه المصلحة في ترك المعاصي والحرام اردف ذلك بالامر بتركها لان العقل اذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا
من طرق كثيرة امنة اقتضى العدول عن المخوفة بالضرورة ثم اردفه بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على
الاشتغال بفرايض الله وعلى ان الاشتغال بها اولى بكون الرزق مضمونا فالسعي في تحصيله يجري مجرى تحصيل
الحاصل ثم اردف ذلك بما يجري مجرى التوبيخ للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال بالفرايض
فاقسم ان ذلك منهم عن اعتراض الشك لهم فيما تيقنوه من تكفل الله سبحانه بارزاقهم ووعده وضمانه لهم بقوله وفي
السماء رزقكم وما توعدون اي في سماء جوده وقد علمت ان الجد في طلب الرزق يستند الى ضعف التوكل على
الله وهو مستند الى ضعف اليقين فيه وسوء الظن به وذلك يستلزم استناد العبد الى نفسه وتوكله عليها
وجعله في طلب الرزق كمن تيقن المضمون له مفروضا طلبه عليه والمفروض عليه طلبه موضوعا عنه بالعكس
في قلة احتفالهم بفرايض الله عليهم واشتغالهم عنها بطلب الدنيا الرابعة عشر نبه على وجوب المحافظة
على العمر بالعمل فيه للآخرة وعلى اولوية مراعاته بالنسبة الى مراعاة طلب الرزق بكون العمر لا يرجى من رجعته
ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر في نقص ونقصان وما فات منه غير عايد بخلاف الرزق فانه يرجى زيادته وجبران
ما نقص منه في الماضي ولما كان العمر الذي من شانه ان لا يعود ما فات منه طرقا للعمل ويفوت بفواته وجب

عشر
تعاذل النحل بعد ذلك وقوله الوجا منع الحاجي يريد الوزق والياس منع الماضي يريد العمر وهو مؤكد لما قبله الخاتمة
ختم بالآية اقتباسا من نور القرآن ووجه هذا الاقتباس انه لما كان الكلام في معرض جذب السامعين الى العمل الذي
هو سبب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة الذي هو جزو الرياضة وكان التقوى عبارة عن الزهد
في الدنيا الذي حقيقته حذف الموانع الداخلية والخارجية عن القلب الذي هو الجزو الثاني من الرياضة وكان الاسلام
هو الدين الحق المركب من ذينك الجزئين لا جرم حسن ايراد الآية المشتملة على الامر بالتقوى والموت على الاسلام
بعد الامر بالعمل ليكون ذلك اشارة الى الدين وانا لله وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء**
اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج
الثكالى على اولادها وملت التردد في مراتعها والحنين الى مواردها اللهم فارحم انين الآنة وحنين
الحانة اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وانينها في موالجها اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت
علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ندعوك حين قنط
الانام ومنع الغمام وهلك السوام ان لا تواخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسحاب
المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق سحا وابلا تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك
محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش
بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا وتجري بها
وهادنا ويخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستعين بها
ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهملة وانزل علينا سماء
مخضلة مدرارا هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها ولا جهام
عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون فانك
تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولي الحميد قال السيد
الشريف رضي الله عنه تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب قوله انصاحت جبالنا اي تشققت من المحول يقال
انصاح الثوب اذا انشق وانصاح النبت ايضا وصاح وصوح اذا جف ويبس وقوله هامت دوابنا اي عطشت
والهيام العطش وحدابير السنين جمع حدبار وهي الناقة التي انضاها السير فشبه بها السنة التي فشا
فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا
والقزع القطع الصغار من السحاب المتفرقة وقوله ولا شفان ذهابها فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها
والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به **واقول** اعتكرت اختلطت
وازدحمت والمخايل جمع مخيلة السحابة التي ترجى المطر والمبتئس الحزين والمنبعق والمنبجس السحاب المنصب
بشدة والربيع هنا المطر والمغدق بالفتح الاسم من اسقى والمونق المعجب والنجاد جمع نجد وهو المرتفع من
الارض والضواحي النواحي البارزة اي اهل نواحينا والمرملة قليلة المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر
والجهام السحاب الذي لا ماء فيه والخلب الذي لا مطر فيه والمسنتون الذين اصابتهم شدة السنة واعلم

واعلم انه سبحانه يقول ندعوك ان لا تواخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا على ان للذنوب والاعمال الخارجة عن اوامره
تاثيرا في رفع الرحمة وسره ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من قبله وانما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد
له وقلته وكثرته وظاهر ان المقبلين على الذنوب المرتكبين للمحارم المعرضين عنه غير مستعدين لاثار رحمته بل
مستعدون لغضبه ذلك اعني سلب سخطه وعذابه بحسب استعدادهم بالاثم الا في تجريه والجرأة عن سبيله وجري
من كان كذلك ان لا ينال بركته ولا يفيض عليه اثر رحمته ونصب سحا ووابلا على الحال والعامل انشر واراد
بالسماء المخضلة هنا السحاب والعرب تقول كل ما علاك فهو سماء وكل ومعنى انزال ارسالها ويحتمل انه
يريد بالسماء المطر نفسه ونحوه انزل علينا الغيث وقد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل ايضا ووجه
مناسبته للآية ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ارسله داعيا الى الحق وشاهدا
على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر امام من اتقى وبصر
من اهتدى **اقول** الواهن الضعيف والمعذر بالتشديد المقصر واعلم ان الاوصاف التي ذكرها النبي
عليهم ظاهرة وقد سبقت الاشارة اليها غير مرة فاما كونه اماما من اتقى فلانه استاذ اهل التقوى اليه في كيفية
سلوك سبيل الله التي هي التقوى الحقة وقد استعار لفظ البصر له ووجه المشابهة كونه سببا لاهتداء الخلق الى
سبيل الرشاد كما يهتدي صاحب البصر به في طريقه المحسوسة وبالله التوفيق **منها**
ولو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم غيبه اذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم وتلتدمون
على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى
غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم ما حذرتم فتاه عنكم رايكم وتشتت عليكم امركم
ولوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو احق بي منكم قوم والله ميامين الراي مراجيح
الحلم متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة ذو
اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ايه ابا وذحة
قال السيد الوذحة الخنفساء وهذا القول يومي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث
ليس هذا موضع ذكره **اقول** الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض والالتدام ضرب
الوجوه ونحوه والميامين جمع ميمون مبارك وقدما بضم القاف والدال اي تقدموا ولم ينثنوا والوجيف ضرب من السير
فيه قوة والوذحة كما قيل انها الخنفساء ولم ينقل ذلك في المشهور من كتب اللغة وانما المشهور انها
القطعة من البعر تتعلق باصواف الشاة وبعرها وتتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض
فيها اصحابه الى حرب الشام ويتبرم من تثاقلهم عن صوته فنبههم اولا على جهلهم بما يستقع من الفتن
في الاسلام مما غاب عنهم علمه وعلمه هو من الله ورسوله بحيث لو تصوروا ما علم منها لاحتاج كل منهم في الخلاص
لنفسه ولهام على وجه الارض باكيا على تقصيره في اعماله على وفق اوامر الله التي يكون بها نظام العالم الى الابد
والامن من تلك الفتن لو فعلوها ولكنهم نسوا ما ذكروا به من امر الله واتيه التجريد فضلت عنهم اراوهم الحالة
التي يكون بها نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتت امورهم وغلبة العدو على بلادهم ودخل ازاد بما طوي عنهم

غيبة وعلة مثوما يلقى المقصرون من اهوال الآخرة والاول انسب لسياق الكلام ثم عقب ذلك بالتبرؤ
منهم وطلب فراقهم واللحاق باخوانه من اولياء الله مبينا ذكر الآثار ثم قال الحلوم لا تستفهم جهل الجهال فلا ادري
الصدق ونصيحة الدين من شانهم ترك البغي على انفسهم وعندهم مضوا على الطريقة الحميدة سالكين المحجة
غير ملتفتين عنها فوصلوا الى الثواب الدائم والنعيم المقيم وقرينة الظفر تخصص العقبى بالثواب والعرب
تصف النعمة والكرامة بالبرد ثم نبه على بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمة مما طوى عنهم غيبه وهي
فتنة الحجاج وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب
من الاحلاف قوم من ثقيف وكان ضعيف العين دقيق الصوت ذيالا اي طويل الذيل يسحبه تبخترا ميالا
اي يميل الى القبائل كثيرا او اخبرهم انما يأكل خضرتهم وكنى بها عما هم عليه من الابهة وسلامة النفوس والاموال وحسن
الاحوال وما يلزمها من آثار تلك الاحوال وتغييرها الى اضدادها ولفظ الاكل مستعار لذلك ووجه الاستعارة
ظاهر وكذلك استعار لفظ الشحمة لثرائهم وقوتهم ووصف الاذابة لافنائه ذلك بالقتل والاهانة ومصداق ذلك
المشهور من فعله باهل العراق كما سبق بيانه في ذكر الكوفة ثم قال ايه ابا وذحة وكلمة ايه اسم من اسماء الفعل
الامر يستدعى بها الحديث المعهود او الفعل المعهود من الغير ان سكنت وان نونت كانت لاستدعاء قريب
او فعل ما وقيل السكون للوقف والتنوين للدرج فاما تلقيبه عليه السلام له بابي وذحة فروي في سبب ذلك
انه كان يوما يصلي على سجادة فدبت اليه خنفساء فقال نحوها عني فانها وذحة من وذح الشيطان وروي
انه قال قاتل الله قوما يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له مما هي فقال من وذح ابليس وكانه شبهها
بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة في حجمها او شكلها فاستعار لها لفظها ونسبها الى ابليس لاستقذاره
اياها واستكراهه لصورتها او لانها تشوشه في الصلاة وروى ابو علي بن مسكويه انه نحاها بقصبة وقال لعنك
الله وكونها من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين وذحة بالدال والجيم قال ولكني [illegible] عن لونه
سفاكا للدماء قطاعا للاوداج وفيه بعد **ومن كلام له عليه السلام** فلا اموال بذلتموها للذي
رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزو
لكم منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن اصل اخوانكم **اقول** مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل
بالاموال والانفس وفي قوله للذي رزقها وخلقها استدراج حسن فان البخيل انما يستقبح بذله لملاحظته
امرين احدهما خوف الفقر والثاني انه كثيرا ما يتوهم الاحتياج الى ان يستحق المال لاجل فيكون ذلك وامثاله
عذرا له مع النعم في عدم البذل وكذلك الشحيح بنفسه انما يشح بها خوف الموت والا لا يكون له من هذه الحياة
عوض في الدنيا فاذا علم ان بذل المال لرازقه اياه بعد ان يكون حسن الظن به زال عذره في البخل لعلمه بتعويضه
خيرا منه وبانه احق منه اذ كان المملوك وما يملك لمالكه وكذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه ان الطالب لبذلها
هو الاحق بها وانه القادر على ان يوصله الى ما هو خير له من هذه الحياة الفانية وفي انقطاع ما يتوهمونه عذرا
والبخل بالمال والنفس يكون سهولة بذلهما في سبيل الله **وقوله** تكرمون بالله على عباده اي تفخرون وتشرفون
على الخلق بانكم اهل طاعة الله وعبادة ثم لا تكرمونه فيما تدعوكم اليه ولا تجيبون داعيه في اكرام عباده والالتفا

الي

الى فتراتهم بالتيسير مما ذكرتم ثم امرهم بالاعتبار بنزولهم منازل الدارجين وانقطاعهم عن اوصل اخوانهم تنبيها
لهم على انهم انما هم في اللحاق بمن سلف والانقطاع عمن يبقى وروي عن اصل اخوانكم اي اقربهم اصلا اليكم
وفائدة هذا الاعتبار تذكير الموت والعمل لما بعده **ومن كلام له عليه السلام** انتم الانصار على
الحق والاخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجو طاعة المقبل فا
عينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب فوالله اني لأولى الناس بالناس **اقول** الجنن
جمع جنة وهي ما استترت به من سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على اشياء له على طباع
اصحابه اثنى بها عليهم في الجذب عند مدحهم بكونهم من اهل الدين ثم بالشجاعة ثم باعلامهم انهم من اهل خاصته الذين
يعتمد عليهم في ضرب المدبر وطاعة المقبل وطلب منهم الاعانة بمناصحة مبادئه سليمة من الشك في صحة امامته
وانه اولى الناس منه بها فكذلك اقسم انه كذلك وقد سبق بيانه **ومن كلام له عليه السلام** وقد
جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا **فقال** عليه السلام ما بالكم مخرسون انتم فقال
قوم منهم يا امير المؤمنين ان سرت سرنا معك **فقال** عليه السلام ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم
لقصد افي مثل هذا ينبغي ان اخرج انما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي باسكم ولا ينبغي
لي ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم
اخرج في كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وانما انا قطب الرحى تدور علي وانا بمكاني
فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الراي السوء والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي
العدو لو قد حم لي لقاؤه لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال **اقول**
الكتيبة الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة اوسع منها ويقال الوعاء الجلد الذي يوضع
عليه ليسقط عليه الريش وجمع الاشرفة ومدار هذا الفصل على الدعاء عليهم مصدرا بالاستفهام عن جوابهم
القبيحة التي هم عليها من تخاذلهم على سبيل الانكار عليهم ثم عن ما اشاروا به من خروجه بنفسه الى
الى الحرب مشكلا لذلك ابتداء ثم على الاشارة الى من ينبغي ان يخرج عوضا له ثم بين وجه المفسدة في خروجه
بنفسه وهو تركه للمصالح التي عددها مما يقوم به اس الدولة ونظام العالم وخروجه على الوجه المذكور ظاهر
قبح ذلك وشبه خروجه ثم بالقدح في الجفير ووجه الشبه انه كان قد نفذ الجيش قبل ذلك واراد ان يجهز
من بقي من الناس في كتيبة اخرى ويتبعها نفسه في خروجه في تلك الكتيبة وحده مع تقدم اكابر جماعته وشجعانها
بالقدح في الجفير الفارغ في كونه يتقلقل وفي العرف ان يقال لشريف اذا مشى في جماعة ينوب عنها من
هو دونه وترك المهام التي لا تقوم الا به ترك المهم الفلاني ومشى يتقلقل على كذا ثم استعار لنفسه لفظ القطب ملاحظا
لدوران الاسلام ومصالحه عليه كما يدور الرحى على قطبها وذلك هو وجه الاستعارة واستلزم ذلك تشبيه الا
سلام واهله بالرحى وانه اذا فارقهم هو وصار الى الحرب اضطرب كاضطراب الرحى وخروج مدارها واستحارته
عن الحركة المستديرة الى المستقيمة والمايلة ووجه المفسدة في ذلك ظاهر [illegible] والمراد ذلك بالعيش البارد ثم
اقسم انه لولا رجاؤه لقاء الله بالشهادة في لقائه العدو لو قدر له ذلك لما دفعهم عنه مشايخ عليهم ولا طالب

طعنا بين عاتين زواعين انه لا يعني في كثرة عدد كم مع قلة اجتماع قلوبكم لقد حملكم على الطريق الحق [illegible] مالك من اتباع [illegible] بالجنة ومن [illegible] الى النار

لا عود اليهم ابدا نبرا من سو صنيعهم وكثرة مخالفتهم لاوامره وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**

تالله لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا اهل البيت ابواب الحكم وضياء الامر

الا وان شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من اخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم اعملوا

ليوم تدخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغائبه اعوز و

اتقوا نارا حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد الا وان اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير

له من المال يورثه من لا يحمده **اقول** صدر هذا الفصل بذكر فضيلة وهي علمه بكيفية تبليغ الرسالات

واتيانها وعلمه باتمام ... ما وعد به المتقين في دار القرار فتمام وعده ان لا اخلف فيه وتمام اخباره ان لا كذب

فيها وتمام اوامره ونواهيه اشتمالها على المصالح الخالصة او الغالبة وهكذا ينبغي ان يكون اوصياء الانبياء وخلفاؤهم في ارض

الله وعباده ثم اردف ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت عاما واراد بضياء الامر انوار العلوم التي يهتدى

بها الى الامور والاعمال الدينية والدنيوية وما ينبغي ان يهتدي الناس به في حركاتهم من قوانين الشريعة وما يستقيم

به نظام الامور من قوام السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان لاجل ذلك كل امر شرع فيه على غير ضياء

من الله ورسوله او احد اهل بيته وخليفته الراشدين فهو ضلال التيه والذيغ عن سبيل الله واستعار لفظ الشرائع

وهي موارد الشاربة لاهل البيت ووجه الاستعارة كونهم موارد لطلاب العلم كما ان الشرائع موارد طلبة الماء وكونها

واحدة اشارة الى ان اقوالهم لا تختلف في الدين بل لما علموا اسراره لم يختلف فيه كلامهم فيه فكلهم كالشريعة

الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبل ووجه المشابهة كونهم موصلين الى المطالب على بصيرة وقصد

كما توصل الطريق الواضح **وقوله** من اخذ بها لحق اي من اخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين من السالكين

سبيل الله وندم على تفريطه بتخلفه وقيل اراد بشرائع الدين وسبله قوانين الكلية فان اي قانون عمل به

منها فانه مستلزم لثواب الله فهي واحدة في ذلك وموصلة الى الجنة من غير جور ولا عدول وذلك معنى كونها

قاصدة والاول اظهر لكونه في معرض ذكر فضيلتهم ولما كان غرض الخطيب من اظهار فضيلته قبول قوله

شرع في الامر بالعمل ليوم القيمة والذخائر الاعمال الصالحة ومعنى قوله ومن لا ينفعه حاضر لبه الى قوله

اعوز ان اعتبروا حال حضور عقولكم فانها ان لم تنفعكم الآن كانت اعوز واعجز عن نفعكم اذا عزبت

عند حضور الموت ومقاساة اهواله وما بعده من احوال الآخرة ثم اكد التخويف بما قبله من الحساب

بالتخويف بالنار وزاد تخليتها بان الحديد ما اعد فيها للعصاة من الاغلال والاصفاد والمقامع والسلاسل

التي تشبه الحلية **وقوله** الا وان اللسان الى اخره تنبيه لهم على طلب الذكر الحسن في الناس بالعفو

والتوفير للمال وقد سبقت الاشارة الى هذا في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض (ن)

ومن كلام له عليه السلام وقد قام رجل من اصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا

بها فما ندري اي الامرين ارشد قال فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى **ثم قال** هذا جزاء من

ترك العقدة اما والله لو اني حين امرتكم بما امرتكم حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فان

استقمتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن والى من

اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت

اطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة باشطان الركي اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرءوا

القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح الى اولادها وسلبوا السيوف اغمادها واخذوا باطراف

الارض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن

القتلى مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان

من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك اخواني الذاهبون فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض

الايدي على فراقهم ان الشيطان يسني لكم طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة وبالفرقة الفتنة

فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم واعقلوها على انفسكم **اقول**

الضلع بفتح الضاد وسكون اللام الميل والهوى والداء الدوي الشديد وصف بما هو من لفظه والدوي ايضا

الفاعل من دوي اذا مرض والنزعة المستقون والركي جمع ركية وهي البئر والشطن جمع شاطن وهي العين التي

... اي عيونهم بارحة ... لكذا حسته ... وعلقت عليه لكذا اي جبسته عليه وكان هذا

الكلام منه عليه السلام بصفين حين امروه بالحكومة بعدان نهاهم عنها والسبب ان معوية لما احس بالعجز وظفر

علي عليه السلام ليلة الهرير راجع عمرو بن العاص في الراي فقال اني خبات لك راياً لمثل هذا الوقت وهو ان تامر

اصحابك برفع المصاحف على الارماح ويدعون اصحاب علي الى المحاكمة الى كتاب الله فانهم ان فعلوا افترقوا

وان لم يفعلوا افترقوا وكان الاشتر صبيحة تلك الليلة قد اشرف على الظفر فلما اصبحوا رفعوا المصاحف والمصحف

الكبير بالجامع الاعظم على عشرة ارماح وهم يستغيثون معاشر المسلمين الله في اخوانكم في الدين حاكموا

الى كتاب الله الله الله في النساء والبنات فقال اصحاب علي اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا

الى كتاب الله فالراي التنفيس عنهم فغضب عليه السلام من هذا الراي وقال انها كلمة حق يراد بها باطل حتما

سبق القول فيه فافترق اصحابه فرقتين منهم من راى تابعة عليه السلام في الاصرار على الحرب ومنهم من راى ترك الحرب

والرجوع الى الحكومة وكانوا كثيرين فاجتمعوا اليه عليه السلام وقالوا ان لم تفعل قتلناك كما قتلنا عثمان فرجع

الى قولهم واسرع بردّ الاشتر عن الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وطافوا به على اصحابه عليه السلام واتفقوا على الحكومة

فخرج بعض اصحابه من هذا المجلس وقالوا انك نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد

وهذا يدل على انك شاك في امامة نفسك فصفق باحدى يديه على الاخرى فعل النادم وغضبا من قولهم فقال

هذا جزاء من ترك العقدة اي عقدة الامر الذي عقده واحكمه وهو الراي في الحرب والاصرار عليها والذي

كان امرهم به وهو البقاء على الحرب وهو المكروه الذي يجعل الله فيه من الظفر وسلامة العاقبة وقومتكم

اي بالقتل والضرب ونحوه وكذلك معنى قوله تداركتكم **وقوله** لكانت الوثقى اي الفعلة المحكمة

وقوله ولكن بمن والى من اي بمن كنت استعين عليكم والى من اي الى من ارجع في ذلك **وقوله**

اريد ان اداوي بكم اي اريد ان اداوي ساي من بعضكم ببعض وانتم دائي فاكون في ذلك كناقش الشوكة

بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها وهذا مثل تضربه العرب لمن يستعين في اصلاح من يراد اصلاحه وبله

الى المستعان عليه نقيك لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها يقول ان استعان بعضكم في اصلاح
بعض كنقش الشوكة بالشوكة ووجه المشابهة ان طباع بعضكم تشبه طباع بعض وتميل اليها كما
تشبه الشوكة الشوكة وتميل اليها فاذا نقشنا الشوكة بالشوكة انكسرت معها في العضو واحتاجت الى منقاش آخر ثم رجع
الى الشكاية الى الله واراد بالداء الدوي ما هم عليه من اعتياد المخالفة لامره وكنا تكلم عن صوته وبالاطباء
نفسه فان داء الجهل وما يستلزمه اعظم من سائر الادواء المحسوسة وفضل اطباء النفوس على اطباء
الابدان بقدر شرف النفوس على الابدان ومنع استعارة تكاد ان تكون حقيقة وكذلك استعار لفظ النزعة
له شل صرته لنفسه معهم نكاتهم عن المصلحة في تعبيره عميق وقد كل منه من جذبهم اليها ثم اخذ في
السؤال عن اخوانه من اكابر الصحابة الذين بذلوا جهدهم في نصرة الدين واعرضوا عن الدنيا استفهاما
على سبيل التوجع لفقدهم وهذا كما يقول احدنا اذا وقع في شدة اين اخي عني ثم وصفهم بالاوصاف
الحميدة ترغيبا للسامعين في مثل حالهم وازراء عليهم حيث لم يكونوا بتلك الاوصاف وذلك بطريق
المفهوم **وقوله** اولادها نصب باسقاط الجار اذ الفعل وهو قوله وَلَهوا غير متعدي الى مفعولين
مفعولين بنفسه وفي الخبر لا توله والدة بولدها وتولههم لها بركوبهم اياها عند خروجهم للجهاد **وقوله**
واخذوا باطراف الارض اي اخذوا باطرافها زحفا زحفا وصفا صفا مصدران مؤكدان لمثليهما
قائما مقام الحال **وقوله** لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى اي كانوا في تلك الحال غير ملتفتين
الى حياتهم ولا مراعين ومحافظين على حياته حتى يبشرون ببقائه او يجزعون لموته فيعزون عليه
عليه بل تجردوا للجهاد في سبيل الله ولعلمهم يفرحون بقتل من يقتلونه في سبيله وانه كانه ولنا لولا الله
او العكس وانما كان السهر موجب لصفرة اللون لانه يهيج الحرارة ويفسد السحنة ويخيف البدن ويكثر
منه المرة والصفرة من توابع ذلك لاستحالة الابدان النحيفة كما عليه اهل المدينة ومكة والحجاز و
عليه الخاشعين قشف الزاهدين الخائفين من الله لعدم تحليهم بالدنيا واستعار لفظ الظمأ
للشوق اليهم ملاحظة لشبههم بالماء في شدة الحاجة اليه فنزل الشوق اليهم والحاجة فنزل الشوق اليهم
والحاجة الى لقائهم منزلة العطش الى الماء فاعطاه لفظه واراد بعقد الدين ما احكم منه من القوانين
والقواعد وبحل الشيطان لها بزينته ترك قانون قانون وسنة سنة الاجماع عقدها عقدها الشارع
لما سبق فيها من المصالح واكدها فكانت الفرقة حلا لتلك العقدة ونفث الشيطان كناية
بالافساد ونفثاته القاؤه الوسوسة في القلوب مرة بعد اخرى وعمى من اهدى اليهم النصيحة نفسه
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام للخوارج وقد خرج الى معسكرهم** أكلكم شهد
معنا صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين
فرقة ومن لم يشهدها فرقة حتى اكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي
واقبلوا بافئدتكم الي فمن نشدناه فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته ان
قال الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا واهل دعوتنا

استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه فالراي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا امر
ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة وآخره ندامة فاقيموا على شانكم والزموا طريقتكم وعضوا على
الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل وان ترك ذل ولقد كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وان القتل ليدور بين الآباء والابناء والاخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا
ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الا
سلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا
ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها **اقول** التنفيس التفريج واكثر
هذا الفصل ظاهر مما سبق **وقوله** هذا امر ظاهره ايمان اي رفع اولئك للمصاحف وطلبهم للحكومة فان
ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع الى كتاب الله وباطنه منهم عدوان اي حيلة للظلم والغلبة واوله
رحمة منكم لهم برجوعكم الى قولهم وآخره ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم فاقيموا على شانكم
اي ما انتم عليه من الاجتهاد في الحرب والناعق اشارة الى طالبي الحكومة او المشير عليهم بذلك الراي
وهو عمرو بن العاص واخرجه في اوصاف ابليس **وقوله** لقد ذلك ولقد كنا مع رسول الله صلى الله
عليه الى قوله مضض الجراح استدراج بشرح حالهم وحال الصحابة حيث كانوا في الجهاد مع الرسول صلى
الله عليه كذلك على الحالة التي شرحها لعلهم يتاسون بالماضين فيها **وقوله** ولكنا انما اصبحنا نقاتل
اخواننا في الاسلام الى آخره تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه وجواب عنه وهو انهم يقولوا انا فعل
اخواننا انما يفعلون ما تفعلوا ليقينهم بما هم عليه من الدين الحق وتيقنهم ضلال الكفار والمحاربين لهم واما
نحن فانا نقاتل بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين اصحابنا استسلموا الينا ودعونا الى الحكم
الى كتاب الله فاجاب بما معناه انا انما نقاتل في مبداء ومنتهاه دعوة الى الاسلام ورغبة في رسوخ
قواعده ففي المبدا فانا لنا للتحصيل ماهيته في الوجود وفي الثاني فانا للحفظ ماهيته وبقائها وحيث
دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل ما دخل فانا طمعنا في خلة مجموعة يجمع الله بها تفرقنا
ونتقارب بها الى ما بقي فيما بيننا من الاسلام والدين رغبنا فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وانه لغني بالخصلة
رجوع محاربيه الى طاعته واتفاقهم عليه وهذا الكلام في قوة صغرى قياس ضميري احتج عليهم به وتقديرها
انكم قاتلتم حين قلت لكم ان رفعهم للمصاحف خديعة منهم اجبتموني بهذا الجواب وتقدير الكبرى وكل
من اجاب بهذا الجواب فليس له ان ينكر الحكومة اذ كان قد رضي بها فينتج انه ليس لكم ان تابوا الحكومة
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام قاله لاصحابه في وقت الحرب** واي امرئ منكم
احس من نفسه رباطة جاش عند اللقاء وراى من احد من اخوانه فشلا فليذب عن اخيه بفضل نجدته
التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم
ولا يعجزه الهارب ان اكرم الموت القتل والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون
من ميتة على الفراش **اقول** نجدته شجاعته والتذبيب الدفع والمنع وقد امرهم في هذا الفصل

مساعدة بعض لبعض في الحرب ومنع بعضهم عن بعض مقاصده كما يمنع عن نفسه وبذلك يكون
انعقاد الاجتماع وتعاون الهمم حتى يكون الجميع كنفس واحدة وبذلك يكون الظفر والغلبة واشتمال
ذوي الفضل بذكر فضيلة تخصهم دون من يذبون عنه استمالة لنجدتهم وتعطيفا لهم وقوله
ان الموت طالب حثيث الى قوله ان اكرم الموت القتل تسهيل للقتل والموت بذكر انه لابد منه و
تسهيل الحرب عليهم واما ان اكرم الموت القتل فاراد القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه الذكر
الجميل في الدنيا والثواب الدائم في الاخرى ثم اكد ذلك بالقسم لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة
على الفراش وصدق ذلك يحق لمن نظر الى الدنيا بعين الاستحقار في جنب نعيم الابد في الاخرة والاجر
الجميل في الدنيا وحصلت له ملكة الشجاعة ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
وكاني انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تاخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتم والطريق
فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم **اقول** كشيش الضباب صوت جلودها بعضها بالبعض
عند الازدحام والتلوم الانتظار والتوقف وارشاده بهذا الكلام الى انه سيلحقهم غلبة من العدو وتخصهم الجرد
بحيث يضعفون ويأخذون في الهرب والتخفي فلا ينتفع بهم في اخذ حق او دفع ضيم ووصف الكشيش
مستعار لهم باعتبار هيئتهم في الخوف من العدو والهرب منه وملاحظة الشبه بكشيش الضباب
وقوله قد خليتم والطريق اي طريق الاخرة فالنجاة للمقتحم اي مقتحمها والمبادر الى سلوكها والهلكة
للمتوقف عن ذلك والطريق منصوب على المفعول معه **ومن كلام له عليه السلم في حث اصحابه على القتال**
فقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في اطراف
الرماح فانه امور للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه
اطرد للفشل ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فان الصابرين
على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وامامها لا يتاخرون عنها
فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها اجزأ امرؤ قرنه واسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع
عليه قرنه وقرن اخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الاخرة انتم لهاميم
العرب والسنام الاعظم ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وان الفار لغير مزيد في عمره
ولا محجوز بينه وبين يومه من رايح الى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت اطراف العوالي اليوم تبلى الا
خبار اللهم ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن
مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والا
قدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم
الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم **قال**
السيد رضي الله عنه الدعق الدق اي تدق الخيول بحوافرها ارضهم ونواحر ارضهم متقابلاتها يقال منازل بني فلان
تتناحر اي تتقابل **اقول** هذا الكلام قاله بصفين وامور اشد حركة ونفوذا والجاش

روعة

روعة القلب واضطرابه عند الخوف والذمار ما وراء الرجل مما يجب عليه حمايته وحفافا الشيء جانباه ولهاميم
العرب اجوادهم والموجدة الغضب والابسال اسلامهم للهلكة والعوالي جمع عالية الرمح وهو ما دخل منه الى
ثلثه والنسيم النفس والمنسر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواحر ايضا جمع ناحرة
وهي آخر ليلة من الشهر مع يومها كانها تنحر الشهر المستقبل فيكون مراده بنواحر ارضهم اقاصيها واعنان
مساربهم اقطارها وما اعترض منها ومسارحهم مراعيهم واحدها مسرحة وقد امرهم باوامر في مصلحة الحرب
وكيفيتها ونهاهم عن مناهي **فاولها** الامر بتقديم الدارع وقد امرهم باوامر في مصلحة الحرب بتقديم الدارع
بتقديم الدارع وتاخير الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة **الثاني** العض على الاضراس وحكمه ما سبق في
قوله معاشر المسلمين استشعروا الخشية وفي قوله لابنه محمد بن الحنفية تزول الجبال ولا تزل وقد ذكرناهما
ايضا **الثالث** الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكره وهو انه اذا التوى الانسان مع الرمح حال ارساله كان
الرمي به اشد وذلك لحركة صدر الانسان بعد التوائه مع حركة يده حين الارسال فكانت حركته اشد واقوى
نفوذا **الرابع** غض الابصار وغايته ما ذكره من كونه اربط لاضطراب القلب واسكن وبضد ذلك
مد البصر الى القوم فانه مظنة الخوف والفشل وعلامة لهما عند العدو **الخامس** اماتة الاصوات وذلك
مستلزم لطمع العدو فيه وجراته عليه **السادس** قوله ورايتكم فلا تميلوها فان امالتها مما يظن به العدو
ثبوت واضطراب حال فيطمع ويتقدم ولانها اذا اميلت تغيب عن عيون الجيش فربما لا يهتدي
كثير منهم للوجه المطلوب **السابع** ولا تخلوها وسيفسر معنى التخلية **الثامن** ولا تجعلوها
الى قوله منكم وذلك انها اصل نظام العسكر وعليها يدور وبها يقوى قلوبهم ما دامت قائمة فمن
في ترتيب الحرب ان يكون حاملها اشجع القوم **وقوله** فان الصابرين الى قوله فيفردوها تخصيص لمن
يحفظ الراية ويحفها بوصف الصبر على نزول الحقائق اي الشدائد الحقة المتيقنة التي لا شك فيها
في نزولها لكي يرغبوا الى حفظها والاحاطة بها رغبة في ثواب الجميل ويبين بقوله لا يتأخرون عنها الى
قوله فيفردوها معنى التخلية التي نهاهم عنها **وقوله** فيسلموها ويفردوها نصب الفعلان باضمار
ان عقيب الفاء في جواب النفي **التاسع** قوله اجزأ امرؤ قرنه **العاشر** واسى اخاه بنفسه فعلان
ماضيان في معنى الامر والتقدير ولتجزئ امرؤ قرنه وهو خصمه وكفؤه في الحرب اي ليقاومه
وليواسه اخاه بنفسه في الذب عنه ولا يفر من قرنه اعتمادا على اخيه في دفعه فيجتمع على اخيه
قرنه وقرن اخيه ثم ذكرهم عدم الفائدة في الفرار اذ كانت غاية الفرار السلامة من الموت وهو لا
يؤمنه كقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واستعار
لفظ سيف الاخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحياة وانما كان سيف الاخرة لانه غاية
ثم مدحهم باوصاف يستقبح معها الفرار وهي كونهم اجواد العرب والسنام الاعظم واستعار
لهم لفظ السنام لمشاركتهم اياه في العلو والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه وانه لا فائدة فيه
ايضا اما معايبه فكونه مستلزم غضب الله فان الفار من الجهاد في سبيله عاص لامره والعاصي

له مستحق لغضبه وعقابه ثم كونه مستلزما للاول اللازم والعار الباقي في الاعقاب وهو ظاهر واما انه لا فايدة فيه
فلان الفاذ لا يزاد في عمره بفراره علما بقضاء انه لم يبلغ اجله المكتوب له فكان بقاؤه في مدة الفرار من
عمره لا زيادة فيه وان له يوما في القضاء الالهي لا يحول بينه وبينه فراره وفيه تخويف بالموت **وقوله** من رائح
الى الله كالظمآن يرد الماء استفهام عمن يترك سبيل الله ويروح اليه كما يروح الظمآن استفهاما
على سبيل الانكار والعرض لذلك الرواح ووجه الشبه القوة في السير والسعي الحثيث واشار بقوله
الجنة تحت اطراف العوالي الى ان مطلوبية الرواح الى الله بالجهاد وجذب اليه بذكر الجنة وخصها بالجهة
تحت لان دخول الجنة غاية من الجذبات بالرواح في سبيل الله وتلك الحركات انما هي تحت العوالي وقد
اطلق لفظ الجنة على تلك الافعال التي هي غاية منها مجازا تسمية للشيء باسم غايته ثم اعقب ذلك بدعاء الله
على محاربيه ان ردوا دعوته الحق بالتفريق والاهلاك ثم حكم بانهم لم يزولوا عن مواقفهم دون ما ذكره كما
على سبيل التهديد والوعيد لهم والطعن الدراك المتدارك وكنى بخروج النسيم منه عن كونه يخرق
الجوف والامعاء بحيث ينفس المطعون من الطعنة وروي النشيم بالقاف ق
والشين المعجمة وهو الخمر والنجم وهو بعيد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام في التحكيم**
انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق
بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن
لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله وقال سبحانه فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده الى الرسول ان نأخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن
احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولاهم به واما قولكم لم جعلت بينك وبينهم
اجلا في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح في هذه الهدنة
امر هذه الامة ولا يؤخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لاول الغي ان افضل الناس عند الله
من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه وزاده فاين يتاه
بكم ومن اين اتيتم استعدوا للمسير الى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعد
لون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر عز يعتصم اليها
لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما اناديكم ويوما
اناجيكم فلا احرار صدق عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء **اقول** هذا الفصل من كلام له بعد خداع
اهل الحكمين وخدعة عمرو بن العاص لابي موسى كثرته الا انه استشهد عليه واوزع كلاما فهو موزع
اذا اغري به ونكب بتشديد الكاف جمع ناكب وهو العادل عن الطريق كبازل وبزل والزوافر
انصار وعشيرته والحشاش جمع حاش وهو موقد النار وكذلك المحاش بكسر الحاء وتخفيف
الشين كنايم ونوام ونيام وقيل هو ما يحش به النار اي يوقد والبرح بسكون الراء الشدة والاذى
يقال لقيت منه برحا بارحا وروي ترحا وهو الحزن وهذا الفصل من اوله الى قوله اولاهم به جواب

له عن شبهة التحكيم الخوارج من امره بالحرب بعد ان رضي بالتحكيم وتقدير الشبهة انك قد رضيت بتحكيم رجلين
في هذا الامر وعاهدت على ذلك وعاهدت عليه ذلك وكل من رضي بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض
عهده فقدح في صغرى هذه الشبهة بقوله انا لم نحكم الرجال اي لكونهم رجالا وانما حكمنا القرآن لكن
لما كان القرآن لا بد له من ترجمان يبين مقاصده ودعانا القوم الى حكم القرآن لم نكن نحن الفريق الكاره
لكتاب الله المتولي عنه بعد امر تعالى بالرجوع اليه والى رسوله في الكتاب والسنة فيما اشتبه امره
بقوله فان تنازعتم الآية فاذا حكم بالصدق من علم بكتابه فنحن احق الناس به اي اولاهم باتباعه
او اولاهم بان ينص على كون الامر لنا فان قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين الى قوله حتى تفيء الى امر الله
وظاهر كون اولئك بعد عقد الامامة لنا باغين علينا فوجب بنص الكتاب قتالهم وكذلك الآيات الدالة
على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكان هو اولى بالحق الذي يجب قتالهم عليه فكان الحاكم لهم مخطيا
مخالفا لكتاب الله عز وجل غير عامل به فوجب مخالفته وان حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه فنحن
اولى الناس برسول الله للقرابة منه وبالعمل بسنته لموافقتها الكتاب ونصه على وجوب متابعة الامام العادل
وكان الحاكم لغيره مخالفا للسنة ايضا فصارت خلاصة هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم الرجلين لكونهما
رجلين ولكن بتقدير حكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذي دعانا الخصم
اليه وحيث خالفاه لم يجب علينا قبول قولهما **وقوله** واما قولكم الى قوله لاول الغي فتقدير سؤال آخر
لهم مع جوابه وذلك انهم حين اتفقوا على التحكيم كتبوا كتاب الصلح وضربوا للحكم الحكمين اجلا مدته
سنة **وصورة الكتاب** هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان قاضى
علي بن ابي طالب على اهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معوية بن ابي
سفيان على اهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين انا ننزل عند حكم كتاب الله
تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيا
القرآن ونميت ما امات القرآن فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان لم يجداه اخذا بالسنة
العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص وقد اخذ الحكمان على علي ومعوية ومن الجندين انهما
امينان على انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين
والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعمل بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة
ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين
الامة بالحق لا بما يهوى واجل الموادعة سنة كاملة فان احب الحكمان ان يعجلا الحكم عجلاه وان توفي
احدهما فلامير شيعته ان يختار مكانه رجلا لا يألو الحق والعدل وان توفي احد الاميرين كان نصب
غيره الى اصحابه ممن يرتضون امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة
واراد فيها الحادا وظلما وشهد فيه من اصحاب علي عشرة ومن اصحاب معوية عشرة فذلك معنى الاجل
في التحكيم وتقدير هذا السؤال انك حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينك وبينهم اجلا فيه وما الحكمة

في ذلك **فاجاب** انما فعلت لتبيين الجاهل اي وجه الحق ويثبت العالم في امره بحيث يخلص من
الشبهة ورجاء لصلاح هذه الامة بهذا الصلح **وقوله** ولا تؤخذ بالكظم تتعجل الى اخره فعبر باخذ الكظم عن
الاخذ بغتة وعلى غرة ومقوله القوم لما اخذوا الاول شبهة عرضت من رفع المصاحف ومقوله الغي ولم
ولم يتثبتوا في امرهم اشتبهوا من اخذ بمجاري نفسه فلم يتمكن من الاستراحة الى التنفس فاستعير وصف
اخذ الكظم لهم **وقوله** ان افضل الناس الى قوله وزاده جذب الى الحق وان ادى الى الغاية المذكورة وتبعيد
عن الباطل وان استلزم الغاية المذكورة بذكر الافضلية عند الله **وقوله** من الباطل متعلق باحب اليه **وقوله**
وان نقصه وكرثه اعتراض بينهما والحكم في هذه القضية ظاهر الصدق اذ كان ملازم الحق اتقى الخلق والاتقى
افضل عند الله كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم **وقوله** فاين يتاه بكم يريد الى اي غاية يكون
هذا التيه الذي اخذتم فيه وفيه تنبيه على ان ذلك التيه فعل الغير بهم ومن اين اتيتم اي من اي وجه دخلت
عليكم الشبهة ويشبه هذا السؤال تجاهل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم اعقب ذلك التعنيف
لهم بالامر بالمسير الى اهل الشام ووصفهم بالحيرة عن الحق والعمى عنه والاغترار بالجور عن طريق الحق بحيث
لا يعدل للجور عنهم وبجفاوة الطباع عن فهم كتاب الله ونبو الافهام عنه وبعدهم عن طريقه كل ذلك اغراء
بهم **وقوله** ما انتم بوثيقة اي بعروة وثيقة ومقوله الى اخره عتاب لهم وتضجر منهم على قلة طاعته **وقوله**
يوما اناديكم اي ادعوكم الى النصرة واستغيث بكم ويوما اناجيكم اي اعاتبكم واجادلكم على تقصيركم
وقوله فلا احرار عند النداء ان الحر من شانه اجابة الداعي والوفاء بالوعد ولستم كذلك ولا اخوان ثقة عند
النجاء لان اخا الثقة اذا ناجيته وعوتب من اخيه العتب واذا اخرج د واعتذر اليه رجع الى صفاء الاخوة
لمكان وثاقتها ولستم من ذلك في شيء وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم لما عوتب على**
التسوية في العطاء اتامروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير
وما ام نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال لهم الا وان اعطاء المال في غير وجهه
وعند غير اهله تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الاخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند
الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فان زلت به النعل
يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والام خدين **اقول** لا اطور به اي لا اقربه والسمير الدهر
يقال لا افعله ما سمر سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله ما سمر ابنا سمير وابناه الليل والنهار والحديث
الصديق والتسوية في العطاء من سنة الرسول صلى الله عليه وكان ابو بكر كذلك على تلك السنة فلما فضل من
بعدهما اهل السابقة والشرف في العطاء على غيرهم اعتاد المفضلون بذلك الى زمانه عليه السلام ولما كان سالكا
مسالك الرسول صلى الله عليه ومقتفيا اثر سنته لم يمكنه الا التسوية وطلب المفضلون عادتهم من التفضيل
عند ولايته لهذا الامر فقال الكلام **فقوله** اتامروني ان اطلب النصر بالجور جواب لمن اشار عليه
بالتفضيل حيث كان خارجا عن سنة الرسول صلى الله عليه ثم اقسم لا يقرب التفضيل ابدا وان المال لو
كان له لكان من العدل ان يسوي بينهم فيه فكيف والمال لله ولهم ووجه ذلك ان التسوية من العدل الذي به
له ان فضلت هؤلاء كانوا معك بقلوبهم ونصروك فاجابهم بذلك والجور العدول عن سبيل الله بالتفضيل

يجتمع النفوس على النصرة وتتالف الهمم على مقاومة العدو دون التفضيل المستلزم لانكسار قلوب المفضول
عليهم مع كثرتهم فلو كان المال له مع كونه بطباع البشرية المائلة الى تخصيص دون تخصيص لسوى بينهم فكيف
والمال لله الذي يتساوى نسبة الخلق اليه وما لهم الذي فرضه الله لهم على سواء وهو كالاعتذار الحاسم لمادة
الطمع في التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال في غير اهله وعلى غير وجهه وفي غير اهله من غير المعروض لهم وغير
وجه حقه الوجه الذي لم يعرضه الشارع واشار الى وجوه المفاسد ففي غير اهله تبذير وفي غير وجهه اسراف
وعرفت انهما طرفا الافراط من فضيلة السخاء **وقوله** وهو يرفع صاحبه في الدنيا اي يحصل له بالتبذير ذكر
الكرم بين العوام والغاغة ومن لا يعرف حقيقة الكرم ويضعه في الاخرة اذ كان به على رذيلة وكذلك يكرمه
عند الناس ويهينه عند الله فاما حال عليه السلام الواضع لماله في غير حقه وعند غير اهله محروم شكرهم ولغيره
ودهم وعلى تقدير وقوع الزلة منه التي يحتاج فيها الى مساعدتهم يتقاعدون عنه وذلك امر يحصل بالاستقراء
وربما يبلغ التجربة واما سر ذلك فيحتمل ان يكون لانهم لما كانوا غير اهل لوضع المعروف لم يكونوا اهلا للاعتراف
به اما لجهلهم وغفلتهم او لاعتقادهم ان المسدي اليهم غير اهل لشكرهم او انهم اعلى منه رتبة واحق بالمال منه
واكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظرهم الى غيره من المسدي اليه غير اهل وانه هو احق فيرى
نفسه دائما محروم الحظ من باذل المعروف فلا يزال متسخطا عاتبا عليه ذاما للزمان وحينئذ لا يتحقق
اعترافه بنعمة الباذل فاذا اصابته من غيره اذى معروف او لم يصبه بل سمع مدح احد وشكر الناس له ساعد على
مدحه واظهر فضله وقال انه ممن يضع المعروف في اهله فيكون في ذلك كالمستنهض لهمة الباذل او كالمزري
عليه والمغاير له وكفى بذلك الفعل عن خطائه وعثاره في المصايب وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه**
السلام ايضا للخوارج فان ابيتم الا ان تزعموا اني اخطات وضللت فلم تضللون عامة امة محمد
صلى الله عليه واله بضلالي وتاخذونهم بخطائي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع
البراءة والسقم وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم الزاني
ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث اهله ميراثه وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن
ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات واخذهم رسول الله صلى الله عليه واله بذنوبهم واقام حق الله فيهم ولم
يمنعهم سهمهم من الاسلام ولم يخرج اسماءهم من بين اهله ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه
وضرب به تيهه وسيهلك في صنفان محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط
يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس في حالا النمط الاوسط فالزموه والزموا السواد الاعظم
فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذة من الغنم للذئب
الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وانما حكم الحكمان ليحييا ما احيى
القران ويميتا ما امات القران واحياؤه الاجتماع عليه واماتته الافتراق عنه فان جرنا القران اليهم
اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم ات لا ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم ولا لبسته
عليكم انما اجتمع راي ملائكم على اختيار رجلين اخذنا عليهما الا يتعديا القران فتاها عنه

وترك الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة با
لعدل والقصد للحق سوء رأيهما وجور حكمهما **اقول** البجر الشر والامر العظيم والختل
الخديعة والقصد القصد وهذا الفصل مما جرى بين الخوارج ومن تبع شبهتهم التي بها كفّروه واصحابه عليه
السلام وصورتها انكم ضللتم بالتحكيم وكل ضال كافر ينتج انهم كفار **فقوله** عليه السلام فان ابيتم الى قوله و
ضللت يجري مجرى تسليم جدلي لما ادعوه اولا في الفصول السابقة من صغرى شبهتهم وبيان ان التحكيم
لم يكن منه خطأ ولا ضلالا فكانه يقول هب انكم ضللتموهم بضلالي فلم تكفرونهم وتقتلون
بسبب تكفيرهم المذنب وغير المذنب **وقوله** وقد علمتم الى قوله بين اهله استشهاد عليهم بفعل الرسول
صلى الله عليه فيمن اخطا وانه لم يكفرهم بذنوبهم بل اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يسلبهم اسمه وهذا الاستشهاد
يجري مجرى ذكر مستند المنع والزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه استحقاقه الرجم صدق الاسلام
عليه ولحوق احكامه من الصلاة عليه وتوريث ماله لاهله وكذلك الباقون من اهل الكبائر من الامة لم
يمنعهم ذلك من اجراء احكام الاسلام عليهم وصدق اسم المسلمين لصدق الكفر عليهم وضمير الاثنين في نكاحهما
الى السارق والزاني اي لم يمنعهم استحقاق القطع والجلد من حصتهما من الفيء ولا من نكاح المسلمات وضمائر
الجمع في قوله فاخذهم الله بذنوبهم الى قوله بين اهله راجعة الى كل من جرى ذكره من المذنبين والكلام المذكور
حكاية لحالهم والضمير في اهله يرجع الى الاسلام ثم لما فرغ من بيان غلطهم ذمهم ونسبهم الى الانفعال عن الشيطان
اذ كانت وسوسته مبادي الاغلاط والشبه ثم عقب ذلك بالاخبار عن هلاك من سلك طرق
الافراط في حبه او بغضه لخروجهما من الحق والعدل الى الباطل والجور فافراط الحب ان يجعل الها كالمنقول عن
المنسوب الى النصيرية ونحوهم من الغلاة وافراط البغض ان ينسب الى الكفر كالمنقول عن الخوارج وجعل
خير الناس فيه حالا النمط الاوسط في المحبة وهم اهل العدل فيه والنمط الاوسط الجماعة من الناس امرهم واحد
وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو المقصر
الواقف في طرف التفريط والغالي هو العابر الى طرف الافراط وامر بلزوم ذلك النمط ولزوم طريقة السواد
الاعظم اي الى اكثر المسلمين المتفقين على راي واحد ورغب في لزوم طريقتهم بان يد الله على الجماعة فيجوز
ان يعني باليد في قدرة الله وحراسته للجماعة اذ كانوا انصح وابعد عن الانفعال للعدو واسلم من الغلط والخطاء
لكثرة ارائهم واتفاقها فلا تكاد تتفق على امر لا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها وحذر من الفرقة و
الشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المستبد برايه للشيطان اي محل تطرق الشيطان لانفراده
وشبه ذلك بالشاذ من الغنم ووجه الشبه كون انفراده محلا لتطرق الهلاك اليه باستغواء الشيطان له كما ان
الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها ووجدانها للذئب ثم امر بقتل من دعا الى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة
والاستبداد بالراي **وقوله** ولو كان تحت عمامتي هذه مبالغة في الكلام كنى بها عن اقصى القرب من عنايته
اي ولو كان ذلك الداعي الى هذا الخلاف من عنايتي به وقيل اراد ولو كان ذلك الداعي انا **وقوله** وانما حكم الحكمان
اعتذار عن شبهة التحكيم واسند اليهما لفظي الاحياء والاماتة مجازا باعتبار كونهما في الاجتماع عليه والعمل به

مظهرين

مظهرين لمنفعته وغايته ثم جاء بفعله موجد الحياة وكونهما في تركه والاعراض عنه سببا لبطلان منفعته وعدم
غايته كما يفعل مميت الشيء ومبطل حياته **وقوله** فلم آت لا ابا لكم بجرا الى آخره بيان وجه عذره
في التحكيم انكر ان يكون فعله ذلك مشتملا على قصد شر او خديعة لهم او تلبيس عليهم في التحكيم من غير اتفاق
منهم ومراجعة لهم بل انما كان ذلك عن اجتماع اراء قومه على اختيار حكمين اخذت عليهم الشرائط المعهو
دة في كتاب الصلح وفي نسبته اختيار الحكمين الى ملائهم ونسبة اخذ العهد عليهما في اتباع الكتاب الى نفسه
والى جماعته هو اخذهم تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او بمشاركته دون تعيينه الحكومة لما نقل انه
كان غير راض بنصب ابي موسى نائبا عنه وانما اكره على ذلك وعدل ... الى ابن عباس
فتلخيص الكلام انا انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بشرط عدم عند عدم
ذلك الشرط فحيث خالفا الشرط عمدا بعد ان سبق استثناؤنا عليهما سوء رايهما وجب نفي القبح
والتعصب سوء رايهما لانه معلول به عن سبق ورايه التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلام**
وهو مما كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا احنف كاني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون
له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام يومي بذلك الى
صاحب الزنج **ثم قال** عليه السلام ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور
وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادر
ها بقدرها وناظرها بعينها **اقول** الحمحمة الوقعة الغطيط وهذا الفصل من خطبة له عليه السلام
بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولا فيما سبق والخطاب مع الاحنف بن قيس لانه كان رئيسا
ذا عقل وسابقة في قومه واسمه صخر بن قيس بن معوية بن حصين بن عبادة بن نزال بن مرة بن عبيد بن
تميم وقيل اسمه الضحاك وكنيته ابو بحر وبسببه كان اسلام بني تميم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه الى
الاسلام فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها فاسلموا
واسلم الاحنف وشهد مع علي عليه السلام صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير في قوله كاني به لصا
حب الزنج واسمه علي بن محمد علوي النسب والجيش المشار اليه هم الزنج ووقائعهم بالبصرة مشهورة واخبارهم
وبيان احوالهم وتفصيل وقائعهم يشتمل عليها كتاب مفرد في نحو من عشرين كراسة فليطلب منها
... فانما وصف ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة لان الزنج لم يكونوا اهل خيل ولا جند من قبل
حتى يكونوا بالاوصاف المشار اليها واثارتهم التراب باقدامهم كناية عن كونهم حفاة في الاغلب مشققي الاقدام
من اعتياد الحفا ومباشرة الارض كالمشقة ونحوه فكانت مظنة اثارة التراب عوضا من حوافر
الخيل ووجه شبهها باقدام النعام ان اقدامهم في الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور مفرقات الا
صابع ... عرضها ... طول فاشبهت اقدام النعام في بعض تلك الاوصاف ثم اخبر بالويل
لسكك البصرة ودورها المزوقة من اولئك واستعار لدورها لفظ الاجنحة واراد بها القطانيات التي تعمل
من الاخشاب والبواري بارزة عن السقوف كالوقاية للشادف والحيطان عن اثار الامطار ومتى اشبه

الاشياء في هيئتها وصورة وضعها باجنحة كبار الطير كالنسور ولذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة لما
ذنب التي تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار تكون نحوا من خمسة اذرع او اربعة تدلى من
السطوح حفظا للحيطان من اذى السيل ايضا وهي اشبه الاشياء في صورها بخراطيم الفيلة واما وصفه لهم
انه لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم قال بعض الشارحين ذلك وصف لهم بشدة البأس والحرص
على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا يأسفون على من فقد منهم **واقول** والاشبه ان ذلك لكونهم
لا اصول لهم ولا اهل ولا اكثرهم من ام او اخت او غير ذلك ممن عادته ان ينوح ويندب قتيله ويفتقد غائبه
لكون اكثرهم عبيدا في البصرة ممن قتل منهم لا يكون له من يندبه ومن غاب لا يكون له من يفقده **وقوله**
انا كاب الدنيا لوجهها اشارة الى زهده فيها وتنبيه على فضيلته نفاك نفسه فلانا لوجهها اذا تركها
ولم التفت اليه وقادرها بقدرها اي معامل لها بمقدارها ولما كان سقوطها حقيقيا عنده كان التفاته اليها
التفاتا حقيرا بحسب صورة البقاء فيها ولذلك ناظرها بعينها اي معتبرها بالعين التي ينبغي ان يعتبرها
الدنيا من كونها غرارة غدارة زايلة حايلة الى غير ذلك من اوصافها وانها مزرعة الآخرة وطريق اليها غير
مطلوبة لذاتها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام يومي به الى وصف الاتراك**
كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق
ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من المأسور **فقال له**
بعض اصحابه لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيا
يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه
وتعالى بقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام فيعلم سبحانه ما في الارحام من ذكر
او انثى وقبيح او جميل وسخي او بخيل وشقي او سعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا
فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه
ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي **اقول** المجان بالفتح جمع مجن بكسر الميم
وهي الترس والمطرقة بفتح الراء والتخفيف التي تطبق وتخصف كطبقات النعل يقال اطرقت
بالجلد اذا البست والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدتها سرقة قال ابو عبيدة
البيض منها وهو فارسي معرب اصله سره اي جيد كالاستبرق الغليظ من الديباج ويعتقبون
الخيل يحتبسونها وينتظرونها واستحرار القتل وحده اي اشتد واعلم انه عليه السلام من عادته اذا اراد
الاخبار عن امر سيكون فانه يصدره بقوله كاني كما سبق من اخباره عن الكوفة كاني بك يا كوفة
ولقوله كاني به وقد نعق بالشام ووجه ذلك ان مشاهدته بعين بصيرته لما افيض على نفسه القدسية
من انوار الغيب على سبيل الالهام بواسطة الاستاد المرشد صلى الله عليه تشبه المشاهدة بعين البصر
في الجلاء والظهور الخالي عن الشك فلذلك حسن حرف التشبيه صدرا وضماير الجمع في الفصل تعود
الى الاتراك وشبه وجوههم بالترس المطرقة ووجه الشبه في تشبيهها بالترس الاستدارة

والعظم

العظم والانبساط وفي كونها مطرقة الخشونة والغلظة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس فاما وصفه
لهم بمعاقبة لبس السرق والديباج واعتقاب الخيل فاعتبار احوال الترك تشهد بصدقه واما اخباره
عن استحرار القتل الى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما يشهد بصدقه التواريخ بالوقايع المشهورة
بينهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين في ايام عبد الله ابن الزبير وفي ايام قتيبة بن مسلم ويكفي في صدق
دعواه الى الغاية المذكورة ما شاهدناه من وقايع التتار مع المسلمين وقتلهم اياهم بالعراقين وخراسان
وغيرها من البلاد فاما جوابه عليه السلام للكلبي ان ذلك ليس بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم والعد
لهذه المعلومات بعلم الغيب الذي لا يعلمها الا الله سبحانه فحق وصدق وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب
والاخبار عن المغيبات في المقدمات لكن ينبغي ان يعلم ان التعلم الحاصل له من قبل الرسول صلى الله
عليه ليس على سبيل ان كل ما القى عليه صور جزئية ووقايع جزئية بل معناه اعداده وتنبيهه لقد
سيه على طول الصحبة من حيث كان طفلا الى ان توفي الرسول صلى الله عليه لهذه العلوم بالرياضة التامة
وتعليم كيفية السلوك واسباب تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة حتى استعدت نفسه
الشريفة للانتقاش بالامور الغيبية وانتقشت فيها الصور الكلية فامكنه الاخبار عنها وبها
ولذلك قال ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي اي يضبطه قلبي ويشتمل عليه وكنى بالجوانح
عن القلب لاشتمالها عليه ولو كانت تلك العلوم صورا جزئية لم يحتج الى مثل هذا الدعاء فان فهم
الصور الجزئية وضبطها والاخبار عنها ممكن لكل العقلاء من العوام وغيرهم وانما الصعب المحتاج
الى الدعاء بان يعيه الصدور وتستعد الاذهان لقبوله هو القوانين الكلية وكيفية انشعابها وتفصيلها
واسباب تلك الامور المعدة لادراكها حتى اذا استعدت النفس بها امكن ان ينتقش بالصور
الجزئية من منبعها كما سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
في ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تأملون في هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ن
ومدينون مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر
قد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا
فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت
من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل
بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم
وسمحاؤكم واين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا
عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة وهل خلقتم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغارا نا
لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر
مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا
يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين

له والناهين عن المنكر العاملين به **اقول** اقوياً آخمع قوي على فعيل وهو الضعف والذئب الحبذ في القبل والكدح العلي والوقر الصمم والجبت له الثقلى وكانة الذي من كل شي وقد نفر عليه الابلاء عن الدنيا بذكره عن من معايبها **اجدها** كونهم فيها ضيفا ثانا واستعاد لهم لفظ الضيف وكذلك لما يأملون منها ووجه الاستعارة مشابهتهم للضيف في تأجيل الاقامة وانقطاع وقته وقرب رحيله وهو جعلون ترشيح للاستعارة **الثانية** كونهم مدينون فيها واستعاد لفظ المدين باعتبار وجوب الفرائض المطلوبة منهم وعهد الله المأخوذ عليهم ان يرجعوا اليه طاهرين عن نجس المحدث ورشح بذكر المتقضين لما ان من شان المدين ان يقتضي منه الدين ثم لما ذكر كونهم مرتحلين ومدينين كرر ذكر الاجل بوصف النقصان ولا شك في نقصان ما لا يبقى وذكر العمل الذي خالفه وصاحبه هو الدين المقتضي منهم بوصف كونه محفوظا عليهم ليجذب بنقصان الاجل الى العمل وبحفظ العمل الى اصلاحه والاخلاص فيه واجل وعمل خبران حذف مبتداهما اي اجلكم اجل منقوص وعملكم عمل محفوظ ونبه بقوله ترب دائب متضيع ورب كادح خاسر على ان العمل وان قصد به الصلاح الا انه قد يقع على وجه الغلط فيحصل بذلك انحراف عن الدين وضلال عن الحق فيضيع العمل ويخسر الكادح ككذاب الخوارج ونحوهم قريشا دخل الكادح في قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وذلك ككدح اهل الكتاب ونحوهم **وقوله** قد اصبحتم الى قوله اتاكم شكاية للزمان وذم له وهو كقوله انا قد اصبحنا في زمن كنود ودهر عنود وذلك لاشتداد الزمان في البعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجرأة الناس على هتك الدين وارتكاب مناهي الله وكذلك طمع الشيطان في هلاكهم اي في هلال دينهم الذي يكون غايته هلاكهم في الآخرة واشار الى ان ذلك الوقت هو اوان قوة عدته وعموم مكيدته وامكانه عليه فما فائك بزمانك معدا وما بعده واستعار لفظ الفريسة لمطاوعي الشيطان والمنفعلين عنه ووجه الاستعارة بلوغه منهم مراده والتصريغ لهم لغاية هلاكهم كالاسد مع فريسته **وقوله** اضرب بطرفك الى قوله وفرا شرح لما اجمله اولا من ارتكاب الشر وادبار الخير وكفر النعمة تركه واعراضه عن شكر نعم الله سبحانه **وقوله** بحق الله متعلق بالبخل اي ان البخيل يقصد ببخله حق الله على مستحقه توفير المال والزيادة فيه **وقوله** اين خياركم الى قوله مذاهبهم سؤال من باب تجاهل العارف تنبيها لهم على ما صاروا اليه من الفناء وفراق الدنيا وعلى انه لم يبق منهم من اولي الاعمال الصالحة واراد بالاحرار الكرماء والمتورعون في مكاسبهم الملازمون للاعمال الجميلة فيها من التقوى والمسامحة واخراج حقوق الله تعالى والمتنزهون في مذاهبهم والمتنظفون عن ولوج ابواب المحارم والشبهات في مسالكهم وجر كانهم **وقوله** اليس الى قوله المنغصة سؤال على سبيل التقرير لما نبههم عليه من فراق الدنيا ودناتها بالنسبة الى عظيم ثواب الآخرة وتنغيصها بالآلام ونحوها حتى قال بعض الحكماء ان كل لذة في الدنيا فانما هي خلاص من ألم **وقوله**

وقل خلقتم الى قوله عن ذكركم سؤال على سبيل التقرير لما ذكره ايضا واستعاد لفظ الحثالة لرعاع الناس وسقطهم **وقوله** لا تلتقي بذمهم الشفتان اي انهم احقر من ان يشتغل الانسان بذمهم والنصب استصغارا وذهابا على المفعول له وحسن اقتباس القرآن هاهنا لما ان هذه الحال التي الناس عليها من فقد خيارهم وبقاء شرارهم مصيبة لحقتهم ومن آداب الله للصابرين على نزول المصائب ان يعلموا انفسهم واحوالهم اليه فيقولوا عندها انا لله وانا اليه راجعون كما قال سبحانه وبشر الصابرين الآية ثم حكم على سبيل التوجع والاسف بظهور الفساد وبقي المنكر المغير للفساد والمزدجر عنه تنبيها لهم على انهم وان كان فيهم من ينكر ومن يحدو الا انه لا يغير ما ينكره ولا يزدجر عن مثله وذلك من قبائح الاعمال والدنايا فيها **وقوله** افبهذا اي باعمالكم هذه المدخولة وبتقصيركم وبمجاورتكم الله الوصول اليه والمقام معه في جنته التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات البدنية ومقام تنزه ذات الله تعالى وطهارتها عن اتخاذ الشركاء والانداد وهو استفهام على سبيل الانكار ولذلك عقبه بقوله هيهات الى آخره ولما كان ذلك يجري مجرى الزهد الظاهر مع النفاق في الباطن اعني اعمالهم المدخولة من انكار المنكر وارتكابه نبههم على ان فعلهم كخداع الله عن جنته وصرح بان الله لا يخدع لعلمه بالسرائر وانه لا تنال مرضاته الا بطاعته اي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم للعمل به والناهين عن المنكر المرتكبين له لانهم مما يقتدون مغرورون بذلك لمن يقتدي بهم والنفاق مستلزم للعن والبعد عن رحمة الله وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام لابي ذر رحمه الله لما اخرج الى الربذة** يا ابا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم واغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لامنوك **اقول** ابو ذر اسمه جندب ابن جنادة وهو من بني غفار قبيلة من كنانة واسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا احدا ولا الخندق لانه حين اسلم رجع الى بلاده فاقام حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وكان يوالي عليا واهل بيته وهو الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر وروي ان المخبر عنه قال رايت ابا ذر اخذا بحلقة باب الكعبة وهو يقول انا ابو ذر الغفاري فمن لم يعرفني فانا جندب صاحب رسول الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وكان قد اخرجه عثمان الى الربذة وهي موضع قريب من المدينة واختلف في سبب اخراجه فروي عن زيد بن وهب انه قال قلت لابي ذر رحمه الله وهو بالربذة ما انزلك هذا المنزل قال اخبرك اني كنت بالشام في ايام معوية فذكرت قوله تعالى

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الآية فقال معوية هذه نزلت في اهل الكتاب
قلت بل فينا وفيهم فكتب معوية الى عثمن يشكوني فكتب الي ان اقدم علي فقدمت عليه
فانثال الناس علي كانهم لم يعرفوني فشكوت ذلك الي عثمن فخيرني وقال انزل حيث شئت
فنزلت الربذة وهذا قول من برّأ عثمن رضي الله عنه عن ظلم ابي ذر رحمه الله ونفيه اذ كان خروجه
الى الربذة باختياره وقيل بل كان يغلظ القول في انكار ما يراه منكرا في حق عثمان ويقول
لم يبق اصحاب محمد على ما عهد وينفر بهذا القول وامثاله عنه فاخرجه لذلك وخطابه عليه السلام
لابي ذر اليق بالقول الثاني فقوله انك غضبت لله شهادة له ان انكاره لما كان ينكره انما
يقصد به وجه الله تعالى **وقوله** ان القوم خافوك على دنياهم اي على امر الخلافة بالتنفير عنهم وخفتهم
على دينك اجتناب موافقتهم واخذ عطاياهم على غير السنة **وقوله** فاترك الى قوله منعوك اي اترك
لهم دنياهم وانج بدينك فما احوجهم الى دينك واغناك عن دنياهم **وقوله** وستعلم من الرابح
غدا والاكثر حسدا اي يوم القيامة وظاهر كون تارك الدنيا اربح من المقبل عليها واكثرية الحسد
من لواحق اكثرية الربح **وقوله** ولو ان السموات الى قوله مخرجا بشارة له بخلاصه مما هو فيه من
ضيق الحال بسبب الاخراج وشرط ذلك تقوى الله اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا قال ابن عباس قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من
شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدايد يوم القيامة وظاهر كون التقوى عند استشعارها سببا قا
طعا لطمع المتقي من الدنيا وقيناتها وهو مستلزم لراحته من مجاذبة النفس الامارة بالسوء والوقوع
في شبهات الدنيا وهي استلزام الخلاص من غمرات الموت وشدايد يوم القيامة اظهر وكنى عليه السلام
بالغاية المذكورة وهي رتق السموات والارض على العبد عن غاية الشدة ومبالغة لتبيين فضل التقوى
ثم امره بالاستيناس بالحق وحده والاستيحاش بالباطل وحده واكد الحصر في الموضعين بقوله
وحده تنفيرا عن ان يستوحش من حق فيتركه وينفر عنه وان صعب وشق على النفس ولا يستا
نس بباطل ما فيفعله او يسكت عليه وان لذ له ونبه على علة بغضهم واخافتهم له ومنعه عدم
مشاركتهم في دنياهم والانفراد بالانكار وغلظة القول عليهم وكنى بالقرض من الدنيا عن
الاخذ منها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** ايتها النفوس المختلفة والقلوب
المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغايبة عنهم عقولهم اظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور
المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان اطلع بكم سرار العدل او اقيم اعوجاج الحق
اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام
ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيامن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة
من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه
وآله بالصلاة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة

فكتب عثمن ح

الصحيح قول صاحب القيل وقول امير المؤمنين عليه السلام اياه ينادي على ذلك ذكره الرجل يشق ولا يستحسنها

المسلمين

المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف
للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل
للسنة فيهلك الامة **أقول** اظاركم اعطفكم ووعوعة الاسد صوته وسرار العدل
ما خفي منه والنهمة الحرص على الدنيا ووصف النفوس بصفة الاختلاف اي اختلاف الاهواء والقلوب
المتشتتة اي المتفرقة عن مصالحها وما خلقت لاجله واراد بغيبة عقولهم ذهولها عن رشدها و
اصابة وجه الحق بانصرافها عن ذلك الى ما لا ينبغي وشبه نفارهم بنفور المعزى من صوت الاسد
ووجه التشبيه شدة نفارهم عن الحق ثم استبعد اظهاره للعدل واقامة الدين بمثلهم على ما هم عليه
من قلة طاعتهم ثم عقب ذلك باستشهاد الله سبحانه على ان قصده بمنافسته في امر الخلافة لم يكن
في سلطان ولا الفضل حطام دنيوي ولكن للغاية التي ذكرها من رد معالم الدين وهي الاثار التي يهتدى
بها ولاثار بها ما عدده من المصالح ثم تلى ذلك الاستشهاد باستشهاده على انه اول من اناب
اي رجع الى الله تعالى عما العلة كان يعتقد في جنبه دينا وسمع اي اطاع الله واجاب اي دعاءه ثم
استثنى سبق الرسول صلى الله عليه وآله الى الدين بالصلاة وذلك امر معلوم من حاله وانما يفوت فضيلته
انه تبع الرسول صلى الله عليه وآله كان طفلا لا اعتداد باسلامه وسيذكر ذلك في موضعه من الخطبة
المسماة بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد دفع ما يعتقد من الاشارة الى الرذايل التي ينبغي ان
يكون الامام منزها عنها تقرير فضيلته وتنبيه على انه فيه من الفضايل ما يقابل تلك الرذايل بتعديدها
ونفيها عن الامام الوالي لامور المسلمين والاشارة الى وجوه المفاسد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه
من ذلك بقوله ولقد علمتم الى آخره اما البخيل فلشدة حرصه على ما في ايدي الرعية وقد عرفت ما يستلزمه
من نفارهم عنه وعدم انتظام الاحوال به واما الجاهل فانه لجهله بقوانين الدين وتدبير امور
العالم ضال ومضل لانه يستلزم ضلال من اقتدى به وذلك ضد مقصود الشارع واما الجافي فلان جفاه
يستلزم التفرق والانقطاع عنه وذلك ضد الالفة والاجتماع المطلوب للشارع واما الحايف من الدول
فيخص بعنايته من يحابيه دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم واما المرتشي في الحكم فلطلبه
وذهابه بالحقوق والوقوف فيها على الحيف دون المقاطع الحقة فيرى اضحى الاهواء اذا اراد فصل قضية
دافع بها طويلا وضيع الحق وعرض بعوضه واشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحق لاحدهما
وكانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحق من فواته ليجنح الى الصلح والرضا ببعض حقه مع انه
قد كان ضمن رشوة ايضا وربما كانت في المقابلة لوثوق المبطل منها والطمع في ذلك حيل يعرفها من
عاناهم والله المستعان على ما يصفون واما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة واهمالها
المستلزم لفساد النظام في الدنيا والهلاك الدايم في الاخرى وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**
نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل سريرة العالم
بما تكن الصدور وما تخون العيون ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة

يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان **اقول** وقد علم شكر الله تعالى على اخذه وعطايه وعلى ابلايه بالخير وابتلايه بالشر ونبه بذلك على وجوب شكره تعالى في طورى السراء والضراء وحالتي الشدة والرخاء واما وصفه له بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غير مرة ومصداق الوصفين الاولين قوله تعالى يعلم السر واخفى ومصداق الاخيرين قوله تعالى يعلم خاينة الاعين وما تخفى الصدور وكذلك سبقت الاشارة الى سر الشهادتين ونجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول **وقوله** شهادة يوافق فيها الى آخره اي شهادة خالصة من النفاق والرياء وبالله التوفيق **منها** فانه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه واعجل حاديه ولا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رايت من كان قبلك من جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه واخذه من مامنه محمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملا على المناكب وامساكا بالانامل اما رايتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة عملها وان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها الاعمال الى دار القرار فكونوا منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال **اقول** المشيد المعلى والاهتبال في الامر السعي في احتيابه وهبلها مصدر مضاف الى ضمير التقوى موكد للفعل اي احتالوا احتيالها والاوفاز جمع وفزة وهي العجلة والضمير في قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور سابق اولى معنى كلامه وهو التحذير والانذار وكذلك الذي في قوله وما هو الا الموت يحتمل ان يعود الى ملفوظ به سابق ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به اي وما الذي احذركم مجومه عليكم الا الموت واسمع واعجل محلهما النصب على الحال من معنى الاشارة **وقوله** فلا يغرنك الى قوله وامن العواقب اي فلا يغرنك من نفسك الامانة بالنفوس سوتها واستغفالك عن ملاحظة الموت برؤية سواد الناس اي كثرتهم اذ كثيرا ما يرى الانسان الميت محمولا فيداركه من ربقه وروعته ثم يعاوده الوسواس الخناس ويأمره باعتبار كثرة المشيعين له من الناس وان يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين ملاحظة شبابه وصحته ويأمره باعتبار اسباب موت ذلك الميت من القتل وبالبه الامراض وباعتبار زوال تلك الاسباب في حق نفسه وبالجملة فيتعدد في اعتباره عن الموت بكل حيلة فنهى السامعين عن النفس بحيلة الخديعة ومن في قوله من جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان قبلك ثم نبههم واسند الغرور الى سواد الناس لانه مادته ثم نبههم بقوله وقد رايت الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخديعة مشاهدة والواو في قوله وقد واو الحال ومن في قوله من جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان قبلك والمعنى انه جاءك باولئك الموت وازعجهم عن اوطانهم

الخديعة

فلذلك انتم **وقوله** وطول امل نصب على المفعول له اي افعلوا ذلك لاجل طول الامل ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحتمل ان يكون طرفا والعامل امن وقيل هو بدل من قوله من كان قبلك اي رايت طول امل من كان قبلك وروى بطول امل واعواد المنايا النعوش ويتعاطى به الرجال الرجال اي يتناولونه بعضهم الى بعض والخطاب بالكاف لنوع المخاطب اوالشخص على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره **وقوله** اما رايتم استفهام على سبيل التقرير واما كانوا لا يستطيعون زيادة في حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هي الدنيا دون ما بعدها **وقوله** من اشعر التقوى قلبه اي من اتقى تقوى حقيقية برزت تقواه اي ظهرت عليه آثار الرحمة الالهية في السكينة والوقار والحلم والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وعلت الجنة في الآخرة وفاز عمله فيها بالجزاء الاوفى ثم امرهم باحتيال التقوى اي ان يتقوا الله تقوى حقيقية فانها التي يستحق بها الثواب الدائم وان يعملوا للجنة عملها التي يستحق به ثم نبههم على وجوب العمل للجنة بالتضرع بما لاجله خلقت الدنيا وانها لم تخلق دار اقامة بل طريقا يعبر بها الى الآخرة كما يعبر المسافرون ويتزودوا منها الاعمال الصالحة الموصلة الى الجنة وامرهم ان يكونوا فيها على سرعة في قطع عقباتها وعجل في الارتحال عنها لان التاني فيها يستلزم الالتفات الى لذاتها والغفلة عن المقصد الحق واستعار لفظ الظهور وهي الركاب لمطايا الآخرة وهي الاعمال الصالحة وتقريبها للزيال هو العناية بالاعمال المقربة الى الآخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها **ومن خطبة له عليه السلام** وانقادت له الدنيا والآخرة بازمتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والآصال الاشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة **اقول** المقاليد المفاتيح جمع مقليد بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك وهذا الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه واظهار عظمة سلطانه فانقياد الدنيا والآخرة له بازمتها دخولها في ذل الامكان والحاجة اليه **وقوله** وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها كقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس ومقاتل المراد مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الليث المقلاد الخزانة ومقاليد السموات والارض خزاينها **واقول** لفظ القذف مجاز في تسليمها وانقيادها بزمام الحاجة والامكان الى قدرته مع جميع ما هي سبب في وجوده في هذا العالم ما هو رزق ورحمة للخلق ولذلك لفظ المفاتيح على راى ابن عباس استعارة للاسباب المعدة للارزاق والرحمة وتلك الاسباب كحركات السموات واتصالات بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات الارض للنبات وغيره ووجه الاستعارة ان هذه الاسباب باعدادها المواد الارضية يفتح بها خزاين الجود الالهي كما يفتح الابواب المحسوسة بمفاتيحها وكلها مسلمة الى حكمه وجريانها بمشيته وعلى قول الليث فلفظ الخزاين استعارة في موادها واستعداداتها ووجهه الاستعارة ان تلك المواد والاستعدادات يكون فيها بالقوة والفعل جميع الموجودات من الارزاق وغيرها كما يكون في الخزاين ما يحتاج اليه وسجود الاشجار الناضرة له بالغدو والآصال خضوعها وذلها تحت

قدرته وحاجتها الى جوده ونسب قدح الزيران اليهما انما هو السبب المادي فان القدح حقيقة في فعل السبب
الفاعل القريب وجعل ذلك له تعالى لانه الفاعل الاول **وقوله** واتى الى آخره فاراد بحلايته اوامره واحكام
قدرته المعبّر عنها بقوله كن واطلاق لفظ الحلايات عليها استعارة ووجهها نفوذ تلك الاحكام في الحيوانات
كنفوذ الاوامر القولية في المامورات واراد بأياته الشاهدة دخولها طوعاً في الوجود المعبّر عنها عنه بقوله تعالى
فيكون وبالله التوفيق والعصمة **منها** وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه و
بيت لا تهدم اركانه وعزّ لا تهزم اعوانه **اقول** هذا الفصل كانه في معرض التوبيخ على
ترك اوامر الله ومخالفة احكامه وحسنه ان يكون الواو للحال كانه يقول تفعلون كذا وكتاب الله بين
اظهركم ناطق وكونه بين اظهرهم كناية عن وجوده بينهم مع ان من شانه ان يستند اليه و
استعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار ان المكتوب يخبر عن المقصود كالناطق كذلك ولفظ
اللسان وانه لا يعيا ترشيح للاستعارة كنى بها عن بيان الكتاب على مرور الاوقات ويحتمل ان
يريد باللسان نفسه عليه السلام مجازاً اذ كان مقول لسان الكتاب الذي لا يفتر ولا يقصر عن بيان مقاصده
وكذلك استعار له لفظ البيت باعتبار كونه حافظاً لحافظيه والعاملين به كما يحفظ
البيت اهله واركانه قواعده الكلية التي يبنى عليها نظام العالم من الاوامر والنواهي والمواعظ
والحكم وتلك القواعد لا يكاد تنهدم في وقت من الاوقات اذ الحكم الكلية صالحة لجميع الاوقات
وكونه عزّاً مجازاً اطلاقاً لاسم اللازم على ملزومه اذ كان حفظه والعمل به مستلزماً للعز الدائم
في الدنيا لا يعرض له واعوانه هم الله وملائكته ورسله واولياؤه واولئك اعوان لا خوف عليهم
ولا انهزام لجمعيتهم من اعوانه وبالله التوفيق **منها** ارسله على حين فترة من الرسل وتنازع
من الالسن فقفّى به الرسل وختم به الوحي فجاهد في الله المدبرين عنه والعادلين به **اقول**
قفّى به اتبع به من قبله وعرض الفصل التنبيه على الرسول صلى الله عليه وآله فقوله ارسله الى قوله
الالسن بيان لبعض امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذي يندرس فيه الشريعة السابقة
والقوانين التي بها نظام العالم ويحتاج الخلق الى قوانين محدودة لنظام احوالهم وحينئذ يجب
بعثة رسول وكانت الفترة بين محمد عليهما السلام ستمائة وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن و
اختلاف الخلق في الآراء والمذاهب وقلة الاتفاق على قانون شرعي جامع لهم **فقوله** وقفى به
الرسل كقوله تعالى وقفينا من بعده بالرسل **وقوله** وختم به الوحي كقوله وخاتم النبيين وهذا
الختام مستفاد من الشريعة وليس للعقل في الحكم بانقطاع الرسل فيما بعد مجال بل ذلك من
الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع اوامره ونواهيه والعادلون به الجاعلون
له عديلاً وهو الند والمثل كالمشركين تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ونسبة المجاهدة الى الله تعالى
استعارة ووجهها انه تعالى ذي نجحه صلى الله عليه وآله المشركين كالذي الحاجد بنفسه واعوانه
عن هديه وبالله التوفيق **منها** وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئاً والبصير

ينفذها

ينفذها بصره ويعلم ان الدار وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود
والاعمى لها متزود **اقول** الشاخص الاول الراحل والمسافر والشاخص الثاني الذي يرفع بصره الى
الشيء ويمده اليه وهذا الفصل مع قلة الفاظه يشتمل على لطايف **فالاولى** ان الدنيا منتهى بصر
الاعمى شيئاً واستعار لفظ الاعمى للجاهل كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحق كما لا يدرك الاعمى من المبصرات
واشار بقوله لا يبصر من ورائها شيئاً الى جهله باحوال الموت وما بعده من سعادة الآخرة وشقاوتها
فان قلت انه اثبت للاعمى العمى واثبت انه يبصر الدنيا وذلك نوع مناقضة **قلت** انه لما
اراد بالاعمى اعمى البصيرة وهو الجاهل استعارة لم تكن في اثبات البصر الحسي له وتعلقه بالدنيا
نوع مناقضة ويحتمل ان يريد ببصره ايضاً بصر بصيرته استعارة وظاهر ان منتهى بصر بصيرته
الجاهل التصرف في احوال الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان ينفذ عين بصيرته لما وراءها من احوال
الآخرة **الثانية** قوله والبصير ينفذها بصره استعار لفظ البصير للعالم ونفوذ بصره كناية عن
ادراكه ما وراء الدنيا من احوال الآخرة وعلمه انها دار القرار **الثالثة** قوله فالبصير منها شاخص
اي راحل مسافر قد جعلها طريقاً له الى الآخرة والاعمى اليها شاخص اي متطلع اليها بعين بصيرته
ووهمه وان كان اعمى عن مصالحه الحقيقية وعن آفاتها وطرقها المخوفة وفي هذه الكلمة مع التي قبلها
من اقسام البديع التجنيس التام والمطابقة بين الاعمى والبصير **الرابعة** قوله والبصير منها متزود اي
بالتقوى والاعمال الصالحة في سفره الى الله تعالى والاعمى لها متزود اي متخذ للذاتها وقيناتها زاداً له في قطعها
عن غيره وقد جعل ذلك الزاد الحقيقي والكمال الذي ينبغي له وفي البديع كالتي قبلها وبالله التوفيق
منها واعلموا انه ليس من شيء الا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله الا الحياة فانه لا يجد
له في الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع
للاذن الصماء وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون
به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله قد
اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم وتصافيتم على حب الآمال وتعاديتم في كسب
الاموال لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وانفسكم **اقول**
الدمن آثار الناس وما سوّدوا واحدها دمنة والغل الغش والحقد وقد استثنى الحياة مما يشبع منه ويمل
ثم علل عدم ملال الحياة بفقدان الراحة في الموت قال بعض الشارحين ان فقدان الراحة في الموت
مخصوص باهل الشقاوة في الآخرة واما اولياء الله وعباده الصالحون فلهم في الموت الراحة الكبرى كما
اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله وقال بعضهم بل يحمل
على العموم سواء الظاهر الكلام وذلك من وجهين **احدهما** ان بالموت يفوت متجر الآخرة وينقطع
الاستعداد لكمال اشرف مما حصل عليه الميت وان كان وليّاً فلا جرم لا يجد الراحة التي تلحقه بما يفوته من

ذلك الكمال الثاني ان النفوس البشرية لما لم يمكن معاودتها صورتها ولم تتمكن ما دامت في هذه الابدان
من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة او شقاوة فبالحري ان لا تجد لها راحة بتصورها في الموت فانت
وذلك لا ينافي الخبر ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله اما على الوجه الاول فلان الراحة الحاصلة من
الكمال الثابت بالموت لا تحصل له وان حصل على راحة ما بحسب طاعته السابقة واما على الثاني
فلان المؤمن لا يجد له ما دام في الدنيا راحة في الموت وذلك لا ينافي ان تحصل له الراحة عند لقاء الله كما نقل
عن الحسن عليه السلام لما ان سفر الى الاخرة بكى فقال له اخوه الحسين عليه السلام ما لي اراك تبكي وتجزع
مع يقينك بانك تقدم حيث تقدم على جدك وابيك فقال نعم يا اخي لا شك في ذلك الا اني
سالك مسلكا لم اسلكه من قبل واقول ان فات ما ذكره عليه السلام بقوله لا يجد في الموت راحة
يجيء في نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من احوال الاخرة فالحق قول من عمم وفقدان الراحة في
حق الجميع اذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لاحد من الناس كافة وان كان سواده فقدان
الراحة في الموت وما بعده فالحق التخصيص باهل الشقاوة الا انه فان شدة محبة الدنيا الحياة ونقصانها
متفاوتة بحسب تصور زيادة الراحة في الاخرة ونقصانها وذلك ظاهر عند اعتبار اهل الدنيا المقبلين
عليها بالكلية واهل الاخرة المقبلين عليها بالكلية ومن بينهم من طبقات السالكين وقوله واما ذلك
اي الامر الذي يتواحى بانه لا يسأل ولا يشبع به منزلة الحكمة اي ما كان منزلة الحكمة والحكمة في
باب الشريعة بمعنى العلم النافع في الاخرة وقد تطلق على ما هو اعم من ذلك ثم ذكر لها اوصافا الاول
انها حياة للقلب الميت وقد مر ان القلب في عرف العارفين هي النفس الانسانية واستعار للحكمة
لفظ الحياة ووجه المشابهة كون الحياة بها وجود القلب وبقاؤه كما ان بالحكمة بقاء الانسان وسعادته
في الدارين وكذلك استعار لفظ الميت للقلب الجاهل باعتبار انه غير مطلع على وجوه مصالحه ومنافعه
في الدارين وغير مهتد لانتفاع او دفع تضرر كالميت الثاني استعار وصف البصر للحكمة
ووصف العمى لعين الجاهل ثم يجوز ان يكون لفظ العين ايضا مستعارا في بصيرة الجاهل ويجوز ان يكون
المراد حقيقته ووجه الاستعارة الاولى انه بالحكمة يبصر الانسان مقاصده ويهتدي وجوه مصالحه
الدنيوية والاخروية كما يهتدي البصير بعينه وجوه مسالكه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة
الجاهل لا تهتدي لتلك الوجوه كما لا تهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالثة ان بصر الجاهل تابع
لبصيرته فاقدامه واحجامه وتصرفاته المنسوبة الى حس البصر وعينه تابعة لما يتصوره ولما كانت تلك
التصرفات غير نافعة في الاكثر بل قد تكون ضارة لا جرم اشبهت عينه الباصرة التي وقع بها تلك
التصرف العين العمياء فاستعير لها لفظها وكذلك استعار لفظ السمع ولفظ الصماء للاذن ووجه
الاستعارات ما سبق فان المراد بالسمع ادراك البصيرة والاذن يحتمل ان يراد بها البصيرة استعارة او
الاذن المحسوسة وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ الظمآن للجاهل ووجه الاولى ان الحكمة تملأ
النفس وتجدها شفاء من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن ويقطع غلته ويشفي به من الم الظماء

ووجه

ووجه الثانية ان الجاهل يلحقه الم الجهل ويكون سبب المؤلمة في الاخرة كما يلحق الظمآن الم الظماء الثالث
انها الغنى كله والسلامة واراد بالغنى غنى النفس عن كل شيء وكونها كمالها فان غاية الحكمة الوصول الى
الحق سبحانه والوقوف في بحار معرفته وفي ذلك غنى العارفين عن كل شيء واراد بالسلامة سلامة النفوس
من عذاب الجهل اذ ثبت في اصول الحكمة انه السبب الاكبر في الهلاك الاخروي وقوله كتاب
الله خبر مبتدأ اما خبر ثان لذلك وما كان مبتدأ في الحكمة خبر اول او لمبتدأ محذوف تقديره هو
كتاب الله ويحتمل ان يكون عطف بيان لما كان منزلة الحكمة وذكر له اوصافا الاول قوله
تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على الحكمة ووجه شبهه بها فانه البصائر الجاهلين لمقاصد
مصالحهم الدنيوية والاخروية لما فيه من الحكمة الثاني وكذلك وتنطقون به الثالث وتسمعون به
الرابع قوله ينطق بعضه ببعض اي يفسر بعضه ببعض كالمبين المفسر للمجمل والمقيد المبين
للمطلق والخصوص المبين للعام الخامس ويشهد بعضه على بعض اي يستشهد ببعضه على ان المراد
بعض آخر وهو قريب مما قبله السادس قوله ولا يختلف في الله اي لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد
الكلية التي بها يكون صلاح حال نوع الانسان في معاشه ومعاده وكانت غاية ذلك الجذب الى الله سبحانه
والوصول الى جواره لم يختلف فيه لفظ يختلف في الدلالة على معنى المقاصد بل كل مطابق الالفاظ على
مقصود واحد وهو الوصول الى الحق سبحانه بصفة الطهارة عن نجاسات هذه الدار وان تعددت الاسباب
الموصلة الى ذلك المقصود السابع قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله اي لا يجوز بالمقتدي باقواله
في سلوك سبيل الله عن الغاية الحقيقية وهو الله تعالى وقوله قد اصطلحتم الى آخره توبيخ للسامعين
على ارتكاب رذائل الاخلاق واستعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من
المنكر كالغش والحقد والحسد واشتراكهم في تلك الرذائل وقوله ونبت المرعى على دمنكم يضرب
مثلا للمتصافين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم ووجه مطابقة المثل ان ذلك الصلح سريع الزوال
لا اصل له كما يسرع جفاف النبات في الدمن وقوله قد تصافيتم على حب الآمال اشارة الى
وجه الصلح الذي ذكره ولذلك اسقط حرف العطف هنا وقوله وتعاديتم في كسب الاموال اشارة
الى وجه العلة الذي اشار اليه اما الاول فلان الجامع للتصاحب في الظاهر هو ما يؤمله كل من صاحبه من الانتفاع
به او دفع شره فيما هو بصدده من المأمولات الدنيوية وان انطوى له على غل كما هو المتعارف في زماننا
واما الثاني فلان الاحقاد والعداوات اغلب ما يكون على تجاذب اموال الدنيا والتنافس فيها وقوله لقد
استهام الخبيث اي اشتد عشقه لكم ولازمكم واراد بالخبيث ابليس وذلك تنبيه على ما
غلبهم من آثار وسوسته وتلازمتهم لما نهوا عنه وكذلك قوله وتاه بكم الغرور اي استغفلكم تنبيه في
استغفاله لكم عن سواء سبيل الله تعالى له ولهم على النفوس الامارة بالسوء انا في حقهم عليه السلام ففي
دوامها معذورة لعقله وانا في حقهم ففي فهمها وقبحها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه وقد توكل الله لاهل هذا الدين باعزاز الحوزة

وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حيّ لا يموت انك متى
تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم وليس
بعدك مرجع يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهر
الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين **اقول** ذلك حين
خرج قيصر الروم في جماهير اهلها الى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد فلازم بيته وصعب على ابي
عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا الاسلام وحوزة كل شيء بيضته
وجمعيته وكنفه حفظه وواه والمحرب بكسر الميم الرجل صاحب حروب وحفزه لذا اي دفعه و
حثه ضمه الى غيره واظهر الله على فلان نصره عليه والردء العون والمثابة المرجع **وقوله** وقد توكل
الله الى قوله لا يموت صدر لتطرية النصيحة والراي وتنبيه فيه على وجوب التوكل على الله والاستناد اليه في
هذا الامر وخلاصته انه ضمن اقامة هذا الدين واعزاز حوزة اهله وكنى بالعورة عن هتك الستر في النساء
ويحتمل ان يكون استعارة لما يظهر عليهم من الذل والقهر لو اصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك باقامته
النصر عليهم وهذا الحكم من قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم امنا **وقوله** والذي نصرهم الى آخر الصدد احتجاج في هذه الخطابة يشبه ان يكون تمثيلا وتلخيصه
ان الذي نصرهم حال قلتهم حي لا يموت فهو ينصرهم حال كثرتهم فاصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال
كثرتهم وجامعه النصر وعلة ذلك الحكم كونه حيا الذي لا يموت ابدا مدت **وقوله** انك متى تسر الى
العدو نفس الراي وخلاصته المشورة بعدم خروجه بنفسه ووجه هذا الراي تجويز النكبة والقتل عند ملاقاة
مع انه ليس بعده ظهر للمسلمين الذي يلجؤون اليه فلو انكسروا لم يبق لهم كانفة لحوطهم ولا جمع يستندون
اليه ثم بالخروج من يقوم مقامه من اهل النجدة ممن عرف بكثرة الوقائع والحروب فيكون على بصيرة
في امر الحرب وان يضم اليه اهل البلاء اي المختبرون في النصيحة والمجربون في الوقائع ثم استنتج من هذا
الراي انه ان نصر الله المسلمين فذاك الذي يحب وان تكن الاخرى اي الانكسار وعدم الانتصار كان
للمسلمين ظهرا يستندون اليه ومثابة يأوون اليه **ومن كلام له عليه السلام**
وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه **فقال**
امير المؤمنين عليه السلام للمغيرة يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع انت تكفيني فوالله ما اعز
الله من انت ناصره ولا قام من انت منهضه اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا ابقى الله عليك
ان ابقيت **اقول** هذه المشاجرة كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمان في خلافته وكان الناس
يستعرونه عليه اللا اليه والابتر كل امر انقطع من الخير اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر
من قرب او بعد والنوى لغة في النائي وهو البعد وقد ذم المغيرة بسقوط الاصل ولعنه واستعار لفظ
الشجرة وكنى بنفي اصلها وفرعها عن سقوط بيته ودناءته وحقارته في الناس ثم استفهمه عما ادعى من

الكناية

الكناية له استفهاما على سبيل الانكار والاستحقار له ثم اقسم انه لا يعز من هو ناصره وانما يعز
الله من نصره وأولياء الله واهل عنايته ولم يعزه الله لم يقم من نهضته لقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليه بابعاد الله مقصده **وقوله** ابلغ
جهدك اي في الاذى فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اي لا رعاك ولا رحمك ان راعيتني يقال ابقيت على
فلان اذا راعيته ورحمته **ومن كلام له عليه السلام** لم تكن بيعتكم اياي فلتة
وليس امري وامركم واحدا اني اريدكم لله وانتم تريدونني لانفسكم ايها الناس اعينوني على انفسكم
وايم الله لانصفن المظلوم ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها **اقول**
الفلتة الامر يقع من غير تدبر ولا روية والخزامة حلقة من شعر تجعل في انف البعير ومفهوم قوله
لم تكن بيعتكم اياي فلتة انها لما كانت عن تدبر واجتماع راي منكم لم يكن لاحدكم بعدها ان يخا
لف او ينكر عليها وفيه تعريض ببيعة ابي بكر حيث قال عمر فيها كانت بيعة ابي بكر فلتة
وقى الله شرها **وقوله** وليس امري وامركم واحدا اشارة الى الاختلاف بين حركاته ومقاصده
ومقاصدهم ثم بين الفرق بقوله اني اريدكم لله اي انما اريد طاعتكم لاقامة دين الله واقامة حدوده وانتم
تريدونني لانفسكم اي لحظوظ انفسكم من العطاء والتقريب وسائر منافع الدنيا ثم لما وبخهم بذلك اتبعه
بهم وطلب منهم الاعانة على انفسهم اي بالطاعة وامتثال الاوامر فاقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم
بخزامته واستعار وصف القود في تذليل الظالم واذعانه للحق ورشح بذكر الخزامة وكذلك استعار
لفظ المنهل للحق ووجه الاستعارة كونه موردا يشفى به الم المظلوم كما يشتفى الم العطشان
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير** والله ما انكروا علي منكرا ولا
جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان
لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان
معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة المغدفة
وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لافرطن لهم حوضا
انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي **اقول** النصف النصفة والطلبة بكسر
اللام المطلوب والحماة الطين الاسود المنتن كما قال تعالى من حمأ مسنون ويروى الحما بالالف مقصورة
والحمة بضم الحاء وفتح الميم وتخفيفها العقرب والمغدفة بالدال والفاء المظلمة يقال اغدف الليل اذا اشتد
ظلامه وروي المغدفة بفتح الدال اي الخفية واصله ان المرأة تغدف وجهها بالقناع وزاح الباطل [illegible]
ونصابه اصله ومقره ولا افرطن لاملأن والشغب بالتسكين المشاغبة وتهييج الشر والماتح بنقطتين
من فوق المستقي وبنقطتين من تحت الذي يملأ الدلو في البئر والعب الشرب والحسي بكسر الحاء وسكون
السين الماء الذي يشربه الرمل فينتهي الى ارض صلبة تحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج واعلم ان قوله والله ما
قوله ولا لبس علي قد تقدم تفسيره في قوله الا وان الشيطان قد ذمر حزبه وفي فصل قبله برواية اخرى

فلا حاجة الى اعادته واما قوله وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة فقال بعض الشارحين
في تعريف الفئة بالالف واللام تنبيه على انه كان من عنده علم من الرسول صلى الله عليه انه ستبغي عليه فئة
من غير تعيين لها فلما خرجت هذه الفئة علمها بامارتها وقد سبق ايضا تفسير الحما والحمة على بعض
الروايات واما على هذه الرواية فاستعار الحمة للقتل والفساد الذي كان في صدور هذه الفئة ووجه الاستعارة
استلزامه لتكدير الاسلام واثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماة الماء وتخبثه او استلزامه
للاذى والقتل كما يستلزم ذلك سم العقرب واشار بالشبهة المغدفة الى شبهتهم في الطلب بدم عثمان
واستعار لها لفظ الظلمة لعدم اهتداء اكثر الخلق فيها حتى قتلوا تشبيها كما لا يهتدي في الليل المظلم
وقوله وان الامر لواضح الى قوله شغبه نفى لتلك الشبهة عن نفسه وولايته وان الحق واضح في حاله لا
اصل للباطل فيه ولا لسان يشغب به ولفظ اللسان استعارة والشغب ترشيح لها وباقي الفصل
قد تقدم تفسيره ايضا في الفصل المذكور منها فاقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها
تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم انهما قطعاني وظلماني
ونكثا بيعتي والبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما
املا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستانيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية
اقول العوذ جمع عوذة وهي الناقة المسنة والمطافيل جمع مطفل بضم الميم وهي قريبة العهد
بالنتاج والتاليب التحريض وابرمت الامر احكمته واستثبتهما بالثاء المثلثة طلبت رجوعهما
ويروى بالتاء من التوبة واستانيت انتظرت وهذا الفصل احتجاج على طلحة والزبير ومن تابعهما
على نكث بيعته فقوله فاقبلتم الى قوله فجاذبتموها يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل
الاول وتلخيصها انكم اجتهدتم علي في طلب البيعة حتى بايعتكم واخذت عهودكم وتقدير الكبرى
وكل من اجتهد اجتهادكم الى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بعهده والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى
الكتاب يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية وقد شبه اقبالهم عليه طالبين
للبيعة باقبال مسنات النوق على اطفالها ووجه التشبيه شدة الاقبال والحرص على مبايعته وخص
المسنات لانها اقوى حنة على اولادها ونصب البيعة على الاغراء وفائدة التكرير في الاغراء تاكيد الامر
الدال على شدة الاهتمام بالمامور به وقال بعض الشارحين فائدة التكرار دلالة المنصوب الاول
على تخصيص الامر الاول بالحال ودلالة الثاني على تخصيص الامر الثاني بالمستقبل اي خذ البيعة في الحال
وخذها للاستقبال قال وكذلك قوله الله الله اي اتقوا الله في الحال والتقوى في الاستقبال واقول ان ذلك غير
مستفاد من اللفظ باحدى الدلالات وقوله اللهم الى قوله على نكث بيعتي اليه منهم في امور ثلاثة
قطع رحمه وظلمهما له بمطالبتهما له بغير حق لهما عنده ثم نكث بيعته ثم رجع الناس على قتاله وقوله
فاحلل دعا عليهما بامور ثلاثة ان يحل ما عقدا من العزوم الفاسدة التي فيها هلاك المسلمين وان لا يحكم ما ابرما
من الاراء في حربه وان يريهما المساءة في امالهما واعمالهما اي عكس اغراضهما فيهما واستجابة دعائه

ظاهرة

ظاهرة بقتلهما وقوله ولقد استثبتهما الى قوله الوقاع اظهار لعذره مع الناس في حربهما قبل وقائع
الحرب بانه في حربهما واستعطافه لهما في الرجوع الى الحق او استتابته لهما من ذنبهما في نكث البيعة
وقوله فغمطا الى آخره بيان لجوابهم عن اعذاره اليهم وسوء مقابلتهم نعمة الله اي قسمتهما من الغنى بالاعتقاد لها والنظر عليها اذ كان احد الاسباب الباعثة لهما على مشاقته تسويته بينهم وبين غيرهم
في العطاء وكذلك مقابلتهم السلامة والعافية من بلاء الحروب والشقاق وضلال الدين والنفس في عاقبة
فعلهما برد هما لها والاصرار على الحرب والمبادرة من غير نظر في عاقبة امرهما وبالله التوفيق

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُومِئُ فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلَاحِمِ يعطف الهوى على الهدى اذا
عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الراي على القران اذا عطفوا القران على الراي اقول الاشارة في هذا
الفصل الى وصف الامام المنتظر في آخر الزمان الموعود به في الخبر والاثر فقوله يعطف الهوى على الهدى
اي يرد النفوس الجائرة عن سبيل الله المتبعة لظلمات اهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها المختلفة الى
سلوك سبيله واتباع انوار هدايته وذلك اذا ارتدت تلك النفوس عن اتباع انوار الهدى الله في سبيله
الواضح الى اتباع اهوائها في آخر الزمان وحين ضعف الشريعة وزعمت ان الحق والهدى هو ذلك
وكذلك قوله ويعطف الراي على القران اذا عطفوا القران على الراي اي يرد كل راي راه غيره الى القران
فيحملهم على ما وافقه منها دون ما خالفه وذلك اذا تاول الناس القران وحملوه على آرائهم وردوه الى
اهوائهم كما عليه اهل المذاهب المتفرقة من فرق الاسلام كل على ما خيل اليه وكل يزعم ان الحق
ان الحق الذي يشهد به القران منوما راه وانه لاحق وراه سواه وبالله التوفيق منها
حتى تقوم الحرب بكم على ساق باديا نواجذها مملوءة اخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها
الا وفي غد وسياتي غد بما لا تعرفون ياخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي اعمالها وتخرج له الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب
والسنة اقول اخلاف الناقة حلمات ضرعها وافاليذ جمع الجمع لفلذ وهي القطعة من الكبد و
جمعها فلذ فقوله حتى تقوم الحرب بكم على ساق الى قوله عاقبتها كانه غاية لتخاذلهم عن طاعته في امر الحرب ولقاء العدو كانه يقول انكم لا تزالون متخاذلين متقاعدين حتى يشتد العدو
ويقوم بكم الحرب على ساق وقيامها على ساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وبدو نواجذها
كناية عما تستلزمه من الشدة والاذى وهو اوصاف الاسد عند غضبه كانه حاول ان يستعير
لها لفظ الاسد فاتى بوصفه وقال بعض الشارحين بدو النواجذ في الضحك اي تبلغ بكم
الحرب الغاية كما ان غاية الضحك ان تبدو النواجذ وهي اقصى الاضراس فكنى بذلك عن اقبالها قلت
هذا وان كان محتملا الا ان الحرب مظنة اقبال الغضب لا اقبال الضحك فكان الاول انسب و
كذلك قوله مملوءة اخلافها استعارة لوصف الناقة لحال استعداد الحرب واستكمالها عدتها
ورجالها كما استعمل ضرع الناقة اللبن وقوله حلوا رضاعها استعارة لوصف المرضع لها وكنى

بعلاوة رضاعها عن اقبال اهل النجدة في اول الحروب عليها فكل منهم يحب ان يناجي فيه ويتجلى
مقالته كما يتجلى الواضح ابن ابيه ولذلك استعاد لفظ العلقم لعاقبتها ووجه الاستعارة
المشابهة بين المرارتين العقلية الحسية والعقلية والمصوبات المذيعة باديا ومهلتها وحلوا وعلقما
احوال والمرفوعات بعد كل منها فاعلة وانما التقع عاقبتها عن علقما مع انه اسم صرح لقيامه مقام
اسم الفاعل كانه قال مرتبع عاقبتها **وقوله** الا في غدا خبار عن بعض الامور التي ستكون **وقوله**
سياتي غد بالاتعرفون المراد به تعظيم شان الموعود لمجيئه وبيان لفضيلته عليه اللام بعلم ما جهلوه
وهو جملة اعتراضية كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران
كريم فقوله وانه لقسم اعتراض **وقوله** باخذ الوالي من غيرها عمالها يشبه ان يكون قد
سبقه ذكر طايفة من الناس ذات ملك وامر فاخبر عليه اللام ان الوالي من غير تلك الطايفة
ويومي به الى الامام المنتظر باخذ عمالها على مساوي اعمالها اي يواخذهم بذنوبهم **وقوله** وتخرج له الارض
افاليذ كبدها استعاد لفظ الكبد لما في الارض من الكنوز والخزاين ووجهها مشابهة الكنوز
للكبد في العزة والخفاء ورشح بذكر الافاليذ وقد ورد ذلك في الخبر المرفوع ومن لفظة وقاءت
له الارض افلاذ كبدها وفسر بعضهم قوله واخرجت الارض اثقالها بذلك فاما كيفية ذلك الا
خراج فقال بعض المحققين يوما شاره الى ان جميع ملوك الارض تسلم اليه مقاليدها اما
طوعا وكرها وتحمل اليه الكنوز والذخاير واسند الاخراج الى الارض مجازا لان الخروج اهلها
واستبعد ان يكون الارض بنفسها هي المخرجة لكنوزها والامسك الظاهر ان تقولوا ان المخرج يكون
هو الله تعالى ويكون ذلك من معجزات الامام ولا مانع منه **وقوله** وتلقى اليه سلما مقاليدها
استعار لفظ الالقا الى الارض مجاز الان الملقي للمقاليد سلما هو اهل الارض وكنى بذلك
عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين لاوامره ونجبت حكمه وسلما مصدر سد مسد الحال ثم اخبر
انه سيريهم عدل سيرته وانه يحيي ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت استعارة لما ترك منهما
ى تقطع اثره والانتفاع به كما ينقطع اثر الميت **فان قلت** قوله وبريكم يدل على
ان المخاطبين يدركون المخبر عنه ويرون عدله مع انكم قلتم انه يكون في اخر الزمان فكيف وجه
ذلك **قلت** خطاب الحاضرين من الامة كالعام لكل الامة وذلك لسابر خطابات
القران الكريم مع الموجودين في عصر الرسول فانه يتناول الموجودين الى يوم القيامة ثم يخرج
المخاطبون بدليل العادة اذ من عادتهم ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره فيبقى الموجودون
في زمانه وبالله التوفيق **منها** كاني به وقد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان
فعطف عليها عطف الضروس وفرش الارض بالرؤوس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض وطاته
بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض حتى لا يبقى منكم الا قليل كا
لكحل في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب احلامها فالزموا السنن

القايمة والاثار البينة والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني لكم طرقه لتتبعوا
عقبه **اقول** نعق الغراب ونعق الراعي بغنمه بالعين والغين صاح وفحص المطر التراب قلبه
والفحص البحث وكوفان اسم للكوفة وضواحيها نواحيها البارزة والضروس الناقة السيئة الخلق
تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه واكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه ويشير بسهل
والعقب بكسر القاف موخر القدم وقد اخبر في هذا الفصل انه سيظهر رجل بمجموع الصفات
قال بعض الشارحين هو عبد الملك بن مروان وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة
من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن ابي عبيدة الثقفي
فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة ثم قتل مصعبا ودخل الكوفة وبايعه اهلها وبعث
الحجاج بن يوسف الى عبدالله بن الزبير فقتله وهدم الكعبة وذلك في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة
وقتل خلقا عظيما من العرب في وقايع عبد الرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف وفي الفصل
لطايف **الاولى** اطلق لفظ النعيق لظهوره وامره ودعوته بالشام مجازا وكذلك لفظ الفحص لقلبه اهل
الكوفة بعضهم على بعض وتقصه لما انتهت التي كانوا عليها ثم شبه عطفه وحمله عليها بعطف الناقة
الضروس ووجه التشبيه شدة الغضب والحنق والاذى الحاصل بينهما **الثانية** فرشه للارض
بالرؤوس كناية عن كثرة قتله فيها وذلك مما تشهد به التواريخ وفغر فيه استعارة لبعض اوصاف
السبع الضاري كنى به عن شدة اقدامه على القتل واقباله على الناس لشدة الغضب والاذى وكذلك
ثقل وطاته في الارض كناية عن شدة باسه وتمكنه في الارض **الثالثة** بعد جولته كناية عن اتساع ملكه
وجولان خيله ورجله في البلاد البعيدة وبعيد وعظيم مرفوع ومن روى بالرفع فهما خبر مبتدا محذوف
الرابعة لا نزاع من صفاته العامة بين لهم ما سيفعله معهم من التشريد والطرد في اطراف البلاد وارد
ذلك بالقسم البار وذلك اشارة الى ما فعل عبدالملك ومن ولي الامر من ولده في بقايا الصحابة والتابعين
ما جعلهم معهم في الاستقصاء والاجتياح والطرد والقتل ظاهر وشبه البقية منهم بالكحل الذي
يكون في العين من الكحل ووجه المشبه الاشتراك في القلة **الخامسة** اخبر انهم لا يزالون كذلك اي
بالحال الموصوفة مع عبدالملك ومن بعده من اولاده حتى يعود الى العرب عوازب احلامها اي ما كان
ذهب من عقولها العاملة في نظام احوالهم والعرب هم بنو العباس ومن معهم من العرب ايام ظهور
الدولة كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن وكبني زريق الى طاهر بن الحسين واسحق
ابن ابراهيم المصعبي وعدادهم في خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس وقيل ان ابا مسلم اصله
عربي وكل هؤلاء كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين في دولة بني امية لم ينهض لهم ناهض الى
ان اتاح الله تعالى عليهم ما كان عزب عنهم من حمياتهم فنادوا للدين وللمسلمين من جور بني مروان واقاموا
سوق الامن وازالوا تلك الدولة **فان قلت** ان قوله حتى يؤوب يدل على انقطاع ملك الدولة بظهور العرب
وعود عوازب احلامها وعبدالملك مات وقامت بنوه بعده بالدولة ولم يزل الملك عنه بظهور العرب فاين فاين

العاية قلت ان تلك الغاية ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية من كونهم لا يزالون مشردين في البلاد
وذلك الانقهار وان كان أصل ابن عبد الملك لكنه استمر في زمن اولاده الى حين انقضاء دولتهم فكانت
غايته ما ذكر وقال بعض الشارحين في الجواب ان اولاده ملكه وما زال الملك عن بني مروان
حتى آبت الى العرب عوازب احلامها وهذا جواب من لم يتدبر كلامه عليه السلام ولم تتبع الفاظ الفصل
حتى يعلم ان هذه الغاية لاي شيء هي وفيه انها به تفرأمورهم بلزوم سنن الله ورسول الغاية فيهم من بعده وانما
رغ البينة فيهم وعضد القريب بينهم وبينه ووجهه عليهم ذلك الاسوة الحال ونزل تلك الشدائد به
بهم اذا نزل بكم ما وصف فلتكن وظيفتكم لزوم ما ذكرت ثم نبههم على ما في سهولة المعاصي وفي
تسهيل نفوسهم الامارة بالسوء عليهم طرق المحارم من الجرأة وهوان ينقاد لها النفوس العاقلة فتضلها
عن سبيل الله ويقودها الضلال الى الهلاك الاخروي وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
في وقت الشورى لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا قولي
وعوا منطقي عسى ان تروا هذا الامر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود وحتى يكون
بعضكم ائمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة اقول هذا من جملة كلام قاله عليه السلام لاهل
الشورى وقد ذكرنا طرفا من اخبارها فقوله لن يسرع احد الى قوله كرم تقرير لفضيلته ليسمع قوله
ولذلك قال بعده فاسمعوا قولي وعوا منطقي وذكر فضايل ثلاثا الدعوة الى الحق الذي لن يسارعه احد اليها
الا سرعه وهي ثمرة العدالة وصلة الرحم وعائدة الكرم وهما فضيلتان تحت ملكة العفة والذي امرهم
بما هو على التنبيه على عاقبة امر الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعده بما على ما حضر من
الخبط والاختلاط فيها فكانه يقول اذا كان حال هذا الامر هذه الحال من الخبط والاختلاط فيها ومجاذبة
من لا يستحقه لمن يستحقه والتغلب فيه على اهله فعسى ان تروه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيه
بالسيوف وتخان فيه العهود ومواثيق الى ما علمه من حال البغاة والخوارج عليه والناكثين لعهد
بيعته فقوله حتى يكون بعضهم ائمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة غاية للتغالب على هذا الامر وائمة
بالائمة الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى اتباعهم وباهل الجهالة الى معوية ورؤسا الخوارج وسائر
اشياع بني امية وشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
في النهي عن غيبة الناس وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان يرحموا اهل الذنوب
والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيره
ببلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم من الذنب الذي عابه به وكيف يذمه
بذنب قد ركب مثله فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم
الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اعظم يا عبد الله لا تعجل في
عيب احد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكفف
من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على ما ابتلي به غيره

اقول

اقول اهل العصمة هم الذين اعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة في
ايدي نفوسهم العاقلة فخلصوا من ذلك على ملكة ترك الذنوب والانجذاب عن ولوج ابواب المحارم اولئك هم الذين
اصطنع الله اليهم السلامة من الانحراف عن سبيله والوقوع في مهاوي الهلاك فنبههم اولا على ما ينبغي لهم
وهو ان يرحموا اهل الذنوب ويجعلوا تلك الرحمة منهم باعتبار حال العصاة ووقوعهم في مهاوي الهلاك
ومن عادة عباد الله الرحمة لمن يرونه في مهلكة بانقاذه واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر
هو الغالب عليهم والحاجز لهم وذلك باعتبار عدم مشاركة اهل المعاصي لما انعم الله عليهم به من اعانته
لهم على قهر شياطينهم التي هي موارد الذنوب وقوله فكيف بالعائب شروع في تنبيه من هو دون اهل
العصمة ممن يرتكب كبيرة او صغيرة على ما ينبغي له من ترك الغيبة فكانه قال فهذا هو ما ينبغي لاهل العصمة
فكيف يليق بغيرهم ممن يعيب اخاه ويعيره ببلواه ان يعيبه بل ينبغي لمثله ان يترك الغيبة ويشكر الله
بطريق الاولى وذلك باعتباره موضع ستر الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم مما عاب اخاه به وذلك نعمة لله يجب
شكره عليها واشار بموضع ستر الله عليه الى النعمة المصطنعة عنده وهي تاهيله واعداده له والا ستعناه على
سبيل الانكار ثم اخذ يتعجب من ذم العائب لاخيه بذنب ومثله في صورة احتجاج عليه في ارتكابه لهذا
الذنب وذلك قوله كيف يذمه الى قوله مما عند الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه اما ان يكون
بذنب قد ركب العائب مثله او اكبر منه او اصغر فان كان بذنب قد ركب مثله او اكبر كان له في عيب
نفسه شغل عن عيب غيره وان كان ارتكب اصغر منه فهو ممنوع على تقدير جرأته على الغيبة وصدورها عنه لانها
من الكبائر وانما قال هي اكبر مما عند الله اما مبالغة اولان المفاسد التي يشتمل عليها ارتكاب سائر المنهيات
جزئية ومفسدة الغيبة كلية لانه لما كان من المقاصد المهمة للشارع اجتماع النفوس على هم واحد
وطريقة واحدة وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوه الاوامر والنواهي ولن يتم ذلك الا بتعاونهم
وتصافي بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ولن يتم ذلك الا بنفي
الضغاين والاحقاد والحسد ونحوه وكانت الغيبة من كل منهم لاخيه مثيرة لضغنه ومستدعية منه مثلها
في حقه لاجرم كانت ضد المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية ولذلك اكثر الله تعالى ورسوله من النهي
عنها كقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الآية استعار لما يقرضه العائب من عرض اخيه لفظ اللحم
وارده تقبيحا وتكريها بصفة الميت فقال ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا وقال صلى الله عليه اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى
يغفر له صاحبه وعنه صلى الله عليه مررت ليلة اسري بي فرايت قوما يخمشون وجوههم باظافيرهم
فسالت جبرئيل عليه السلام عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفي حديث البراء بن عازب خطبنا
رسول الله صلى الله عليه حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال الا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع
عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته ثم نهى عن الاستعجال والتسرع الى العيب
ونبه على وجوب ذلك الانتهاء باحتمال ان يكون الذنب الذي يعيب اخاه به مغفورا له وان كان كبيرا او ذلك

في الغيبة

لاحتمال ان يكون حالة لم يمكن من جوهر نفسه ونهى عن ان يأمن على نفسه صغير معصية يرتكبها لاحتمال
ان يعذب عليها لصغيره وربما ملكة متمكنة من جوهر نفسه ثم عاد الى الامر بالكف عن العيب باعتبار
ما يعلم الانسان من عيب نفسه وان يكون الشكر دأبه على السلامة من التورط في مورد الهلكة الذي سلكه
صاحب الذنب وابتلاه الله به واعلم ان تعريف الغيبة يعود الى ذكر الانسان بما يكره نسبته اليه
مما يعد نقصانا في العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص والذم سواء كان ذلك النقصان عدم كمال بدني
كالعور والعمى او نفساني كالجهل والشره والظلم او عدم كمال من خارج كسقوط الاصل ودناءة الاباء واحترزنا
بالقيد الاخير في تعريفها عن قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدعاء الرحمة
من السلطان في حق الزمن والاعمى بذكر نقصانهما ثم الغيبة قد تكون باللسان وهي الحقيقية وقد تكون بالا
شارة وغيرها من سائر ما يعلم به انتقاص اخيك والتنبيه على عيبه وهي غيبة مجازا لقيامها مقام الغيبة
ولها اسباب غائية **احدها** تشفي الغيظ فان الانسان كثيرا ما يشفي غيظه بذكر مساوي من
غاظه **الثاني** المباهاة والتفاضل كما يقول من يتعاطى الانشاء والشعر كلام فلان ركيك وشعره
بارد **الثالث** اللعب والهزل وتزجية الوقت فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين **الرابع** ان يستشعر من
غيره انه يقصده بسعاية عند السلطان مثلا فيقصد سبقه بذكر مساويه ليسقط شهادته عنده عليه وقد يكون
لها غايات اخر وقد وردت الرخصة في غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه كالخمار والمخنث والعشار الذي ربما
يفتخر بعيبه ولا يستحيي منه قال النبي صلى الله عليه من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له لكن
تركها الى السكوت اولى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايها الناس من عرف
من اخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي الرامي ويخطئ السهام ويحيك
الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع فسئل عليه السلام عن معنى
قوله هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رأيت
اقول احاك الكلام يحيك اذا عمل واثر وكذلك حاك ويروى يحيل اي يبطل ويبور يهلك وهذا الفصل
نهي عن التسرع الى التصديق بما يقال في حق مستور الظاهر المشهور بالصلاح والتدين من العيب والقدح
في دينه ومنهي عن سماع الغيبة بعد نهيه عنها نفسها واليه الاشارة بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم نبه على جواز الخطأ على
المتسرعين الى الغيبة بالمثل فقال اما انه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ووجه مطابقة هذا المثل ان الذي
يرمي غيره قد يكون بريا منه فيكون الكلام في حقه غير مطابق ولا صائب كما لا يصيب السهم الذي يرمي به فيخطئ
الغرض وعلى الرواية بالكاف ويحيك الكلام اي ان السهم قد يخطئ فلا يؤثر والكلام يؤثر على كل حال وان لم
يكن حقا فانه يسود العرض ويلوثه في نظر من لا يعرفه **وقوله** وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد يجري
مجرى التهديد وتحقير ثمرة ذلك القول الكاذب الذي لا يبقى من مال او جاه او نحوهما بالنسبة الى عظم عقوبة
الله وغضبه الباقي فان سمعه وشهادته مستلزمان لغضبه المستلزم لعقوبته **وقوله** اما انه ليس بين الحق

والباطل

والباطل الا اربع اصابع فتفسيره الفعل المذكور وتفسيره ذلك الفعل هو قوله الباطل ان تقول سمعت
والحق ان تقول رأيت ثم هنا لطيفتان **فالاولى** ان قوله الباطل ان تقول سمعت لا يستلزم الكلية حتى
يكون كل ما سمعناه باطلا فان الباطل والمسموع مهملان **الثانية** ان الحق ليس هو قوله رأيت بل المرئي له والباطل
ليس هو قوله سمعت بل القول المسموع له وانما قوله رأيت وسمعت اخبار عن وصول صورة المرئي والمسموع الى
بصره وسمعه فاقام هذين الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال
ما دام منعما عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة
وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب
فان فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة ان شاء الله تعالى **اقول** لما كان لواضع
المعروف سواء كان في اهله او في غير اهله ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل كان مما يتميز به وضعه في
غير اهله عن وضعه في اهله ان الاول انما يحصل له بوضعه الحمد من لئام الناس اي ساقطي الاصول والسفهاء ولذلك
الاشرار والجهال لعدم معرفتهم بوضع الاشياء في مواضعها التي هي مقتضى العقل الذي به نظام امور الدنيا وقوام
نوع الانسان في الوجود مع انه في الحقيقة وعند اولي الالباب العارفين بمواقع المعروف بخيل في جنب الله تعالى
واما الثاني فيحصل له الحمد من الكل في الدنيا محمدة مطابقة للحق مع الثواب الجزيل في الاخرى فلا
جرم كان اشارة الى الاول بقوله فليس لواضع المعروف الى قوله وهو عن ذات الله بخيل **وقوله** ما اجود
يده متعلق بمقالة اي ذلك هو الامر الذي يقولونه ما دام منعما عليهم وانما قيد بهذا القيد لان الجاهل قد يعتقد
ان ما يسدى اليه حق له فربما دام حمده بدوام ذلك الانعام لكن ينقطع بانقطاعه واما الشرير فكثيرا
ما يعتقد انما يسدى اليه لشره وخوف اذاه فيترك شكر المنعم ما دام منعما حتى اذا انقطع انقلب حمده
شرا عوض شكره استجلابا لمثل الانعام المنقطع واستفادة له واما الثاني فنبه اولا على مواضع المعروف
واشرف وضعه فيها وذكر منها خمسة **الاول** صلة الرحم **الثاني** الضيافة **الثالث** فك الاسير وفك العاني
وانما اختلف اللفظ **الرابع** اعطاء الفقير والغارم وهو من عليه دين **الخامس** الحقوق الواجبة على امثالها كالزكوات
والمستحبة كالصدقات فاشار بالنوائب الى ما يلحق الانسان من المصادرات والغرامات التي يفك بها
الانسان نفسه من ايدي الظالمين والمستهم والانفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان والفضائل الخلقية
داخلة تحت فضيلة الكرم والاشارة الى ذلك بقوله فمن آتاه الله الى قوله ابتغاء الثواب وفيه تنبيه الغاية اعني
المفعول له على ان الانفاق في هذه الوجوه انما يكون وضعا للمعروف في موضعه اذا قصد به وجه الله تعالى فاما اذا
قصد به الرياء والسمعة فهو وان عد في ظاهر الشرع مجزيا الا انه غير مجز ولا مقبول في باطنها ثم اشار بقوله
فان فوزا بهذه الخصال الى آخره الى ما يتميز به عن وضع المعروف في اهله وهو شرف مكارم الدنيا من الذكر
الجميل بين الناس والجاه العريض ودرك فضائل الآخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود لاولي الفضائل
بل المقصود به وانما نكر الفوز لاجل تنكيره ليفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل باي خصلة كان من خصاله

وهذا وإن كان حاصلاً مع الألف واللام لتعريف نفس الطبيعة إلا أن التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة و
المعهود الخارجي فكان موهماً للعموم بخلاف ذلك فكان الإتيان به منكّراً أفصح وأبلغ وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء: ألا وإن الأرض التي تقلّكم والسماء التي
تظلّكم مطيعتان لربكم وما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجّعاً لكم ولا زلفة لكم ولا لخير
ترجوانه منكم ولكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا إن الله يبتلي
عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب و
يقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق
ورحمة الخلق فقال استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين
فرحم الله امرأً استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم إنا خرجنا إليك من تحت الأ
ستار والأكنان وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين
من عذابك ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا
بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين اللهم إنا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك حين ألجأتنا المضا
يق الوعرة وأجاءتنا المقاحط المجدبة وأعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة
اللهم إنا نسألك ألا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا بأعمالنا
اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك ورحمتك واسقنا سقياً ناقعة مروية معشبة
تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى تروي بها القيعان وتسيل البط
نان وتستورق الأشجار وترخص الأسعار إنك على ما تشاء قدير. أقول: أقلع عن خطيئته إذا رجع
عنها وتاب والمناوة المواثبة والزلفة القربى والمنّة والواجم الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام
والناقعة المروية والقيعان جمع قوع وقاع وهو المستوي من الأرض والبطنان جمع البطن وهو ما انخفض
من الأرض واعلم أنا بينّا فيما سبق أن الجود الإلهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وإنما يكون منع الكمالات في هذه الحياة
لعدم الاستعدادات لها فكل مستعد لا بد أن يلاقي أو يفيض عليه إذا عرفت ذلك فاعلم أنه عليه السلام
صدّر هذا الفصل بتنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمة الله التي ارتفعت عنهم بحبس المطر وذلك
في قوله ألا وإن الأرض إلى قوله فقامتا فنبّههم أولاً في ذلك الصدر على أن الأرض التي هي كالأم للنبات والزرع
والسماء التي هي كالأب مطيعتان لربهم وأشار بالسماء إلى السحاب أو إلى السماوات لكونها بحركاتها أسباباً
معدّة لكل ما في هذا العالم من الحوادث وأشار بطاعتهما إلى دخولهما تحت حكم القدرة الإلهية وأشار بقوله
وما أصبحتا إلى قوله ترجوانه منكم إلى لطيفة وهي أن الحوادث التي في هذا العالم من الغايات ليست مقصودة
بالذات لها فيكون منها لأجل توجّع الناس أو لأجل قرابة ومنزلة بينهم وبينها ولا لخير ترجوانه منهم كما
هو المتعارف من منافع الناس بعضهم لبعض لأن السماوات والأرض غنية عما لدى الناس وإن كانت السماوات متحركة
دائماً لطلب كمالاتها اللائقة بها من واهبها جل وعلا ومستخرجة بإزاء عوض من هذه الحركات والاتصالات

لعباد

إعداد الأرض لقبول النبات والزرع ووجود الحيوانات التي هي أرزاق لها وبها قوام وجودها فكانت مصالح
هذه الحيوانات إذن منوطة بتلك الحركات وجارية على وفقها بإذن المدبر الحكيم سبحانه وإلى ذلك أشار
بقوله ولكن إلى قوله فقامتا وغرضه مما سبق إلى هيهنا أن يتقرر في النفوس عظمة الله سبحانه وأن
الأرزاق وأسبابها منوطة إليه وبيده حتى تتوجه النفوس إليه بالإقلاع عن الذنوب التي هي حجب لها عن إفاضة
الرحمة عليها منه ثم نبّه بعد أن الله سبحانه إنما يفعل ما يفعل من نقص الثمرات وحبس البركات
وإغلاق خزائن الخيرات عن الخلق عند أعمالهم السيئة ابتلاء لهم لقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف
والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين وقد علمت معنى ابتلائه لهم ثم
بيّن أن غاية العناية الإلهية من ذلك الابتلاء رفع حجب النفوس التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك
لقبول رحمة الله بالتوبة والإقلاع عنها والازدجار عنها وتذكير العبد أحوال جلال عظمته وما أعده لأوليائه
الأبرار في دار القرار وما أعده لأعدائه الأشرار في دار البوار ثم نبّه على أن الله سبحانه جعل الاستغفار سبباً لدرور
الرزق والرحمة ولما كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العبد أن يفتضح بها وذلك إنما
يكون بمحوها عن لوح نفسه لا جرم كان المستغفر المخلص ماحياً لخطيئته باستغفاره عن لوح نفسه وبذلك
يكمل استعداده لإفاضة رحمة الله عليه في الدنيا بإنزال البركات وفي الآخرة برفع الدرجات وإلى ذلك
الإشارة بالشاهد العدل قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم
مدراراً الآيات وقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض الآية وقوله
ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله وأن لو استقاموا
على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ثم دعا لمن استقبل توبته أي شرع في الاستعداد بها ولمن
استقال خطيئته أي طلب الإقالة من الإلزام بعاقبتها ولم تبعاتها ومن العقاب عليها والمؤاخذة بها ولمن بادر منيته
وعاجلها قبل إدراكها له بالتوبة وكل ذلك تنبيه على الاستعداد وطلب له منهم إذ كان لا يتم المطلوب بدونه
ولفظ الإقالة استعارة ووجهها أن الخاطي كالمعاهد والملتزم لعقاب أخروي بلذة عاجلة لما علم من استلزام
تلك اللذة المنهي عنها للعقاب فهو طالب الإقالة من هذه المعاهدة كما يطلب المشتري الإقالة من البيع
وقوله اللهم إنا خرجنا إلى آخره لما قدّم الأمر بالاستعداد لرحمة الله رجع إليه في استنزالها عليهم فقدّم في الدعاء
ما عادته أن يقدّم بين يدي الملوك من الكلام الموافق للطباع والموجب للعطف والرحمة فذكر الخروج من تحت الأ
ستار والأكنان التي ليس من شأنها أن تفارق إلا لضرورة شديدة وكذلك عجيج البهائم والولدان
وأصواتها المرتفعة بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهي الرغبة في رحمته والرجاء لفضل نعمته والخوف
من عذابه ونقمته وهذه جهات المساعي البشرية ثم سأل بعد ذلك المطالب وهي السقيا وعدم اليأس من
المبعد للرحمة وعدم الهلاك بالجدب وأن لا يؤاخذهم بأفعال السفهاء من المعاصي المبعدة عن رحمته كقوله تعالى
حكاية عن موسى عليه السلام أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم عاد إلى تكرير شكوى الجدب بذكر أسبابها الحا
ملة عليها لتكون أتم للعذر والمقاحط أماكن القحط أو سني القحط وظاهر كون الجوع والقحط وسائر

المشتبهات من الخطيئة اي صارفة للقلوب عما يراد بها ثم عاد الى طلب اجابة دعائه **وقوله** ولا تقاطبنا بذنوبنا اي لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اي لا تجعل معاقبتنا مقايسة لاعمالنا السيئة ومشابهة لها وسيئة مثلها ثم عاد الى طلب انواع ما يطلب منه سبحانه باتم ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي الى آخره وهو ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**

بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق الا ان الله تعالى قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة على غيرهم **اقول** هذا الفصل مناف بينه وبين جمع من الصحابة الذين كانوا ينازعونه الفضل والبواء الكفو **فقوله** بعث رسله الى قوله سبيل الحق كقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولسان الصدق يقول لسان الشريعة الناطقة عن مصباح النبوة والمشتمل عن نور الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة اليه تعالى التي طابقت على الهداية اليها السنة الرسل والاولياء وصدر الفصل بذلك لاشتماله على فضيلة الانبياء ليبنى عليه فضيلة بيته **وقوله** الا ان الله الى قوله بواء كلام جرى مجرى التهديد لمن نازعه باطلاع الله على اسرارهم وان ما كلفهم به انما هو ابتلاء منه لهم ايهم احسن عملا وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه غير مرة واراد بالكشفة الاختبار والابتلاء ايضا **ثم** عقب ذلك بالاستفهام عن الذين زعموا انهم افضل منه وذلك ان قوما من الصحابة كان منهم يدعي الافضلية في فن من العلم فمنهم من كان يدعي انه افرض ومنهم من كان يدعي انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه اعلم بالحلال والحرام ورووا افرضكم زيد بن ثابت واقرأكم ابي ورووا مع ذلك اقضاكم علي وذلك الاستفهام على سبيل الانكار والتقرير وفيه بالتكذيب لهم فيما ادعوه من الافضلية ثم ان كان ما رووه حقا مع ان القضاء يحتاج الى جميع ما ادعوه فضيلة لهم ثبت انه عليه السلام افضلهم لاجتماع ما تفرق فيهم من الفضائل وان لم يكن حقا مع انوار فضائله مستطيرة في آفاق الصدور فقد ظهر فضله عليهم وذلك وجه التكذيب لهم ثم اشار الى العلة التي حملتهم على الكذب فيما ادعوه وهو قوله ان رفعنا الله اي رفع درجاتنا في الدنيا والآخرة على الكافة ووضعهم دوننا وان وما بعدها نصب على المفعول له واعطانا اي الملك والنبوة وحرمهم ذلك وكذلك ادخلنا بعنايته الخاصة بنا فيما اعطانا واخرجهم من ذلك **وقوله** بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى العمى فاستعار لفظ العمى للجهل ورشح بذكر الاستجلاء وما كانوا عليهم السلام المعدين لاذهان الخلق لقبول انوار الله والمرشدين لنفوسهم الى سبيل الله لاجرم كان يستعطى الهدى من الله بواسطة اعلامهم اعدادهم نفوسهم على النفوس هداها وبواسطة اعطائهم القوانين الشرعية الكلية والجزئية يستجلى الجهل من واهب ذلك الجلاء وهو كناية عن الاستعداد ايضا **وقوله** ان الائمة من

قريش الى آخره لفظ النص المشهور عن الرسول صلى الله عليه الائمة من قريش وتخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم اما على مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعه كما يجب اتباع نص الرسول صلى الله عليه لاعتقادهم عصمته واما على مذهب الباقين من المسلمين فواجب الاتباع ايضا لقوله عليه الصلاة والسلام انه لمع الحق وان الحق معه يدور حيث دار ومراده بهذا البطن اما على مذهب الاثنى عشرية فنفسه مع الاحد عشر من ولده منصوص على كل منهم على من بعده مع كونهم معصومين واما على مذهب الباقين من الامامية فكل منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد امامته لا يصلح على من سواهم اي لا يكون لها صلاح على يد غيرهم ولا تصلح الولاة من غيرهم **منها** آثروا عاجلا واخروا آجلا وتركوا صافيا وشربوا آجنا كاني انظر الى فاسقهم وقد صحب المنكر فالفه وبسئ به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم اقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق او كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والابصار اللامحة الى منار التقوى اين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار باعمالهم ودعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا **اقول** يجيء بوا القه واستانس به واعلم ان ضمير الجمع في آثروا واخروا وما بعده ضمائر مهملة يصدق اطلاقها على الجماعة وان كان المعنى بها بعضهم وهذا الكلام يصدق على من تخلف من الناس الى زمانه ممن هو غير مرضي الطريقة وان كان سعد واسامة من الصحابة بالطاعة كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعوية ونحوهم من امراء بني امية من آثر عاجل الدنيا وتاوز عليه واخر آجل ثواب الاخرى فتركه ورآه ظهرا وترك ما ذكر به من تلك اللذات الصافية عن كدورات الدنيا والعلايق البدنية الى اللذات الوهمية الآجنة لشوبها بالاعراض والامراض والتغير والزوال واستعار لفظ الآجن للذات الدنيا ملاحظة لتشبيهها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير طعمه ورشح بذكر الشرب **وقوله** كاني انظر الى فاسقهم يحتمل ان يريد فاسقا معينا كعبد الملك بن مروان ويكون الضمير عائدا الى بني امية ومن تابعهم ويحتمل انه يريد مطلق الفاسق اي من يفسق من هؤلاء فيما بعد ويكون بالصفات التي ذكرها من صحبه المنكر والفه له وموافقته لطبعه الى غاية عمره وكنى عن تلك الغاية بشيب المفارق وصبغت به خلائقه اي صار المنكر ملكة له وخلقا واستعار له وصف الازباد تشبيها له بالبحر الطامي ووجه التشبيه كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بمن غرق فيه وكذلك تشبيه حركته في المنكرات والظلامات بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا تبالي النار بما احرقت **ثم** اخذ يسال عن العقول المستكملة بانوار الله واستعار لفظ مصابيح الهدى اما لائمة الدين او للقوانين الكلية والاستصباح بها الاقتداء بها وعن الابصار اللامحة لمنار التقوى اي الناظرة الى اعلام التقوى واستعار لفظ المنار مستعادة لفظ المصابيح ثم عن القلوب التي وهبها اهلها لله اي جعلوا همتهم مطالعة انوار كبرياءه والتوجه الى كعبة وجوب وجوده وعوقدت على طاعة الله اي اخذ عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها ثم عاد الى ذم الباقين وتوبيخهم

بازدحامهم على حطام الدنيا واستعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة سرعة فنائها وفسا
دها كما يسرع فساد النبت اليابس وتكسيره وتشاحّهم على الحرام اي ان كل واحد يشاحّ صا
حبه على الحرام ويبخل عليه وانما رفع علم الجنة الى قانون الشريعة القايد الى الجنة وعلم النار الى الوساوس
المزينة لقينات الدنيا والعلم الاول بيد الدعاة الى الله وهم الرسول صلى الله عليه ومن بعده من اولياء الله من
اهل بيته والتابعين لهم باحسان والعلم الثاني بيد ابليس وجنوده من شياطين الانس والجن
الداعين الى النار ثم ذمهم بصرفهم وجوههم عن الجنة واقبالهم باعمالهم على النار حين رفع العلمين من
قبلي الدعاة وانما قال واقبلوا باعمالهم ولم يقل بوجوههم كما قال صرفوا وجوههم لان اقبالهم بوجوه نفوسهم
على لذات الدنيا واقتنائها يستلزم صرفها عن الاعمال الموصلة الى الجنة وذلك يستلزم اعراضها عن
الجنة ثم لما كانت الغاية التي يطلبها الانسان من الدنيا هو الحصول على لذاتها وكانت النار لازمة للاعمال الموصلة
الى تلك الغاية لزوما عرضيا لم يكن النار غاية ذاتية فقد اقبلوا بوجوههم عليها بل كان اقبالهم عليها باعمالهم
اذ كانت هي المستلزمة لها ثم اخبر في معرض الذم لهم على مقابلتهم لدعاء ربهم لهم بالنفار عنه ولدعاء الشيطان
لهم باستجابتهم لدعوته واتباعهم اياه وفي قوله دعاهم الى اخره تنبيه ان الرافع لعلم الجنة هو الله بايدي خلفائه
والرافع لعلم النار هو الشيطان بايدي اوليائه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**

ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص لا
تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى ولا يعمّر معمّر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من اجله ولا تجدد
له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له اثر الا مات له اثر ولا يتجدد له جديد الا بعد ان
يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة الا وتسقط منه محصودة وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد
ذهاب اصله **اقول** الغرض الهدف وغرض هذا الفصل ذم الدنيا وتقبيحها بذكر معايبها لتخف
الرغبات فيها وتنصرف الى ما وراءها من الامور الباقية فاستعار لهم لفظ الغرض ووجه الاستعارة كونهم
مقصودين بسهام المنية من الامراض والاعواض كما يقصد الغرض بالسهام واسند الانتضال الى المنايا
مجازا لان الفاعل لهم بالامراض هو فاعلها بهم فكان المنايا ذهبت في الافراد والتركيب ثم كنى بالجرعة والا
كلة عن لذات الدنيا وبالشرق والغصص عما في كل منها من شوب الكدورات اللازمة لها طبعا من
الامراض والمخاوف وساير المنغصات لها **وقوله** لا تنالون نعمة الا بفراق اخرى فيه لطف وسره
الى ان كل نوع من نعمه فانما يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله كالذي اللقمة مثلا فانما يستدعي فوت
اللذة باختها السابقة وكذلك الملبوس شخصي او مركوب شخصي وساير ما تعد نعمة دنيوية ملتذا بها فانها انما
تحصل بعد مفارقة ما سبق من امثالها بل واعم من ذلك فان الانسان لا يتهيا له الجمع بين الملاذ الجسمانية
في وقت واحد بل ولا اثنين منها فانه حال ما يكون اكلا لا يكون مجامعا او حال ما هو في لذة الاكل لا يلتذ
بشرب ولا حال ما يكون جالسا على فراشه الوثير يكون راكبا للمركب والمجود به وبالجملة لا يكون مشغولا
بنوع من الملاذ الجسمانية الا وهو تارك لغيره وما استلزم مفارقة نعمة اخرى لا يعد في الحقيقة نعمة ملتذا بها

وكذلك

وكذلك قوله ولا يعمّر معمّر منكم الى قوله اجله لان السرور بالبقاء الى يوم معين لا يحصل اليه الا بانقضاء ما قبله من
الايام المحسوبة من عمره فاذا قد هدم من عمره يوما فلا يكون لذلك في الحقيقة بقاية مستلزمة لقربه من الموت وما
استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار وكذلك قوله ولا تجدد له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من
رزقه اي من رزقه المعلوم انه رزقه وهو ما وصل الى جوفه مثلا فانه لم يصل جاز ان يكون رزقا لغيره وقد علمت ان
الانسان لا يأكل لقمة حتى يفني ما قبلها فهو اذن لا يتجدد له زيادة في اكله الا بنفاد رزقه السابق وما استلزم
نفاد الرزق لم يكن لذتها في الحقيقة وروي اكلة ويحتمل ان يريد انه اذا تجددت له جهة رزق فتوجه فيها
طالبا كان ذلك التوجه مستلزما لانصرافه عما قبلها من الجهات وانقطاع رزقه من جهتها واللفظ مهمل
يصدق ولو في بعض الناس فلا يجب الكلية وكذلك قوله ولا يحيى له اثر الا مات له اثر واراد بالاثر الذكر
والفعل فان كل ما يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود او مذموم او ذكر حسن او قبيح ويحيى
له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من الاثار ويفنى وكذلك لا يتجدد له جديد من زيادات بدنه
ونقصانه واوقاته الا بعد ان يخلق لحديد بتحلل بدنه ومعاقبة شيخوخته لشبابه ومستقبل اوقاته لسالفها
وكذلك لا يقوم له نابتة الا بعد ان يسقط منه محصودة واستعار لفظ النابتة لمن ينشأ من اولاده واقربائه ولفظ
المحصودة لمن يموت من ابائه واهله وكذلك قال وقد مضت اصول يعني الاباء نحن فروعها ثم استفهم
على سبيل التعجب عن بقاء الفرع بعد ذهاب اصله وقد صرح ابو العتاهية بهذا المعنى **حيث قال**
كل حياة الى ممات وكل ذي جدة يحول ؛ كيف بقاء الفروع يوما وقد ذوت قبلها الاصول
منها وما احدثت بدعة الا ترك بها سنة فاتقوا البدع والزموا المهيع ان عوازم الامور
افضلها وان محدثاتها شرارها **اقول** المهيع الطريق الواضح والعوازم جمع عوزم وهي العجوز المسنة
والمراد بالبدعة كل ما احدث مما لم يكن على عهد الرسول وقد اشتمل هذا الفصل على وجه تنفير عن البدعة وبيان
استلزام احداث البدعة ان ترك السنة ان عدم احداث البدع سنة لقوله عليه السلم كل بدعة حرام فكان احداثها
مستلزما لترك السنة ثم على ذلك بتقوى البدع اي حماية غوايتها ثم بلزوم الطريق الواضح وهي سبيل الله وشريعته
واراد بعوازم الامور ما قدم منها وهو ما كان عليه عهد النبي وانما جوازها وهي المقطوع بها دون المحدثات منها
التي هي محل الشبهة والشك ونبه بالاول المقابلة محدثاتها ووجه وصفها بكونها شرارا كونها محل الشبهة
وخارجة عن قانون الشريعة فكانت مستلزمة للهرج والمرج وانواع الشرور وبالله التوفيق ○

ومن خطبة له عليه السلم وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه
ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة وهو دين الله الذي اظهره وجنده الذي اعده وامده
حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم
بالامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فان انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا
والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب
واصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها

واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك مما بين يديك ان الاعاجم ان ينظروا اليك
غدا يقولوا هذا اصل العرب فاذا اقتطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم
فيك فاما ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم منك وهو
اقدر على تغيير ما يكره واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنا نقاتل
بالنصر والمعونة **الشرح** اختلف الناقلون لهذا الكلام في الوقت الذي قاله لعمر فيه فقيل انه
قاله في غزاة القادسية وهو المنقول عن المدائني في كتاب الفتوح وقيل في غزاة نهاوند وهو نقل محمد بن
جرير الطبري فاما وقعة القادسية فكانت سنة اربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين في خروجه
فيها بنفسه فاشار عليه علي عليه السلام بالراي المسطور فاقتصر عليه ورجع عن عزم المسير بنفسه وامر سعد
ابن ابي وقاص على المسلمين ويروى ان من الواقعة ان رستم امير العسكر من قبل يزدجرد اقام بريدا من
الرجال الواحد منهم الى جانب الآخر من القادسية الى المدائن كلما تكلم رستم بكلمة اداها بعضهم الى بعض حتى
تصل الى سمع يزدجرد وقصص الواقعة مشهورة في التواريخ واما وقعة نهاوند فانه لما اراد عمر ان يغزو العجم
وجيوش كسرى قد اجتمعت بنهاوند استشار اصحابه فاشار عثمان عليه بان يخرج بنفسه بعد ان يكتب
الى جميع المسلمين من اهل الشام واليمن والحرمين والكوفة والبصرة ويامرهم بالخروج واشار علي عليه
السلام بالراي المذكور وقال اما بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه الفصل فقال عمر اجل هذا الراي
وقد كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر فقالوا انت افضل راينا فقال
اشيروا علي به واجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم باهل العراق وقد وفدوا عليك فرايتهم وكلمتهم
فقال اما والله لاولين امرهم رجلا يكون غدا لاول الاسنة فقيل من هو فقال النعمان بن مقرن قالوا
هو لها وكان النعمان يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه امر الجيش ولنرجع الى المتن **فقوله** بجذافيره
اي باسره **وقوله** ان هذا الامر الى قوله الاجتماع صدر الكلام اورده ليبني عليه الراي فقرر فيه اولا ان هذا
الامر اي امر الاسلام ليس نصره بكثرة ولا خذلانه بقلة ونبه على صدق هذه الدعوى بانه دين الله الذي اظهره
وجنده وهي حزبه الذي اعزه وامده بالملائكة والناس حتى بلغ هذا المبلغ وطلع في آفاق البلاد حيث طلع
ثم وعدنا بموعود هو النصر والغلبة والاستخلاف في الارض كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض الآية وكل وعد من الله فهو منجز لعدم الخلف في خبره **وقوله** وناصر جنده يجري
مجرى التتمة اذ من جملة وعده نصر جنده وجنده هم المؤمنون والمؤمنون منصورون على كل حال سواء
كانوا قليلين او كثيرين ثم شبه مكان القيم بالامر بمكان الخيط من العقد ووجه التشبيه هو
قوله يجمعه ويضمه الى قوله ابدا **وقوله** لم يجتمع بحذافيره ابدا وذلك انهم عند فساد نظامهم بقتل
الامام مثلا يقع بهم لطمع العدو وطمعهم فيكون ذلك سبب استيصالهم ثم رفع عنهم الشبهة في عدم
الحاجة الى اجتماع كل العرب في هذه الواقعة وذلك لكثرتهم بالاسلام واستقبال الدولة وعزتهم باجتماع
الراي واتفاق القلوب الذي هو خير من كثرة الاشخاص واذا بالكثرة القوة والغلبة به مجازا اطلاقا

لان منطقه التي على اثنتي **وقوله** فكن قطبا شروع في الراي الخاص بعمر فاشار عليه ان يجعل نفسه
مرجعا للعرب تؤول اليه وتدور عليه واستعار له لفظ القطب وكذلك في لفظ القطب ولهم لفظ الرحى ورشح بالاستدارة
ولكن ذلك عن جمهور العرب دونه وحيطة لها ذلك قال واصلهم دونك نار الحرب لهم ان يسلموا وعنوا فذاك
الذي ينبغي وان انقهروا كان مرجعا لهم وسندا يقوي ظهورهم به بخلاف تحجيمه منهم فانهم ان ظفروا فذاك
وان انقهروا لم يكن ظهر يلجؤن اليه كما سبق بيانه **وقوله** فانك ان شخصت الى قوله فيه بيان لمفسدة
في خروجه بنفسه من وجهين احدهما ان الاسلام كان في ذلك الوقت غضا وقلوب كثير من العرب ممن
اسلم غير مستقر بعد فاذا انضاف الى من لم يسلم منهم وعلموا خروجه وترك البلاد كثر طمعهم وذهب
حب فتنتهم على الحرمين وبلاد الاسلام فيكون ما تركه وراءه اهم عنده مما يستقبله ويطلبه ويلتقي عليه
العزيمان من الاعداء الثاني ان الاعاجم اذا خرج اليهم بنفسه طمعوا فيه وقالوا المقالة فكان خروجه محرضا
لهم على القتال وهو اشد عليه كلبا واقوى فيه طمعا **وقوله** فاما ما ذكرت من مسير القوم الى آخره
فهو انه قال له ان هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين ويقدمهم ايام دليل قوتهم وانا اكره ان يغزونا
قبل ان نغزوهم فاجابه بانك ان كرهت ذلك فالله تعالى له اشد كراهة واقدر على التغيير والازالة وفي
هذا الجواب يدور على حرف وهو ان مسيرهم الى المسلمين وان كان مفسدة الا ان لقاءهم بنفسه فيه مفسدة
اكبر واذا كان كذلك فينبغي ان يدفع المفسدة العظمى ويكل المفسدة الاخرى الى الله تعالى فانه كاره
لها فهو اقدر على ازالتها **وقوله** واما ما ذكرت من عددهم الى آخره فهو ان عمر ذكر كثرة القوم وعددهم
فاجابه عليه السلام بتذكير قتال المسلمين في صدر الاسلام فانه كان من غير كثرة وانما كان بنصر الله ومعونته
فينبغي ان يكون الحال الآن كذلك وهو يجري مجرى التمثيل كما اشرنا اليه في المتون الاولى وهو وعد الله تعالى
اياهم بالاستخلاف في الارض وتمكين دينهم الذي ارتضى لهم وتبديلهم بخوفهم امنا كما هو مقتضى الآية

ومن خطبة له عليه السلام فبعث محمدا صلى الله عليه بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان
الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقروا
به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا راوه بما اراهم
من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات وانه سياتي
عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله
وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق منه اذا حرف عن مواضعه
ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب
واهله يومئذ منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو فالكتاب واهله
في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى وان اجتمعا فاجتمع
القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم منه الا اسمه
ولا يعرفون الا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا

السنة عقوبة السيئة وأما قوله من كان قبلكم بطول أملهم وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي
ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة أيها الناس انه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا
هدي للتي هي اقوم وان جار الله آمن وعدوه خائف وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان
رفعة الذين يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته ان يستسلموا له فلا ينفروا
من الحق نفار الصحيح من الاجرب والبارئ من ذي السقم واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا
الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي
نبذه فالتمسوا ذلك من عند اهله فانهم عيش العلم وموت الجهل الذي يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم
عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت
ناطق أقول الاوثان الاصنام وزنه كتبه ومثلوا بفتح الميم والثاء اي نكلوا والاسم المثلة بضم
الميم وسكون الثاء والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومدار هذا الفصل على بيان بعثة الرسول صلى الله
عليه وبيان غاية البعثة والسبب المعد لوصول الى تلك الغاية ثم بيان غاية تلك الغاية فالاشارة الى البعثة بقوله
بعث الى قوله بالحق واشار الى غايتها بقوله ليخرج الى قوله الى طاعته وقد علمت ان طاعته سلوك الصراط
المستقيم في الدنيا وهو اتباع الدين القيم والعدول عن طاعة الشيطان التي هي الخروج الى حد طرفي الا
فراط والتفريط فاشار الى سبب تلك الغاية بقوله بقرآن قد بينه واحكمه وقد علمت استعمال القرآن
القرآن الكريم على الجواذب الالهية الى طاعة الله وسلوك صراطه المستقيم واشار الى غاية تلك الغاية
اعني غاية طاعة الله بقوله ليعلم العباد الى قوله انكروه ومن مسائل من امهات العلم الالهي فالاول
معرفتهم له بعد جهلهم به والثانية الاقرار به بعد جحدهم له واثباتهم له بعد انكارهم اياه والمعنى واحد
وان اختلفت العبارات وهو التصديق بوجوده الا ان يحمل الاقرار على الاقرار باللسان والجحد به ويحمل
الاثبات والانكار على اثباته بالقلب بعد الانكار به وحينئذ تتغاير المعاني واشار بتجليه
سبحانه في كتابه الى ظهوره لهم في تذكيرهم فيه بما اراهم من عجائب مصنوعاته وبما خوفهم به من
وعيده وبتذكيرهم انه كيف محق من محق من القرون الماضية بالعقوبات واحتصد من احتصد منهم
بالنقمات كل ذلك الظهور والجلاء من غير رؤية له اذ تعالى عن ادراك الحواس وقال بعض الفضلا
يحتمل ان يريد بتجليه سبحانه في كتابه ظهوره في عجائب مصنوعاته وملكوته ويكون لفظ الكتاب
استعارة في العالم ووجه المشابهة كونه محلا قابلا لاثار الصنع المختلفة وعجائب الصور المنقوشة
فيه كما ان الكتاب محل للنقوش الحروف كل ذلك من غير رؤية بحاسة البصر له لتعاليه وتقدسه
عن ذلك وقوله وانه سياتي الى قوله المنكر اخبار عن زمان ياتي بعده بالصفات المذكورة
وقد راينا ذلك وراه قرون قبلنا فان خفاء الحق وظهور الباطل عليه اشرط ظهور وكون الحق لا شي اخفى
منه والباطل لا شي اظهر منه على سبيل المبالغة ولذلك لا اكثر من الكذب على الله وعلى رسوله وروي
عن شعبة وكان امام المحدثين انه قال تسعة اعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث

الصحيح الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وقوله الثالثة وليس عند اهله الى آخره قد مر تفسيره في الفصل الذي يذم فيه
من يتصدى للحكم بين الامة وليس له باهل ونبذ حملة الكتاب له اعراضهم عن آدابه عن تدبر ما فيه والعمل به وتناسي حفظته اياه
تناسيهم عن اوامره ونواهيه وتعافلهم عن اتباع عينها وقوله الرابعة فالكتاب الى قوله وان اجتمعا فاهل الكتاب الملازمون
العمل به وحيث كان اهل ذلك الزمان المشار اليه غير ملتفتين الى اهله ومن يعمل به بل هم دون لحمهم فما يحالفونهم
فيه مما يقتضيه احكام الكتاب ويوجبه اتباعه فكان اعراضهم عنهم ابعادا لهم ونفيا وطردا والطريق الذي اصطحب
به الكتاب واهله هو طريق الله الواحد وصدق انه لا يؤويهما مؤو من اهل ذلك الزمان المهم الا اذا وافق غرضه
ولكن ليس ذلك للكتاب والعامل به بل لموافقتهما الغرض وكونهما في الناس اي بوجودهما وكونهما ليسا فيهم لعدم اتباعهما
عنهما والانتفاع بهما فاشبها ما ليس بموجود ولان فائدة الموجود ان ينتفع به ولذلك معهم بالمصاحبة الاتفاقية في
الوجود وليسا معهم لان ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب واهله فكانا متضادين لهم وان اجتمعا في الوجود وقوله الخامسة
فاجتمع القوم على الفرقة اي اتفقوا على مفارقة الاجتماع وما عليه الجماعة اما في وقته عليه السلام فكالخوارج والبغاة واما
فيما يستقبل من الزمان بعده فكالآخذين بالآراء والمذاهب المتفرقة المحدثة في الدين والاجتماع على الفرقة يستلزم الا
فتراق عن الجماعة وقوله كانهم ائمة الكتاب تشبيه لهم بالائمة في الجرأة على مخالفة ظواهره والاختلاف فيه
وتفريعه على حسب اغراضهم اذ شان الامام مع المأموم ذلك مع انه امامهم الذي يجب ان يتبعوه ويقتفوا اثره واذ خالفوه
ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من منهجه الا اسمه وعلم حفظه ورسمه دون اتباع مقاصده وقوله ومن قبل
ما مثلوا بالصالحين اشارة الى من بني امية الذين قبل زمن من يخبر عنهم وتمثيل بني امية بالصالحين من الصحابة
والتابعين وحملهم على المكروه وتسميتهم لهم الى الكذب على الله وجعلهم في الحسنة عقوبة السيئة ظاهر منهم وو
لمن سبقهم في ذلك الزمان بالاوصاف المذكورة اتيانا في وصف من قبلهم من بني امية بمثل تلك الاوصاف وما مع
الفعل في حكم المصدر ومحلها الرفع على الابتداء وخبرها من قبل وقوله وانما هلك الى آخره تنبيه على وجوب
تقصير الآمال في الدنيا لاستلزام طولها الهلاك الاخروي واشار الى القرون الماضية من قبل واراد الهلاك
الاخروي وجعل سبب هلاكهم طول املهم في الذنب الموجب للاستغراق في لذاتها المبعدة عن الله تعالى
مع تغيب آجالهم عنهم اي غفلتهم عنها وقلة ذكرهم فيها وعدم علمهم بتعيينها فان استبعاد الاجل موجب
للاقلاع عن الانهماك في اللذات الحاضرة وسفعهم لها وقوله حتى نزل بهم الموعود الى آخره ذكر غاية طول
آمالهم والموعود هو الموت ولا ترد عنه المعذرة اي لا تقبل فيه معذرة معتذر وترفع عنه التوبة اي ينسد بابها
حين نزوله كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن
الآية وتحل معه القارعة اي تنزل بمن نزل به الشدائد والاهوال ويتبعها العقوبات الاخروية ثم عاد الى الرأي
الصالح لمن بعدهم فاتبع بهم ونبههم على وجوب استنصاحه اي اتخاذه ناصحا في قبول اوامره ونواهيه واتخاذ
قوله دليلا الى المطالب المتقدمة فانه استنصحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا يستلزم الهدى للتي هي اقوم
اي الطريق التي هي اقوم الطرق ثم نبه على حسن جوار الله بالامن الذي غايته للجوار وعلى قبح عداوته بذكر الخوف
الذي هو غاية عداوة الملوك خصوصا جبابرة الجبابرة واصحاب الدنيا والآخرة واراد بجواره القرب منه بالطاعة

والعداوة المتولدة عنه لمعصيته ومخالفة اوامره ولا شك في كون الاول امّا من احوال الآخرة وفي كون الثاني في محل
الخوف والخطر **وقوله** وانه لا ينبغي لمن عرف الى آخره ارشاد لهم الى التواضع لله ولمن ارشدهم الى طريقه ونهي عن
التكبر عليهم والنفار عنهم وقبول الحق منهم وخاطب من يعرف عظمة الله لاحتقاره نفسه عند ملاحظته لعظمته
ونسبتها الى جلال الله فهو اسرع الفقراء واحقهم ان يتكبر على الله وعلى حزبه التواضع له بذكر عظمته
ورفعه للعالمين بعظمته فانه لما كان منه العظيم المطلق وذل عظمة ورفعته لعظيم مستفادة من جوده والقرب منه
وكانت العادة جارية من الملوك بحق من يتواضع ويوقرهم حقهم من الاجلال والاكرام وحسن الانقياد وان يرفعوه و
يعظموه فبالحري ان تكون رفعة المتواضع لملك الملوك المطلق والعظيم المطلق لاشد عن التواضع له وكذلك العادة
جارية منهم سلامة من استسلم لهم عن معرفته بهم بالانقياد فبالحري ان تكون سلامة المستسلم لله عن العلم بجلالة
قدرته واستيلاء سلطانه لاشد عن استسلامه له واذا كانهم بالتواضع له ولا وليائه ندبهم الى قبول الحق
منهم وعدم النفار منه الشبيه بنفار الصحيح من الاجرب والبارئ من السقيم ووجه التشبيه من شدة
النفار ثم عاد الى تنفيرهم عن ائمة الضلال وذلك بتنبيههم على انهم لن يعرفوا الرشد بالمعرفة الحقيقية
والاخذ بميثاق الكتاب ولا يتمسكون به الاخذ والمسك التام ما لم يعرفوا اولئك التاركين وامثالهم
شرط معرفتهم للرشد بمعرفتهم بتاركيه لان المعرفة التامة بالرشد بل لكل شيء يستدعي معرفة ما غايرها من
الشكوك والشبهات التي هي سبب التشكك فيها ونكول الحق على وفقها ولما كان الرشد هو الحق الذي
هو عليه معونا بعينه وكان التارك لذلك هم مخالفوه وخصومه في الامامة من ائمة الضلال لا جرم كان من تمام معرفة
الحق فيه والرشد الذي يدعوا اليه معرفة خصومه وانهم على شبهة اذا عرفها طالب الحق تمت معرفته فيه
بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه اي انه قد ادمح بما يعلم به عليه السلام انهم منهم لا ان يعرفوا شبهة ناقضه ومنه العامل
بخلاف حكمه عليه السلام على شبهة حتى اذا اطلعوا على كيفية فسادها وضلالها لديهم اخذوا بميثاق الكتاب على
بصيرة وعلموا ان ناقضه له فنفروا عنه وكذلك شرط لتمسكهم بالكتاب ولزومهم لميثاقه معرفة نابذيه وانه
ضال لتحصيل النفرة عنه فيتم التمسك به ويتأكد لزوم ميثاقه وغاية ذلك التنفير عن ائمة الضلال بمعرفتهم
ومعرفة ما هم عليه من الشبه والتبري منهم ثم نعوله ثم على طلب المعرفة انما باقتباسها من عند اهلها والاشارة
بهم الى نفسه واهل بيته عليهم السلام واستعار لهم وصفي عيش العلم اي حيوته وموت الجهل ووجه الاستعارة
الاولى انه بهم يكون وجود العلم والانتفاع به كما يكون بالحياة التي الانتفاع به ووجه الثانية ان يكون بهم يكون
عدم الجهل وعدم التضرر به كما يكون بموت الشرير عدمه وعدم مضرته **وقوله** هم الذين يخبركم حكمهم
عن علمهم اي يدلكم منطقهم بالحكمة وسيرتهم على وفقها على كمال نفوسهم بالعلوم وصمتهم عن منطقهم فان
لصمت المنطيق اللسن ذي الحكمة العرية وقت وضعه وحالة تكون قرائن دالة على حسن منطقه
وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم **وقوله** لا يخالفون الدين اشارة الى لزومهم لاوامره وطرقه
شرعه ولا يختلفون فيه اشارة الى اتفاق آرائهم على احكامه عن كمال علومهم فانه لما كان طريقهم واحدا
واتفقوا على معرفته وجب ان لا يختلفوا فيه ولا يضل احدهم عن غيره من اصحابه حتى يخالف صاحبه فيه

وقوله فهو بينهم شاهد صادق اي شاهد بيت يستدلون به على الاحكام والوقايع النازلة بهم ويعيهم لا
يكذب من حيث هو شاهد وصامت ناطق لانه حروف واصوات وانما ينطق بالسنتهم فهو عليهم في الباطق
والالفاظ استعارة ووجهها الافادة مع النطق به وعدمها مع السكوت عنه كافادة الناطق وعدم افادة الصامت
ومن كلام له عليه السلام في ذكر اهل البصرة كل واحد منهما يرجو الامر له ويعطفه عليه دون
صاحبه لا يمتّان الى الله بحبل ولا يمدان اليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه
به والله لئن اصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا قد قامت الفئة الباغية فاين
المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا اكون
كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي **اقول** مت اليه بكذا اي تقرب اليه به والضب الحقد
والقتل والمحتسبون طالبوا الاجر والثواب واللدم صوت الصدر باليد فعل الحزين والضمير في منهما راجع الى
طلحة والزبير والامر امر الخلافة وذلك حين خرجا الى البصرة مع عائشة ويعطفه اليه يجذبه الى نفسه ويزعم انه احق
به من صاحبه **وقوله** لا يمتان الى قوله بسبب اي لا يجد لهما يعتذران الى الله تعالى بها في قتالهما له عليه
السلام وضلال المسلمين فيما بينهم **وقوله** كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه اي في صدره غل عليه وعما قليل
يظهر ويتكشف واستعار لفظ القناع لظاهرهم السائر لباطنه وذلك مثل يضرب لمن ينافق صاحبه ويظهر
له الصداقة مع حسده وعقوقه له في الباطن والعرب تضرب بالضب المثل في العقوق فيقال اعق من ضب
وقد ابانهما كل حيثه لوثم اقسم لئن اصابوا بغيتهم لينزعن هذا نفس هذا وليأتين عليه اي يسعى كل منهم
في قتل صاحبه وهذا مما لا شك فيه فان العادة جارية بعدم قيام الاسود بيسين معا وشح الطباع
البشرية متنازعة على الكمال ويتفاوت ذلك التنازع بحسب تفاوت ذلك الكمال في تصور قوته وضعفه
ولا شيء في نفوس طالبي الدنيا اعظم من الملك خصوصا في نفس من يعتقد انه يقدر على تحصيل الآخرة فيه
ايضا فانه تحصيل الدنيا والآخرة هي اكمل الكمالات المطلوبة للانسان ولا شك في تقاوم هذا المطلوب في النفوس فلا
شيء في تحصيله بكل ممكن من قتل الولد والوالد او الاخ والابن قيل الملك عقيم وقد نقل عن هذين الرجلين الا
خلاف قبل اصابتهما بغيتهما وقبل وقوع الحرب فاختلفا في الاحق بالتقدم في الصلاة فاقامت عائشة
محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير يصلي هذا يوما وهذا يوما الى ان ينقضي الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى
ان عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج في ذلك باستخلافه له في الصلاة واحتج تارة بنص صريح ادعاه
وطلب طلحة ان يسلم عليه بالامرة وادلى اليها بالصحبة وادلى اليها الزبير بانها امة فامرت الناس ان يسلموا عليهما
بالامرة واختلفا في تولي القتال فطلبه كل واحد منهما اولا ثم نكل عنه واحوالهم في ذلك ظاهرة **وقوله**
قد قامت الفئة الباغية اشارة اليهم وهم الناكثون الذين تقدم فيما سبق فيهم الخبر انه امر ان اقاتل الناكثين
والقاسطين والمارقين **وقوله** فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن اي اين طالبوا الثواب من الله
بعد وضوح الطرق ورووي فاين المحتسبون **وقوله** وقدم لهم الخبر اي اخبرهم الرسول صلى الله عليه عن
خروج فئة باغية وما كشه ومارقه فبالحري ان يحذروا هؤلاء وان يكونوا ممن اخبرهم عنهم **وقوله** ولكل ضلة

علة اي لكل خروج من سبيل الله علة واشار الى خروج هذه الفرقة عن الدين وتلك العلة هي البغي والحسد وكذلك لكل ناكب شبهة تعمي عين بصيرته عن النظر الى وجه الحق كطلبهم بدم عثمان وقوله والله لا اكون الى آخره اقسم انه لا يكون كذلك اي انه بعيد سماعه لغلبة هواه وجلبهم عليه وتهديدهم اياه لاسماعه عنهم وتبصر لهم حتى يواجهوه فيكون في الغرور كمن يسمع الضرب والبكاء الذي هو مظنة الخطر ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهدة هذه الحال ويحضر الباكي وقد كان الاولى انه يكتفي بريب السماع على ظهور دلالته وما ضرب في الاستعداد للحذر والحرب منه

ومن كلام له عليه السلام قبل موته

ايها الناس كل امرء لاق ما يفر منه في فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها هذا الامر فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئا ومحمدا فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا وحمل كل امرء منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم غفر الله لي ولكم انا بالامس صاحبكم وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطاة في هذه المزلة فذاك وان تدحض القدم فانا كنا في افياء اغصان ومهاب رياح وتحت ظل غمام اضمحل في الجو متلفقها وعفا في الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدني اياما وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق ليعظكم هدوي وخفوت اطراقي وسكون اطرافي فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع وداعي لكم وداع امرء مرصد للتلاقي غدا ترون ايامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي

اقول اطردت الايام صيرتها طريدة لي وشرد الجمل ذهب لوجهه ودحضت القدم زلت واضمحل فني والمخط الاثر وهذا الفصل محل الوعظ والاعتبار فانه نبههم اولا على لحوق ضرورة الموت المنفور منه طبعا واحسن بقوله في فراره فانه لما كان الانسان دائما فارا من الموت ومتوقيا له وكان لا بد له منه لا جرم كان ضروري اللقاء له في فراره والاجل قد يراد به غاية الحياة الدنيا كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهي مدة عمره واياه عنى هاهنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدة بقائها في هذا البدن موجبة لها الى غايتها لاجل قرارها على ملذ فيه **وقوله** والهرب منه موافاته في غاية اللطف وذلك ان الفار من الموت مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها يستلزم حركاته في ذلك فناء الاوقات ونفرها وقطع تلك الاوقات مستلزم لملاقاته وموافاته واطلق لفظ الموافاة على الهرب مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه **وقوله** كم اطردت الايام اي صيرتها طريدة لي اتبع بعضها بعضا بالبحث وتعرف مكنون هذا الامر اي الذي وقع له من القتل وذلك المكنون هو وقته المعين بالتفصيل وسائر [illegible] فان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه لقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله وما تدري نفس باي ارض تموت وان كان قد اخبره الرسول صلى الله عليه بكيفية قتله مجملا كما روي انه قال ستضرب على هذه واشار الى هامته فتخضب منها هذه واشار الى لحيته وعنه انه قال له اتعلم من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال له اتعلم من اشقى الاخرين قال من يضربك هاهنا فيخضب هذه واما تحقيقه هو وقت تفصيل

الوقت

الوقت والمكان ونحوهما من القرائن المشخصة وذلك البحث اما بالسؤال من الرسول صلى الله عليه في حياته ولكتمانه اياه اوما بالفحص والتفرس من قرائن احواله في سائر اوقاته مع الناس فابى الله الا ان يخفي عنه تلك الحال هيهات اي بعد ذلك العلم فهو علم مخزون ثم شرع في الوصية فبدأ بالاهم فالاهم فالاول هو الاخلاص لله بالاعراض عن كل ما سواه وفي ذلك لزوم اوامره ونواهيه وسائر ما نطق به كتابه العزيز الثاني لزوم سنة محمد صلى الله عليه وعدم اهمالها وانما قدم اسم الله ومحمد لما بين في علم البيان ان الواجب تقديم الاهم ثم اكد القول في الامر باتباع التوحيد المطلق والسنة النبوية واستعار لهما لفظ العمودين ورشح بذكر الاقامة ولفظ المصباحين ورشح بذكر الايقاد ووجه الاستعارة الاولى ان مدار الاسلام ونظام امور المسلمين في معاشهم ومعادهم على توحيد الله ولزوم ما جاء به رسوله كما ان مدار الخيمة وقيامها بالعمد ووجه الثانية ان توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهداية في طريقه من ظلمات الجهل قائدان الى جوار الله في جنات النعيم وهو المطلوب الحقيقي كما يهدي المصباح في الظلام على الطريق الى المطلوب **وقوله** وخلاكم ذم اي عداكم وهي كلمة تجري مجرى المثل اي عند لزومكم لتوحيد الله وسنة رسوله لا ذم عليكم واول من قالها قصير مولى جذيمة حين بعث عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة على طلب ثاره من الزباء فقال له عمرو كيف لي بذلك والزباء امنع من عقاب الجو فقال قصير اطلب الامر وخلاك ذم **وقوله** ما لم تشردوا استثناء من نفي لحوق الذم لهم اي اوقدوا هذين المصباحين فما دمتم كذلك فلا ذم يلحقكم الا ان تشردوا اي تتفرقوا عما انتم عليه ثم لما كان قد امرهم بلزوم هذين الامرين اللذين يدور عليهما التكليف بين لهم بقوله حمل كل امرء منكم الى قوله الجهلة ان التكليف بذلك يتفاوت فكل امرء من العلماء واهل البصيرة ومن هو بصدد العلم يحمل مجهوده وطاقته منها بالتنبيه على الادلة وتعليمها واما الجهال كالنساء واهل البادية والزنج ونحوهم من اهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك وهو بالمحسوس من العبادات دون الامر بالتفكر في مقاصدها ثم ذكر وصف الرحمة للرب لما سبقه ما سبق من دليل التخفيف عن الجهلة في التكليف ودين قويم لا عوج فيه ولا زيغ عن القصد الحقيقي وامام عليم اشارة الى الرسول صلى الله عليه واله بكيفية سلوك طريق الله ومراحلها ومنازلها والهادي فيها بما يقتضيه حكمته من القول والفعل والى نفسه لكونه وارث علمه وسالك مسالكه ورب خبر مبتدأ محذوف وتقديره ورب المكلف رب رحيم ويجوز ان يكون فاعلا للفعل المبني في قوله حمل وخفف اي حملكم رب لقوله تعالى [illegible] ثم ختم الوصية بالدعاء لهم وله بطلب المغفرة ثم نبه بالتنبيه لهم على وجه الاعتبار به وهو تعرف حالاته بحسب الازمان فقد كان بالامس صاحبهم في الحروب ومنازعة الاقران وصاحب الامر والنهي فيهم واليوم عبرة لهم بحال مصرعه وضعفه عن الحراك وغدا مفارقهم بالموت وكل هذه التغيرات محل الاعتبار يجب التنبه لها واراد بغد اما حقيقته ان كان قد غلب على ظنه موته في تلك الواقعة او ما يستقبل من الزمان وان يعبر [illegible] لقوله ان ثبتت الوطاة في هذه المزلة اي ان يكن لي ثبات في الدنيا وبقاء في هذه المزلة اي محل الزوال عن الحياة فذاك المرجو وكنى بثبات الوطاة عما ذكرناه وبدحض القدم عن عدم ذلك بالموت

وقوله في جواب الشرط فانا لك في افنان اغصان الي قوله مخطها اي وان مت فانا لك في كذا وكني بالاشياء
المذكورة عن احوال الدنيا وملذاتها وشبابه منها ومتاعها وقيل استعار لفظ الاغصان للاركان الاربعة
من العناصر ولفظ الافياء لما يستريح فيه النفوس من تركيبها في هذا العالم ووجه الاستعارة الاولي ان الاركان
في مادتها كالاغصان للشجر ووجه الثانية ان الافياء محل الاستراحة والانتفاع كان الكون في هذا البدن حين صحة
التركيب واعتدال المزاج من هذه الاركان كذلك والاكثر لفظ مهاب الرياح للابدان ولفظ الرياح للارواح
والنفحات الالهية عليها في هذه الابدان ووجه الاولي قبول الابدان لنفحات الجود كقبول مهاب الرياح لها
استعارة لفظ الجثوم للعقول ووجه الثانية اظهر من ان يذكر والاكثر لفظ الغمام للاسباب العلوية من
الحركات السماوية والاتصالات الكوكبية والارزاق المفاضة على الانسان في هذا العالم التي هي سبب بقائه وو
جهها الاشتراك في الافاضة والتربية وكني بظلها عما يستراح اليه منها كما يقال فلان يعيش في ظل فلان اي في
كنفه وعنايته وكني باضمحلال متلفقها في الجو عن تفرق الاسباب العلوية للبقاء وفنائها وبعفاء في
مخطها في الارض عن فناء اثارها في الابدان والضياء في متلفقها يعود الى الغمام ومن مخطها يعود الى مهاب الرياح
وقوله فانا كنت جارا جاوركم بدني اياما فيه تنبيه على ان نفسه القدسية كانت متصلة بالملاء الا
على ولم يكن لها ميل الى البقاء في الدنيا ومجاورة اهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط وايضا فان
المجاورة من عوارض الجسمية فيحتمل ان يكون ذلك تنبيها منه على وجود امر اخر غير البدن وهو النفس وكني بالا
يام عن مدة حياته وقوله وستعقبون اي تؤخذون في عاقبة امركم من جثة خالية لا روح بها ولا حراك
فقد افترقت ما بين المعاني المعهودة لكم من العقل والنطق والقوى مبتدئا بالحراك السكون وبالنطق
السكوت ثم عاد الى امرهم بالاتعاظ بذلك الهدو وخفوت الاطراق وسكون الاطراف بالموت وقوله
فانه اوعظ للمعتبرين من المنطيق البليغ صاحب اللسن والفصاحة كلام حق فان الطباع اكثر انفعالا
واعتبارا عن مشاهدة ما فيه العبرة من الوصف بالقول المسموع ولو بلغ ما بلغ ثم اخذ عليه السلام في توديعهم
فقوله ودعتكم اشارة لاحتج وقوله وداع امرئ مرصد للتلاق اي معد ومهيا للقاء الله وقوله
غدا ترون ايامي الى اخره تذكير لهم بفضيلته وتنبيه عليها ليثبت متبعوه على اتباعه والغافلون عن
فضله ومحله بينهم اذا فارقهم وولي امرهم الظالمون بعده فلا بد ان يكشف لهم ما كان مغطى عن اعين بصا
يرهم من لوبيه للقصد في سبيل الله ويعرفون منزلته وفضله حين مشاهدة المنكرات ممن يقوم
مقامه خلفا في الناس وان دقايقه وجوده وحرصه على هذا الامر لم يكن لنيل دنيا بل لاقامة سنن من
العدل ورضا الله تعالى ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها الى الملاحم واخذوا يمينا وشمالا
ظعنا في مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم
من مستعجل بما ان ادركه ود انه لم يدركه وما اقرب اليوم من تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود
ودنو من طلعة ما لا تعرفون الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال
الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا في سترة عن الناس لا يبصر

القايف

القايف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير
في مسامعهم ويغبقون كاس الحكمة بعد الصبوح اقول ابان الشيء بكسر الهمزة وتشديد الباء وقته
واوانه بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عقدة عرى تشد به البهم والصدع الشق والشعب اصلاحه
والشحذ التحديد والقين الحداد والغبوق الشرب بالعشي والصبوح الشرب بالغداة وقوله عليه السلام
واخذوا يمينا وشمالا الى قوله الرشد اشارة الى من فرق الاسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب و
السنة وسلكوا طرفي الافراط والتفريط منها كما قال عليه السلام فيما قبل اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى
هي الجادة وقد سبق تفسير ذلك مستوفى ومسالك الغي اطراف الرذائل من الفضائل التي عددناها كالحكمة
والعفة والشجاعة والعدالة وما تحتها ومذاهب الرشد هي تلك الفضايل وظعنا وتركا مصدران قاما
مقام الحال وقوله فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ونهى عن الاستعجال اشارة الى ما كانوا يتوقعونه
من الفتن التي اخبر الرسول صلى الله عليه وآله بوقوعها في المستقبل وكانوا ينازعون الى الوقت ويسالونه عليه السلام
عنها فقال لا تستعجلوا ما هو كائن اي لا بد من وقوعه وهو مرصد معد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد
من الفتن والوقايع وقوله فكم من مستعجل الى قوله لم يدركه ذم للاستعجال والاستبطاء لهذا الموعود
لقوله تعالى فعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وما اقرب اليوم من تباشير غد اي من البشرى ر
بقرب غد لقربه كقوله غدا ما غد ما اقرب اليوم من غد وكقوله وان غدا للناظرين
قريب ثم اخذ في تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال هذا ابان كل موعود به ووقت دنو طلوع
ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل وقوله الا وان من ادركها منا اي من ادرك تلك الفتن من
اهل بيته الائمة الاطهار يسري فيها بسراج منير واستعار لفظ السراج لكمالات نفسه التي استضاءت
بها في طريق الله من العلوم والاخلاق الفاضلة ولفظ المنير ترشيح وكنى بذلك عن معرفته للحق
وتمييزه من الباطل فان تلك الفتن لا تروع له شبهة ولا تثبت لها في عقيدته الصافية بل
يتصرف فيها متقدا لا متوانيا على صراطه المستقيم لا يلوي عنه ولو يقتفي فيه اثار ابائه الصالحين
ويلزم مكارم الاخلاق فيحل ما انعقد فيها واشكل على الناس من الشبهة وينفك ربق الشك من اعنا
قهم او يقتدي فيها الاسرى فيفك رق اسرهم ويعتقهم ويصدع ما انشعب والتام من ضلال
... ويشعب ما انصدع من امر الدين ما اسلمه شعبه في ستر عن الناس لا يبصر القايف
اثره ولو تابع اليه نظره وما زالت ائمة اهل البيت عليهم السلام مغمورين في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه
انفسهم حتى لو تتبعهم من لا يريدون معرفته لهم لم تعرفهم ولست اقول لم يعرف اشخاصهم بل لا يعرف انهم
اهل الحق والاحقون بالامر وقوله ثم ليشحذن فيها قوم اي في اثنا ما يأتي من الفتن ليشحذ
اذهان قوم وتعد لقبول العلوم والحكمة كما يشحذ الحداد النصل ولفظ الشحذ مستعار للاعداد والاذهان
ووجه الاستعارة الاشتراك في الاعداد التام النافع فهو يمضي في مسايل الحكمة والعلوم كمضي النصل
فيما يقطع به ووجه التشبيه المذكور ثم اخذ في تفسير كيفية الشحذ والاعداد فقال تجلى بالتنزيل

ابصارهم اي تعد بالقرآن الكريم ودراسته وتدبّر ابصار بصايرهم لادراك الجلية واسرار العلوم وذلك باشتمال
التنزيل الالهي عليها ويرمي بالتفسير في مسامعهم اي يلقي اليهم تفسيره على وجهه من امام الوقت ثم يغبقون
اقداح الحكمة ومواظبتهم على تلقيها بعد استعدادهم لها بالغبوق والصبوح ولفظا الغبوق والصبوح
مستعاران لكونهما حقيقتين في الشرب المخصوص المحسوس وسول الاستعداد لهم بالاستعداد للحكمة
فاضه لانهم على الامة من جاء منهم قبلنا ومن في آخر الزمان من المستجمعين لكمالات النفوس السالكين
لسبيل الله المرتضين في نظره وتظهر الآية من ذلك بعد. منها وطال الامد بهم ليستكملوا
الخزي ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق الاجل واستراح قوم الى الفتن واشتالوا عن لقاح حربهم
لم يمنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع
مدة البلاء حملوا بصايرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم حتى اذا قبض الله رسوله صلى
الله عليه وآله رجع قوم على الاعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولايج ووصلوا غير الرحم وهجروا
السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة وابواب
كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا
راكن ومفارق للدين مباين اقول الامد الوقت والاستكمال الوقع والوليجة البطانة وهي
خاصة الرجل من اهله وعشيرته ورص الاساس احكامه وماروا تحركوا وهذا الفصل يستدعي كلاما
منقطعا قبله لم يذكره الرضي رحمه الله وقد وصف فيه ضالة قد استولت وملكت و
الى بها الله سبحانه وقوله وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
الى الآية وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا وقوله حتى اذا اخلولق الاجل اي صار خلقا وهو كناية عن بلوغهم غاية من تم المكتوبة بقلم
القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وقوله واستراح قوم الى الفتن اشارة الى من يعتزل الوقايع التي
تقع في آخر الزمان من شيعة اهل الحق والصلاح ويستريح اليها اي يجد في اشتغال القوم بعضهم
ببعض راحة له في الانقطاع والعزلة والخمول واشتيالهم عن لقاح حربهم رفعهم لانفسهم عن تهييجها
واستعار لفظ اللقاح بفتح اللام لاثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة وقوله لم يمنوا جواب قوله حتى
اذا اخلولق والضمير في يمنوا لـ… بعض الشارحين انه عايد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في
الفصل السابق يقول حتى القى هؤلاء السلم الى هذه الفئة الباغية الضالة عجزوا واستراحوا من منابذتهم
الى فتنتهم تقية منهم ابتغى الله اولئك الذين حصنهم بحكمته واطلعهم على اسرار العلوم فنهضوا ولم يمنوا على
الله تعالى بالصبر في طاعته وفي رواية بالبصر اي ببصرهم له ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب
الحق حتى اذا وافق القدر الذي هو وارد القضاء وتفصيله انقطاع مدة هذه الفئة وارتفاع ما كان
حل الخلق من بلاياهم حمل هؤلاء العارفون بصايرهم على اسيافهم وفيه معنى لطيف يريد انهم اظهروا
عقايدهم قلوبهم للناس ولتقويها وجردوها مع تجريد سيوفهم فكانهم حملوها على سيوفهم فترى في غاية

الجلاء والظهور كما ترى السيوف المجردة ومنهم من قال اراد بالبصاير جمع بصيرة وهي الدم فكانه قال طلبوا ثارهم والدماء التي
سفكتها تلك الفئة فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم المجردة للحرب واشار بواعظهم
الى الامام القايم واقول يحتمل ان يريد بالضمير في لم يمنوا وما بعده القوم الذين استراحوا الى الفتنة واشتالوا عن لقاح
الحرب وذلك انهم انما فعلوا ذلك لانهم لم يوذن لهم في القيام حين استراحتهم والقايم السلام لهذه الفئة ولم يتمكنوا من
مقاومتهم لعدم قيام القايم بالامر فكانوا حينئذ منهم صابرين على مضض من الم المنكر الذي يشاهدونه غير
مستعظمين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون لهم ظهيرا ويلجأون اليه حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة
من بلاء هذه الفئة وظهور من يقوم بنصرة الحق ويدعو اليه حمل هؤلاء بصايرهم على اسيافهم وقاموا الى ربهم بامر من
يقوم فيهم واعظا ومخوفا وداعيا وهذا الحمل يرجحه عود الضمير الى الاقرب وهم القوم وقوله حتى اذا
قبض الله رسوله الى آخره هذا الفصل منقطع عما قبله لان صريح ذلك غاية لاقتصاص حال حياة الرسول صلى
الله عليه وآله وحال الناس قبل بعثه وليس في الكلام المتقدم شي من ذلك اللهم الا ان يحمل من طال الامد بهم في الكلام
المتقدم على من كان من اهل الضلال قبل الاسلام حتى اذا اخلولق اجلهم واستراح قوم الى الفتن والوقايع
بالنهب والغارة واشتالوا عن لقاح حربهم اي اعتقدوا انفسهم كما تعقد الناقة نفسها وتشول ذنبها للقاح ما اي
توقعه وتمنى … ويكون الضمير في قوله لم يمنوا راجعا الى ذكر سبق للصحابة في هذه الخطبة حين قام الرسول
صلى الله عليه فيهم وبعضهم للحرب فلم يمنوا على الله بصبرهم معه في نصرة الحق ولم يستعظموا بذله
انفسهم حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية والكفر حمل هؤلاء الذين لم يمنوا على الله
بصبرهم بصايرهم اي ما كانوا يحقدونه من الاسلام في اول ما شبوه اي كشفوا عقايدهم كما سبق القول فيه
او … من الكفر ودانوا لربهم بامره واعظهم وهو الرسول صلى الله عليه وحينئذ يصلح قوله حتى اذا قبض
الله رسوله غاية لاقتصاص الكلام على هذا التاويل وقوله رجع قوم على الاعقاب الى آخره اما على مذهب
الامامية فاشارة الى عدول الصحابة بالخلافة عنه وعن اهل بيته عليهم السلام الى الخلفاء الثلاثة واما على من صحح امامة
الخلفاء الثلاثة فيحتمل ان يريد بالقوم الراجعين على الاعقاب من خرج عليه في ايام خلافته من الصحابة كمعاوية
وطلحة والزبير وغيرهم وزعموا ان غيره احق بها منه ومن اولاده والرجوع على الاعقاب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه
من الانقياد للشريعة واوامر الله ورسوله ووصيته باهل بيته وغيلة السبل لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل
بالحق واستراق طرق الباطل لهم واهلاكها اياهم وهي الشبه المستلزمة للآراء الفاسدة كما يقال في العرف
الطريق الى مضيق وهي مجاز في المفرد والمركب اما في المفرد فلان سلوكهم لسبيل الباطل لما كان عن غير علم منهم بكونه
باطلا ناسب الغيلة فاطلق عليه لفظها واما في المركب فلان اسناد الغيلة الى السبل ليس حقيقة اذ القتل من
فعل العقلاء واتكالهم على الولايج اعتمادهم على كل من راوه منهم رأيا فاسدا على اهل وخواصه في نصرة ذلك الرأي
ووصلوا غير الرحم اي غير رحم الرسول صلى الله عليه وترك المضاف اليه للعلم به ولذلك هجروا السبب الذي
امروا بمودته ولقربه يريد اهل البيت ايضا وكما صرح كونهم سببا لمن اهتدى بهم في الوصول الى الله سبحانه
كما قال الرسول صلى الله عليه خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي حبلان ممدودان من السماء

الى الارض لن يبقى قائما حتى يرد الى الحوض فاستعار لهم الحبل والسبب في الآية وامرهم بمودته كما في قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه اشارة الى العدول بامر الخلافة عنه وعن اهل بيته الى غيرهم وصلة غير الرحم خروج عن فضيلة العدالة الى رذيلة الظلم وعدم مودة اولى القربى رذيلة التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العفة ولذلك نقل البناء عن موضعه دخول في رذيلة الظلم ثم وصفهم وصفا اجماليا بكونهم معادن كل خطيئة اي انهم مستعدون لفعل كل خطيئة ومنبعثون لها فهم مظانها ولفظ المعادن استعارة وكذلك ابواب كل ضارب في غمرة واستعار لفظ الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة جهالة او شبهة يثير بها فتنة واستعان بهم فهو المدخل الى تلك الباب وساعدوه وحسنوا له رايه فكانهم تلك الابواب لمداخل الباطل يدخل منها وقوله قد ماروا في الحيرة اي ترددوا في امرهم فهم حائرون لا يعرفون جهة الحق فيقصدونه وذهلوا اي غابت اذهانهم في سكرة الجهل فهم على سنة من آل فرعون وطريقه وانما ذكر السنة لانه يريد بها مشابهتهم في بعض طرائقهم وآل فرعون اتباعه وقوله من منقطع الى الدنيا الى آخره تفصيل لهم باعتبار كونهم على سنة من آل فرعون فمنهم المنقطع الى الدنيا المنهمك في لذاتها المقبل على تحصيلها ومنهم المفارق للدين المباين له وان لم يكن له دنيا والمنفصلة مانعة الخلو بالنسبة الى المشار اليهم ويحتمل ان يريدها مانعة الجمع ويشترط بمفارق الدين الى من ليس براكن الى الدنيا ككثير من مدعي الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فتراه مستقذرا من الدنيا ويحسب انه على شيء مع انه جاهل بكيفية سلوك سبيل الله يقوده يمينا وشمالا اعمى وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام

واستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره والاعتصام من حبائله ومخاتله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونجيبه وصفوته لا يؤازى فضله ولا يجبر فقده اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحكيم يحيون على فترة ويموتون على كفرة ثم انكم معشر العرب اغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق النقمة وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها تبدا في مدارج خفية الى فظاعة جلية شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام ثم يتوارثها الظلمة بالعهود اولهم قائد لآخرهم وآخرهم مقتد باولهم يتنافسون في دنيا دنية ويتكالبون على جيفة مريحة وعن قليل يتبرا التابع من المتبوع والقائد من المقود فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء ثم ياتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة الزحوف فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضل رجال بعد سلامة وتختلف الاهواء عند هجومها وتلتبس الآراء عند نجومها من اشرف لها قصمته ومن سعى فيها حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة وقد اضطرب معقود الحبل وعمي وجه الامر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق اهل البدو بمسحلها وترضهم بكلكلها تضيع في غبارها الوحدان ويهلك في طريقها الركبان ترد بمر القضاء وتحلب عبيط الدماء وتثلم منار الدين وتنقض عقد اليقين تهرب منها الاكياس وتدبرها الارجاس مرعاد مبراق كاشفة عن ساق تقطع فيها

الارحام

الارحام ويفارق عليها الاسلام بريها سقيم وظاعنها مقيم اقول المداحر جمع مدحر وهي الامور التي بها يدحر اي تطرد وحبائله ومخاتله عدده التي يختل الناس بها ويخدعهم [illegible] والبوائق جمع بائقة وهي الداهية والقتام بفتح القاف الغبار والعشوة بكسر العين الامر الملتبس على غير بيان ووضوح والفظاعة مجاوزة الامر الشديد الحد والمدارج الطرق والسلام بكسر السين الحجارة الصم واحدها سلمة بكسر اللام والمريحة المنتنة ويتزايلون يتفارقون ونجومها طلوعها واشرف لها اي انتصب لدفعها والتكادم التعاض بادنى الفم والعانة القطيع من حمر الوحش والمسحل المبرد والمسحل ايضا حلقة تكون في طرفي شكيمة اللجام تدخل احداهما في الاخرى والوحدان جمع واحد والعبيط الخالص الطري وصدر الفصل بالاستعانة بالله تعالى على ما يدحر الشيطان ويزجره وذلك من العبادات والاعمال الصالحة المستلزمة لطرده وزجره وتطويعه وعلى الاعتصام من حبائله وهي الشهوات واللذات الدنيوية واستعار لها لفظ الحبائل وهي اشراك الصائد لمشابهتها اياها في استلزام الحصول فيها للبعد عن السلامة والحصول في العذاب ومن مادح الرسول صلى الله عليه كونه نجيبا له اي مختارا وردي نجيبه وصفوة له من خلقه لا يؤازى فضله اي لا يحصل مثله في احد اذ كان كماله في قوتيه النظرية والعملية غير مدرك لاحد من الخلق ومن كان كذلك لم يجبر فقده الا بقيام مثله مقامه واذ لا مثل له فلا جبران لفقده وقوله اضاءت به البلاد بعد الضلالة اي ضلالة الكفر ووصفها بالمظلمة لعدم الاهتداء فيها للحق والوصف مستعار وكذلك وصف الاضاءة به مستعار لاهتداء الخلق به في معاشهم ومعادهم واسناد الاضاءة الى البلاد مجاز والجهالة الغالبة على اكثر الخلق واراد الجهل بالطريق الى الله تعالى وبكيفية نظام المعاش فما بينه هو وكشفه بشريعته والجفوة التي فيه يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك الدماء ووصفها بالجافية مبالغة وتاكيدا لها واراد الجفوة القوية والناس يستحلون الحريم الواجب تحريمه والعامل الصائب ويستذلون الحليم وظاهر من عادة العرب الى الآن استذلال من عقل منهم وتحلم عن الفاتن والريبة واثارة الفتن واستهضامه ونسبته الى الجبن والضعف ويحيون على فترة اي حالة انقطاع الوحي والرسل وعند حال انقطاع الخير وموت النفوس بداء الجهل ثم يموتون على الكفرة وهي الفعلة من الكفر لاهل كل قرن حيث انه اهادي لهم ثم اخذ عليهم في انذارهم ان معشر لما اقترب حوادث الوقائع المستقبلة التي ترمون بها كما يرمي الغرض بالسهام واستعار لفظ الغرض لهم ولما كانت الفتن الحادثة كثيرة فيهم واهلاكهم مثلا بسبب استعدادهم لذلك وكان اكثر الاسباب للفتن هي الغفلة عن ذكر الله بالانهماك في نعم الدنيا وانما استعار للغفلات لفظ السكرات ثم امر باتقائها وحذر من دواهي النقمات بسبب كفران النعم ثم امر بالتثبت او التبين على الرواهقين عند اشتباه الامور عليهم وظهور الشبهة المثيرة للفتن كشبهة من قتل عثمان التي نشات منها وقايع الجمل وصفين والخوارج واستعار لفظ القتام لالتباس الامر المشتبه ووجه المشابهة كون ذلك الامر مما لا يهتدى فيه خالص الحق كما لا يهتدى القائم في القتام عند ظهوره وخوضه واعوجاج الفتنة اتيانها على غير وجهها ولفظ الجنين يحتمل ان يكون حقيقة اي عند طلوع ما اجتن منها وخفي عليكم وكذلك كمينها اي ما كمن منها واستتر ويحتمل ان يكون استعارة ومعنى بقطبها من تدور عليه من البغاة المنافرين استعارة والانتصاب قيامه لذلك الامر وكذلك استعار لفظ

سواد الوجى لدودا ما علي من تدور عليه من انصار ذئب القطب وعسكره الذي يدور عليهم الفتنة ثم الحق ابنا تبلاء
في مدارج حتفه واراد بالمدارج صدور من يتولى القيام فيها ويعقد على آثارها وكان هذه اشارة الى فتنة بني امية وقد
كان سدا لها شربة قتل عثمان ولم يكن اصحاب الصحابة يتوهم خصوصية هذه الفتنة وانما كانوا علموا من الرسول صلى الله
عليه حدوث وقايع وفتن غير معينة الازمان والاسباب فكانوا يكون تسبب لها في تمهيد امرها كما كان معوية وطلحة
والزبير وغيرهم لاتوهم وما عزموا عليه من اقامة الفتنة والطمع في الملك والدولة حتى آل ذلك الطمع الى الامور القطيعة
الواضحة بعد الخفا واستعار لفظ النابت لقيامها وظهورها في الناس ووجه المشابهة اشرعه في الظهور والنبت
اكرها بتشبيه ذلك الظهور بشباب الغلام اي في السرعة ومع سرعتها لها اثارية هذم الاسلام كاثار الحجارة في الفم
في الجلد ووجه الشبه امضا كالبيض ولنظام المتكلمين كا شار الحجر بما يقع عليه بالرضخ والكبر واشار بالظلمة
التي يتوارثونها الى بني امية يعهد الاب لابنه الى اخرهم وذكر قودادهم لاخرهم الى النار والاضلال في الظلم والضلالة وما
في تلك الفتن واستعار لفظ العود لتبنيه الاول منهم اسباب المتلف بعده واقتدا آخرهم باولهم في ذلك وضمير المفعول
في يتوارثونها يعود ويرجع الى تلك الفتنة ثم اشار الى صفة حالهم في اثار تلك الفتن وتوارثها وهي المنافسة في الدنيا
في نظر العقلاء واستعار لفظ التكالب لمجاذبة بعضهم لبعض عليها كالمجاذبة بين الكلاب على الميتة واستعار لها
الجيفة ورشح بذكر المريحة للتنفير عنها ووجهها كونها مستلذة لاهل طلبها مهروبا منها للعقلاء كالهرب من الجيفة
المنتنة والاتروا عنها ثم اخبر بانقضائها من قليل ولكن بثبت عن تبرا التابع من المتبوع والقايد من المقود
اي يتبرا كل من الفريقين من الآخر كما قال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله قالوا ضلوا عنا بل لم
نكن من قبل شيئا وذلك التبرا قبل عند ظهور الدولة العباسية فان العادة جارية بتبرا الناس من الولاة والمعزولين
خصوصا عند الخوف ممن تولى عزل اولئك او قتلهم فيتبرون بالبغضاء اذ لم يكن الفتهم ومحبتهم الا لغرض
دنيا وي زال ويتلاعنون عند اللقاء وقيل ذلك يوم القيامة **وقوله** عن قليل الى اخره قوله عند اللقاء جملة
اعتراضية مؤكدة بها معنى تعجبه منهم فكانه قال انهم على تكالبهم عليها عن قليل يتبرا بعضهم من بعض وزلا ادعى
لهم الى ترك التكالب عليها **وقوله** ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف وكان هذه الفتنة هي فتنة التتار الدار
الدايرة فيها على العرب وقال بعض الشارحين بل ذلك اشارة الى الملحمة الكاينة في آخر الزمان كفتنة
الدجال وكنى عن اهوالها واضطراب اهل الاسلام فيها بكونها رجوفا اي كثيرة الرجف وطالعها مقدماتها واوائلها
بها وكنى بقصمها عن اهلاك الخلق فيها واستعار لها لفظ الرجوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف
في الحروب الى اقرانه اقدامه اي يمشي اليهم قدما ثم شرع في بيان افعال تلك الفتنة بالناس من ازاغة قلوب قوم
عن سبيل الله بعد استقامتها عليه وضلال رجال اي فلا تهم الآخرة بالمعاصي بعد سلامة منها واختلاف الاهوا
عن ارادة الله يجوزها والتباس الآراء الصحيحة بالفاسدة عند ظهورها على الناس فلا يعرفون وجه المصلحة
من غيره من تطلع الى سعتها وبنى فيها اهلكه واستعار لفظ التكادم ايما المغالبة مثيرين هذه الفتنة
بعضهم لبعض او لمغالبتهم لغيرهم وشبه ذلك بتكادم الحمر في العانة ووجه التشبيه المغالبة مع الايذاء الى
خلعهم ربق التكليف من اعناقهم وكثرة غفلتهم عما يراد بهم في الآخرة واستعار معقود الحبل لما كانوا انهم

من

من دولة الاسلام واستقامة ولفظ الحبل للدين وكنى باضطرابه عن عدم استقرار قواعد الدين عند ظهور اول هذه الفتنة
وعمى وجه هذا الامر اي عدم الاهتداء الى وجه المصلحة واشار بالحكمة التي تغيض الى الحكمة الخلقية التي عليها مدار
الشريعة وتعلمها واستعار لفظ الغيض لعدم ظهورها والانتفاع بها وتنطق فيها الظلمة اي بالامر والنهي وما يقتضيه
آراؤهم الخارجة عن العدل واستعار لفظ المجل لما تودي به العرب واهل البادية ووجه المشابهة الاشتراك
في المؤدي او تكثيره الجام وما تؤدي به العرب من هذه الفتنة في الابلاء وكانها تجاوع ساق عليهم فتدقهم بكلكلها
وشبه او نحو ذلك وكذلك استعار لفظ الكلكل لها ملاحظة لشبهها بالناقة التي تبرك على الشي
فتحطمه **وقوله** يضيع في غبارها الوحدان ويهلك في طريقها الركبان كناية عن عظمتها اي لا يقف منها احد ولا
يخلص منها الوحدان والركبان ولفظ الغبار مستعار للشبه من فرط اهلها اي ان القليل من الناس اذا ارادوا
دفعها هلكوا في غبارها من دون ان يدخلوا في غمارها واما الركبان ولكن بهم عن الكثير من الناس فانهم يهلكون في طريقها
وعند خوضها وقيل اراد بالوحدان فضلاء الوقت او نبلاء فلان واحد وقته وبالغبار الشبه التي تغطي الحق عن اعينهم
ويكون الركبان كناية عن الجماعة اهل القوة واذا كانوا هؤلاء يهلكون في طريقها اي عند الخوض لعزلتها وكيف
بغيرهم وكنى بنزول القضاء عن القتل والاسر ونحوهما وظاهر كون الواردات المودية او النافعة واردة عن القضاء في
الالهي معلومة الكون وكذلك استعار وصف الحلب لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بذلك عن سلب الدنيا منها في
منار الدين اعلامه وهم علماؤه ويحتمل ان يريد قوانينه الكلية وثلمها عبارة عن قتل العلماء او هدم قواعد الدين وترك
به وعقد اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين او الى عين اليقين وهو اعتقاد الشريعة وايصال
ذلك الى جوار الله تعالى والقرب منه ونقضه هو ترك العمل عليه وفقه عن تعيين وتبدله ولا كياسة الهادون
منه هم العقلاء واهل العقول السليمة وكل هذه الاشارات معلومة من فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم انجاس
النفوس بوجس الشيطان انجاسها بالحيات البدنية والملكات الردية انجاس الابدان بحكم الشريعة وكنى عن
شدتها وكونها محل المخاوف بوصفي الرعاد والبراق استعار من ملاحظة شبهها بالسحابة كثيرة البروق
والرعود وبوصفي كشفها عن ساق عن ابداء محمودة كالمشمر للجذب او الاسير وظاهر كونها تقطع فيها الارحام
ويفارق عليها الاسلام واشار بيسيرها الى من يعتقد في هذه الدولة انه ذو صلاح بريء من المعاصي والاثام مع كونه ليس
كذلك اذ من الظاهر ان السالم في هذه الفتنة من معصية الله قليل بل اقل من القليل والعلم عند الله استقرارا لا يو صدوا شا
ظاعنها الى من يعتقد انه متخلف عنها وغير داخل فيها وظاهر كونه غير متخرب عنها ويحتمل ان يريد به من
ارتحل عنها خوفا لا ينجو منها والله التوفيق **منها** بين قتيل مطلول وخايف مستجير
يختلفون بعقد الايمان وبغرور الايمان فلا يكونوا انصاب الفتن واعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة
وبنيت عليه اركان الطاعة واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين واتقوا مدارج الشيطان ومهابط
العدوان ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين من حرم عليكم المعصية وسهل لكم سبل الطاعة
اقول يقال دم فلان فهو مطلول اذا هدر ولم يطلب به ويختلفون يخدعون واللعق جمع
لعقة وهي اسم لما يلعق وله اللعقة مرة **فقوله** بين قتيل الى قوله مستجير يشبه ان يكون صفة لحال

المتمسكين بالدين في زمان الفتنة الاولى **وقوله** يختلون الى قوله وعنوة الايمان صفة حال استجلاب ملوك المفتونين اى انهم يخدعون باعطاء الاتباع والعهود الكاذبة وذلك كخداع الحسين عليه السلام عن نفسه واصحابه وروي يختلون بالتاء للفاعل فيكون وصف حال اهل الفتنة واتباعهم ثم اقتدى بني الساعين ان يكونوا انصار الفتن التي يذكرونها و اعلاما للبدع اي رؤساء ينشؤنها فيها ويقتدى بهم حاملين راية الضلال البينة ويقتدي بها في الخبو كني في الفتن بانها لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب **وقوله** واقدموا على الله مظلومين ليس المراد منه الامر بالانظلام فان ذلك طرف التفريط من فضيلة العدالة وهو رذيلة بل المراد انكم اذا كانت لكم ملكة من الظلم فلا تظلموا ولو ادى ترك الظلم الى انظلامكم وهو كسر للنفوس عن رذيلة الظلم خصوصا نفوس العرب فانها اقرب الى الظلم عن مانع عن قبول الانظلام ولا انفعال عنه وان استلزم الظلم كما اشار اليه المتنبي ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم ومدارج الشيطان طرقه وهي الدواخل التي يجتنبها ويقود اليها وكذلك مهابط العدوان محاله التي يهبط منها وهي طرق الشيطان ايضا ولعق الحرام كناية عما يكتسبه الانسان من الدنيا ومتاعها على غير الوجه الشرعي ونبه على وجوب الانتهاء عما نهى عنه بقوله فانكم بعين من حرم عليكم اي بحيث يراكم يقال فلان من فلان بمرأى ومسمع وبعين منه اذا كان مطلعا عليه اي فان الذي حرم عليكم المعصية واوجب عليكم طاعته مطلع عليكم وعالم بما تفعلون وذلك ادعى لهم من النهي المجرد ولفظ العين مجاز في العلم **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته و باشتباههم على ان لا شبيه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد لا بتأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع لا بأداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال اين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور **اقول** المشاعر الحواس اذ هي محل الشعور وقد حداها باعتبارات من اوصافه في فصل المباحث من العلم الالهي **الاول** الاشارة الى وجوده تعالى الواجب والناس في اثباته طريقان احدهما طريقة اثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته الى اقسامه حاصرة وتقرير هذه الطريقة ان يقال لا شك في وجود موجود فذلك الموجود ان كان واجب الوجود فهو المطلوب وان كان ممكنا افتقر الى غيره و لزم الدور او التسلسل وكلاهما باطلان اما الاول فلانه لو افتقر كل واحد من الامرين الى الآخر باعتبار واحد لزم تقدم كل منهما على المتقدم على نفسه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب واما الثاني فلانه لو كان ثمة سلسلة من علل ومعلولات لا نهاية لها في الوجود لكان مجموعها ممكنا لافتقاره الى اجزائه التي هي غيره فلمجموعها علة تامة وهي اما نفسه و هو محال بالبديهة او امر داخل فيه وهو باطل لان العلة التامة مع علة اجزائه هنا خلف واذا كانت علة المركب علة اجزائه لزم كون ذلك الجزء المؤثر في المجموع مؤثرا في نفسه اولا وفي علله السابقة عليه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب غير متناهية وذلك باطل بالبديهة فبقي ان يكون المؤثر في ذلك المجموع اما امرا خارجا ودلك الملك ان كان ممكنا افتقر الى آخر

عنه او ما يتركب عنه الداخل والخارج عنه لكن القسم الثاني ايضا باطل لان الداخل لما كان جزءا من العلة المركبة فله تقدم عليها وهي متقدمة على مجموع المركب فلها تقدم عليه وعلى اجزائه فيجري مجرى الداخل فله تقدم على نفسه وعلى علله وهو باطل فبقي الاول لكن الموجود الخارج عن كل الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود وهو المطلوب وهذه طريق العلماء الذين يستدلون به على مخلوقاته ويسمونه برهان اللم واما الطريق الثانية فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبايعها وامكانها وتغيرها وما يعرض لها من التغير والتركيب على مبادئها ثم على المبدأ الاول جلت عظمته وهي طريق الطبيعيين وهي التي اشار اليها عليه السلام بقوله الدال على وجوده بخلقه والمتكلمون فرعوا هذه الطريق الى اربع طرق احدها انهم استدلوا بحدوث هذه الذوات على امكانها وبامكانها على حاجتها الى موجد وموثر وهي طريق الاشعري وابي الحسين البصري والمتأخرين من المتكلمين الثانية استدلوا بحدوث هذه الذوات فقط على وجود محدث لها من غير نظر الى الامكان فقالوا الاجسام محدثة وكل محدث فله محدث والمقدمة الاولى استدلالية والثانية عندهم بديهية الثالثة استدلالهم بامكان الصفات وذلك ان بينوا ان الاجسام الفلكية والعنصرية متماثلة ثم قالوا ان بعضها قد اختص بصفات ليست للآخر فذلك التخصيص ليس للجسمية ولا للوازمها ولا لواجب في ذاته لجميع الاجسام فليس ذلك التخصيص ذلك العارض فالكلام في الاول ويلزم التسلسل ولا للطبيعة كما يقول بعض الناس لانها لا تفعل في المادة البسيطة كالنطفة مثلا فعلا مختلفا فبقي ان يكون ذلك التخصيص لمدبر حكيم وهو ما دنا بالصانع الرابعة الاستدلال بحدوث الصفات وهو ظاهر وتقرير هذه الطرق قد مر وعليها في الكتب الكلامية وينبغي ان يخصص المتكلم قوله عليه السلام الدال على وجوده بخلقه بالطريقة الاولى منهم والثالثة فانه عليه السلام جعل الحدوث دليلا على الازلية **البحث الثاني** في ازليته وبيانه ما ذكره عليه السلام بقوله وبمحدث خلقه على ازليته وتقرير هذه الدلالة انه قد ثبت في موضعه ان جميع المحدثات صادرة عن قدرته تعالى ومنتهية عنده فلو كان هو محدثا لكان محدثا لنفسه وهو باطل بالضرورة **البحث الثالث** في انه لا مثل له ولا شبيه واليه الاشارة بقوله وباشتباههم على ان لا شبيه له واراد اشتباههم في الحاجة الى المؤثر والمدبر وتقرير هذه الطريق ان نقول انه لما كان تعالى غنيا عن المؤثر فلا شبيه له في الحاجة اليه لكن المقدم حق فالتالي مثله وقيل اراد اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع والاشكال والمقادير والالوان ونحو ذلك وادلتهم فاخلافا جنب لبرائته عن التركيب المستلزم للامكان ولا تحت النوع لافتقاره في التخصص بالعوارض الى غيره ولا ذي مادة لاستلزامها التركيب ايضا فليس بذي شبيه في شيء من الامور المذكورة والاول اعم في نفي الشبيه **البحث الرابع** انه المشاعر لا تستلمه وبيانه ان استلام المشاعر مستلزم للجسمية وللاعراض اللاحقة بها وقد تنزه قدسه تعالى من الجسمية ولواحقها فقد تنزه عن ادراك المشاعر وملمسها **البحث الخامس** ان السواتر لا تحجبه وبيانه ان الحجاب والستر من لواحق ذي الجهة والجسمية وقد تنزه عنها فقد تنزه عن الحجب والستر المحسوسين وقوله لافتراق الصانع والمصنوع الى قوله والمربوب التعليل راجع الى الجمل المتقدمة كلها اذ كان لكل من الصانع والمصنوع صفات تخصه ويتميز بها وهي التي بها يفارق الآخر فالخالقية والحدوث والاشباه والمحدودية بالمشاعر والحجب بالسواتر من لواحق

الامور الممكنة المصنوعة وما ينبغي لها و يليق بها والوجود الازلي الذي لا شية له الممتنع عن ملابسة المتاعب وحجب السرادق
من لواحق الصانع الاول الواجب ومنه الذي ينبغي له و يليق به ويقابله ما سبق من اوصاف الممكنات واراد
بالحيّاد ضالق الحدود والنهايات ومنه الصانع واعتبار الصانع في اعتبار الرب لدخول المالكية في مفهوم الربوبية
دون الصنع البحث السادس في وحدانيته وقد سبق بيانها واراد بقوله ليس بمعنى العدد ان واحديته
ليس بمعنى كونه مبدأ للكثرة تعدد بها كما يقال في اول العدد واحد وقد علمت فيما سبق ان الواحد يقال بالاشتراك
اللفظي على معان عدة عرفتها وعرفت اطلاق الواحد عليه تعالى باي معنى هو وانه لا يجوز ان يكون مبدأ للعدد بل
هو تعالى واحد بمعنى انه لا ثاني له في الوجود وبمعنى انه لا كثرة في ذاته بوجه لا ذهنا ولا خارجا وبمعنى انه لم يفته مما له
شيء بل كان كل ما ينبغي ان يكون فهو له بالذات والفعل البحث السابع في كونه تعالى في حال القدسية منزها عن
الحركات والمتاعب وقد عرفت لمية ذلك في الخطبة الاولى وهو كونهما من لواحق الاجسام المنزه وقدسه عنها
البحث الثامن كونه سميعا لا باداة اي لا بجارحة وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى البحث التاسع
كونه بصيرا لا بتفريق الة وتفريقها اما عبارة عن بعث القوة الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا المعنى على قول
الاتصال بالة الشعاع الخارج من العين المتصل بسطح المرئي اظهر فان توزيعه اظهر وضح من توزيع الالة على قول
من يقول ان الادراك يحصل بانطباع صورة المرئي في العين ومعنى التفريق على القول الثاني هو تقليب الحدقة
وتوجيهها مرة الى هذا المبصر ومرة الى ذاك كما يقال فلان يفرق الهمة والخاطر اذا وزع فكره على صفقات ومباحث
بينه وسواها كالعلم وتحصيل المال وظاهر تنزيهه تعالى عن الابصار بالة الحس لكونها من توابع الجسمية ولواحقها
ولواحقها البحث العاشر كونه تعالى شاهدا اي حاضرا لا بمماسة والمراد تنزيه حضوره عن مماثلة
حضور الجسمانيات المستلزم للقرب المستلزم لمماسة الاجسام وتقارب اينيهما اي فهو تعالى الحاضر
بعلمه عند كل شيء والشاهد لكل شيء من غير قرب والمماسة ولا اين مطلقا لتنزهه عن الجسمية ولواحقها
البحث الحادي عشر انه تعالى مباين للاشياء لا بتراخي مسافة اي ان مباينته للاشياء لا تستدعي التميز
بالوضع والاين بل بذاته فقط وقد سبق تقرير ذلك في الخطبة الاولى ايضا البحث الثاني عشر انه الظاهر
لا بالرؤية والباطن لا باللطافة وذلك ان الظاهر من الاجسام ما كان منها مرئيا بحاسة البصر والباطن منها ما
كان لطيفا اما لصغر حجمه او لطافة قوامه كالهواء وظهوره تعالى وبطونه منزه عن هاتين الكيفيتين وقد
شرحنا هذين الوصفين غير مرة البحث الثالث عشر كونه بائنا من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها الى قوله
اليه ذكر في بينونته من مخلوقاته ما ينبغي له من الصفات وفي بينونتها منه ما ينبغي لها فالذي ينبغي له كونه
قاهرا لها غالبا عليها ومستوليا وكونه ذا اعلى لايجادها واعدامها والذي ينبغي لها كونها خاضعة في ذل الامكان
والحاجة لعزته وقهره وراجعة في وجودها وكمالاتها اليه جودا وبذلك تحصل البينونة بينها وبينه (ن)
البحث الرابع عشر تنزيهه عن الصفات الزائدة بالبيان الذي ذكره بقوله من وصفه فقد حده ومن
حده فقد عده وقد شرحنا هذا القياس بعينه في الخطبة الاولى باتم تقرير وابلغ تحقيق غير انه قال هناك
ومن اشار اليه فقد حده وقال ههنا من وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هنا هو اشارة الوهم

اليه واشتباهه بكيفيات وصفات يكون معنى الحد اذن واحدا وقوله ومن عده فقد ابطل ازله
لان عده عبارة اما عن جعله مبدأ الكثرة معدودة او عن كونه ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق الممكنات
والمحدثات التي المستحقة للازلية بالذات لا جرم كان من عده بالحد والاعتبارين مبطلا ازله الذي يستحقه
لذاته البحث الخامس عشر تنزيهه ان يسأل عنه بكيف لانه سؤال عن الكيفية والصفة وهو معنى قوله فقد
استوصفه وقد بينا تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات البحث السادس عشر تنزيهه عن
السؤال عنه باين وذلك لانه سؤال عن الحيز والجهة اللذين هما من لواحق الاجسام وقد بينا تنزيهه سبحانه
عن الجسمية وما ينبغي لها فليس هو سبحانه في مكان وهو في كل مكان بعلمه واحاطته البحث السابع عشر
كونه تعالى عالما اذ لا معلوم الى قوله مقدور وقد علمت معنى علمه وربوبيته وقدرته وقد علمت ان الاشارة بالحالي
اعتبار تقدمه بذاته على معلوماته ومعلولاته وظاهر عند ذلك الاعتبار انه لا معلوم في الوجود سوى ذاته لا مربوب ولا
مقدور موجود هناك بل هي واجبة التأخر عن ذلك الاعتبار وهذه اعتبارات بعدية محدثة كلها كما عليه
المتكلمون او بعضها كما عليه الاوائل وبالله التوفيق والعصمة منها طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح
واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر وانما الائمة قوام الله
على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه
ان الله قد خصكم بالاسلام واستخلصكم له وذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه
من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات
الا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه فيه شفاء المستشفي وكفاية
المكتفي اقول الوقت جمع غريب وهو التقيب وهو دون الرئيس واشار بطلوع الطالع الى ظهور
الامر والخلافة عليه واشتمالها اليه وبلموع اللامع الى ظهوره كان حيث هو حق له وسطوع انوار العدل بصيرورة
انتهائها اليه وبلوح اللائح الى ما لحقت اشتملها اليه من الفتن والحروب الموعودة التي لاحت امارتها بوثبه
وقال بعض الشارحين المراد بالثلاثة معنى واحد وهو انتقال الخلافة اليه فقوله واعتدل مائل
ما مال من الخلافة فيمن كان قبله في نظره اذ كان اعتقاده انه اولى وان من العدل ان تكون فيه واعتدل ذلك المائل
بانتقالها اليه واستبدل الله بقوم اي من سبق عليه قوما اي هو واتباعه وبيوم يوما كناية عن زمانهم
بزمانهم وقوله وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر اشارة الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر
اليه واراد بالغير تغيرات الدهر وتقلبات الاحوال فان قلت انه طلبها من حيث هي دنيا وهم
زهدها لذاتها ام طلبها من حيث يعمر بها الاخرة بانكار المنكرات واظهار العدل واقامة عمود الدين وحراسته
فان طلبه لها انما كان لذلك كما سبق في قوله لابن عباس بذي قار وهو يخصف نعله وشبه انتظاره للغير
بانتظار المجدب للمطر ووجه الشبه شدة التوقع والانتظار ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لواحق
الامرين المنتظرين اذ من لواحق ما انتظره هو من الغير وانتقال الامر اليه شمول العدل وظهور الحق
في موارده الشبيه لرفع المطر في الارض المجدبة واستلزامه الخير والبركة ثم شرع في تعريف حال

قلت [illegible]

الآية وما نصبوا له. وقوله لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان اهل كل عصر لا يدخلون الجنة الا بمعرفة امامهم ومعرفته لهم واراد بالآية من ولاه عليهم الله ومعرفتهم معرفة حق ولايتهم وصدق امامتهم وبيان الحصر من وجهين احدهما ان دخول الجنة لا يمكن لاحد من هذه الامة الا باتباع الشريعة ولزوم العمل بها ولا يمكن الا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك الا بالاخذ من صاحب الشريعة والقائم بها وارشاده وتعليمه وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقيقة امامته وصدق ولايته ليقتدي به ومعرفة الامام للمأموم ليرشده فاذن دخول الجنة مستلزم لمعرفة الامام للمأمومين ومعرفتهم له. الثاني ان معرفة ولاة الآية عليهم السلام كانوا المشهود المنقول عنه ومعرفة حقية امامتهم وصدق ولايتهم ركن من اركان الدين لا يدخل الجنة الا من اقامه ومن عرفهم كذلك وجبت معرفتهم له بذلك. فان قلت فنحن نرى كثيرا من شيعة ولاة الآية ومحبيهم لا يعرفهم الائمة ولا يرون اشخاصهم. قلت لا يشترط في معرفتهم لمحبيهم ومعرفة محبيهم لهم المعرفة الشخصية العينية بل الشرط المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان كل من اعتقد حقية امامتهم واهتدى بما اشتهر من هديهم فهو ولي لهم ومقيم لهذا الركن من الدين فيكونون عارفين بمن يتولاهم على هذا الوجه ومن يتولاهم عارفا بهم لمعرفة بحقية ولايتهم واعتقاد ما يقولون وان لم يشترط المشاهدة والمعرفة الشخصية. واما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فهو ايضا حق وذلك ان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على الوجه الذي قررناه ومخصص بها فكل واحد واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم ان لا واحد ممن يدخل الجنة منكر لهم لان معرفتهم وانكارهم مما لا يجتمعان في ملزوم واحد اذا عرفت ذلك فنقول ان كل من انكرهم وانكروه لا يجوز ان يكون اعم ممن يدخل النار اما اولا فللخبر المشهور من مات ولم يعرف امام وقته مات ميتة جاهلية دل الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار واما ثانيا فلانه لو كان اعم لصدق على بعض من يدخل الجنة فبعض المنكرين لهم يدخل الجنة فينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد ممن يدخل الجنة بمنكر لهم هذا خلف. ولذلك لا يجوز ان يكون اخص والا لصدق على بعض من يتولاهم ويعترف بصدق امامتهم انه يدخل النار لكن ذلك باطل لقول الرسول صلى الله عليه يحشر المرء مع من احب وقوله لو احب احدكم حجرا لحشر معه دل الخبر على ان محبة الانسان لغيره مستلزمة لحشره معه وقد ثبت انهم عليهم السلام الى الجنة يحشرون فكذلك من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودخول الجنة مع دخول النار مما لا يجتمعان فثبت انه لا واحد ممن يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر اذن صدق هذه الكلية ايضا ووجه الحصر فيها. ثم اخذ في اظهار منة الله تعالى عليهم بالقرآن الكريم وتخصيصهم به من بين سائر الكتب واستخلاصه له واعداده لقبوله من بين سائر الامم ثم نبه على بعض اسباب اكرامه تعالى لهم به اما الاسلام فلانه مشتق من السلامة بالدخول في الطاعة واما معناه فمن وجوه احدها انه مجموع كرامة من الله لخلقه لانه مواد جميع آياته على هداية الخلق الى سبيل ابتغائهم الى جنته. الثاني ان الله اصطفى منهجه وهو طريقته الواضحة الموصلة لسالكيها الى ما يسعى الى رضوان الله. الثالث ان الله تعالى بين حججه ومبين الادلة والامارات ومن للتمييز والتقسيم هنا تقسيم الحجج الى ظاهر علم واشار به الى ظواهر الشريعة واحكامها الفقهية وادلة تلك الاحكام وباطن حكم واشار به الى ما يشتمل عليه

الكتاب

الكتاب العزيز من الحكمة الالهية واسرار التوحيد وعلم الاخلاق والسياسات وغيرها. الرابع انه لا تفنى غرائبه واراد بالغرائب هنا ابكار الحكمة وبراهينه النافذة اي القاطعة وعدم فناء غرائبه انما هي ثباتها واستقرارها على طول المدة وتغير الاعصار وانما هي لكثرتها عند البحث والتفتيش عنها. الخامس ولا تنقضي عجائبه وذلك انه كلما تأمله الانسان استخرج منه بفكره لطائف عجيبة من انواع العلوم لم تكن عنده من قبل. السادس فيه مرابيع النعم واستعار لفظ المرابيع وهي الامطار التي تجيء من الربيع فتحيي الارض وتنبت الكلا لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركة تعلم القرآن ولزوم اوامره ونواهيه وحكمه واداب اما في الدنيا فالنعم التي تحصل ببركته لحاملته من القراء والمفسرين وغيرهم ظاهرة الكثرة واما بالنسبة الى الآخرة فما يحصل عليه من مقتبس انواره من الكمالات المسعدة في الآخرة من العلوم والاخلاق الفاضلة اعظم نعمة واتم فضيلة ووجه الاستعارة ظاهرة. السابع ان فيه مصابيح الظلم واستعار لفظ المصابيح لقوانينه وقواعده الهادية الى الله في سبيله كما يهدي المصباح في الطريق المظلمة. الثامن انه لا يفتح الخيرات الا بمفاتيحه واراد الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتيح لمناهجه وطرقه الموصلة الى تلك الخيرات ووجه الاستعارة كونها اسبابا موصلة اليها كما ان المفاتيح اسباب موصلة الى خيرات الخزائن مثلا. التاسع ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه واراد ظلمات الجهل وبالمصابيح قوانينه كما سبق استعارة. العاشر كونه قد احمى حماه اي هيأه وعرضه لان يحمى كما يقال اقتلت فلانا اذا صيرته ذا هيئة للقتل وعرضته للضرب واستعار لفظ الحمى لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه ووجه الاستعارة ان ذلك يكون حفظ الحفظ وحراسته اما في الدنيا فمن ايدي كثير من الظالمين لاحترامهم حملة القرآن ومفسريه ومن يتعلق به واما في الآخرة فلحمايته حفظته والمتدبرين له والعاملين به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلوذ به ونسبة الاحماء اليه مجاز اذ المعرض له ان يتدبر ويعمل به هو الله ورسوله صلى الله عليه وحملته وقيل اراد بحماه محارمه واحماه اي منع بنواهيه وزواجره ان يستباح محارمه ومنه اخص مما قلناه. الحادي عشر وذلك ارعى مرعاه اي هيأه لان يرعى واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والآداب التي يشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة ان هذه مراعي النفوس الانسانية وغذاؤها الذي يكون به نشوها العقلي وتمامها الفعلي كما ان المراعي الجسمانية من النبات والعشب غذاء الابدان الحيوانية التي بها تقوم وجودها. الثاني عشر فيه شفاء المستشفي اي طالب الشفاء منه اما في الابدان فبالتعوذ به مع صدق النية فيه وسلامة الصدر واما في النفوس فلشفائها به من امراض الجهل. الثالث عشر وكفاية المكتفي واراد بالمكتفي طالب الكفاية اما في الدنيا فلان حملة القرآن الطالبين به المطالب الدنيوية هم اقدر الناس على الاحتياج به في تحصيل مطالبهم وكفايتهم بها واما في الآخرة فلان طالب الكفاية به منها بكيفية تدبر القرآن ولزوم مقاصده في تحصيل مطلوبه منها وبالله التوفيق.

ومن خطبة له عليه السلام

وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد. اقول هذا الفصل يشتمل على صفة مطلق الضال واشار بالمهلة الى مدة عمره المضروبة له من الله وبهويه مع الغافلين الى سقوطه وانحطاطه

في سلكهم بسبب جهله وغفلته عما يراد به واستعار لفظ الهوي لذلك الانحطاط ونبه المتابعة ووجه المشابهة
ان المنهمك في مجاري الغفلة وسالك الجهل يحط بها عن درجة اهل السلامة ويهوي بها مهابط الهلاك وهي الرذايل
المبعدة عن الله تعالى كما ان الهاوي من علو كذلك وبعده مع المذنبين موافقته لهم فيما هم فيه ومسارعته
الى المعاصي من غير ان يسلك سبيلا قاصدا الحق او يتبع اماما يقوده اليه من استاد مرشد او كتاب او
سنة وبالله التوفيق [متن] حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم
استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم فاني احذركم ونفسي
هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا
يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق او تحريف في
نطق او تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك واختصر من عجلتك و
انعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الامي صلى الله عليه وآله مما لا بد منه ولا محيص عنه وخالف من خالف
ذلك الى غيره ودعه وما رضي لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك وكما
تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر
ايها المستمع والجد الجد ايها الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب
ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه
بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفس
او يعر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه او يلقى
الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهائم همها بطونها وان السباع
همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها ان المؤمنين مستكينون ان المؤ
منين مشفقون ان المؤمنين خائفون [اللغة] الجلابيب الملاحف والوطر الحاجة والجدد الطريق
الواضح واستنجح الحاجة استقضاها وصدر هذا الفصل صفة حالة الغافلين من احوال الآخرة المشترين
في طلب الدنيا وما على كشف صفته يعود الى اسم الله تعالى فيما سبق من الكلام وقد علمت ان النفس ذات جهتين
جهة تدبير احوالها البدنية بما لها من القوى العملية وجهة استكمالها بقوتها النظرية التي تتلقى بها من العالم
كمالها وعلمت ان بقدر توجهها الى جهة العدل في استكمال قوتها العلمية تنقطع عن الجهة الاخرى وتكتسبها الهيئات
البدنية فتكون في اغطية منها وجلابيب من الغفلة عن الجهة الاخرى بالانجذاب الى ما يعينه مما يعد
خيرا في الدنيا وبحسب انجذابها في هذه الجهة وتمكن تلك الهيئات البدنية منها يكون بعدها عن بارئها
ونزولها في دركات الجحيم عن درجات النعيم وبالعكس كما قال صلى الله عليه الدنيا والآخرة ضرتان
بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى وظاهر ان الموت ينقطع تلك الغفلة وينكشف تلك الحجب
فيومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ويكون ما انبته له يومئذ من تعلق تلك الهيئات بنفسه
وحطها له عن درجات الكمال وما شاهدت من السلاسل والاغلال هو جزاء معصيتهم المكشف لهم ولفظ

الجلابيب استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة حجب الغفلة لاعين بصائرهم عن النور بانوار
الله كحجب الوجه بالجلباب والمدبر الذي استقبلوه هو العذاب الاخروي والاحوال التي كانت غائبة عنهم والمقبل
الذي استدبروه هو ما كانوا فيه من مسراتهم واحوالهم الدنيوية وظاهر انهم لم ينتفعوا اذن بما ادركوا من طلبتهم
الدنيوية ولا بما قضوا من اوطارهم وحاجاتهم الحاضرة فيها ثم عاد الى التحذير من هذه المنزلة اي الحالة التي هؤلاء
الموصوفون عليها من الغفلة فانها مقام صعب ومزلة قدم وشرك نفسه في التحذير لانه ادخل في جذب نفوس
السامعين الى طاعته ثم امر ثانيا بالانتفاع بنفسه وشرح كيفية الانتفاع بشرح حال البصير لانه لا ينتفع بنفسه
الا البصير وذكر امورا فالاول ان يتفكر فيما يسمعه من كلام الله ورسوله والمواعظ البالغة فانه لا ينتفع بها بدون
التفكر فيها الثاني ان ينظر بعين حسه وبصيرته فيتوخى المقاصد النافعة فيبصرها ويدرك بعقله مرشدها
العبر الثالث ان ينتفع بما يدركه من العبرة ويقوم بالعمل على وفق ما علم والرابع ان يسلك الصراط
المستقيم الذي ورد به الشريعة وهو الجدد الواضح ويتجنب فيه العدول والانحراف فانه من الخوف عنه
والميل بينهما انصرع في مهواة وضل في مغواة وقد نبهنا فيما سلف على ذلك بالمثل الذي ضربه النبي صلى الله
عليه حيث قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ابواب مفتحة وعليها ستور مرخاة
وعلى رأس الصراط داع يقول جوزوا ولا تعرجوا قال فالصراط هو الدين وهو الجدد الواضح هنا
والداعي هو القرآن والابواب المفتحة محارم الله وهي المهاوي والمغاوي هنا والستور المرخاة هي حدود الله
ونواهيه ثم الى ان لا يعين الانسان على نفسه الغواة باحد امور ان يتعسف في حق اي لا يحمله على غير
الحق وصعبه فان الحق له درجات بعضها اسهل من بعض فالاستقصاء فيه على من هو اهل يوجب لهم
النفرة عمن يقوله ويامر به والعداوة له والقول فيه ويحتمل ان يريد بالتعسف في الحق التكلف في العمل
به مع نوع من التقصير فيه فان الغواة هم تاركوا الحق فاذا وجدوا ركيكا فيه او متكلفا للعمل به مقصرا
طمعوا في اماتته بالباطل فكان قدحا منهم على نفسه بذلك وكذلك اذا نسبوا منه الكذب والتحريف في القول
او التخوف من الصدق كان ذلك ادعى لهم الى الطمع في التقصير له بباطلهم واوضاله فيه فكان معينا لهم على
اغواء نفسه بذلك ثم عاد الى ايه السامع باوامر احدها الافاقة من سكر الجهل والتيقظ من الغفلة
في الدنيا ولفظ السكر مستعار ووجه المشابهة كون الغفلة مستلزمة لترك اعمال العقل كما ان السكر
كذلك الثاني الاختصار من العجلة واراد بالعجلة سرعة الحركة في طلب الدنيا والاهتمام بها وما اختصارها
الا تخفيف تلك الحركة وتقليلها الثالث بانعام الفكر فيما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه
وكثيرا من ذكر الموت وعرض النفوس على ربها وانعام الفكر في ذلك تدقيق النظر في حال الموت
وما بعده والاعتبار بها بما لا بد منه ولا محيص عنه من ذلك الرابع مخالفة من خالف ذلك ونظر في غيره
مما عنده من احوال الدنيا وزينتها وان يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من التعوض بالامور الفانية عن
الامور الباقية وما يستلزمه من الشقاوة الاخروية الخامس ان يضع الفخر ويحط الكبر وقد سبق
بيان ما في الكبر من الآفات والفخر مستلزم للكبر اذ كل مفتخر متكبر وملازمان السادس ان

٢٨٧ يدل فتبرة لانّ في ذلك عبرة تامّة وقوله فان عليه منزل تنبيه له على وجوب الذكر له فان السالك لطريق لابدّ من
سلوكها اذا كان فيها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له بحمل الضوء للاستنارة به والانسان في
سلوكه لطريق الآخرة لابد له من المرور بالقبر واحكام الشرع اكثرية ثم نبهه بالمثلين المشهورين كما
تدين تدان على وجوب حسن المعاملة مع الله سبحانه اذ كان حسن جزايه بقدر حسن معاملة العبد له و
قبحه بقبحها وكذلك قوله كما تزرع تحصد ولفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان فيكتسب نفسه ملكة
خيرية او شرية وكذلك لفظ الحصد للحصول على ما يثمر تلك الاثار ويستلزمه من ثواب او عقاب ووجه
الاستعارتين ظاهر وقوله وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا ظاهر فان الهيئات النفسانية التي هي
ثمرات الاعمال المستلزمة للسعادة او الشقاوة وان كانت مستصحبة للنفس ملازمة لها في الدنيا ايضا الا انها
لا تنكشف لها الا بعد المفارقة كما سبق بيانه فتكون حينئذ حالة الانكشاف بمنزلة من قدم على ما لم يكن
معه واذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يمهد لقدمه اي موطئ موضع قدمه في الآخرة بطيب الاعمال وتقدم صالحها
ليوم فاقته ثم عاد الى تحذيره من حيث هو مستمع للموعظة والى امره بالجد في العمل لما بعد الموت والتيقظ
من الغفلة ونبهه باقتباس الآية على ان الواعظ له خبير باحوال طريق الآخرة واحوالها ولا يخبر بها حقايق
الامور العارف بها ثم عاد الى التحذير من بعض الاشياء التي نص القران المجيد انها مستلزمة للعقاب لا محالة
والذكر الحكيم هو القران وقد سبق بيان معنى الغرام منه وقيل هو اللوح المحفوظ واسم ان انه لا ينفع والضمير
في انه ضمير الشان وفاعل ينفع ان يخرج ولا يبتّ نصب على الحال والمراد ان من حصل بخصوص الله سبحانه التي هي
في محكم كتابه العزيز التي باعتبارها وجب العمل بها ووفقها يثيب ويرضى ويترتبها يعاقب ويسخط انه لا ينفع عبدا
خروجه من الدنيا لاقيا ربه باحد الخصال المذكورة وان اجهد نفسه في العمل واخلص فيه احدها
الشرك بالله وقد سبق منا بيان درجات الشرك وبعده وقوته وضعفه يكون قوة العقاب وضعفه والنص
الدال على عقوبته المستلزمة لعدم نفعه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله فيما افترض عليه من عبادته
يفهم منه انه اراد الشرك بالرياء في العبادة كما افاد الثاني وهذه الآفة تلحق النفس تارة من غلبة الجهل
عليها واستيلاء الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد وتارة من غلبة الشهوة كما يلحق نفس المرائي بعبادته
لطلب الدنيا الثاني منه ان يشفي غيظه بهلاك نفس وفي نسخة نفسه ونفس اثم وذلك الهلاك تارة
في الدنيا كما يستلزمه اصلي بالغيبة الى الملوك ونحوه في الآخرة بالتسبب الاثم المستلزم لشفاء الغيظ والنص
فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا الآية وهذه الآفة تلحقها بواسطة القوة الغضبية
الثالثة ان يقربا بامر فعله غيره اي يرمي غيره بامر فعله ذلك الغير فيستلزم اهلاكه او اذاه فيدخل
فيمن سعى في الارض فسادا والنص عليه قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا الآية وروي لبعض الشارحين يعر بالعين المهملة قال ومعناه ان يقذف غيره بامر
قد فعله هو فيكون غيره مقصودا مفعولا به والفاعل يعر يقال عرّه يعرّه عرّا اي عابه ولطخه
فعلى هذا تكون داخلا في جملة الفاسقين والكاذبين والموذين للمؤمنين بغير ما اكتسبوا وهذه الآفة

يلحق

تلحق النفس من كل من الشهوة والغضب الرابعة ان يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه كما وجد
الوفود لعابية بميل اليها والرقى في الحكم والغضب الخامسة ان يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اي
يلقى كلا من الضدين مثلا بغير ما يلقي به الآخر فيفرق بينهما او بين العدوين ليضري بينهما وبالجملة ان يكون
بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في زمرة المنافقين وقد وعد المنافقين في القرآن ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ومطابقة ذلك من العقل ان من استقش لوح نفسه بهيات السوء ولم يمحها بالتوبة الحقيقة فهو من
اصحاب النار وقوله اعقل ذلك اي اجزه اي اعقل ما اضربه لك من المثل واحمل عليه ما يشبهه
فان المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله ان البهايم الى قوله والفساد دينها فنقول ان البهائم همها بطونها اشارة
الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوته الشهوية والاهتمام بالطعام والشراب دون المطالب
الحقيقية وقوله وان السباع همها العدوان على غيرها اشارة الى ان متبع القوة الغضبية بمنزلة السبع
في اتباعها ومحبة الانتقام والغلبة على الغير وقوله وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والغضبية ولما
كان همهن الفساد في الدنيا فالتابع لشهوته وغضبه لاحق بالسابقين ذلك ثم لما حصر منابع الشر في قوتي الشهوة
والغضب ذكر المؤمنين لصفات ثلاث كل منها يستلزم كسر تينك القوتين وهي الاستكانة لله والخضوع
له ثم الاشفاق من غضبه ثم الخوف من عقابه وظاهر كون كل واحدة من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرف
الافراط في القوتين والخروج عن حد العدل فيهما وغاية هذا المثل التنفير عن طاعة الشهوة والغضب
بالتنبيه على ان الخارج فيهما عن حد العدل الى ما لا ينبغي اما ان يشبه البهيمة او السبع او المرأة وكل منهما
العاقل عنه وهو الذي امر بعقليته فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الاشارة اللطيفة التي تشهد له عليه السلام
ب بانه منبع الحق كما هو واذا اعتبرت ذلك واشار من الحكم البالغة ونظرت انه عليه السلام لم يرجع فيه الى مطالعة كتاب
او استفادة من بحث علمت انه فيض رباني بواسطة اعداد سيد البشر والاستاذ المرشد صلى الله عليه قال
الشارح الفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد رحمه الله يريد باطن هذا الكلام الى الوفد يوم الجمل لانهم جاؤوا
ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين وعيروه عليه السلام بامر فعلوه وهو التاليب على عثمان
وحصره واستنجحوا حاجتهم الى اهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين
لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم نكثوا من وجه آخر فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك في انها لا تغفر الا بالتوبة
قال وهذا معنى قوله اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا
الراعي قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار
والاصحاب والخزنة والابواب لا توتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا اقول
الامد الغاية عين بصيرته وظاهر انه يبصر بها طريقه وغايته التي هو متوجه نحوها ومطلوبه منها وغوره
ونجده طريقا الخير والشر وهما النجدان في قوله تعالى وهديناه النجدين وعبارة القرآن المجيد اخصر
وهذه العبارة انسب الى المعنى فان الغور هو المنخفض والمستقبل انسب الى ان يعبر به عن رتبة النازل

في دركات الجحيم من البعد واشار بالداعي الى الرسول صلى الله عليه وما جاء به من القرآن الكريم والسنة وبالداعي الى
نفسه وامره بالاستجابة للاول والاتباع للثاني وظاهره وجوب الاستجابة به وبرسوله لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فيجب اتباع من اوجب اتباعه **وقوله** قد خاضوا البحار العميق
يحتمل ان يكون اشارة الى صفة قوم معهودين للسامعين كمعوية واصحاب الجمل والخوارج ويحتمل ان يكون
منقطعا عما قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضي رضي الله عنه واليه ذهب بعض الشارحين قال وهو ذكر قوم من
اهل الضلال قد كان اخذه ذمهم وعيبهم ولفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن والحروب وقد عرفت وجه
الاستعارة قبل ورشح بذكر الخوض والبدعة فقيل ذهبوا ترك السنة وقد يراد بها امر آخر يفعل مع ترك السنة
ومنه الاظهر في العرف ثم التفت الى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه واهل بيته ووجه المشابهة
ملازمتهم للرسول صلى الله عليه واختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد ثم ذكر كونهم اصحابا له ثم كونهم خزنته
اي خزنة علمه كما نقل عن الرسول صلى الله عليه انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية عيبة علمي وقيل خزنة الجنة على
معنى ان من جاء يوم القيامة بولايتهم دخل الجنة والاولى ولفظ الخزن على التقديرين مستعار ووجه المشابهة انهم
منع العلم واعطائه او منع الجنة بسببهم واعطائها كان الخازن لشيء كذلك ثم كونهم الابواب اي ابواب العلم كما
قال صلى الله عليه انا مدينة العلم وعلي بابها وابواب الجنة على الاستعارة السابقة **وقوله** ولا تؤتى البيوت الا من
ابوابها وكيف لو من اخذها العادة الجارية على وفق الحكمة الشاقة في النفس ومراده ان من طلب العلم والحكمة
واسرار الشريعة فليرجع الينا وبالله التوفيق **منها** فيهم كرائم الايمان وهم كنوز الرحمن ان
نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فانه منها قدم واليها
ينقلب فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدا عمله ان يعلم اعمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان
عليه وقف عنه فان العامل على غير علم كالسائر على غير الطريق فلا يزيد بعده عن الطريق الا بعدا من حاجته
والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على
مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول صلى الله عليه ان الله يحب العبد
ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة
فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وامرت ثمرته **اقول** الاشارة
الى فضائل اهل البيت عليهم السلام فالاولى فيهم كرائم الايمان اي نفائسه المستلزمة لاشد مقربي ابيه تعالى
كالاخلاق الفاضلة والاعتقادات الحقة المطابقة لما عليه الامور الثانية وهم كنوز الرحمن اي خزائن
علمه وسائر ما ائتمنهم من مكارم الاخلاق الثالثة ملازمتهم للصدق الرابعة اختصاصهم بالحكمة التي
لا يمكن غيرهم من النطق بها والسبق اليها حال سكوتهم فهم ان نطقوا فبحكمة وان صمتوا فبحكمة ووضع للصمت
موضعه وانما ذكر هذه الفضائل لنفسه واهل بيته جلبا الى سماع قوله ودعوته الى الله والى ما عقبه بالمثل فليصدق
رائد اهله واشار به الى ان من يحضرنا طلبا لاختبارنا فليصدق من بعثه اي انا اهل الحق وينابيع العلوم
والحكمة ولا ولاء الا الله كما يصدق الرائد لطلب الكلأ والماء اهله مبشرا بهما وليحضر عقله لما يقوله ليعرف صحته

[margin, right:] ولا تؤتى البيوت من ابوابها والتقوا الله ... الآن ان الا ... والتحريم ... العرب بعضه ...

ما ادعيناه ثم شرع فيما ينبغي ان يقوله اتباعه وهو التنبيه على احوال الآخرة وان يكون العاقل من ابنائها ووجه
استعارة البنوة ههنا قوله فانه منها قدم واليها ينقلب اي كما ان الابن ينقلب عن الام فاليها وله وجوعه كذلك
الانسان مبداه الحضرة الالهية وعنها ينقلب واليها يعود فينبغي ان يكون من ابنائها بالرغبة فيها والوله اليها والعمل
لها ثم نبه العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغي له ان يبدا به في حركاته وسكناته وهو ان
يتفقد احوال نفسه فيما يهم به ويبعث في طلبه او تركه ويعلم ان الى طلب او ترك الحركة مقربة له من الله تعالى
فيكون له فينبغي ان يمضي فيها او مبعدة له عن رضاه ومستلزمة لسخطه فتكون عليه فيقف عنها ثم شبه
الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق واشار الى وجه التشبيه بقوله فلا يزيده بعده عن الطريق
الا بعدا عن حاجته اذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وشبه العامل بالعلم في سلوكه
وقربه من مطلوبه ويتبين التشبيه من الجهل وزاد في التشبيه بقوله فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع فانه
اذا علم انه سائر وجب ان يعلم كيف يسير ويشعل مصباح العلم ليسلم من الضلال والضرغمة تهاوي الهلاك
وقوله واعلم ان لكل ظاهر باطنا الى قوله ويبغض بدنه فاعلم ان هذه القضية الكلية صادقة وبيانه
انه لما صدر عن الجود الالهي عالما الغيب والشهادة وان شئت عالم الخلق والامر وان شئت العالم الروحاني
والجسماني اقتضت الحكمة الالهية كون عالم الحس الشهادة طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولاها
لتعذر السفر الى الحضرة الالهية وانسد طريق الشوق الى الله فكان جميع ما ظهر في عالم الشهادة مثالا لا امر
باطن من عالم الغيب هو الطريق اليه والدليل عليه غيران المفهوم من كلامه عليه السلام ههنا تخصيص ذلك الكلية
بالجواهر فانه اما ان يشير بالظاهر الى اشخاص الناس او الى افعالهم الظاهرة والباطن اشارة الى الاخلاق
واعمال القلوب وما في الامزجة المختلفة من الخير والشر وقيل اشارة الى ما يخفى من الثواب والعقاب في
الآخرة وقد دل الاستقراء والقياس على ان حسن الصورة او حسن الاعمال الظاهرة التي تبدو من الانسان
حسن الاخلاق طيب العنصر مستقيم السيرة وعلى ان قبحها سيئ الاخلاق شديد اما الاستقراء
فظاهر واما القياس فلان حسن الاخلاق وقرب النفس من الاستقامة على طلب الحق يقتضي
قرب المزاج وكل معتدل المزاج حسن الاخلاق فحسن الصورة حسن الاخلاق وان ثبت هكذا
معتدل المزاج حسن الصورة معتدلة المزاج حسن الاخلاق والقضيتان اكثريتان فان بعض الصور
حسن الصورة قبيح الباطن وبعض خبيث الظاهر حسن الباطن ولذلك استشهد بما رواه عن الرسول
صلى الله عليه فان الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى الحكمة الالهية فانسب الى الوجود
من القبيحة التي هي انسب الى العدم الذي هو الشر المحض ويبغض من عمله من جهة ما هو شر في
ذاته عن العمل الحسن الباطن الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته الى العدم الذي هو شر واما النص
في دلالة الظاهر على الباطن فما نطق به القرآن الكريم والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث
لا يخرج الا نكدا اي عسرا مشوما قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي هذا
مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالارض العذبة التربة وبالارض السبخة المالحة شبه فيه المؤمن

[margin, left:] ... حسن الصورة حسن الاخلاق ... معتدل المزاج ...

الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به فبان اثر علمه بحسن الاعمال وطيبها بالبلد الطيب اذا كان البلد
الطيب يخرج ويخصب ويحسن اثر المطر عليه وشبه الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه اثراً محموداً بالبلد الجدب
اذ كان لا ينبت ولا يخصب ولا يتبين اثر المطر فيه واما البغض والحب فقد علمت انهما يعودان في الله سبحانه الى ارادته
وكراهيته فما كان خيراً محضاً او الخير غالب عليه فهو مراد له بالذات وما كان شراً محضاً او غالباً فهو
مراد له بالعرض مكروه له بالذات **ومنه** واعلم ان لكل عمل نباتاً استعار لفظ النبات لزيادة الا
عمال ونموها ورشح تلك الاستعارة بذكر الماء وكنى به عن المادة القلبية للاعمال ووجه المشابهة ان الحركات في
العبادة انما تكون بالميول القلبية والنيات كما ان حركة النمو للنبات انما يكون بالماء وظاهر ان اختلاف المياه في
الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف استعداد النبات لطيب المغارس والثمار فما طاب سقيه اي نصيبه من
الماء طاب غرسه وما خبث خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه بالنبات من الاعمال تكون طيب ثمارها وهي ثمار الجنة
وانواع لذاتها بحسب طيب مادتها من الاخلاص لله وخبثها بحسب خبث مادتها من الرياء وحب السمعة وتكون ثمرتها
امر الثمار اذ لا اشد مذاقاً من عذاب النار وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع
خلقه الخفاش** الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول فلم تجد
مساغاً الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى العيون لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً
ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلاً خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم
خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما
ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام
القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها
وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات اشراقها واكنها
في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون على حداقها وجاعلة الليل سراجاً تهتدي به
في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت
الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها على الضباب في وجارها
اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها
نهاراً ومعاشاً والنهار سكناً وقراراً وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كانها
شظايا الاذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاماً لها جناحان لما
يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت
لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان
البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره **اقول** الخفاش مفرد جمعه خفافيش وهو من
العشى وهو ضعف البصر خلقة وانحسرت كلت وردعت كفت والمساغ المسلك وسبحات اشراقها
جلالته وبهاؤه والبلج جمع بلجة وهي اول ضوء الصبح وقد يكون مصدراً والائتلاق اللمعان والاسداف مصدر

اسدف

اسدف الليل اظلم والغسق الظلمة والدجنة ظلام الليل ووضح النهار ضوءه ووجار الضب بيته والشظايا القطع وقد نبه
انه باعتبارات الاول انحسار الاوصاف عن كنه معرفته ولما كانت ذاته تعالى بريئة عن انحاء التراكيب
لم يمكن العقول ادراكها بشيء من الاوصاف بالكنه وقد سبق تقرير ذلك الثاني ردع عظمته العقول
عن بلوغ غاية ملكوته وذلك ظاهر لان الادراك للاشياء بحقائقها انما يتم بادراك حقائق عللها واذ استلزمت
عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول ردعها عن معرفة كنهه فظاهر انها لا تجد مسلكاً الى غاية ملكوته
وما عليه نظام الوجود الاعلى والاسفل كما هو الثالث قوله هو الله الحق المبين وهو الذي لا تكون
هويته موقوفة على غيره ومستفادة منه فان كل ما كان مستفاداً من الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم يكن
هو هو المطلق وكل ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر غيره او لم يعتبر فهو هو لكن كل ممكن فوجوده
من غيره وكل ما كان وجوده من غيره فخصوصية وجوده وتعينه من غيره وهو الهوية فاذن كل ممكن فهويته
من غيره فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدأ الاول هو هو لذاته فلا يكون من غيره فلا يكون ممكناً فهو واجب
لذاته فاذن واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل ذاته انه هو لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان
الرابع تعقيب لذكر الهوية باسم الله وذلك لانه لما كانت تلك الهوية والخصوصية عديمة الاسم
لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم منها اضافية ومنها سلبية واللوازم الاضافية اشد تعريفاً والاكمل
في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة والسلب وذلك هو كون تلك الهوية الهاً فان الاله هو الذي
ينسب اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فانتساب غيره اليه اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا
جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم الاكمل في التعريف من غيره ليكون كالكاشف لما دل
عليه لفظ هو وفيه سر آخر وهو انه لا تعرف تلك الهوية بلوازمها وهو الالهية نبه على انه لا جرم تلك الهوية
والا لكان العدول عنه الى التعريف باللازم قصوراً الخامس ذكر الحق والمراد به الموجود فانه
لما اشار الى الهوية وشرح اسمها عقب ذلك بالاشارة الى كونها حقاً موجوداً ووجودها عند العقول
احق وابين مما ترى العيون وذلك ظاهر فان العلم بوجود الصانع جلت عظمته فطري للعقول وان
احتاج الى تنبيه ما والعلوم التي تستند الى الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه
المحسوسات وعدم ضبطها او بسبب تقصير الحس في كيفية الاداء لصورة المحسوس فكانت المعقولات
الصرفة احق لادراك العقل لها بذاته السادس ان العقول لم تبلغه بتحديد فيكون مشبهاً وفيه
لب اشارة لطيفة تدل على كمال علمه عليه السلام وذلك انك علمت في المقدمات ان العقول اذا قويت على الاتصال
بالامور المجردة وكانت القوة المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس
الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت لاقتناص امر معقول واجتذبت القوى النفسانية
اثرها انتقشت بذلك المعقول ثم انها تستعين في ضبط ذلك الامر بالقوة المتخيلة فتحاكيه بما تشبهه
من الامور المحسوسة ثم تحطه الى خزانة الخيال فيصير مشاهداً متمثلاً اذا عرفت ذلك فنقول لو كان
الباري تعالى مما يدركه العقول وتثبته بحد ووصف لكان استثباته تعالى على النحو المذكور فيلزم

٢١٩ ان يكون شبيها بشيء من الاجسام والجسمانيات لتثبت صورته عند الاذهان وقد تنزه وتقدس ايضا عن التشبيه
بشيء منها السابع ولذلك ولم تقع الاوهام عليه بتقدير فيكون ممثلا اذ الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية
المتعلقة بالمحسوسات ولا بد لها في ادراكها ذلك المدرك من بحث المتخيلة على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانية
فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة جسمية حتى ان الوهم انما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار الثامن
خلقه الخلق على غير مثال الى قوله معين وقد سبق ايضا بيانه في الخطبة الاولى وغيرها وتمام خلقه باسبابه
بلوغه الى غاية في الكمال الممكن له اذ نطقت البراهين العقلية ان كل ما امكن لشيء وصل اليه من الجود
الالهي المنزه عن البخل والمنع من جهته واذعانه لطاعته ودخوله تحت القدرة الالهية ولذلك اجابته من غير
مدافعة والانقياد من غير منازعة ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله تعالى باعتبار بعض لطايف
صنعه وعجايب خلقه والتنبيه على غوامض حكمته في خلقة هذا الحيوان المخصوص وبدا بالتعجب من
خفاء الحيوان في قبض الضياء لابصارها مع انه باسط لساير ابصار الحيوانات واعداده لانبساط
ابصارها ومنوعه وغيره ثم من بسط الظلام لابصارها مع قبضه لساير الابصار ثم نبه على العلة الطبيعية لذلك
ومنوعة اعينها وضعفها ان تستمد من نور الشمس المضيئة نورا تهتدي به والذي ذكر في علة ذلك الضعف
هو افراط التحلل في الروح الحامل للقوة الباصرة من هذا الحيوان اذا التقى حر النهار فيصيبه لذلك التحلل
ضعف يحتاج معه الى التعويض عما يتحلل فيرجع عن العضو الباصر بها طلبا لبدل ما يتحلل فيتكمل
البدل بقرب الليل لمكان برده وضعف حرارة النهار فتعود الابصار ووصفه عليه السلام الى صفة مرتها
وكيفية حالها فيها الى قوله في ظلم لياليها ووصف الشمس بتمتع على وضاحها ومعارفها ما تعرفه من مذاهبها ووجوه
تصرفاتها متصل **وقوله** وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها في غاية الفصاحة ومعارفها
ما تعرفه من مذاهبها ووجوه تصرفاتها وتتصل عطف على قوله تستمد واما اسناد الحمد منها على
جذا فيها ضعفا بانه النوم وكثيرا ما يلحق كثيرا من الحيوانات وشبهه بما ذكرناه واستعار لفظ القناع
للشمس ملاحظة لشبهها بالمراة ذات القناع وكنى بالقناع عن بروزها من حجاب الارض ثم ثنى بتسبيح
الله تعالى وتعظيمه باعتبار انه اخرجها على سبيل التعجب ومن خلق اجنحتها من لحم بلا ريش ولا قصب
كساير اجنحة الطير بل من عروق ورق تنبسط وتنقبض على مفاصل مخصوصة من غير رقة توجب له
الانشقاق عند الطيران ولا غلظ يوجب له الثقل ثم ثلث بعجيب حالها مع ولدها وذلك انه يلصق
بها فيرتضعها ولا يفارقها في حالتي وقوعها وطيرانها حتى يشتد ويمكنه الطيران والتصرف بنفسه وذلك
امر تخالف به ايضا ساير الحيوان وهو محل التعجب ثم ختم الفصل بتسبيح الله تعالى باعتبار بديع
خلقه لكل شيء من غير مثال سبق من غيره ومن الامثال العامية قيل للخفاش لما ذا لا جناح لك قالت
لاني تصوير مخلوق قيل فلما ذا لا تخرج نهارا قالت حيا من الطيور يريدون ان المسيح عليه السلام صوره
وان اليه الاشارة بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وفي
الطير عجايب لا تهتدي لها العقول بل وفي كل ذرة من ذرات العالم عجايب ومكونات لطايف واسرار

كالنحل والعنكبوت والنمل يعجزون من ادراكها واستقصاء اوصافها الباب الالباء وحكمة الحكماء فسبحانه
ما اعظم شانه وابهر برهانه **ومن خطبة له عليه السلام خاطب بها اهل البصرة على جهة**
اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل نفسه على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم
ان شاء الله على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة فادركها راي النساء وضغن غلا
في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب
على الله **اقول** اعتقل نفسه اي ضبطها وحبسها والضغن الحقد والمرجل القدر **وهو** عند ذلك
يقتضي انه سبق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن وحروب تقع بين المسلمين وجب على من ادركها ان
يحبس نفسه على طاعة الله دون مخالطتها والدخول فيها وسبيل الجنة هو الدين القيم وظاهر شرط حمله
عليه بالطاعة اذ لا راي لمن لا يطاع ونبه على ان هذا الدين الحق ما هو ذو مشقة شديدة ومذاقة مريرة كما
الجهاد وكذلك ساير التكاليف فيها مشقة وفلانة كناية عن عايشة وادراك راي النساء لها في حربه بالبصرة
وقد علمت ان راي النساء يرجع الى افن وضعف وفي الخبر لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امراة وجاء انهن
قليلات عقل ودين كما سبق بيان اخلاقهن واما الضغن فقد نقل له اسباب عدة منها ما كان
بينها وبين فاطمة عليها السلام بسبب تزوج الرسول صلى الله عليه لها عقيب موت خديجة ام فاطمة واقامتها مقامها
ومن المعلوم المعتاد ما يقع بين المراة وابنة زوجها من غيرها من الاذية وكان سبب البغض من المراة لبنت الزوج
حركة المتخيلة باقامة البنت مقام الام التي هي ضرة لها وتشبيهها بها فتقيمها مقام الضرة وتتوهم فيها
العداوة والبغضاء ثم يثبت ذلك الخيال ويقوى باسباب اخرى فيتاكد البغض خصوصا ان كان للزوج
اكرام لبنته كما هو المنقول من الرسول صلى الله عليه في حق فاطمة عليها السلام واما من جهة فلتخيلها انها
ضرة امها وتوهمها بسبب ذلك بغضها لها وان بغض الام باعث للبنت لا محالة ويتاكد ذلك بالميل المنقول
عن الرسول صلى الله عليه في حق عايشة واثارها على نسايه والنفوس البشرية خصوصا نفوس النساء
تنبسط على ما دون ذلك فكيف منه صلى الله عليه ولا شك في تعدي ذلك الى نفس بعلها عليه السلام فان النساء
كثيرا ما يحصل بسببهن الاحقاد في قلوب الرجال ومن بعض الحكماء اذا رايت في الدنيا خصومة
ليست بسبب امراة فاحمد الله تعالى فانها امر عجيب وكثيرا ما كانت فاطمة عليها السلام تشكو الى بعلها
من عايشة ومنها ما كان من ابيه في قذف عايشة ونقل ان عليا عليه السلام كان من المشيرين بطلاقها تنزيها
لعرض الرسول صلى الله عليه من اقوال المنافقين وقال له لما استشاره ان هي الا شسع نعلك وقال
سل الخادمة وخوفها فان اقامت على الجحود فاضربها وبلغها كل ذلك الكلام وسمعت اضعافه مما
الغيبة مما جرت عادة الناس ان تداولوه في مثل هذه الواقعة ونقل النساء ان عليا وفاطمة سروا بذلك
فتفاقم الامر وغلظ لما نزلت براءتها وصالحها الرسول صلى الله عليه ظهر منها ما جرت العادة بظهوره ممن
انتصر بعد ظلمه وانتصف بعد غلبة من بسط اللسان والتبجح بالبراءة من العيب وفلتات القول اثناء
ذلك وبلغ ذلك عليا وفاطمة عليهما السلام ومنها كون النبي صلى الله عليه سد باب ابي بكر من المسجد وفتح باب

صيغه وسها بعثه ابا هابنوئة بآدم ثم أخذتها منه ودفعها الى علي الى غير ذلك من الاسباب الجزئية التي
بها تقوى الاحوال ولا يكاد تتبين بالاقوال فان كل ذلك مما يثير الاعتقاد ويوكد الاصنغان وقوله
ولو نفثت الي آخره كلام حق لمكان ذلك الباعث لها في حقه دون غيره وقوله ولها بعد اخذ منها الاولى
وجه اعتذاره في التلبث عن اداها بعد استحقاقها للاذى في نظره وجزمها بنكاح رسول الله صلى الله عليه
وكونها زوجة له وقوله والحساب على الله تنبيه على انه وان سامحها في الدنيا بما فعلت فان الله تعالى
متولي لحسابها في الآخرة ولعل هذا الكلام منه عليه السلم قبل اظهارها للتوبة وعلمه بذلك لانه في معنى اظهار
لها من الله متن سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصا
لحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تحرز
الآخرة وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين
في مضمارها الى الغاية اقول اذ انقف فذ منك وقربت والارقال ضرب من الخبب ولا مقصر له
عن كذا اي لا محبس ومبدا الفصل في وصف الايمان والمراد بالايمان التصديق القلبي بالتوحيد وبما جاء
به الرسول صلى الله عليه ولا شك في كونه سبيلا ابلج واضح المسلك الى الجنة انور السراج في ظلمات الجهل ولفظ
السراج مستعار والصالحات هي الاعمال الصالحة من سائر العبادات ومكارم الاخلاق التي وردت بها
الشريعة وظاهر كونها معلولات للايمان القلبي وثمرات له يستدل بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها
استدلالا بالعلة على المعلول ويستدل بصدورها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على
العلة واما قوله وبالايمان يعمر العلم فلان الايمان بالتفسير المذكور اذا عضده البرهان كان علما وهو زوح ح
العلم ويطلق عليه اسم الايمان عليه مع ثمراته وهي الاعمال الصالحة لانها من كمالاته ولا تمام له ولا منفعة بدونها فان
العلم اذا لم يعضده بالعمل فهو قليل النافعة في الآخرة بل لا ثمرة له فهو كالخراب الغير الصالح للاقتناء وكما
لا يصلح الخراب للسكنى فكذلك العلم الخالي عن الاعمال الصالحة ولذلك قال عليه السلم في موضع آخر العلم
مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل واما قوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم بالله
تعالى وغاية خلقه للانسان وملاحظة شبه الدنيا الى الآخرة والعلم باحوال المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام
ملاحظته وذلك يستلزم لرهبته والعمل له ولما بعده وقوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ الدنيا عبارة
عما فيه الانسان قبل الموت من التصرفات البدنية وقوله وبالدنيا تحرز الآخرة اشارة الى ان الدنيا محل
الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وفيها تحصيل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الآخرة وقد سبق غير
مرة ومواتها بالموت وطرح بيانه وقوله وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين اشارة
لطيفة ذكرناها غير مرة ومتوان بالموت وطرح جلباب البدن يتبين ما للانسان وما عليه مما قدم من خير
وشر وان كانت قبل ذلك ايضا حاصلا للنفس في الدنيا الا ان التام بها والالتذاذ لا يحصل لها الا بعد طرح
البدن واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود
لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولفظ الازلاف والبروز يشهد بذلك لانه تعني الظهور اي ظهور الادراك اذن

وقوله وان الخلق لا مقصر لهم عن القيامة ومضمارها مدة الحياة الى آخره كلام في غاية الحسن مع غزارة
الفائدة وهو اشارة الى انه لا بد لهم من ورود القيامة ومضمارها مدة الحياة الدنيا وهو لفظ مستعار ووجه
المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس للسباق الى حضرة الله كما ان المضمار محل استعداد الخيل
للسباق وقد سبق بيان ذلك في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق ومرقلين حال وارقال كناية عن سيرهم
المتوهم في مدة اعمارهم الى الآخرة وسرعة حثيث الزمان بهم في اعداد ابدانهم للخراب والغاية القصوى هي
السعادة او الشقاوة الاخروية متن قد شخصوا من مستقر الاجداث وصاروا الى مصا
ئر الغايات لكل دار اهل لا يستبدلون بها ولا ينتقلون عنها وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان
من خلق الله سبحانه وتعالى وانهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله فانه الحبل
المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام ولا
يزيغ فيستعتب ولا يخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق وقام اليه
رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
عليه السلم لما انزل الله سبحانه قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة لا تنزل
بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال
يا علي ان امتي سيفتنون بعدي فقلت يا رسول الله اوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد
من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة من
ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن
الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر وقال يا علي ان القوم سيفتنون باموالهم ويمنون
بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويامنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيـ
ـستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع قلت يا رسول الله فباي المنازل انزلهم عند ذلك
ابمنزلة ردة ام بمنزلة فتنة فقال بمنزلة فتنة اقول صدر هذا الفصل صفة حال اهل القبور
في القيامة ومصائر الغايات الجنة والنار وظاهر ان لكل دار منهما اهل لا يستبدلون بها ويجب ان نعني
باهل النار الكفار لتتم قوله لا يستبدلون بها ولا ينتقلون عنها فان العصاة من اهل القبلة وان صح انهم يعذبون
لكن ثبت انهم ينتقلون عنها وقوله وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى قوله من رزق حث عليهما
بذكر كونهما خلقين من خلق الله واعلم ان اطلاق لفظ الخلق على الله استعارة لان حقيقة الخلق انه ملكة
تصدر عن الانسان بها افعال خيرية او شرية وقد تنزه تعالى عن الكيفيات والهيئات فلم يصدق هذا
اللفظ عليه حقيقة لكن لما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاخلاق الفاضلة اشبه ما ينسب له تعالى
من صفات الكمال ونعوت الجلال التي ينسب اليها ما يصدر عنه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والافعال
الخيرية التي بها نظام العالم ووقوع حكمته وقدرته وجوده وعنايته وعدم حاجته مما يتصف من الاخلاق
الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الخيرية البشرية فاستعير لها لفظ الاخلاق واطلق عليه فاما كونهما لا

يقرب من الاجل ولا ينقص من الرزق فلان كثيرا من منفعة الاصب والعقلي يمنعهم عن الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر توهم ايصال الاذى وخصوصا ترك بني الملوك عن المنكرات ثم شرع في الحث على لزوم كتاب الله تعالى
ووصف به بها على فضيلته الاول كونه الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار له ووجه المشابهة كونه
سببا للنجاة للمتمسك به ورشح بذكر المتانة الثاني كونه نورا مبينا ولفظ النور ايضا استعارة له باعتبار
الاهتداء به الى المقاصد الحقيقية في سلوك سبيل الله الثالث كونه الشفاء النافع اي من الم الجهل وكونه
الري النافع اي للعطشان من نار الحياة الابدية كالعلوم والكمالات الباقية الرابع كونه عصمة للمتمسك
ونجاة للمتعلق ومعناه كالذي سبق في كونه حبلا الخامس لا يعوج فيقام اذ ليس فيه شبهة ولا
المحسوسة السادس ولا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق كما يفعله سائر
الحكام من الناس السابع ولا تخلقه كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج الاسماع وهو من خصائص
القرآن الكريم فان كل كلام نثرا او نظما اذا كررت تلاوته مجته الاسماع واستهجنته الا القرآن الكريم فانه لا يزال
غضا طريا يزداد على طول التكرار في صدور الاعصار محبة في القلوب وحسنا والذي يلوح من سر ذلك
كثرة اسراره وغموضها حتى لا يطلع عليها الا الافراد مع كونه في الغاية من فصاحة الالفاظ وعذوبة المسمع
فاما ما حكاه من سؤال الرسول الى الله صلى الله عليه وجواب الرسول له فقد روى كثير من المحدثين عنه عليه
السلام عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين
قال فقلت يا رسول الله وما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله
واني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما اشهد قال على الاحداث
في الدين ومخالفة الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسأل الله ان يعجلها بين يديك قال
فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين اما اني وعدتك الشهادة وستستشهد بضربة على
هذا فتخضب هذه فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر
قال اجل اصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا فقال ان
امتي ستفتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا
بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها
جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست
حالهم الثانية دون حالهم الاولى فقلت يا رسول الله فبأي المنازل انزل هؤلاء المفتونين ابمنزلة فتنة
ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يا رسول الله
ايدركهم العدل منا ام من غيرنا فقال بل منا بنا فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب بعد الشرك
وبنا يؤلف القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله وليس في هذا الفصل
غريب ينبه عليه الا سوى قوله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن الشكر فانك علمت فيما
سلف ان الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية الى الله تعالى لكنك علمت ان مقام

الشكر

الشكر ارفع من مقام الصبر ولما كان موقعها الاستشهاد العارض بعد سيد المرسلين صلى الله عليه لاجرم
كان اولى من صدرت عنه هذه الاشارة فاما اخبار الرسول صلى الله عليه بان الناس سيفتنون باموالهم و
يمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته وسائر ما اخبر به الى قوله بالبيع فكل ذلك مشاهد
في زماننا وقبله بقرون واما كون ذلك منزلة فتنة لا منزلة ردة فلبقائهم على الاقرار بالشهادتين وان ارتكبوا من
المحارم ما ارتكبوا اشبه غلطا على اقبح مصايدهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته عباد الله ان الدهر
يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى فيه سرمدا ما فيه آخر فعاله كاوله متشابهة
امور متظاهرة اعلامه فكأنكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه
بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في طغيانه وزينت له سيء اعماله
فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار
حصن ذليل لا يمنع اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين تدرك الغاية
القصوى عباد الله الله الله في اعز الانفس عليكم واحبها اليكم فان الله تعالى قد اوضح سبيل الحق
وانار طرقه فشقوة لازمة او سعادة دائمة فتزودوا في ايام الفناء لايام البقاء فقد دللتم على الزاد وامرتم
بالظعن وحثثتم على المسير فانما انتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالمسير الا فما يصنع بالدنيا
من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله انه ليس لما
وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب عباد الله احذروا يوما تفحص فيه الاعمال ويكثر فيه
الزلزال وتشيب فيه الاطفال اعلموا عباد الله ان عليكم رصدا من انفسكم وعيونا من جوارحكم
وحفاظ صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم
منهم باب ذو رتاج وان غدا من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقا به فكأن كل امرئ
منكم قد بلغ من الارض منزل وحدته ومخط حفرته فيا له من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة
وكأن الصيحة قد اتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل و
اضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها فاتعظوا بالعبر و
اعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر **اقول** الشول النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها
من نتاجها سبعة اشهر الواحدة شائلة على غير قياس والارتباك الوقوع والحمة العقرب ابرتها وهي محل سمها
والرتاج الغلق وقد حمد الله تعالى باعتبارات احدها جعله الحمد مفتاحا لذكره في اكثر السور
الثاني كونه سببا للمزيد من فضله والمراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم
وقد عرفت اعداده لزيادة النعم الثالث ودليلا على آلائه لاختصاص الشكر بولي النعم وعلى
عظمته لاستحقاقه باستحقاق ذلك لذاته اذ هو مبدأ كل نعمة ولان الحمد لا ينبغي الا له ثم اخذ في الموعظة فنبه
انهم على فعل الدهر بالماضين ليتذكروا انهم ايضا لاحقون بهم فيستقهروا عن غيهم و

يعلموا ما بعد الموت ثم نبه على حالهم في تقضيه بالذل وقت مغني لا يعودوا وإذ ذل وقت منه له أهل ومتاع
من الدنيا إنما يكون في الوجود بوجود ذلك الوقت فظاهر أنه يتقضى بتقضيه ولا يبقى مستمدا ما فيه وإن آتاه
متتابعة آخرها فأولها أي يوجد ما يكون بأعداد ويثبته بوجود ذلك الوقت وينقضي بانقضائه في حالة
ذاتها على وتيرة واحدة ولذلك قولهم مثابة أسوة فإنه كما كان أولا بعد قوتا للفقر وقوتا للغنى وقوما للضعة
وقوما للرفعة وقوما للوجود وآخرى للعدم كذلك منه آخرا **وقوله** متظاهرة أعلامه أي دلالاته على
شيمته وطبيعته وأفعاله التي يعامل الناس بها قديما وحديثا متعاضد يتبع بعضها بعضا ونسبة هذه الأمور
إلى الدهر مجازا على أوضاع العرب وإن كان الفاعل هو الله تعالى وإنما للدهر الإعداد كما سبق ثم نبه على قرب
الساعة وشبه حدوثها أي سوقها لهم بسوق الزاجر للنوق في حثها وقد عرفت كيفية ذلك السوق
ووجه الاستعارة فيه في قوله وإن الساعة من ورائكم تحدوكم فإنا وجه الشبه فهو السرعة والحث وإنما
خص الشول من النوق لخلوهن من الأثقال فيكون سوقها بعنف وأسرع ولما نبههم على قربها وأنها
تحدوهم نبههم على وجوب اشتغال كل بنفسه إذ كان مشغول نفسه بغير نفسه غير محصل لنور يهتدي
به في ظلمات طريق الآخرة بل إنما يحصل على أغطيته وأغشيته من الهيئات البدنية المكتسبة عما اشتغل به
من متاع الدنيا والعمل لها وقد علمت أن تلك الأغطية مغشية لنور البصيرة فلا جرم يتحير في تلك الظلمات
ويرتبك في مهالك تلك الطريق ومعاويها ويتمدد به شياطينه ونفسه الأمارة في طغيانها وتزين له سيء أعماله
ثم ذكر غاية وجود الإنسان فخص الجنة بالسابقين والنار بالمفرطين وقد كان ذكر الجنة كافيا في
الجذب إليها والنار كافيا في الجذب عنها فقرن ذكر الجنة بذكر فضيلة السبق وذكر النار برذيلة
التفريط ليقوي الباعث على طلب أشرف الغايتين والهرب من أخسهما وأيضا فلأن السبق والتفريط
علتان للوصول إلى غايتيهما المذكورتين فهدى إلى طلب أحديهما والهرب من الأخرى بذكر سببيهما ثم
عاد إلى التنبيه على فضيلة التقوى واستعار لها لفظ الدار الحصينة التي تتحصن بها ووجه الاستعارة
كونها تحصن النفس أما في الدنيا فمن الرذائل الموبقة المنقصة الموجبة للكثير من الهلكات
الدنيوية وأما في الآخرة فمن ثمرات الرذائل وملكات السوء المستلزمة للعذاب الأليم ثم على رذيلة الفجور
وهو طرف الإفراط من فضيلة العفة واستعار لفظ الدار بقيد كونها حصنا ذليلا ووجه الاستعارة كونه
مستلزما لضد ما استلزم التقوى ويجب أن يخصص التقوى هنا بفضيلة القوة البهيمية وهي العفة
والزهد لمقابلة الفجور والعفة ثم نبه على فضيلة أخرى للتقوى وهي كونها قاطعة لحمة الخطايا ولفظ الحمة
مستعار لها باعتبار كونها أسبابا مستلزمة للأذى كما يستلزم إبرة العقرب أو سمها للأذى ومن روى
حمة مشددة أراد شدة الخطايا وبأسها لأن حمة الحر معظمه وظاهر كون التقوى قاطعا لبأس
الخطايا وما حسب آثارها ولما أشار إلى كون التقوى جامعا لمادة الخطايا وكان بذلك إصلاح القوة العملية
أشار إلى أن اليقين الذي به إصلاح القوة النظرية باليقين وعلى كمال القوة العملية بالتقوى يبلغ الغاية
القصوى من الكمال الإنساني ثم عقب بتجذيب السامعين من الله تعالى في أعظم الأنفس عليهم وأجيب

إليهم في الكلام أشار إلى أن للإنسان نفوسا متعددة وهي باعتبار مطمئنة وأمارة بالسوء ولوامة وباعتبار
عاقلة وشهوية وغضبية والإشارة إلى الثلاث الأخيرة والمراد النفس العاقلة إذ هي الباقية بعد الموت ولها
الثواب وعليها العقاب وفيها الوصية وغاية هذا التحذير حفظ كل نفس بما يوبقها في الآخرة وذلك بالاستقامة
على سبيل الله ولذلك قال قد أوضح لكم سبيل الحق وأنار طرقه أي بالآيات والنذر
ثم عاد إلى الحث على اتخاذ الزاد بعد أن ذكر التقوى تنبيها على أن الزاد هو التقوى كما قال وتزودوا فإن خير
الزاد التقوى وأيام الفناء أيام الحياة الدنيا وأيام البقاء الحال التي بعد الموت ودلالتهم على الزاد في الآية التي
دلهم الله تعالى بها عليه والمراد بالظعن كقوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الآية وقوله ففروا
إلى الله والجملة كلها أمر بالإعراض عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم للحث على الظعن والأمر
بالمسير عن الدنيا بالقلوب لأن الظعن هنا هو قطع درجات المعارف والأعمال في سبيل الله وصراطه
المستقيم والمسير فيها ويحتمل أن يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار وبعثهما على الأعمار فهما سايقان
بيانه حيث أنه عنهما فيجب التنبه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يؤتيان إليه **وقوله** وإنما أنتم كركب
إلى آخره فوجه التشبيه ظاهر فإن الإنسان هو النفس والمطايا هي الأبدان والقوى النفسانية والطريق
هي العالم الحسي والعقلي والسير الذي كلف قبل الموت هو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات
المسعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية وإنما السير الثاني الذي هم وقوف ينتظرونه ولا يدرون متى يؤمرون
به فهو الرحيل إلى الآخرة من دار الدنيا وطرح البدن وقطع عقبات الموت والقبر إذ الإنسان لا يعرف
وقت ذلك وحينئذ يتبين لك من سر هذا الكلام أن قوله وأمرتم بالظعن مع قوله لا يدرون متى يؤمرون
بالسير غير متنافيين كما ظنه بعضهم ثم أخذ في تزهيد الدنيا والتنفير عنها بذكر أن الإنسان غير
مخلوق لما لا يبقى لغيرها ومقتضى العقل أن يعمل الإنسان لما خلق له وفي تزهيد المال بذكر سلبه عن قليل
بالموت وبقاء الحساب عليه وتبعاته من عقاب الحساب إلى صلة السبب محبته وجمعه والتصرف
الخارج عن العدل فيه لا سيما لغير مستحقه ثم عقب بالترغيب في وعد الله بأنه ليس منه متروك أي ليس منه
عوض وبذلك في النفاسة وبالتنفير عما نهى الله عنه بكونه لا مرغب فيه أي ليس فيه مصلحة ينبغي أن يجعلها
العاقل غاية مقصودة له إذ هو تعالى أعلم بالمصالح فلا يليق بجوده أن ينهى العبد عما فيه مصلحة راجحة ثم
عقب بالتحذير من يوم الوعيد ووصفه بالصفات التي باعتبارها يجب الخوف منه والعمل له وهي فحص
الأعمال فيه ومناقشة الحساب عليها كقوله تعالى وإنه عما كنتم تعملون وظهور الزلزال لقوله تعالى إذا
زلزلت الأرض زلزالها وتشيب الأطفال لقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا واعلم أن هذه الصفات
يوم القيامة ظاهرة في الشريعة وقد سلط الشرع ونزل عليها بعض من تحذلق بقال أما الفحص عن الأعمال
فيرجع إلى إحاطة اللوح المحفوظ وظهورها للنفس عند مفارقتها البدن أو إلى انتقاشها في النفوس
لما تقدم شرحه لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وأما ظهور الزلزال فيحتمل
أن يريد التغير الذي لا بد منه والاضطراب العارض للبدن عند مفارقة النفس التشويش لها أيضا على ما

تقدم من الاشارة الى ان الدنيا هي معشوق النفوس واهلها وانها مشيب الاطفال فكيف لا يكون ذلك عن غاية الشدة تعالى هذا امر تشيب فيه النواصي وتهرم الاطفال اذ كان صعب ولا اصعب على النفس من حال المفارقة وما بعدها ثم عقب بالتحذير من المعاصي بالتنبيه على الرصد القريب الملازم واشار بالرصد الى الجوارح كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الآية والشهادة هنا بلسان الحال والنطق به فان كل عضو لما كان مباشر الفعل من الافعال كان حضور ذلك العضو وما صدر عنه في علم الله تعالى عينه له الشهادة القولية بين يديه والكذب في الدلالة واشار بحفاظ الصدق الى الكرام الكاتبين وقد سبقت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وظاهر كونهم لا يستر منهم سائر ثم بالتحذير بقرب غد وكنى به عن وقت الموت ثم ببلوغ منزل الوحشة وكنى به عن القبر ووصفه بالاوصاف الموحشة المنفرة المستلزمة للعمل لحلوله ولما تبعه ثم بالصيحة وهي الصيحة الثانية ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والنفخة الثانية ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم بالقيمة الكبرى والبروز لفصل القضاء ومتوصال استحقاق كل نفس ما لا بد لها منه من دوام عذاب او دوام نعيم بحكم القضاء الالهي وذلك بعد زوال الهيئات الباطلة المهلكة والزوال في النفوس التي هي اسكال لما وجوتها بقالبها واضمحلال العلل الباطلة للنفوس واستحقاق الحقايق بالخلق وخروج كل امري الى ثمرة ما قدم ثم عاد الى الموعظة الجامعة الكلية فاسمر بالاتعاظ بالعبرة هي جمع عبرة فعلة في التغيير واعتبار طريق الاتعاظ والاتعاظ بالاسترجاع بالذم جميع تذييب ومقاصم من الانسان بكل ابراءها وتخويف باحوال الآخرة فهو تذبة والانتفاع به حصول الخوف عنه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم **اقول** الهجعة النومة والمبرم الحبل المحكم الفتل ومتن الفصل التنبيه على فضيلة الرسول صلى الله عليه والفترة الزمان بين الرسولين وكنى بالهجعة من الامم عن رقدتهم في مراقد الطبيعة ونوم الغفلة عما خلقوا لاجله في مدة زمان الفترة واشار بالمبرم الى ما كان الخلق عليه من نظام الحال بالشرايع السابقة وانتقاض امورهم بوجودها وانتقاضه فساد ذلك النظام بتغير الشرايع واضمحلالها والذي بين يديه هو التوراة والانجيل كما قال تعالى ومصدقا لما بين يدي من التوراة وقيل انه تقدم امرا منتظرا قريب منه يقال انه جاء بين يديه واستعار لفظ النور للقرآن ووجه الاستعارة ظاهرة ثم امرنا باستنطاقه وهو ثبت الاستنطاق باستماع ما يخبر به عنه اذ هو لسان الكتاب والسنة ولكن اوضحا منهم التي عنى كان تكرار تستنكر الغير باستطاقه بقوله ولن ينطق ونبه على ما فيه من علم الاولين والحديث عن القرون الماضية وعلم ما يأتي من الفتن واحوال القيامة وان فيه دواء دائكم وذلك الداء هو الرذائل المنغمسة ودواء ذلك الداء هو لزوم الفضائل العلمية والعملية التي اشتمل عليها القرآن الكريم ونظام ما بينكم اشارة الى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعية والحكمة والسياسة التي بها نظام العالم واستقامة اموره ن

منها فوالله لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا فيه نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الارض ناصر اصفيتم بالامر غير اهله واوردتموه غير ورده وسينتقم الله ممن ظلم ماكلا بماكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم ومشارب الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام فاقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان **اقول** الترحة الحزن والمقر المر والزاملة الجمل يستظهر به الانسان في حمل متاعه وتنخمت النخامة لفظتها وسياق الاخبار عن حال بني امية وما يحدث في دولتهم من الظلم وكنى ببيت المدر والوبر عن البلد والحضر وعن استحقاقهم عند فعلهم ذلك للغير وزوال الدولة بعدم العاذر في السماء والناصر في الارض ثم عقب بتوبيخ السامعين على اصفائهم بامر الخلافة غير اهله والمطالب عام خص العقل بن متوا انهم بدولة معوية وذريته ورضاهم من تقاعدهم عن القيام معه في حرب لولا ان العقود عن ردع الظالم وقتاله مستلزم لقوته ويجري مجرى نصرته واعانته على ظلمه وان لم يقصد القاعد عنه ذلك ثم اخبر ان الله سينتقم منهم ماكلا ومشربا منصوبان بفعل مضمر والتقدير ويبدلهم ماكلا بماكل واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من شدائد القتل واهوال الغزو ومرارات زوال الدولة وكذلك استعار لفظ الشعار للخوف وزج بذكر اللباس ولفظ الدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ظاهر ووجه الثانية ملازمة الخوف بالشعار لانه باطن في القلوب والسيف بالدثار لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار ما كان فوقه واستعار لهم لفظ المطايا والزوامل ووجه الاستعارة حملهم للآثام والى يلفظ انها اشارة الى ان جميع ما كانوا ونحوها فانهم على غير قانون شرعي فتكون خطيئة واقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي ثم استعار لفظ التنخم لزوال الخلافة عنهم فكانهم قاؤها وقذفوها من صدورهم ملاحظة لشبهها بالنخامة وكنى بعدم ذوقها وتطعمها عن عدم رجوعها اليهم وما هنا بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار وكنى بذلك عن الابد وهو اخبار منه عما سيكون وروي عن الرسول صلى الله عليه انه اخبر ان بني امية تملك الخلافة بعده مع ذم منه لهم نحو ما روي عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن قال المفسرون ان تلك الرؤيا انه رأى بني امية ينزون على منبره نزو القردة وبهذا اللفظ فسر عليه السلام الآية وساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو امية وبنو المغيرة وروي عنه انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا وكما روي في تفسير قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال الف شهر يملك فيها بنو امية ونحو قول بعض الاساءة الى الحكم وهشام والوليد الى غير ذلك ن

ومن خطبة له عليه السلام ولقد احسنت جواركم واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير **اقول** احاطته بجهده من ورائهم اشارة الى حفظه وحمايته لهم واعتاقهم من ربق الذل وحلق الضيم حمايته لهم من عدوهم واعتزازهم به ثم نبههم على شكره للقليل من برهم اي مقدار طاعتهم لله تعالى وطاعته واطراقه عن كثير من منكرهم ما استحقوا عليه بالمسامحة والعفو فان قلت فكيف يجوز له ان

يسلك من انقياد المخلوق مع مشاهدته له قلت يحمل ذلك منه على عدم التمكن من ازالته بالعنف والقهر لجواز ان يستلزم ذلك مفسدة اكبر مما هم عليه من المنكر وظاهر انهم غير معصومين ومحال ان يستقيم دولة او يتم ملك بدون الاحسان الى المحسنين من الرعية والتجاوز عن بعض المسيئين وبالله التوفيق ○

ومن خطبة له عليه السلام امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة يقضي بعلم ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل الحمد عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت الابصار واحصيت الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت عرشك وكيف ذرأت خلقك وكيف علقت في الهواء سمواتك وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه والها وفكره حائرا **اقول** امره متوسط قدرته الالهية وكونه قضاء لكونه حكما لازما لا يرد وكونه حكمة لكونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الاكمل ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له وفق امره ونهيه وقوله يقضي بعلم اعادة لمعنى قوله امره قضاء وحكمة يجري مجرى التفسير له وقوله ويعفو بحلم فالعفو يعود الى الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب وانما يتحقق العفو مع تحقق القدرة على العقاب اذ العاجز لا يسمى عفوا فلذلك قال يعفو بحلم ثم عقب بخطابه الله بالاعتراف بنعمته والحمد له باعتبار حضرة السراء والضراء اذ انه تعالى محمود على كل حال من الاخذ والاعطاء والعافية والابتلاء ثم باعتبار كيفيته وهو كونه ارضى الحمد له واحبه اليه وافضله عنده اي اشده وقوعا على الوجه اللائق المناسب لعظمته ثم باعتبار كميته وهو كونه ملأ ما خلق ويبلغ ما اراد كثرة ثم باعتبار رغايته وهو كونه لا يحجب عنه ولا يقصر دونه ثم باعتبار مادته وهو كونه لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده وقد يكون التفصيل في القول في بعض المواضع ابلغ وقعا في النفوس واللهو وقد يكون الاجمال والاختصار ابلغ وانفع ثم شرع في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته وفي بيان وجه معرفة الملك الخلق وهي اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات السلبية او الاضافية واشار الى الاعتبارات الثلاثة وكونه حيا فيوشار به الى الصفات الحقيقية وقد عرفت انها تستلزم كمال الوجود اذ كل حي موجود والقيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره وكل قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تأخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه نظر عقلي او حسي ولا يدركه بصر اعتبارات سلبية وكونه مدركا للابصار ومحصيا للاعمال آخذا بالنواصي والاقدام اي محيط القدرة بها اعتبارات اضافية ثم عاد الى استحقار ما عدده مما ادركه بالنسبة الى ما لم يدركه من عظيم ملكوته وما في قوله وما الذي استفهامية على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه وما الثانية في قوله وما تغيب عنا منه بمعنى الذي محلها الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو فيها للحال ○ ثم عقب بالحكم على من فرغ قلبه واعمل فكره ليصل الى كنه معرفته وعلم كيفية نظامه للعالم الاعلى

والاسفل

والاسفل بوجوع كل من الآيات ادراكه حسيرا مقهورا عن ادراك ما كلفه ادراكه من ذلك وقد سبقت الاشارة الى تلخيص هذه الاحكام غير مرة وبالله التوفيق **منها** يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا عرف رجاؤه في عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرب فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقه ضمارا ووعدا وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها في قلبه آثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الاسوة ودليل على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله صلى الله عليه اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما سأله الا خبزا يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة ولقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطهر صلى الله عليه فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن امر الله ولقد كان صلى الله عليه يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمدا بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والله العظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا

له ورثاها عن اقرب الناس له منه فتاتي ثبات بنيته واقتص اثره دو لج مولجه والاملا يا ان الملكة
فان الله تعالى جعل محمد صلى الله عليه على الساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا
وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله عندنا
حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من
راقعها ولقد قال قائل الا تنبذها عنك فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى لله
قوله المدخول الذي فيه شبهة وريبة ولذلك المعلول الغير الخالص والصافي الذي لا يرجى من
الموعود والمقتضي للاثر المتبع له والقضم الاكل باطراف الاسنان والخضم للخضمة لقلة الاكل والحاذة
المفاداة والرياش الزينة والمدرعة الذراعة واغرب اي تباعد وسياق الكلام يقتضي ذم من يدعي
رجاء الله ولا يعمل له وتنبيهه ان رجاءه ليس بخالص بتكذيبه وبيان تقصيره في العمل **فقوله** يدعي
بزعمه انه يرجو الله ذكر صورة الدعوى الحالية او المقالية **فقوله** كذب والعظيم رد لتلك الدعوى
مؤكد بالقسم البارّ وانما قال والعظيم دون الله لان ذكر العظمة هنا انسب للرجاء **وقوله** ما
باله الى قوله عرف رجاؤه في عمله قياس من الشكل الثاني بين فيه انه غير راج وتلخيصه ان هذا المدعي
لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا يتبين رجاؤه في عمله فينتج ان هذا المدعي للرجاء غير راج ومراده
الرجاء التام الذي يجتهد في العمل له ولذلك قال الا رجاء الله فانه مدخول فنبه بان فيه دخلا على وجود
الا انه غير خالص وبيان الدليل ان كل من رجا امرا من سلطان او غيره فانه يخدمه الخدمة التامة ويبالغ في
طلب رضاه ويكون عمله له بقدر قوة رجائه له وخلوصه ونرى هذا المدعي للرجاء غير عامل فيستدل بتقصيره
في الاعمال الدينية على عدم رجائه الخالص في الله وكذلك قوله وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول توبيخ
للسامعين على رجاء الله تعالى مع تقصيرهم في الاعمال الدينية وتقدير الاستثناء الاول مع المستثنى منه وكل رجا
لراج يعرف في عمله اي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه الا رجاء الراجي لله فانه غير خالص وروي وكل رجاء الا
رجاء الله فانه مدخول والتقدير وكل رجاء محقق اوخالص لتطابق الكلمتين على سياق واحد وبينه
على الاتحاد في الكلمة الاولى قوله في الثانية محقق فانه يفسر المضمر هناك **وقوله** يرجو الله في الكبير الى
قوله يعطي الرب في قوة قياس ضمير صغراه قوله يرجو الى قوله الصغير وتقديره كبراه وكل من كان كذلك
ينبغي ان يعطي الله الذي هو رب من رجائه والعمل له ما لا يعطي المخلوقين الذين هم عباده والصغرى
مسلمة فان الحس يشهد بان كثيرا من اعمال الخلق لا يرجون بعضهم من بعض بالنسبة الى اعمالهم لما يرجونه
من الله تعالى واما الكبرى فبيانها ان المقرر في الفطر ان المرجو الاكبر يستدعي ما يناسبه مما هو وسيلة
اليه كمية وكيفية وقوله فيعطي العبد ما لا يعطي الرب نقض للكبرى **وقوله** فما بال الله الى قوله
بعباده توبيخ وتشنيع على من يختار العمل بالنتيجة المذكورة **وقوله** اتخاف الى قوله موضعا استفهام
عن علة التقصير المذكور في الرجاء لله والعمل له بالنسبة الى رجاء العباد والعمل لهم استفهاما على سبيل
الانكار وتقريعا على ما عساه يدعي من احد العلتين المذكورتين وهما خوف الكذب في رجاء الله او ظنه

غير

غير اهل للرجاء والامر الاول خطأ عظيم لزم من التقصير في معرفة الله والثاني كفر صراح وانما خصص
هاتين العلتين بالذكر لانهما المشهورتان في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض او ضعفه وانتفاؤهما
في حق الله تعالى ظاهر فانه تعالى الغني المطلق الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته والعبد اذا استعد بقوة الرجاء
له والعمل لما يرجوه منه وجبت افاضة الجود عليه بما يرجوه ولا يكذب رجاؤه وهو الله تعالى الموضع التام له
وقوله وكذلك ان هو خاف الى قوله يعطي ربه قياس ضمير استثنائي بين فيه تقصير خوف
الخائف ويحتمل عوده الى العبد والملازمة في الشرطية ظاهرة وكبرى القياس استثناء عين المقدم لينتج
عين التالي **وقوله** فجعل الى قوله وعدا توبيخ وتشنيع على من لزمه ذلك الاحتجاج وانه من القبيح المشهور
ان يجعل الانسان خوفه من عبد مثله نقدا حاضرا وخوفه من خالقه وعدا غير حاضر **وقوله** وكذلك من
عظمت الدنيا الى آخره اشارة الى علة ايثار الناس لحب الدنيا على ما عند الله مما وعد به وانقطاعهم اليها و
صيرورتهم عبيدا لها وذكر جزء العلة الثبوتية وهو عظمة الدنيا في اعينهم وتمام هذه العلة فقدانهم ما تصوروه
من الوعد الاخروي بالنسبة الى الدنيا وعلة هذه العلة هو تصورهم للذات العاجلة حاضرة وغيبوبة اللذات
الموعودة وتصورها الضعيف بحسب الوصف الذي غايته ان يوجب في اذهانهم شائبة ما وعدوا به لما
حضر لهم الآن فلذلك كانت العاجلة اعظم في نفوسهم واكبر وقعا في قلوبهم ولذلك آثروها وانقطعوا
اليها فاستعبدتهم وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا والجذب عنها الى الرغبة فيما عند الله فلذلك عقب
بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول صلى الله عليه وسائر الانبياء المرسلين الذين هم القدوة للخلق واعراضهم
عنها وعلى كونهم محل الاسوة الكافية لهم في ذلك وهو كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
الآية والدليل ان من عمل دنياها وغيبها وكثرة مساويها ومخازيها واشار بقوله اذ قبضت عنه اطرافها
الى مقدمة من مقدمات الدليل على حقارتها وخبثها ودليل قوله وحادته بزاه وقبض اطرافها عنه كناية
عن اعطائه اياها وتذليلها كالملوك واستعار لفظ القضم لمنعه منها وكذلك لفظ الرضاع لها ملاحظة لشبهها
بالام وله بالابن ووجه المشابهة ظاهر والذي ذكره عليه السلام من حال الانبياء هو تفسير الآية كما
نقله المفسرون ايضا وصفاق بطنه هو الجلد الباطن منه وشفيفه مارق منه فلم يحجب البصر عن ادراك
ما وراءه وتشذب لحمه تفرقه واستعار لفظ المزامير لاصوات داود عليه السلام ولفظ الادام للجوع والسراج
للقمر والظلال لمشارق الارض ومغاربها والفاكهة والريحان لما تنبت الارض والدابة للرجلين والخادم
لليدين ووجه الاولى ما ذكره من انه عليه السلام كان يقرأ وهي الآلة التي يترنم بها في الحسن وروي ان الوحش
والطير كانت تقع عليه حال القراءة في محرابه لاستغراقها في لذة صوته ونغمته ووجه الثانية قيام بدنه عليه السلام
بالجوع كقيامه بالادام ووجه الثالثة مشاركة القمر للسراج في الضوء ووجه الرابعة استتاره عن البرد
بالمشارق والمغارب كاستتاره بالظلال ووجه الخامسة التذاذه وقوته بما تنبت الارض كما يلتذ
غيره بالفاكهة والريحان ووجه السادسة قيام انتفاعه برجليه ويديه كقيامه بالدابة والخادم
والجملة فحال الانبياء المذكورين سلام عليهم اجمعين في التقشف وترك الدنيا والاعراض عنها ظاهر معلوم

بالتواتر فما تكون داود وقارئ أهل الجنة كما ورد في الخبر وفلان قال ابن حسين ينتسب الى الجنة في الغرف
أو لأنه مع حسنه جاذب الى الجنة وداعي الى الله تعالى ولما وصف حاله عاد الى الأمر بالتأسي بالرسول صلى
الله عليه لأنهم المأمورون بوجوب الاقتداء به مطلقا وفيه الأسوة الكاملة لمن تأسى به ولأنه أقرب عهدا
ممن سبق وحث على التأسي به لكون التأسي به المقتضي لأنه أحب العباد الى الله وذلك من قوله تعالى
قل إن كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى اقتصاص حاله صلى الله عليه في ترك الدنيا
والاقتصار منها على قدر الضرورة لتبيين ما يكون فيه التأسي ولما من ذلك بقضمها ثم كنى عن عدم التفاته اليها
بعدم إعارتها طرفه وعن كونه أقل الناس شبعا منها والتفاتا الى ما كلها ومشاربها بكونه أخمصهم خاصرة
وبطنا وروي عنه عليه السلام أنه إذا اشتد جوعه يربط حجرا على بطنه ويقيمه المشبع مع ذلك قطعه واسعة
من الدنيا وروي أنه ما شبع آل محمد من لحم قط وأن فاطمة وبعلها وبنيهما كانوا يصومون على أقراص من الشعير
كانوا يعدونها لإفطارهم وربما آثروا بها السائلين وطووا كما روي أنهم فعلوا ذلك ثلاث ليال طووا في أيامها
حتى كان ذلك سبب نزول سورة هل أتى في حقهم حاملوا المشهور في التفاسير فأما قوله وعرضت عليه
فأبى أن يقبلها فلما ورد عنه صلى الله عليه أنه قال عرضت علي كنوز الأرض ودفعت إلي مفاتيح خزائنها
فكرهتها واخترت الدار الآخرة **وقوله** وعلم أن الله أبغض شيئا الى قوله فصغره فبغض الله لها
عدم إرادتها لأوليائه وأشار الى أنها مقصودة وجودها بالعرض وتحقيرها وتصغيرها بالقياس الى
ما أعد لهم في الآخرة ثم تفرع عن بغضها بعد أن أشار الى بغض الله لها وتصغيره إياها بجملة اعتراضية تتضمن
منها قياس هكذا أقل ما فينا محبتنا لما أبغض الله وتعظيمنا لما صغره وكل محبة وتعظيم كذلك تستلزم
به شقاقا له ومحادة عن أمره فينتج أن أقل ما فينا من المعايب يكفينا في مشاقة الله ومحادته ثم أردف
ذلك بتمام أوصافه في ترك الدنيا والتكلف لها فقوله ولقد كان يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد
كما روي عنه صلى الله عليه أنه قال أنا عبد آكل أكل العبيد وأجلس جلسة العبيد وغاية ذلك هو التوا
ضع ولذلك غاية خصف نعله وترقيع ثوبه بيده وركوبه الحمار العاري وإردافه خلفه وأما أمره بتغييب
التصاوير فهي فطنة من حركة الوسواس الخناس وكان الأنبياء عليهم السلام كانوا كاسرين للنفس
الأمارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم كانوا أيضا محتاجين الى مراعاتهم ومراقبتهم وتفقد أحوال نفوسهم
في كل لحظة وطرفة فإنها كاللصوص المخادعين للقلوب المطمئنة مهما تركت وغفل عن قهرها
والتحفظ منها عادت الى طباعها **وقوله** وأعرض عن الدنيا بقلبه الى قوله وأن تذكر عنده إشارة
الى الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس وما قبله من الأوصاف إشارة
الى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجية عنه ثم عاد الى التذكير بالمقدمة السابقة للدليل
على حقارة الدنيا فأعاد ذكر جوعه هو وخاصته من أهل بيته مع عظيم زلفته وزيادة منزلته عند الله
وازوائها عنه فلما ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله فلينظر ناظر الى قوله من أقرب الناس
إليه وهو بين من شرطي متصل مقدمه حملية وتاليه قضية شرطية منفصلة والحجة إذا كان

محمد صلى الله عليه جاع في الدنيا مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو فعله به
ذلك إما أن يكون أكرمه أو أهانه والقسم الثاني باطل ظاهر البطلان إذ ثبت أنه صلى الله عليه
أخص خواص الله وأنه كان أحقر شيء في الدنيا لا تنقص بأحد من خاصته إذا كان مطيعا له لا إهانته
فكيف يبعد ذلك من جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة حكيم الحكماء وأرحم الراحمين في خواص
خواصه وأشدهم طاعة له ولأجل وضوح ذلك اقتصر على تكذيب من قال به ولم يكذبه بالقسم الباطل
وأما القسم الأول فهو أكثر فساده بذلك فمن المعلوم أن الذي إذا كان عنده إكراما وكمالا كان وجوده
نقصا وإهانة فكان وجود الدنيا في حق غيره عليه السلام وازوائها عنه مع قرب منزلته إهانة لذلك
الغير وذلك يستلزم حقارتها ويبعث العاقل على النفار عنها ثم عاد ثانيا الى الأمر بالتأسي به صلى الله
عليه في ترك الدنيا تأكيدا لما سبق بعد بيان وجه التأسي وهو أنه في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على
أن الميل إليها محل الهلكة فمن لم يتأس بالنبي صلى الله عليه في إعراضه في الدنيا وخالفه في الميل الى شيء منها
لم يأمن الهلكة إذ قد عرفت أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الجاذب عن درجات النعيم الى دركات
نار الجحيم **وقوله** فإن الله جعل محمدا الى قوله داعيا ربه صورة احتجاج على قوله وإلا فلا يأمن الهلكة
وتقريره أن الله تعالى جعله علما للساعة وأمارة على قربها ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة واطلعه على
أحوال الآخرة ثم خرج من الدنيا بهذه الأحوال المعدودة المستلزمة للتنفير منها والبغض لها والبعد
منها فلو لم يكن الركون إليها وارتكاب أضداد هذه الأحوال منها مظنة الهلكة لما نفر النبي صلى الله عليه
عنها ولم يركن إليها لكنه نفر عنها فكانت مظنة الهلكة فوجب التأسي به في نفاره عنها وإلا لم يأمن
غير المتأسي به الهلكة فيها وروي علما للساعة وهو مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبب إذ هو
صلى الله عليه سبب العلم بالساعة ولأنه بوضع الحجر على الحجر عن البناء ثم عقب بتعظيم نعمة الله
تعالى على الناس حين أنعم عليهم به سلفا يتبعونه وقائدا يقتفون أثره وأردف ذلك بذكر بعض
أحواله التي تأسى به علي عليه السلام فيها من ترك الدنيا والإعراض عن الاستمتاع بها الى غاية ترقيع مدرعته حتى
استحيا من راقعها وقوله من قال لي ألا تنبذها وتلقيها وجوابه المثل وقوله عند الصباح يحمد
القوم السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى الراحة وأصله أن القوم يسيرون في الليل
فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل إذا أصبحوا ومطابقة الصباح لمفارقة النفس البدن والإعراض
عنه والاتصال بالملأ الأعلى بسبب تلك الرياضة الكاملة وإشراق أنوار العالم العلوي عليها
التي عندها يحمد القوم عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدائدها مطابقة تامة
واتفق موقعها وروي أنه سئل عليه السلام عن رقع قميصه فقال يخشع له القلب ويقتدي بي المؤ
منون ومما نقل في زهده عليه السلام ما رواه أحمد في مسنده عن أبي النوار الجرار بالكوفة قال جاءني علي ابن
أبي طالب عليه السلام الى السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين وقال لغلامه اختر
أيهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر ثم لبسه ومد يده فوجد كمه فاضلة فقال اقطع الفاضل

فقطعه ثم لفه وذهب وروى احمد ايضا قال لما ارسل عثمن الى علي وحدوه موتزرا بعباءة محتجزا بعقال
وهو يهنا بعيرا له اي يطليه بالقطران وهو الهناء ولاحب في ذلك كثير وبالله التوفيق ٥
ومن خطبة له عليه السلام ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب
الهادي اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته
بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية اظهر
به الشرايع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام دينا
تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكون مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل
واتوكل على الله توكل الانابة اليه واسترشده السبيل المؤدية الى جنته القاصدة الى محل رغبته
اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فانها النجاة غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ
ووصف لكم الدنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم
منها اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوان الله فغضوا عنكم عباد الله غمومها واشغالها
لما قد ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها واحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح واعتبروا
بما قد رايتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت اوصالهم وزالت اسماعهم وابصارهم وذهب
شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم ونعيمهم فبدلوا بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج
مفارقتها لا يتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا عباد الله حذر الغالب
لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح والعلم قائم والطريق جدد والسبيل قصد
اقول اسرته اهله والمتهدلة المتدلية وطيبة اسم المدينة سماها به رسول الله صلى الله عليه
وقد كان اسمها يثرب وروي ان يزيد بن معوية سماها خبيثة وتلافيت الشيء استدركته والكبوة
العثرة ...... والوبيل المهلك والكادح الساعي والعامل وخلاصة الفصل ذكر ممادح النبي
صلى الله عليه ثم الموعظة الحسنة والتنفير عن الدنيا والنور المضيء نور النبوة والبرهان الجلي المعجزات
والآيات الموضحة لنبوته والمنهاج البادي شريعته ودينه الواضح والكتاب الهادي القرآن لهدايته
الى سبيل الجنة وظاهر كون اسرته خير الاسر ولفظ الشجرة مستعار لاصله وظاهر كون قريش
افضل العرب ولفظ الاغصان مستعار لاشخاص بيته صلى الله عليه كعلي واولاده وزوجته واعمامه
واخوته واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل والشرف وثمارها مستعار لفضائلهم العلمية والعملية
وتهدلها كناية عن ظهورها ولينها وسهولة الانتفاع بها وذكر مولده بمكة وهجرته بالمدينة
في معرض مدحته لشرف مكة بالبيت العتيق وشرف المدينة باهلها حيث آووه ونصروه
حين هاجر اليها فعلا بها ذكره وانتشر فيها صيته وامتدت دعوته ولانه لما هاجر اليها وهي بلد
محدث قليل الخصب ضعيف الاهل مع غلبة خصومه وقوة المشركين عليه في ذلك الوقت ثم
انه مع ذلك علا بها ذكره وانتشر فيها صيته فكان من آيات نبوته البعث والحجة الكافية

ما جاء به من الآيات التي قهر بها اعداء الله والموعظة الشافية ما اشتمل عليه القرآن العظيم والسنة النبوية
من الوعد والوعيد وضرب الامثال والتذكير بالقرون الماضية والآثار المحمودة الجاذبة للناس في ارشد
الطرق في جناب ربهم ولقي بها شفاء القلوب من ذلها داء الجهل والدعوة المتلافية فانه استدرك بها
ما فسد من نظام الخلق وتلافى بها ما هلك من قلوبهم واسود من الواح نفوسهم والشرايع المجهولة طرائق
دينه وقوانين شريعته التي لم يكن ليهتدي اليها لا بظهوره والبدع ما كانت عليه اهل الجاهلية من
الآثام والفساد في الارض والاحكام المفصولة ما فصله وبينه للناس احكام دين الاسلام الذي من ابتغى
غيره دينا ضل عن سواء طريق النجاة فتحققت شقوته في الآخرة وانفصمت عروته اي انقطع متمسك
النجاة في ...... يديه فتعظم عثرته في سفره الى الآخرة وكان مرجعه الى الحزن الطويل ما فرط في جنب
الله ومصيره الى العذاب المهلك في دار البوار ثم انه يتوكل على الله توكل المنيب اليه اي الملتفت بقلبه
عن غيره المسلم لجميع اموره اليه ويسترشده الارشاد الى سبيله القاصدة الى جنته التي هي محل الرغبة اليه ثم
عقب بالموعظة مبدئا بالوصية بتقوى الله وطاعته واطلق عليها لفظ النجاة مجازا اطلاقا لاسم المسبب على
السبب الذي لكونها مخلصة لا فاعلة النجاة من عذاب يوم القيامة وقيل النجاة الناقة التي ينجى عليها فتكون
مستعارة لتقوى الطاعة لانها كالمطية ينجو بها المطيع من العطب ولفظ المنجاة ادعى محل النجاة فكانت والضمير
في رهب ورغب لله اي فابلغ في وعيده واسبغ الترغيب فاتمه ووصف الدنيا بالاوصاف الموجبة
للرغبة عنها ثم امر عباد الله بالاعراض عن زينتها وعلل حسن ذلك الاعراض بقلة ما يستصحب الانسان
منها الى الآخرة واراد الاعراض بالقلب الذي هو الزهد الحقيقي وانما قال لقلة ذلك ولم يقل لعدمه لان
الذي لابدان يستصحبوا منها شيئا وهو ما يكتسبه اجدهم من الكمالات الى الآخرة لكن القدر الذي
يكتسبه المترفون من الكمالات اذا قصدوا بامواله وسائر زينة الحياة الدنيا الوصول الى الله تعالى قليل
نزر ومع ذلك فهم في غاية الحظوة من ذلة القدم في كل حركة وتصرف بخلاف اهل التقشف الذين
اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنية ويحتمل ان يريد بالقليل الذي يصحبهم منها كالكفن ونحوه وانما
كانت اقرب دار من سخط الله وابعدها من طاعة الله لان الميل فيها الى اللهو واللعب والاشتغال ع
بزينتها المستلزم لسخط الله اغلب من الانتفاع بها في سلوك سبيل الله **وقوله** فغضوا اي فكفوا
عن انفسكم الغم لاجلها والاشتغال بها لما تيقنتم من فراقها لان الغم انما ينبغي ان يوجد بحبوب ما يبقى ثم
حذر منها حذر الشفيق على نفسه الناصح المجد الكادح لها ثم اخذ في الامر باعتبار ما مر مشاهد
من مصارع القرون الماضية واحوالها الخالية من تفرق اوصالهم وزوال اسماعهم وابصارهم الى سائر
ما عدده من الاحوال التي نزلت بهم فاستبدلوها من احوالهم الدنيوية التي كانوا عليها ثم حذره منها حذر
الغالب لنفسه الامارة بالسوء الناظر بعين عقله المانع لشهوته المانع لها عن العبور الى حد الافراط
من فضيلة العفة فان امر الدنيا والآخرة واضح لمن اعتبر حالهما وعلم الشريعة الهادي الى الحق
قائم والطريق الى الله سهل مستقيم قاصد اي فلا يكن امركم عليكم غمة **ومن كلام له عليه السلام**

لبعض اصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم احق به فقال عليه السلام
يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد
استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول نوطا فانها
كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود اليه القيامة ٥ ودع
عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل ن وهلم الخطب في ابن ابي سفيان
فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم
اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا فان
ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
ان الله عليم بما يصنعون **اقول** الوضين بطان القتب وحزام السرج والقلق الاضطراب والذمامة
بالكسر الحرمة وبنو اسد كانت اصهاره ... وسيلة وهي المصاهرة والنوط التعلق والاثرة بالتحريك الاستبداد
والاستيثار والحجرة بفتح الحاء الناحية والجمع حجرات بفتح الجيم وسكونها وهلم يستعمل بمعنى تعال
فلا يتعدى كقوله تعالى هلم الينا وقد يستعمل بمعنى هات كما هنا فيتعدى كما قال تعالى هلم شهداءكم
ولا غرو اي لا عجب والاود الاعوجاج والجدح بالجيم بعدها الحاء الخلط والتحويض والتكدير والشرب
بالكسر الحظ من الماء والوبي ذو الوباء المرض فاما جوابه للاسدي فانه يقال للرجل اذا لم يكن ذا ثبات في
عمل وامور بحيث يسأل عما لا يعنيه او يضع سؤاله في غير موضعه استعمل انه قلق الوضين واصله ان
الوضين اذا قلق اضطرب القتب فلم يثبت فطابق حال من لا يثبت في مقاله وجعله تضربت
مثلا له وكذلك قوله وترسل في غير سدد اي تتكلم في غير موضع الكلام لا على استقامة وهذا تاديب له
ثم بعد ان قوله استعلمت ابتداء للعذر في حسن جوابه فان المصاهرة حق وللسائل على المسؤول
حق الاسترشاد والسؤال فاما قوله كونه صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه
كانت اسدية وهي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان
ابن اسد بن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهي بنت عمة رسول الله صلى الله
عليه قالوا والمصاهرة التي ذكرها هي هذه ٥ ونقل القطب الراوندي ان عليا عليه السلام كان متزوجا
في بني اسد وانكره الشارح ابن ابي الحديد معتمدا على انه لم يبلغه ذلك وهو محتمل والانكار لا معنى له
اذ ليس كل ما لم يبلغنا من حاله لا يكون حقا ويلزم ان لا يصل الي غيرنا **وقوله** اما الاستبداد الخ
شروع في الجواب والضمير انها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد والقوم الذين شحوا عليها فعند الامامية
من تقدم عليه في الامامة وعند غيرهم قريش قالوا المراد بهما اهل الشورى بعد مقتل عمر رضي الله عنه **وقوله**
والحكم الله والمعود اليه اي المرجع في يوم القيامة في معنى التظلم والتشكي والمعود مبتدأ خبره القيامة فاما
البيت فهو لامرئ القيس واصله انه تنقل في احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من جديلة طي
يقال له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يكون له منعة فتحول عنهم ونزل

على خالد بن ... النبهاني فاغارت بنو جديلة عليه وهو في جوار خالد فذهبوا بابله فلما اتاه الخبر ذكر ذلك
له فقال اعطني رواحلك الحق عليها فارد عليك ابلك ففعل فركب خالد ... القوم حتى ادركهم فقال
يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري فقالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله فرجعوا اليه فانزلوه
عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرؤ القيس الذي اوله البيت فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن
حديثا ما حديث الرواحل ن والنهب هنا ما نهب وحجراته جوانبه وحديث الثاني مبتدأ والاول خبره
وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما كقولك لامر ما جدع قصير انفه والمعنى دع ذكر الابل
فانه معلوم ولكن حديث الرواحل حديث ما اي حديث مبهم لا ندري كيف هو وذكر انه قيل ان خالدا
هو الذي ذهب بالرواحل فكان عنده لبث في امرها فانشأ استرها ذكر ... في استرها دون الضعف
الاول من البيت ووجه مطابقته لما هو فيه ان الساقين من الامة وان كانا قد استبدوا بهذا الامر فحديثهم
مفهوم اذ لهم الاحتجاج بالقدمة في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول وكونهم من قريش فدع ذكرهم
وذكر ما بيني وبينهم في هذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معوية بن ابي سفيان والخطب
هو الحادث الجليل واراد هات ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به واشار به الى الاحوال التي ادت الى ان
كان معوية منازعا له في هذا الامر مع بعده عن جميع ما ذكر في ما عند كثير من الناس مقامه **وقوله** فلقد
اضحكني الدهر بعد ابكائه اشار الى ان غيبته عمن تقدم عليه في هذا الامر واضحكه بعد ذلك تعجب بما حكت به
الاوقات واعتبار ثم قال ولا غرو اي لا عجب اي في ذلك استخراج من العجب ثم اخذ في استعظامه فقال يا له
خطبا يستفرغ العجب اي يفنيه حتى صار لا عجب وهو من باب الاغراق والمبالغة كقول ابن
هاني قد سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا اتعجب ن ويحتمل ان يكون قوله
ولا غرو فاتيه اي اذا نظر الانسان الى حقيقة الامر وتصرف احوالها ويكون قوله بعد ذلك فيا له استيناف
لاستعظام هذا الامر وكونه يكثر الاعوجاج الى قوله ينبوعه فالقوم قريش ومصباح الله اراد استعانة
في سنة الرسول صلى الله عليه من اهل بيته وكذلك ينبوعه استعارة لهم باعتبار كونهم معدنا لهذا الامر ولوازمه
ووجه الاستعارة في لفظ هو يريد انهم حاولوا ازالة هذا الامر عن مستقره ومعدنه الاحق به وهو بيت
الرسول صلى الله عليه ثم استعار لفظ الشرب الوبي لهذا الامر ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والمجاذبة
لهذا الامر واستعار لفظ الوبي له باعتبار كونه سببا للهلاك والقتل بينهم **وقوله** فان يرتفع الى آخره اي
فان يجتمعوا علي ويرتفع بيني وبينهم ما ابتلينا به من هذه المحن والاحن اسلك بهم محض الحق وان ابوا الا
البغي وعلى ما هم عليه فلا اتأسف عليهم واقتبس الآية المشتملة على تاديب نفسه وتوطينها على ترك الاسف عليهم
ان لم يؤمنوا وعلى تهديدهم ووعيدهم باطلاع الله على اعمالهم السيئة **ومن خطبة له عليه السلام**
الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته انقضاء
هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته الشفاه حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من
شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات لا يقال له متى ولا يضرب له

[illegible marginal note]

انه يحتى الظاهر لا يقال مما الباطن لا يقال فيما لا شبح فينقضي ولا محجوب فيحوي لم يقرب من الاشياء بالتصاق
ولم يبعد عنها بافتراق لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط
خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيأ عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور والافول
وتقليب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة
تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار ونهايات الاقطار وتاثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد
لخلقه مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل ابدية بل خلق ما خلق فاقام
حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات
الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى **اقول**
الساطح الباسط والمهاد الارض والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن والنجاد جمع نجد وهو المكان
المرتفع والازدلاف الربوة تقدمها والساجي الساكن وتعقبه [illegible] ذهابه ومجموع حالاته التي اختلف في التدبير
واختلف في النقصان الى المحاق وتجدد موائل ومبيت موائل اصيل قديم وقد اشتملت الخطبة الا علم التوحيد
على مباحث قدم الحمد لله باعتبارات الاول قوله خالق العباد الى قوله النجاد اشارة الى كونه مبدأ لجميع
الموجودات وبيانه ان لفظ العباد مشتمل على من في السموات ومن في الارض لقوله تعالى ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا ويدخل في ذلك الاجسام الفلكية لكونها اجساما للملائكة وسطح المهاد اشارة الى خلق
الارض وجعلها مهادا لما خلق من الحيوان ومسيل الوهاد وتخصيب النجاد اشارة الى ايجاد ولسانه ما ينتفع به
الخلق في الدنيا اذا عرفت ذلك فقد اشتملت هذه الالفاظ على ايجاده لجميع الموجودات الممكنة وقد ثبت
ان خالق جميع الموجودات الممكنة لكونه عقلا فاستلزم ذلك كونه تعالى واجب الوجود الثاني من
الاعتبارات السلبية كونه تعالى لا ابتداء لاوليته اي لا حد لقدمه اولا للاشياء يقف عنده اوليته وينتهي
به والا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود هذا خلف الثالث ولا انقضاء لازليته اي
لا غاية ينتهي عندها وينقضي والا لقبل العدم فلم يكن واجب الوجود هذا خلف **وقوله** هو الاول
لم يزل والباقي بلا اجل تاكيد للاعتبارين الثاني والثالث بعبارة الاثبات الرابع خرت
له الجباه ووحدته الشفاه وهو اشارة الى كمال الوهية واستحقاقه العبادة الخامس انه لا يشبه
حد اذ كل ما حده يحده وينقده العقل والوهم ويشيران اليه بحدوده ويحيطان به رسما ولا شيء منه تعالى كذلك
اذ كل وهم قدر يحده او يحكم بانه جارحة او اداة كما هو مقتضى الوهم في ادراكه لمدركاته فقد ضل
ضلالا بعيدا عن تصوره وقد سبقت الاشارة الى ذلك السادس انه منزه عن لحوق الزمان فلا
يقال متى وعن غاية الزمان فلا يضرب له امد بحتى السابع كونه ظاهرا ومع غاية ظهوره لا
مادة له ولا اصل يستفاد منه فلا يقال مما هو موجود الثامن كونه باطنا ومع غاية بطونه
وخفائه لا حيز له فيقال فيما هو بطن وخفي كما هو للخفيات من الاجسام والجسمانيات وقد سبق
بيان كونه تعالى باطنا وظاهرا غير مرة التاسع كونه ليس بشخص فيلحقه التغير والانقضاء

العاشر ولا محجوب فيحويه الحجاب اذ الحجب للناظر والحجاب من لواحق الاجسام التي تنزه قدسه
عنها الحادي عشر من الاعتبارات الاضافية كونه تعالى قريبا من الاشياء لا بالالتصاق الثاني عشر كونه
بعيدا منها لا بالافتراق وقد عرفت معنى قربه وبعده في الخطبة الاولى ولما كان الالتصاق والافتراق
من لواحق الاجسام لا جرم تنزه قربه وبعده من الاشياء عنهما الثالث عشر كونه لا يخفى عليه من عباده
شخوص لحظة الى قوله وادبار نهار مدبر اشارة الى احاطة علمه بكل المعلومات وشخوص اللحظة مد البصر بلا حركة
جفن وكرور اللفظة رجوعها وازدلاف الربوة تقدمها واما الربوة المتقدمة اي في النظر والبادية عند [illegible] العين
فان الربى اول ما يقع في العين من الارض والضمير في عليه للغسق **وقوله** وتعقبه الشمس اي وتعقبه
بعده اي [illegible] لقوله تعالى توفته رسلنا [illegible] وروي تعقبه والضمير المنصوب فيه للقمر **وقوله**
من اقبال ليل متعلق بتقليب والمعنى ان الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله ويطلع عند افولها الرابع
عشر كونه قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة لانه تعالى خالق الكل ومبدؤه فوجب تقدمه وقبليته
الخامس عشر تنزيهه وتعاليه عما تصفه المشبهة [illegible] لحكم اذهانهم في حق جنابه المقدس من
صفات المقادير كالاقطار والنهايات والجوانب واضافة البيوت وقد منها والاستقرار في المساكن والتمكن
ما في حدوده ولواحق يتقيد بها ذوات الاجسام [illegible] الحد [illegible] لخلقه ومنسوب اليهم
دونه السادس عشر كونه خلق ما خلقه صادرة عنه من غير اصول ازلية ولا اوائل ابدية لها اي اولية سابقة ومعنى
هذا الكلام انه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون اصلا له او انه احتذا حذوه وقيل معناه انه ليس لما خلق
اصل ازلي ابدي خلق منه من مادة وصورة كما زعمت الفلاسفة وروي ولا من اوائل ابدية **وقوله**
بل خلق ما خلق فاقام حده اي بل هو المخترع لما انه حدوده [illegible] المقادير والاشكال والنهايات
والاجال والغايات على وفق الحكمة الالهية وكذلك صور ما صور فاحسن صورته اي به على وجه الاحكام
والاتقان السابع عشر كونه ليس لشيء منه امتناع اشارة الى كمال قدرته واحاطتها الثامن عشر
كونه لا انتفاع له بطاعة شيء ان الانتفاع من لوازم الحاجة الممتنعة عليه وهو اشارة الى وصف الغنى
التاسع عشر كونه علمه تعالى بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى
كعلمه بما في الارضين السفلى وهو اشارة الى ان علمه غير مستفاد من غيره والا يلحقه تغير وتجدد فلا يتجدد
له علم بل علمه تعالى ازلي ابدي تام لا يلحقه تفاوت بنسبة جميع الممكنات اليه على سواء وقد علمت تحقيق
في المباحث الالهية في مظانها وبالله التوفيق **منها** ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي
في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى
قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك
الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك عند
الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات
خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد **اقول** السوي المستوي والمرعي المعتنى بامره

والمطالب للانسان وتنبيه بكونه سويا مرتبا على وجود خالق الحكيم اللطيف وقد عرفت كيفية تخليق الا
نسان والتصوير شيئا فشيئا الى حال كماله وضعفه ولذلك نبهه بتقلبه في حالاته واطوار خلقته
وباستغنائه عن غذاء لا احتراز عذابه من ثدي امه ومن غرفه عند الحاجة مواضع طلبه وهي الا دالة على
وجود خالق هداه الى جميع حاجاته فهذا القدر من العلم بالصانع امر ضروري في النفوس وان احتاج
الى ادنى تنبيه وما وراء ذلك من صفات الكمال ونعوت الجلال فامور لا يطلع عليها العقول البشرية با
كنهها وانما تطلع منها على اعتبارات ومتشابهات له الى خلقه ويحتاج فيها الى الدليل والبرهان وقد اشار
الى ذلك من قبل ونبه على بعد ادراكها والعجز عنها بقوله هيهات الى قوله والادوات اي من يعجز عن صفا
ت نفسه في حال تخليقه والاطلاع على ما شاع جزئيات اعضائه مع كونها محسوسة مشاهدة له فهو عن صفات
خالقه التي هي ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز وعن ادراكه بالمعاينة والتشبيه بحدود المخلوقين و
صفاتهم ابعد وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اجتمع الناس اليه
وشكوا ما نقموه على عثمن وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمن فقال
ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم ووالله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا
تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رأيت كما
رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب
بأولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيجة رحم منهما وقد نلت
من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق لوا
ضحة وان اعلام الدين لقائمة واعلم ان افضل عباد الله عند الله امام عادل هدي وهدى فاقام سنة معلومة
وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام
جائر ضل وضل به فامات سنة مأخوذة واحيا بدعة متروكة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما
تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها يا عثمن واني انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول فانه كان يقال
يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن
فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة
يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر فقال له عثمن كلم الناس في ان يؤجلوني
حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول
امرك اليه **اقول** استسفروني اتخذوني سفيرا اي رسولا والوشيجة عروق الشجرة والسيقة بتشديد
الياء ما يسوقه العدو في الغارة من الدواب وجلال السن علوه وحاصل الكلام استعتابه باللين من
القول فاثبت له مساواته في العلم اي باحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمان الرسول صلى الله عليه
والظهور على كل ما ظهر عليه منها من مرئي ومسموع والصحبة المماثلة لصحبته اذ كان الشيخين ليسا بأولى منه

بعمل الحق ثم فضله عليهما بقرب الوشيجة من رسول الله والصهر دونهما ولفظ الوشيجة مستعار لما بينه وبينهم
من القرابة واما كونه اقرب وشيجة منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما ثم حذره الله وعقب التحذير
بتنبيهه على انه غير محتاج الى تعليم فيما يزاد منه مع وضوح طريق الشريعة وقيام اعلام الدين ثم
بتنبيهه على افضلية الامام العادل بالصفات المذكورة وعلى قيام اعلام السنن وقيام اعلام البدع ليقتدي
بتلك ويتنكب عن هذه ثم على حال الامام الجائر يوم القيامة بما نقل من الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه
ثم ناشده الله تعالى محذرا له ان يكون الامام المقتول في هذه الامة وقد كان الرسول صلى الله عليه اخبر بذلك
بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله يقال او شابهت بينهما ثم نهاه ان يكون سيقة لمروان بن الحكم اي يصرفه
حسب مقاصده بعد بلوغه معظم السن وتقضي عمره وقد كان مروان من اقوى الاسباب الباعثة على
قتل عثمان وكان يعكس الاراء التي يشار على عثمان من علي عليه السلام وغيره مع كونه بغيضا الى المعتبرين من الصحا
به لكونه طريد الرسول صلى الله عليه **وقوله** في جوابه ما كان بالمدينة فلا اجل فيه الى آخره كلام جزل
جازم لما علم ان يكون ما طلب من طلب التاجيل لان الحاضر لا معنى لتاجيله والغائب لا عذر في تاخيره
بعد بلوغ امره اليه كالذي اعطاه اقرباه من اموال بيت المال على غير وجهه وقد سبق في الفصول المتقدمة
من احداث عثمن ما نقم الصحابة وما احتج عليه ما فيه كفاية وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام
يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس** ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي
حركات واقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به
ومسلمة له ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور الاطيار التي اسكنها
اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي اعلامها من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة
في زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد اذ لم تكن في
عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في السماء
خفوفا وجعله يدف دفيفا ونسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته
فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف
ما صبغ به ومن اعجبها خلقا الطاووس الذي اقامه في احكم تعديل ونضد الوانه في احسن تنضيد بجنا
ح اشرج قصبه وذنب اطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على رأسه كأنه قلع
داري عنجه نوتيه يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحة احيلك
من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها
مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس
لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته
وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبتت الارض قلت جني جني من زهرة كل ربيع
وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او مونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص

ذات الوان قد نظمت بالحيين الكلام يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضا
حكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه واذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن
استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من
ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق
ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكانه
متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق
سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق وقل
صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير
المبثوثة لم تربها امطار ربيع ولا شموس قيظ وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى
وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل
سقوطه لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه اراتك
حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه
قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة
ان تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا
واعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تادية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة
الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة ووأى على نفسه الا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح الا وجعل
الحمام موعده والفناء غايته **أقول** نعقت صاحت والاخاديد شقوق الارض وشعابها والفج
جمع فج وهي الطريق بين الجبلين والعب له اسلا الجسد ونسقها نظمها ويختال يفتعل من الخيلاء
وزيفانه تمايله وتبختره ويميس يتمايل والار النكاح والجزلة فيه وملاقحه آلات اللقاح واعضاء التناسل و
والاغتلام شدة الشبق والقلع الداري الشراع المنسوب الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف
من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب اليها من الهند وهي الان خراب لا عمارة بها ولا ساكن وفيها آثار
قديمة وعنجه عطفه والنوتي ربان السفينة وضفتي جفونه جانبيها والمنبجس المنفجر والمداري جمع
مدرى وهي خشبة ذات اطراف كاصابع الكف يجدد به الروس ينقى بها الطعام واراد به الخطوط
المستديرة بقصبه والعقيان الذهب وفلذة جمع فلذ وهي القطعة والوشيج قيل هو الزبرجد وقيل
يطلق على الجبس والجني فعيل بمعنى المجني وهو الملتقط والعصب برود تعمل باليمن والمضاهاة
المشابهة والحمش الدقاق ونطقت في الجبين اي شدت فيه ووضعت والوشاح سير ينسج
من ادم ويرصع بالجواهر فتجعله المراة على عاتقيها الى كشحيها وزقا صاح والمعول الصارخ
والديكة الخلاسية هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي ونجمت ظهرت والظنبوب حرف
الساق والصيصية الهنة التي في مؤخر رجل الديك والقنزعة الشعر المجتمع في موضع من الراس و

والوسمة بكسر السين وسكونها نبت العظلم يختضب به والاسحم الاسود والتلفع التلحف واليقق خالص
البياض ويأتلق يلمع والبصيص البريق وتترى يسقط منها شيء عقيب شيء وادمجه احكمه والذرة النملة
الصغيرة والهمجة ذبابة صغيرة ومقصود الخطبة التنبيه على عجائب صنع الله لغاية الالتفات
اليه والتفكر في ملكوته وقد عرفت معنى الابتداع واراد بالموات ما لا حياة به والساكن كالارض وذو
الحركات كالافلاك وشواهد البينات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات فاستدلت بها على
لطيف صنعته وكمال قدرته فانقادت لتلك الدلائل والطرق الواضحة الى معرفته فالاقرار به والتسليم لامره
فاستعار لفظ النعيق في الاسماع لظهور تلك الدلائل في صماخ العقل وما الا ذلك معقول لاقام والضمير في له
يرجع الى ما في به وله الثانية الى الله وفي دلائله يحتمل العود الى كل واحد منهما وما الثانية محلها الجر بالعطف
على الضمير المضاف اليه في دلائله اي نعقت في اسماعنا دلائل على وحدانيته ودلائل ما خلق وقد عرفت
فيما سبق كيفية الاستدلال بكثرة ما خلق واختلافه على وحدانيته والاطيار التي اسكنها اخاديد الارض
كالقطا والصدا والتي اسكنها خروق فجاجها كالقبج والتي اسكنها رؤوس الجبال كالعقبان والصقور ثم
اضاف اختلافها بالاجنحة في هيئاتها وتباين خلقها تحت تصريف قدرته وحكمه ثم اشار الى اعتبار
تكوينها واضدادها في عجائب صورها والوانها وتركيب خلقها من غسل الجنة ثم شرع في المراد من النعام ثم نبه على
لطيف حكمته في تنسيقها مختلفة الالوان والاصباغ فمنها مغموس في قالب لون واحد قد طوق بخلاف ما صبغ
به كالفواخت وشرع في التنبيه بجمال الطاووس على لطيف الصنع لاشتماله على جميع الالوان ولكن لم وصفه عليه
السلام شارحا فانه لا ابلغ ولا اجمع لتفاصيل الحالة الموجودة في هذا الموصوف عسى انه قد يحتاج بعض الفا
ظ عليه السلام الى بيان فاراد بقصبه قصب ريش ذنبه وجناحيه واشراجها ضبط اصولها بالاعصاب و
العظام وشرح بعضها ببعض ووصفه عليه السلام لهيئة زحفه الى الانثى حال السفاد ووصف من شاهد
واستقبل الجهة واحسن بتشبيهه لذنبه عند ارادة السفاد بالقلع الداري فانه في تلك الحالة يبسط
ريشه وينشره ثم يرفعه وينصبه فيصير كهيئة الشراع المرفوع وفي وجه التشبيه زيادة على ذلك اشار
اليها بقوله عنجه نوتيه وذلك ان الملاحين يصرفون الشراع تارة بالجذب وتارة بالارخاء وتارة بتحويله يمينا
وشمالا وذلك بحسب اضطرارهم من بعض الجهات الى بعض فاشبه هذا الطائر في حركته لارادة السفاد
وزيفانه في تصريف ذنبه وتحويله وله في ذلك هيئة لا يستثبت وجه الشبه فيها الا من شاهدها مع مشا
هدة المشبه به ولذلك قال احيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده وانما خص
داريا بالذكر لانها كانت المراي القديم في زمانه عليه السلام حيث كانت معمورة **وقوله** ولو كان كزعم
من يزعم الى قوله المنبجس اي لو كان حاله في النكاح كزعم من يزعم وهو اشارة الى زعم قوم ان الذكر تدمع عينه
فتقف الدمعة بين اجفانه فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة وقوله تنشجها مدامعه اي تعض
بها وتجاذبها وهو عليه السلام يحيل ذلك وانما قال ليس ذلك باعجب من مطاعمة الغراب والعرب تزعم
ان الغراب لا يسفد ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب ويزعمون ان اللقاح من مطاعمة

الذكر والانثى وايصال حرارة المآء الذي في قاصبة اليها ومنى ان يضع كل منهما ساقه في منقار صاحبه ويتزاقا
وذلك مقدمة للسفاد في كثير من الطير كالحمام وغيره وهذا وان كان ممكنا في بعض الطير كالقطا وذي
والغراب غيران ذلك بعيد على انه قد نقل الشيخ في الشفا ان القبج تحبل بما تحملها الريح من ناحية الحجل
ومن سماع صوته قال والنوع المسمى مالاقيا يتلاصق بافواههما ثم تتشابك فذلك سفادها ونقل الجاحظ
في كتاب الحيوان ان الطاووسة قد تبيض من الريح بان يكون في سفالة الريح وفوقها الذكر فيحمل ريحه
فتبيض منها قال وبيض الريح قل ان يتفرخ واقول قد يوجد في الدجاج ذلك الا انه قل ما
يتفرخ كما ذكرنا ثم شبه عليه السلام قصب ذنبه بالمداري من الفضة ومن شأن هذه القصب قيام ذنبه مع بياض من
اصول ذنبه وتفرقها عند نشره للسفاد عرف موضع التشبيه المذكور ووقوعه موقعه وكذلك شبه الخطوط
الصفر المستديرة على ذنب ريش الذنب بحالص العقيان في الصفرة الفائقة مع ما يعلوها من البريق
والماء وسط تلك الدارات من الدواير الخضر بقطع الزبرجد في الخضرة واستعار لها لفظ الشموس ملاحظة
لمشابهتها لها في الاستدارة والاستنارة ثم قال فان شبهته بما تنبت الارض الى قوله كل ربيع ووجه
الشبه اجتماع الالوان مع نضارتها وبهجتها وكذلك وجه الشبه في تشبيهه بموشي الحلل او المعجب من برود اليمن
وكذلك ان شاكلته بالحلي ووجه شبهه بالفصوص المختلفة الالوان المنطقة في الفضة اي المرصعة
في صفائح الفضة والمكلل الذي جعل كالاكليل وحاصل الكلام انه شبه قصب ريشه بصفائح من فضة
رصعت بالفصوص المختلفة الالوان حتى كالاكليل بذلك الترصيع ثم حكى صورة مشيته وصوته كالقهقهة
عند نظره الى حسن سرباله واعجابه بجمال لونه ولفظ الضحك والقهقهة والسربال مستعار وكذلك
حالة في نظره الى قوايمه فانه يصيح كالمتوجع من قبح ساقيه ودقتهما ويخضع وينقمع عند بعد تعظمه
وتبختره وزهوه ووجه تشبيه قوايمه بقوايم الديكة الخلاسية الدقة والطول والتشظي ونتو العرقوب
ثم اخذ في وصف صيصيته وتنوعه وهي روايات يسيرة طوال في موضع زاوية نحو الثلاث باز زوعنه
ريش رأسه خضر موشاة ثم اخذ في وصف عنقه وشبه مخرجه بالابريق ووجه الشبه الهيئة المعلومة بالمشاهدة
وكذلك مغرزه من رأسه الى حيث بطنه شبهه في لونه بصبغ الوسمة في السواد المشرق والحرير السودا
الملبسة مرآة ذات صقال في سوادها وممازجة بصقيص المرآة لها او المعجر الاسود الا ان ذلك السواد للرغوة
مائه وشدة بريقه يخيل للناظر انه ممتزج بخضرة ناصعة ثم وصف الخط الابيض عند محل سمعه وشبهه
في دقته واستوائه بخط القلم الدقيق وفي بياضه بلون الاقحوان ثم اجمل في تعديد الالوان فقال وقل صبغ الا
وقد اخذ منه بقسط وعلاه اي وزاد على الصبغ بكثرة صقاله وتفريقه وبصيص ديباجه ولفظ الديباج
مستعار للديباجة ثم رجع الى تشبيهه بالازاهير المبثوثة ونبه على كماله وفرط صانعه بانها مع ذلك لم تربها
امطار الربيع اي لم تغذها لكثرة الالوان امطار ربيع ولا شموس قيض لانه لا يحتمل انها الازاهير وكان من شان
الازاهير المختلفة انها لا تتلون الا في زمن الربيع بامطاره وحرارة الشمس المعدة لتنويره واراد ان ينبه على عظمة
صانعها بانها مع كونها ازاهير خلقها بغير مطر ولا شمس ثم اخبر عن حالة له اخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصا

وقدرته وهو انه يتحسر ويعرى من ذلك الريش الحسن شيئا بعد شيء ثم ينبت جميعا كل ريشة موضع ريشة وبلونها
الاول من غير زيادة او نقصان حتى كانها هي وشبهه في سقوطه ونباته بتحات اوراق الشجر من الاغصان ونباتها
ثم نبه على وجوه حكمة الصانع في الشعرة الواحدة من شعرات ريشه بانك اذا تاملتها اريتك من سفاديها وشدة
بصيصها تارة حمرة كحمرة الورد وتارة خضرة كخضرة الزبرجد وتارة صفرة كصفرة الذهب ثم عقب ذلك
الوصف البليغ باستبعاد وصول الفطن العميقة الى صفته هذا وارادة العجز عن وصف اقل هذه الالوان
واختلافها واختصاص كل من مواضعها بلون غير الآخر وعلل ذلك بها وبساير ما عدده فان اقل جزء منه
ما يحير الاوهام في دركه علة وتقصر الالسنة عن وصفه ويحتمل ان يريد العجز عن استثبات جزئيات
اوصافه الظاهرة وتشريحه فان ما ذكره عليه السلام وان كان في غاية البلاغة الا ان فيه ورآء ذلك جزئيات لم يستقصها
الوصف ومنع الادراك ويريد تنزيهه لله تعالى باعتبار قهره للعقول عن وصف هذا المخلوق الذي جلاه
واظهره للعيون فادركته محدودا ملونا مؤلفا مكونا واعجز الالسن عن تلخيص وصفه وتاديته لغته ثم نزهه باعتبار
انه آخر ومنزه اصاغر قوايم الذرة والهمجة وساير ما فوقهما كالحيتان والفيلة حيوان ابوك كالفيل ثم اعتبر في
حكمته وتقديره على كل حي منها صورة الموت وفيه تنبيه على ذكر هادم اللذات واعلم انه قد ذكرت
للطاووس احوال اخرى بخفة الجاحظ ها قالوا انه غاية ما يعيش خمس وعشرين سنة ويبيض في السنة الثالثة
من عمره ويبيض في السنة مرة واحدة اثني عشرة بيضة في ثلاثة ايام وتحضنها ثلاثين يوما فيتفرخ وتحت
ريشه عند سقوط ورق الشجر وينبت مع ابتداء نبات ورقه **ومنها في صفة الجنة**
فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدايع ما اخرج الى الدنيا من شهواتها
ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاق اشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على
سواحل انهارها وفي تعليق كبايس اللولو الرطب في عساليجها وافنانها وطلوع تلك الثمار مختلفة
في غلف اكمامها تجنى من غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها ويطاف على نزالها في افنية قصورها بالاعسال
المصفقة والخمور المروقة قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وامنوا نقلة الاسفار
فلو شغلت قلبك ايها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك
شوقا اليها ولتحملت من مجلسي هذا الى مجاورة اهل القبور استعجالا بها جعلنا الله واياكم ممن سعى بقلبه الى
منازل الابرار برحمته **اقول** عزفت زهدت وانصرفت والكبايس جمع كباسة وهي العذق و
العساليج الغصون واحدها عسلوج وكذلك الافنان جمع فنن والاكمام جمع كمامة بكسر الكاف وهي
غلاف الطلع والعسل المصفق المصفى **وقوله** فلو رميت ببصر قلبك استعارة لطيفة اي لو نظرت
بعين بصيرتك وفكرتك بمعنى ما وصف لك من متاع الجنة لم يخدلني من بدايع ما اخرج الى الدنيا من متا
عها الى شيء من متاع الجنة الانية وهمته اذا لاحقتها نفسك عزفت واعرضت عن متاع الدنيا وما بعد
فيها انت وغابت فتفكر في اصطفاق الاشجار الموصوفة فيها وتامل اغصانها ثم وصف اشجارها وانهارها
وساير ما عدده من متاع الجنة وصفا لا مزيد عليه فهذه الجنة المحسوسة الموعودة وانت بعد معرفتك مقوا

التاويل وحقايق الفاظ العرب ومجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها وتمثيلاتها وساير ما عددناه لك في
صدر الكتاب من قواعد علم البيان وكان للمستمع ذوق طرف من العلم الالهي امكنك ان تجعل هذه الجنة
الجسمانية وصفاتها اشارة الى الجنة المعقولة ومتاعها كنايات مثلا الانهار الجنة استعارة
للملايكة السماويه والاصطفاق ترشيح لتلك الاستعارة ولثمار المنبت استعارة للمعارف والكمالات
التي لهم من واهب الجود وهم مغمورون فيها وقد وصفوا لها ومرتبة ما ينبت الاشجار في الكثبان ولفظ الانهار
استعارة للملايكة المجردين عن التعلق بالاجرام الفلكية باعتبار كون هذه الملايكة اصولا ومبادي للملايكة
السماوية كما ان الانهار مبادي مدد الحياة الاشجار واسباب لوجودها واللؤلؤ الرطب والثمار استعارة لما
يفيض عن تلك الارواح من العلوم والكمالات على النفوس القابلة لها من غير بخل ولا منع فهي تاتي على
منية مجتنيها بحسب استعداده لكل منها والقوة المتخيلة تحكي تلك الاوصاف في هذه العبارات والطعام
الجسمانية والمعهودة ويلبسها صورة ما هو مشتهى للمتخيل كل بحسب شهوته ولذلك كان في الجنة كل ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين وتتاهل لحضور فيحضر لها عند ارادتها اياه وكذلك لفظ العسل والخمر استعارة لتلك
الاضافات المشتهاة الملذة بحسب محاكاة المتخيلة لها في صورة هذا المستلذ المحسوس المشتهى لبعض
النفوس فتصورة لصورته **وقوله** قوم لم تزل الكرامة الى قوله الاسفار استعارة وصف النادي الذي
يتوسم اعمال العقلاء لتاخر الكرامة عنهم وانتظارهم لها في الدنيا الى غاية حلولهم دار القرار وحصول الكرامة
لهم هناك وانهم من نقلة الاسفار ثم عقب بتشويق المستمع الى ما في قوله فلو شغلت قلبك اي
احرزت في اعتقاد نفسك للوصول الى ما يهجم عليك اي يفاض من تلك الصور البهية المعجبة لزهقت نفسك
اي مت شوقا اليها ولرحلت الى مجاورة اهل القبور استعجالا لقربهم الى ما اشتاق اليه ثم ختم الخطبة بالدعا
لنفسه والسامعين ان يعدهم الله تعالى لسلوك سبيله وقطع منازل طريقه الموصلة الى منازل الابرار
وهي درجات الجنة ومقاماتها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ليتاس صغيركم
بكبيركم وليرءف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين تتفقهون ولا
عن الله تعقلون كقيض بيض في اداح يكون كسرها وزرا ويخرج حضانها شرا **اقول** قيض
البيض لبه قشره تقول قضت البيضة كسرتها وانقاضت تصدعت من غير كسر وتقيضت تكسرت
فلقها والاداح جمع ادحي افعول من الادحو الذي تبيض فيه النعامة وتدحوه والكسر والاجرام فكان بالقدرة اولى
وامر كبيرهم ان يرءف بصغيرهم لان الصغير مظنة الضعف واهل لان يرحم ويعذر لقلة عقلبه للامور
وانما بدا بامر الصغير لانه احوج الى التاديب والغاية من هذا الامر انتظام امورهم وحصول الفتهم بالامر
ثم نهاهم ان يشبهوا جفاة الجاهلية في عدم تفقههم في الدين وعدم عقليتهم لاوامر الله فيشبهون اذن
بيض الافاعي في اعشاشها ووجه الشبه انها ان كسرها كاسر اثم لتاذي الحيوان به وقيل لانه يظن بيض
القطا فياثم كاسره وان لم يكسر يخرج حضانها شرا اذ يخرج افعى قاتلا فكذلك هؤلاء اذا اشبهوا جفاة
الجاهلية لا يحل لاصحابهم وامانتهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم وان اهملوا وتركوا على ما هم عليه من الجهل

وقلة الادب خرجوا شياطين وبالله التوفيق **منها** افترقوا بعد الفتهم وتشتتوا
عن اصلهم فمنهم اخذ بغصن اينما مال مال معه على ان الله سيجمعهم لشر يوم لبني امية كما يجتمع قزع الخريف
يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح لهم ابوابا يسيلون من مستثارهم كسيل
الجنتين حيث لم تسلم عليه قارة ولم تثبت عليه اكمة ولم يرد سننه رص طود ولا حداب ارض يذعذعهم
الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض ياخذ بهم من قوم حقوق قوم ويمكن لقوم في ديار قوم وايم
الله ليذوبن ما في ايديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب الالية على النار ايها الناس لو لم تتخاذلوا
عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من
قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما خلفتم
الحق وراء ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول
وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الاعناق **اقول** القزع قطع السحاب المتفرقة
والمستثار موضع ثورانهم والقارة الاكمة والحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض والذعذعة
بالذال المعجمة التفريق وتهنوا تضعفوا وتوهين الباطل اضعافه والفادح المثقل والاشارة في
هذا الفصل الى اصحابه واصلهم الذي تشتتوا عنه هو عليه السلام وافتراقهم بعد الفتهم هو افتراقهم الى خوارج وغيرهم
بعد اجتماعهم عليه **وقوله** فمنهم اخذ بغصن اي يكون منهم من يتمسك بمن اخلفه بعده من ذرية
الرسول صلى الله عليه اينما سلك سلك معه كالشيعة وتقدير الكلام ومنهم من ليس كذلك الا انه استغنى بالقسم
الاول لدلالته على الثاني **وقوله** على ان الله سيجمعهم اي من كان على عقيدة فيه ومن لم يكن لشر يوم يكون
لبني امية وشبه جمعه لهم وتاليفه بينهم بجمعه لقزع السحاب في الخريف وتراكمهم بتراكم المتراكم
ذلك القزع ووجه الشبه الاجتماع بعد التفرق والابواب التي يفتحها لهم اشارة الى وجوه الاراء التي تكون
اسباب الغلبة والانبعاث في الاجتماع او اعم منها لتاييد الاسباب للغلبة من اعانة بعضهم لبعض بالانفس
والاموال وغير ذلك واستعار لفظ السيل وشبهه بسيل جنتي مارب وهما جنتا سبا المحكي
عنهما في القران الكريم فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين الاية ووجه الشبه الشدة في
الخروج وافساد ما ياتون عليه لقوة ذلك السيل حيث لم يسلم عليه مرتفع من الارض ولم يرد طريقه وجريه
جبل مرصوص اي شديد الالتصاق ثم قال يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض
وهو من الفاظ القران والمراد كما ان الله ينزل من السماء ماء فيكنه في اعماق الارض ثم يظهره منها ينابيع الى
ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون الاودية وغوامض الارض ثم يظهرهم بعد الاختفاء فياخذ بهم
من قوم حقوق اخرين ويمكن قوما من ملك قوم وديارهم ثم اقسم ليذوبن ما في ايدي بني امية بعد علوهم
وتمكنهم كما تذوب الالية على النار ووجه الشبه الفناء والاضمحلال ومصداق هذا الاخبار ما كان من امر
الشيعة الهاشمية واجتماعها على ازالة ملك بني امية من كان منهم ثابتا على ولاء علي واهل بيته ومن حاد منهم
عن ذلك في اواخر ايام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ثم عاد الى توبيخ السامعين بالاشارة الى

سبب الطمع فيهم ممن هو دونهم في القوة والمنزلة وتقاعدهم عن اصحاب الباطل وهو في معرض التوبيخ
واللائمة لهم ثم شبه تيههم بتيه بني اسرائيل ووجه الشبه لحوق الضعف والذلة والمسكنة لهم حيث لم يجتمعوا
على العمل بما امرهم به فداموا بالتيه وضربت عليهم الذلة والمسكنة ثم اخبرهم بعاقبة امرهم في التخاذل وهو اضعاف
التيه والتفرق بعده لانتفاء التهم عن الحق ومقاطعة بعضهم لبعض مع دنو وقرب من بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
لمعوية وغيره مع نفوذ عنهم ثم اخذ في ارشادهم وجذبهم الى اتباعه فقال ان اتبعتم الداعي وهو نفسه سلك بكم
منهاج الرسول وطريقه وكفيتم مؤونة الاعتساف في طرق الضلال والقيتم ثقل الاوزار في الآخرة عن اعناق
نفوسكم وظاهر كونها فادحة ويحتمل ان يريد بالثقل الفادح الآثام مع ما يلحقهم في الدنيا من الخطوب
الفادحة بسبب عصيان الامام والخروج عن امره وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام في اول
خلافته ان الله سبحانه انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا
عن سمت الشر تقصدوا الفرائض الفرائض ادوها الى الله تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حراما غير مجهول
واحل حلالا غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معا
قدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب بادروا امر العامة و
خاصة احدكم وهو الموت فان الناس امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر
باولكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا
تعصوه واذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه اقول اصدفوا اعرضوا وتقصدوا تعدلوا
وتتعادلوا مواضعها وصدر هذا الفصل بالتنبيه على فضيلة الكتاب وهي كونه هاديا الى طريقي الخير و
الشر ثم امر باخذ طريق الخير لكونه طريق الهدى الى المطالب الحقيقية الباقية وبالاعراض عن طريق
الشر وسمته لاستلزام الاعراض عنه لزوم طريق الحق والاستقامة فيه ثم امر باداء الفرائض انما هي
طرق الخير ولذلك قال تؤدكم الى الجنة اذ الجنة منتهى الخير كله ثم نبه ان الله حرم حراما غير مجهول
بل هو في غاية الوضوح وكذلك احل حلالا غير مدخول اي لا عيب فيه ولا شبهة فلا عذر لمن تركه وفضل
حرمة المسلم على الحرم كلها وهذا لفظ الخبر النبوي حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وعرضه وماله وشد بالاخلاص
والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها اي ربطها بها فاوجب على المخلصين المعترفين بوحدانيته المحا
فظة على حقوق المسلمين ومراعاة مواضعها وقرن توحيده بذلك حتى صار دخيلا كفضل التوحيد ثم
عرف المسلم ببعض صفات المسلم الحق وهو من سلم المسلمون من يده ولسانه الا ان يكون بحق او لسان
حق وهو لفظ الخبر النبوي ايضا وقوله ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب كقوله الا بالحق اورده تاكيدا
ثم عقب بتنبيههم على امر العامة وخاصة احدهم وهو الموت اي ذلك الامر هو الموت وانما كان مع عمومه لكل
الحيوان خاصة احدهم ان له مع كل شخص خصوصية وكيفية مخالفة لما له مع غيره وامرهم بمبادرته اي بمبادرة العمل
له ولما بعده قبل سبقه اليهم ونبههم على ان الناس امامهم اي قد سبقوهم الى الآخرة وان الساعة تحدوهم من خلفهم
وامرهم بالتخفف للحاق بهم وحثهم على ذلك بقوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي السابقين الى الآخرة للآخر

ين

ـكم ليحف الكل جميعا وقد سبقت هذه الالفاظ بعينها وشرحها [illegible] ثم امرهم بتقوى الله في عباده وذلك
بلزوم خوفه في مراعاة ما ينبغي لكل احد منهم من غيره وفي بلاده بترك الفساد في الارض ونبه على وجوب ذلك باستحقاق
كل عمل وان قل للسؤال عنه ومناقشة الحساب عليه حتى عن البقاع فيقال لم استوطنتم هذا المكان
وزهدتم في ذلك وعن البهائم فيقال لم ضربتم هذه وقتلتم هذه ولم اجعتموها والى هذا الاشارة بقوله تعالى ولتسئلن
عما كنتم تعملون وقوله ولتسئلن يومئذ عن النعيم قيل هو شبع البطن وبارد الشراب ولذة النوم
وظلال المساكن واعتدال الخلق وقوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا
فيقال لم اشتغلت [illegible] وسمعت ونظرت وفي الخبر الصحيح النبوي ان الله عذب انسانا بهرة
حبسها في بيته واجاعها حتى هلكت ثم اجمل القول بعد تفصيله فامر بطاعة الله ونهى عن معصيته
وارشد الى الاخذ بالخير عند رؤيته والاعراض عن الشر عند رؤيته ومن كلام له عليه السلام بعد
ما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمان فقال
يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا
ولا نملكهم وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومو
نكم ما شاؤوا وهل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة ان الناس
من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا
حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤوا عني وانظروا ماذا ياتيكم
به امري ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة وتورث وهنا وذلة وسامسك الامر ما استمسك
واذا لم اجد بدا فآخر الدواء الكي اقول اجلب عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بتشديد الدال
وتخفيفها وكسر العين وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم ومسمحة مسهلة
والالف في اخوتاه هي المنقلبة عن ياء النفس المضاف اليه والهاء للسكت واعلم ان هذا الكلام اعتذار منه
عليه السلام في تاخير القصاص عن قتلة عثمان وقوله اني لست اجهل ما تعلمون دليل على انه كان ذلك
في نفسه وحاصل العذر عدم التمكن كما ينبغي ولذلك قال وكيف لي بقوة والقوم على شوكتهم وصدقه عليه السلام
ظاهر فان اكثر اهل المدينة كانوا من المجلبين عليه وكان من اهل مصر ومن الكوفة خلق عظيم حضروا
من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك وانضم اليهم اعراب اجلاف من البادية وعبدان المدينة وكانوا
في غاية من شدة الشوكة حال اجتماعهم وثاروا ثورة واحدة ولذلك قال والقوم مجتمعون الى قوله يسومونكم
ما شاؤوا وروي انه عليه السلام جمع الناس ووعظهم ثم قال لتقم قتلة عثمان فقام الناس باسرهم الا القليل
وكان ذلك الفعل منه استشهادا على صدق قوله والقوم على حد شوكتهم ومع تحقق هذا الحال لا يبقى له موضع
قدرة على شيء من امرهم ثم قال على سبيل قطع لجاج الطالبين مخاطبا لهم ان هذا الامر امر جاهلية يريد
امر المجلبين عليه اذ لم يكن قتلهم اياه بمقتضى الشريعة اذ الصادر عنه من الاحداث لا يجب بها قتل وان
لهؤلاء القوم مادة اي معينين وناصرين ثم قسم حال الناس على تقدير الشروع في امر القصاص الى

بلا شاقيهم وهو احتجاج بيّن على الطاعنين وتضعيف لرايهم بقياس ضمير من الشكل الاول مركب من
شرطيتين متصلتين صغراهما قوله ان هذا الامر اذا حرك كان الناس فيه على امور وتقدير الكبرى واذا
كان الناس فيه على امور لم يتمكن من اتمامه وفعله فينتج ان هذا الامر اذا حرك لا يتم فعله ثم عدّ تلك الامور وهي
ان فرقة تكون ترى كونه مصيبا كما راى الطاعنون وفرقة ترى انه مخطئ وهم انصار المقتص منهم وفرقة لا
ترى هذا ولا ذاك بل يتوقف كما جرى ذلك في امر التحكيم ثم امرهم بالصبر الى غاية هدوّ الناس اذ بيّن لهم انه
لا مصلحة في تحريك الاجتهاد (?) فان الحقوق عند هدوّ الناس واستقرار القلوب اسهل مأخذا وقوله
فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم به امري يدل على تربص وانتظار للفرصة من هذا الامر ثم خوفهم من الاستعجال
بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنه فانه لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم لم يؤمن من تجدد
فتنة اخرى اعظم من الاولى وهو غالب الظن وكان الاصوب في التدبير والذي يقتضيه العقل والشرع الامساك
الى حين سكون الفتنة وتفرق اوباش الشعوب ورجوع كل قوم الى بلادهم وربما كان عليه السلام يستطرق مع ذلك
ان يخضع بنو عثمن للطلب بدمه ويعينون قوما بأعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم للحصار كما جرت عادة المتظلمين
الى الامام ليتمكن من العمل بحكم الله فلم يقع الامر كذلك وعصى معوية واهل الشام والتجأ اليه ورثة عثمن وفا
رقوا حوزة امير المؤمنين عليه السلم ولم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وانما طلبوه مغالبة وجعلها معوية
عصبية جاهلية ولم يأت احد منهم الامر من بابه وقبل ذلك ما كان من امر طلحة والزبير ونقضهما البيعة و
نهبهما اموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من اهلها وكل تلك الامور التي جرت مانعة للامام من التصدي
للقصاص ولذلك قال عليه السلم لمعوية في بعض كلامه فاما طلبك بدم عثمان فادخل في الطاعة وحاكم القوم الي
احملك واياهم على كتاب الله وسنة رسوله فاما قوله وسامسك الامر ما استمسك الى اخره فاعلم ان هذا الكلام
انما صدر عنه عليه السلام بعد ذاك القول عليه في امر عثمان واضطراب الامر من قبل طلحة والزبير ونكثهما البيعة بسبب
هذه الشبهة مع توهمهما اكابر الصحابة وتشتت قلوب كثير من المسلمين عند تخيلهم (?) وغلبة بعض الصحابة
باخذ القصاص من قتلة عثمن تسكينا للفتنة طلحة والزبير ومعوية لغلبة الظن حينئذ بمخالفته واضطرا
ب امر الشام وقال الكلام اي قد ابديت هذا العذر فان لم يقبلوا مني فسامسك الامر اي امر الخلافة بجهدي
فاذا اجد بدّا اي من قتال من يبغي ويكيد فاخر الدواء الكي اي الحرب والقتال لانها الغاية التي ينتهي امر
العصاة اليها ومداواة امراض قلوبهم كما ينتهي المريض الى ان يكوى وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام
عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة** ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وامر قائم لا يهلك عنه الا هالك
وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله وان سلطان الله عصمة لامركم فاعطوه طا
عتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا
حتى يأرز الامر الى غيركم ان هؤلاء قد تمالؤا على سخطة امارتي وساصبر ما لم اخف على جماعتكم فانهم
ان تمموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين وانما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن افاءها الله عليه
فارادوا رد الامور على ادبارها ولكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله والقيام بحقه والنعش

لسنته **اقول** يأرز ينحاز وينقبض وتمالؤا اجتمعوا والفيالة الضعف والنعش الرفع **وقوله** ان
الله بعث الى قوله هالك تنبيه للفضل بالامور الجامعة للمسلمين التي هي اصول دولتهم وتذكير لهم بها ليرجعوا
اليها وامر قائم مستقيم **وقوله** لا يهلك عنه الا هالك اي لا يهلك عن مخالفته الا اعظم هالك كما تقول لا
يعلم هذا الفن من العلم الا عالم اي من بلغ الغاية في العلم **وقوله** وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات
الا ما حفظ الله لما ذكر الكتاب والسنة الجامعين لجدوى الهداية حذرهم عنها وارادوا الحلال الاخروي **وقوله** الا ما
حفظ الله استثناء من المهلكات اي الا ما حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها اولا تكون مهلكة الا من ارتكبها و
المشبهات ما اشبه السنن وليس منها وروي المشبهات بتشديد الباء وفتحها وهو ما شبه على الناس وابس (?)
وروي المشبهات اي الملتبسات وسلطان الله هو سلطان الاسلام فحذف المضاف واراد سلطان دين الله
ويحتمل ان يريد سلطان الله نفسه لكونه خليفة له في ارضه فانما اضافه اليه اعظاما له وظاهر ان فيه منفعة
وعصمة لهم فان الذي نصرهم وهم قليلون حتى قووا فبالاولى ان ينصرهم على كثرتهم بشرط طاعته الخالصة
والدخول في امر سلطانه ولذلك قال فاعطوه طاعتكم غير ملومة اي غير ملوم صاحبها بالنسبة الى النفاق
والرياء ولا مستكره عليها وروى اي غير ملوية اي غير معوجة ثم اخذ في وعيدهم ان لم يطيعوه بنقل الله عنهم
سلطان الاسلام من غير ان يرده اليهم ابدا حتى يصير الامر الى غيرهم واراد امر الخلافة ثم ان جعلنا حتى وما بعدها
غاية لنقل السلطان عنهم لم يفهم منها عوده اليهم وان جعلناها غاية من عدم نقله اليهم فهم منها ذلك فان قلت
لم قال لا يرجع اليهم ابدا وقد عاد بالدولة العباسية قلت اجيب من وجوه الاول ان القوم
الذين خاطبهم من اصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدولة اليهم ابدا فان اولئك بعد انقضاء دولة بني امية لم يبق منهم
احد ثم لم ترجع الى احد من اولادهم اصلا الثاني انه قيد بالغاية فقال لا يعيده اليكم حتى يصير في قوم
آخرين وظاهر انه كذلك ما انتقل الى بني امية الثالث قال بعض الشارحين انما عاد لان الشرط
لم يقع وهو عدم الطاعة فان اكثرهم اطاعوه طاعة غير ملوية ولا مستكره بها الرابع قال قوم اراد بقوله
ابدا المبالغة كما تقول لغيرك لا اجيبنك ابدا والمراد بالقوم الذين يأرز اليهم هذا الامر بنو امية كما هو الواقع **وقوله**
ان هؤلاء قد تمالؤوا اشارة الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم واومى الى ان سببه سخطهم من امارته لا ما اظهروه
من الطلب بدم عثمان ثم وعد بالصبر عليهم ما دام لا يخاف على حوزة الجماعة واخبر انهم ان بقوا على ضعف
رايهم في سببهم (?) ومخالفتهم قطعوا نظام المسلمين وفرقوا جماعتهم **وقوله** وانما طلبوا الى قوله عليه بيان لعلة
سخطهم لامارته وهي الحسد على الدنيا لمن افاءها الله عليه والاشارة الى بيت الرسول صلى الله عليه **وقوله**
فارادوا رد الامور على ادبارها اي ارادوا اخراج هذا الامر عن اهل بيت الرسول اخيرا كما اخرجوه اولا او
صرف هذا الامر عنهم بعد اقباله اليّ كما كان عليه من ادباره عنهم ثم اخبر بما لهم عليه من الحق ان اطاعوه الطاعة
غير المدخولة وهي ان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله والقيام بحقوقه التي اوجبها واقامة سنته
وذلك هو الواجب على الامام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما قال (?) كليب
الجرمي قبيل وقعة الجمل بايع فقال انما رسول قوم لا احدث حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال

عليه السلام الرائد لو ان الذين بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم واخبرتهم عن الكلأ والماء
فخالفوك الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا قال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلأ والماء فقال له
عليه السلام فامدد يدك اذن قال الرجل فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته عليه السلام **اقول**
الجرمي منسوب الى بني جرم وكان قوم من اهل البصرة بعثوه اليه عليه السلام ليستعلم حاله اهو على حجة ام على
شبهة فلما رآه وسمع لفظه لم يتخالجه شك في صدقه فبايعه وكان بينهما الكلام المنقول ولا الطف من التمثيل
الذي ضربه به عليه السلام فالاصل في هذا التمثيل هو حالة هذا المخاطب في وجدانه للماء والكلأ على تقدير
كونه رائدا لهما والفرع هو حالة في وجدانه للعلم والفضائل والهداية عنده والحكم في الاصل هو مخالفته اصحابه
الى الماء والكلأ على تقدير وجدانه لهما ومخالفة اصحابه له وعلة ذلك الحكم في الاصل هو وجدانه للكلأ والماء ولما
كان المشبه لهذه العلة هو وجدانه للفضائل والعلوم التي هي غذاء النفوس ومادة حياتها كما ان الكلأ والماء غذاء
للابدان ومادة حياتها موجودا لهذا الرائد في الفرع وهو حالة وجدانه للعلم والفضل والهداية وجب عن تلك
العلة مثل الحكم في الاصل وهو مخالفة اصحابه الى الفضل والعلم والهداية عنده عليه السلام ولزم من ذلك ان يبايع ولذلك
قال له فامدد يدك اذن وهو تمثيل لانقياد النفس السليمة عند سماع البرهان تنقاد دون الانفعال عنه والاذعان
له ولذلك اقسم الرجل انه لم يستطع الامتناع عند قيام هذه الحجة عليه فبايع وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف
الذي جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة وجعلت سكانه سبطا
من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام
وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا
على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة اين المانع
للذمار والغائر عند نزول الحقائق من اهل الحفاظ العار وراءكم والجنة امامكم **اقول** مغيضا لهما
اي مغيبا والسبط القبيلة وقد دعا الله سبحانه باعتبار كونه ربا للسماء والارض وباعتبار ما فيهما من الآيات
المنبهة على كمال عظمته ولطفه بخلقه وهذا الدعاء مما يستعد به القلوب والاذهان لاستفاضة الغلبة
والنصر على العدو والسقف المرفوع السماء وكذلك الجو المكفوف وقد مرت الاشارة الى ذلك في الخطبة
الاولى وكونه مغيضا لليل والنهار لان الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس الى وجه الارض يكون سببا
لغيبوبة الليل باستلزام حركته لحركتها عن وجه الارض يكون سببا لغيبوبة النهار فكان كالمغيض لهما
فاستعار له لفظ المغيض وكونه محلا لجري الشمس والقمر ومحل اختلاف النجوم السيارة ظاهر
وليس فيه دلالة على ان النجوم تتحرك فيه بذاتها من دون حركته والطايفة من الملائكة اشارة الى الارواح
الفلكية المحركة لاجرامها وقد سبقت الاشارة اليهم وبيان انهم لا يسأمون من العبادة في الخطبة الاولى
ثم دعاه باعتبار كونه ربا للارض وباعتبار ما بسطها لاجله من كونها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام
وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى من انواع الحيوان قال بعض العلماء من اراد ان يعرف حقيقة قوله

عليه السلام مما يرى وما لا يرى فليوقد نارا صغيرة في فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرايب انواع الحيوان
العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره واقول يحتمل ان يريد بقوله وما لا يرى ما ليس من شانه
ان يرى اما لصغره او لشفافيته ثم باعتبار كونه ربا للجبال وقد علمت معنى كونها اوتادا للارض فاما كونها
اعتمادا للخلق فلانهم قد يتخذون منها المساكن ويقوم فيها المنافع كما يقوم في الاودية كثير من الاشجار والثمار
ولانها معادن الينابيع ومنابع المعادن وظاهر كونها اذن معتمدا للخلق في مراتبهم ومنافعهم ثم سأل
على تقدير نصره ان يجنبه البغي وهو العبور الى طرف الافراط من فضيلة العدل ثم التسديد والاستقامة
على فضيلة العدل وهو الحق وعلى تقدير ظهور عدوه عليه الشهادة والعصمة من فتنة الغير ولا شك انها فتنة
فان المغلوب اذا كان معتقدا انه على الحق فلا يسلم من التسخط على البخت والتعتب على ربه وربما
كفر كثير من الناس عند نزول البلاء بهم وظاهر كونهم فتنة اي صارفا عن الله فاستعصم عليه السلام
من تلك الفتنة واشار بها استثباتا للنفس على الحق وتاديبا للسامعين ثم اخذ في العادة ان يستحيي
به الانسان اصحابه في الحرب ويستثير به طباعهم من الاستفهام عن حامي الذمار والذي تصيبه الغيرة من
اهل المحافظة عند نزول الحقائق اي عظائم الامور وشدائدها ثم قال النار وراءكم اي ان رجوعكم
القهقرى هربا من العدو مستلزم لدخولكم واستحقاقكم لها والجنة امامكم اي في اقدامكم على العدو
التقدم الى مناجزته وهو كلام في غاية الوجازة والبلاغة **ومن خطبة له عليه السلام**
الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضا **اقول** حمد الله تعالى باعتبار احاطة علمه بالسموات
والارضين واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن وصف المخلوقين اذ كانوا في ادراكهم لبعض الاجرام السماوية
والارضية محجوبين عما وراءها وعلمه تعالى هو المحيط بالكل الذي لا يحجبه السموات ولا يخفى عليه السرائر
منها وقال لي قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر لحريص فقلت بل
انتم والله احرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي
دونه فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين هب كانه لا يدري ما يجيبني به اللهم اني استعديك على قريش
ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا هو لي ثم قالوا الا ان في الحق
ان تأخذه وفي الحق ان تتركه **اقول** هذا الفصل من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى له يوم الشورى
بعد مقتل عمر رضي الله عنه والذي قال له هذا القول هو سعد بن ابي وقاص مع روايته فيه انت مني
بمنزلة هارون من موسى وهو محل التعجب فاجابه بقوله بل انتم والله احرص وابعد اي احرص على هذا الامر
وابعد من استحقاقه وهو في صورة احتجاج بقياس ضمير من الشكل الثاني صغراه ما ذكره وتقدير
كبراه وكل من كان احرص على هذا الامر وابعد منه فليس له ان يعير الاقرب اليه بالحرص عليه
وقوله وانا اخص واقرب صغرى قياس ضمير احتج به على اولويته بطلب هذا الامر وتقدير كبراه
وكل من كان اخص واقرب الى هذا الامر فهو اولى بطلبه وروي ان هذا الكلام قاله يوم السقيفة وان
الذي قال له انك على هذا الامر لحريص هو ابو عبيدة بن الجراح والرواية الاولى اظهر واشهر وروي

عوض بعثت ختب ابي اثنيته فانه كان غافلا ذاهلا عن الحجة فاستيقظ من غفلته ثم اخذ في استعانة
الله تعالى على قريش ومن اعانهم عليه وشكا امورا منها قطع رحمه فانهم لم يراعوا قرابته من رسول الله صلى
الله عليه ومنها تصغير عظيم منزلته بعدم الثنا ثم الى ما ورد من النصوص النبوية في حقه ومنها اتفاقهم
على منازعته الخلافة الذي يرى انه احق به منهم وقوله ثم قالوا الى آخره اي انهم لم يقتصروا على اخذ حقي
ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم ولكنهم اخذوه مع دعواهم ان الحق لهم وانه يجب علي ان اترك المنازعة
فيه فليتهم اخذوه معترفين انه حق لي فكانت المصيبة اهون ويروى باخذه وتركه بالنون في الكلمتين
وعليه نسخة الرضي رضي الله عنه والمراد انا نتصرف فيه كما نشاء بالاخذ والترك دونك وهذه شكاية ظاهرة
لا تاويل فيها ومنها في ذكر اصحاب الجمل فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما
كما الامة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول
الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا
غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة صبرا
وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم حتى لحل لي قتل
ذلك الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين
مثل العدة التي دخلوا بها عليهم اقول حرمة جاءه ومقصود الفصل اظهار عذره في قتال اهل
الجمل وذكر ثلاث ذنوب من الذنوب تستلزم اباحة قتالهم وقتلهم الاولى حرمة حرمة رسول الله
صلى الله عليه وحبسه نجيه وبها كما تجر الامة عند شرائها مع حبسهم نساءهما وهما قطنتها عليهن
وضمير التثنية في حبسا لطلحة والزبير ووجه الشبه انتهاك الحرمة ونقضها في اخراجها وفي ذلك حاذه
على رسول الله صلى الله عليه وروى عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه قال يوما لنسائه وهن
عنده جميعا ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وشمالها
قتلى كثير كلهم في النار وتنجو بعدما كادت وروى حبيب بن عمير قال لما خرجت عايشة وطلحة
والزبير من مكة الى البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب
فنفرت صعاب ابلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوأب ما اكثر كلابها فلما سمعت عايشة ذكر الحوأب
قالت اهذا ماء الحوأب قالوا نعم فقالت ردوني ردوني فسألوها ما شأنها وما بدا لها فقالت اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه يقول كاني بكلاب الحوأب قد نبحت بعض نسائي ثم قال لي اياك يا حميرا ان
تكونيها فقال لها الزبير مهلا يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة فقالت اعندك من
يشهد بان هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير وطلحة وطلبا خمسين
اعرابيا جعلا لهم جعلا فحلفوا لها وشهدوا ان هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه اول شهادة
زور عملت في الاسلام فسارت عايشة لوجهها فاما قوله في الخبر وتنجو بعدما كادت فقالت الامامية
معناه تنجو من القتل بعدما كادت ان تقتل وقالت المعتزلة معناه تنجو من النار بالتوبة

بعدما

بعد ما كادت ان تدخلها بما فعلته الثانية نكثهم لبيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة في جماعة ما منهم الا من اخذ بيعته
الثالثة قتلهم لعامله بالبصرة وخزان بيت مال المسلمين بها بعضهم صبرا اي بعد الاسر وبعضهم غدرا
اي بعد اعطائهم الامان وخلاصة القصة ما روي ان طلحة والزبير وعائشة لما انتهوا في مسيرهم الى حفر ابي
موسى قريب البصرة كتبوا الى عثمان بن حنيف الانصاري وهو يومئذ عامل علي على البصرة ان اخل لنا دار
الامارة فلما قرأ كتابهم بعث الى الاحنف بن قيس والى حكيم بن جبلة العبدي فاقرأهما الكتاب فقال الاحنف
انهم ان حاولوا بهذا الطلب بدم عثمان وهم الذين البوا على عثمان وسفكوا دمه فاراهم والله لا يزايلونا حتى يوقعوا
بيننا العداوة ويسفكوا دماءنا واظنهم سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به والراي ان تتاهب
لهم بالنهوض اليهم فيمن معك من اهل البصرة فانك اليوم الوالي عليهم وانت فيهم مطاع فسر اليهم بالناس
وبادرهم قبل ان يكونوا معك في دار واحدة فتكون الناس لهم اطوع منهم لك وقال حكيم مثل ذلك فقال عثمن
ابن حنيف من الراي ما رايتما لكن اكره الشر وان ابداهم به وارجو العافية والسلامة الى ان ياتيني كتاب امير
المؤمنين ورايه فاعمل به فقال له حكيم فاذن لي حتى اسير اليهم بالناس فان دخلوا في طاعة امير المؤمنين
والا نابذتهم على سواء فقال عثمان لو كان ذلك الى لسرت اليهم بنفسي فقال حكيم اما والله لئن دخلوا
عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس اليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا وانت اعلم فابى عثمن
عليه ثم كتب علي عليه السلام الى عثمن بن حنيف لما بلغه مسير القوم الى البصرة من عبد الله علي امير المؤمنين
الى عثمان بن حنيف اما بعد فان البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان
لطلب ما لا يرضى الله به والله اشد باسا واشد تنكيلا فاذا قدموا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع
الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه فان اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك وان ابوا الا التمسك
بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت كتابي هذا من
الربذة فانا معجل المسير اليك ان شاء الله وكتب عبد الله بن ابي رافع في سنة ست وثلاثين فلما
وصل الكتاب الى عثمان بعث ابا الاسود الدؤلي وعمران بن الحصين اليهم فدخلا على عايشة فسالاها عما
جاء بهم فقالت لهما القيا طلحة والزبير فقاما ولقيا الزبير فكلماه فقال انا جئنا لنطلب بدم عثمان
وندعو الناس الى ان امر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم فقالا له ان عثمان لم يقتل بالبصرة لتطلبا
دمه فيها وانت تعلم قتلة عثمان واين هم وانك وصاحبك وعايشة كنتم اشد الناس عليه واعظمهم اغراء
بدمه فاقيدوا من انفسكم واما اعادة امر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا طائعين غير مكرهين
وانت يا ابا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وانت آخذ قائم
سيفك تقول ما احد احق بالخلافة منه واستعفيت من بيعة ابي بكر فاين ذلك الفعل من هذا القول
فقال لهما اذهبا الى طلحة فقاما الى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في اثارة
الفتنة فانصرفا الى عثمن بن حنيف فاخبراه بما جرى وقال له ابو الاسود
يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر وابرز لها مستلئما وشمر فقال

ابن حنيف اي والمؤمنين لا دخلتَ وانزمتا دبّه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا اليه واقبلوا حتى
انتهوا الى المربد فملاوه مشاةً وركبانا فقام طلحة فاشار الى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد
فقال اما بعد فان عثمان بن عفان كان من اهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين
الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ونزل القرآن ناطقا بفضلهم واحد الائمة الوالين عليكم بعد ابي بكر وعمر
صاحبي رسول الله صلى الله عليه وقد كان احدث احداثا نقمنا بها عليه فاتيناه واستعتبناه فاعتبنا
فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الامة امرها غصبا بغير رضى ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير
اتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريا تائبا وقد جئناكم ايها الناس نطلب بدمه وندعوكم الى الطلب فان نحن
امكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين وكانت خلافة رحمة للامة جميعا
فان كل من اخذ الامر من غير رضى العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا وحدثا كبيرا ثم قام
الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من اهل البصرة فقالوا لهما الم تبايعا عليا فيمن بايعه ففيم
بايعتم ثم نكثتما فقالا ما بايعناه وما لاحد في اعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعته فقال ناس قد صدقا
ونطقا بالصواب وقال آخرون ما صدقا ولا اصابا حتى ارتفعت الاصوات واقبلت عائشة على جملها
فنادت بصوت مرتفع ايها الناس اقلوا الكلام واسكتوا فسكت الناس لها فقالت انّ امير المؤمنين عثمن
قد كان غيّر وبدّل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وانما نقموا عليه ضربه بالسوط و
تاميره الشبان وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما في حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل الا وانّ
قريشا رمت غرضها بنبالها وادمت افواهها بايديها وما نالت بقتلها اياه شيئا ولا سلكت به سبيلا قاصدا
اما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب
ايها الناس انه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه مصتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه
فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن ابي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا اتراني
اغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا اغضب لعثمان من سيوفكم الا ان عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته
فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب
ولا تدخلوا فيهم من شرك في دم عثمان قال فماج الناس واختلطوا فمن قايل يقول القول ما
قالت ومن قايل يقول وما هي من هذا الامر انما هي امراة مامورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات وكثر اللغط
حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصا ثم تمايزوا فرقتين فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير
ثم اقبل ابن الزبير يريد عثمان بن حنيف فوجدوه واصحابه قد اخذوا بافواه السكك فمضوا حتى انتهوا
الى مواضع الدباغين فاستقبلهم اصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير بالرماح فحمل عليهم حكيم بن
جبلة فلم يزل هو واصحابه يقاتلونهم حتى اخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت
بالحجارة فاخذوا الى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت اليهم خيلهم ثم اخذوا على مسناة البصرة
حتى انتهوا الى الزابوقة ثم اتوا السبخة دار الرزق فنزلوها واتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة

بكتب

بكتب كتبا بها اليه فقال لطلحة يا ابا محمد اما هذه كتبك الينا فقال بلى فقال كتبت امس تدعونا الى خلع
عثمن وقتله حتى اذا قتلته اتيتنا ثائرا بدمه فلعمري ما هذا رايك ولا تريد الا هذه الدنيا مهلا اذا كان هذا رايك
فلمَ قبلتَ من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في
فتنتك فقال ان عليا دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت اني لو لم اقبل ما عرضه علي لم يتم لي ثم يغري
بي من معه ثم اصبحا من غد فصفّا للحرب وخرج اليهما عثمان في اصحابه فناشدهما الله والاسلام واذكر
هما بيعتهما ثلث فشتماه شتما قبيحا وذكرا امه فقال للزبير اما والله لولا صفية ومكانها من رسول
الله فانها ادتك الى الظل وان الامر بيني وبينك يا ابن الصعبة يعني طلحة اعظم من القول لاعلمتكما من امركما
ما يسوءكما اللهم اني قد اعذرت الى هذين الرجلين ثم حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم تحاجزوا
واصطلحوا على ان يكتب بينهم كتاب صلح فكتب هذا ما اصطلح عليه عثمن بن حنيف الانصاري ومن
معه من المؤمنين من شيعة علي بن ابي طالب وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين المسلمين من شيعتهما
ان لعثمن بن حنيف الانصاري دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة والزبير ومن
معهما ان ينزلوا حيث شاءوا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا سوق ولا فرضة ولا مشرعة
ولا مرفق حتى يقدم امير المؤمنين علي بن ابي طالب فان احبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة وان احبوا
لحق كل قوم بهواهم وما احبوا من قتال او سلم وخروج او اقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثا
قه واشد ما اخذه على نبي من انبيائه من عهد وذمة وختم الكتاب ورجع عثمن حتى دخل دار الامارة
وامر اصحابه ان يلحقوا باهليهم ويداووا جراحاتهم فمكثوا كذلك اياما ثم خاف طلحة والزبير من مقدم علي
وهما على تلك القلة والضعف فراسلوا القبائل يدعونهم الى الطلب بدم عثمان وخلع علي [illegible]
الازد وضبة وقيس عيلان كلها الا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا امرهم فتواروا عنهم وبايعهما
هلال بن وكيع بن مغنة من بني عمرو بن تميم واكثر بني حنظلة وبني دارم فلما استوسق لهما امرهما
خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر في اصحابهما وقد البسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد
وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمن بن حنيف اليه واقيمت الصلاة فتقدم عثمن ليصلي بهم فاخره اصحاب
طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت الشرط حرس بيت المال فاخروا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم اصحاب الزبير
فقدموه واخروا عثمان فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع فصاح بهم اهل المسجد الا تتقون الله اصحاب
محمد قد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته صاح باصحابه المستلحين
ان خذوا عثمان فاخذوه بعد ان تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما اسر ضرب ضرب الموت
ونتف حاجباه واشفار عينيه وكل شعرة في راسه ووجهه واخذوا السبابجة وهم سبعون رجلا فا
نطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة فقالت لابان بن عثمن اخرج اليه فاضرب عنقه فان الانصار
قتلت اباك واعانت على قتله فنادى عثمن يا عائشة ويا طلحة ويا زبير ان اخي سهل بن حنيف خليفة علي
ابن ابي طالب على المدينة واقسم بالله ان قتلتموني ليضعن السيف في بني ابيكم واهليكم ورهطكم

فلا يبقى منكم احدا فكفا عنه وخافوا ان قتلوه ان يتركوه وارسلت عائشة الى الزبير ان اقتل السبابجة فانه قد
بلغني الذي صنعوا بك قيل فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم ولي ذلك منهم عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا وبقيت
منهم بقية متمسكون ببيت المال قالوا لا نسلمه حتى يقدم امير المؤمنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا
واوقع بهم واخذ منهم خمسين اسيرا فقتلهم صبرا فحكي ان القتلى من السبابجة يومئذ اربعمائة رجل
فكان غدر طلحة والزبير بعثمن بن حنيف بعد عهدهم اول غدر في الاسلام وكانت السبابجة اول قوم ضربت
اعناقهم من المسلمين صبرا وخيروا عثمن بن حنيف بين ان يقيم او يلحق بعلي فاختار الرحيل
فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام فلما راه بكى وقال له فارقتك شيخا وجئتك امرد فقال علي انا لله وانا اليه
راجعون قالها ثلثا وذلك معنى قوله عليه السلام فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين الى اخره ثم اقسم
عليه السلام انهم لو لم يصيبوا اي يقتلوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين قتله بغير ذنب جناه لحل له قتل
ذلك الجيش كله وان زايدة فان قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله لذلك الجيش
كله بعدم انكارهم المنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر قلت اجاب الشارح عبد الحميد
ابن ابي الحديد عنه فقال انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا مع انه مما حرمه الله فجرى ذلك مجرى
اعتقادهم اباحة الزنا وشرب الخمر واجاب القطب الراوندي بان جواز قتلهم لدخولهم في عموم
قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية وان هؤلاء قد حاربوا
رسول الله لقوله صلى الله عليه وآله يا علي حربك حربي وسعوا في الارض بالفساد واعترض المجيب
الاول عليه فقال الاشكال انما هو في تعليله لقتل الجيش لانهم لم ينكروا على من قتل رجلا واحدا من المسلمين
فالتعليل بعدم انكار المنكر لا بعموم الاية واقول الجواب الثاني اسد والاول ضعيف لان القتل
وان وجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزنا فلم قلت انه يجب
على من اعتقد اباحة ما لم يعلم تحريمه من الدين بل بتاويل لقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا وخروجهم لما خرجوا له فان
جميع ما فعلوه كان بتاويل لهم وان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر والزنا وبين
اعتقاد هؤلاء اباحة ما فعلوه واما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف ايضا لان له ان يقول
ان قتل المسلم الذي لا ذنب له عمدا اذا صدر من بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكنهم وحضورهم
كان ذلك قرينة دالة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصا اذا كان معروفا
بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام العادل محاربة
لله ورسوله وقتلهم لعامله وخزان بيت مال المسلمين ونهبهم له وتفريق كلمة اهل المصر وفساد نظامهم
سعي في الارض بالفساد وذلك عين مقتضى الاية وقوله دع الى اخره اي لو كان من قتلوا من المسلمين
واحدا لحل لي قتلهم فكيف وقد قتلوا منهم عدة مثل عدتهم التي دخلوا بها البصرة وما بعد دع زايدة والمماثلة
هنا في الكثرة وصدق عليه السلام فانهم قتلوا من اولياءه وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا كما ذكرنا
على الوجه الذي ذكرنا بعضهم غدرا وبعضهم صبرا وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام

ابن

امين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه
واعلمهم بامر الله فيه فان شغب شاغب استعتب وان ابى قوتل ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد
حتى يحضرها عامة الناس ما الى ذلك سبيل ولكن اهلها يحكمون على من غاب عنها ثم
ليس للشاهد ان يرجع ولا للغائب ان يختار الا واني اقاتل رجلين رجلا ادعى ما ليس له وآخر
منع الذي عليه اوصيكم بتقوى الله فانها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله وقد فتح
باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر والصبر والعلم بمواضع
الحق فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا فان لنا مع كل
امر تنكرونه غيرا الا وان هذه الدنيا التي اصبحتم تتمنونها وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم
ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون
عليها وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها واطماعها لتخويفها وسابقوا
فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن احدكم خنين الامة على ما
زوي عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه الا
وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء
حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر اقول
صدر هذا الفصل من ممادح الرسول صلى الله عليه وآله وهي ثلثة كونه امينا على التنزيل من التحريف والتبديل والعقد
وشهادة ختامه للرسل قوله تعالى وخاتم النبيين وكونه بشيرا برحمته بالثواب الجزيل ونذيرا بنقمته بالعذاب
الوبيل قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم اردفه ببيان احكام الاول بيان احكام
الامام الذي هو احق الناس بامر الخلافة وحصر الاحق به في اثنين احدهما اقوى الناس عليه وهو الاكمل
قدرة على السياسة والاكمل علما بمواضعها وكيفياتها وكيفية تدبير المدن والحروب وذلك يستلزم
كونه اشجع الناس والثاني اعلمهم بامر الله فيه ومفهوم الاعلم بامر الله يستلزم الاعلم باصول الدين
وفروعه ليضع الاعمال مواضعها ويستلزم الاشد حفاظا على مراعاة حدود الله والعمل بها وذلك يستلزم
كونه ازهد الناس واعبدهم واعفهم واعدلهم ولما كانت هذه الفضائل مجتمعة له عليه السلام كان ذلك اشارة الى
نفسه ورمزا الى عرض اعلمهم الثاني بيان حكم المشاغب للامام بعد انعقاد بيعته وهو انه
يستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق والطاعة بين القول فان ابى
قوتل وذلك الحكم مقتضى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية الثالث
بيان كيفية انعقاد الامامة بالاجماع فنبه بقوله ولعمري الى قوله ما الى ذلك سبيل على ان الاجماع المعتبر
فيه دخول جميع الناس حتى العوام اذ لو كان ذلك شرطا لادى الى انه لا ينعقد اجماع قط فلم تصح امامة احد
ابدا لتعذر اجتماع المسلمين باسرهم من اطراف الارض بل المعتبر في الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد من
امة محمد فليس لاحد منهم بعد انعقاده ان يرجع ولا لمن غاب من العوام ومن غاب عنها ان يختار غيره

ع واعلمهم

ع العلم

[illegible]

منا جمع سولا عليه فان قلت انه عليه السلام انما احتج على القوم بالاجماع على بيعته ولو كان له متمسك
آخر من نص او غيره لكان احتجاجه بالنص اولى فلم يعدل الى دعوى الاجماع قلت احتجاجه بالاجماع لا
يعرض لنفي النص ولا لاثباته بل يجوز ان يكون النص موجودا وانما احتج عليهم بالاجماع لاتفاقهم على العمل
به فيمن سبق من الائمة ولانه يحتمل ان يكون سكوته عنه لعلمه بانه لا يلتفت الى ذكره على تقدير وجوده ولانه لم
يلتفت اليه في مبدا الامر حين موت الرسول فالاولى ان لا يلتفت اليه الآن وقد طالت المدة وبعد العهد
فلم يكن في ذكره فايدة الرابع بيان سبب قتاله ومنوا احد رجلين الاول رجل خرج على الامام العادل بعد
تمام بيعته وادعى ان الامامة حق له وقد ثبت بالاجماع على غيره انها ليست له والثاني رجل خرج عن الامام
ولم يمتثل لشيء من الاحكام والاول اشارة الى اصحاب الجمل والثاني الى معوية واصحابه ثم عقب
بالوصية بتقوى الله فانها خير زاد عند الله يستعقبه الانسان من جميع حركاته وسكناته ولما كان كذلك كان خير
ما تواصى به عباد الله **وقوله** وقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة الى قوله عبرا اعلام
اصحابه بحكم البغاة من اهل القبلة على سبيل الاجمال واحال التفصيل على اوامر حال الحرب وقد كان
الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال اهل القبلة والكيفية الشرعية فيهم الى ان علموا ذلك منه عليه
السلام ونقل عن الشافعي رحمه الله انه قال لولا علي ما عرف شيء من احكام اهل البغي **وقوله** ولا يحمل
هذا العلم الا اهل البصر اي اهل البصائر والعقول الراجحة والصبر اي على المكاره وعن التسرع
الى الوثوب والعلم بمواضع الحق وذلك ان المسلمين عظم عندهم حرب اهل القبلة واكبروه والمقدمون
منهم على ذلك انما اقدموا على خوف وحذر فقال عليه السلام ان هذا العلم لا يدركه كل احد بل من ذكره وروي
العلم بفتح اللام وذلك ظاهر فان حامل العلم عليه مدار الحرب وقلوب العسكر منوطة به فيجب ان
يكون بالشرايط المذكورة ليضع الاشياء مواضعها ثم امرهم بمواجهة كلية عند عزمه على المسير للحرب
ومنعهم ان يمضوا فيما يامرون به ويقفوا عند ما ينهون عنه ولا يعجلوا في امر الى غاية ان يتبينوا اي لا يتسرعوا
الى انكار امر فعله او امرهم به حتى يسالوا عن فايدته وثمرته فان له عند كل امر ينكرونه تغييرا اي قوة
على التغيير ان لم يكن في ذلك الامر مصلحة في نفس الامر وفايدة امرهم بالتبيين عند استنكارهم امرا يحتمل
ان لا يكون ما استنكروه منكرا في نفس الامر فيحكمون بكونه منكرا لعدم علمهم بوجهه ويتسرعون الى انكاره
باليد او اللسان فيقعون في الخطا قال بعض الشارحين وفي قوله فان لنا عند كل امر تنكرونه تغييرا
ايماء الى انه ليس كعثمان في صبره على ارتكاب ما يكره بل يغير كل ما ينكره المسلمون ويقتضي
العرف والشرع تغييره ثم اخذ في التنفير عن الدنيا بامور الاول التنفير عن تمنيها والرغبة فيها
وعن الغضب لفوتها والرضى بحصولها بكونها ليست الدار والمنزل الذي خلقوا له ودعوا اليه واستلزم
ذلك التنفير التنبيه على ما وراءها والعمل له الثاني تنفيرهم عنها بغيبتها عنهم وفنائهم عنها الثالث
بانه لا بقاء فيها وان كانت تغر وتخدع بما فيها مما يعتقد خيرا وجمالا فان فيها ما يقابل ذلك وهو التحذير منها
وبما فيها من الآفات والتغيرات المحذورة شرا فينبغي ان يتركوا خيرها القليل لشرها الكثير واطماعها

التمويهية ويسابقوا الى الخير الخالص في الدار التي دعوا اليها وخلقوا لاجلها ويشعروا لقلوبهم عنها اي بزهد
الزهد الحقيقي فان الزهد الظاهري مع الحنين الى ما زوي منها من اجلكم غير منتفع به وخص حنين الامة
بالبكاء المحجنة والحنين كالبكاء في الانف واشار بالزهد الحقيقي الى الصبر على طاعة الله وعبادته والمحافظة
على اوامره كتابه ونواهيه اذ بالزهد يكون حذف الموانع الداخلة والخارجة وبالطاعة والعبادة يكون تطويع النفس
الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وهما جزءا الرياضة والسلوك لسبيل الله ورغب في الصبر على طاعة الله بان
فيه استتماما لنعمة الله وظاهر ان طاعته سبب عظيم لافاضة نعمة الدنيوية والاخروية ثم اكد الامر بالمحافظة
على ما قام من الدين بانه لا يضر في ترك شيء من الدنيا وتضييعها مع المحافظة على الدين لما في المحافظة على الدين
من الخير القائم التام الاخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا اليه وبانه لا ينفعه في المحافظة على ما فيها اي في
الدنيا مع تضييع الدين واهماله وذلك امر مفروغ منه مستغنى عن بيانه ثم ختم بالدعاء لهم وله
بان ياخذ الله بقلوبهم الى الحق اي الهامهم لطلبه وهدايتهم اليه وجذبهم الى سلوك سبيله ثم الهامهم الصبر اي
على طاعته وعن معصيته وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله**
قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما وعدني ربي من النصر والله ما استعجل متجردا للطلب
بدم عثمان الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان يغالط بما
اجلب فيه ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان
ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي
له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله
ويركد جانبا ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره
اقول هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهما له بالحرب ونهنهه
عنه كفه وزجره والمعذرين بالتخفيف المعتذرين عنه وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر وركد سكن
وقوله قد كنت الى قوله النصر جواب لتهديدهم وقد مرت هذه الالفاظ بعينها مشروحة الا ان هناك
واني على يقين من ربي وغير شبهة من ديني وانا على ما وعدني ربي من النصر وذلك الذي هو عليه هو اليقين بالنصر
على لسان الرسول صلى الله عليه وآله والواو في قوله وما اهدد للحال وكان تامة **وقوله** والله ما استعجل الى قوله
ويقع الشك اشارة الى شبهتهم في الخروج الى البصرة وهي الطلب بدم عثمان الى معارضة هذه الشبهة وهي
الاخرى وجه ليس الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنة ذلك وقد سبقت منا الاشارة الى دخول طلحة
في تحريض الناس على قتل عثمان وجمعهم في داره وروي انه منع الناس من دفنه ثلاثة ايام وان حكيم بن
حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي في دفنه فاقعد طلحة في الطريق اناسا يرمونهم بالحجارة فخرج به
نفر من اهله يريدون به حائطا في المدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صار
هناك رجم سريره فهموا بطرحه فارسل اليهم علي عليه السلام يكلمهم عنه حتى دفن بحش كوكب وروي انه جادل
بالدفن مقابر المسلمين وقالت بنو ... لا يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود وبالجملة فهو كما قال عليه السلام لم يكن في

في جميع اوقاتهم وان شغلهم في هذه الحياة وزينتها هو غايتهم التي خلقوا لاجلها وتمام الوجه يشبه غفلة النعم في حال حصرها وعلفها في بعض الاوقات عما يعده من الاوقات وتوهمها ان ذلك غايتها التي خلقت لاجلها ووجه هذا الشبه من كلت من هذه الوجوه ثم اقسم انه لو شاء لاخبر كل رجل منهم بمواضع تصرفاته وحركاته وجميع احواله وهو كقول المسيح عليه السلام وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم وقد علمت امكان ذلك العلم وسببه في حق الانبياء والاولياء في مقدمة الكتاب **وقوله** ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله اي اخاف ان تغلوا في امري وتفضلوني على رسول الله بل كان يخاف ان يكفروا فيه بالله كما ادعت النصارى في المسيح حيث اخبرهم بالامور الغائبة ثم قال الا اني مفضيه الى الخاصة اي اهل واثبات من اصحابه ممن يؤمن ذلك الغلو منه وهكذا شان العلماء واساطين الحكمة وذلك انهم لا يضعون العلم الا في اهله هذا مع ان من الناس من ادعى فيه النبوة وانه شريك محمد في الرسالة ومنهم من ادعى انه اله وهو الذي ارسل محمدا الى عبد ذلك من الضلال وفيه يقول بعض شعرائهم من

ومن اهلك عادا وثمودا بدواهيه ٥ وكلم موسى فوق طور اذ يناديه ٥ ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه ٥ سلوني ايها الناس فحاروا في معانيه ٥ وقوله الا انا خالق الخلائق من زعزع اذ كان خير جدنا ٥ قد رضينا به اماما ومولى وسجدنا له الهنا وربنا

ثم اقسم انه ما نطق الا صادقا فيما يخبر به من الامور واخبر ان الرسول صلى الله عليه عهد اليه بذلك وبمهلك من يهلك الى قوله وافضى به الي اي القاه الي واعلمني به وذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزوي اعني ان يخبره بواقعة واقعة ومنه ما يكون على وجه كلي اي يلقي اليه اصولا كلية يتفرع عنه بها لاستفاضة الصور الجزوية من واهب الصور كما سبق تقريره ومما نقل عنه من ذلك في بعض خطبه التي يشير بها الى الملاحم يومي بها الى القرامطة ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثنا وصح ما اخبر عنه ان القرامطة قتلت من آل ابي طالب خلقا كثيرا واسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصبهاني قال بعض الشارحين ومن هذه الخطبة وهو يشير الى السارية التي كان يستند اليها في مسجد الكوفة كاني بالحجر الاسود منصوبا هاهنا ويحهم ان فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه واسه يمكث هاهنا مدة ثم هاهنا مدة واشار الى مواضع ثم يعود الى مأواه وام مثواه ووقع امر القرامطة في الحجر الاسود بموجب ما اخبر به عليه السلام **واقول** في هذا النقل نظر لان المشهور ان القرامطة نقلوا الحجر الاسود الى ارض البحرين وبنوا له موضعا ووضعوه فيه يمني الى الآن بالكعبة وبقي هناك مدة ثم اعيد الى مكة وروي انه مات تحته في المجيء حين وعشرون بعيرا وعاد به الى مكة بعير ليس بالقوي وذلك من اسرار دين الله تعالى ولم ينقل انهم نقلوه مرتين والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلام**

انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله فان الله تعالى قد اعذر اليكم بالجلية واخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه فان

القوم احرص منه على قتله لكنه اراد ان يغالط بما اجلب في الطلب بدمه ليلتبس الامر ويقع الشك في دخوله في قتله **وقوله** والله ما صنع في امر عثمان الى آخره صورة احتجاج عليه وقطع لعذره في الخروج والطلب بدمه بقياس شرطي منفصل وتقريره ان حاله في امر عثمن وخروجه في طلب دمه لا يخلو من امور ثلاثة فانه اما ان يعلم انه كان ظالما او يعلم انه كان مظلوما او يشك في الامرين ويتوقف فيهما فان كان الاول فقد كان الواجب عليه ان يعاضد قاتليه وينابذ ناصريه لوجوب انكار المنكر عليه وهو قد عكس الحال لانه نابذ قاتليه وبادر في طلب دمه مع نصرته ممن تولم فيه ذلك وان كان الثاني فقد كان يجب عليه ان يكون ممن يكف الناس عنه ويتعذر عنه فيما فعل لوجوب انكار المنكر ايضا مع انه ممن وازر عليه الناس واظهر اضلاله وعظمها كما هو المنقول المشهور عنه وان كان الثالث فقد كان الواجب عليه ان يعتزله ويسكن عن الخوض في امره ولم يفعل ذلك بل بادر في طلب دمه فكان في هذه الاحوال الثلاثة محجوجا في كل وجه ومكثه لبيعته كان ما جاء به من ذلك امر لا يعرف بابه اي وجه دخوله فيه ولم يسلم فيه عذر وبابه التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون والماخوذ منهم مالي اراكم عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبي ومشرب دوي انما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها امرها والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله صلى الله عليه وآله الا واني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق الا صادقا ولقد عهد الي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو وماآل هذا الامر وما ابقى شيئا يمر على راسي الا افرغه في اذني وافضى به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها **اقول** السائم الراعي والوبي محل الوباء والدوي محل الداء والمدى جمع مدية وهي السكين والخطاب عام وكونهم غافلين اي عما يراد بهم من امر الآخرة وغير مغفول عنهم اي ان اعمالهم محصلة في اللوح المحفوظ وتاركين اي لما امروا به من الطاعة وماخوذا منهم اي منتقص من اعمارهم وقيم الدنيوية من مال واهل ثم بين لهم على وجه عجبهم عن الله ومنه التفاتهم عن طاعته ورغبتهم في غيره وهو الحياة الدنيا وزينتها ثم شبههم في ذلك بالنعم التي اراح بها راعيها الى مرعى كثير الوباء والداء ووجه الشبه انهم لغفلتهم كالنعم ونفوسهم الامارة بالسوء القايدة لهم الى المعاصي كالراعي القايد للنعم الى المرعى الوبي ولذات الدنيا ومشتهياتها وكون تلك اللذات والمشتهيات محل الاثام التي هي مظنة الهلاك الاخروي والداء الدوي يشبه المرعى الوبي والمشرب الدوي **وقوله** انما هي كالمعلوفة تشبيه آخر لهم بمعلوفة النعم ووجه الشبه انهم لعنايتهم بلذات الدنيا من المطاعم والمشارب كالنعم المعنى بعلفها وكون ذلك اللذات غايته الموت تشبيه غاية المعلوفة وهي الذبح وكونهم غافلين عن غاية الموت وما يراد بهم يشبه غفلة النعم عن غاياتها الذبح وكونهم يظنون ان الاحسان اليهم ببسط اللذات الدنيوية في بعض الاوقات يدوم

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات واعلموا
انه ما من طاعة الله شي الا يأتي في كره وما من معصية الله شي الا يأتي في شهوة فرحم الله رجلا نزع عن شهوته
وقمع هوى نفسه فان هذه النفس ابعد شي منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية في هوى واعلموا
عباد الله ان المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها
فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي
المنازل واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب
وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة في هدى ونقصان من عمى واعلموا انه
ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لاحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا
به على لأوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسألوا الله وتوجهوا
اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله بمثله واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق
وانه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادي مناد
يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه
واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه اراءكم واستغشوا فيه اهواءكم العمل العمل ثم
النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع الورع ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم
وان لكم علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا الى الله بما افترض
عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم الا وان القدر السابق
قد وقع والقضاء الماضي قد تورد واني متكلم بعدة الله وحجته قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد قلتم ربنا الله
فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا
فيها ولا تخالفوا عنها فان اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة ثم اياكم وتهزيع الاخلاق
وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليخزن الرجل لسانه فان هذا اللسان جموح بصاحبه والله
ما ارى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه فان لسان المؤمن من وراء قلبه وان قلب المنافق
من وراء لسانه لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام تدبره في نفسه فان كان خيرا ابداه وان كان شرا
واراه وان المنافق يتكلم بما اتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع
منكم ان يلقى الله سبحانه وهو نقي الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم فليفعل
واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما
احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله فقد
جربتم الامور وضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت الامثال لكم ودعيتم الى الامر الواضح

فلا يصم عن ذلك الا اصم ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشي من العظة
واتاه التقصير من امامه حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما الناس رجلان متبع شرعة
ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة فان الله سبحانه لم يعظ احدا
بمثل هذا القرآن فانه حبل الله المتين وسببه الامين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب
جلاء غيره مع انه قد ذهب المتذكرون وبقي الناسون او المتناسون فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه
واذا رأيتم شرا فاذهبوا عنه فان رسول الله صلى الله عليه كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر
فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم
الذي لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به واما الظلم الذي يغفر فظلم
العبد نفسه عند بعض الهنات واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك
شديد ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه فاياكم والتلون
في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه
لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
طوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل
والناس منه في راحة **اقول** الظنون المتهمة والزاري العايب وتقويض البناء نقضه واللأواء
الشدة وتمحل به الى السلطان كاده وقال فيه ما يضره وتورد الخيل البلد دخلها قطعة
قطعة وتهزيع الاخلاق تكسيرها وتفريقها وضرست الامر احكمته تجربة وقد امر السامعين ان
ينتفعوا ببيان الله في كتابه وعلى لسان رسوله ويتعظوا بمواعظه ويقبلوا نصيحته فيما لاجله خلقوا
وانما عدا اسم الله صريحا دون الضمير للتعظيم ثم اشار الى وجه وجوب الامتثال عليهم وهو اعذاره
اليهم بالجلية اي الظاهرة من المواعظ العذر بالآيات والنذر الجلية الواضحة واتخاذ المحجة يعني
السبيل وبيانه فيما امرهم به من الاعمال الصالحات ونهاهم عنه من المحرمات في كتابه العزيز لغاية
اتباع محابه واجتناب مكارهه ثم نبه على مبادي الطاعة وامتثال التكليف من النفرة والمكروه
وذكر الخبر ونعم ما تضمنه الخبر وانه لم ينبه على المشقة مجردة بل قرنها بذكر الجنة وجعلها محجوبة
بها ليحصل الرغبة في الجنة فيتم السعي في قطع تلك الحجب المكروهة ولذلك قرن ذكر الشهوات بذكر
كونها محفوفة بها النار تنفيرا عنها ثم بعد تسهيل المكاره التي تشتمل عليها الطاعات بذكر
الجنة وتحقير الشهوات التي يريد الجذب عنها بذكر النار صرح بانه لا ياتي طاعة الا في كره
ولا معصية الا في شهوة وقد عرفت سر ذلك وان النفس للقوة الشهوية اطوع منها للعقل خصوصا
فيما هو اقرب اليها من اللذات الحسية التي يلحقها العقاب عليها ثم عقب ذلك بدعاء الله ان يرحم
امرأ نزع عن شهوته اي امتنع من الاسترسال فيها وقمع نفسه الامارة بالسوء فانها ابعد شي منزعا عن الله ثم فسر
منزعها انها تنزع اليه وهي المعصية في هواها وما تميل اليه ثم نبه على حال المؤمن الحق وتهمته نفسه

في جميع اوقاتهم من صباح ومساء وانه لا يزال غايبا عليها ومراقبا لاحوالها ومواخذا لها بالزيادة في الاعمال
الصالحة وقد سبقت الاشارة الى ذلك ثم امرهم ان يكونوا كالسابقين من اكابر الصحابة والماضين ايامهم
الى الجنة في الاعراض عن الدنيا واستعار لفظ التقويض والطي لقطعهم علايق الدنيا ورحيلهم الى الاخرة
كما يقوض الراحل متاعه للسفر ويطوي حياته للرحيل ثم عقب بذكر القران ومادحه ترغيبا
في الاقتداء به واستعار وصف الناصح له ووجه الاستعارة ان القران يرشد الى وجوه المصالح
كما ان الناصح كذلك ورجح بكونه لا يغش من معه وكذلك كونه هاديا لا يضل اي الى طريق الله وردي لا يضل
اي لا يضل عنه وكذلك استعار لفظ المحدث له ورجح بكونه لا يكذب ووجه الاستعارة اشتماله على
الاخبار والقصص الصحيح وتفهمه واستفادة ذلك منه كالمحدث الصادق وكنى بمجالسة القران
عن مجالسته جملة وقرائه لاستماعه منهم وتدبره عنهم فان فيه من الايات الباهرة والنواهي الناهية
ما يزيد بصيرة المستبصر من الهدى وينقص من عمى الجهل ثم نبههم على انه ليس بعده على احد فقر
اي ليس بعد نزوله للناس وبيانه الواضح حاجة بالناس الى بيان حكم في اصلاح معاشهم ومعادهم ولا
لاحد قبله من غنى اي قبل نزوله ولا غنى عنه للنفوس الجاهلة واذ كان بهذه الصفة امرهم باخذ الشفاء
منه لادوائهم اي ادواء الجهل وان يستعينوا به على شدائدهم وقصدهم الى ان يستشفوا منه وجوه
المصالح الدنيوية والاخروية ثم عدد اكبر ادواء الجهل واعاد ذكر كونه شفاء منها اولها الكفر بالله وهو
عمى القوة النظرية من قوى النفس عن معرفة صانعها ومبدعها الى غاية انكاره او الحاد ما لا له او الحكم
عليه بصفات المخلوقين المحدثين والثاني النفاق وهو مستلزم لرذيلة الكذب المقابلة لفضيلة
الصدق ثم لرذيلة الغدر المقابلة لفضيلة الوفاء وقد سبق بيان حال النفس في هاتين الرذيلتين و
الثالث الغي وهو رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة والرابع الضلال وهو الانحراف عن فضيلة
العدل وانما كونه شفاء لهما لما ورد بقوله عليه السلام ان القلوب تصدا كما يصدا الحديد قيل يا رسول الله وما
جلاؤها قال قراءة القران وقد علم اشتماله على ذكر الموت في مواضع كثيرة ثم امرهم ان يسالوا الله به والمراد
انكم اعدوا انفسكم وحلوها لاستنزال المطالب من الله بما اشتمل عليه القران من الكمالات النفسانية
وتوجهوا اليه بحبه لان من احبه استكمل بانيه فتستحق توجهه الى الله قوله ولا تسالوا به خلقه اي
لا تجعلوا تعلمكم له لطلب الرزق به من خلق مثلكم فانه لم ينزل لذلك قوله فانه ما توجه العباد
الى الله بمثله وذلك لاشتماله على جميع الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق والنهي عن جميع
الرذايل الموبقة ثم استعار لفظي الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كونه بتدبره والعمل بما فيه ماحيا لما
يعرض للنفس من الهيات الرديئة من المعاصي وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع اثر
الذنب عن قلب المشفوع اليه وذلك سر الخبر المرفوع ما من شفيع من ملك ولا نبي ولا غيرهما افضل من
القران ولذلك لفظ القايل المصدق ووجه الاستعارة كونه ذا الفاظ اذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقايل
الصادق ثم اعاد معنى كونه شافعا مشفعا يوم القيامة ثم استعار لفظ المحل للقران ووجه الاستعارة

ان

ان لسان حال القران شاهد في علم الله وحضرة ربوبيته على ان من اعرض عنه بعدم اتباعه ومخالفته لما
اشتمل عليه وتلك شهادة لا يجوز عليها الكذب فالواجب ان تصدق فاشبه الساعي الى السلطان في حق غيره
بالنقص قوله فانه ينادي مناد يوم القيامة الى اخره فالمنادي هو لسان حال الاعمال والحرث كل
عمل تطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة والابتلاء ههنا ما يلحق النفس على الاعمال وعواقبها من
العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة الله وظاهر ان حرث القران والبحث عن مقاصده لغاية الا
شكال به بري من لواحق العقوبات ثم حثهم على ان يكونوا من حرثته واتباعه وان يستدلوه اي يتخذوه
دليلا على الى ربهم وان يستنصحوه على انفسهم اي يتخذوه ناصحا على نفوسهم الامارة بالسوء لكونها هي
الغاشة لهم بقودها الى معصية الله وكون القران ناصحا لهم مما يامرهم به تلك النفوس فيجب ان
تقبل نصيحته عليها وكذلك اتهموا عليه اراءكم اي اذا رايتم ما يخالف القران فاتهموا ذلك الراي
فانه صادر عن النفس الامارة بالسوء وكذلك قوله واستغشوا فيه اهواءكم وانما قال هنا استغشوا وقال
في الاراء اتهموا لان الهوى هو ميل النفس الى شيء من غير مراجعة العقل فاذا حكمت النفس عن
تابعها بحكم فهو غش صراح واما الراي فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون بدونه فجاز ان يكون
حقا وجاز ان يكون باطلا فكان بالتهمة اولى ثم امر بلزوم العمل الصالح ثم بحفظ النهاية المطلوبة منهم با
لعمل والوصول الى النهاية اي راعوا فيكم ونهاية اعمالكم وغايتها فان المراد بحفظها ثم امر بالاستقامة
على العمل ثم بالصبر عليه وحقيقته مقاومة الهوى لئلا ينقاد الى قبايح اللذات فيخرج عن الصراط ثم
بالورع وهو لزوم الاعمال الجميلة وانما عطف النهاية والصبر بثم لتاخر نهاية العمل عنه وكون الصبر انما
عرفت فهو في معنى التراخي المنفك عن العمل الذي هو في معنى وجودي بخلاف الاستقامة على العمل
فانها كيفية له والورع فانه جزء منه وكرر تلك الالفاظ للتاكيد والنصب في جميعها على الاغراء ثم
اشار الى ان تلك النهاية هي النهاية التي لهم وامرهم بالانتهاء اليها وهي الاصل الذي خلقوا لاجله اعني الوصول
الى الله طاهرين عن رجس الشيطان وهو لفظ الخبر النبوي ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى
معالمكم وان لكم غاية فانتهوا الى غايتكم فان المراد بالغاية والنهاية واحد والمراد بالمعالم حضاير
القدس ومنازل الملائكة وكذلك ان لكم علما فاهتدوا بعلمكم اي الى تلك النهاية واستعار لفظ العلم
لنفسه ثم اخبر ان للاسلام غاية وامرهم بالانتهاء اليها وتلك الغاية هي النهاية المشار اليها قوله واخرجوا
الى الله الى قوله وظايفه فالتقدير اخرجوا من حقه فيما افترض عليكم وحقه في فرايضه ووظايفه
الاخلاص بها لوجهه ثم رغبهم في طاعته واتباع اوامره بكونه شاهدا لهم يوم القيامة ومعنى قال
بعض الشارحين وانما ذكر الاحتجاج وان كان ذلك الموقف ليس موقف محاجة لانه اذا شهد لهم
مكانه اثبت الحجة لهم فاشبه المحاج واقول لما كان امام كل قوم هو الحاجب عنهم والشهيد لهم
كما قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله يوم نبعث من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم
وكان ذلك الموقف هو موقف السؤال والجواب كان ذلك في معنى المحاجة والمجادلة فالخلوص بحث

الا يتولى جوابها يشبه غلب المسؤول بالحجة وتنو البرهان المطلوب وجرت العادة بان البرهان يكون
عند الحاجة وكذلك الانقطاع عن الجواب يشبه كون المسؤول محجوجا وهذا الاحتجاج والشهادة مقالة
عند القايلين بحسن الاحساد وخاليه عند غيرهم ثم اخبر ان القدر السابق في علم الله قد وقع والقضا الما
ضي اي النافذ قد تورد اي دخل في الوجود شيا فشيا وقد علمت فيما سلف ان القضا هو العلم الالهي
بما يكون وبما هو كاين وان القدر تفصيل الواقع على وقته لكنه اشار بوقوع القدر هنا الى واقع خاص
وهو ضلالة وما يلزمها من الفتن والوقايع وروي ان هذه الخطبة من اوايل الخطب التي خطب بها
ايام بويع بعد قتل عثمان قال بعض الشارحين وفي هذا الكلام اشارة الى ان الرسول صلى
الله عليه اخبره ان الامر سيفضي اليه في اخر وقته واقول لا شك ان وقوع هذا الامر من القدر
السابق على وفق القضا وليس للفظ استعاد بما قاله هذا الفاضل اذ كان عليه السلم عالما بان كل واقع
في الوجود فبقضا من الله وقدر **قوله** واني متكلم بعدة الله وحجته اي لما وقع هذا الامر الى
واني اتكلم بكذا وعدة الله ما وعده عباده الذين اعترفوا بربوبيته واستقاموا على سلوك سبيله
بطاعته من تنزل الملايكة عليهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنة واما حجته التي تكلم بها
فقوله وقد قلتم ربنا الله اي اعترفتم بالربوبية فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة
الصالحة من عبادته اي التي هي عن علم والخالصة من الرياء والنفاق من غير ان تمرقوا منها اي تخرجوا
منها بالتجديف والشرود الى طرفي الافراط الذي هو ثمرة الجهل ولا تحدثوا فيها بدعة ولا تخالفوا عنها
وتحيدوا يمينا وشمالا فتقعوا في مهاوي الهلاك فانكم متى فعلتم ذلك فقد تم شرط استحقاقكم لانجاز
عدته المذكورة فان ذلك الشرط مركب من الاعتراف بربوبيته والاستقامة على الامور المذكورة فحينئذ
يجب ان ينقض تلك العدة ومع فوات جزء من ذلك الشرط لا يقع المشروط فلم يتحقق الموعود
به وذلك معنى كون اهل المروق منقطعا بهم اي لا يجدون بلاغا يوصلهم الى المقصد لان ذلك الشرط
هو البلاغ الى المقصد الحقيقي ثم شرع في النهي عن النفاق لان تهذيب الاخلاق تغييرها ونقلها
من حال الى حال وهو معنى تصريفها وذلك هو النفاق اذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تارة
يكون صادقا وتارة كاذبا وتارة وفيا واخرى غادرا ومع الظالمين ظالم ومع اهل العدل عادل
ولذلك قال واجعلوا اللسان واحدا وهو شروع في الوصية بحال اللسان وعدله اي لا يكون احدكم
ذا لسانين وهو المنافق ثم امر بخزنه واستلزم النهي عن امور وهي الفضل من القول ووضعه
في غير مواضعه والغيبة والنميمة والسعاية والمسابة والقذف ونحوه وكلها رذايل في طرف الافراط
من فضيلة العدل **قوله** فان اللسان جموح بصاحبه تعليل لذلك النهي واشارة الى
خروجه بصاحبه عن فضيلة العدل الى الرذايل التي هي موارد الهلكة في الاخرة والدنيا كما ان الفرس
الجموح يخرج بصاحبه الى الهلاك ولفظ الجموح مستعار له بهذا الاعتبار ثم اقسم انه لا يتقي
بنفعه تقواه الا يخزن لسانه وهو حق لان التقوى النافع هو التقوى التام وخزن اللسان

وكفه

وكفه عن الرذايل المذكورة جزء عظيم من التقوى لا يتم بدونه فحتى اذن لا تنفع الا بهم ثم نبه على ما ينبغي عند اراده
القول من التثبت وتامل ما يراد النطق به وعلى ما لا ينبغي من القول بغير رؤية الفكر وقرن الاول
بالايمان ترغيبا فيه والثاني بالنفاق تنفيرا عنه **قوله** لان المؤمن الى قوله وما عليه بيان لمعنى كون
اللسان وراء اما مأمور به والمخفض هذا البيان ان الوراء في الموضعين كناية عن التبعية لان لسان المؤمن تابع
لقلبه فلا ينطق الا بعد تقديم الفكر فيما ينبغي ان يقوله وقلب المنافق وفكره متاخر عن نطقه فكان
لفظ الوراء استعارة من المعنى المحسوس للمعقول فاما الخبر النبوي المذكور فهو استشهاد على ان الايمان لا يتم
الا باستقامة اللسان على الحق وخزنه عن الرذايل التي عددناها وذلك عين ما ادعاه في قوله ان التقوى لا
تنفع العبد حتى يخزن لسانه فاما برهان الخبر فهو ان استقامة القلب عبارة عن التصديق بالله
ورسوله واعتقاد حقيقة ما وردت به الشريعة من المامورات والمنهيات وذلك عين الايمان وحقيقته
فاذن لا يستقيم الايمان حتى يستقيم القلب واما انه لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان فلان استقا
اللسان على الاقرار بالشهادتين ولوازمهما على الامساك عما لا ينبغي من الامور المعدودة من لوازم استقامة
القلب لحكمنا على الملزوم بنفي الاستقامة عند عدم لازمها وذلك الامور والقايل بها بعد الايمان الكامل **قوله** ولم يستقم ايمان المؤمن دون لازمه
من استطاع الى قوله فليفعل امر بالاجتهاد في لقاء الله تعالى على احوال وهي نقاء الراحة من دماء المسلمين
واراد السلامة من قتل النفس واموالهم واراد السلامة من الظلم وان يكون الانسان سليم اللسان من اعراضهم
واراد الكف عن الغيبة والسب وشرط ذلك بالاستطاعة لعسره وشدته وان فانه واجب التزل على
كل حال واشدها الكف عن الغيبة فانه يكاد ان لا يستطاع والى نحو هذا اشار الرسول صلى الله عليه
وسلم المسلم من سلم الناس من يده ولسانه فسلامتهم من يده سلامة دمائهم واموالهم وسلامتهم من لسانه سلامة
اعراضهم او اعم من ذلك وقال بعض الحكماء من علم ان لسانه جارحة من جوارحه اقل من اعمالها
واستقبح ادامة تحريكها كما يستقبح ان يحرك راسه او منكبه دايما **قوله** واعلموا الى قوله وحرم
عليكم قال بعض الشارحين هو اشارة الى ان ما ثبت من طريق النص او العادة التي شهد بها النص
في زمان الرسول صلى الله عليه لا يجوز ان ينقض بالاجتهاد والقياس بل كل ما ورد به النص فيتبع فيه مورد
النص ما كان حلالا بمقتضى النص وعمومه في العام الماضي فهو في هذا العام حلال وكذا في الحرام فان
عموم هذا الكلام يقتضي عدم جواز نسخ النص وتخصيصه بالقياس وهو مذهب الامامية لاعتقادهم بطلان
القول بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الاصوليين مع اعتراف بعضهم بصحة القياس ومن يجوز تخصيصه
به يحمل هذا الكلام على عدم قبول القياس في نسخ النص من كتاب او سنة وما احدثه الناس من اشارة الى القياس
قوله ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله تاكيد لاتباع النص وما كان عليه الصحابة من الدين
مما هو معلوم بينهم دون ما احدث من الاراء والمذاهب **قوله** فقد جربتم الامور وضرستموها الى قوله
الامر الواضح اشارة الى وجوه العلم والتجارب ووجه الحاجة به ما قبله انهم اذا كانوا قد احكموا الامور تجربة ووعظوا بمن كان قبلهم وضربت لهم الامثال ودعوا الى الامر الواضح وعرفوا الدين وطرايقه فلا بد ان تكون نفوسهم

قد استعدت بذلك العلم الاحكام الشرعية ومقاصدها كاهن الكتاب والسنة وعادات الرسول والصحابة فلا
تخفى عليهم ما ابتدع بعدها وان دلّ بدعة حرام فضلاً ان نوقع حكم نص او شبه سبق العلم بها ولا نعم عن هذه
هذه المواعظ والامثال والدعوة الى الدين جهلاً وكذلك لا يغني عنه اي لا يغني عنه تصيير الابصيرة اشتد
عماها **وقوله** ومن لم ينفعه اي قوله من اماته كلام حق وذلك ان الانسان في مبدا الفطرة خال عن العلوم
وانما خلقت له هذه الالات البدنية ليتصفح بها صور الجسمانيات ومعانيها ويتنبه لمشاركات بينها
ومباينات فيحصل له التجربة وسائر العلوم الضرورية والمكتسبة فمن لم ينتفع بالبلاء اي بامتحان الآخرة
وتجاربها ومواشارة الى اعتبار الامور والتفكر فيها والابتلاء بها كالوقوع في المكاره ومعاناة الاعمال
ولم يستفد بها علماً فقط هو انه لا ينفعه العظة لان العظة فرع تصفح الامور واعتبار آيات الله فيها ومحال
ان يحصل فرع بدون اصله وحينئذ يأتيه النقص في كمال نفسه ووجوه مصالحه ويحتمل ان يريد بالعظة
الالفاظ بل الموعظة وظاهر ان الموعظة ايضاً لا تنفعه لان البلاء بالمكاره والوقائع النازلة اقوى وقعاً
في النفس والذ تاثيراً فاذا لم ينتفع بها ولم يستفد منها علماً فبالاولى ان لا ينتفع بالموعظة **وقوله** من اماته
لان الحالات التي يتوجه اليها توجه عقله تفوته لنقصان تجربته ووقوف عقله عنها فاشبه فوتها له مع
طلبه لها اسباب النقصان له من امامه **وقوله** حتى تعرف ما انكر وتنكر ما عرف اشارة الى غاية نقصانه
وهي الاختلاط والحكم على غير بصيرة فتارة يتخيل فيما انكره وجهله انه عارف بحقيقته وتارة ينكر ما كان
يعرفه ويحكم بعجزه لخيال يطرأ عليه ثم قسم الناس الى قسمين وقسم متبع شرعة اي طريقة ومنهاجاً وهو
منهاج الدين وقسم متبع بدعة بغير برهان سنة من الله يعتمد عليها ولا صاحب حجة تقوده في ظلمات الجهل
ليعلموا بفضل القسمين **وقوله** وان الله سبحانه لم يعظ احداً بمثل هذا القرآن رجوع الى مدح القرآن
واستعار له الفاظاً الاول لفظ الحبل ورشح بالمتين وقد عرفت وجه هذه الاستعارة مراراً الثانية
والامين سببه الامين الثالث لفظ الربيع ووجهها ان القلوب تحيى به كما تحيى الانعام بالربيع الواقعة لفظاً
ينبع ووجهها ان العلوم عند تدبره والتفهم عنه تفيض عنه وينتفع بها كما تفيض الماء عن الينابيع الخامسة
لفظ الجلاء ووجهها ان الفهم عنه يكشف عن القلب صدأ الجهل كما يجلو الصيقل المرآة فان قلت
لم قال وليس للقلب جلاء غيره مع ان سائر العلوم جلاء له فالجواب من وجهين احدهما ان
العلوم الجالية للقلب هي المعدة لسلوك سبيل الله والوصول الى الغاية من الكمال النفساني كالعلوم الالهية
وعلم الاخلاق واحوال المعاد ولا علم منها الا وفي القرآن اصله ومادته وهو مقتبس من القرآن الثاني ان هذا
الكلام صدر عنه عليه السلم ولم يكن في ذلك الزمان علم مدون ولا استفادة الا من القرآن فلم يكن اذ ذاك
جلاء للقلب غيره **وقوله** مع انه قد ذهب المتذكرون اي المتدبرون لمقاصد القرآن وبقي النا
سون او المتناسون المعتمدون للتشاغل والنسيان الجواذب الى الله وهو في معنى التوبيخ لهم ثم امرهم
باعانة من يعمل الخير على فعله ووجوه الاعانة كثيرة ثم بالاعراض عن الشر وارتكابه عند رؤيته واستشهد
على وجوب امتثال امره بالخبر النبوي وقد نسبه للخير على وجوب عمل الخير والانتهاء عن الشر باستلزام

ذلك يكون فاعله جواداً قاصداً واستعار وصفي الجواد والقاصد ووجه المشابهة ان العامل للخير المنتهي عن
الشر مستقيم على طريق الله فلا تعوج في طريقه ولا اعوجاج فيكون سيره في سلوك سبيل الله اسرع سير
كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق ثم قسم عليه السلم الظلم الى ثلاثة اقسام الاول الظلم الذي لا يغفر اصلاً
وهو ظلم النفس بالشرك بالله وذكر انه النص والمعقول اما النص فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به واما المعقول فلان المغفرة عبارة اما عن محو آثار الجرايم من الواح النفوس او عما يستلزم ذلك من ستره
الله على النفوس ان يحترق بنار جهنم والهيئات البدنية التي حجبت نفوس المشركين عن معرفة الله هيئات
متمكنة من تلك النفوس وقد صارت ملكات لا يمكن زوالها مع عدم تمكنهم بالمعارف الالهية فهم في العذاب
ما كانوا في سلاسل تلك الهيئات واغلالها مكبلون فاذن لا تتحقق المغفرة في حقهم لعدم مخلصهم منها
وما هم عنها ومن عصمة المعرفة الثاني ظلم لا يترك اي لا بد من اخذ فاعله بالعقوبة والقصاص
به وهو ظلم العباد بعضهم من بعض واليه الاشارة بقوله يوم يقتص للجماء من القرناء وهذا الظلم ان كانت
له ملكة ببعض عصم النجاة من المعارف الالهية وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن يتفاوت مكثه
بحسب تفاوت شدة تمكن تلك الهيئات الردية من نفسه وضعفها والى ذلك الاشارة في الخبر النبوي يخرجون من
النار بعد ما يصيرون حمماً وفحماً والثالث الظلم الذي يغفر ولا يطلب وهو ظلم العبد نفسه عند
ارتكابه بعض صغائر الزلات وهي التي لا تكتسب النفس هيئة ردية باقية بل حالة سريع زوالها واليه الاشارة
بقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي في حال كونهم ظالمين ثم اخذ في التحذير من الظلم بذكر
شدة القصاص في الآخرة وصدق انه ليس جرحاً بالمدية ولا ضرباً بالسوط لقصاص الدنيا ولكنه ما يستصغر ذلك
معه من العقوبات بالنار المشهورة اوصافها وروي عن الرسول صلى الله عليه انه كان جالساً في اصحابه فسمع هدة فقال
هذا حجر ارسله الله تعالى من شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين خريفاً حتى بلغ الآن قعرها فهذا بعض
اوصافها المحسوسة واعلم ان لهذا الخبر تمام تكشف سره وهو ان الراوي قال سمعنا بعد ذلك صيحة وخرجنا
فقلنا ما هذا فقالوا فلان المنافق مات وكان عمره يومئذ سبعين سنة قال بعض من تلطف ان المراد
بجهنم الشهوات واللذات الدنيوية وتابعها وبالحجر هو ذات المنافق استعارة ووجه المشابهة ان ذات المنافق
لم ينتفع بوجوده ومدة حياته ولم يكتسب بنفسه خيراً فاشبه الحجر في ذلك وارسال الله تعالى له هو اماتته غلبت
استعداده من اتباع هواه فيها والانهماك في شهواتها والتيه عن سبيله المشار اليه بقوله تعالى ليضل عن سبيله
وشفيرها هو اقلها بالنسبة اليه وذلك حين ابتداء استعداده للانهماك فيها واول الامور التي يبتدي به في طرق الضلال
من متاعها ولذاتها وهوية فيها سبعين خريفاً هو انهماكه فيها مدة عمره وبلوغه قعرها هو وصوله بموته
الى غاية العذاب بسبب ما اكتسب منها من ملكات السوء كما اومأنا اليه غير مرة ثم نهى عن التلون في دين
الله وكنى عن منافقة بعضهم لبعض فان ذلك يستلزم الفرقة ولذلك قال فان جماعة فيما تكرهون من الحق
خير من فرقة فيما تحبون من الباطل اي فان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالجذب مثلاً خير لكم من الافتراق
في الباطل المحبوب عندكم كمتاع الدنيا ثم نبه على النهي عن الفرقة وقال فان الله لم يعط احداً بالفرقة

خيرا لاهل الماضين ولاهل الباقين ولما كان الخيرية في الاجتماع والالفة والمحبة حتى يصير الناس كرجل واحد وبهم
نظام العالم بذلك كان في الفرقة اضداد ذلك ولذلك ماروي عن الرسول صلى الله عليه من فارق الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد سبق بيان فضيلة الاجتماع ثم اعاد النهي عن الغيبة للناس بذكر
معايبهم ونبه من عابه ان يستحيي من نفسه بان لكل عيب ينبغي ان يشتغل به وطوبى فعلى من
الطيب والواو منقلبة عن الياء وقيل هي اسم شجرة في الجنة وعلى التقديرين فهي مبتدا ثم نبه على فضل العزلة
ولزوم البيت للاشتغال بطاعة الله والبكاء على الخطيئة والندم عليها **وقوله** وكان من نفسه في شغل
الى آخره ذكر مدح العزلة واعلم ان الناس قد اختلفوا في ان العزلة افضل ام المخالطة ففضل جماعة من
مشاهير الصوفية والعارفين العزلة منهم ابرهيم بن ادهم وسفين الثوري وداود الطائي والفضيل بن
عياض وسليمن الخواص وبشر الحافي وفضل آخرون المخالطة ومنهم الشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن
عروة وابن شبرمة وابن عيينة وابن المبارك واحتج الاولون بالنقل والعقل اما النقل فقوله صلى الله
عليه لعامر الجهني لما سأله عن طريق النجاة فقال ليسعك بيتك امسك عليك دينك وابك على خطيئتك
وقيل له صلى الله عليه اي الناس افضل فقال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من
شره وقال صلى الله عليه ان الله يحب التقي النقي الخفي واما العقل فهو ان في العزلة فوايد مطلوبة لله لا توجد
في المخالطة فكانت اشرف منها منها التفرغ لعبادة الله والذكر له والاستيناس بمناجاته والاستكشاف
لاسراره في امور الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه يتعبد بجبل
حرا ويعتزل به حتى اتاه الوحي واحتج الآخرون بالقرآن والسنة اما القرآن فقوله تعالى والف بين
قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان العزلة تنفي تالف القلوب
وتوجب تفرقها واما السنة فقوله صلى الله عليه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
وماروي ان رجلا اتى جبلا ليتعبد فيه فجا به اهله الى رسول صلى الله عليه فنهاه عن ذلك وقال له ان صبر المسلم
في بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين سنة واقول ان كلي الا
حتجاجين صحيح لكن ليس افضلية العزلة مطلقا ولا افضلية المخالطة مطلقا بل كل في حق بعض الناس
بحسب مصلحته وفي بعض الاوقات بحسب ما يشتمل عليه من المصلحة واعلم ان من اراد ان يعرف مقاصد
الانبيا عليهم السلم في اوامرهم وتدبيراتهم فينبغي ان يعرف طرفا من قوانين الاطبا ومقاصدهم من العبارات
المطلقة لهم فانه كما ان الاطبا هم المعالجون للابدان بانواع الادوية والعلاجات لغاية بقائها على صلاحها او رجوعها
الى العافية من الامراض البدنية كذلك الانبيا عليهم السلم ومن يقوم مقامهم فانهم اطبا النفوس والمبعوثون لعلاجها
من الامراض النفسانية كالجهل وسائر رذائل الاخلاق بانواع الكلام من الآداب والمواعظ والاوامر والنواهي
والضرب والقتل وكما ان الطبيب قد يقول الدوا الفلاني نافع من المرض الفلاني ولا يعني به في كل الامزجة بل في
بعضها كذلك الانبيا والاوليا اذا اطلقوا القول في شي انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون انها نافعة لكل انسان
وكما ان الطبيب قد يصف لبعض المرضى دواء ويرى شفاه فيه ويرى ان ذلك الدواء بعينه لمريض آخر كالسم

تحد

العاقل

العاقل ونعالجه بغير كذلك الانبيا عليهم السلم قد يرون ان لبعض الامور دوا لبعض النفوس فيقتصرون عليه وقد يرون
ان لبعض الاوامر علاج لبعض النفوس كالامر بالعزلة والحث عليها لبعض الناس وقد يرون ان ذلك العلاج
بعينه مفسد لغير تلك النفس فيامرونها بضد ذلك كالامر بالمخالطة والملازمة وكثيرا ما يختارون
العزلة لمن بلغ رتبة من الكمال في قوتيه النظرية والعملية واستغنى عن مخالطة كثير من الناس لان اكثر
الكمالات الانسانية من العلوم والاخلاق انما تحصل بالمخالطة خصوصا اذا كان ذلك الانسان اعني المامور
بالعزلة خاليا عن عايلة يحتاج ان يكتسب لهم واكثر ما يختارون المخالطة والاجتماع لتحصيل الالفة والا
تحاد بالمحبة وللاتحاد غايتان كليتان احديهما حفظ اصل الدين وتقويته بالجهاد والثانية تحصيل الكمالات
التي بها نظام امر الدارين لان اكثر العلوم والاخلاق تستفاد من العشرة والمخالطة كما بيناه وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين فاجمع راي ملاكم على ان اختاروا رجلين فاخذنا
عليهما ان يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه وتكون السنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق
وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج رايهما وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق
سوء رايهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما لا يعرف من
معكوس الحكم **اقول** هذا الفصل من خطبة خطبها بعد ما بلغه امر الحكمين والاجماع تصميم العزم وتجعجعا
يحبسا نفسيهما على القرآن والخطاب للذين انكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد الرضا به وقد حكى فيه اجماع راي جماعتهم
على اختيار الرجلين وهما ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص واخذه عليهما ان يحبسا نفسيهما على العمل بالقرآن
ولا يجاوزاه وتكون السنتهما وقلوبهما معه واطلق لفظ القلوب على الميول الارادية مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما وذلك هو شرط رضاه عليه السلم بالتحكيم ثم حكى خروجهما عما اشترطه وتيههما عن
الكتاب وتركهما الحق مع ابصارهما له وخروجهما عن فضيلة العدل بحسب الهوى الى رذيلة الجور والاعو
جاج عن طريق الحق **وقوله** وقد سبق استثناؤنا اعادة لذكر سبق الشرط في الحكم بالعدل وسوء رايهما
منصوب لانه مفعول سبق **وقوله** والثقة في ايدينا لانفسنا اي انا على برهان وثقة من امرنا وليس
بلازم لنا حكمهما لانهما خالفا الشرط واتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس وقد حكينا فيما سبق طرفا من حال
التحكيم وخداع عمرو بن العاص لابي موسى الاشعري وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
لا يشغله شان عن شان ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم
السماء ولا سوافي الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء يعلم مساقط الاوراق
وخفي طرف الاحداق واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه ولا مجحود تكوينه
شهادة من صدقت نيته وصفت دخلته وخلص يقينه وثقلت موازينه واشهد ان محمدا عبده ورسوله
المجتبى من خلايقه والمعتام لشرح حقايقه والمختص بعقايل كراماته والمصطفى لكرايم رسالاته والموضحة
به اشراط الهدى والمجلو به غريب العمى ايها الناس ان الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد اليها ولا تنفس بمن
نافس فيها وتغلب من غلب عليها وايم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم الا بذنوب اجترحوها

لان الله ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم وَوَلَهٍ من قلوبهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد واني لاخشى الا تكونوا في فترة وقد كانت امور قد مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين ولئن رد عليكم امركم انكم لسعداء وما علي الا الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف **اقول** هذه الخطبة خطبها بعد مقتل عثمان في اول خلافته والاحلة بالكسر والضم باطن اللحي والمقام المحنك وعقابيل الشيء بقاياه والاشراط العلامات علامات الساعة والغرب الاسود والمجلل الممتنع اليها امورة ولا تتمس النص وتحلل وغمضت النعمة طرقتها وصدر الخطبة بالاشارة الى اعتبارات توحيدية للاول انه لا يشغله شان عن شان وذلك لان الشغل يجني من شيء اما القصور القدرة او العلم وقدرته تعالى وعلمه المحيطان بكل مقدور ومعلوم فلا جرم لا يشغله مقدور عن مقدور ولا معلوم عن معلوم وتقريرها بين المسلمين في الكتب الكلامية والحكميات الثاني لا يغيره زمان واذا ثبت انه تعالى خالق الزمان ولا زمان يلحقه فلا تغير يلحقه تغيره ولانه واجب الوجود فلا شيء من المتغير في ذاته او صفاته بواجب الوجود فلا شيء منه يلحقه التغير الثالث ولا يحويه مكان لبراءته عن الجسمية ولواحقها وكلما كان كذلك فهو بري عن المكان ولواحقه فينتج انه بري عن المكان ولواحقه السابع ولا يصفه لسان اي لا يعبر اللسان عن حقيقته وصفته فكيف باللسان الذي هو المعبر عنها الخامس ولا يعزب عنه عدد قطر الماء الى قوله الاظلاف وهو اشارة الى احاطة علمه المقدس بكليات الامور وجزئياتها وهذه مسئلة عظيمة حارت فيها العقول وقد اشرنا اليها في المختصر الموسوم بالقواعد الالهية ثم عقب هذا التنزيه بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر بعد تعالى اجوا اشهد بوحدانيته عليها الاول كونه غير معدول به اي لا عديل له ولا مثل الثاني ولا مشكوك فيه اي في وجوده فان ذلك نافي في الشهادة بالوحدانية الثالث ولا مكفور دينه لان الجحود لدينه يستلزم النقص في معرفته فكان الاعتراف به كمال المعرفة والشهادة بوحدانيته السابع ولا مجحود تكوينه اي ايجاده الموجودات وكونه ربا لها ثم عقب وصف المشهود له بحال تلك الشهادة باوصاف اربعة احدها باعتبار شاهديها وهي كونه صادق النية في تلك الشهادة اي باعتقاد جازم وصافي الدخلة اي نقي الباطن من الرياء والنفاق وخالص اليقين بوجود المشهود له وكمال وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه وثقيل الموازين بحال تلك الشهادة والقيام بحقوقها من سائر الاعمال الصالحات واردفها باخرتها وذكر للشهود بحقيقته رسالته اوصافا احدها كونه مجتبى من الخلائق ومصطفى منهم وذلك يعود الى اكرامه باعداد نفسه لقبول انوار النبوة الثاني والمختار لشرح حقائقه اي ايضاح ما خفي من الحقائق الالهية والشرعية التي بينها الثالث المختص بعقائل كراماته وهي الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق التي اقتدر معها على تكميل الناقصين الرابع والمصطفى لمكارم رسالاته اي لرسالاته الكريمة وتعديدها باعتبار تعدد نزول الاوامر عليه فان كل امر امر بتبليغه الى الخلق رسالة كريمة الخامس الموضحة به اعلام الهدى وهي قوانين الشريعة ودلالات الكتاب والسنة السادس والمجلو به غربيب العمى واستعار لفظ الغربيب لشدة ظلمة الجهل ولفظ الجلا لزوال تلك الظلم بانوار النبوة ثم اشار بالناس منبها لهم على مفاتح الدنيا وهذا انها منها انها تغر المؤمل لها والراكن اليها وذلك انها للمؤمل لبعض مطالبها لا يزال

وبيان المشهود له ... نفي ... العقل على حقيقته وصفه [illegible]

تتجدد له امارات خيالية على مطالب وهمية وانها ممكنة الحصول نافعة فتوجب له مد الامل وقد يخترم دون بلوغها وقد ينكشف بطلان تلك الامارات بعد امهال الطويل ومنها انها لا تنفس بمن نافس فيها واحبها بل تنحى عليه بالمهالك وترميه بعواقب النوائب ومنها انها تغلب على من غلب عليها اي من ملكها واخذها بالغلبة فعن قريب تقهره وتهلكه والاوصاف المذكورة التي من شانها ان تكون للعدو القوي الداعي وهي لكونها تغر المؤمل لها وتغلب معالبها ولا تبقى على محبها مستعارة ووجه المشابهة استلزام الركون فيها والاغترار بها ومحبتها والتكلف لها الهلاك فيها وعنها في الآخرة كاستلزام الخذور بالعدو الداعي الذي لا يحب اصدا والركون اليه الهلاك ثم اكد عليه السلام في التنبيه على وجوب شكر النعم واستدراك زوالها بالفزع الى الله واقسم انه ما زال عنهم ليس الا بذنوب اجترحوها وتمثاشاة الى ان الذنوب معدة لزوال النعم وحلول النقم لانهم لو استحقوا افاضة النعم مع الذنوب لكان منعهم اياها منعا لمستحق المستعد وذلك عين الظلم وهو من الجود الالهي محال كما قال تعالى وما ربك بظلام للعبيد والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي بسعد التغير بالمعاصي **وقوله** ولو ان الناس الى قوله كل فاسد اشارة الى ان الفزع الى الله بصدق النية ووله القلب وتحنيه وذهوله عن كل شيء سوى الله يعد للاستعداد التام لافاضة المطالب سواء كانت عود نعمة او استحداثها او زوال نقمة او استنزالها على عدو وذلك رد اي من النعم واصلاح الفاسد اي من سائر الاحوال واني لاخشى ان تكونوا في فترة كنى بالفترة عن امر الجاهلية كما به بالمجاز اطلاقا لاسم الظرف على المظروف اي اخشى ان تكون احوالكم احوال الجاهلية التعصبات الباطلة بحسب الاهواء المختلفة **وقوله** وقد كانت امور الى قوله محمودين قال الامامية تلك الامور التي مالوا فيها هي تقديم غيره من سبق من الائمة وقال غيرهم هي حركاتهم وتمالوا عليه في تقديم عثمان وقتل الثوري واختيارهم له وما جرى فيها من الاقوال والافعال **وقوله** ولئن رد عليكم امركم اي صلاح احوالكم واستقامته بحسب كم التي كنتم عليها في زمن الرسول صلى الله عليه وآله انكم لسعداء عند الله في الدنيا وما علي الا الجهد اي جهد في الاصلاح عليكم **وقوله** ولو اشاء ان اقول لقلت يفهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من تقدم عليه الى الظلم له وتخطيهم في التقدم عليه وذكر معايب تقتضي وجوب تأخرهم في نظره وتقدير الكلام ولكني لا اقول فلم اكن مبتدئا للقول **وقوله** عفا الله عما سلف اشارة الى مسامحته لهم بما سبق منهم اذ العادة جارية بان يقول الانسان مثل ذلك فيما يسامح به غيره من الذنوب واحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قاله لذعلب اليماني وقد سأله هل رأيت ربك فقال افاعبد ما لا ارى قال وكيف تراه فقال لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملابس بعيد منها غير مباين متكلم بلا روية مريد بلا همة صانع بلا جارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنوا الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته **اقول** تعنوا الخضع وتجب القلوب تخفق والفصل افضل مشتمل من التوحيد والتنزيه **فقوله** عليه السلام افاعبد ما لا ارى

استفهام على سبيل الانكار لعبادة ما لا يدرك ويثبت اراه ايها السائل وقوله لا تدركه العيون الى آخره
تنزيه عن الرؤية بحاسة البصر وشرح لكيفية الرؤية الممكنة له ولما كان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها
من الجهة وتوجيه البصر اليه وادراكه به وانما يدرك ويرى بحسب ما يمكن لبصيرة العقل لا جرم نزهه عن ذلك
واثبت له هذه فقال لا تدركه العيون الى قوله بحقائق الايمان واراد بحقائق الايمان اركانه وهي التصديق بوجود الله
ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات اسمائه الحسنى وعدّ من جملتها اعتبارات تدل له بها
احدها كونه قريبا من الاشياء ولما كان المفهوم من القرب المطلق الملابسة والالتصاق وهما من عوارض
الجسمية نزهه تعالى عنها فقال غير ملابس فاخرجت هذه القرينة ذلك اللفظ عن حقيقته الى مجازه وهو
اتصاله بالاشياء وقربها بعلمه المحيط وقدرته التامة الثاني كونه بعيدا منها ولما كان البعد يستلزم المباينة
وهي ايضا من لواحق الجسمية نزهه منها بقوله غير مباين وقد سبق بيان ذلك مرارا فكان بعده عنها اشارة
الى مباينته بذاته الكاملة عن مشابهة شيء منها الثالث وكذلك قوله متكلم بلا روية وكلامه يعود الى
معنى علمه بصور الاوامر والنواهي وسائر انواع الكلام عند قوم والى المعنى النفساني عند الاشعري والى خلقه
الكلام في جسم الذي عند المعتزلة وقوله بلا روية تنزيه له عن كلام الخلق لكونه تابعا للافكار والتروي
الرابع وكذلك مريد بلا همة تنزيه لارادته عن سابقة ارادة في سبق العزم والهمة لها الخامس صانع
لا بجارحة وهو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحة التي هي من لواحق الجسمية السادس
وكونه لطيف لا يوصف بالخفاء واللطيف يطلق ويراد به رقيق القوام ويراد به صغير الحجم المستلزمين
للخفاء وعدم اللون من الاجسام والحكم من الصفة وهو تعالى منزه عن اطلاقه باحد هذه المعاني الاستلزامها
الجسمية والامكان فيبقى اطلاقها عليه باعتبارين احدهما تصرفه في الذوات والصفات تصرفا خفيا بفعل
الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها والثاني جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الادراك البصري السابع رحيم
لا يوصف بالرقة تنزيه لرحمته عن رحمة احدنا لاستلزامها رقة الطبع والانفعال النفساني وقد سبق بيانه
كونه تعالى رحيما الثامن كونه عظيما يخضع الوجوه لعظمته وانه الاله المطلق لكل موجود وممكن فهو
العظيم المطلق الذي تفرد باستحقاق ذل الكل وخضوعه له وخيبة القلوب واضطرابها من
هيبته عند ملاحظة ذل منها بما يمكن له من تلك العظمة **ومن كلام له عليه السلام في ذم اصحابه**
احمد الله على ما قضى من امر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت
لم تجب ان امهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة
نكصتم لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله ان جاء يومي وليأتيني
ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم
اوليس عجبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة
الاسلام وبقية الناس الى المعونة او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج اليكم من
امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب ما انا لاق الى الموت قد دارستكم الكتاب

وفاتحتكم

ومن تحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب بقوم
من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة **وقوله** الخور الضعف ويحتمل ان يكون من الجوار وهو
الصياح واجئتم الجئتم وذعرتم ونكص رجع على عقبه والقالي المبغض والطغام اوغاد الناس والتريكة
بيضة النعام وبعد ان تخرج منه وقد حمد الله تعالى على ما قضى وقدر ولما كان القضاء هو حكم العلم الالهي بما يكون
وما كان على ما قضى من امر لان الامر اعم من ان يكون فعلا ولما كان القدر هو تفصيل القضاء وايجاد الاشياء على
وفقه قال وقدر من فعل **وقوله** وعلى ابتلائي بكم تخصيص لبعض ما قضى وقدر له **وقوله** اذا امرت
الى قوله نكصتم شرح لوجوه الابتلاء بهم وحاصلها يعود الى مخالفتهم له في جميع ما يريده منهم مما ينتظم به حالهم
وقوله الى مشاقة اي الى مشاققة عدو **وقوله** لا ابا لغيركم دعاء بالذل لغيرهم وفيه نوع تلطف
لهم والاصل لا اب ولا ابا لغيرهم وانما استثقل توالي اربع حركات فاشبعوا الفتحة فانقلبت الفا والا انهم
قصدوا الاضافة واتوا باللام للتاكيد ثم اقسم ان جاء يومه اي وقت موته ليفرقن بينهم وبينه وهو تهديد
لهم بفراقه وانتخاب امورهم بعده **وقوله** وليأتيني حشو لطيفة في الكلام واتى بها مؤكدة لان اتيان
الموت امر محقق وكذلك ردفها بما يقتضيه ان من الشك تحسن هذه الحشو بعدها ثم اخذ في التضجر
منهم واخبرهم انه لصحبتهم مبغض وانه غير كثير بهم لان الكثرة انما تراد للمنفعة حيث لا منفعة
فكانه لا كثرة **وقوله** لله انتم جملة اسمية فيها معنى التعجب من حالهم ومثله لله ابوك ولله درك
ثم اخذ في استفهامهم عما يدعون انه موجود فيهم وهو الدين والحمية والانفة ومن شان الدين ان يجمع على
الكفار المنكر والحمية ان تحمد وتثير القوة الغضبية لمقاومة العدو استفهاما على سبيل العتب
والانكار عليهم **وقوله** اوليس عجبا الى قوله وتختلفون علي استفهام التقرير والتعجب من حاله
معهم في نفورهم عنه حتى عند الدعوة الى العطاء ومن حال معاوية مع قومه في اجتماعهم عليه من غير معونة ولا
عطاء فان قلت المشهود ان معاوية انما استجلب من العرب بالاموال والرغائب
فلم قال فيتبعونه على غير معونة قلت انه معاوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء
المتعارف بين الجند وانما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن وسائر الاموال الجليلة ليستعبدهم بها
فاولئك الرؤساء يدعون اتباعهم من العرب فيطيعونهم فصادق اذن انهم يتبعونه على غير معونة ولا عطاء
واما هو عليه السلام فانه كان يقسم بيوت الاموال بالسوية بين الاتباع والرؤساء على وجه الرزق والعطاء ولا يرى
تشريف على شريف فضلا وكان اكثر من يتقاعد عن نصرته من الرؤساء لما يجدونه في انفسهم من امر
المساواة بينهم وبين الاتباع واذا احس الاتباع بذلك تخاذلوا ايضا متابعة لرؤسائهم والمعونة ما يطلق
للجند في وقت الحاجة لترميم اسلحتهم واصلاح دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض شهرا فشهرا
واستعار لهم لفظ التريكة ووجه المشابهة انهم خلف الاسلام وبقية اهله كالبيضة التي تتركها النعامة **وقوله**
انه لا يخرج الى قوله فترضونه اي انه لا يخرج اليكم من امري من شانه ان ترضوا به او تسخطوا منه فترضون به او
تجتمعون عليه بل لا بد لكم من التفرق والمخالفة على الجانبين [illegible] على سوء صنعهم معه بان احب

الاشارة اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال ابو الطيب فقال ———
كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا * تمنيتها لما تمنيت ان ترى صديقا فاعيا او عدوا مداجيا
وقوله قد دارستكم الكتاب الى قوله محتجا اشارة الى وجوه الامتنان عليهم وهي مدارستهم الكتاب اي تعليمه ومفاتحتهم الحجاج اي مجادلتهم وتعريفهم وجوه الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اي الامور المجهولة لهم وتسويغهم ما مجوه واستعار وصف التسويغ اما للاعطاء لهم العطيات والارزاق التي كانوا يحرمونها من يد غيره لو كان لمعوية واما لادخاله العلوم في افواه اذهانهم وكذلك لفظ المج اما لحرمانهم من يد غيره او لعدم العلوم عن اذهانهم وتشوا منها منهم عنها فكانهم القوها لعدم صلوحها للاساغة ووجه الاستعارتين ظاهر
وقوله لو كان الاعمى الى قوله يستيقظ اشارة الى انهم جهال لا يلحظون باعين بصائرهم ما اوردهم من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم به من المواعظ وغيرها ولفظ الاعمى و النايم مستعاران والقوم في قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من شدة قربهم من الجهل بالله اذ كان قايدهم في الطريق معوية ومؤدبهم ابن النابغة اي عمرو بن العاص وهو رئيس المنافقين واهل الغدر و الخلاف واذا كان الرئيس القايد والمؤدب في تلك الطريق من الجهل والبعد بحال الرجلين المشار اليهما كان اقرب اتباعهما من البعد عن الله والجهل به واقرب صيغة التعجب وقايدهم معوية جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم وفصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور كما في قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فصل مردوا والرفع لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض مما ذكره هو وصفهم باوصاف التنفير عنهم

ومن كلام له عليه السلام

لرجل من اصحابه وقد ارسله ليعلم له علم قوم من جند الكوفة همّوا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه فلما عاد قال أأمنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال ——— بل ظعنوا يا امير المؤمنين فقال ——— بعدا لهم كما بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه **اقول** قطنوا اقاموا وبعدت بالكسر هلكت واشرعت الرمح سددته وصوبته نحوه لاقصده به واستفلهم اي طلب منهم التفرق في الهزيمة وزينها لهم والفل التفرق والانهزام والارتكاس الرجوع في الشيء مقلوبا والفصل مشتمل على السؤال عن ظعنهم واقامتهم وعلتها وهي الامن والجبن ثم الدعاء عليهم بالهلاك وانتصب بعدا على المصدر ثم على ما لو فعل لكان سبب الندم على ما فعلوا وهو الهجوم عليهم بالقتل والاذلال على ما كان منهم من الخروج باوبة الشيطان ثم على علة لخروجهم وهي استفلال الشيطان لهم وتفريقه لجماعتهم وروي استفزهم اي استخفهم وروي استقبلهم اي تقبلهم ورضي عنهم وهي اقوى لقرينة قوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اي تارك لهم فان التبري في مقابلة الاستقبال وذلك كقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله اني بريء منكم **وقوله** فحسبهم بخروجهم الى اخره اي يكفيهم ذلك عذابا وشرا والباء في بخروجهم زائدة كما في

في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وارتكاسهم في الضلال والعمى رجوعهم الى الضلال القديم وعمى الجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم في تيه الجهل والهوى بعد الاستقرار في مدينة العلم والعقل ولفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى رذيلة الافراط منها في سبق والغلو في طلب الحق الى حد الجور عن الصراط المستقيم وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال خطبنا بهذه امير المؤمنين وهو قايم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمايل سيفه من ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير فقال ——— الحمد لله الذي اليه مصاير الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه مؤمنا وخنع له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قايمات بلا سند دعاهن فاجبن طايعات مذعنات غير متلكيات ولا مبطيات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلالؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين المتطاطيات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من الانثى في بطنها والحمد لله الكاين قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سايل ولا ينقصه نايل ولا ينظر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من اياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سخر له ملك الجن

الجن والانس مع الشوق وعظيم الرغبة فيما استوفي طعمه واستكمل لذته ومنه قمتى القساد بين الذوب فا
محت الديار منه خالية والمساكن معطلة وورثها قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين
العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب مداين الرس الذين قتلوا النبيين واطفوا
سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر
ومدنوا المداين **اقول** نقل الجوهري في الصحاح ان نوفا البكالي بفتح البا وتخفيف الكاف كان صاحب
علي عليه السلام ونقل عن ثعلب انه منسوب الي بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي منسوب الي
بكال وبكيل شي واحد وهو اسم حي من همدان قال وبكيل اكثر وقال الشارح
عبد الحميد بن ابي الحديد والصواب غيرهما قالاه وانما هو بكال بكسر البا من حمير فمنهم هذا الشخص وهو
نوف بن فضالة صاحب علي عليه السلام والاقوال محتمل واما جعدة بن هبيرة فهو ابن اخت امير المؤمنين
عليه السلام ام هاني بنت ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وابوه هبيرة ابن ابي وهب بن عمرو بن عايذ
ابن عمران ابن مخزوم وهو صحابي والثفنة البعير واصله الثفنات وهي ما يقع على الارض من اعضايه و
الخشوع الخضوع وربما وره يختلف عليه وهو طرايب متهدلات والتلكي التوقف والطواعية الطاعة
والفجاج الطرق بين الجبال والادهمام شدة الظلمة والسجف الستور والحندس بكسر الحاء الليل شديد
الظلمة والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال في الاكثر واليفاع المرتفع من
الارض والجلجلة صوت الرعد وتلاشي اضمحل والانوا جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية
والعشرين في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة الي ثلاثة عشر
يوما وهكذا كل نجم منها الي انقضا السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما ومرجحنين مايلين الي جهة
تحت والرباض اللابث والطحة المايلة **قوله** الحمد لله الي قوله لاهو حمده له باعتبار كونه منتهي جميع
الا في عالمي الخلق والامر ابتداها اوليتها بالصنع والابداع وانتهاها في اخرها لانه غاية مطلوب السالكين
وهو الباقي بعد كل شي منها باعتبار وجوب وجوده فهو المستحق العباد لذاته وهي الملكة والمستحق
للعبادة باعتبار كونه محكما ولما كان الحمد قد يكون لاداء حق ما سبق من النعمة وقد يكون للاستزادة منها
كان قوله نحمده الي قوله اداء نظرا الي ما سبق من انواع نعم الله وهي عظيم احسانه بالخلق والايجاد علي
وفق الحكمة والمنفعة ثم بانارة برهانه في متقن صنعه ومحكمه وعلي السنة رسله لسوقنا في صراطه
المستقيم الي جنات النعيم وهدايتنا اليها ثم بافاضة نوامي فضله وامتنانه علينا في حياتنا الدنيا
ثم بافاضة اسباب معاشنا ومعادنا وكان قوله والي ثوابه الي قوله موجبا نظرا الي ما يستزاد
منها وهو القرب من ثوابه الاخروي لاستكمال النفس بذلك وحسن مزيده من نعمه الحاضرة قال
تعالي ولين شكرتم لازيدنكم ثم اردف ذلك الشكر وطلب المعونة منه استعانة بالصفات المعدودة
الي قوله والعقول فان استعانة من هذه صفته تكون اقرب الاستعانات الي اجابة المستعان بالعون
لقوتها باستجماعها قوة الرحمة والانس له تعالي وحسن اليقين في قدرته علي بذل النفع ودفع الضرر

والشكر

والشكر والاذعان بالطاعة العملية والقولية ثم اردف ذلك بالاقرار بالايمان الكامل وهو ايمان من استكمل
الاوصاف المعدودة انفا وهي رجا المطالب العالية منه حال اليقين التام بانه اهلها والرجوع اليه عن جميع
المطالب وفي ساير المهمات حال الايمان به والخضوع حال الانقياد لعزته ثم الاخلاص له حال توحيده
ثم تعظيمه حال تمجيده واللوذ به حال الرغبة اليه **قوله** والاجتهاد فيها وظاهر ان ذلك الايمان كامل ثم
اخذ في تنزيهه تعالي باعتبارات سلبية واضافية هي غاية الواصفين منها انه لم يكن له والد فيكون له
شريك في العز اذ العادة ان يكون ولد العزيز عزيزا ومنها انه لم يلد فيكون موروثا هالكا وهو تنزيه
له عن صفات البشر اذ العادة ان الانسان يخلف من بعده ولده ويرثه وهما ايضا من لواحق الحيوانية
المستلزمة للجسمية الممتنعة فنزهه عنها ومنها انه لم يتقدمه وقت ولا زمان والوقت جزء الزمان اذ كان خالق
الوقت والزمان فلم يجر ان يتقدمهما ومنها انه لم يختلف عليه الزيادة والنقصان لان الزيادة و
النقصان من لواحق الممكنات لاستلزامهما التغير المستلزم للامكان الممتنع فنزهه عنه ومنها انه ظاهر
للعقول في علامات التدبير وهي الاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة علي وفق القضا المحكم فمن جملتها
خلق السموات لقوله تعالي ان في خلق السموات والارض الاية وقوله اولم يتفكروا في ملكوت والارض
وقد مر بيان كونها بلا عمد وقيامها بلا سند في الخطبة الاولي ودعاها وهي خاضعة لسلطان القدرة الالهية عليهن واجابتهن
دخولهن في الوجود عن ذلك الحكم وطوعهن واذعانهن من غير تلكي ولا تباطي في اجابتهن خضوعهن
في رق الحاجة والامكان لواجب وجوده وسلطانه **قوله** ولولا اقرارهن الي قوله والعمل الصالح من خلقه
كلام حق فان الاقرار بالربوبية له راجع الي شهادة لسان حال الممكن بالحاجة الي الرب ولا انقياد لحكم قد
رته وظاهر انه لولا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرشه ولم تكن اهلا لقبول تدبير اجرام
الملايكة وسكناها ولم تكن قابلة لصعود الملايكة بالكلم الطيب والاعمال الصالحة للخلق وقد سبق الاشارة
الي بيان الصعود بالاعمال وغيرها في الخطبة الاولي بحسب الامكان ولفظ الاعلا والاقرار والاذعان مستعار
ويحتمل ان تكون حقايق نظرا الي انها ارواحا مدبرة عاقلة **قوله** وجعل نجومها الي قوله الاقطار اشارة
الي بعض غايات وجود النجوم وقد سبق بيان ذلك **قوله** لم يمنع الي قوله والقمر استعار لفظ السجف و
الجلابيب للساتر من سواد الليل ووجه الاستعارة ظاهر وخص القمر بالذكر لكونه من الايات العظيمة
والمقابلة بين الضيا والظلمة مقابلة العدم والملكة وكل منهما يوجد بوجود سببه ويعدم بعدم سببه فلا يكون رفع
احدهما بالاخر فظاهر اذن ان نور القمر والنجوم لا تمنعه من الوجود والتحقق ظلمة ليل بل يتعاقبان بحسب
تعاقب اسبابهما المنتهية الي قدرة الصانع الحكيم جلت قدرته **قوله** وسبحان الي قوله في تلفيها تنزيه
بحسب احاطة علمه بحسب كليات الاشيا وجزئياتها والمتطاطيات مهابط الارض وما يتجلجل به
الرعد اشارة الي تسبيحه في قوله تعالي ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح يعود الي شهادته بلسان حاله
في ذلك الصوت علي كمال قدرة مسخر السحاب ومولفه والمقدر لتصويبه وقد عرفت سببه وما تلاشت عنه
بروق الغمام اشارة الي ما يكشف للابصار باضاتها وانما خص ذكر ذلك دون ما اضاته لان العلم هنا لكاشف

لتعلقه بما لا يدرك ابصار المخلوقين دون ما تعلقه لا دراك الكل له واما اضافة العواصف الى الاتوار ولان العرب تضيف الآثار العلوية من الرياح والامطار والحر والبرد اليها ثم عاد الى حمده تعالى باعتبار تقدمه في الوجود على سائر مخلوقاته وقد عرفت ما فيه في الكرسي والعرش ثم نزهه تعالى باعتبارات سلبية الاول انه لا يدرك بوهم الثاني انه لا يقدر اي لا يحد بفهم والفهم من صفات العقل وقد مرت الاشارة الى عجز العقول عن [illegible] ولا وهم عن وصفه تعالى الثالث ولا يشغله سائل لاحاطة علمه وقدرته وقد سبق ايضا بيانه الرابع ولا ينقصه نائل لان النقصان انما يتوجه نحو ذي الحاجة وقد تنزه قدسه تعالى عنها الخامس كونه لا يبصر بعين اي ان ادراكه ليس بحاسة البصر وان كان بصيرا وذلك لتنزه قدسه عن الحواس السادس ولا يحد باين اي لا يحده العقول بالامكنة ويحيط به باعتبار براءته عن التحيز ومنه نفي الكمية المتصل عنه السابع ولا يوصف بالازواج ومنه نفي الكم المنفصل عنه اي ليس في اثنين ويتعدد الثامن ولا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن مباشرة الالة والحيلة كما تزاوله اصحاب الصنائع التاسع ولا يدرك بالحواس لتخصص ادراكها بالاجسام وكيفياتها وتنزهه تعالى من الجسمية ولواحقها العاشر ولا يقاس بالناس تنزيه له عن التشبيه بخلقه في كمالاتهم كما يتوهمه اهل التجسيم الحادي عشر كونه متكلما لا بجارحة تعالى ولا لهوات ومنه تنزيه له عن مشابهة البشر وعلمت في المقدمات كيفية سماع الانبياء عليهم السلام للوحي فاما قوله وانا ومن آياته عظيما فقيل اراد بآياته في كلامه لئلا يصير بين قوله تكليما وقوله بلا جوارح اعتراض غير مناسب والذي رآه من تلك الآيات ما روي انه كان يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد سماع البشر من جهة مخصوصة وله دوي كوقع السلاسل العظيمة على الحصا الاصم وفي هذه الكيفية سر لطيف ومنه كونه يسمع من الجهات الست اشارة الى ان الكلام كان باتيه فيلقى في لوح خياله كانه من جهته بواسطة الجهات الست اشارة اليه على سواء في عدم ساحية منها فلا جرم قيل يسمع من الجهات الست ومنه اولى من ان يقال لا يسمع الا من جهته لبعد ذلك عن اوهام الخلق واما كونه كوقع السلاسل في القوة فاشارة الى عظمته بالنسبة اليه فشبهه باشد الاصوات حدوثا وقيل اراد بها الآيات التسع كانشقاق البحر وانقلاب العصا ثعبانا وغيرهما ثم نبه على عجز القوى البشرية عن وصف خالقه تعالى بقوله بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك في وصفه فصف بعض خلقه وهو جبرئيل وميكائيل وجنود ملائكة المقربين وبنبه باستفهام التقريض تاليه اي لانك لا تملك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى بيان الملازمة ان وصفه تعالى اذا كان ممكنا لك فوصف بعض آثاره اسهل عليك واما بطلان التالي فلان حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة المقربين غير معلومة لاحد من البشر ومن عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه اعجز وحجرات القدس مقامات العقول عن الهيئات البدنية والعقلانيات الخيالية عن شوائب النفس الامارة بالسوء واستعار لفظ المرجحين لخضوعهم تحت سلطان هيبته وعظمته وتوله عقولهم وحيرتها وتشتتها عن ادراك حقيقته بحيث تقف عند عظمته ثم نبه على ما يدرك من جهة الوصف وهو ذو الهيئات والادوات التي تعترف بها ويحيط به الافهام من جهتها ومن بلحقه [illegible] فيتقضى اذا بلغ امد حده وتقف الافهام على دون الجد وخلافا الى اجزائه فتبلغ على [illegible] منها ثم عقب ذلك التنزيه بتوحيده ونفي اللازم عنه وقوله

[illegible]

اعضاء

اضاءة بنوره كل ظلام فالظلام اما محسوس فاضاءته بانوار الكواكب او معقول وهو ظلام الجهل فاضاءته بانوار العلم والشرائع وقوله واظلم بظلمته كل نور اي جميع الانوار المحسوسة والمعقولة لغيره متلاشية مضمحلة في نور علمه وظلمات بالنسبة الى ضياء ابداعه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده وكمال جوده ثم شرع في الموعظة فذكر بالوصية بتقوى الله باعتبار سلب امرين هما سبب البقاء في الحياة الدنيا وهما الملبوس والمطعوم ويحتمل ان يريد بالمعاش سائر اسباب البقاء وفي ذلك انه لا سبيل الى البقاء ودفع الموت تخويفا به واحتج عليه بقياس استثنائي ملخصه لو ان احدا يجد سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان عليه السلام والتقدم باطل فالمقدم مثله بيان الملازمة ان سليمان عليه السلام كان اقوى سلطان وصف في العالم لاستيلائه على مملكة الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة عند ربه فكان اولى بدفعه لو كان يمكن دفعه واما بطلان التالي فلانه عليه السلام لما استوفى طعمته واستكمل مدته مات فلو وجد له بدفعه لدفعه عن نفسه وقوله فلوان الي قوله سبيلا هو مقدم الشرطية وقوله لوكان ذلك الى قوله عليه السلام هو التالي وقوله الذي الى قوله الرمية بيان لوجه الملازمة وقوله فلما استوفى الى قوله قوم آخرون هو بيان بطلان التالي ولفظ القوس والنبال استعارة لرامي الامراض واسبابها التي هي نبال الموت ووجهها ظاهر ثم شرع في التنبيه على الاعتبار باحوال القرون السالفة واستفهم عن قرون تنبيها على فنائهم واستفهامات على سبيل التقرير والعماليق اولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان الملك باليمن والحجاز وتمامه من ذكر من الاقاليم من اولادهم عملاق وطسم وجديس وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ في طسم فلما ملكهم عملاق بغى واكثر العبث والفساد في الارض حتى كان يطأ العروس ليلة هدائها الى بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها اليه ففعل ذلك بامراة من جديس فغضب لها اخوها وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم واهل بيته فصنع اخوها طعاما ودعا عملاق الملك اليه ثم وثب به وبطسم فاتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن مرة فصار الى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس فاتى الكمامة وهو حيشان في جنده بلا دجو وهي قصبة اليمامة فاستاصل جديسا واخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن اميم بن لاوذ بن ارم بن نوح واهله فنزل بارض وبار وهي المعروفة الآن برمل عالج فبغوا في الارض حينا حتى افناهم الله ثم ملك بعده باد عبد ضخم بن اسف بن لاوذ فنزلوا بالطائف حينا ثم بادوا واما الفراعنة فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون الاعرج الذي غزا بني اسرائيل واخرب بيت المقدس واما اصحاب مدائن الرس فقيل انهم اصحاب شعيب النبي عليه السلام وكانوا عبدة اصنام ولهم مواش وآبار يسقون منها والرس بئر عظيم خسف بهم وهم حولها وقيل الرس قرية باليمامة كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فبغوا واهلكوا وقيل الرس اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس نهر في اقليم الباب والابواب مبدؤه من مدينة طرار وينتهي الى نهر الكر فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر وكان هناك ملوك اولوا باس وقدرة فاهلكهم الله ببغيهم وبالله التوفيق وقوله قد لبس للحكمة جنتها واخذها بجميع ادبها من الاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها التي هي عند نفسه ضالته التي يطلبها وحاجته التي يسال عنها فهو مغترب اذا اغترب الاسلام [illegible] بعسيب ذنبه والصق الارض [illegible] وضرب

يحوا به بقية من بقايا حجته خليفة من خلايف انبيايه ثم قال عليه السلام ايها الناس اني قد بثثت
لكم المواعظ التي وعظ بها الانبيا اممهم وأديت اليكم ما ادت الاوصيا الى من بعدهم وادبتكم بسوطي فلم
تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم اتتوقعون اماما غيري يطا بكم الطريق ويرشدكم
السبيل الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال عباد الله الاخيار وباعوا
قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين الا يكونوا اليوم
احيآء يسيغون الغصص ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم واحلهم دار الامن بعد خوفهم
اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق اين عمار واين ابن التيهان واين ذو الشهادتين واين نظراوهم
من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد بروسهم الى الفجرة ثم ضرب بيده الى لحيته فاطال البكا ثم قال
اوه على اخواني الذين تلوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فا
جابوا ووثقوا بالقايد فاتبعوه ثم نادى باعلا صوته الجهاد الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي هذا فمن اراد
الرواح الى الله فليخرج قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة الآف ولقيس بن سعد
عشرة الآف ولابي ايوب الانصاري ولغيرهم على اعداد اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما دارت الجمعة حتى
ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر فكنا كاغنام فقدت راعيها تختطفها الذياب من كل مكان
اقول جرانه صدره وعسيب ذنبه طرفه واستوسق الامر انتظم واجتمع وازمع صمم عزمه والرنق بالسكون
الكدر وابرد ارسل واوه كلمة توجع والاختطاف والتخطف الاخذ بسرعة والاشارة
الى العارف مطلقا وقال بعض الامامية الاشارة الى الامام المنتظر وليس بواضح من هذا الكلام ولفظ الجنة
مستعار في الاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة الحقيقيين والمواظبة على العمل باوامر الله ووجه الاستعارة ان
ذلك الاستعداد يامن اصابة سهام الهوى ونزغات دواعي الشهوات الباعثة الى الفساد كما يامن لابس الجنة من
اذى الضرب والجروح واخذه لها بجميع آدابها من الاقبال عليها والمعرفة بها اي بقدرها والتفرغ لها من العلايق
الدنيوية بالزهد من جملة الاستعداد لها ايضا واستعار لها لفظ الضالة لمكان انشاده لها وطلبه كما يطلب الضالة
من الابل واليه الاشارة بقوله عليه السلام الحكمة ضالة المومن وقوله فهو مغترب اذا اغترب الاسلام اشارة
الى اخفايه نفسه واثاره العزلة عند اغتراب الاسلام وضعفه وظهور البدع والمنكرات كما اشار اليه سيد
المرسلين صلى الله عليه بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا واستعار لفظ العسيب والذنب والجران
ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وكنى بذنبه عن ضعفه وقلة نفعه فان البعير اقل ما يكون نفعه حال بروكه وقوله
بقية من بقايا حجته اي على خلقه اذ العلما والعارفون حجج الله في الارض على عباده وظاهر كونه خليفة
من خلايف انبيايه لقوله صلى الله عليه العلما ورثة الانبيا وقوله ايها الناس الى قوله تستوسقوا تذكير بموعظته
لهم واعذار اليهم باداء ما كلف به من جذبهم كما كلفت به الانبيا مع اممهم والاوصيا الى من بعدهم ومعاتبة لهم وتوبيخ
على عدم استقامتهم واجتماعهم على اوامره مع تاديبه لهم بالضرب [illegible] والتحذير بالزواجر وقوله لله انتم الى قوله السبيل استفهام
لهم عن توقعهم اماما هاديا مرشدا غيره [illegible] انما على سبيل الانكار لوجود مثل ذلك الامام واكد ذلك الانكار

المفهوم من الاستفهام بقوله الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا اي من الخير وصلاح اهلها واقبل منها ما كان مدبرا اي
من الشرور التي ادبرت بمقدم الرسول صلى الله عليه وظهور الاسلام وازمع الترحال عباد الله الاخيار المتوقع منهم
ايام لمثله عليه السلام في الهداية لسبيل الله وازماعهم اسم لعزمهم بالقليل الفاني من متاع الدنيا الاكثر الباقي من متاع
الآخرة ثم اخذ في التذكير بنفي ضرر الموت وعدم الحيوة عن اخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفين وزهد في تلك الحيوة
بكونها محل تجرع الغصص وشرب الكدر من الآلام والاعراض ومشاهدة المنكرات ولما زهد في تلك الحيوة نبه على
ما لهم في غيرها من السعادة وهي لقاء الله وتوفيته لاجورهم على الاعمال الصالحة وحلولهم دار الامن اي الجنة بعد خوفهم
من فتن اهل الضلال ثم اخذ في الاستفهام عمن ركب طريق الحق ومضى عليه مستفهما له استفهاما على سبيل
التوجع لفقدهم والتوحش لفراقهم ثم عين اعيان اكابرهم فذكر عمار بن ياسر وفضله في الصحابة مشهور
وابوه عربي قحطاني وامه امة لابي حذيفة بن المغيرة المخزومي ولدت عمارا فاعتقه ابو حذيفة فمن هنا كان
عمار مولى لبني مخزوم واسلم هو وابوه وامه سمية فعذبوا ببني مخزوم في الله فاعطاهم عمار ما طلبوا ثم رجع مطمينا قلبه بالايمان
فنزلت فيه الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان وهاجر الى ارض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الاول
ثم شهد بدرا والمشاهد كلها وابلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فابلى فيها ايضا ويومئذ قطعت اذنه وعن ابن
عباس في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال هو عمار بن ياسر وعن عايشة
انها قالت ما من احد من اصحاب محمد صلى الله عليه اشا ان اقول فيه الا قلت الا عمار بن ياسر فاني سمعته صلى الله
عليه يقول انه ملي ايمانا الى اخمص قدميه وعنه صلى الله عليه عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفية الباغية لا انالها الله شفاعتي
عني وعنه صلى الله عليه من ابغض عمارا ابغضه الله واما ابن التيهان بتشديد الياء المثناة من تحتها بنقطتين من فوق بعدها
الهاء المشددة مكسورة بنقطتين من تحت ويروى مخففة فانه من الانصار وكنيته ابو الهيثم واسمه مالك بن مالك
وقيل بل اسم ابيه عمرو بن الحارث وهو التيهان كان احد النقبا ليلة العقبة وشهد بدرا والمشهور انه ادرك صفين
مع علي عليه السلام وقتل بها وقيل توفي في زمن الرسول صلى الله عليه واما ذو الشهادتين فكنيته ابو عمارة واسمه خزيمة بن ثابت
ابن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الانصاري من الاوس جعل رسول الله صلى الله عليه شهادته بشهادة رجلين لقصة
مشهورة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الاوس يوم الفتح بيده وشهد صفين مع علي
عليه السلام فلما قتل عمار قاتل هو حتى قتل معه ونظراوهم من اخوانهم اي الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة كابن بديل
وهاشم بن عتبة ونحوهما ولما قدم على المنية انفسهم على القتال الى غاية ان يقتلوا وروي تعاهدوا والفجرة الذين
حملت رووسهم اليهم امرا الشام ثم اخذ في التشكي والتوجع على فقدهم ثم اشار الى فضايلهم التي هي غاية الشريعة
المطلوبة منهم بها وهي تلاوة القرآن واحكامه بفهم مقاصده ومعانيه والتدبر للفرض اي تفهم ما لاجله العبادات في
اقامتها والمواظبة عليها نظرا الى اسرارها واحيا السنن النبوية واماتة البدع المخالفة لها واجابتهم للدعوة الى الجهاد
واقامة الدين ووثوقهم بقايدهم اليه في سبيل الله يعني نفسه واتباعهم له والرواح الى الله الخروج الى الجهاد الذي هو
سبيل الموصلة اليه والى ثوابه وقيس بن سعد الخزرجي [illegible] ابو عبد الملك روى عن رسول الله صلى الله عليه
احاديث وابو سعد من روسا الخزرج وهو سعد بن عبادة الذي جاد [illegible] اقامته خليفة بعد رسول الله صلى

الله دعا عليه وكان قيس هذا من ابرار شيعة علي ومحبيه وشهد معه حروبه كلها وكان مع الحسن ابنه وتقدم عليه
طلحة لمعونة واما ابو ايوب الانصاري فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار شهد العقبة وبدرا وسائر
المشاهد وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه لما خرج من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا فلم يزل عنده
حتى بنى مسجده ومساكنه ثم انتقل اليها وشهد مع علي مشاهده كلها الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان
وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة
خلق الخلائق بقدرته واستعبد الارباب بعزته وساد العظماء بجوده وهو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث
الى الجن والانس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم من ضرائها وليضربوا لهم امثالها وليبصروهم
عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها واسقامها وحلالها وحرامها وما اعد الله سبحانه للمطيعين
منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه وجعل لكل شيء
قدرا ولكل قدر اجلا ولكل اجل كتابا **اقول** المنصبة التعب وحمده اياه باعتبار كونه معروفا بآيات
آثاره عند العقول المنزهة عن ادراك البصر المختص بالاجسام ولواحقها ثم باعتبار كونه خالقا وموجدا
الايجاد المنزه عن المتاعب لاستلزامها الآلات المستلزمة للجسمية التي من شأنها الضعف والنهاية في القوة ثم نبه
على استناد الخلائق والنعم المفاضة الى قدرته ليعتبر السامعون نسبتهم اليه وباعتبار استعباده الارباب على كمال
عزه المطلق الواجبي المستلزم لخضوع كل موجود في ذل الامكان والحاجة اليه وسيادته للعظماء على كمال عظمته
وجوده الواجبي المطلق المستلزم لفقر كل اليه وتعبده له ثم بنسبة اسكانهم الدنيا وبعثه رسله الى الجن والانس
منهم كما قال تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي الآية على كمال لطفه بخلقه وحكمته
في ايجادهم الدنيا وغايته ذلك ان يكشفوا لهم ما تغطى بحجب الدنيا عن اعين بصائرهم من احوال الآخرة التي خلقوا
لها وان يحذروهم بالتحذير من ضرائر الدنيا كما اشار اليه وعواقبها وضرب الامثال بنسبتها كما في القرآن الكريم
انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه الآية واشباهها وان يبصروهم عيوبها وان يهجموا عليهم باية تصاريفها من
العبرة وهي الصحة والسقم وما احل وحرم على طرق الابتلاء به ويلاها عطف على تصرف ويحتمل ان يكون عطفا
على اسقامها باعتبار ان الحلال والحرام من تصاريف الدنيا وبيانه ان كثيرا من المحرمات في كانت حلالا
من بني قبله وبالعكس وذلك تابع لمصالح الخلق المقتضي تصاريف اوقاتهم واحوالهم التي تصاريف الدنيا
وقوله وما اعد الله اما عطف على معتبر او على عيوبها اي وليبصروهم ما اعد الله للمطيعين والعصاة
في الآخرة **وقوله** احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه اي احمده حمدا يكون في الكيفية والكمية على الوجه الذي طلب الحمد
لنفسه من خلقه **وقوله** وجعل لكل شيء قدرا كقوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي مقدارا من الكيفية والكمية
ينتهي اليه وحدا يقف عنده ولكل قدر اجلا اي ولكل مقدار وقت يكون انقضاؤه فيه ووقت وقوع ولكل اجل
كتابا واراد بالكتاب العلم الالهي المعبر عنه بالكتاب المبين واللوح المحفوظ المحيط بكل شيء وفيه رقم كل شيء وبالله
التوفيق **منها في ذكر القرآن** فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه اخذ
عليه ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض نبيه صلى الله عليه وسلم وقد فرغ الى

الخلق من احكام الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك شيئا
رضيه او كرهه الا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه او تدعو اليه فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما
بقي واحد واعلموا انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم
وانما تسيرون في اثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤنة دنياكم وحثكم على
الشكر وافترض من ألسنتكم الذكر واوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه
فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته ان اسررتم علمه وان اعلنتم كتبه قد وكل
بذلك حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا ان من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن
ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلها
عرشه ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فان الناس
يوشك ان ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عليهم باب التوبة فقد اصبحتم في مثل ما سأل اليه الرجعة
من كان قبلكم وانتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم بالارتحال وامرتم فيها
بالزاد واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب
الدنيا فرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه فكيف اذا كان بين
طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان أعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار حطم بعضها بعضا
لغضبه واذا زجرها توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير كيف
انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر
العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم قبل ان تغلق رهائنها
اسهروا عيونكم واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم تجودوا بها
على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال تعالى من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم
من قل استنصركم وله جنود السموات والارض وهو العزيز الحكيم واستقرضكم وله خزائن السموات
والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران
الله في داره رافق بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم ان تسمع حسيس نار ابدا وصان
اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون
والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل **اقول** اليفن الشيخ الكبير
والقتير الشيب ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهي الغل لجمعها الايدي الى الاعناق واللغوب
التعب وقد وصف القرآن الكريم بالاضداد المتعاندة لاختلاف الاعتبارات فالامر مع الزجر واطلاقهما
عليه مجاز من باب اطلاق اسم السبب على المسبب اذ الآمر والناهي هو الله تعالى والصامت مع الناطق واطلاق
لفظ الناطق عليه مجاز اذ الناطق هو المتكلم به من باب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة لله

في خلقه لاشتماله على عدمهم ووجودهم وبيان غاية وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين وانه خلاصة ما بعث به الرسول صلى الله عليه وقد بعث رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وانه اوتي المعجزات التي احتج بها الرسول صلى الله عليه على الخلق
في صدقه وقوله اخذ عليهم ميثاقه الضمير في اخذ له وفي ميثاقه للكتاب وذلك الاخذ منه خلقهم وبعثهم الى
الوجود على ان يعملوا بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة ومنه ما اشار اليه القرآن الكريم واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية والتقدير اخذ عليهم الميثاق بما فيه وقوله وارتهن عليه
انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل بما فيه والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نور هدايته للخلق والنور المتمم هو نور الحق وهو المشار
اليه بقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره واطفاؤه بما كانوا يقولون من
كونه صلى الله عليه معلم مجنون وساحر كذاب وكون القرآن اساطير الاولين اكتتبها وكذلك اكرم به دينه
وقوله وقبض نبيه اي قوله بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية واحكام الهدى ببيان طرقه
وكيفية سلوكها وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم امر بتعظيم الله سبحانه يقال عظمت من فلان ما تقال
عظمته وما هنا مصدرية اي عظموا تعظيمه لنفسه اي اطلبوا المناسبة في تعظيمكم له لتعظيمه نفسه ثم اشار
الى وجه وجوب تعظيمنا له وهو كونه لم يخف عنا شيئا من دينه بل كشفه لنا وبينه باجمعه بقدر الامكان ولم
يترك شيئا من مراضيه ومكارهه الا نصب عليها علما ظاهرا وآية واضحة من كتابه يشتمل على امره بما يرضيه
او زجره عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له
من الاحكام او المسخوط فيما مضى مثل المرضي او المسخوط فيما بقي من الاوقات والمستقبل من الازمان وحكمه في كونه
مرضيا او مسخوطا واحدا في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينقص وفيه ايماء الى ان رفع شيء من الاحكام السابقة
بالقياس والراي لا يجوز كما سبق بيان مذهبه عليه السلام في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من
كان قبلكم الى قوله قبلكم تاكيد وتقرير لما سبق اي انما سخطه ونهى عنه العصاة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله
فليس لكم ان تجوزوه وتحللوه باجتهاد وكذلك ما رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه
باجتهاد منكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية
التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى اجتهاد في الحاقها بالمنصوص وادراجها تحت النصوص
ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب او المكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم
احد المجتهدين في شيء بالواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة وتختلف الفتاوى بل الحكم في تلك القضية اما مسخوط
او مرضي ويكون ذلك نهيا منه عليه السلام عن الاختلاف في الفتيا كما عاب ذمه لذلك فيما سبق من الفصول
ويكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الى قوله قبلكم في معنى النهي عن رفع الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس كما قررناه
ويحتمل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي انه لن [illegible] عنكم بالاختلاف الذي سخطه ممن كان قبلكم كما اشار
اليه تعالى بقوله ان الذين فرقوا دينهم و[illegible] شيعا لست منهم في شيء وكذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق

والاجتماع المرضي ممن كان قبلكم ويحتمل ان المراد انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الباطلة
في المسائل الالهية ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقة فيها ويكون ذلك مختصا
بالاصول دون الفروع وقوله انما تسيرون في اثر بين الى قوله قبلكم اشارة الى ان الادلة لكم واضحة
وقد تداولها الاولون قبلكم فانتم تتكلمون بها وتترددونها ورجع القول المردد به وقوله قد كفاكم مؤونة
دنياكم كقوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه وتلك الكفاية اما بخلقها وايجادها واما بوروقه لكل ما
كتب له في اللوح المحفوظ وحثه على الشكر في تكرار اوامره به ونقل من الحسن البصري انه قال ان الله
تعالى كفانا مؤونة دنيانا وحثنا على القيام بوظايف ديننا فليته كفانا مؤونة ديننا وحثنا على القيام
بوظايف دنيانا وهو اشارة منه الى شدة التحفظ في الدين والاحتياط عليه وقوله وافترض من السنتكم
الذكر ولما كان تكليف الجوارح عبادة كانت العبادة المفروضة باعتبار اللسان الذكر وقد علمت انه باب
عظيم من ابواب السلوك الى الله بل هو روح العبادات كلها اذ كل عبادة لم تشفع بالذكر فهي خداج ثم نبه على
توصية الله تعالى اياهم بالتقوى مشيرا الى انها منتهى رضاه وحاجته من خلقه ولفظ الحاجة مستعار اذ تنزه وتقدس تعالى
عنها ووجه مشابهته للمحتاج هو الحث والطلب المكرر منه حتى كانه محتاج الى عبادة العباد وتقواهم
ولما استلزمت التقوى الحقيقية الوصول الى الله لا جرم كانت منتهى رضاه من خلقه ثم امرهم بها بعد التنبيه
عليها ونبه على الوجوه التي لاجلها يحصل تقوى الله وخشيته وهي كونهم بعينه اي بحيث يعلم ما يعملون
ولفظ العين مجاز في العلم اطلاقا لاسم السبب على المسبب لاستلزامها اياه وكون نواصيهم بيده اي في قدرته وانما
خص الناصية اشارة الى ان اعظم ما في الانسان واشرف ما فيه مملوك واليد مجاز في القدرة اطلاقا لاسم السبب
القابلي على المسبب وكذلك كون تقلبهم في قبضته اي تصرفهم في حركاتهم وسكناتهم تحت تصريف قدرته
وحكمه لا خروج عنه في شيء وقوله ان اسروا علمه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وان اعلنوا كتبه الى قوله باطلا
وقد سبقت الاشارة الى الكتبة غير مرة ثم اكد القول في التقوى بقوله واعلموا الى قوله الغني وهو لفظ
القرآن وقوله من الفتن تفسير لقوله مخرجا ونورا من الظلم اي من ظلم الجهل بانوار العلوم الحاصلة عن
الاستعداد بالتقوى وقوله ويخلده فيما اشتهت نفسه كقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خا
لدون ومنزل الكرامة هو المنزل المبارك المامور بطلبه في قوله تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت
خير المنزلين والدار التي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنة ونسبتها الى نفسه تعظيما لها وترغيبا فيها و
ظاهر تلك النسبة فان الجنة المحسوسة اشرف دار لاشرف المخلوقات واما المعقولة فتعود الى
درجات الوصول والاستغراق في المعارف الالهية التي بها السعادة والبهجة واللذة التامة وهي مجامع
الاعتبار العقلي لنزول اولياء الله وخاصته وشفعاء ملائكته ورسله ومن المتعارف ان الملك العظيم اذا
صرف عنايته الى دار يسكنها هو وخاصته ان يقال انها تخص الملك وانه بناها لنفسه وظاهر الكلام
يدل على انها فوق السموات وان العرش عليها وفي هذه الكلمة لطيفة وذلك انك علمت ان العرش يطلق و
يراد به الفلك التاسع ويطلق ويراد به العقل الاول باعتبار احاطة علمه بجميع الموجودات وباعتبار

جملة لمعرفة صانعه الاول جلت عظمته ويطلق ويراد به سلطانه وعظمته واستعار لفظ الظل للعرش بالمعنى الاول باعتبار ان حركة الفلك من الاسباب المعدة لوصول النفوس البشرية والفلكية الى كمالها بالمعارف الالهية التي بها الراحة الكبرى من حرارة نار الجهل ولهبها كما ان الظل يكون الراحة من حرارة الشمس وبالمعنى الثاني ايضا فان المعارف الالهية المفاضة على اسرار المستعدين من قبل ذلك الملك المقدس يكون بها الراحة الكبرى كما يكون بالظل ايضا وبالمعنى الثالث ان سلطانه تعالى وعلوه هو المتحول على كل سلطان والعالي عليه الدهو المطلق وان هو مبدا ادانه النفوس بجميع كمالاتها العقلية فهو الذي اليه تلجى واطلاق لفظ الظل على النعمة والسلطان في العرف ظاهر يقال انا في ظل فلان وفي ظل الملك وعدله اذا كان في نعمة منه وعنايته

وقوله ونور رضا بهجته فبهجته تعالى تعود الى بهايه وجلاله المشرق في اقطار العالمين على اسرار النفوس وظاهر كونه نور الجنة الذي يغني فيه اضاءة المصابيح ويستغرق في الابتهاج به الملائكة المقربون

وقوله وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فيه لطيفة وذلك انها كانت النفوس البشرية متخلفة كانت متفاوتة المنازل في الكمال ومثلث لها ذلك فعبر عن الرسل بالرفقاء في الجنة لسكانها ولما كانت انواع الملائكة بحكم السماوية والمجردين عن علايق الاجسام والحقايق وتفاوتت في الكمالات لاجرم خصص الملائكة بكونهم زوارها اي زوار سكانها اذ كان الرفيق الصق واقرب من الزائر وعبر بلفظ الزيارة عن حضور الملاء الاعلى عند النفوس الكاملة حين انقطاعها عن العلايق البدنية والتفاتها عنها ولما كان ذلك الحضور غير دايم بل يغيب فكانت النفس اشبه الزيارة فاستعير لها لفظها وان كان الملك هو الزائر دون النفس لان صورته وشانه هو الواصل الى النفس عند استعدادها لصور من فيض واهب الصور ثم عاد الى التذكير بامر المعاد فامر بمبادرته اي المعاجلة الى ما يصلح ويخلص من اهوال يوم القيامة سابق الذنوب الى الله وذلك مسابقة الاجال

وقوله فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل اي امل الدنيا والتمتع فيها فلاجل ذلك الانقطاع وقربه يجب ان يلتفت الى اصلاح المعاد ويرهقهم الاجل اي يلحقهم فلاجل ذلك الخوف يجب ان تسارع الى العمل لما يبقى ويسد عنهم باب التوبة بادراك الاجل فيجب مبادرتها

وقوله فقد اصبحتم الى قوله قبلكم اي اصبحتم في حال الحياة والصحة والامن وباسباب الاسباب التي يخشى من فان فيكم الرجعة اليها ويكلفكم معها العمل

وقوله وانتم بنو سبيل الى قوله بالزاد بالواو في انتم للحال واستعار لهم وصف بنو السبيل لكونهم في هذه الدار بالعرض يقصد بهم العناية الالهية غاية اخرى ووجهم بالتشبيه على الرحيل عن الدنيا فهم فيها كالمسافرين في ابواب مدنهم جودا الله واقرب الابواب الى الدنيا الارحام التي منها يخرجون اليها وابواب الخروج منها هي الموت ولفظ السفر مستعار مشهور بقرب من الحقيقة وظاهر ان ذا لا يبقى الانسان فيها بل يكون مرافق لطريق دار اخرى لست بدار للسالك الى تلك الدار وينبه على ان نام فيها بالرحيل منها تنفيرا عن الركون اليها واتخاذها وطنا وعلى امرهم باتخاذ الزاد فيها تنبيها على ان هناك غاية لها يجب ان تستعد للوصول اليها فيها ولفظ الزاد مستعار لتقوى الله وطاعته التي هي زاد النفوس الى حضرة رب العالمين

وقوله واعلموا الى

قوله لتقويتكم تذكيرا بالوعيد على المعاصي وانذر لهم برحمة نفوسهم وذلك بالاعمال الصالحة واتباع اوامر الله

وقوله فانكم قد جربتموها الى قوله شيطان في قوة احتجاج على وجوب تلك الرحمة وتحفيفه انكم جربتم انفسكم في هذه الامور على الجملة في زعمتم وكل من جزع من امثال هذه فبالاولى ان يجزع من كونه بين طابقين من نار صحيح حجر قرين شيطان وقد علمت فيما سلف ان النار سبع طبقات وهي دركاتها وصحيح حجر من قوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقرين شيطان من قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون وهم الشياطين وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى قوله ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون

وقوله اعلمتم ان مالكا الى قوله زجرة من صفات النار المحسوس ذكرها للتخويف والتجذيب

وقوله ايها اليفن الكبير الى قوله المواعظ خطاب بشيخ الكبير ان اولى بالاقلاع عن المعصية لقربه من الاخرة وتنوله من حاله سؤال تقريع وتوبيخ على المعصية والمواقف النار والمحسوسة ظاهرة واطواقها المعقولة تمكن الهيئات الرديئة من اعناق النفوس واغلالها من سواعدها ثم اخذ في التحذير من الله لغايته العمل بما يرضيه حال الصحة والفسحة قبل الجوف ضد ايام الاسن بالمبقي لغايته فكاك رقابهم من النار من قبل ان يغلق رهائنها بابوابها وقد علمت وجه الاستعارة للازمن ههنا ثم في الامر بالسهر وكنى به عن قطع الليل بالعبادة كقوله تعالى ومن الليل فتهجد له وسبحه ليلا طويلا وانما خص الليل لانه مظنة الخلوة بالله والفراغ من الناس ولان النهار محل عبادة اخرى كالجهاد والكدح للعيال ثم بتضمير البطون وكنى به عن صيام النهار ثم باستعمال اقدامهم وكنى به عن القيام في الصلاة ثم بانفاق اموالهم

٢ وكنى به عن الصدقات والزكوات في سبيل الله ثم بالاخذ من اجسادهم وكنى به عن اذابتها بالصيام والقيام للصلوات وايثار التقشف المستلزم للاعراض عن تربية هذه الاجساد للاستلزام ذلك حب الدنيا والاقبال على لذاتها ولا شك ان الاخذ من الجسد بهذه العبادات جود على النفس بملكات الخير والقرب من الله ولذلك قال فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها وفي ذكر ان اتعاب الجسد جود على النفس ترغيب فيه ثم استشهد بالايتين على وعد الله بالنصر لمن نصره وبالمضاعفة للاجر لمن قرضه لغد امره بنصر الله بامتثال اوامره وبقرضه بالصدقات ووجه استعارة لفظ القرض كثرة الاوامر الالهية الطالبة للصدقات فاشبهت طلب المحتاج المستقرض وفايدة هذا الاستشهاد الى قوله ايكم احسن عملا اعلامهم بانه الغني المطلق عن عباده وفيما طلبه منهم من نصره وقرضه وبيان غاية العناية الالهية منهم بذلك ومعنى الابتلاء وقد علمت ان ابتلاء الله تعالى لخلقه غير مرة ثم اعاد الامر بالمبادرة الى الاعمال للاخرة لغاية الكون مع خيرات الله في جنته مرافقين لرسله كما قال تعالى وفتحت لهم ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم فادخلوها خالدين ومرافقة رسله كقوله تعالى اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وسماع الملائكة لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وتكرمته اسماعهم ان تسمع حسيس نار ابدا لقوله تعالى لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وصيانة اجسادهم ان تلقى

الثاني فيه ...

لغوبا ونصب لقوله تعالى لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب وقوله ذلك فضل الله الآية اقتباس
للآية ووجه الاقتباس ظاهر وقوله اقول الى آخره خاتمة الخطبة وفيها الاستعانة بالله على النفوس
الامارة بالسوء فهو كافيها وتطويعها للنفوس المطمئنة فانعم المعين ونعم الوكيل ومن كلام له عليه السلام
للبرج بن مسهر الطائي وقد قال بحيث يسمعه لا حكم الا لله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم
فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى اذا نعر الباطل نجمت نجوم
قرن الماعز اقول هو البرج بالباء المضمومة والجيم وقبحه نحاه عن الخير والاثرم ساقط
الثنية والضئيل الصغير الحقير النحيف ونعر صاح ونجم طلع وكان البرج شاعرا مشهورا من شعراء
الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه عليه السلام فزجره وقبحه ودعاه بآفته اهانة له وانتقاصا كما
هو العادة في اهانة ذوي العاهات بذكر آفاتهم وكنى بضئولة شخصه عند ظهور الحق عن خفائه في
زمن العدل بين الجماعة وخمول ذكره وظهور الحق زمان قوة الاسلام وقبل ظهور الفتن ووقوع الباطل
وبخفاء صوته عن عدم الالتفات الى اقواله وحقارته واستعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة
لشبهه في قوته وظهوره بالرجل الصائل الصائح بكلامه عن جرأة وشجاعة وشبه ظهوره بين الناس
وارتفاع ذكره عند ظهور الباطل وقوته بظهور قرن الماعز في السرعة بغتة اي طلعت بلا شرف
ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة كنبات قرن الماعز ومن البلاغة تشبيه من يراد اهانته بالمهين الحقير
وتشبيه من يراد تعظيمه بالعظيم الخطير وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
روي ان صاحبا لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلا عابدا فقال يا امير المؤمنين صف لي
المتقين حتى كأني انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال عليه السلام يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك حتى عزم عليه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه
ثم قال عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من
معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا
مواضعهم فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا ابصا
رهم عما حرم الله تعالى عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في
الرخاء لولا الاجل الذي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب وخوفا
من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها
منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسا
دهم نحيفة وانفسهم عفيفة صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم
ربهم ارادتهم الدنيا ولم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين
لاجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق
ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها

تخويف

تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم فهم حانون على
اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقا
بهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى
وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون
الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احدهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسي
من غيري وربي اعلم بي مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما
لا يعلمون فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم
وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا
عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا
ويصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة وفرحا بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه
نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم و
القول بالعمل تراه قريبا امله قليلا زلله خاشعا قلبه قانعة نفسه منزورا اكله سهلا امره حريزا
دينه ميتة شهوته مكظوما غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في
الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من
قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه مقبلا خيره مدبرا شره في الزلازل وقور
وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل
ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت
بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته وان
بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب نفسه لآخرته
واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس
تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت
نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام اما والله لقد كنت اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ
البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال ويحك ان لكل اجل وقتا لا
يعدوه وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك اقول من
ههنا اختلفت نسخ النهج فالذي منها تكون هذه الخطبة فيها اول المجلد الثاني منه بعد الخطبة المسماة بالقا
صعة وتكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر الطائي قوله ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا تدركه
الشواهد ولا تحويه المشاهد وكثير من النسخ ليس هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه عليه السلام للبرج بن مسهر
ومن آخر تلك الخطبة ويكون بعد قوله ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه ويتصل ذلك
الى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة ثم يليه قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام ورسائله وعليه

فقنفهر

٢٢٧ جماعة من الشارحين كالامام قطب الدين ابي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد وقا
في هذا التركيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ الصحيحة فاما همام رحمه الله فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرة
ابن عمرو بن جابر بن عوف الاصهب وكان من شيعته علي عليه السلام واوليائه ناسكا عابدا وتثاقله عليه
السلام عن جوابه لما راى من استعداده وتقية لاثر الموعظة وخوفه عليه ان تخرج بخوف الله الى ان عاج نفسه
وضعف قوتها فاستوفاه بتقوى الله اي في نفسه ان يصيبه فادح بسبب سؤاله واحسن اي احسن اليها
بترك تكليفها فوق طوقها ولذلك قال له عليه السلام حين صعق همام اما والله لقد كنت اخافها عليه فحيث
لم يقنع همام بالايجاز وعزم عليه بان الح عليه في السؤال واقسم اجابه فان قلت كيف جاز
منه عليه السلام ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب انما يعطي كلا من المرضى بحسب طبيعته من الدواء
قلت انه لم يكن يغلب على ظنه عليه السلام الا الصعقة عن الوجد الشديد فاما ان تلك الصعقة فيها
موته فلم يكن مظنونا له وانما قدم بيان كونه تعالى غنيا عن الخلق في طاعتهم وآمنا منهم في معصيتهم لانه كان
لما كانت اوامره تعالى بالتقوى او اكثرها تعود الى الامر بتقواه وطاعته وكان اشرف ما يتقرب اليه
البشر بالتقوى وهو في معرض صفة المتقين فربما خطر ببعض اوهام الغافلين ان لله تعالى في
تقواه وطاعته منفعة وبمعصيته مضرة فصدر الخطبة بتنزيهه تعالى عن الانتفاع والتضرر وقد سبق
تنزيهه عن ذلك غير مرة وقسم الى قوله مواضعهم تقرير وتاكيد لكمال غناه عنهم لانه اذا كان
هو مبدأ خلقهم وقسمة معايشهم ووضعهم من الدنيا في مراتبهم ومنازلهم من غني وفقير وشريف
ووضيع فهو الغني المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ثم اخذ في غرض الخطبة وهو وصف المتقين فوصفهم بالوصف المجمل
وقال فالمتقون فيها اهل الفضائل اي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوتي العلم والعمل
ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل وبدأها فالاولى الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان
وحاصله انه لا يسكت عما ينبغي ان يقال فيكون مفرطا ولا يقول ما ينبغي ان يسكت عنه فيكون مفرطا
بل يضع كلا من الكلام في موضعه اللائق به وهو اخص من الصدق لجواز ان يصدق فيما لا ينبغي من القول
الثانية وملبسهم الاقتصاد وهو فضيلة العدل في الملبوس ولا يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين
ولا ما يلحقه باهل الخسة والدناءة مما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا الثالثة مشيهم التواضع والتواضع
ملكة تحت العفة تعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي التواضع يستلزم السكون والوقار عن
تواضع لفهمهم الرابعة غضوا ابصارهم عما حرم الله وهو ثمرة العفة الخامسة وقوفهم اسماعهم على
اسماع العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع والعلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية من العلم الالهي
وما يناسبه وما هو كمال القوة العملية وهي الحكمة العملية كما سبق بيانها السادسة نزلت انفسهم
منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء اي لا ينقطعون بل لا يشكون ولا يسخطون بوجه ما يصيبهم بل هم في الحالين
مقام الشكر والذي صفة مصدر محذوف والضمير العائد اليه محذوف ايضا والتقدير نزلت كما

كالنزول

كالنزول الذي نزلته في الرخاء ويحتمل ان يكون المراد بالذي الذين فحذف النون كما جاء في قوله تعالى كالذي خاضوا و
يكون المقصود تشبيههم حال نزول انفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء والمعنى واحد
السابعة غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم الى غاية ان ارواحهم لا تستقر في
اجسادهم من ذلك لولا الاجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف اذا بلغ الى حد الملكة فانه يستلزم
دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا ومبداهما تصور عظمة الخالق وبقدر ذلك يكون تصور عظمة وعظم
وعده ووعيده وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان عظيمان للجنة الثامنة عظم
الخالق في انفسهم وذلك بحسب الجواذب الالهية الى الاستغراق في معرفته ومحبته وبحسب تفاوت ذلك
الاستغراق يكون تفاوت تصور العظمة وبحسب تصور عظمته تعالى يكون صغر ما دونه ونسبته اليه في
اعين بصائرهم قوله فهم والجنة كمن قد رآها الى قوله معذبون اشارة الى انهم وان كانوا في الدنيا
بجثمانهم فهم في مشاهدتهم بعين بصيرتهم لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا
الجنة بعين حسهم وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها وهي مرتبة عين اليقين وبحسب
هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من النار التاسعة حزن قلوبهم وذلك لثمرة الخوف
الغالب العاشرة كونهم مامونين الشرور وذلك ان مبدا الشرور محبة الدنيا واباطيلها والعارفون
بمعزل عن ذلك الحادية عشر نحافة اجسادهم ومبدا ذلك كثرة الصيام والسهر وخشونة المطعم وخشونة
الملبس وهجر الملاذ الدنيوية الثانية عشر خفة حاجاتهم وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على
القدر الضروري من ملبس ومأكل ولا اخس من هذه الحاجة الثالثة عشر عفة انفسهم وملكة العفة
فضيلة القوة الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور الرابعة عشر الصبر على المكاره
ايام حياتهم من ترك الملاذ الدنيوية واحتمال اذى الخلق وقد عرفت ان الصبر مقاومة النفس الامارة
بالسوء لئلا تنقاد الى قبائح اللذات وانما ذكر ثمرة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيبا فيه
وتلك الراحة بالسعادة في الجنة كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا قوله تجارة مربحة
واستعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال اوامر الله ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع الدنيا
وبحركاتهم في العبادة متاع الاخرة ورشح بلفظ الربح لافضلية متاع الاخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه و
ظاهر ان ذلك بتيسير الله لاسبابه واعدادهم له بالجواذب الالهية الخامسة عشر عدم ارادتهم للدنيا
مع ارادتها لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقي وهو ملكة تحت العفة وكنى بارادتها لهم عن كونهم اهلا لان
يكونوا فيها رؤساء واشار الى قضاة ووزراء ونحو ذلك وكونها بمعرض ان تصل اليهم لو ارادوها ويحتمل ان يريد
ارادهم اهل الدنيا فحذف المضاف اليه السادسة عشر افتداء من اسرته انفسهم منها وهو اشارة
الى من تركها وزهد فيها بعد الابتلاء بها فيها والاستمتاع بها فكنى بذلك التوكل والاعراض والتوفر
على طاعة الله اغلال الهيئات الردية المكتسبة منها عن اعناقهم ولفظ الاسر استعارة في تمكن تلك الهيئات
من نفوسهم ولفظ الفدية لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها والمواظبة على طاعة الله وانما عطف بالواو

في قوله ولم يكن يريد ذكرا وبالقرار في قوله فقد قدروا لان زهد الانسان في الذنب كما يكون متأخرا عن ارتكابها عليه كذلك
قد يكون متقدما عليه لقوله صلى الله عليه وسلم من جعل الآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة
فلم يحسن العطف منا بالباء وأما العذبة فلما لم تكن الا بعد الاستيلاء لا جرم عطفها بالقرار السابعة عشر كونهم
صافين اقدامهم بالليل يتلون القرآن ويرتلونه الى قوله آذانهم وذلك اشارة الى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء بالعبا
دات وشرح الكيفية استمدادهم للقرآن العزيز في تلاوته وعلمهم بانه لا يفهم مقاصده وتحزنهم لانهم
بعد ذكر الوعيدات من جملة استمدادهم لدواء دائهم ولما كان داؤهم من الجهل وسائر الرذائل العملية كان
دواء الجهل العلم ودواء الرذائل الحصول لخط الفضائل المضادة فهم بتلاوة القرآن يستثيرون بالحزن الخوف
من وعيد الله المضاد للانهماك في الدنيا ودواء العلم الذي هو دواء الجهل وكذلك فصل حيث القرآن
عليها فهي دواء لما يضادها من الرذائل وباقي الكلام شرح الكيفية التحزين والتشويق **وقوله** فهم حانون
على اوساطهم ذكر الكيفية ركوعهم **وقوله** مفترشون لجباههم الى قوله افكاكهم اشارة الى كيفية سجودهم
وذكر الاعضاء السبعة **وقوله** يطلبون الى قوله رقابهم اشارة الى غايتهم من عبادتهم تلك الثامنة عشر
من صفاتهم كونهم حلماء واراد الحكمة الشرعية وما فيها من كمال القوة العلمية والعملية لكونها المتعارفة بين
الصحابة والتابعين وذوي حلم والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي التوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب
وانما خص الليل بالصلاة لكونها اولى بمهابة العابد كما سبق التاسعة عشر كونهم علماء واراد كمال القوة النظرية
بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته العشرون كونهم ابرارا والبر يعود الى العفيف لمقابلة الفاجر
الحادية والعشرون كونهم اتقياء والمراد بالتقوى هنا الخوف من الله وقد سبق ذكر العفة والخوف وانما كررهما
هنا في عداد صفاتهم بالعباد وذكرها هنا في صفاتهم المطلقة **وقوله** قد براهم الخوف الى قوله عظيم
شرح لفعل الخوف الغالب بهم وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن عن النظر في
صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل وشبه بري الخوف لهم ببري القداح ووجه
الشبه من النحافة ويتبع ذلك تغير السحنات والضعف من الانفعالات النفسانية من الخوف والحزن
حتى يحسبهم الناظر مرضى والله لم يكن بهم مرض ويقول قد خولطوا وذلك اشارة الى ما يعرض لبعض العا
رفين عند اتصال نفسه بالملأ الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط حركاته ان يتكلم بكلام خارج عن
المتعارف بين اهل الشريعة الظاهرة فينسب ذلك منه الى الاختلاط والجنون وتارة الى الكفر و
الخروج عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلاج وغيره **وقوله** ولقد خالطهم امر عظيم وهو
اشتغال اسرارهم بملاحظة جلال الله ومطالعة انوار الملأ الاعلى الثانية والعشرون كونهم لا يرضون
العليل الى قوله الكثير وذلك لتصورهم شرف غايتهم المقصودة باعمالهم **وقوله** فهم لانفسهم متهمون
الى قوله مما لا يعلمون فتهمتهم لانفسهم وخوفهم من اعمالهم يعود الى شكهم فيما تحكم به اوهامهم من حسن عبادتهم
وكونها مقبولة او واقعة على الوجه المطلوب الموصل الى الله تعالى فان هذا الوهم يكون مبدأ للعجب بالعبادة و
التقاصر عن الازدياد من العمل والشك في ذلك وتهمة النفس بالتقصير يهيج ذلك الحكم للنفس الامارة

يستلزم

تستلزم خوفها ان تكون تلك الاعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغيره واقعة عليه وذلك باعث على العمل والاجتهاد
للعجب به وقد عرفت ان العجب من المهلكات كما قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه ولذلك خوفهم من تزكية الناس لهم وهو الدواء لما ينشأ عن تلك التزكية من الكبر والعجب
بما يزكون به ويكون جواب احدهم عند تزكيته انا اعلم بنفسي من غيري الى آخره ثم شرع بعد ذلك في علاماتهم التي
يحملها يعرف احدهم والصفات السابقة وان كان كثير منها مما يعرف احدهم ويعرف به الا ان بعضها
قد يتخلله الرياء فلا يدل على التقوى لاحتمال يجمعها ههنا ونسقها فالاول القوة في الدين وذلك ان يقاوم في دينه
الوساوس الخناس ولا يدخل فيه خداع الناس وحده انما يكون في الدين العام الثانية الحزم في الامور الدنيوية
والدينية والسياسة بها ممزوجا باللين المحاسن وعدم المضايقة عليهم كما في المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا
مرا فتلفظ وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق وقد علمت ان اللين قد يكون للتواضع المطلوب لقوله
واخفض جناحك للمؤمنين وقد يكون عن مهانة وضعف نفس والاول هو المطلوب وهو المقارن للحزم في
الدين ومصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب الثالثة الايمان
في اليقين ولما كان الايمان عبارة عن التصديق بالصانع وبما وردت به الشريعة وكان ذلك التصديق قابلا
للشدة والضعف فتارة يكون عن التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد
المطابق لموجب هو الدليل وتارة عن العلم به مع العلم بانه لا يكون الا كذلك وهو اليقين ومحققوا السالكين لا
يقفون عند هذه الرتبة بل يطلبون عين اليقين بالمكاشفة بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها اراد ان علمهم
علم اليقين لا يتطرق اليه احتمال الرابعة الحرص في العلم والازدياد منه الخامسة مزج العلم وهو فضيلة
القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية السادسة القصد في الغنى وهو فضيلة العدل في استعمال
متاع الدنيا وصرف الفضول عن قدر الضرورة السابعة الخشوع في العبادة وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود
وملاحظة عظمته الذي هو روح العبادة الثامنة التجمل في الفاقة وذلك بترك الشكوى الى الخلق والطلب
منهم واظهار الغنى عنهم وينشأ عن القناعة والرضاء بالقضاء وعلو الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد
الآجل وما اعده للمتقين التاسعة الصبر في الشدة العاشرة الطلب في الحلال وينشأ عن
العفة الحادية عشر النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله وينشأ عن قوة الاعتقاد فيما وعد المتقون و
تصور شرف الغاية الثانية عشر عمل الصالحات على وجل اي خوف ان يكون على غير الوجه اللائق فلا يتقبل
كما روي عن زين العابدين عليه السلام انه كان في التلبية وهو على راحلته فخر مغشيا عليه فلما افاق قيل له
ذلك فقال خشيت ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك الثالثة عشر ان يكون همهم عند المساء الشكر على ما
رزقوا بالنهار وما لم يرزقوا ويصبحوا وهمهم الذكر ليذكرهم الله بخير رزقهم من الكمالات النفسانية و
البدنية كما قال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون الرابعة عشر ان
يبيت حذرا ويصبح فرحا **وقوله** حذرا الى قوله الرحمة تفسير للحذر وما به الفرح وليس مقصوده
تخصيص اثبات الحذر والصباح بالفرح بل كما يقول احدنا يمسي فلان ويصبح حذرا فرحا ولا تخصيصه

التكرر بالمساء والذكر بالصباح يحتمل ان لا يكون مقصودًا الحادي عشر قوله ان استضعف الي قوله تجنب
اشارة الي مقاومته لنفسه الامارة بالسوء عند استضعافها عليه وقهرها له على ما تكره وعدم مطاوعته
لها في ميولها الطبيعية ومحابها السادسة عشر ان يبقي قرة عينه فيما لا يزول اي من الكمالات المقتنا به الباقيه
كالعلم والحكمة ومكارم الاخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه
باستلاحتها لقوابل العين وبردها برؤية المطلوب وزهادته فيما لا يبقي من انقطاع الذات السابعة عشر ان يمزج
العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول بالعمل ولا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف ويقف دونه ولا ينهي عن
منكر ثم يفعله ولا بعد فيخلف فيدخل في مقت الله كما قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
الثامن عشر قصير امله وقربه وذلك للزوم ذكر الموت والوصول الي الله التاسعة عشر قلة زلله وقد عرفت ان
زلل العارفين يكون من باب ترك الاولي لان صدور الخيرات عنهم صار ملكة والجواذب فيهم الي الزلل والخطايا
نادرة تكون لضرورة منهم او سهو ولا شك في قلته العشرون خشوع قلبه عن تصور عظمة المعبود وجلاله
الحادية والعشرون قناعة نفسه وذلك عن ملاحظة حكمة الله في قدرة وقسمته الارزاق ويعين عليها تصور
فوائدها الحاضرة وغايتها في الاخرة الثانية والعشرون قلة اكله وذلك لما يتصور في البطنة من ذهاب
الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة والكسل عن العمل الثالثة والعشرون سهولة امره اي لا يتكلف لاحد ولا
يكلف احدا الرابعة والعشرون حرز دينه فلا يحمل منه شيء ولا يتطرق اليه خلل الخامسة والعشرون موت
شهوته ولفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما خرج عليه يعود الي العفة السادسة والعشرون كظم غيظه
وهو من فضايل القوة الغضبية السابعة والعشرون كونه مأمول الخير وذلك لانه خير به مأمون
الشرور وذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشرور الثامنة والعشرون قوله ان كان من الغافلين الي قوله
الغافلين اي ان رأه الناس في عداد الغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان كتب عند الله من الذاكرين
لاشتغال قلبه بالذكر وان تركه بلسانه وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر ان لا يكتب من الغافلين
والذكر انه مادح كثير ومقوياب عظيم من ابواب الجنة والاتصال بجناب الله وقد اشرنا الي فضيلته
وابوابه التاسعة والعشرون عفوه عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت الشجاعة وخص من ظلمه
لتحقق عفوه مع قوة الداعي الي الانتقام المطلوب يعطي من حرمه وهي فضيلة تحت السخا الحادية
والثلاثون ويصل من قطعه والمواصلة فضيلة تحت العفة الثانية والثلاثون بعد فحشه وازاد ببعده
الفحش عند الله فلا يخرج في اقواله الي ما لا ينبغي الثالثة والثلاثون لينه في القول عند محاورات الناس
ومعظم معاملتهم وهو من اجزاء التواضع الرابع والثلاثون غيبة منكره وحضور معروفه وذلك للدوم
حدود الله الخامسة والثلاثون اقباله خيره وادباره شره وهو لقوله الخير منه مأمول والشر منه مأمون ويحتمل
ان يريد باقبال خيره اخذه في الانذ يادمن الطاعة وتمنيه منها وبقدر ذلك يكون ادباره عن الشر لان من
استقبل امرا ومضى فيه بعد عما يضاده وادبر عنه السادسة والثلاثون وقار في الزلازل وهي
الامور العظام والفتن الشداد المستلزمة لاضطراب القلوب واحوال الناس والوقار ملكة تحت الشجاعة

السابعة والثلاثون كثير صبر في المكاره وذلك عن شجاعة وعلو همته من احوال الدنيا الثامنة والثلاثون
كثير شكره في الرخاء وذلك لمحبة المنعم الاول جلت قدرته فيزداد شكره في رخائه وان قل التاسعة والثلاثون
كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب الحيف والظلم مع قيام الداعي اليهما وهو البغض لمن يمكن حيفه
وظلمه الاربعون كونه لا يأثم فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب اما باعطائه
ما لا يستحق او دفع ما يستحق عليه عنه خاصته فضلة السنو وامرا والجور فالمتقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام
الداعي اليه وهو المحبة لمن يحبه بل يكون على فضيلة العدل في الكل على سواء الحادية والاربعون اعترافه بالحق
قبل ان يشهد عليه وذلك لتحرزه في دينه من الكذب اذ الشهادة انما يحتاج اليها مع انكار الحق وذلك كذب
الثانية والاربعون كونه لا يضيع ما استحفظ ولا يفرط فيها استحفظه الله من دينه وكتابه وذلك لورعه ولزوم حدود
الله الثالثة والاربعون ولا ينسي ما ذكر من ايات الله ووعده وامثاله ولا يترك العمل بها وذلك لمداومته ملاحظتها
وكثرة اخطارها بباله والعمل بها لغاية المطلوبة منه الرابعة والاربعون ولا ينابز بالالقاب ولشر ذلك
الذي وهو كون ذلك مستلزما لاثارة الفتن والتباغض بين الناس والعداوة المضادة لمطلوب الشارع
الخامسة والاربعون ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب ووصية
رسول الله صلى الله عليه في المرفوع اليه اوصاني ربي بالجار حتى ظننت انه يورثه والغاية ذلك رعي الالفة ولا
تجاهد في الدين السادسة والاربعون ولا يشمت بالمصايب وذلك لعلمه باسرار القدر وملاحظته لاسباب
المصايب والذي في معرض ان تصيبه فيتصور اشدها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره السابعة والاربعون
انه لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحق اي لا يدخل فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب
اليه من مطالب الحق وذلك لتصوره شرف غايته الثامنة والاربعون كونه لا يتبعه صمته لوضعه ولان الصمت
والكلام في موضعه واما يستلزم الغم الصمت عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه التاسعة والاربعون
كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه وهما نقل من صفات الرسول صلى الله عليه كان
ضحكه التبسم وقد يفتح احيانا ولم يكن من اهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان في الضحك الخمسون
صبر في البغي عليه اي الي غاية انتقام الله له وذلك منه نظرا الي ثمرة الصبر والي الوعد الكريم وذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الحادية والخمسون كون نفسه
منه في عناء اي نفسه الامارة بالسوء لمقاومتها وقهرها ومراقبته ايّاها والناس من اداه في راحة لذلك الثانية
والخمسون كون تباعده عمن تباعد عنه لزهده فيما في ايدي الناس ونزاهته عنه لا عن كبر وتعظم عليهم وكذلك
دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لا لمكر بهم وخديعة لهم عن بعض المطالب كما هو عادة الخبيث
الملكة وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها ولكن تورد بعبارة اخرى او تذكر بعد ذكره ثم
تذكر ثانيا مركبة مع غيرها وبالجملة فهذه الخطبة من جليل خطبه وبليغ وصفه ولذلك فعلت بهمام ما فعلت
فاما جوابه عليه السلام من قال له فقوله ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه اي ينتهي اليه ويكون غاية له ولا
يتجاوزه ها ولا يتأخر عنها والضمير في تعدوه للاجل وسببا لا يتجاوزه اي ولذلك الاجل سبب اي علة فاعلة له

بعدها الى غير ذلك من الاسباب فمنها ما يكون موعظة بالغة بليغة فهو جواب مقنع للسامع مع انه حق وصدق
وهو اشارة الى السبب الابعد لبكائه عليه السلام عند سماع المواعظ البالغة وهو الامل المعلوم به للقضاء الالهي
واما السبب القريب المعروف بينه وبين همام وبحق فقوة نفسه القدسية على قبول الواردات الالهية وتعوده
بها وبلوغ رياضته حد الملكة عند ورود اكثر ما وصفت نفس همام مما ورد عليه من خوف الله ورجائه ولم
يجب عليه السلام بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفصيل نقصه او لقصور لفهم السائل ونهيه له عن مثل هذا
السؤال والتنفير عنه من نفثات الشيطان لوضعه له في غير موضعه وهو من اثار الشيطان وبالله العصمة
والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين** نحمده على ما وفق له من الطاعة
وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما وبحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله
خاض الى رضوان الله كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون وتألب عليه الاقصون
وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار
واسحق المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون
يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية وصفاحهم
نقية يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدو
البلاء ومقنطو الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون
الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا الحفوا وان عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا
ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس
ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا
المضيق فهم لمة الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
اقول ذاد طرد والغمرة من كل شيء معظمه واسحق المزار ابعده والسحق بضم السين البعد وكذلك
بضم الحاء ويعمدونكم يقيمونكم والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم المراصد ويتطلعون
لكم والضراء ما واراك من الشجر الملتف والالحاف الاستقصاء في السؤال والشجو الحزن والاعلاق جمع
علق وهي السلعة الثمينة والتمويه التزيين والتلبيس واضلعوا المضيق اضلاعا اي عوجوه واما لوه
وهو ضلع اي مائل وضلع بفتح اللام اي معوج خلقه واللمة بالتخفيف الجماعة وحمة النيران بالتشديد
معظم حرها وبالتخفيف سم العقرب وقد حمد الله تعالى باعتبارين احدهما التوفيق لطاعته التي هي
سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته التي هي سبب الخسران والاخسر وذلك الذود اثار التوفيق
او عدم اسباب المعاصي وعدم الاعداد لها والكل منه سبحانه ثم سأل اتمام النعم لما يشكر من النعمة مقتديا
الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم والاعتصام بحبله المتين وهو الدين القويم العاصم [illegible]
به عن الهوى في مهاوي الهلاك ودركات الجحيم واردف ذلك بشهادة الرسالة وشرح حال الرسول
صلى الله عليه في اداء رسالته واستعار لفظ الغمرة لمعظم الشدائد والمكاره المتداولة المجتمعة

حين

حين بعثه صلى الله عليه ملاحظة لشبهها بالغمرة من الماء ورشح بذكر الخوض وكنى به عن مقاساته للمتاعب الكثيرة
وملاقاته للنوائب من المشركين في بدو دعوته وكنى بالغصص عن عوارض الغموم له من ملاقاة المتاعب وكنى بتلون
الادنين عن تغير قلوب اقربائه عليه حينئذ بضروب التغيرات وتألب الاقصين عليه باجتماع الاباعد
عنه من العرب وانضمامهم من اقصى البلاد الى حربه **وقوله** وخلعت العرب اعنتها الى قوله رواحلها مثلا
كنى بها عن المسارعة الى حربه لانه اقوى عدو الخيل اذا خلعت اعنتها واقوى عدو الرواحل اذا ضربت بطونها وفيه
ايماء الى انهم اتوه فرسانا وركبانا مسرعين الى حربه **وقوله** حتى انزلت بساحته عداوتها اي حروبها
وشرورها التي هي ثمرة العداوة واطلق لفظ العداوة على الحرب مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن
طالع كتب السير علم ما لاقى رسول الله صلى الله عليه في ذات الله سبحانه من المشاق فاستهزاء قريش به في اول
الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى ادموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وفتل الثوب
في عنقه وحصره هو واهله في شعب بني هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم
حتى كادوا يهلكون جوعا لولا بعض من كان يحنو عليهم لرحم او لسبب آخر فكان يسرق لهم القليل من الدقيق
او التمر فيلقيه اليهم ليلا ثم ضربهم لاصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق في الشمس وطردهم اياه عن شعاب مكة
حتى خرج بعضهم الى الحبشة وخرج هو عليه السلام مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببني عامر وتارة بربيعة
الفرس وبغيرهم ثم اجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا اهله واولاده و
اهله ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه الحرب ورموه بالمناسر وضربوا اليه آباط الابل
حتى اكرمه الله ونصره وايد دينه واظهره ثم عقب عليه السلام بالوصية بتقوى الله والتحذير من المنافقين
ونبه بذكر معايبهم ليعرفوا فيجتنبوا ويحصل النفار عنهم فانهم الضالون اي المنحرفون عن سبيل الله لعدم الاهتداء وايضا
المضلون لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذلك الزالون المزلون وكنى بتلونهم الوانا عن تغير اتهم في افعالهم و
اقوالهم من حال الى حال بحسب اغراضهم الفاسدة فيلقون كلا بوجه ولسان غير الآخر وكذلك تفننهم
الافتنان افعالهم وحالاتهم بحسب تشعب اغراضهم واراد بعمدهم لهم قصدهم بكل مكروه على وجه الحيلة
والخدعة وترصدهم لهم بكل مرصاد تتبع وجوه الحيل في اهلاكهم واذاهم وبكون قلوبهم دوية وصفاحهم
نقية اشتمال نفوسهم على الادواء النفسانية من الحسد والحقد والمكر والخديعة واعمال الحيلة مع اظهار
البشاشة والصداقة والمحبة والنصيحة لهم وهذا هو الضابط في النفاق وهو ان يظهر الانسان بلسانه امرا
حسنا محمودا ويبطن خلافه واراد بصفاحهم وجوههم وبنقائها سلامتها عن سيماء [illegible] **وقوله**
يمشون الخفاء كناية عن كون حركاتهم القولية والفعلية فيما يريدونه في خفاء عن افهام الناس وكذلك قوله و
يدبون الضراء والخمر والضراء استعيرتا [illegible] على الطرف [illegible] بان لن يحتال عليه ويخدعه **وقوله**
وصفهم دواء الى قوله العياء اي اقوالهم اقوال الزاهدين العابدين من الموعظة والامر بالتقوى وطاعة الله الذي هو
دواء من داء الضلال وشفاء منها وافعالهم افعال الفاسقين الضالين من معصية الله التي هي الداء الاكبر والعياء
الذي يعيي الاطباء **وقوله** حسدة الرخاء اي اذا رأوا [illegible] حسدوه ومؤكدو البلاء اذا كان رأوا به

علاوة اكده بالسعاية والثالب عليه ورزي ومولد وا ومتوطاهر ومقنطو الرجاء اي اذا رجا راج امرا ففي
طباعهم ان يقنطوه ويوبسوه منه وهذا شان المنافق الكذاب ان يبعد القريب ويقرب البعيد وقوله لهم
بكل طريق صريع كناية عن كثرة من يقتلونه او يؤذونه بخديعتهم ومكرهم وكنى بالطريق اما عن كل
مقصد يقصدونه او عن كل حيلة احتالوها وكيد يكيدونه فانه لابد ان يستلزم اذى وقوله والى كل قلب
شفيع اي ان من شان المنافق ان يتخذ الى كل قلب ذريعة ووجها غير الآخر فيكون صديق الكل حتى المتعا
دين ليتوصل بذلك الى اثارة الفتن واتباع الشر بينهم ونحو ذلك بغية الاغراض الكل ولذلك لهم لكل
شجو دموع كناية عن توجعهم لكل شجو وتوصلهم بذلك الى اغراضهم وان كان اهل الشجو اعداه وقوله
يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء اي يثني احدهم على الآخر عليه ويترقب ذلك منه الجزاء من صاحبه على
ثنايه وقوله ان سالوا الحفوا اي الحوا في السؤال وهو من اللوم خلاف قال تعالى لا يسالون الناس الحافا وقوله
وان عذلوا كشفوا اي اذا عذلك احدهم كشف لك عيوبك في ذنب العذل وجبهك بها وربما ذكرها بحضرة من لا
تحب ذكرها معه واشار الى الناصحين الذين يعرضون بالذنب عند العتاب تعريضا لطيفا دون التصريح
وان حكموا اسرفوا اي اذا ولي احدهم ولاية اسرف فيها بالظلم والاهمال في ما وكل وشابه وعبر في ... باب
الادب الى حد الافراط من فضيلة العدل وذلك لجهله بالعواقب ونقصانه لان الغاية اسرف ماهو فيه قد اعدوا
لكل حق باطلا اي من الشبه يموهون عليه ويغطونه بها ولكل حي قاتلا اي سببا يميتونه به والى
امر من الامور ... ويقوم اذا ارادوا فساده ولكل باب مفتاحا من الحيل والخديعة ولفظ
المفتاح مستعار ولكل ليل مصباحا ولفظ الليل مستعار لما اشكل من الامور واظلم وكذلك لفظ المصباح
للراي الذي يوصلون به في ذلك الامر ويهتدون الى وجهه كراي عمرو بن العاص على معوية ليلة الهرير برفع
المصاحف ودعوتهم اهل العراق الى ان يحاكموهم الى كتاب الله فلم يكن لذلك الامر المشكل الا ذلك الراي
الصعب ويتوصلون الى الطمع باليأس اي باظهار اليأس عما في ايدي الناس والزهد فيه كما يفعله كثير
من زهاد الوقت ووصفهم بالصفة التي هي ابلغ ما يكون في وصف النفاق والحيلة وقوله ليقيموا به
اسواقهم استعار لفظ الاسواق لاحوالهم في معاملة الخلق من اخذ واعطاء فانه متعلم ذلك يقيمها
بين الناس ويروجها عليهم وكذلك ينفقوا به اعلاقهم ولفظ الاعلاق مستعار لما يزعمون انه نفيس
من آرائهم وحكمهم الخارجة عن اوامر الله وقوله يقولون الى قوله يموهون اي يوقعون باقوالهم الشبه
في القلوب ويزخرفون عليهم الباطل بصورة الحق وقوله قد هونوا الطريق اي قد عرفوا كيف يسلكون
في مقاصدهم من الآراء والحيل واضلعوا الطريق اي عوجوا مضايقها وكنى بمضايقها عن دقايق المقاصد في
الامور وبعوجها عن انهم اذا ارادوا الدخول في امر ضيق اظهروا انهم يريدون غيره تعمية على الغير وليست
ان يقف على وجه الحيلة فيفسد مقصودهم وقوله فهم لمة الشيطان اي جماعته وانصاره و
حمة النيران مستعار لعظم شرورهم ووجه المشابهة استلزامها الاذى البالغ وكذلك حمة ...

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي اظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير

مقل العقول من عجايب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته واشهد ان لا اله الا الله
شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى
دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد صلوات الله
وسلامه عليه واعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم واحصى
احسانه اليكم فاستفتحوه واستنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق
عنكم دونه باب وانه لبكل مكان وفي كل حين وزمان ومع كل انس وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه
الحباء ولا يستنفده سائل ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت
ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا توله رحمة عن عقاب ولا تجنه البطون عن
الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن
لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها الزمام والقوام
فتمسكوا بوثايقها واعتصموا بحقايقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان السعة ومعاقل الحرز
ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له الاقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور فتزهق
كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها قاعا
سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم يدفع ولا معذرة تنفع **اقول** مقل العين شحمتها والمقلة تجد
النقش مع ... خفي لا نفهمه والطامسة كالدارسة والحباء النوال والزاخلق والمعقل الملجأ والصروم
جمع صرم وصرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين والعشار النوق التي عليها بعد طروق الفحل عشرة اشهر
والشوامخ الجبال العالية ومعهدها ما كان متمكنا منها وقاعا خاليا والسملق الصفصف المستوي ليس
بعضه ارفع من بعض وقد حمد الله تعالى باعتبار اظهاره من آثار ملكه وسلطانه ما اظهر من ملكوت السموات
والارض وترتيب العالمين على وجه النظام الاتم ما هو محل العجب العجيب الذي تحار الافكار البصاير
في كيفية وقوعه عن القدرة الالهية وفي ترتيبه في النظام الاكمل بل في كل مخلوق منها فهو محل ذلك التعجب و
التحير ولفظ المقل مستعار ونسبة ذلك الى جلال كبريايه من باب ... ان السلطان والعظمة والكبريا
من باب صدور الآثار العظيمة العجيبة المحكمة عنها وردع خطرات هماهم النفوس اي ما يخطر للنفوس فيهمهم
به وردعه لها استلزام كماله المطلق عجزها عن ادراك حقيقته وقد سبق ذلك غير مرة ثم شهد بكلمة التو
حيد معتبرا فيها اربعة امور احدها كونها شهادة ايمان اي يطابق فيها العقد القلبي الثاني وايقان
اي يكون اعتقادها يقينيا وهو اعتقاد ان لا اله الا هو مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون ذلك المعتقد الا كذلك
الثالث واخلاص وهي ان يخلص عن ذلك المعتقد كل امر عن درجة الاعتبار ولا يلاحظ معه غيره
الرابع واذعانه والاذعان ثمرة ذلك الاخلاص وكماله ويتفاوت بتفاوته ويعود الى ... الطاعات
... التي هي ... تلك الكلمة وتوابعها ثم اردفها باختها وذكر الاحوال التي كان العالم عليها حين
... اشرف تنبيها على فضيلة الرسول صلى الله عليه واستعار اعلام الهدى لايمة الدين

الهادين الى سبيل الله ولفظ المناهج لقوانين الشريعة التي يسلك فيها جزئيات الاحكام ولفظ دروسها
وطموسها لاضمحلالها قبل البعثة والرواج واعلام الضلال فصدع بما جاء به من الحق ما صلب من الباطل
ونصح الخلق ليردهم عن غواياتهم الى صراط الله وهداهم الى الرشد في سلوكه وامرهم بالعدل والاستقا
مة عليه ثم نبه السامعين اجمالا على ان خلق الله تعالى لهم ليس ضالا عن غاية وانهم لم يرسلوا في الدنيا
مهملين عن انس يرادبهم كالبهائم البهيمية ثم على علمه بما تعم عليهم كمية وكيفية واحصائه لها
عددا ليجزيهم على شكرها ولذلك قال فاستفتحوه اي اطلبوا منه ان يفتح عليكم ابواب بركاته ونصره
واستنجحوه اي اطلبوا منه نجاح حاجاتكم واطلبوا اليه اي اطلبوا الهداية الى حضرته ووجوه مرضاته واستمنحوه
ان يعطيكم كالكرم كل ذلك بالشكر وسائر العبادات التي بها الاستعداد لافاضة رحمته **وقوله**
فما يقطعكم عنه حجاب الى قوله لكلال اظهار لوجوه كماله وعظمته وتنزيه له عن صفات المخلوقين
المحدثين وتقريب له من عباده ليطلبوا منه والبه ويستنجحوه ويستمنحوه وتنفتح امالهم منه واذ لم يكن
تعالى متحيزا فلا حجاب دونه ولا باب ولانه بكل مكان في حالة واحدة اي بعلمه المحيط لاستحالة ذلك في
التحيز وفي كل حين واوان بمعنى مساوقة وجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفية له لتنزهه تعالى عن لحوق
الزمان المتاخر عنه بمراتب المعلولات ومع كل انس وجان بعلمه وهو معكم اينما كنتم **وقوله** لا يثلمه العطاء
الى قوله نايل فاستقصا والنايل له بلوغ الجود منه اقصى مقدوره وبرهانه من قبل الاحكام ان الثلم والنقصان
والاستنفاد والاستقصاء على المعدود يستلزم النهاية والحاجة المستلزمين للامكان والاتي من واجب الوجود
ممكن وكل من لحقته هذه الاحوال ممكن فواجب الوجود لا يلحقه هذه الاحوال وكذلك قوله والايلويه شخص عن
شخص اي لا يصرفه الى قوله عقاب وبرهان من طرف الاحكام ان الصرف واللهو يستلزمان الغفلة عن امر و
الفطنة لغيره نحو الغفلة يستلزمان عنه وكذلك حجز الهبة ومنعها له عن سلب نعمة اخرى وشغل الغضب له
عن الرحمة يستلزمان قصور القدرة وضعفها وتعلقها بالمحل جسماني وذلك مستلزم للنقصان المستلزم
للحاجة والامكان الممتنع قدس الله تعالى عنه وكذلك توليه الرحمة عن العقاب يستلزم رقة الطبع ورحمة
النفوس البشرية المستلزمة لعوارض الجسمية وجلال الله منزه عنها **وقوله** ولا تجنه البطون عن الظهور
يحتمل وجهين احدهما لا يخفيه بطون حقيقته عن العقول وخفاؤه عن العيون عن ظهوره للبصائر في
صور اثاره وملكوت قدرته الثاني انه ليس في حجبه يخفي فيه عن الظهور للعقول او عن الظهور على
الاشياء وبالاطلاع عليها ولا تقطعه الظهور عن البطون اي لا يقطعه كونه ظاهرا او عاليا بالامور الظاهرة عن ان
يكون باطنا لا يطلع العقل عليه او عن علمه بواطن الامور وخفاياها **وقوله** قرب اي بعلمه وقدرته من
الاشياء وقرب العلة من معلولها فنأى اي بعد بحقيقته عن ادراك العقول والحواس **وقوله** وعلا فدنا لو
شرفه بالنسب الى اثاره وشرف العلة على المعلول ودنو منها قربه **وقوله** وظهر فبطن وبطن فعلن
تأكيد لما قبله وقد سبق بيانه غير مرة **وقوله** لم يذرأ الخلق باحتيال الى قوله لكلال تنزيه لا يجاده لا اثاره
عن استخراج الحيل واجالة وجوه الاراء في استخراجها ثم عن الاستعانة بغيره في شيء من اثاره عن مبدا الا

الاستعانة وهو الكلال والاعياء لاستلزام ذلك تناهي القوة المستلزمة للجسمية واذ قدم تنزيه الحق سبحانه
عما لا ينبغي له ووصفه بما ينبغي له شرع في الوصية بتقواه ثم في التنبيه على فضائلها فاستعار لفظ الزمام لها باعتبار
كونها قائدة للعبد الى طريق الحق مانعة له عن الجور الى طرق الباطل كالزمام للناقة والقوام لكونها
مقيمة للعبد في سلوك سبيل الله ايضا اقامة للعدد مقام اسم الفاعل **وقوله** فتمسكوا بوثائقها اي بما به يوثق
منها وهو سائر انواع العبادات التي هي اجزاؤها والعكف بها يعود الى لزومها والمواظبة عليها واعتصموا بحقائقها
اي بالخالص منها دون المشوب الى الرياء والنفاق فان الالتجاء الى خالصها هو المخلص من عذاب الله **وقوله**
تؤل بكم الجزم تؤل لكونه جواب الامر بالتمسك والاعتصام واكنان الدعة مواطن الراحة من الالام
المستية والعقلية وهي غرفات الجنة ومنازلها وهي اوطان السعة ايضا من ضيق الابدان وضنك بيوت النيران
وهي من قبل الجنود اللائقة من عذاب الله وهي منازل العز في جوار الله **وقوله** في يوم متعلق بتؤل والموصو
ف يوم القيامة وسائر ما عدده من صفات ذلك اليوم مما نطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار وقوله واذا العشار عطلت وقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
وقوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها الآية وقوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ويقرب لبعض احوال يوم القيامة المحسوسة واما المعقول فقال بعض
المشايخ ان الانسان اذا حضرته الوفاة تحصل لبعض عقله ما انكشف له من الاطوار الاخروية وما انكشف عليه
اقطار الدنيا وغابت منها ما كان يشاهد وتعطلت عنه عشاره وناداه داعي الاجل الى الاخرة فزهقت نفسه
واجاب الداعي وتكشف لحجبه وذلت شوامخ الجبال ورواسخها في نظره لعظمة الله عنده ما صنع كبريائه
فتصير لانسب لها في نظره الى ما شاهده من عظيم ملكوته فكانها اضمحلت وغابت وصارت في نظره كالسراب
المرفوع الذي لا اصل له بعدما كان يراها عليه من العلو والعظمة لذلك ينقطع نظره عن عالم الاجسام والجسما
نيات عند التوجه الى عالم الملكوت ولذلك يري ما كان مشهودا منها كالقاع الصفصف المستوي تحت
سلطان الله وقهره وحينئذ ينقطع عن الشفيع الشافع والصديق الدافع والعذر النافع وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم
عباد الله بتقوى الله واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها باين تميد
باهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق والوبق ومنهم الناجي على متون الامواج
تحفزه الرياح باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك **اقول**
الساطع المرتفع والوبق الهالك واللائن النائم والازهاق الالحاق وقد ذكر البعثة حين ظهور الاحوال التي
كان العالم عليها ايضا تنبيها على فضلها وفضيلة الرسول صلى الله عليه **وقوله** حيث لا علم قائم استعارة
لفقد العلم والمنار للهداة الى الله الداعين اليه وعدم قيامه وسطوعه لعدمهم زمان الفترة **وقوله** ولا منهج واضح
لا طريق الى الله خالص عن شوب الاباطيل ثم عقب بالوصية بتقوى الله ثم بالتحذير من الدنيا وقرنه
بذكر عيوبها للتنفير عنها وكونها دار شخوص اشارة الى ضرورة الارتحال عنها بالموت ومحلة تنغيص اي تنغص

[illegible]

لذاتها بالآلام والأمراض حتى قيل إن اللذة فيها إنما هي الخلاص عن الألم **وقوله** سالكها ظاعن وقاطنها بائن
ذا التغير لقوله دار بحوص **وقوله** تميد بأهلها إلى قوله إلى مهلكه مثل ضربه في الأحوال أهلها فيها فمثلها
بالسفينة عند عصف الريح ومثل تصرفاتها وتغيراتها بميدان السفينة وترميهم فيها بالأمواج والحوادث التي هي
مظنة الهلاك بالأحوال التي تلحق أهل السفينة عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار ومثل
انقسامهم عند بعض تلك الحوادث ونزولها بهم إلى ميت بها لا يرجى له عودة ولا يستدرك له فائدة بانقسام
ركاب السفينة عند عصف الريح عليها إلى غريق هالك وإلى ناج ومثل الناجي من بعض الأمراض الذي تأخر
موته إلى مرض آخر فلاقى من أهوال الدنيا في تلك المدة ما لاقى ثم لحقه الموت بالآخرة بالناجي من الغرق الذي يحمله
الأمواج وتدفعه الرياح ويلقى من أهوال البحر وشدائده ثم بعد خلاصه منه لا بد له من ذلك هو أجله وفرض
من الهلاك أي يحل هلاكه ثم أمر بالعمل وذكر الأحوال التي يمكن فيها ومعها العمل تنبيها على انتهاز الفرصة
تلك الأحوال صحة الألسن وإمكان ذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر التكاليف المتعلقة
بها وكذلك صحة الأبدان ولدونة الأعضاء ومطاوعتها للعمل قبل سنتها بالسقم والأمراض وفسح المتقلب وهو
محل التصرف والتقلب وكنى به عن وقت الصحة والشبيبة ويقرب منه عرض المجال وذكر إزهاق الأجل
وحلول الموت تحذيرات وحثا على العمل لما بعده ثم أمرهم أن يحققوا وقوع حلوله أي يتذكرونه ويخطروا
بالهم أنه حق ويعتقدوا أنه واقع ليكون أكد في العمل ولذلك قال صلى الله عليه أكثروا من ذكر هادم اللذات
ونهاهم عن انتظار قدومه لاستلزام انتظاره له توهمهم لبعده عنهم وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل وبابه الغفلة

ومن خطبة له عليه السلام ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أني لم
أرد على الله تعالى ولا على رسوله صلى الله عليه وآله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال
وتتأخر الأقدام نجدة أكرمني الله تعالى بها ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري ولقد
سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي ولقد وليت غسله صلى الله عليه والملائكة أعواني فضجت الدار والأفنية
ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا أحق
به مني حيا وميتا فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى
جادة الحق وإنهم لعلى مزلة الباطل أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم **أقول** الهينمة صوت خفي
يسمع ولا يفهم وحاصل الفصل التنبيه على فضيلته لغاية قبول قوله فيما يأمرهم به فذكر منها أنه لم يرد على الله ولا
على رسوله في وقت قط فيما صدر من الأمر عنهما واستشهد على ذلك بعلم المستحفظين من الصحابة
وهم العلماء وأهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه أي جعلوا حفظة له وأودعوا إياه فإن
لبعض الشارحين فيه إيماء إلى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض على
الرسول صلى الله عليه في مواضع كما نقل عن عمر يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح أنه أنكر ذلك وقال
لرسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال أوليسوا الكاذبين قال بلى قال فكيف نعطي الدنية في ديننا
فقال صلى الله عليه إنما أعمل بما أومر به فقام عمر وقال لقوم من الصحابة ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة

وهانحن

وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطينا الدنية في ديننا والله لو وجدت أعوانا لم أعط الدنية
أبدا فقال له أبو بكر رضي الله عنه ويحك الزم غرزه فوالله إنه لرسول الله وإن الله لا يضيعه ثم قال له أقال
لك إنه سيدخل مكة هذا العام فقال لا قال فسيدخلها فلما فتح النبي صلى الله عليه مكة وأخذ مفاتيح الكعبة
دعاه فقال هذا الذي وعدتم به ومنها مواساته للرسول صلى الله عليه بنفسه ومواطن اختص بها عليه السلام وذلك
في مواطن ثبت معه يوم أحد وفر الناس وروى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه لما ارتث يوم أحد ونادى
الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى إلا أنه حي فصمدت له فقال لعلي اكفني هذه
فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له أخرى فقال يا علي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم
صمدت له أخرى ثالثة فكذلك فكان رسول الله صلى الله عليه بعد ذلك يقول قال لي جبريل حينئذ يا محمد إن هذه
المواساة فقلت وما يمنعه وهو مني وأنا منه فقال جبريل وأنا منكما وروى المحدثون أيضا أن المسلمين سمعوا
ذلك اليوم هاتفا من قبل السماء ينادي لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فقال الرسول صلى الله
عليه ألا تسمعون هذا صوت جبريل وكذلك ثبت معه يوم حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولى المسلمون
الأدبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثابت إليه الأنصار وانهزمت هوازن وغنمت أموالها
وأما خيبر فقصته مشهورة وذلك قوله ولقد واسيته إلى قوله الأقدام **وقوله** نجدة أكرمني الله بها
فالنجدة فضيلة تحت الشجاعة وقد يعبر بها عن الشجاعة ومنها حاله عند ما قبض رسول الله صلى الله عليه من
تولي أمره ومباشرة ما يختص به من الأحوال حالة وفاته من وضع رأسه على صدره وقيل أراد بذلك أن رأسه
كان حينئذ على ركبتيه وعلى ذلك يكون في صدره عند إكبابه عليه والأشبه أنه أراد تسنيده حين اشتداد
علة موته ثم سيلان نفسه في كفه وإمرارها على وجهه وأراد بنفسه دمه يقال إن رسول الله صلى الله عليه قاء
وقت موته دما يسيرا وإن عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخصص دم
الرسول صلى الله عليه كما روي أن أبا طيبة الحجام شرب دم رسول الله صلى الله عليه حين حجمه فقال له إذن
لا يتجع بطنك وكذلك توليه لغسله بإعانة الملائكة وكان هو الذي يغسله والفضل بن عباس يصب الماء
عليه وروي أنه عصب عيني الفضل حين مناولة الماء ونقل عنه صلى الله عليه أنه قال لا يبصر أحد عورتي
غيرك إلا عمي وروي أنه عليه السلام قال ما قلبت منه عضوا إلا وانقلب لا أجد له ثقلا كأن معي من يساعدني
عليه وما ذاك إلا الملائكة تكتنفه حيا وميتا منصوبان على الحال من الضمير المجرور في به وأما دفنه فتنازع الصحابة
في أنه هل يلحد أو يضرح له فأرسل العباس إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح لهم على
عادتهم وأرسل إلى أبي طلحة الأنصاري وكان يلحد لأهل المدينة على عادتهم فقال اللهم اختر لنبيك فجاء
أبو طلحة فلحد له ووقت رغبوا فيمن يدخل القبر معه فقال علي عليه السلام لا ينزل معه أحد غيري وغير العباس
ثم أذن في نزول الفضل وأسامة بن زيد ثم ضجت الأنصار وسألوا أن ينزل منهم رجل فأنزلوا أوس بن خولي
وكان بدريا وقد يعبر بالضجيج عن الغضب ويكون هم من اشتق والعدقا ضجيج الدار والأفنية بأصوات
الملائكة ملأ يهبط منهم وملأ يصعد بحيث لا يفارق هينمتهم سمعه حال صلاتهم عليه إلى أن واراه في

صريحه وقد عرفت كيفية سماع البشر لاصوات الملائكة في مقدمات الكتاب وكذلك صلاتهم بعود الي
وسائطهم في افاضة الرحمة من الله تعالى على العباد وكذلك علمت معنى الصعود والهبوط منهم فيما سبق واعلم ان حمل
الكلام على ظاهره عند الانصاف اولى من التعسف في التاويل وذكر هذه الفضيلة بهذه المقامات يجري
مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول استدل به على انه لا احق منه به وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
معه مع انه عليه فهو احق به وحينئذ تبين انه لا احق به منه واراد انه لا احق بالمنزلة والقرب منه
فيجب تم بالاخوة والوراثة وبعقد موته بالوصية والخلافة اذ لا يريد انه احق بذاته فينبغي ان يريد لكونه احق به في
المنزلة وولاية امره بعده ثم عقب ذكر فضيلته باوامرهم ان يمضوا في جهاد عدوهم على بصايرهم اي عقايدهم
انهم على الحق وان عدوهم على الباطل واكد تلك العقايد بالقسم البار انه فيما يامرهم به على طريق الحق
وان خصومه على مزلة الباطل وذكر الجادة للحق جذبا اليه والمزلة للباطل تنفيرا عنه وان الباطل لا
طريق واضحة له بعلم حق او برهان صدق كما عليه طريق الحق وباقي الكلام ظاهر تمت الخطبة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات
واختلاف النينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد ان محمدا صلى الله عليه نجيب
الله تعالى وسفير وحيه ورسول رحمته اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدا خلقكم واليه يكون
معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامي مفزعكم فان تقوى الله
دواء داء قلوبكم وبصر عمى افئدتكم وشفاء مرض اجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم
وجلاء عشا ابصاركم وامن فزع جاشكم وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله تعالى شعارا دون
دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم واميرا فوق اموركم ومنهلا لحين ورودكم وشفيعا لدرك
طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم
فان طاعة الله تعالى حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران موقدة فمن اخذ بالتقوى
عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه الامواج بعد تراكمها واسهلت
له الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه
النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته
وامتن عليكم بنعمته فعبدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حق طاعته ثم ان هذا الاسلام دين الله تعالى
الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه واصفاه خيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل الاديان
بعزته ووضع الملل برفعه واهان اعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى
من عطش من حياضه واتاق الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام
لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج
لانتصابه ولا عصل في عوده ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ في الحق
اسناخها وثبت له اساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها

سفارها واعلام قصد بها فجاجها ومناهل روي بها ورادها جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه
وسنام طاعته وهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف
المنار معوذ المثار فشرفوه واتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه مواضعه ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله
عليه وآله حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع واظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت
باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف منها قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من اشراطها وتصرم
من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشف من عوراتها وقصر من طولها
جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لامته وربيعا لاهل زمانه ورفعة لاعوانه وشرفا لانصاره ثم انزل
عليه الكتاب نورا لا تطفا مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحرا لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه
وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه وتبيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزا
لا تهزم انصاره وحقا لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل
وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها
الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون واعلام لا يعمى عنها السائرون
واكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق
الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وعزا
لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به
وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله واية لمن توسم وجنة لمن استلام وعلما لمن وعى
وصدقا لمن روى وحكما لمن قضى اقول العجيج رفع الصوت والنينان جمع نون وهو الحوت
والجاش القلب والاوار حر النار والنفس وعزبت غابت وانصابها اتعابها وتحدبت عطفت وحنت
والرذاذ ضعيف المطر وعبدوا ذللوا والمحاد المشاق واتاق الحياض ملاها والمواتح المستقون والو
عوثة كون الارض سهلة توجب صعوبة المشي فيها كالرمل والوضح البياض والعوج بالفتح فيما كان ينتصب كالحبل
وبالكسر فيما ليس كذلك كالطريق والعصل الاعوجاج وساخ غاص والسنخ الاصل وازف دنا وبحبوحة
الدار وسطها والغيطان المواضع المطمئنة من الارض والمحاج جمع محجة وهي جادة الطريق والمعقل الملجا
والذروة العلو والمتوسم المتفرس واستلام لبس لامة الحرب وهي الدرع وصدر الفصل تنبيه على احاطة
علمه تعالى بجزئيات الموجودات على اختلافها وذكرها ونبه بعجيج الوحوش على انه تعالى يعلمها حين تجار
اليه من جدب الارض وقلة العشب فانها تفزع اليه بالعجيج لكون الانسان اولى بذلك الفزع اليه وبعلمه معا
صي العباد في الخلوات تنفيرا عنها في الخلوة التي هي مظنتها واختلاف النينان بالمجيء والذهاب وقطع
البحار طولا وعرضا ثم عقب ايضا بجزء الرسالة ثم بالوصية بتقوى الله وذكر باعتبارات من صفاته تعالى
توجب الفزع اليه وهي كونه سبحانه مبدا الخلق ومنتهى لمعادهم بالحجة والعقل لقوله وهو خلقكم اول
مرة واليه ترجعون وقد نبهنا عليه مرارا وان به نجاح طلباتهم واليه منتهى رغباتهم ونحوه قصدهم وسلوكهم

فانه تعالى غاية الكل واليه منتهى مفزعهم يقال فلان منتهى قصدي اي اليه مفزعي في المهمات ونحوه قوله تعالى
وإذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم باعتبارات من صفات التقوى توجب الفزع اليها وهي في كونها
دواء أدواء قلوبكم وقد عرفت كونها دواء الادواء الرذائل النفسانية الموبقة ب وتضرعي افئدتكم اي
ابصاركم تذكرة من عمى الجهل ج وشفاء لمرض اجسادكم وذلك ان التقوى تستلزم قلة الاكل والشرب
واستعمالهما بقدر الحاجة كما قال في صفات التقوى المتقين منزورا اكله وقد علمت ما يحدث البطنة
من الامراض البدنية ولذلك قال عليه السلام المعدة بيت الداء و د صلاح فساد صدوركم اي من الغل
والحسد والحقد والنيات المخالفة لاوامر الله فان التقوى تستلزم نفي ذلك كله وصلاح الصدور رسنه
لان مبادي تلك الشرور كلها محبة الدنيا وباطلها والمتقون بمعزل عن ذلك ه وطهور دنس افئدتكم
اي من نجاسات الرذائل المهلكة وهو كقوله دواء ادواء قلوبكم لكن اعتبار كونها دواء يحتمل اعتبار كونها
طهورا اذ في الاول ملاحظة كون الرذائل امراضا تؤدي الى الهلاك السرمدي وفي الثاني اعتبار كونها نجاسات
يمنع من وصول حضيرة القدس ومقعد الصدق و وجلاء عشا ابصاركم وفيه استعارة لفظ العشا لما
يعرض عند ظلمة الجهل وسائر الرذائل من عدم ادراك الحقائق ويؤدي عشا بالعين المعجمة وهو الظلمة المتوهمة
من الجهل التي هي حجاب العقل وبعد الاعتبار ففي التقوى جلاء تلك الظلمة لما يستلزمه من اعداد النفس
للكمال وكونها تنفي عن الجلاء مجاز اطلاقا لاسم المسبب على السبب ز وامن فزع جاشكم اذ قد علمت ان بها
الامان من عذاب الآخرة وقد يكون بها الامان من فزع الدنيا لان اكبر مخاوف الدنيا الموت وما يؤدي اليه والمتقون
العارفون بمعزل عن نصه الموت بل عنده يكون محبوبا لكونه وسيلة لهم الى اللقاء الخالص لمحبوبهم الاقصى
واليه الاشارة بقوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ودلت الآية ان الصادق في دعوى الولاية لله يحب الموت ولذلك قوله ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ح وضياء سواد ظلمتكم واستعار لفظ الظلمة للجهل
وتغطيته للقلب ورشح بذكر لاستلزام الظلمة السواد وهو كقوله وجلاء عشا ابصاركم وداعي في هذه
القراين كلها المضادة ثم اكد الوصية بطاعة الله تعالى بآداب احدها ان يجعلوها شعارهم وكنى
بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار الجسد ثم عن كونها في الباطن دون الظاهر لقلة فائدته وهو المشار
اليه بقوله دون دثاركم الثاني اكد امرهم بابطانها بامرهم باتخاذها دخيلا تحت الشعار لامكان ذلك فيها
دون الشعار والمحسوس ثم زيد ذلك فقال ولطيفا بين اضلاعكم وكنى بلطفها عن اعتقادها وعقليتها
وبكونها بين اضلاعهم عن ايلاجها القلوب الثالث ان يجعلوها اميرا واستعار لفظ الامير باعتبار
الزامهم لها وتقيدها على سائر مهماتهم الرابع ان يجعلوها منهلا لحين ورودهم اي يوم القيامة واستعار
لفظ المنهل لها ووجه المشابهة ان التقوى والطاعة مظنة الري من شراب الابرار يوم العطش كما ان
موارد الابل مظنة ريها الخامس ان يجعلوها شفيعا الى الله ووسيلة الى مطالبهم منه وظاهر كون
المطيع يستعد بطاعته لدرك بغيته من الله تعالى ولفظ الشفيع مستعار للوسيلة والقرينة السادس

وجنة

وجنة ليوم فزعهم وظاهر كون الطاعة سائرا يوم القيامة من الفزع الاكبر من عذاب الله السابع
ومصابيح لبطون قبوركم وقد عرفت كيفية اعداد الطاعة لقبول النفس الانوار العلوية والاسرار الالهية
المخلصة من عذاب القبور والعذاب الاخروي وفي الخبر ان العمل الصالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح ح
الظلمة واستعار لها لفظ المصابيح لاستلزامها الانارة الثامن ولذلك سكنا لطول الوحشة في القبور ي
استيناس بر النفوس كما روي ان العمل الصالح والخلق الحسن يراه صاحبه بعد الموت في صورة شاب
حسن الصورة والثياب طيب الريح فيسلم عليه فيقول له من انت فيقول انا خلقك الحسن او عملك
الحسن وحاصله يعود الى كون الطاعة سببا للاستيناس من وحشة الآخرة وذلك ان الوحشة انما تعرض في
المكان لمن كان غافلا عنه وغير متوقع له ولا متهيئ للانتقال اليه ومطمئن بوطنه الاول وباهله وصاحب علم كل
الانس فاما اهل الطاعة فانهم ابدا مستفكرون فيما ينتقلون اليه ومتذكرون له واثقون بانس ربهم وملتفتون
اليه فانسهم ابدا به وقد هجمت ذاتهم بالشوق اليه واعتقادهم في الدنيا اصلحا بابدانهم فقط ودون منهم يهربون والى
العزلة ينقطعون فبالحري ان لا يعرض لهم وحشة وان تكون انما هي سبب لعدم الوحشة التي عساها
ان تعرض لهم ولما كان الانس في الدنيا المقصود ما بعد الموت بالحقيقة لاجرم لا بد لمن وحشته من الانس
بالانوار الالهية والانس بالرفيق الاعلى من بدلها التاسع ولذلك قال ونفسا للكرب مواطنكم اي سعة ورفاهية لما
يعرض من كرب منازل الآخرة وهو لها اما بكونها جزءا من تاليف مكتنفه وتلك التاليف هي
الرذائل الموبقة التي هي حبائل الهلاك والتلف والكف فيها احاطتها بالنفس بحيث لا يكفيها الا الطاعة الله و
سلوك سبيله والمنجي من مخاوف المتوقعة من مخاوف الآخرة ومحن شدائدها الحادي عشر كون التقوى مستلزمة لبعد
الشدائد عن المتقي بعد دنوها منه وكثيرا ما يعبر بالتقوى عن الطاعة وان كانت اخص في بعض المواضع
اما في نحو شدائد الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان المتقين هم اسلم الناس من شرور الناس لبعدهم عن
منازعاتهم ومجاذباتهم لمتاع الدنيا وبغضهم لها اذ كانت محببة لها والحرص عليها سببا للجمع الشرور والشدائد بلد
الثاني عشر كونها مستلزمة لحلاوة الامور بعد مرارتها اما امور الآخرة فكالتكاليف الواردة عليهم لها بالعبادات
وظاهر انها عند المتقين احلى والذ من كل شي بعد مرارتها في ذوقهم في مبدا سلوكهم وثقلها عليهم وعلى غيرهم
من الجاهلين واما المرة من امور الدنيا فكالفقر والعري والجوع وذلك شعار المتقين وهو احلى في نفوسهم
والذ من كل شهي وان كان مرا في ذوقهم في مبدا السلوك وقبل وصولهم الى مراتب التقوى الثالث عشر
وانفراج الامواج عند تراكمها واستعار لفظ الامواج للهيئات البدنية الردية وملكات السوء التي اذا تكاثفت
وتوالت على النفس اغرقتها في بحر عذاب الله وظاهر كون لزوم التقوى سببا ينفرج باستعداد النفوس
به عنها تلك الهيئات وتمحى من لواحقها وان كثرت الرابع عشر كون لزومها سببا لتسهيل صعاب
الامور على النفس بعد اتعابها لها وذلك ان المتقين عند ملاحظة غاياتهم من تقواهم يسهل عليهم كل صعب
من امور الدنيا مما يشتد على غيرهم كالفقر والمرض وكل شديد ولذلك يسهل عليهم كل صعب من مطالب
الآخرة بعد اتعاب تلك المطالب لهم وقبل قصورها التام في ادراك النيل الخامس عشر كونه سببا للمطر

الذات عليهم والكوامة تعود الي الكمالات المعانيه الباقية واللالتذاذ بها ولاحظ في افاضتها عليهم مشابهتها
بالقيث فاستعار لها لفظ الهطل والانتساب اليها وكذلك لفظ الخيوط وكنى به عن سعتهم ايايها قبل استعداد
هم بالتقوى لها السادس عشر كونه سبب التعطف الاحجية الالهية بافاضة الكمالات عليهم بعد تفوزها
عنهم لعدم الاستعداد ايضا ولفظ التحدب مستعار للارادة اولانه الرحمة وكذلك لفظ التقو لعدم الدهاء في
حيقهم قبل ذلك السابع عشر كونه سبب التفرج لهم بعد نشوبها ولفظ التفرج مستعار لانتشار وجوه
افاضات الدنيويه والاخروية كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وكذلك
الصوب لعودها قبل الاستعداد لها ملاحظة لشبه النعم بالماء في الاستعار الثامن عشر كونه سببا
لوبل البركة بعد رذاذها ولفظ الوبل مستعار للفيض الكثير من البركة بعد الاستعداد بالتقوى ولفظ
الرذاذ للقليل قبل ذلك الاستعداد ملاحظة لشبهها بالغيث ايضا وظاهر كون التقوى سببا لمزيد
الفيض على من كان له بعض الكمالات كمن يستعد بالعلوم دون الزهد والعبادة ثم يسلك بها م بعد الفراغ
من فضايلها والترغيب فيها من تلك الجهة اعاد الامر بها ورغب فيها باعتبارات اخر من انعام المنعم وهي
كونه تعالى ناعما لهم بمواعظه ايضا ذا لهم الي جنته ومرغبا لهم في كرامته وواعظا لهم ببيانه اليهم
ومستنا عليهم بنعمه لقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم في غير موضع من كتابه ثم امرهم بتعبيد انفسهم ثم
تذليلها لعبادته والخروج اليه من حق الذي يطلبه منهم ومن طاعته ثم ذكر الاسلام وفضايله مرغبا فيه
وهو كالتفسير لطاعته وعبادته فانه قال واخرجوا اليه من حق طاعته الذي هو الاسلام فانه دينه
وذكر له اوصافا وفضايل فا لكونه اصطفاه لنفسه اي طريقا الي معرفته ونيل ثوابه ب كونه
اصطنعه على عينه وهي كناية لما يفهم به وبانه للصنعة له وشاهدها بعينه ولفظ العين مجاز في العلم وعلي
بينة الحال اي على علم منه بشرفه وفضيلته ووجه الحكمة فيه ونحوه قوله ولتصنع على عيني ج واصفاه
خير خلقه اي اصطفى للبعثة به واليه خير خلقه محمدا وآله د واقام دعايمه على محبته ولفظ الدعايم مستعار
اما لاهل الاسلام اوالاركانه ووجه المشابهة بيانه بها في الوجود قيام البيت المدعوم بدعايمه وكلمة علي للحال
والضمير في محبته للاسلام اي اقام دعايمه حال المحبة له وقيل الي الله كما يقول طبع الله قلبي على محبته ٥
اذل الاديان بعزته وذلة الاديان تعود الي عدم الالتفات اليها فيكون مجازا من اطلاق اسم السبب على المسبب
اوذلة اهلها فيكون من باب حذف المضاف وظاهر ان عز الاسلام سبب للامرين وكذلك اطلاق لفظ
العز للاسلام و ولذلك وضع الملل برفعه ز ولذلك اهانة اعدائه وهم المشركون والمكذبون له من الملل
السابقة واهانتهم بالقتل واخذ الجزية والصغار لهم وكرامته اجلاله واجلال اهله وتعظيمهم في النفوس
ح وخذل محادّيه بنصره اي بنصر اهله وفي القرآن الاربع التضاد فالعز للذل والرفع للوضع والكرامة
للاهانة والنصر للخذلان ط وهدم اركان الضلالة بركنه وقوته واركان الضلالة تعود الي العقايد المضلة في
الله حلية او الي اهل الضلالة وهو مستعار ووجه الاستعارة ان قيام الضلالة بتلك العقايد او باهلها كقيام
ذي الاركان بها ولذلك لفظ الهدم لزوال الضلالة بقوة الاسلام واهله ى وسقى من عطش حياضه وا

فاستعار لفظ السقي لافاضة علوم الدين على نفوسهم وحياضه بها ولفظ العطش لما كانوا عليه من الجهل المفرط
وعدم العلم وكذلك استعار لفظ الحياض من العلماء الاسلام الذين هم اوعية الدين وحياضه التي تؤدي العطاش
من العلوم والحكم الدينيه يا واتاق الحياض بمواتحه واستعار لفظ المواتح للائمة اما الايمة من القرون الاول
الاخذين للاسلام عن الرسول صلى الله عليه الذي هو الينبوع او للاكابر العلماء وسؤالهم وبحثهم عن الدين
واحكامهم واستفادتهم بها ووجه الاستعارتين كونهم مستخرجين للعلم والدين من مظانه كما يستخرج المايح
الماء من البئر ولفظ الحياض للمستفيدين يب جعله له بحيث لا انفصام عروته ولفظ العروة مستعار لما
يتمسك الانسان به منه ورشح بذكر الانفصام ولما كان المتمسك به ناجيا من الهلاك الاخروي والسقوط الي الدرك
الهاوية به وكان عدم الانفصام مظنة سلامة المتمسك من الهلاك كنى به عن دوام السلامة به يج ولا فك لحلقته
كناية عن عدم انتهاء اهله وجماعته يد ولا انهدام لاساسه استعار لفظ الاساس للكتاب والسنة
الذين هما اساس الاسلام ولفظ الانهدام لاضمحلالها فيه ولا زوال لدعايمه استعار لفظ الدعايم للعلماء
او للكتاب والسنة وقوانينهما وارادة بعدم زوالها عدم انقراض العلماء اوعدم القوانين الشرعيه بو ولا انقلاع
لشجرته استعار لفظ الشجرة لاصله واركانه وهو كقوله ولا انهدام لاساسه يز ولا انقطاع لمدته اشارة الي
بقايه الي يوم الدين يح ولا عفاء لشرايعه وشرايعه قوانينه واصوله وهو كقوله لا انقلاع لشجرته يط ولا جذ
لفروعه اي لا ينقطع التفريع عليه بل كل ذهن سليم تفكر في اصوله وهي الكتاب والسنه استخرج منها
ما لم يتخرج غيره ك ولا ضنك لطرقه وكنى بعدم الضيق عن عدم صعوبة قوانينه على اهل التكليف او
عن لازم الضيق وهو مشقة السالكين به الي الله كما قال صلى الله عليه بعثت بالحنيفية السهلة السمحة كا ولا
وعوثة لسهولته كناية عن كونه في غاية العدل بين الصعوبة والسهولة المفرطة كما عليه اكثر الاديان السابقة
من التشبيه والتجسيم فان سلوكها مانع ذلك وتصورها في غاية السهولة لكنها طرق يبعد حصول المطالب
الحقيقيه الي التوحيد الخالص منها فكانت في سهولتها هذه الوعوثة كب ولا سواد لوضحه استعار لفظ
الضياء عن كون الباطل الذي هو سواد الواح نقوش الكافرين والمنافقين كج ولا عوج لانتصابه فا
استعار لفظ الانتصاب لاستقامته في اداية الي الله تعالى اذ هو الصراط المستقيم في الدنيا كد ولا عصل في عوده كه ولا وعث لفجه كو ولا انطفاء لمصابيحه عبّر بالمصابيح عن علمايه استعار لفظ
الانطفاء بها عن عدم خلو الارض منهم كز ولا مرارة لحلاوته وذلك ان حلاوة الاسلام الحقيقي في قلوب
المتقين لا يشوبها مرارة من مشقة تكليف ونحوه لما يتصورونه من شرف غايتهم كح فهو دعايم اي
فالاسلام دعايم وذلك اشارة الي تعريفه باجزايه وهي كالشهادتين والعبادات الخمس كما ورد في الخبر بني
الاسلام على خمس وقوله اساخ في الحق اسناخها اشارة الي كونه تعالى بناها على ارادته من الحق
عقيمة لا يهتدي اليها الا ايجاد الخلق لاجل اسرار العبادات كط قوله وينابيع غزرت عيونها اشارة
الي تعريفه من قبل مادته وهي الكتاب والسنة واستعار لفظ الينابيع نظرا الي فيضان العلوم الاسلامية
النقليه والعقلية عنها كفيضان الماء عن الينابيع ولفظ العيون لما صدر عنه ونحو علم الله تعالى ونفوس ملايكة

ونبيه صلى الله عليه وظاهر ان تلك العلوم وكثرتها لك ومصابيح شبت نيرانها اشارة الى مادته انيقت
باعتبار ان في الكتاب والسنة ادلة احكامه وبراهينها واستعار لها لفظ المصابيح باعتبار كونها تهدي الطريق
الى ابطالها الى الله ورشح بذكر اضواء نيرانها وعبر به عن غاية امتاع تهما لك ومنار اقتدى بها سالكوها واعلام
قصد بها فجاجها اشارة الى تلك المادة باعتبار ان فيها امارات على احكام الله الطيبة يقتدي بها الناس وذكر
السالكون الى قصدها والقاصدون لطرقها اي هي مقصودة عليها لك ومناهل روي بها ورادها استعار
لفظ المناهل لتلك الموارد ايضا باعتبار كونها مروية من العلم لواردها ومغنيته منها كما يروي ورّاد الحياض
بمائها لج جعل الله فيه منتهى رضوانه وذلك نحو قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
وقوله ان الدين عند الله الاسلام ولان فيه اتم وسيلة الى غاية الكمالات الانسانية التي هي منتهى ما يرضاه الله ويحبه
من عباده لد وذروة دعائمه والضمير في دعائمه للدين اي الدعائم التي جعلها عمدة له في اصلاح خلقه وهي الشرائع
وقوانينها وظاهر ان الانوار التي جاء بها الاسلام والهداية التي به اشرف واعلى منها في ساير الشرائع فهو
كالذروة لها له وسنام طاعته ولفظ السنام مستعار للمجموع ما اشتمل عليه من السابقات والهدايات
ووجه المشابهة شرفها وعلوها بالنسبة الى الطاعات السابقة عليه كشرف السنام بالنسبة الى
باقي الاعضاء لو فهو عند الله وثيق الاركان واركانه اجزاؤه ووثاقتها تعود الى ثباتها على الاسرار الحقيقية
والعلم التام لواضعها بكيفية وضعها وحال فايدتها بحيث لا يمكن استيصالها ونسخها لح منير البرهان و
اراد برهانه الذي دعى الخلق اليه وهو القرآن وساير المعجزات ولاشك في انارتها واضاءتها اقطار العالم
واهتدى اكثر الخلق بها لط مضئ النيران واستعار لفظ النيران لما ابرز من العلوم والاخلاق المضيئة عن
على آبائه وانه مر عزيز السلطان واراد قوته وعزة اهله ودولته وسعته من التجاء اليه بحيث ما مشرف المنار
وكنى به عن علو قدر علمائه وائمته وانتشار فضلهم والهداية بهم مت معوز المثار اي يعجز الخلق اثارة
دفاينه وما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاء ذلك منه وودي المنال اي يعجز الناس تناوله اما بالاتيان
بمثله او باستقصاء حكمه وغرائبه وودي المنال وهو ظاهر ثم لما بين فضيلته امر بتعظيمه واتباعه واداء حقه
وهو العمل به مع اعتقاد شرفه وكونه موديا الى الجنة ثم بوضعه مواضعه وهي القلوب لا الالسن وايقاعا
الظاهر فقط ثم لما فرغ من ذلك شرع في فضايل من بعث به ليذكرهم نعمة من الله بعد نعمة وقدم ذكر
بذكر احوال الدنيا حين البعثة ليظهر شرفها فقال كونها قد دنا انقطاعها واقبال الاخرة واطلاعها
وقد بين ذلك في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وعلى الجملة فيحتمل ان يريد قرب انقطاع
الدنيا وزوالها بالكلية وحضور الاخرة والقيامة الكبرى كما عليه ظاهر الشريعة ويحتمل ان يريد قرب انقطاع
دنيا كل امة منهم وحضور احدهم موتهم وانقراضهم ولفظ الاطلاع استعارة كما سبق ت كونها قد اظلمت
بهجتها بعد اشراق وازداد اشراق بهجتها بانوار الانبياء السابقين وضعف الشرايع واظلامها حين
بعثة الرسول صلى الله عليه بانه رأس تلك الانوار وقيام دينها ج قيامها باهلها على ساق كناية عن طول
شدايدها وانار الفتن بين اهلها وما كانت العرب عليه من الخبط والاختلاط في الجدوب والغارات

المودية

المودية الى النار د خشونة المهاد منها وكنى به عن عدم الاستقرار وطيب العيش فان ذلك انما يتم وينتظم
بنظام الشرائع والنواميس الالهية ه وازف منها قياد اي قرب منها انقياد وعلامات زوالها هي علامات
الساعة للانقطاع والزوال والانخراط في سلك التقضي واقتراب علامات ذلك منها وعلامات زوالها
هي علامات الساعة واشراطها وكذلك تصرم اهلها وانفصام حلقتها وكنى بالحلقة عن نظامها واجتماع اهلها
بالنواميس والشرائع وبانفصامها عن فساد ذلك النظام وبانتثار شيعتها عن فساد اسباب ذلك
النظام فان اسباب التصرف النافع منها انما يتم بالنواميس الشرعية وقوانينها واستعار لفظ اعلامها للعلماء
والصلحاء ودان عليهم العفا حينئذ وكذلك كنى بعوراتها عن وجوه الفساد فيها وبتكشفها عن ظهورها بعد
اختفاء وكذلك التقصير من طولها فان الدنيا انما تكون طويلة ودوامها عند صلاحها بالشرائع فاذن قصرها
وقلة مدتها يكون عند فسادها كما عند النظام الشرعي ثم رجع الى تعديد فوايد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله
فا ان الله جعله بلاغا لرسالته وهو كقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك الاية ب وكرامة لامته
لكونه داعيا لهم الى الكرامة الباقية الثابتة وسبب الكرامة كرامة ج وربيعا لاهل زمانه واستعار لفظ الربيع
له ووجه المشابهة كونه بهجة للمتقين وعلمائهم وسببا لبطنتهم من العلم والحكمة كما ان الربيع سبب لبهجة
الحيوان بمراعيها وبطنتهم وسمنهم د ورفعة لاعوانه اي لاعوانه وانصاره وهم المسلمون وظاهر كونه صلى الله
عليه سبب رفعتهم وشرفهم ثم عقب بذكر بعض الانوار التي بعث بها صلى الله عليه وهو كونها الكتاب
العزيز وعدد فضايله فا كونه نورا لا يطفى مصابيحه واراد نور العلم والاخلاق المشتمل عليها واستعار
لفظ المصابيح اما لما انتشر من علومه وحكمه فاقتدى بها الناس واما لعلمائه وحاملي فوائده ب كونه
سراجا لا يخبو توقده واراد انه لا ينقطع هدايته الناس ببيونه ومتوكا لا دله ج وبحرا لا يدرك قعره ولفظ
البحر مستعار له باعتبار احدهما عمق اسراره بحيث لا يحيط بها الاوهام ولا يصل الى اغوارها العقول
كما لا يدرك الغايص قعر البحر العميق والثاني كونه معدنا لجواهر العلوم النفيسة والفضايل كما ان البحر
معدن الجواهر د ومنهاجا لا يضل نهجه وظاهر كونه طريقا واضحا لمن سلك به الى الله ويقيم منهاجه
لا يضل قصده ه وشعاعا لا يظلم ضوؤه اي لا يغطي الحق الوارد به ظلام شبهة ولا يلتبس بباطل ولفظ
الشعاع والضوء والظلمة مستعارة و وفرقانا لا يخمد برهانه اي فيه براهين تفرق بين الحق
والباطل لا تخمد ولفظ الخمود مستعار ملاحظة لشبه البرهان بالنار في الاضاءة فنسب اليه وصفها
ز وبنيانا لا تهدم اركانه واستعار لفظ البنيان لما انتظم من الكتاب فترسخ في القلوب ورشح بذكر
الاركان لاستلزام البنيان لها ح وشفاء لا تخشى اسقامه كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين وظاهر كونه تدبره واسراره شفاء النفوس من امراض الجهل ورذايل الاخلاق وذلك
شفاء لا يخاف استعقابه مرضا وذلك ان الفضايل النفسانية اذا صارت ملكات لم تزل فهي لا تتبدل
بالاضداد له وان كان ايضا شفاء للابدان كما سبق ط وعزا لا تهزم انصاره ي وحقا لا تخذل اعوانه
وانصاره واعوانه هم المسلمون المعتزون والملتجئون اليه العاملون على وفقه السالكون به الى الله وظاهر

ان اوتيت الاستناد والاعوان لا يهزمهم احد ولا يخذلهم الله ابدا يا فهو معدن الايمان الذي ثبت ومنه الا
يمان القايل بالله ورسوله وبما جاء وبحبوحته وطاهر لكون اعتقاد حقيقته وتفهم مقاصده والعمل بها
واسطة عقد الايمان بيت وينابيع العلم وبحوره واللفظان استعارة له باعتبار كونه محل فيض العلوم
اليقينية واستفادتها منه ورياض العدل وغدرانه واللفظان مستعاران ايضا باعتبار كونه موردا
يوخذ عنه العدل بكليته فهو مورده الذي لا يجوز عن سنن الحق الى ان يبلغ به صاحبه السالك به
الى الله تعالى بكو واثافي الاسلام وبنيانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه اصلا للاسلام يبتني
عليه احكامه وبه يتقوم كما ان الاثافي للقدر والبنيان لما يحمل عليه كذلك به واودية الحق وغيطانه و
اللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدنا للحق ومظنة له كما ان الاودية والغيطان مظان الكلاء والماء
بو وبحر لا ينزفه المستنزفون بك وعيون لا ينضبها الماتحون الماتح مستعار البحر والعيون
له باعتبار ما هو كونه لا ينتهي فوايده والمقاصد المستنبطة منه نج وكذلك ومناهل لا يغيضها الوارد
دون وخصص القضوب بالعيون لامكانه ذلك فيها دون البحر والورود بالمناهل لكون النهل ومواليه
غايه واراد الا يط ومنازل لا يضل نهجها المسافرون اي مقامات من العلوم اذا انتهى لها العقول
المسافرة الى الله القبل لاستنارتها وشدة اضائتها كـ وكذلك واعلام لا يعمى عنها السايرون كما
وكذلك واكام لا يجوز عنها القاصدون واستعار لفظ الاعلام والاكام للادلة والامارات فيه على طريق
الله الى معرفته واحكامه باعتبار كونها هادية اليها كما تهدي الاعلام والجبال الى الطرق كب جعله
الله ريا لعطش العلماء استعار لفظ الري له باعتبار كونه رافعا لالم الجهل من النفوس كما يدفع الماء الم
العطش ولفظ العطش للجهل البسيط او لاستعداد الطالبين للعلوم واشتياقهم الى الاستفادة واطلق
لفظ الري على المروي اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه كد وربيعا لقلوب الفقهاء ولفظ الربيع مستعار
له باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء يستثمرون منه الاحكام وبهجة لها كالربيع للحيوان كه ومحاج
لطرق الصلحاء ... طريقا واضحا للصالحين الى الله كو ودواء ليس بعده داء لقوله
شفاء لا يخشى سقامه كز ونورا ليس معه ظلمة اي لا يبقى مع هدايته الى احكام الله ظلمة على البصيرة
ومنه لقوله وشفاء لا يظلم نوره كح وحبلا وثيقا عروته استعار لفظ الحبل له والعروة لما يتمسك
به منه وكنى بوثاقة عروته عن كونه منجيا لمن تمسك به كط ومعقلا منيعا ذروته استعار لفظ
المعقل باعتبار كونه ملجأ من الجهل ولوازمه وهو العذاب ورشح بذكر الذروة وكنى بمنعتها عن كونه
حرزا منيعا من لجأ اليه ل وعزا لمن تولاه اي اتخذه وليا يلجأ اليه فيما يهمه ولا يخالفه وظاهر
كونه سبب عزه في الدارين لا وسلما لمن دخله اي امنا ودخوله الخوض في تدبر مقاصده واتباعها
وذلك الاعتبار يكون امنا من عذاب الله ومن الوقوع في الشبهات التي هي مهاوي الهلاك لب
وهدى لمن ائتم به وهو ظاهر لج وعذرا لمن انتحله اي نسبه الى نفسه بدعوى حفظه او تفسيره
ونحو ذلك معتذرا ببينه من ارتكاب ما لا يليق به او يشق عليه فان ذلك عذرا منجيا له وهو كما

يعرف لمن لقصد انشاء ما ادى لا ينبغي له ان تؤديه فانه من حملة القرآن الكريم او ممن تعلم علومه فيكون ذلك
سببا لتوكي اداه لد وبرهانا لمن تكلم به له وشاهدا لمن خاصم به لو وفلجا لمن حاج به الفلج الظفر
به واطلق لفظ الفلج عليه من حيث ما يحتج به اطلاقا لاسم الغاية على ذي الغاية اذ غاية الاحتجاج به الفوز و
الشاهد والحجة ايضا من البرهان لز وحاملا لمن حمله اي يحمل يوم القيامة حملته وحفظته الآن وعبر بحمله
لهم عن انجائه لهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب على المسبب لح ومطية لمن اعمله استعار له لفظ المطية
باعتبار كونه منجيا لهم لقوله حاملا ولفظ الاعمال لتتبع قوانينه والمواظبة عليها المنجية من العذاب كما
ينجي اعمال المطية في الطريق البعيد لط وآية لمن توسم وذلك باعتبار تدبر امثاله وقصصه فان فيها
آيات وعبرا كما قال تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين م وجنة لمن استلام اي لمن استلامه و
لبسه كالدرع واستعار لفظ الجنة لوقايته من استعد بعلمه من عذاب الله وكنى باستلامه عن ذلك الا
ستعداد به ما وعلما لمن وعى اي حفظه وفهم مقاصده مب وحديثا لمن روى وذلك باعتبار ما
فيه من القصص واخبار القرون الماضية فان اصدق حديث يروى منها ما اشتمل عليه القرآن ويحتمل ان
يريد بكونه حديثا كونه قولا وكلاما مستحدثا كما قال تعالى الله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها
ويكون فايدة هذا الوصف ان فيه غنية لمن اراد ان يتحدث بحديث عن ما لا يفيد فايدته فينبغي ان يعدل
اليه ويشتغل بتلاوته والتحدث به مج وحكما لمن قضى اي فيه الاحكام التي يحتاج اليها القضاة ورد
وحكما اي حاكما ترجع اليه القضاة ولا يخرجون عن حكمه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
كان يوصي به اصحابه تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها
فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق الربق وشبهها رسول الله صلى الله
عليه وآله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه
من الدرن وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال
يقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله نصبا بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
فكان يأمر بها اهله ويصبر عليها نفسه ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لاهل الاسلام فمن اعطاها
طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجازا ووقاية فلا يتبعنها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه
فان من اعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون
الاجر ضال العمل طويل الندم ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها انها عرضت على السموات
المبنية والارضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى ولا اعظم منها
ولو امتنع شيء بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل
من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوما جهولا ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون

٢٢٩

في ليلهم ونهارهم لطف به خبراً واحاط به علماً اعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه
وخلواتكم عيانه **اقول** الربق جمع ربقة وهي الحلقة في الحبل والحمّة بالحاء المهملة الحفيرة يجتمع فيها الماء و
روي بالجيم والمعنى واحد والدرن الوسخ والنصب التاعب ولا تقواف الالتفات وحاصل الوصف الوصية
بالمحافظة على امور ثلثة والحث عليها اولها الصلاة فامر بتعاهدها اي بالمحافظة عليها وذلك بالقيام بالاتيان
لها حال نفسه حال الصلاة ومراقبتها حذراً ان يشوبها نزغات الشيطان برياء فيها او التفات عنها ثم با
لمحافظة على اوقاتها واذكارها كانها حثهم ثم بالاستكثار منها والتقرب بها الى الله لكونها افضل العبادات
والقرب اليه ثم اشار الى فضيلتها ووجه وجوبها من وجوه احدها قوله فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
وهو لفظ القرآن الكريم وموقوتا مفروضا وقيل منجما في كل وقت صلاة بعينه الثاني التحذير لتاركها
بالتنبيه على استلزام تركها لدخول النار بقوله الا تسمعون الى قوله من المصلين الثالث انها تحت الذنوب
حت الورق وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ووجه الشبه ظاهر ولذلك يطلقها اطلاق الربق اي ويطلق
اعناق النفوس اغلالها كما تطلق الربقة من عنق الشاة الرابع تشبيه رسول الله عليه لها بالحمة تكون
على باب الرجل وصورة الخبر عنه صلى الله عليه ارايتم لو ان احدكم ان يكون على بابه حمة يغتسل فيها كل يوم خمس
مرات فلا يبقى عليه من درنه شيء فقالوا نعم قال فانها الصلوات الخمس الخامس تنبيهه بذكر عرفان
رجال من المؤمنين وهم الموصوفون في الآية بقدرها السادس نصب الرسول صلى الله عليه فيها او امر الله تعالى
له بالمواظبة عليها بعد تبشيره له بالجنة وذلك في قوله وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وامتثاله لذلك
الامر في نفسه واهله وروي انه صلى الله عليه قام في الصلاة حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك فقال افلا اكون
عبدا شكورا وذلك من الوجوه الدالة على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها واعلم انه قد ورد في فضلها اخبار كثيرة بعد تأكيد
القرآن الكريم للامر بها وقد بينا ذلك واشرنا الى فضلها واسرارها اشارة مستوفاة في الفصل الذي في اوله
ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله الثانية مما امر بالمحافظة عليه الزكوة وهي
قرينة الصلاة في الذكر في الكتاب العزيز وفي الفضيلة ولذلك قال جعلت مع الصلاة ثم اشار الى اسرارها وهو
كونها قربانا لاهل الاسلام وقد بينا ذلك واشار بقوله فمن اعطاها الى قوله طول الاسف الى شرط كونها
مقربة الى الله تعالى وبيان كون قبولها مشروطا بطيب النفس بها بيان سرها وقد عرفت ايضا في ذلك
الفصل وقد علمت ان من اقسام المستنزلين عن المال من اقتصر منه على اداء الواجب من الزكوة من غير
زيادة ولا نقصان وهم العوام لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وميلهم اليه عن ضعف منهم للآخرة قال تعالى
ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم الآية ذكر [illegible] من استنزل على المال وبخاستهم وقربهم من
الله وبعدهم لعدم طيب انفسهم عن بذل المال والاعراض عنه ومحبته وهذه الفرقة اعني من اقتصر منهم على اداء
الواجب فقط ينقسم الى مؤد لذلك الحق بطيب نفس وسماحة والى مؤد له مع بقاء محبته وتكره
النفس ببذله وتلهف عليه [illegible] وباعتبار القسمين الا وفي مع القسم الاول من هذه الفرقة
يكون بذل المال والزكوة تقربا الى الله تعالى وهو الذي اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام بقوله ثم ان الزكوة الى

قوله

قوله ووقاية وان كان قد خصص الزكوة هنا وانما تكون قربة لاستلزامها رفض هذا المحبوب الذي هو مقصور بالذات ان
جميع الكمالات الدنيوية يستفاد منه رغبة عنه ومحبة لله ورغبة فيما عنده وتكون كفارة ماحية لرذيلة البخل
وما يستلزمه من الذنوب ويكون حجابا بين العبد وبين عذاب الله اذا علمت ان مبدأ العذاب في الآخرة حب
الدنيا واعظمه حب المال فاذا كان بذل المال مستلزما لزوال محبته كان بذلك الاعتبار حجابا من العذاب وو
قاية منه واما اتيان الزكوة على الوجه الثاني فهو مذموم والمنهي عنه بقوله ولا يكثرن عليها لهفه بقوله
بهاج قوله فلا يتبعنها احد نفسه ويلزم باذلها على ذلك الوجه النقايص المذكورة وهي الجهل بالسنة فان
السنة في ادائها ان تؤدى بطيب نفس وسماحة وان يكون مغبونا في الاجر فان اتيانها على وجه يوقع
جزاء لا على وجه القربة الى الله غير مستلزم لرضوانه وذلك هو الغبن وان حصل له اجر من غير رضوان الله
فان الحصول على كل جزاء غير رضوانه جزاء ناقص وغبن فاحش بالنسبة اليه وان يكون ضال العمل وهو
اعطاؤه ذلك المال وبذله على غير وجهه وقصده به غير سبيل الهدى الى رضوان الله وان يكون طويل الاسف اي
في محبة المال وما يرجع من الجزاء الثالث مما اوصى به اداء الامانة وهي التي اشار القرآن الكريم اليها بقوله
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية وقد بينا فيما سلف انها تعود الى العبادة والطاعة المطلوبة
من الانسان بما هو انسان وطاعة تلك العبادة لا تحصل من غيره فانه انما جعلها من حيث خلق مستعصيا
للدارين وبيان ذلك ان مخلوقات الله تعالى اما جماد او ذات حياة وذوات الحياة اما الملائكة او الحيوان
الارضي والحيوان الارضي اما اعجم او ناطق فالحيوان الناطق منها وهو الانسان هو المتاهل لعمارة الدارين
والكون فيها وهو الواسطة بين خلقين وضيع وهو الحيوان الاعجم وشريف وهو الملك وقد استجمع
قوى العالمين فهو كالحيوان في الشهوة والغضب وقوة التناسل وساير القوى البدنية المختصة بالحيوان
وكالملك في القوة المجردة والعقل والعلم والعبادة وساير الكمالات النفسانية ووجه الحكمة في ذلك
ان الله تعالى لما اقتضت عنايته ايجاد هذه العبادة المخصوصة وان يجعل في الارض خليفة لعمارتها جمع له
بين القوتين فانه لو كان كالبهيمة خاليا عن العقل لم يتاهل لمعرفته وعبادته ولو خلق كالملك
معرى عن الشهوة والغضب وساير القوى البدنية لم يصلح لعمارة ارضه وخلافته فيها ولذلك قال للملائكة
اني اعلم ما لا تعلمون فاذن هذه العبادة الخاصة وهي الامانة لما ثبت انها لا يصلح لها الا الانسان ولا يمكن
من غيره وعلمت ايضا فيما سلف ان اباء السموات والارض والجبال عن حملها يعود الى امتناع قبولها
[illegible] حال قصورها وعدم صلاحيتها لها واشفاقها منها من عقوبة الله على التقصير عن اداء حقوقها كما
اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام بقوله اشفقن من العقوبة ولم يكن ذلك اباء استكبار لخضوعها تحت
ذله لحاجتها اليه ولفظ الاشفاق مجاز في لزمها ولازمه وهي ذلك ان السلطان مثلا اذا كلف بعض رعيته
[illegible] تكليف تخيير في ذلك المكلف العقوبة على تقصيره في اداء تلك الامانة فان حذره يستلزم
[illegible] وامتناعه من حملها وكان الامتناع من الامانة مسببا عن الاشفاق فاطلق لفظ الاشفاق
هنا على اباء السموات والارضين بلسان حالها مجازا اطلاقا للسبب على المسبب وقيل ان ذلك [illegible]

٢٤

والاشفاق على وجه التقدير وانما جي بلفظة الواقع لان الواقع ابلغ من المقدر اي لو كانت هذه الاجرام عاقلة ثم عرضت عليها وظايف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر اجسامها وشدتها لامتنعت من حملها اشفاقا من القصور عن ادا حقها ثم ان مخاطبة الجماد والاخبار عنها نظرا الى قرينة الحال طريقة مشهورة للعرب مستحسنة في نقادهم كقولهم يا دار ما صنعت بك الايام ويجوز بل مخاطبة بعض الجماد لبعض بلسان احوالها كقولهم قال الحايط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ونحوه كثير واما قوله عليه السلام وقد خاب من ليس من اهلها فتلك الخيبة تعود الى حرمان ثمرة هذه العبادة وما يستلزمه من الحصول على الكمالات اذ ليست من اهلها وذكر كون السموات مبنية والارض مدحوة والجبال باطوالها وعروضها وعلوها وعظمتها تنبيه للانسان على جرأته على المعاصي وتضييع هذه الامانة اذا اهل لها فحملها وتعجب منه في ذلك فكانه يقول اذا كانت هذه الاجرام العلوية التي لا اعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الامانة حين عرضت عليها فكيف حملها من هو اضعف منها **وقوله** ولو امتنع شي الى قوله لامتنعت اشارة الى ان امتناعهن لم يكن لعزة وعظمة اجسادها والاستكبار عن الطاعة وانه لو كان ذلك لكانت اولى بالحمل لكنه من قبل ان لا عظمة اجرامها على ذلك المخلوقات بل انما كان ذلك عن ضعف واشفاق من خشية الله وعقلهن ما جهل الانسان قيل ان الله تعالى جعل خطابها خلق فيها فهما وعقلا وقيل ان اطلاق العقل هنا مجاز في سببه وهو الامتناع عن قبول هذه الامانة كلفظ الاشفاق فان عقلية المكلف العقوبة على التقصير في تكليف يخير فيه وخاف التقصير فيه يستلزم تركه لذلك التكليف واستنقاذه منه واذ لم يكن لها عقل من جهة ما في اجرام اطلق لفظ العقل على لازمه وقوته وهو الامتناع والاباء مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كاطلاق لفظ الارادة على سبيل المجاز في قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض واول يحتمل ان يعود الضمير في استعفين وعقلن الى من يعقل من الملائكة السماوية اذ لكل جرم سماوي ملك يدبره فالذين له لا سكان ذلك فيها دون ساير الاجرام الارضية وما جهله الانسان هو عظمة الله وغاية هذه الامانة وكونه ظلوما اي كثير الظلم لنفسه بعدم محافظته على هذه الامانة وتقصيره في اداء واجباتها المستلزم لعقوبته واستحقاق سخط الله وكونه جهولا اي كثير الجهل بما يسلبه هذه الامانة والغفلة عما يستلزمه فعلها وتركها وعن الوعيدات الواردة على التقصير فيها **وقوله** ان الله لا يخفى عليه الى اخره تنبيه لهذا الظلوم الجهول على احاطة علم الله تعالى بجميع احواله وانه عالم بانه في ليله ونهاره وانه لطيف الخبير والمراد بها نفوذ علمه في البواطن كما ينفذ على الظواهر **وقوله** واعضاوكم شهود له عليكم من قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجوارحكم وذلك باعتبار كونها معينة عليهم وعيونه اي طلايعه ونحو اسنيه لقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وتلك الشهادة عليه بلسان الحال وقد عرفت انطاق الجوارح وشهادة النفوس على انفسها ولمن بالجملة [illegible] تفعل فيها من معاصي الله مما انا والمراد خصوصا لا في مخطبة المعصية ويحتمل ان يريد بالخلوة كقولك خلوت اضلها لا المكان فيكون حقيقة وظاهر كونها عينا لله اي معاينة له وكل ذلك

وتنفير عن تحريك الجوارح وتصريفها والخلوة بها فيما لا ينبغي من المعاصي وبالله العصمة **ومن كلام له عليه السلام**
والله ما معوية بادهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة

هيا

اقول الدهاء استعمال العقل والراي الجيد فيما لا ينبغي فعله مما لا ينبغي مع اظهار ارادة غيره ويسمى صاحبه داهية وهو المكر والخديعة وهو داخل تحت رذيلة الجربزة وهي طرف الافراط من فضيلة الحكمة العملية ويستلزم رذايل كثيرة كالكذب والغدر وهو الرذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهود التي هي ملكة تحت العفة والفجور المقابل لفضيلة العفة **فقوله** عليه السلام ما معوية بادهى مني اي ليس باقدر مني على فعل الدهاء واكده ذلك بالقسم البار **وقوله** ولكنه يغدر ويفجر اشارة الى لوازم الدهاء التي لاجلها تركه وهو الغدر وبواسطته الفجور فان الدهاء لما كان نوعا تحت الحكمة كان الغدر الذي هو رذيلة نوعا تحت ما يقابل العفة وهو الفجور والزمه نفي الدهاء عن نفسه لكراهيته للغدر ونفيه له عن نفسه لان نفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ثم جعل الغدر وسطا في اثبات الفجور لمعوية بقياس ضمير من الشكل الاول فقوله ولكنه يغدر في قوة صغرى القياس وقوله ويفجر في قوة النتيجة فكانه قال ولكنه يغدر فهو يفجر ونبه على الكبرى بقوله وكل غدرة فجرة فصار الترتيب هكذا ولكنه يغدر وكل من يغدر فهو يفجر والنتيجة فهو اذن يفجر ثم نبه على لزوم الكفر له بقياس آخر من الشكل الاول نبه على صغراه بقوله وكل غدرة فجرة وعلى كبراه بقوله وكل فجرة كفرة واذ ثبت في القياس الاول انه فاجر واستلزم قوله وكل فجرة كفرة ان كل فاجر كافر ثبت بهاتين المقدمتين انه كافر ورد في غدرة فجرة وكفرة وهو كثير الغدر والفجور والكفر وذلك اصوح في اثبات المطلوب قال بعض الشارحين ووجه لزوم الكفر هنا ان الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما كان هو المشهور من حال عمرو بن العاص ومعوية في استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وهو معنى الكفر ويحتمل ان يريد الكفر لنعم الله وسترها باظهار معصيته كما هو المفهوم العرفي من لفظ الكفر واما ذكر الكفرة لتعدد الكفر بحسب تعدد الغدر فيكون ادعى الى التنفير اذ هو في معرض التنفير عنه **وقوله** ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة لفظ الخبر النبوي وفيه تنفير عن رذيلة الغدر **وقوله** والله ما استغفل بالمكيدة تقرير وتاكيد لما ذكره من معرفته بوجوه الاراء وكيفية الدهاء الا هي فان من يكون كذلك لا يمكن غفلته عما يعمل عليه من الحيلة والمكيدة **وقوله** ولا استغمز بالراي المحكمة اي لا يطلب غمزي واضعافي فان لا اضعف بحيل من الشدايد ورد بالاراء اي لا استجهل بشدايد المكايد وهذا القول صدر منه عليه السلام كالجواب لما يعتذر من اقوال الجاهلين بحالهم ونسبتهم الى قلة التدبير وسوء الراي ونسبة معوية الى استخراج وجوه المصالح والاراء في الحروب وغيرها واعلم ان الجواب عن هذا الخيال يستدعي تقديم مقدمة على اللم وجال معوية ممن ينسب الى جودة الراي وبيان التفاوت بينهم فيه وذلك راجع الى حرف واحد وهو انه عليه السلام كان ملازما في جميع [illegible] دقايق الشريعة متوقفا الى اتباعها ورفض ما العادة ان يتعمل

في الحروب والتدابير من الدهاء الجيش والمكر والحيلة والاصابة ذات في الخصوص وتخصيص عموماتنا
من الآراء وعدم تحرّج عمّا لم يرخص فيه الشريعة وكان غيره يفعل جميع ذلك سواء وافق الشريعة او لم يوافق فكانت
وجوه الحيل والتدابير عليهم اوسع وكان مجالها عليه اضيق ونقل عن ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ انه
قال في هذا المعنى كلام طويل خلاصته ان قال اني ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والعلم والدين الخالص
يظنون من العامة يزعم ان معوية كان ابعد غورا واصح فكرا واجود رويّة من علي بن ابي طالب وليس الامر كذلك وسأومي
الى موضع غلطه وذلك ان عليا عليه السلام كان لا يستعمل في حربه الا ما وافق الكتاب والسنة وكان معوية يستعمل
ما جاز فيها لاستعماله وما لا وافقهما ويسير في الحروب بسيرة ملك الهند اذا لاقى كسرى وكان علي
يقول لاصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابا
مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي وفي عمرو بن العاص وفي حبيب بن مسلمة
وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والاتباع واصحاب الحروب وانما يقصدون الوجه الذي به
هلاك الخصم وينتظرون وجه الفرصة سواء كان مخالفا للشريعة كالحريق والتغريق ودس السموم
والتضريب بين الناس بالكذب والقاء الكتب في العسكر او موافقا لها فمن اقتصر في التدبير على الكتاب
والسنة فقد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكايد والصدق والكذب اوسع من
الصدق وحده والحلال والحرام اوسع من الحلال وحده فعلي عليه السلام كان ملجما بلجام الورع عن جميع القول
الا ما فيه لله رضي وممنوع اليدين من كل بطش الا ما دل عليه الكتاب والسنة دون اصحاب الدهاء والمكر
والمكايد فلما رأت العوام نوادر معوية في المكايد وكثرة غرائبه في الخديعة وما تهيا له ولم يروا مثل ذلك
من علي عليه السلام ظنوا لقصور فهمهم ان ذلك من رجحان عند معوية ونقصان في علي ثم انظر بعد ذلك كله
هل تعد لمعوية من الخدع الكبير رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها الا من عصى رأي علي عليه السلام وخالف
امره من اصحابه فان زعمت انه قد نال ما اراد بخداعه من الاختلاف على علي فقد صدقت ولكن ليس ذلك
محل النزاع ولم يختلف في غدر اصحاب علي ومخالفتهم وتشاغبهم وانما الكلام في التمييز بينه وبين
معوية في الدهاء والمكر وصحة العقل والرأي هذه خلاصة كلامه ومن تأمل بعين الانصاف علم صحته
وصدقه ومن هذا يتبين لك الجواب عن كل ما نسب اليه من التقصير في خلافته كعدم اقراره لمعوية على
الولاية في اول خلافته ثم بعزله بعد ذلك لما يستلزم تقريره له من الظلم وشبهة التحكيم وكنسبتهم الى التوحش
لبعض اصحابه حتى فارقوه الى معوية كاخيه عقيل وشاعره النجاشي ومصقلة بن هبيرة وكتركه لطلحة
والزبير حتى فارقاه وخرجا الى مكة فأذن لهما في العمرة وذهب عنه الرأي في ارتباطهما عنده ومنعهما
من البعد عنه وامثال ذلك فان الانصاف عند اعتبار حاله في جميع ما نسب اليه يقتضي بتوافقه للشريعة
وعدم خروجه عنها وتفصيل الاجوبة عن ذلك مما يخرج عن الغرض وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام ايها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله فان الناس
قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل ايها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما

عقر

عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا فقال سبحانه فعقروها فاصبحوا نادمين فما
كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق
الواضح ورد الماء ومن خالف وقع في التيه اقول السكة الحديدة تكون في رأس خشبة الفدان تشق بها
الارض والارض الخوارة الضعيفة وحاصل الفصل ترغيب اصحابه السالكين لطريق الهدى في البقاء على ما
هم عليه بذكر كونه طريق الهدى ومن العادة ان يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في الطريق الطويل
الصعب فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق وكنى به عما عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بانهم ليسوا على
حق لقلتهم وكثرة مخالفيهم لان قلة العدد في الطريق مظنة الهلاك والسلامة مع الكثرة ونحو ذلك فنبههم على
انهم في طريق الهدى وان كانوا قليلين قوله فان الناس قد اجتمعوا الى قوله طويل تنبيه على علة اهل طريق
الهدى وهو اجتماع الناس على الدنيا واستعار لها لفظ المائدة ملاحظة لشبهها بها في كونها مجتمع اللذات وكنى
عن قصر مدتها بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الآخرة بطول جوعها ولفظ
الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت الى المطاعم الحقيقية اي قيمة من الكمالات النفسانية الفانية
بسبب الغفلة في الدنيا فلذلك نسب الجوع اليها ويحتمل ان يكون مستعارا لما يلحق عليه النفس وتأسف
بعد المفارقة من الملذات الدنيوية التي لا يحصل عليها الا بعد الموت ابدا فيطول جوعها منها وقابل المقابلة
في الجوع بازاء الشبع والطول بازاء القصر قوله ايها الناس الى قوله بالسخط اي انما يجمع الناس في عذاب
الله رضاهم بالمنكرات ومعاصي الله وان لم يباشروا الكرهم وسخطهم لها يزيل من الاعمال ومصداق ذلك
قصة ثمود في عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فانهم باشروا ما فعلوا ولكن مع انه نسب الفعل الى جميعهم
كما قال تعالى فعقروها الآية وعمّهم العقوبة لما عمّوه بالرضى والضمير في عمّوه يعود الى الرجل او الى
العقر الذي دل عليه قوله عقر اي لما عموا فعله برضاهم به واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وظاهر ان الراضي بفعل شريك فاعله وفي قوته ولذلك انما يجمع الله الناس في
رحمته باجتماعهم على الرضا بحبه والسخط بمكارهه قوله فما كان الا ان خارت ارضهم الى قوله الخوارة
تفسير للعذاب اللاحق لهم المشار اليه بقوله فاصبحوا نادمين فان قدمهم العذاب وقد فسره القرآن الكريم
ايضا في قوله فاخذتهم الرجفة فنبّه عليه السلام بكيفية ذلك وشبه صوت ارضهم في خسفها وذهابها في الارض
لصوت السكة المحماة في الارض عند الحرث بها وانما زاد في صفة المحماة تنبيها على قوة تصويتها وسرعة
غوصها لان المحماة يكون لها الاثر في الارض اشد وابعد على ما يقتضيه حركتها ويعينها الحمى على النفوذ فان
قصة ثمود ان المنقول انهم خلف عاد في ارضهم بعد هلاكهم عنها فكثروا وعمّروا اعمارا طويلة حتى كان الرجل
يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت في الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر
الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا
فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا
تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان

استجيب لنا اتبعت فقال نعم فخرج معهم ودعوا اربابهم وسالوها فلم تجب فقال كبيرهم واشار الى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك واجبناك
فاخذ عليهم المواثيق بذلك ثم صلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة
عشراء جوفاء وبراء كما طلبوا وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به رهط من قومه
ومنع اعقابهم ناس من رؤسائهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
فاذا كان يوم شربها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى
تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون فاذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا
وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت لهم عقرها امرأتان عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار كانتا كثيرتي المواشي لما اضرت بمواشيهما فعقرها قدار الاحمر واقتسموا لحمها و
طبخوه فانطلق سقبها حتى رقا جبلا يقال له قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان
يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وو
جوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وهي مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
هموا بقتله فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالا
نطاع فاتتهم الصيحة وخسف شديد والزلزال فتقطعت قلوبهم فهلكوا وبالله العصمة والتوفيق

تم هذا الفرع المجلد الثالث من كتاب مصباح السالكين لنهج البلاغة على يدي مؤلفه المفتقر الى عفو ربه
ميثم بن علي بن ميثم البحراني في اواخر جمادى الاولى سنة اربع وسبعين
وستمائة ولله الحمد والمنة وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله

وكان الفراغ من كتابته يوم الجمعة اصيل النهار على يد العبد الفقير الى رحمة ربه الغني حسين بن حسن
ابن الحسن الجوجاني العاملي ... في المشهد المقدس الغروي على مشرفه افضل
الصلوات واكمل التحيات وذلك ... سنة ... الدين
عفى الله عن منشيها وكفى عن سائلها
محمد وآله وعترته